ماشاء الله كان

الجزء الثالث

من

حاشية العالم العلامة العارف بالله
تعالى الشيخ احمد الصاوى
المالكى على تفسير
الجلالين نفعنا الله
بهم أجمعين
آمين

STATE LIBRARY
CHECKED - 1965

طبع بالمطبعة الازهرية المصرية

بشارع رقعة القمح بجوار الازهر الشريف

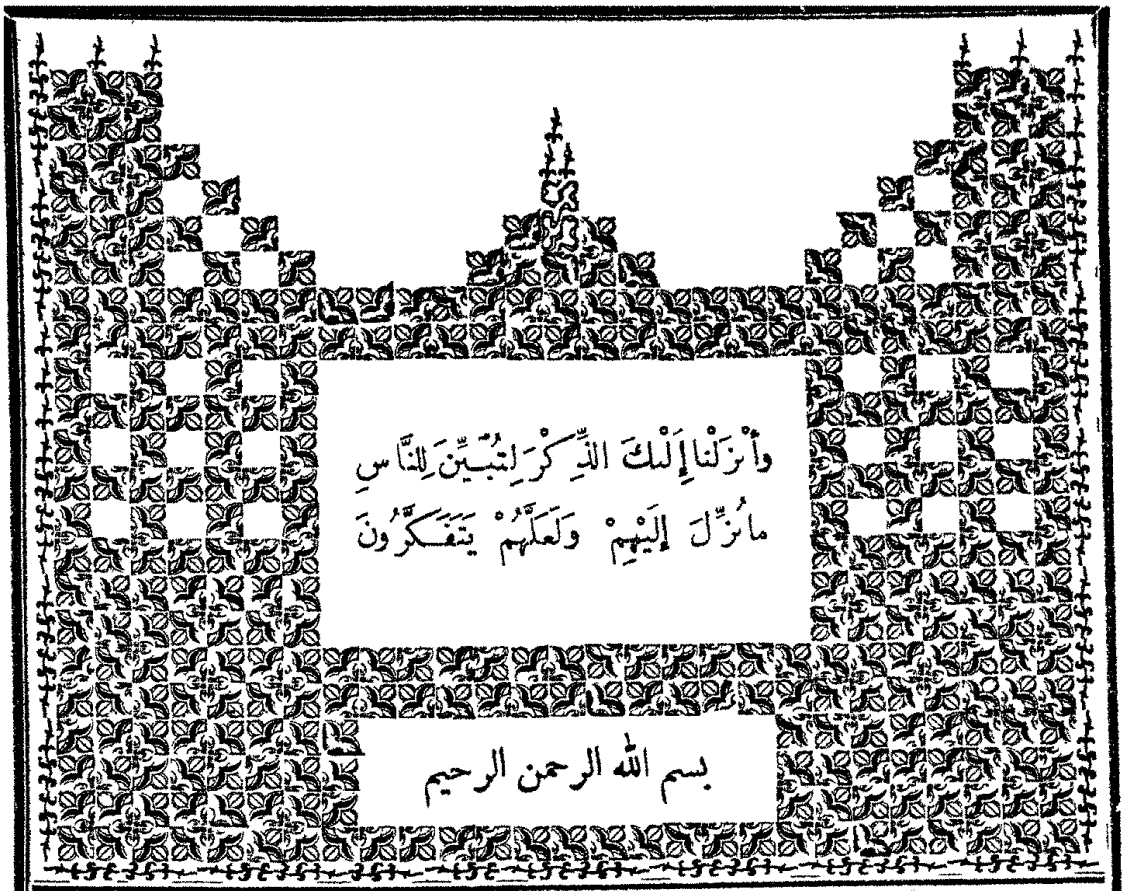
على نفقة

(مصطفى البابى الحلبي واولاده)

قد قوبلت هذه الطبعة على نسخة أميرية
مطبوعة سنة ١٢٩٥ هـ ونسخ أخرى موثوق بها

(الطبعة الاولى سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م)

3541
.S18



﴿سورة الكهف مكية الا واصبر نفسك الآية مائة وعشر آيات او وخمس عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد) هو الوصف بالجميل ثابت (لله) تعالى وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به او الثناء به اوهما احتمالات افيدها الثالث

الحمد لله الاول الآخر الباطن الظاهر والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الفاخر وعلى آله واصحابه ذوى العلا والمفاخر (و بعد) فلما انتهى الكلام على تكملة الجلال السيوطى فلنشرع الآن فى الكلام على تاليف شيخه الجلال محمد بن احمد المحلى نفعنا الله بهما و بعلومهما فى الدنيا والآخرة ونسال الله تعالى الاعانة على البدء والختام والموت على كمال الايمان والاسلام قال نفعنا الله به

﴿سورة الكهف مكية﴾

سميت بذلك لذكر قصة اصحاب الكهف فيها من باب تسمية الشيء باسم بعضه وسورة مبتدأ ومكية خبر اول ومائة الخ خبر ثان (قوله ثابت) قدره اشارة الى ان الجار والمجرور فى لله متعلق بمحذوف خبر المبتدا والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار ازلا وابدا فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث فوصف القديم بالكمالات ازلى مستمر وكمال الحادث عارض (قوله الاعلام بذلك) اى الاخبار بان وصفه الكمالى ازلى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى والمقصود منها كونها عقيدة للعباد وشرطا فى ايمانهم والمخبر بالحمد حامد (قوله او الثناء به) اى انشاء الثناء بمضمون تلك الجملة لا انشاء المضمون فانه ثابت أزلا يستحيل انشاؤه فتكون على هذا خبرية لفظا انشائية معنى كانه قال أجدد وأنشيء حمد النفسى بنفسي لعجز خلقى عن كنه حمدى ولذا حكى عن ابى العباس المرسي انه سال ابن النحاس النحوى عن أل فى الحمد لله هل هى جنسية او عهدية فقال يقولون انها جنسية فقال لا بل هى عهدية لان الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه وابقاه لهم يحمدونه به (قوله أوهما) اى الاعلام والثناء و يكون هذا من باب استعمال الجملة فى الخبر والانشاء على سبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز فاستعملها فى الخبر حقيقة واستعملها فى الانشاء مجازا وحينئذ فيكون المقصود من هذه الجملة امرين الاعلام للايمان والتصديق وانشاء الثناء (قوله أفيدها الثالث) اى أكثرها فائدة لدلالته على امرين مقصودكل منهما بالذات

ان قلت ان انشاء الثناء يستلزم الاعلام والاعلام يستلزم انشاء الثناء * قلنا نعم لكن فرق بين الحاصل المقصود والحاصل الغير المقصود فتحصل انه اذا جعلت الجملة خبرية فقط كان الثناء حاصلا غير مقصود وان جعلت انشائية فقط كان الايمان بها حاصلا غير مقصود وان استعملت فيهما كان كل مقصودا لذاته (قوله الذى انزل) تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كانه قال الحمد لله لاجل انزاله الخ وانما جعل الانزال سببا فى الحمد لانه اعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى اذ به تنال سعادة الدارين اذ فيه صلاح المعاد والمعاش قال تعالى وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ (قوله على عبده) الاضافة لتشريف المضاف ولذا قال القاضي عياض

ومما زادنى شرفا وتيها * وكدت باخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى * وأن صيرت احمد لى نبيا

(قوله ولم يجعل له) الجملة اما معطوفة على قوله انزل فتكون من جملة المحمود عليه أو حال كما قال المفسر (قوله اختلافا) أى فى اللفظ والمعنى والعوج بالكسر الفساد فى المعانى وبالفتح فى الاجسام (قوله تناقضا) نعت لاختلافا على حذف مضاف أى ذا تناقض (قوله قيما) ان اريد به الاستقامة فى المعنى كان حالا مؤكدة كما قال المفسر وان اريد به الاستقامة مطلقا كان حالا مؤسسة (قوله مستقيما) اى معتدلا قائما بمصالح العباد دنيا واخرى فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته من حيث انه يؤنسه فى قبره ويتلقى عنه السؤال ويكون نورا على الصراط ويوضع فى الميزان ويرقى به درجات الجنة وهذا للعامل به وقائم على غير العامل به بمعنى انه يكون حجة عليه أو المعنى قيما حسن الالفاظ والمعانى لكونه فى اعلى طبقات الفصاحة والبلاغة * فان قلت ما فائدة التاكيد * قلنا دفع توهم ان نفى العوج عن غالبه لان الحكم للغالب (قوله لينذر) متعلق بانزال وهو ينصب مفعولين قدر المفسر الاول بقوله الكافرين والثانى هو قوله باسا وقوله ويبشر معطوف على قوله لينذر الاول وحذف مفعوله الثانى لدلالة ماهنا عليه وذكر مفعوله الاول ففى الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما اثبته فى الآخر (قوله الكتاب) هو فاعل ينذر وفى بعض النسخ بالكتاب وحينئذ فيكون فاعل الانذار اما ضمير عائد على الله او على محمد (قوله الذين يعملون الصالحات) نعت للمومنين وقوله أن لهم أى بان لهم وانما ذكر المفعولين معا لعدم النظير لهم بخلاف أهل الانذار فانواعهم مختلفة (قوله ماكثين) أى مقيمين فيه (قوله هو الجنة) اى الاجر الحسن (قوله من جملة الكافرين) اشار بذلك الى ان قوله ويبشر معطوف على ينذر الاول عطف خاص على عام والنكتة التشنيع والتقبيح عليهم حيث نسبوا لله الولد وهو مستحيل عليه قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا (قوله الذين قالوا اتخذ الله ولدا) أى مولودا ذكرا أو انثى فيشمل النصارى واليهود ومشركى العرب (قوله ما لهم به من علم) أى لاستحالته عليه عقلا (قوله بهذا القول) هذا أحد أوجه فى مرجع الضمير والثانى انه راجع للولد اى انهم نسبوا له الولد مع عدم علمهم به لاستحالته وعدم وجوده الثالث انه راجع لله اى ليس لهم علم بالله اذ لو علموه لما نسبوا له الولد (قوله من قبلهم) بفتح الميم بدل من آبائهم أى فالمراد بآبائهم من تقدمهم عموما وليس المراد بهم خصوص من لهم عليهم ولادة (قوله كبرت كلمة) كبر فعل ماض لانشاء الذم والتاء علامة التانيث والفاعل مستتر تقديره هى وكلمة تمييزه والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله مقالتهم وهذه الجملة مستانفة لانشاء ذمهم ونظيرها قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (قوله تخرج من افواههم) اى من غير تامل وتدبر فيها بل جرت على ألسنتهم من غير سند (قوله فى ذلك) أى فى هذا المقام وهو نسبة الولد لله (قوله الا كذبا)

(الذى انزل على عبده) محمد (الكتاب) القرآن (ولم يجعل له) أى فيه (عوجا) اختلافا تناقضا والجملة حال من الكتاب (قيما) مستقيما حال ثانية مؤكدة (لينذر) يخوف بالكتاب الكافرين (باسا) عذابا (شديدا من لدنه) من قبل الله (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه ابدا) هو الجنة (وينذر) من جملة الكافرين (الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به) بهذا القول (من علم ولا لآبائهم) من قبلهم القائلين له (كبرت) عظمت (كلمة) تخرج من افواههم) كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أى مقالتهم المذكورة (ان) ما (يقولون) فى ذلك (الا) مقولا (كذبا

صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله مقولا (قوله فلعلك باخع الخ) لعل تاتى للترجى وللاشفاق وكل ليس مقصودا هنا بل المراد هنا النهى والمعنى لا تبخع نفسك اى لا تهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم ايمانهم (قوله بعدهم) تفسير لآثارهم أى فالآثار جمع أثر والمراد منه البعدية (قوله ان لم يؤمنوا) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير فلا تهلك نفسك والمقصود منه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم حزنا يؤدى لاهلاك نفسك واما أصل الحزن والغم فهو شرط فى الايمان لا ينهى عنه لان الرضا وشرح الصدر بالكفر كفر (قوله لحرصك) علة للعلة (قوله ونصبه على المفعول) اى والعامل فيه باخع (قوله انا جعلنا) كالتعليل لما قبله فهو من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم وجعل ان كانت بمعنى صير فزينة مفعول ثان وان كانت بمعنى خلق فزينة حال او مفعول لاجله وعلى كل فقوله ماعلى الارض مفعول (قوله وغيرذلك) اى من باقى النعم التى خلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن (قوله زينة لها) اى يتزين بها ويتنعم قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية (قوله لنختبر الناس) اى نعاملهم معاملة المختبر (قوله ناظرين الى ذلك) حال من الناس اى لنختبر الناس فى حال نظرهم الى الزينة (قوله أيهم) مبتدأ وأحسن خبر وعملا تمييز والجملة فى محل نصب سدت مسد مفعولى نبلو (قوله اى أزهده) تفسير لقوله أحسن عملا والمعنى تميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة فمن زهدها كان من أهل الحسن ومن رغب فيها كان بضد ذلك فتدبر (قوله لجاعلون) اى مصيرون وصعيدا مفعول ثان (قوله فتاتا) بضم الفاء مصدر كالحطام والرفات اى ترابا (قوله جرزا) نعت لصعيدا والمعنى انا لنعيدما على الارض من الزينة ترابا مستويا بالارض كصعيد أملس لا نبات به ان قلت ان قوله ماعليها صريح فى ان الارض تستمر فيكون منافيا لقوله فى الآية الاخرى يوم تبدل الارض غير الارض أجيب بانه خص ماعلى الارض من الزينة لانه الذى به الغرور والفتنة (قوله أم حسبت) ام منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب مذهب الجمهور تفسر ببل والهمزة وعند طائفة تفسر بالهمزة وحدها وعليه درج المفسر وعند طائفة أخرى تفسر ببل وحدها (قوله اى أظننت) الاستفهام انكارى أى لا تظن ان قصة اهل الكهف عجيبة دون باقى الآيات فان غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله كالليل والنهار والسموات والارض أعجب منها (قوله الكهف) مفرد وجمعه كهوف وأكهف (قوله الغار فى الجبل) اى وان لم يكن متسعا وهو قول وقيل ان الكهف الغار المتسع فان لم يتسع سمى غارا فقط (قوله والرقيم) هو بمعنى مرقوم (قوله اللوح) اى وكان من رصاص وقيل من حجارة وهو مدفون عند باب الغار تحت البناء الذى عليه وقيل ان الرقيم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف وقيل اسم للقرية وقيل اسم للجبل وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذى تمسكوا به من دين عيسى وقيل دراهمهم التى كانت معهم وقيل كلبهم (قوله فيه أسماؤهم) اى ففيه فلان بن فلان من مدينة كذا خرج فى وقت كذا من سنة كذا (قوله فى قصتهم) اى وكانت بعد عيسى عليه السلام (قوله ليس الامر كذلك) اى ليست أعجبها ولا هى عجب دون غيرها بل هى من جملة الآيات العجيبة (قوله اذ أوى الفتية الى الكهف) اى نزلوه وسكنوه * وحاصل قصتهم كما قال محمد بن اسحق لما طغى اهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الاصنام وذبحوا لها وبقى فيهم من هو على دين عيسى مستمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وكان يحمل الناس على ذلك ويقتل من خالفه فمر بمدينة اصحاب الكهف وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس واسمها عند العرب طرسوس

فلعلك باخع) مهلك (نفسك على آثارهم) بعدهم اى بعد توليهم عنك (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أسفا) غيظا وحزنا منك لحرصك على ايمانهم ونصبه على المفعول له (انا جعلنا ماعلى الارض) من الحيوان والنبات والشجر والانهار وغيرذلك (زينة لها لنبلوهم) لنختبر الناس ناظرين الى ذلك (أيهم احسن عملا) فيه اى ازهد له (وانا لجاعلون ماعليها صعيدا) فتاتا (جرزا) يابسا لا ينبت (أم حسبت) اى أظننت (ان أصحاب الكهف) الغار فى الجبل (والرقيم) اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قصتهم (كانوا) فى قصتهم (من) جملة (آياتنا عجبا) خبر كان وماقبله حال اى كانوا عجبا دون باقى الآيات او أعجبها ليس الامر كذلك اذكر (اذ أوى الفتية الى الكهف)

فاستخفى منه اهل الايمان فصار يرسل اعوانه فيفتشون عليهم ويحضرونهم له فيامرهم بعبادة الاصنام
ويقتل من يخالفه فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزنوا حزنا شديدا وكانوا من اشراف
الروم وهم ثمانية وكانوا على دين عيسى فاخبر الملك بهم وبعبادتهم فبعث اليهم فاحضروا بين يديه فيكون
فقال ما منعكم ان تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا انفسكم كاهل المدينة فاختاروا إما ان تكونوا على ديننا واما ان
نقتلكم فقال له اكبرهم ان لنا الها عظمته ملء السموات والارض ان ندعو من دونه الها ابدا اصنع
ما بدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فامر الملك بنزع لباسهم والحلية التى كانت عليهم وكانوا مسورين
ومطوقين وكانوا غلمانا مردا حسانا جدا وقال سأتفرغ لكم واعاقبكم وما يمنعنى من فعل ذلك بكم الآن الا
انى اراكم شبابا فلا احب ان اهلككم وانى قد جعلت لكم اجلا تدبرون فيه امركم وترجعون الى عقولكم
ثم انه سافر لغرض من اغراضه فخافوا انه اذا رجع من سفره يعاقبهم او يقتلهم فاستشوروا فيما بينهم
واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه يتصدق ببعضها ويتزود بالباقى ففعلوا ذلك
وانطلقوا الى جبل قريب من مدينتهم يقال له ينجلوس فيه كهف ومروا فى طريقهم بكلب فتبعهم
فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب انا احب احباب الله عزوجل فناموا وانا احرسكم فتبعهم
فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد وجعلوا نفقتهم تحت
يد واحد منهم اسمه تمليخا كان ياتى المدينة يشترى لهم الطعام سرا ويتجسس لهم الخبر فلبثوا بذلك الغار
ماشاء الله ثم رجع الملك دقيانوس من سفره الى المدينة وكان تمليخا يومئذ بالمدينة يشترى لهم طعاما فجاؤا
وأخبرهم برجوع الملك وانه يفتش عليهم ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عزوجل ويتضرعون اليه فى دفع
شره عنهم وذلك عند غروب الشمس فقال لهم تمليخا يا اخوتاه كلوا وتوكلوا على ربكم فاكلوا وجلسوا
يتحدثون ويتواصون فبينما هم كذلك اذ أتى الله عليهم النوم فى الكهف والقاه ايضا على كلبهم وهو باسط
ذراعيه على باب الكهف ففتش عليهم الملك فدل عليهم فتحير فيما يصنع بهم فاتى الله فى قلبه ان يسد
عليهم باب الغار واراد الله عزوجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس وان يبين لهم ان الساعة آتية وانه
قادر على بعث العباد من بعد الموت فامر الملك بسده وقال دعوهم فى كهفهم يموتوا جوعا وعطشا ويكون
كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله ارواحهم وفاة نوم
ثم ان رجلين مؤمنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية فكتبا
وقت فقدهم وعددهم وانسابهم ودينهم وممن فروا فى لوحين من رصاص وجعلاهما فى تابوت من نحاس
وجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة
فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه ومر بعده سنون وقرون وتغايرت
الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيدروس واختلف الناس عليه فمنهم المؤمن بالساعة ومنهم
الكافر بها فشق ذلك عليه حيث كان يسمعهم يقولون لا حياة الا حياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون
الاجساد فجعل يتضرع ويقول رب انت تعلم اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث
فاراد الله ان يظهره على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شانهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان
الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور فاتى الله فى قلب رجل من اهل تلك الناحية ان يهدم
ذلك البناء الذى على باب الكهف ويبنى بحجارته حظيرة لغنمه فهدمه وبنى به حظيرة لغنمه فلما انفتح
باب الكهف بعث الله هؤلاء الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم وقد حفظ الله عليهم
ابدانهم وجمالهم وهيئتهم فلم يتغير منها شئ فكانت هيئتهم وقت ان استيقظوا كهيئتهم وقت ان رقدوا ثم
ارسلوا تمليخا الى المدينة ليشترى لهم الطعام فذهب فرأى المدينة قد تغيرحالها واهلها وملكها وقد اخذه

أهل المدينة وذهبوا به الى ذلك الملك المؤمن فاخبره تمليخا بقصته وقصة أصحابه فقال بعض الحاضرين ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه فانطلق اريوس واسطيوس من عظماء المملكة ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فاول من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران فوجدا في أثر البناء تابوتا من نحاس ففتحاه فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما قصتهم فلما قرؤهما عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم أرسلوا قاصدا الى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل بالحضور الينا لعلك ترى هذه الآية العجيبة فان فتية بعثهم الله وأحياهم وقد كان توفاهم ثلثمائة سنة وأكثر فلما جاءه الخبر ذهب همه وقال أحمدك رب السموات والارض تفضلت علي ورحمتني ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي فركب وتوجه نحو الكهف فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم وهم جلوس على الارض يسبحون الله ويحمدونه فقالوا له نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما مشى ونام أتوه في منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من التراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد فيه ويسد به باب الغار فلا يراهم احد وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة اه ملخصا من الخازن (قوله جمع فتى) أي كصبي وصبية (قوله أصلح) أي أويسر (قوله هداية) أي تثبيتا على الايمان وتوفيقا للاعمال الصالحة (قوله فضربنا على آذانهم) مفعوله محذوف تقديره حجابا مانعا لهم من السماع وهذا هو المعنى الحقيقي وليس مرادا بل المراد أنمناهم ففي الكلام تجوز حيث شبه القاء النوم بضرب الحجاب واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الضرب ضربنا بمعنى أنمنا استعارة تصريحية تبعية (قوله معدودة) أشار بذلك الى أن عددا مصدر بمعنى معدودة نعت لسنين وسياتي عدها في الآية (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال كيف قال تعالى لنعلم مع أنه تعالى عالم بكل شئ أزلا فاجاب بقوله علم مشاهدة والمعنى ليظهر ويشاهد ويحصل لهم ما تعلق به علمنا أزلا من ضبط مدتهم (قوله الفريقين المختلفين) قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف لافتراقهم فرقتين فرقة تقول يوم وفرقة تقول بعض يوم وقيل هم أهل المدينة افترقوا فرقتين في قدر مدتهم بالتخمين والظن (قوله فعل) أي ماض وليس اسم تفضيل لانه لا يبنى من غير الثلاثي (قوله للبثهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية مراعى فيها اعتبار المدة وقوله متعلق بما بعده أي حال منه وأمدا مفعول أحصى (قوله نحن نقص عليك نبأهم) أي نفصل لك يا محمد خبرهم (قوله بالحق) الباء للملابسة والجار والمجرور حال من نبأ (قوله انهم فتية) أي شباب كانوا من عظماء أهل تلك المدينة وأحدهم كان وزيرا للملك (قوله آمنوا بربهم) أي صدقوا به وانقادوا لاحكامه (قوله قويناها على قول الحق) أي حيث خالفوا الملك ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف (قوله اذ قاموا) ظرف لربطنا اي ربطنا على قلوبهم وقت قيامهم (قوله بين يدي ملكهم) اي واسمه دقيانوس (قوله فقالوا) اي خطابا للملك ثلاث جمل وآخرها قوله شططا (قوله لن ندعو) اي نعبد (قوله اي قولا ذا شطط) اشار بذلك الى ان شططا منصوب على المصدرية صفة لمحذوف على حذف مضاف اي افراطا في الكفر اي مجاوزة الحد فيه (قوله هؤلاء قومنا) هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك وآخرها قوله كذبا (قوله عطف بيان)

جمع فتى وهو الشاب الكامل
خائفين على ايمانهم من
قومهم الكفار (فقالوا
ربنا آتنا من لدنك) من
قبلك (رحمة وهيئ) اصلح
(لنا من امرنا رشدا) هداية
(فضربنا على آذانهم) اي
أنمناهم (في الكهف سنين
عددا) معدودة (ثم بعثناهم)
ايقظناهم (لنعلم) علم مشاهدة
(اي الحزبين) الفريقين
المختلفين في مدة لبثهم
(احصى) فعل بمعنى ضبط
(لما لبثوا) للبثهم متعلق بما
بعده (امدا) غاية (نحن
نقص) نقرأ (عليك نبأهم
بالحق) بالصدق (انهم فتية
آمنوا بربهم وزدناهم هدى
وربطنا على قلوبهم) قويناها
على قول الحق (اذ قاموا)
بين يدي ملكهم وقد امرهم
بالسجود للاصنام (فقالوا
ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه) اي غيره
(الها لقد قلنا اذا شططا)
اي قولا ذا شطط اي
افراطا في الكفر ان دعونا
الها غير الله فرضا (هؤلاء)
مبتدا (قومنا) عطف بيان

(اتخذوا من دونه آلهة لولا) هلا (يأتون عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة ظاهرة (فمن أظلم) أى لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه تعالى قال بعض الفتية لبعض (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر

أى او بدل (قوله اتخذوا) خبر المبتدا (قوله هلا) اشار بذلك الى ان لولا للتحضيض والمقصود من ذكر هذا الكلام فيما بينهم تذاكر التوحيد وتقوية انفسهم عليه (قوله على عبادتهم) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله اى لا احد) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله قال بعض الفتية لبعض) قدره اشارة الى ان اذ ظرف منصوب بمحذوف اى قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم (قوله وما يعبدون الا الله) ما موصولة او مصدرية والمعنى واذ اعتزلتموهم والذى يعبدونه غير الله او معبوداتهم غير الله (قوله ينشر لكم) اى يبسط و يوسع (قوله و بالعكس) اى فهما قراءتان سبعيتان واما الجارحة فبكسر الميم فقط (قوله من غداء وعشاء) اى وغير ذلك (قوله وترى الشمس) الخطاب للنبي او لكل احد والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم لرأيت الشمس اذا طلعت الخ (قوله بالتشديد) اى فاصله تتزاور قلبت التاء زايا وادغمت فى الزاى (قوله والتخفيف) اى بحذف احدى التاءين وهما قراءتان سبعيتان (قوله ناحيته) اشار بذلك الى ان ذات اليمين وذات الشمال ظرف مكان بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال والمراد يمين الداخل للكهف وشماله وذلك ان كهفهم مستقبل بنات نعش فتميل عنهم الشمس طالعة وغاربة لئلا تؤذيهم بحرها ولا ينافى هذا ما تقدم فى القصة انه سد باب الكهف وبنى عليه مسجدا لان الكهف له محل منفتح من اعلاه جهة بنات نعش (قوله وهم فجوة منه) اى وسطه والجملة حالية (قوله المذكور) اى من نومهم وحمايتهم من اصابة الشمس لهم (قوله من يهد الله فهو المهتد) جملة معترضة فى اثناء القصة لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فلن تجد له وليا) اى معينا (قوله مرشدا) أى هاديا (قوله وتحسبهم) خطاب للنبي او لكل احد (قوله بكسر القاف) اى كفخذ وانخاذ و يضم ايضا كعضد واعضاد (قوله ونقلبهم الخ) قيل يقلبون فى كل سنة مرة فى يوم عاشوراء وقيل يقلبون مرتين وقيل كل تسع سنين والمقلب لهم قيل الله وقيل ملك يامره تعالى (قوله وكلبهم) وكان اصفر اللون وقيل اسمر وقيل كلون السماء واسمه قطمير وقيل ريان وهو من جملة الحيوانات التى تدخل الجنة و بهذا تعلم ان حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم (قوله ذراعيه) منصوب بباسط وهو ليس بمعنى الماضي المنقطع بل المستمر وقولهم اسم الفاعل لا يعمل ان كان بمعنى الماضي لا بمعنى المستقبل (قوله بفناء الكهف) أى رحبته وقيل المراد بالوصيد العتبة وقيل الباب وقيل التراب (قوله لو اطلعت عليهم) الخطاب للنبي او لكل أحد (قوله فرارا) منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله او على الحال اى فارا (قوله رعبا) اى فزعا روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع من ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية أناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم (قوله بسكون العين وضمها) ظاهره ان القراآت اربع وليس كذلك بل ثلاث فقط سبعيات لان اللام ان خففت جاز فى العين السكون والضم وان شددت تعين فى العين السكون فقط (قوله كما فعلنا بهم ما ذكر) اى من القاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة فيكون ايقاظهم آية اخرى يعتبر بها هم وغيرهم (قوله ليتساءلوا) اللام للسببية أو للعاقبة والصيرورة (قوله قال قائل منهم) اى واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكسلمينا (قوله كم لبثتم) كم منصوبة على الظرفية وميزها محذوف تقديره كم يوما (قوله أو بعض يوم) أو للشك منهم لترددهم فى غروب الشمس وعدمه

لكم ربكم من رحمته و يهيئ لكم من امركم مرفقا) بكسر الميم وفتح الفاء و بالعكس ما ترتفقون به من غداء وعشاء (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بالتشديد والتخفيف تميل (عن كهفهم ذات اليمين) ناحيته (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة (وهم فى فجوة منه) متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها (ذلك) المذكور (من آيات الله) دلائل قدرته (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم) لو رأيتهم (ايقاظا) اى منتبهين لان اعينهم منفتحة جمع يقظ بكسر القاف (وهم رقود) نيام جمع راقد (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تاكل الارض لحومهم (وكلبهم باسط ذراعيه) يديه (بالوصيد) بفناء الكهف وكانوا اذا انقلبوا انقلب وهو مثلهم فى النوم واليقظة (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت) بالتشديد والتخفيف (منهم رعبا) بسكون العين وضمها منعهم الله بالرعب من دخول احد عليهم (وكذلك) كما فعلنا بهم ما ذكرنا (بعثناهم) ايقظناهم (ليتساءلوا بينهم) عن حالهم ومدة لبثهم (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم)

To: www.al-mostafa.com

لانهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا انه غروب يوم الدخول ثم (قالوا) متوقفين فى ذلك (ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم) بسكون الراء وكسرها بفضتكم (هذه الى المدينة) يقال انها المسماة الآن طرسوس بفتح الراء (فلينظر ايها أزكى طعاما) اى أى اطعمة المدينة احل (٨) (فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرون بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم

يقتلوكم بالرجم (أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا) اى ان عدتم فى ملتهم (ابدا وكذلك) كما بعثناهم (اعثرنا) اطلعنا (عليهم) قومهم والمؤمنين (ليعلموا) اى قومهم (ان وعد الله) بالبعث (حق) بطريق ان القادر على انامتهم المدة الطويلة وابقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على احياء الموتى (وان الساعة لا ريب شك (فيها اذ) معمول لاعثرنا (يتنازعون) اى المؤمنون والكفار (بينهم امرهم) امر الفتية فى البناء حولهم (فقالوا) اى الكفار (ابنوا عليهم) اى حولهم (بنيانا) يسترهم (ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم) امر الفتية وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم) حولهم (مسجدا) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف (سيقولون) اى المتنازعون فى عدد الفتية زمن النبى اى يقول بعضهم هم (ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون) اى بعضهم (خمسة سادسهم كلبهم) والقولان لنصارى نجران (رجما بالغيب) اى ظنا فى الغيبة عنهم وهو راجع الى القولين معا ونصبه على المفعول له اى لظنهم ذلك (ويقولون) اى المؤمنون (قوله سبعة وثامنهم كلبهم) الجملة من المبتدا وخبره صفة سبعة بزيادة الواو وقيل تاكيد ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الاولين بالرجم دون الثالث دليل على انه مرضى وصحيح (قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس انا من القليل

(قوله لانهم دخلوا الكهف الخ) ظاهره انهم ناموا فى يوم دخولهم وتقدم انهم مكثوا مدة فى الكهف قبل نومهم يتعبدون ويأكلون ويشربون فكان المناسب ان يقول لانهم ناموا طلوع الشمس الخ (قوله قالوا) أى بعضهم لبعض (قوله متوقفين فى ذلك) أى فى قدر مدة لبثهم (قوله ربكم أعلم بما لبثتم) هذا تفويض منهم لامر الله احتياطا وحسن أدب (قوله فابعثوا) أى أرسلوا (قوله احدكم) اى وهو تمليخا (قوله بورقكم) قيل الورق الفضة المضروبة وقيل الفضة مطلقا وتحذف فاء الكلمة فيقال رقة (قوله بسكون الراء وكسرها) سبعيتان (قوله هذه) أى الدراهم التى كانت معهم من بيوت آبائهم فانهم انفقوا بعضها قبل نومهم وبقى بعضها معهم فوضعوه عند رؤسهم حين ناموا وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس وكان الواحد منها قدر خف ولد الناقة الصغير (قوله الآن) أى فى الاسلام واما فى الجاهلية فكانت تسمى افسوس وقيل افسوس من أعمال طرسوس (قوله أحل) أى أحل ذبيحته لانهم كان منهم من يذبح للطواغيت وكان فيهم قوم يخفون ايمانهم فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين (قوله وليتلطف) أى يترفق فى ذهابه ورجوعه لئلا يعرف (قوله ولا يشعرن بكم أحدا) أى لا يفعلن ما يؤدى الى شعور أحد بكم (قوله انهم) أى أهل المدينة (قوله ان يظهروا عليكم) أى يغلبوكم ويطلعوا عليكم (قوله او يعيدوكم فى ملتهم) اى يصيروكم اليها (قوله ولن تفلحوا اذا أبدا) اى لن تظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرها ان قلت كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود فى ملتهم مع الاكراه المستفاد من قوله انهم ان يظهروا عليكم الخ مع ان المكره غير مؤاخذ بما اكره عليه أجيب بان هذا مخصوص بشريعتنا واما من قبلنا فكانوا يؤاخذون بالاكراه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه (قوله وكذلك) أى كما أنمناهم وبعثناهم (قوله قومهم والمؤمنين) قدر ذلك اشارة الى ان مفعول اعثرنا محذوف (قوله أى قومهم) أى ذرية قومهم لان قومهم قد انقرضوا (قوله بلا غذاء) أى قوت (قوله وان الساعة) أى القيامة (قوله معمول لاعثرنا) المناسب جعله ظرفا لمحذوف تقديره اذكر أو لقوله قال الذين غلبوا (قوله أى المؤمنون والكفار) اى فقال المؤمنون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لانهم على ديننا وقال الكفار نبنى عليهم بيعة لانهم من أهل ملتنا (قوله ربهم اعلم بهم) يحتمل ان يكون من كلام الله او من كلام المتنازعين (قوله وهم المؤمنون) اى الذين كانوا فى زمن الملك بيدروس الرجل الصالح (قوله وفعل ذلك على باب الكهف) اى وبقى ظهر الكهف منفتحا كما تقدم (قوله أى المتنازعون) اى وهم النصارى والمؤمنون (قوله ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله رابعهم كلبهم) مبتدأ وخبر والجملة صفة لثلاثة وكذا يقال فى قوله ويقولون خمسة ويقولون سبعة (قوله نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز (قوله رجما بالغيب) أى ظنا من غير دليل ولا برهان (قوله أى المؤمنون) أى قالوا ذلك باخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام (قوله بزيادة الواو) اى من غير ملاحظة معنى التوكيد (قوله وقيل تاكيد) اى زائدة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف وحكمة زيادتها الاشارة الى تصحيح هذا القول دون ما قبله (قوله ودلالة على لصق الصفة الخ) العطف للتفسير على ما قبله فهما قولان فقط (قوله قل ربى أعلم بعدتهم) اى من غيره (قوله ما يعلمهم الا قليل) اى وهو النبى ومن سمع منه

(قوله وذكرهم سبعة) أى وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونينوس وساريونس وذونوانس وفليستطيونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير وقيل حمران وقيل ريان قال بعضهم علموا أولادكم أسماء أهل الكهف فانها لو كتبت على باب دار لم تحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق وقال ابن عباس رضي الله عنهما خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولطفاء الحريق تكتب على خرقة وترمى فى وسط النار تطفأ باذن الله ولبكاء الاطفال والحمى المثلثة وللصداع تشد على العضد الايمن ولام الصبيان وللركوب فى البر والبحر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الآثمين اه (قوله الامراء ظاهرا) أى غير متعمق فيه بل نقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم (قوله بما انزل اليك) اى وهو القرآن (قوله ولا تستفت فيهم منهم احدا) اى لا تسال احدا عن قصتهم فان فيما اوحى اليك الكفاية (قوله اليهود) المناسب عدم التقييد بذلك بل يقيد بالنصارى لما روى انه عليه الصلاة والسلام سال نصارى نجران عنهم فنهى عن ذلك (قوله وساله اهل مكة) اى بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم سلوه عن الروح واصحاب الكهف وعن ذى القرنين فسالوه عنها فقال ايتونى غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله فابطا عليه الوحى بضعة عشر يوما او اربعين حتى شق عليه وتمارت قريش فى ذلك (قوله فنزل) اى بعد انقضاء تلك المدة تعليما لامته الادب وتفويض الامور الى الله تعالى فان الانسان لا يدرى ما يفعل به فاذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق فما بالك بغيره (قوله اى لاجل شئ) اى تهتم به وتريد القدوم عليه (قوله انى فاعل ذلك) المراد بالفعل ما يشمل القول (قوله اى فيما يستقبل من الزمان) اشار بذلك الى ان المراد بالغد ما يستقبل كان فى يومك او بعده بقليل او كثير لا خصوص اليوم الذى بعد يومك (قوله الا ان يشاء الله) استثناء من عموم الاحوال كانه قال لا تقولن لشئ فى حال من الاحوال الا فى حال تلبسك بالتعليق على مشيئة الله (قوله ويكون ذكرها بعد النسيان الخ) اى لما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قال ان شاء الله (قوله قال الحسن وغيره مادام فى المجلس) اى ولو انفصل عن الكلام السابق وقال ابن عباس يجوز انفصاله الى شهر وقيل الى سنة وقيل ابدا وقيل الى أربعة أشهر وقيل الى سنتين وقيل مالم يأخذ فى كلام آخر وقيل يجوز بشرط ان ينوى فى الكلام وقيل يجوز انفصاله فى كلام الله تعالى لانه اعلم بمراده لا فى كلام غيره وعامة المذاهب الاربعة على خلاف ذلك كله فان شرط حل الايمان بالمشيئة أن تتصل وان يقصد بها حل اليمين ولا يضر الفصل بتنفس اوسعال او عطاس ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الاربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية فالخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل وربما اداه ذلك للكفر لان الاخذ بظواهر الكتاب والسنة من اصول الكفر (قوله وقل) أى لاهل مكة (قوله ان يهدين) أى يدلنى (قوله فى الدلالة) متعلق باقرب (قوله رشدا) اما مفعول مطلق ليهدينى لموافقته له فى المعنى واليه يشير المفسر بقوله هداية ويصح أن يكون تمييزا لاقرب أى لاقرب هداية من هذا (قوله وقد فعل الله تعالى ذلك) أى هداه لما هو أعجب وأطلعه على ما هو أغرب حيث شاهد ما شاهد فى ليلة الاسراء وأعطاه علوم الاولين والآخرين وفاق عليهم بعلوم لم يطلع عليها أحد سواه وأشار المفسر بذلك الى أن الترجى فى كلام الله بمنزلة التحقق (قوله ولبثوا فى كهفهم) هذا رد على أهل الكتاب حيث اختلفوا فى مدة لبثهم (قوله عطف بيان) أى لان تمييز المائة فى الكثير مفرد مجرور وفى قراءة بالاضافة وعليها فتكون من القليل قال ابن مالك

ومائة والالف للفرد أضف * ومائة بالجمع نزرا قد ردف

وذكرهم سبعة (فلا تمار) تجادل (فيهم الامراء ظاهرا) بما أنزل عليك (ولا تستفت فيهم) تطلب الفتيا (منهم) من أهل الكتاب اليهود (أحدا) وساله اهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غدا ولم يقل ان شاء الله فنزل (ولا تقولن لشئ) أى لاجل شئ (انى فاعل ذلك غدا) أى فيما يستقبل من الزمان (الا أن يشاء الله) أى الا ملتبسا بمشيئة الله تعالى بان تقول ان شاء الله (واذكر ربك) اى مشيئته معلقا بها (اذا نسيت) التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره مادام فى المجلس (وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا) من خبر اهل الكهف فى الدلالة على نبوتى (رشدا) هداية وقد فعل الله تعالى ذلك (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة) بالتنوين (سنين) عطف بيان لثلثمائة وهذه السنون الثلثمائة عند اهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب

(قوله تسع سنين) اى لان كل ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة شمسية تزيد سنة قمرية (قوله أى تسع سنين) أشار بذلك الى ان حذف المميز من الثانى لدلالة الاول عليه (قوله قل الله اعلم بما لبثوا) ان قلت مافائدة الاخبار بذلك بعد ان بين الله ذلك أجيب باوجه أحدها ان المعنى قل الله اعلم بان الثلثمائة سنة والتسع قمرية لا شمسية خلافا لزعم بعض الكفار انها شمسية ثانيها ان المعنى الله اعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته ثالثها ان المعنى الله اعلم بمدة لبثهم قبل البعث وبعده * واعلم انه اختلف فى اصحاب الكهف هل ماتوا ودفنوا اوهم نيام وأجسامهم محفوظة والصحيح انهم نيام ويستيقظون عند نزول عيسى ويحجون معه ويموتون قبل يوم القيامة حين تاتى الريح اللينة كما قال صلى الله عليه وسلم ليحجن عيسى ابن مريم ومعه اصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد ذكره ابن عيينة وفى رواية مكتوب فى التوراة والانجيل ان عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وانه يمر بالروحاء حاجا ومعتمرا او يجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا اه (قوله اى علمه) اى علم السموات والارض وما غاب فيهما (قوله على جهة المجاز) اى لان التعجب استعظام امر خفى سببه وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لا يخفى فاحاطته بالموجودات سمعا وبصرا وعلما أمر ثابت بالبرهان وصار كالضرورى وانما المقصود ذكر العظمة لا حقيقة التعجب (قوله من ولى) اما مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف (قوله فى حكمه) اى قضائه (قوله واتل ما أوحى اليك) اى ولا تعتبر بهم (قوله لا مبدل لكلماته) أى لا يقدر أحد ان يغير شيا من القرآن فلا تخش من قراءتك عليهم تبديله بل هو محفوظ من ذلك لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الى يوم القيامة (قوله ملجأ) اى تلتجئ اليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى (قوله واصبر نفسك) فى هذه الآية أمر للنبى صلى الله عليه وسلم بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم وهى أبلغ من آية الانعام لان تلك انما نهى فيها عن طردهم وهذه أمر بحبس نفسه على الجلوس معهم كان الله يقول له احبس نفسك على ما يكرهه غيرك من رثاثة ثياب الفقراء ورائحتهم الكريهة ولا تلتفت لجمال الاغنياء وحسن ثيابهم فان حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع قال الشاعر

جمال الوجه مع قبح النفوس * كقنديل على قبر المجوس

(قوله مع الذين يدعون ربهم) اى يعبدونه (قوله بالغداة والعشي) المراد بالغداة أوائل النهار وأواخر الليل وبالعشى أوائل الليل وأواخر النهار وحينئذ فقد استغرقوا أوقاتهم فى العبادة (قوله يريدون وجهه) اى يقصدون بعبادتهم ذات ربهم ورضاه عليهم (قوله لا شيا من أعراض الدنيا) اى ولا شيا من نعيم الجنة وهذا مقام الكمل والصحابة به أحرى (قوله تنصرف عيناك عنهم) هو كناية عن الاعراض عنهم أى لا تعرض عنهم بل أقبل عليهم وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر ولا تعد عينيك بالنصب لانه فعل متعد مع ان التلاوة بالرفع لا غير فاجاب المفسر بانها وان كانت بالرفع الا انها ترجع لمعنى النصب لان الفعل مسند للعينين وهو فى الحقيقة مسند لصاحبهما ولذلك عبر بتنصرف لتصحيح رفع العينين دون تصرف (قوله تريد زينة الحياة الدنيا) الجملة حال من الكاف فى عيناك والشرط موجود وهو كون المضاف جزأ من المضاف اليه والمعنى لا تنصرف عيناك عنهم حال كونك طالبا زينة الدنيا بمجالسة الاغنياء وصحبة أهل الدنيا والخطاب للنبى والمراد هو وغيره وانما خوطب النبى وان كان معصوما من ذلك تسلية للفقراء وتطمينا لقلوبهم (قوله وهو عيينة بن حصن) اى الفزارى أتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص

تسع سنين وقد ذكرت فى قوله (وازدادوا تسعا) اى تسع سنين فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية (قل الله اعلم بما لبثوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (له غيب السموات والارض) اى علمه (أبصر به) أى بالله هى صيغة تعجب (واسمع) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد انه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شئ (مالهم) لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) ناصر (ولا يشرك فى حكمه احدا) لانه غنى عن الشريك (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا) ملجا (واصبر نفسك) احبسها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون) بعبادتهم (وجهه) تعالى لا شيا من اعراض الدنيا وهم الفقراء (ولا تعد) تنصرف (عيناك عنهم) عبر بهما عن صاحبهما (تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) اى القرآن وهو عيينة بن حصن وأصحابه (واتبع هواه) فى الشرك (وكان

يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وقد اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وكان في حنين من المؤلفة قلوبهم فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بعير وكذا اعطى الاقرع بن حابس واعطى للعباس بن مرداس اربعين بعيرا وقيل نزلت في اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرجون الى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم (قوله فرطا) مصدر فرط سما عي اى متجاوزا فيه الحد (قوله وقل له) اى لعيينة بن حصن (قوله الحق) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله هذا القرآن (قوله تهديد لهم) اى تخويف وردع لا تخيير واباحة لذكره الوعد الحسن على الايمان والوعيد بالنار على الكفر فالعاقل لا يرضى بفوات النعيم واختيار العذاب (قوله انا اعتدنا) راجع لقوله ومن شاء فليكفر وقوله ان الذين آمنوا راجع لقوله فمن شاء فليؤمن فهو لف ونشر مشوش (قوله احاط بهم سرادقها) صفة لنارا والسرادق كناية عن الصور وهو نارا يضا لما ورد ان ارضها من رصاص وحيطانها من نحاس وسقفها من كبريت ووقودها الناس والحجارة فاذا اوقدت فيها الدار صار الكل نارا اجارنا الله منها بمنه وكرمه (قوله يغاثوا) فيه مشاكلة لقوله وان يستغيثوا وتهكم بهم اذ لا اغاثة فيه لانه لا ينقذ من المهالك (قوله كمكر الزيت) بفتحتين هو اسم لما يبقى في اناء الزيت بعد اخذ الصافي منه وهو تشبيه في الصورة والا فهو نار كما وصفه بقوله يشوى الوجوه (قوله اى قبح مرتفقها) اى حول الاسناد الى النار ونصب مرتفقا على التمييز لان ذكر الشيء مبهما ثم مفسرا أوقع في النفس (قوله وهو مقابل) اى ذكر على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سياتي في الجنة (قوله والا) اى الا نقل انه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة (قوله وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر) اى وهو الرابط لانه بمعنى الموصول الذي هو اسم ان على حد * سما الذي اضناك حب سعاد * (قوله اى نثيبهم) تفسير لقوله لا نضيع (قوله بما تضمنه) اى بثواب تضمنه اولئك الى قوله وحسنت مرتفقا وقد اشتملت هذه الآية على خمسة انواع من الثواب الاول جنات عدن الثاني تجري من تحتهم الانهار الثالث يحلون فيها الرابع و يلبسون ثيابا الخامس متكئين الخ (قوله تجري من تحتهم) اى تحت مساكنهم (قوله قيل من زائدة) اى بدليل آية هل اتى وحلوا اساور (قوله وهي جمع اسورة) اى فاساور جمع الجمع (قوله من ذهب) جاء في آية اخرى من فضة وفي اخرى من ذهب ولؤلؤ فيلبس كل واحد الاساور الثلاثة لما ورد انه يسور المؤمن في الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وفي الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء (قوله من سندس واستبرق) جمع سندسة واستبرقة وقيل ليساجمعين (قوله من الديباج) اى الحرير (قوله بطائنها) اى الفرش (قوله متكئين فيها) حال عاملها محذوف اى يجلسون متكئين (قوله جمع اريكة) اى كسفينة ولا يقال له اريكة الا اذا كان في داخل الحجلة و بدونها سرير وتقدم ان السرير عليه سبعون فراشا كل فراش عليه زوجة من الحور العين (قوله في الحجلة) بفتحتين في محل نصب على الحال (قوله للعروس) يستعمل في الرجل والمرأة لكن الجمع مختلف فيقال رجال عرس ونساء عرائس (قوله الجنة) قدره اشارة الى ان المخصوص بالمدح محذوف (قوله مرتفقا) اى منتفعا وسكنا (قوله واضرب لهم مثلا) قيل نزلت في اخوين من اهل مكة من بني مخزوم وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسود وكان مؤمنا واخوه الاسود بن عبد الاسود وكان كافرا فشبههما الله برجلين من بني اسرائيل اخوين احدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قيطوس وهما

امره فرطا) اسرافا (وقل) له ولاصحابه هذا القرآن (الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) تهديد لهم (أنا اعتدنا للظالمين) اى الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) ما احاط بها (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) كعكر الزيت (يشوى الوجوه) من حره اذا قرب اليها (بئس الشراب) هو (وساءت) اى النار (مرتفقا) تمييز منقول عن الفاعل اى قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة وحسنت مرتفقا والا فاى ارتفاق في النار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا) الجملة خبر ان الذين وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى اجرهم اى نثيبهم بما تضمنه أولئك لهم جنات عدن) اقامة (تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور) قيل من زائدة وقيل للتبعيض وهي جمع اسورة كاحمرة جمع سوار (من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ما غلظ منه وفي آية الرحمن بطائنها من استبرق (متكئين فيها على الارائك) جمع اريكة وهي السرير في الحجلة وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس (نعم الثواب) الجزاء الجنة (وحسنت مرتفقا واضرب) اجعل (لهم) للكفار مع المؤمنين (مثلا رجلين)

اللذان وصفهما الله فى سورة الصافات بقوله قال قائل منهم انى كان لى قرين الآيات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراسانى قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى احدهما أرضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بالف دينار وانى اشترى منك ارضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال هذا اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانى اشتريت منك دارا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة وأنفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم انى أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم انى أشترى منك خدما ومتاعا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبى لعله ينالنى منه معروف فجلس على طريق حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظره صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ماشانك قال اصابتنى حاجة بعدك فاتيتك لتعيننى بخير قال فما فعل بمالك وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال والله لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيا فطرده فقضى عليهما فتوفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون الخ وليس هذا مخصوصا ببنى سلمة واخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك الاقبال على الله (قوله بدل) أى ويصح ان يكون مفعولا ثانيا لان ضرب مع المثل يجوز ان يتعدى لاثنين (قوله وحففناهما بنخل) اى جعلنا النخل حولهما محيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما زرعا) اى ليكون جامعا للاقوات والفواكه (قوله مفرد) اى باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية اى باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فافرد والمعنى أخرى فثنى (قوله مبتدأ) اى وهو مرفوع بضمة مقدرة على الالف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلتا مضاف والجنتين مضاف اليه وهذا اعرابه ان اضيف لظاهر فان اضيف لضمير كان ملحقا بالمثنى فيعرب بالحروف (قوله آتت اكلها الخ) هذا كناية عن نموها وزيادتها فليست كالاشجار يتم ثمرها فى بعض السنين وينقص فى بعض (قوله وفجرنا) أى شققنا (قوله يجرى بينهما) اى ليسقى ارضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له) اى لاحدهما (قوله ثمر) المراد به امواله التى هى من غير الجنتين كالنقد والمواشى وسمى ثمرا لانه يثمر اى يزيد (قوله بفتح الثاء والميم الخ) القراآت الثلاث سبعية (قوله وهى جمع ثمرة) اى بفتحتين وهذا على كل واحد من الاوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف وانما الاختلاف فى الجمع بقوله كشجرة الخ لف ونشر مرتب (قوله فقال لصاحبه) حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث وكلها شنيعة الاولى انا اكثر منك الخ الثانية ودخل جنته الخ الثالثة وما اظن الساعة قائمة الخ (قوله يفاخره) أى يراجعه بالكلام الذى فيه الافتخار (قوله انا اكثر منك مالا الخ) انا مبتدأ واكثر خبره ومنك متعلق بمحذوف حال من مالا ومالا تمييز محول عن المبتدا والاصل مالى اكثر منك فحذف المبتدا واقيم المضاف اليه مقامه فانفصل وجعل المبتدا فى الاصل تمييزا ويقال فى قوله واعز نفرا ما قيل هنا (قوله ويريه آثارها) اى بهجتها وحسنها وفى نسخة اثمارها وهى ظاهرة (قوله وهو ظالم لنفسه) الجملة حالية من فاعل دخل ولنفسه مفعوله واللام زائدة (قوله قائمة) اى كائنة وحاصلة (قوله على زعمك) دفع بهذا ما يقال انه ينكر البعث فكيف يقول ذلك فاجاب بانه مجاراة له فى زعمه (قوله مرجعا) اشار بذلك الى ان منقلبا تمييز وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى الرجوع والمراد عاقبة المآل (قوله قال له صاحبه) اى وهو المؤمن وقدر المقالات الثلاث على طريق اللف والنشر المشوش (قوله اكفرت)

بدن وهو وما بعده تفسير للمثل (جعلنا لاحدهما) الكافر (جنتين) بستانين (من اعناب وحففناهما) بنخل وجعلنا بينهما زرعا) يتمتات به (كلتا الجنتين) كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ (آتت) خبره (اكلها) ثمرها (ولم تظلم) تنقص (منه شيا وفجرنا) اى شققنا (خلالهما نهرا) يجرى بينهما (وكان له) مع الجنتين (ثمر) بفتح الثاء والميم وبضمهما وبضم الاول وسكون الثانى وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن (فقال لصاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) يفاخره (انا اكثر منك مالا وأعز نفرا) عشيرة (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويريه آثارها ولم يقل جنتيه ارادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد (وهو ظالم لنفسه) بالكفر (قال ما اظن ان تبيد) تنعدم (هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى) فى الآخرة على زعمك (لاجدن خيرا منها منقلبا) مرجعا (قال له صاحبه وهو يحاوره) يجاوبه (اكفرت بالذى خلقك من تراب) لان آدم خلق منه (ثم من نطفة) منى (ثم سواك) عدلك وصيرك

(رجلا لكنا) أصله لكن انا نقلت حركة الهمزة الى النون او حذفت الهمزة ثم ادغمت النون فى مثلها (هو) ضمير الشان تفسره الجملة بعده والمعنى انا اقول (الله ربى ولا اشرك بربى احدا ولولا) هلا (اذ دخلت جنتك قلت) عند اعجابك بها هذا (ماشاء الله لا قوة الا بالله) فى الحديث من اعطى خيرا من اهل او مال فيقول عند ذلك ماشاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها (ان ترن انا) ضمير فصل بين المفعولين (اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك) جواب الشرط (ويرسل عليها حسبانا) جمع حسبانة اى صواعق (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) ارضا ملساء لا يثبت عليها قدم (او يصبح ماؤها غورا) بمعنى غائرا عطف على يرسل دون تصبح لان غور الماء لا يتسبب عن الصواعق (فلن تستطيع له طلبا) حيلة تدركه بها (واحيط بثمره) باوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلك (فاصبح يقلب كفيه) ندما وتحسرا (على ما انفق فيها) فى عمارة جنته (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) دعائمها للكرم بان سقطت ثم سقط الكرم (ويقول يا) للتنبيه (ليتنى لم أشرك بربى احدا ولم تكن) بالتاء والياء (له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) عند هلاكها (وما كان منتصرا) عند هلاكها بنفسه (هنالك) اى يوم القيامة (الولاية) بفتح الواو النصرة وبكسرها الملك (لله الحق) بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة (هو خير ثوابا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وخير عقبا) بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبهما على التمييز (واضرب) صير (لهم) لقومك (مثل الحياة الدنيا) مفعول اول (كماء) مفعول ثان (انزلناه من السماء فاختلط به) تكاثف بسبب نزول الماء (نبات الارض) او امتزج الماء بالنبات فروى وحسن (فاصبح) صار النبات

الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمعنى لا ينبغى ولا يليق منك الكفر بالذى خلقك الخ وهذا رد للمقالة الاخيرة (قوله رجلا) مفعول ثان لسواك لانه بمعنى صيرك كما قال المفسر (قوله لكنا) استدراك على قوله أكفرت كانه قال انت كافر بالله لكن انا مؤمن واختلف القراء فى وصل لكنا فبعضهم يثبت الفا بعد النون وبعضهم يحذفها وفى الوقف تثبت قولا واحدا لثبوتها فى الرسم (قوله او حذفت الهمزة) أى من غير نقل فقوله ثم ادغمت النون اى بعد تسكينها بالنسبة للنقل وعلى الثانى فهى ساكنة فتدغم حالا (قوله ضمير الشان) أى فهو مبتدأ والجملة بعده خبر ولا تحتاج لرابط لانها عين فى المعنى وهو معها خبر عن انا والرابط الياء من ربى (قوله ولا أشرك بربى احدا) مراده لا أكفر به لان انكار البعث كفر (قوله ولولا اذ دخلت جنتك) هذا رد للمقالة الثانية ولولا تحضيضية داخلة على قلت واذ ظرف لقلت مقدم عليه وجملة ماشاء الله خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا (قوله لم ير فيه مكروها) اى لم يصب فيه بمصيبة (قوله ان ترن) هذا رد للمقالة الاولى (قوله ضمير فصل) اى واقل مفعول ثان وقرئ بالرفع فيكون خبرا عن انا ومالا وولدا تمييز ان وقوله فعسى الخ جواب الشرط (قوله ان يؤتين) يحتمل ان يكون فى الدنيا او الآخرة (قوله جمع حسبانة) اى فهو اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحده بالتاء (قوله بمعنى غائرا) اى ذاهبا فى الارض (قوله لان غور الماء الخ) أى او يقال انه يفسر الحسبان بالقضاء الالهى وهو عام يتسبب عنه اما اصباح الجنة صعيدا زلقا او ماؤها غورا وعلى هذا فيكون معطوفا على يصبح (قوله واحيط بثمره) اى امواله بدليل قول المفسر مع جنته (قوله باوجه الضبط) اى الثلاثة (قوله وهى خاوية) الجملة حالية (قوله على عروشها) جمع عرش وهو بيت من جريد او خشب يجعل فوقه الثمار (قوله دعائمها) جمع دعامة وهى الخشب ونحوه الذى ينصب ليمد الكرم عليه (قوله ويقول يا ليتنى) اى تحسرا وندما على تلف ماله لا توبة بدليل قوله ولم تكن له فئة الخ (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ينصرونه) اى يدفعون عنه الهلاك (قوله وما كان منتصرا) اى قادرا على ذلك (قوله هنالك) يصح ان يكون خبرا مقدما والولاية مبتدأ مؤخرا وتكون هذه الجملة مستقلة او معمولا لمنتصرا وقوله الولاية لله مبتدأ وخبر (قوله الملك) اى القهر والسلطنة (قوله بالرفع) راجع لفتح الواو وكسرها وكذا قوله وبالجر فالقراآت اربع سبعيات (قوله خير ثوابا) اى اثابة (قوله لو كان يثيب) اى فاسم التفضيل على بابه على فرض ان غير الله يثيب (قوله وخير عقبا) اى ان عاقبة طاعة المؤمن خير من عاقبة طاعة غيره (قوله بضم القاف وسكونها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صير) اى شبه (قوله مثل الحياة الدنيا) اى صفتها وحالها وهيئتها (قوله كماء) اى كصفة وحال وهيئة ماء الخ وهذه الآية نظير قوله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما (قوله تكاثف) اى غلظ والتف بعضه على بعض (قوله او امتزج الماء بالنبات) أشار بذلك الى انه تفسير ثان لاختلط ومن المعلوم ان الامتزاج من الجانبين فصح نسبته الى النبات وان كان فى عرف اللغة والاستعمال ان الباء تدخل على الكثير الغير الطارئ وقد دخلت هنا على الكثير الطارئ مبالغة فى كثرة الماء حتى كانه الاصل (قوله فروى)

الرياح وفى قراءة الريح (وكان الله على كل شئ مقتدرا) قادرا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يتجمل بهما فيها (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله (خير عند ربك ثوابا وخير أملا) اى ما يامله الانسان ويرجوه عند الله تعالى (و) اذكر (يوم تسير الجبال) يذهب بها عن وجه الارض فتصير هباء منبثا وفى قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال (وترى الارض بارزة) ظاهرة ليس عليها شئ من جبل ولا غيره (وحشرناهم) المؤمنين والكافرين (فلم نغادر) نترك (منهم احدا وعرضوا على ربك صفا) حال اى مصطفين كل امة صف ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) اى فرادى حفاة عراة غرلا ويقال لمنكرى البعث (بل زعمتم ان) مخففة من الثقيلة اى أنه (لن نجعل لكم موعدا) للبعث (ووضع الكتاب) كتاب كل امرئ فى يمينه

يفتح الراء وكسر الواو او ترى (قوله هشيما) اى مهشوما مكسورا (قوله وتفرقه) عطف تفسير (قوله المعنى) أى معنى المثل (قوله شبه) فعل امر وفاعله مستتر عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والدنيا مفعوله (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله وكان الله) اى ولم يزل (قوله قادرا) المناسب ان يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة (قوله المال) اى وهو الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث (قوله زينة) هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله يتجمل بهما فيها ولذا صح الاخبار به عن الاثنين (قوله هى سبحان الله الخ) اى وتسمى غراس الجنة اى ان بكل واحدة من هذه الكلمات تغرس له شجرة فى الجنة فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وقيل ان المراد بالباقيات الصالحات الصلوات الخمس وقيل أركان الاسلام وقيل كل ما يثاب عليه العبد فى الدار الآخرة وهو الاتم وانما خص المفسر سبحان الله الخ بالباقيات الصالحات لمزيد فضلها وثوابها ولذا أوصى رسول الله عمه العباس بصلاة التسابيح ولو فى العمر مرة وأوصى الخليل رسول الله بان يامر أمته ان يكثروا من غراس الجنة كما فى حديث الاسراء (قوله خير عند ربك) التفضيل ليس على بابه لان زينة الدنيا ليس فيها خير ولا يرد علينا ان السعى على العيال من الخير لانه من حيز الباقيات الصالحات لا من حيز الزينة او يقال انه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل (قوله و يرجوه) عطف تفسير (قوله و يوم تسير الجبال) هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة (قوله هباء) اى غبارا وقوله منبثا اى مفرقا كما فى سورة الواقعة (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله وترى الارض) اى تبصرها (قوله ولا غيره) اى من بناء وشجر و بحار وغير ذلك (قوله وحشرناهم) أتى به ماضيا اشارة الى ان الحشر مقدم على تسييرا لجبال والبروز ليعاينوا تلك الاهوال العظام كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك وعلى هذا فتبديل الارض يحصل وهم ناظرون لذلك و وقت التبديل يكون الخلق على الصراط وقيل على أجنحة الملائكة كما تقدم (قوله فلم نغادر) عطف على قوله حشرناهم والمغادرة من جانب ولذا فسرها بقوله نترك (قوله حال) اى من الواو فى عرضوا وصفا مفرد وقع موقع الجمع فالمعنى جميعا ونظيره قوله تعالى ثم ائتوا صفا اى جميعا والمراد صفوفا لما ورد أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون وورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى ينادى بصوت رفيع غير فظيع يا عبادى أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين واسرع الحاسبين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم و يسروا جوابكم فانكم مسؤلون محاسبون يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفا على اطراف انامل اقدامهم للحساب (قوله ويقال لهم) اى توبيخا وتقريعا (قوله اى فرادى) اى مفردين عن المال والبنين (قوله غرلا) جمع أغرل أى غير مختونين (قوله بل زعمتم) اى قلتم قولا كذبا (قوله اى انه) اى الحال والشان (قوله موعدا) اي مكانا تبعثون فيه (قوله ووضع الكتاب) هو بالبناء للمفعول فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وهو الله أو الملك (قوله فى يمينه) اى فحين يقرؤه يبيض وجهه و يقول هاؤم اقرؤا كتابيه الى آخره مافى الحاقة (قوله وفى شماله من الكافرين) اى فحين يقرؤه يسود وجهه و يقول يا ليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله هلكتنا) اى هلاكنا والمقصود التحسر والتندم وقيل الياء حرف نداء وويلتنا منادى تنزيلا لها منزلة العاقل فكانه يقول يا هلاكى احضر فهذا أوانك (قوله وهو مصدر) اى الويل وقوله لا فعل له من لفظه اى بل من معناه وهو هلك (قوله مال هذا الكتاب) ما استفهامية مبتدأ ولهذا الكتاب خبره أى اى شئ ثبت لهذا

من المؤمنين وفى شماله من الكافرين (فترى المجرمين) الكافرين (مشفقين) خائفين الكتاب
(مما فيه و يقولون) عند معاينتهم ما فيه من السيآت (يا) للتنبيه (ويلتنا) هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه (مال هذا الكتاب

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) من ذنوبنا (الا احصاها) عدها وأثبتها تعجبوا منه فى ذلك (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مثبتا فى كتابهم (ولا يظلم ربك احدا) لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن (واذ) منصوب باذكر (قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له (فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وابليس هو ابو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم (ففسق عن امر ربه) اى خرج عن طاعته بترك السجود (افتتخذونه وذريته) الخطاب لآدم وذريته والهاء فى الموضعين لابليس (اولياء من دونى) تطيعونهم (وهم لكم عدو) اى اعداء حال (بئس للظالمين بدلا) اى ابليس وذريته فى اطاعتهم بدل اطاعة الله (ما اشهدتهم) اى ابليس وذريته (خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) اى لم احضر بعضهم خلق بعض (وما كنت متخذ المضلين) الشياطين (عضدا) اعوانا فى الخلق فكيف تطيعونهم (ويوم) منصوب باذكر (يقول) بالياء والنون (نادوا شركائى) الاوثان (الذين زعمتم) ليشفعوا لكم بزعمكم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) لم يجيبوهم (وجعلنا بينهم) بين الاوثان وعابديها (موبقا) وادیا من اودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك (ورأى المجرمون النار فظنوا) اى ايقنوا (انهم مواقعوها) اى واقعون فيها

الكتاب (قوله لا يغادر) الجملة حالية من الكتاب (قوله تعجبوا) أشار بذلك الى ان الاستفهام للتعجب (قوله منه) أى الكتاب (قوله فى ذلك) اى الاحصاء المذكور (قوله ولا يظلم ربك احدا) اى لا يعامله معاملة الظالم بحيث يعذبه من غير ذنب أو ينقص من أجره (قوله منصوب باذكر) أى فاذ ظرف لذلك المقدر والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قولنا للملائكة الخ والمراد اذكرهم تلك القصة وقد كررت فى القرآن مرارا الان معصية ابليس أول معصية ظهرت فى الخلق (قوله سجود انحناء) جواب عما يقال ان السجود لغير الله كفر وتقدم الجواب بان السجود لله وآدم كالقبلة أو ان محل كون السجود لغير الله كفرا ان لم يكن هو الآمر به والا فالكفر فى المخالفة (قوله فسجدوا) اى جميعا (قوله قيل هم نوع من الملائكة) اى وعلى هذا القول فهم ليسوا معصومين كالملائكة بل يتوالدون ويعصون (قوله وابليس ابو الجن) هذا توجيه لكونه منقطعا وهو الحق وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة فالجن من نار والملائكة من نور (قوله فله ذرية) تفريع على كونه ابا اذ الاب يستلزم ابنا (قوله ففسق عن أمر ربه) اى تكبر وحسد (قوله أفتتخذونه) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والاستفهام توبيخى والمعنى أبعد ما حصل منه ما حصل يليق منكم اتخاذه الخ (قوله وذريته) عطف على الضمير فى تتخذونه قال مجاهد من ذرية ابليس لاقس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ومن ذريته مرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجيزة المرأة ومطروس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى افواه الناس لا يجدون لها اصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر الله دخل معه اه قال القرطبى واختلف هل لابليس اولاد من صلبه فقال الشعبى سألنى رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله تعالى افتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس ادخل فرجه فى فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذه اصل ذريته وقيل ان الله خلق له فى فخذه اليمنى ذكرا وفى فخذه اليسرى فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة فهو يفرخ ويطير وأعظمهم عندا بيهم منزلة اعظمهم فى بنى آدم فتنة وقال قوم ليس له أولاد ولا ذرية وانما المراد بذريته أعوانه من الشياطين (قوله تطيعونهم) اى بدل طاعتى (قوله حال) أى من مفعول تتخذون (قوله للظالمين) متعلق ببدلا الواقع تمييزا للفاعل المستتر وقوله ابليس وذريته بيان للمخصوص بالذم المحذوف والاصل بئس البدل ابليس وذريته (قوله اى ابليس وذريته) تفسير للضمير فى اشهدتهم فالمعنى لم احضرهم حين خلقت السموات والارض ولا حين خلقت انفسهم فكيف تتخذونهم اولياء تطيعونهم (قوله وما كنت متخذ المضلين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قوله عضدا) هو فى الاصل العضو الذى هو من المرفق الى الكتف ثم اطلق على المعين والناصر والمراد هنا مقدما لهم فى مناصب خير بل هم مطرودون عنها فكيف يطاعون (قوله بالياء والنون) اى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الذين زعمتم) اى زعمتموهم شركاء فالمفعولان محذوفان (قوله ليشفعوا لكم) متعلق بنادوا (قوله وجعلنا بينهم) أى مشتركا (قوله واديا من اودية جهنم) قال انس بن مالك هو واد فى جهنم من قيح ودم (قوله من وبق بالفتح) اى كوعد (قوله ورأى المجرمون النار)

(ولم يجدوا عنها مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القرآن للناس من كل مثل) صفة لمحذوف اى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (وكان الانسان) اى الكافر (اكثر شيء جدلا) خصومة فى الباطل وهو تمييز منقول من اسم كان المعنى وكان جدل الانسان أكثر شيء فيه (وما منع الناس) اى كفار

(ان يؤمنوا) مفعول ثان (اذ جاءهم الهدى) القرآن (و يستغفروا ربهم الا أن تاتيهم سنة الاولين) فاعل اى سنتنا فيهم وهى الاهلاك المقدر عليهم (او ياتيهم العذاب قبلا) مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر وفى قراءة بضمتين جمع قبيل اى انواعا (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) للمؤمنين (ومنذرين) مخوفين للكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) بقولهم ابعث الله بشرا رسولا ونحوه (ليدحضوا به) ليبطلوا بجدالهم (الحق) القرآن (واتخذوا آياتى) اى القرآن (وما انذروا) به من النار (هزوا) سخرية (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه) ما عمل من الكفر والمعاصي (انا جعلنا على قلوبهم اكنة) اغطية (ان يفقهوه) اى من أن يفقهوا القرآن اى فلا يفهمونه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا فلا يسمعونه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا) اى بالجعل المذكور (وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم) فى الدنيا (بما كسبوا لعجل لهم العذاب) فيها (بل لهم موعد) وهو يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) ملجا (وتلك القرى) أى اهلها كعاد وثمود وغيرهما (اهلكناهم لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لمهلكهم) لاهلاكهم وفى قراءة بفتح الميم اى لهلاكهم (موعدا و) اذكر (اذ قال موسى) هو ابن عمران (لفتاه) يوشع بن نون

أى عاينوها من مسيرة اربعين عاما (قوله مصرفا) اى مكانا يحلون فيه غيرها (قوله من كل مثل) اى معنى غريب بديع يشبه المثل فى غرابته (قوله خصومة فى الباطل) هذا هو معنى الجدل هنا وفيه اشارة الى ان المؤمن ليس كثير الجدل فى الباطن بل هو شديد الخصومة فى الحق (قوله و يستغفروا) عطف على ان يؤمنوا (قوله الا ان تاتيهم سنة الاولين) الكلام على حذف مضاف اى الا انتظارهم وطلبهم اتيان مثل سنة الاولين بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله وهى الاهلاك) اى الذى يستاصلهم (قوله المقدر) اى فى الازل وقوله عليهم اى الاولين (قوله او ياتيهم) اى الناس (قوله مقابلة وعيانا) تفسير لقبلا بكسر ففتح (قوله اى انواعا) تفسير لقبلا بضمتين فكل من القراءتين له معنى يخصه (قوله القرآن) المناسب ان يقول اى جميع ما جاءت به الرسل (قوله آياتى) المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل لا خصوص القرآن لانه فى كل كافر من هذه الامة وغيرها (قوله وما انذروا) ما موصولة والعائد محذوف أى الذى انذروا به او مصدرية اى انذارهم (قوله هزوا) يقرأ بالهمزة والواو سبعيتان (قوله فاعرض عنها) أى لم يتدبرها وقت تذكيره بها (قوله انا جعلنا) بمنزلة التعليل لقوله فاعرض (قوله فلا يسمعونه) اى سماع تفهم وانتفاع (قوله لعجل لهم العذاب) اى المستاصل لهم (قوله وهو يوم القيامة) اشار بذلك الى أن المراد بالموعد الزمان المعد لهم و يصح ان يراد به المكان (قوله لن يجدوا من دونه) اى العذاب (قوله موئلا) الموئل المرجع من وأل يئل اى رجع و يقال للملجا ايضا يقال وأل فلان الى فلان اذا لجا اليه والمعنى لن يجد واغير العذاب ملجا يلتجؤن اليه كناية عن عدم خلوصهم منه (قوله اهلها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله اهلكناهم) اى فى الدنيا كما قال تعالى فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الخ (قوله وجعلنا لمهلكهم) اى لهلاكهم المذكور وقتا معينا نزل بهم فيه فكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه وهو معنى قوله موعدا (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها فمجموع القراآت السبعية ثلاثة ضم الميم مع فتح اللام وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها (قوله واذكر) قدره اشارة الى ان اذ ظرف لمحذوف والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لفتاه الخ والمراد اذكر لهم قصته وما وقع له مع الخضر عليهما السلام (قوله هو ابن عمران) أى رسول بنى اسرائيل من سبط لاوى بن يعقوب وهذا هو الصحيح الذى اجمعت عليه الآثار الصحيحة ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الخضر لان الكامل يقبل الكمال سواء قلنا ان الخضر نبي أو ولى فاستفادته منه لا تقدح فى كونه أفضل منه لان تلك مزية وهى لا تقتضى الافضلية يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه اعلم الناس امره الله بالاستزادة من العلم بقوله وقل رب زدنى علما خلافا لمن زعم أنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وادعى انه نبي قبل موسى بن عمران محتجا بان الله بعد ان انزل على موسى ابن عمران التوراة وكلمه بلا واسطة واعطاه المعجزات العظيمة الباهرة يبعد ان يستفيد من مطلق نبي اوولى وهذا القول خلاف الصحيح (قوله يوشع بن نون) هو ابن افرائيم بن يوسف ارسله الله بعد موسى فقاتل الجبارين وردت له الشمس وتقدمت قصته فى المائدة

(قوله

كان يتبعه ويخدمه وياخذ منه العلم (لا أبرح) لا ازال اسير (حتى ابلغ مجمع البحرين) ملتقى بحر (٧) الروم وبحر فارس مما يلى المشرق أى

(قوله كان يتبعه) هذا بيان وجه اضافته الى موسى وكان ابن اخته وقيل كان عبده وهو بعيد لان شرط النبي الحرية (قوله لا ابرح) هى من اخوات كان اسمها مستتر وجوبا وخبرها محذوف قدره المفسر بقوله اسيرای لا ابرح سائرا (قوله ملتقى بحر الروم الخ) اى وملتقاهما عند البحر المحيط (قوله مما يلى المشرق) اى وذلك بافريقية (قوله دهرا طويلا) وقيل الحقب ثمانون سنة وقيل سنة واحدة بلغة قريش وقيل سبعون ويجمع على احقاب كعنق واعناق (قوله ان بعد) اى ان لم ادركه والمعنى لا بد من سيرى الى ان ابلغ مجمع البحرين او اسير زمنا طويلا حتى ايأس من الوصول (قوله بين البحرين) اشار بذلك الى ان بين ظرف وهو الموضع الذى وعد موسى ان يجتمع فيه بالخضر (قوله نسيا حوتهما) قيل كان مشويا وقيل كان مملحا وقد اكلا منه زمنا طويلا قبل ان يدركا الصخرة (قوله نسي يوشع) حمله هذا يقتضي انه كان موجودا على البرحين نسيه يوشع ولكن الموجود فى القصة ان موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التى عندها عين الحياة ناما ثم استيقظ يوشع فتوضا من تلك العين فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء فهذا يقتضى انه نسى اخبار موسي بما راى فالمناسب للمفسر ان يقول نسى يوشع ان يخبر موسى بما شاهده من الامر العجيب ان قلت ان شان الامر العجيب عدم تسيانه اجيب بانه ادهش من عظيم ما رأى من قدرة الله وعظمته للحكمة التى ترتبت على ذلك (قوله فاتخذ سبيله) هذا الاتخاذ قبل النسيان فيكون فى الآية تقديم وتاخير والاصل فادركته الحياة فخرج من المكتل وسقط فى البحر فاتخذ سبيله (قوله سربا) مفعول ثان لاتخذ (قوله وذلك) اى سبب ذلك (قوله فانجاب) اى انقطع الماء وانكشف (قوله فبقى) اى صار (قوله كالكوة) هى بالفتح نقب البيت والجمع كوى بكسر الكاف ممدودا ومقصورا (قوله لم يلتئم) اى يلتصق حتى رجع اليه موسى فرأى مسلكه (قوله وجعل ما تحته) اى فجعل الحوت لا يمس شيئا فى البحر الا يبس (قوله ذلك المكان) اى مجمع البحرين (قوله من سفرنا هذا) اى الذى وقع بعد مجاوزتهما الموعد (قوله نصبا) مفعول بلقينا (قوله وحصوله بعد المجاوزة) انما كان حصول النصب بعد المجاوزة لحصول السفر مع الانتظار والتشوق واما سفرهما قبل الوصول لمجمع البحرين فكان مقصودا دفعة فلا مشقة فيه (قوله اى تنبه) اى تذكر واستمع لما القيه اليك من شان الحوت (قوله فانى نسيت الحوت) اى نسيت اخبارك بما شاهدته منه كما تقدم (قوله وما انسانيه الا الشيطان) ان قلت ان الشيطان لا تسلط له على الانبياء اجيب بانه اضاف النسيان اليه هضما لنفسه (قوله اى يتعجب منه موسى وفتاه) اى حيث اكلا من الحوت شقه الايسر ثم حي بعد ذلك (قوله لما تقدم فى بيانه) اى وهو قوله وذلك ان الله امسك عن الحوت جرى الماء الخ (قوله من تطلبه) هو الخضر (قوله فوجدا عبدا) قيل دخلا السرب مكان الحوت فوجداه جالسا على جزيرة فى البحر وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بثوب ابيض طرفه تحت رأسه والآخر تحت رجليه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبي بنى اسرائيل فقال له موسى ومن اخبرك انى نبي بنى اسرائيل فقال الذى ادراك بى ودلك على ثم قال لقد كان لك فى بنى اسرائيل شغل قال موسي ان ربى ارسلنى اليك لاتبعك واتعلم منك (قوله من عبادنا) الاضافة تشريف المضاف اى من عبيد الخصوصية (قوله هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الضاد أوسكونها ويكسر الخاء مع سكون الضاد ففيه ثلاث لغات وهذا لقبه واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره الف مقصورة ومعناه بالعربية احمد بن ملكان وكنيته ابو العباس قال بعض العارفين من عرف اسمه واسم ابيه وكنيته ولقبه مات على الاسلام ولقب بالخضر لانه جلس على

اى المكان الجامع لذلك (أو امضي حقبا) دهرا طويلا فى بلوغه ان بعد (فلما بلغا مجمع بينهما) بين البحرين (نسيا حوتهما) نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسى موسي تذكيره (فاتخذ) الحوت (سبيله فى البحر) اى جعله بجعل الله (سربا) اى مثل السرب وهو الشق الطويل لانفاذه وذلك ان الله تعالى امسك عن الحوت جرى الماء فانجاب عنه فبقى كالكوة فلم يلتئم وجعل ما تحته منه (فلما جاوزا) ذلك المكان بالسير الى وقت الغداء من ثانى يوم (قال) موسي (لفتاه آتنا غداءنا) هو ما يؤكل اول النهار (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا وحصوله بعد المجاوزة (قال ارأيت) اى تنبه (اذ اوينا الى الصخرة) بذلك المكان (فانى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان) ويبدل من الهاء (ان اذكره) بدل اشتمال اى انسانى ذكره (واتخذ) الحوت (سبيله فى البحر عجبا) مفعول ثان اى يتعجب منه موسي وفتاه لما تقدم فى بيانه (قال) موسي (ذلك) اى فقدنا الحوت (ما) اى الذى (كنا نبغ) نطلبه فانه علامة لنا على وجود من نطلبه (فارتدا) رجعا (على

آثارهما) يقصانها (قصصا) فاتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة من

عندنا) نبوة فى قول وولاية فى آخر وعليه اكثر العلماء (وعلمناه من لدنا) من قبلنا (علما) مفعول ثان اى معلوما من المغيبات روى البخارى حديث ان موسى قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل اى الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به قال تاخذ معك حوتا فتجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة ووضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الى قوله واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال وكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا الخ (قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا) أى صوابا أرشد به وفى قراءة بضم الراء وسكون الشين وسأله ذلك لان الزيادة فى العلم مطلوبة (قال انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا)

الارض فاخضرت تحته وقيل لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وهو من نسل نوح وكان ابوه من الملوك (قوله نبوة فى قول) اى وقد صححه جماعة والجمهور على انه حى الى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الاولياء ويأخذون عنه قال العارف السيد البكرى صاحب ورد السحر فى توسلاته

بنقيبهم فى كل عصر الخضر أبى العباس من احيا بماء وصاله
حى وحقك لم يقل بوفاته * الا الذى لم يلق نور جماله
فعليه منى كلما هب الصبا * ازكى سلام طاب فى ارساله

وقد اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ عنه فهو صحابى (قوله من لدنا) اى مما يختص بنا ولا يعلم بواسطة معلم من أهل الظاهر (قوله خطيبا) اى واعظا يذكر الناس حتى قاضت العيون ورقت القلوب وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى الى مصر (قوله اذ لم يرد العلم اليه) اى فكان عليه ان يقول مثلا الله اعلم وهذا من باب عتاب الاحباب تاديبا لموسى والا فالواقع ان موسى اعلم من الخضر (قوله هو اعلم منك) اى فى خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة وهو بالنسبة للعلم الذى اوحاه الله الى موسى قليل فلذلك رغب موسى فى حيازته لعلمه (قوله فكيف لى به) اى فلما سمع موسى هذا انشرحت نفسه الزكية وهمته العلمية لتحصيل علم ما لم يعلم (قوله قال تاخذ معك حوتا) لعل الحكمة فى تخصيصه ما ظهر بعد من حياته ودخوله فى البحر (قوله فتجعله فى مكتل) هو الزنبيل بكسر الزاى من خوص النخل ويقال له القفة تسع خمسة عشر صاعا (قوله فهو ثم) اى هناك (قوله جرية الماء) بكسر الجيم (قوله مثل الطاق) هو الباء المقوس كالقنطرة (قوله أن يخبره بالحوت) اى بما حصل من أمره (قوله قال موسى) اى بعد ان صليا الظهر من اليوم الثانى (قوله قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى شان تفسير الآية (قوله قال له موسى) اى بعد ان تلاقيا وحصل الوصول (قوله هل اتبعك) استفهام تعطف رعاية للادب فى حق المعلم وبذلك الادب يحصل النفع والسودد (قوله على ان تعلمنى) اى ليس لى قصد فى اتباعك الا تعليمك اياى لا شيا من الاغراض غير التعليم (قوله رشدا) مفعول ثان لتعلمنى اى لتعلمنى صوابا من الذى علمكه الله (قوله وفى قراءة) أى وعليها فيكون من باب قتل وقياس مصدره بفتح الراء فيكون بضمها اسم مصدر وعلى الاولى فيكون من باب طرب (قوله وسأله ذلك) جواب عما يقال ان موسى من أولى العزم ونبى ورسول جزما واسمعه الله كلامه واعطاه التوراة وهو أفضل من الخضر فكيف يسعى اليه ويتعلم منه فاجاب بان الزيادة فى العلم مطلوبة على ان علم الخضر لا يحتاج اليه موسى فى شرعه وانما هى مزية خص بها الخضر وأمر الله موسى ان ياخذها عن الخضر ويكتمها لتكمل له جميع المزايا ولا يقتضى ان الخضر اعلم منه لان موسى كامل فى علمه لا تحتاج شريعته الى شىء من علم الخضر وانما علمه مزية خصه الله بها لا يقتدى به فيها (قوله قال انك لن تستطيع معى صبرا) اى لما ترى من مخالفة شرعك ظاهرا لان المتعلم قسمان متعلم ليس عنده شىء من العلوم ولم يمارس الاستدلال وهذا تعليمه سهل ويقبل كل ما القى اليه ومتعلم مارس الاستدلال وحصل العلوم غير انه يريد أن يزداد علمه على علمه وهذا تعليمه شاق شديد لانه اذا رأى شيا او سمع كلاما عرضه على ما عنده فان وافقه والا ناقش فيه (قوله وكيف تصبر) الاستفهام تعجبى (قوله انى على علم) اى وهو علم الكشف (قوله وانت على علم) أى وهو علم ظاهر الشريعة (قوله مصدر) أى مفعول مطلق مؤكد لعامله فى المعنى لان لم تحط بمعنى

فى الحديث السابق عقب هذه الاية يا موسى انى على علم من الله علمنيه لا تعلمه وانت لم
على علم من الله علمكه الله لا اعلمه وقوله خبرا مصدر بمعنى لم تحط أى لم تخبر حقيقته (قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى)

اى وغيرعاص (لك امرا) تامرنى به وقيد بالمشيئة لانه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم وهذه عادة الانبياء والاولياء ان لا يثقوا الى انفسهم طرفة عين (قال فان اتبعتنى فلا تسالنى) وفى قراءة بفتح اللام وتشديد النون (عن شيء) تنكره منى فى علمك واصبر (حتى احدث لك منه ذكرا) اى اذكره لك بعلته فقبل موسى شرطه رعاية لادب المتعلم مع العالم (فانطلقا) يمشيان (١٩) على ساحل البحر (حتى اذا ركبا فى السفينة) التى مرت بهما (خرقها) الخضر بان اقتلع لوحا او لوحين منها من جهة البحر بفاس لما بلغت اللج (قال) له موسى (اخرقتها لتغرق اهلها) وفى قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع اهلها (لقد جئت شيا امرا) اى عظيما منكرا روى ان الماء لم يدخلها (قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت) اى غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك (ولا ترهقنى) تكلفنى (من امرى عسرا) مشقة فى صحبتى اياك أى عاملنى فيها بالعفو واليسر (فانطلقا) بعد خروجهما من السفينة يمشيان (حتى اذا لقيا غلاما) لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان احسنهم وجها (فقتله) الخضر بان ذبحه بالسكين مضطجعا او اقتلع رأسه بيده او ضرب رأسه بالجدار أقوال وأتى هنا بالفاء العاطفة لان القتل عقب اللقى وجواب اذا (قال) له موسى (أقتلت نفسا زاكية) اى طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفى قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف (بغير نفس) اى لم تقتل نفسا (لقد جئت شيا نكرا) بسكون الكاف وضمها اى منكرا (قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ولهذا (قال ان سالتك عن شيء بعدها) أى بعد هذه المرة (فلا تصاحبنى) لا تتركنى أتبعك (قد بلغت من لدنى) بالتشديد والتخفيف من قبلى (عذرا) فى مفارقتك لى (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) هى انطاكية (استطعما اهلها) طلبا منهم الطعام بضيافة (فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا) ارتفاعه مائة ذراع (يريد ان ينقض) اى يقرب ان يسقط لميلانه

لم تخبر والخبر بالضم معناه العلم والاوضح انه تمييز نسبة اى لم تحط به من جهة العلم (قوله اى وغير عاص) اشار بذلك الى ان قوله ولا اعصي معطوف على صابرا ولا بمعنى غير (قوله لانه لم يكن على ثقة من نفسه) اى فكانه قال ستجدنى صابرا ان وافق شرعى أو اوحى الله الى فى شانه فانا لا ادرى ما يفعله الله ولم يقل الخضر ان شاء الله لان الله اطلعه على ان موسى لا يصبر على امر يخالف شرعه فحينئذ جزم بانه لا يستطيع معه صبرا (قوله ان لا يثقوا الى انفسهم) ضمنه معنى يميلوا او يركنوا فعداه بالى (قوله فلا تسالنى) اى لا تبادرنى بالسؤال عن حكمته بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن (قوله بفتح اللام) اى مع الهمز وهما قراءتان سبعيتان وبدون الهمز مع تشديد النون لغير السبعة (قوله فى علمك) اى بحسب ظاهر علمك (قوله واصبر) قدره اشارة الى انه المغيا بحتى (قوله بعلته) اى حكمته وسببه (قوله فانطلقا) اى ومعهما يوشع وانما لم يذكر فى الآية لانه تابع والمقصود ذكر موسي والخضر وقيل لم يكن معهما بل رده موسي حين التقى مع الخضر (قوله يمشيان على ساحل البحر) اى يطلبان سفينة فوجدا سفينة فركباها فقال اهلها هؤلاء لصوص لانهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكنى أرى وجوه الانبياء وعن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموا أهلها ان يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة فحملوهم بغير نول اى عوض (قوله بفاس) بالهمزة جمعه فؤوس اى القدوم (قوله لما بلغت اللج) اللج بالضم جمع لجة وهى الماء الغزير (قوله وفى قراءة) اى وهما سبعيتان (قوله روى ان الماء لم يدخلها) وقيل ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله فى الخرق (قوله بما نسيت) اى بالامر الذى غفلت عنه لقيام حمية الشرع بى وقيل اراد بالنسيان الترك (قوله عسرا) مفعول ثان لترهقنى (قوله غلاما) قيل كان اسمه شمعون (قوله لم يبلغ الحنث) يطلق الحنث على المعصية وعلى مخالفة اليمين والمراد لم يبلغ حد التكليف من باب اطلاق الملزوم واراده اللازم (قوله مع الصبيان) اى وكانوا عشرة (قوله او اقتلع رأسه بيده) اى بعد ان لوى عنقه (قوله لان القتل عقب اللقى) اى بخلاف السفينة فان الخرق لم يكن عقب ركوبها فلذا لم يات بالفاء (قوله وفى قراءة) اى وهما سبعيتان (قوله بغير نفس) اى من غير استحقاقها للقتل والجار والمجرور متعلق بقتلت (قوله لقد جئت) اى فعلت (قوله نكرا) هو اعظم من الامر لان فيه القتل بالفعل بخلاف خرق السفينة فانه يمكن تداركه وقيل بالعكس لان الامر قتل انفس متعددة بسبب الخرق فهو اعظم من قتل الغلام وحده (قوله بسكون الكاف وضمها) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله لعدم العذر هنا) لانه لم يبد هنا عذرا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فيهما قراءتان سبعيتان والنون للوقاية اتى بها لتقى الفعل من الكسر كما اتى بها فى من وعن محافظة على تسكين النون (قوله حتى اذا أتيا اهل قرية) اى وكان اتيانهم لها بعد الغروب والليلة باردة ممطرة (قوله هى انطاكية) بتخفيف الياء (قوله طلبا منهم الطعام) روى انهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما فاطعمتهم امرأة من اهل برة فدعوا لنسائهم ولعنا رجالهم وعن قتادة شر القرى التى لا تضيف الضيف (قوله مائة ذراع) اى وعرضه خمسون وامتداده على وجه الارض

خمسمائة ذراع (قوله فاقامه الخضر بيده) قيل مسه بها فاستقام وقيل اقامه بعمود وقيل نقضه وبناه (قوله قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) اى كان ينبغى لك اخذ جعل منهم على فعلك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا فقد فعلت المعروف مع غير اهله (قوله وفى قراءة) اى باظهار الذال وادغامها فى التاء على كل فتكون القرا آت ار بعا سبعيات (قوله بتاويل) اى تفسير هذه الآيات التى وقعت لموسى مع الخضر وحكمة تخصيص الخضر لموسى بتلك الثلاثة ماورد انه لما انكر خرق السفينة نودى ياموسى اين كان تدبيرك هذا وأنت فى التابوت مطروحا فى اليم فلما انكر أمر الغلام قيل له أين انكارى هذا من وكزك القبطى وقضائك عليه فلما أنكر اقامة الجدار نودى اين هذا من رفعك حجر البئر لبنتى شعيب دون أجر (قوله اما السفينة) شروع فى وفاء ماوعد الخضر به موسى على سبيل اللف والنشر المرتب والسفينة تجمع على سفين وسفائن ويجمع السفين على سفن بضمتين ماخوذة من السفن كانها تسفن الماء اى تقشره وصاحبها سفان (قوله لمساكين عشرة) اى وكانوا اخوة ورثوها عن أبيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر فامالعمى منهم فاحدهم مجذوم والثانى أعور والثالث أعرج والرابع آدر والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل اعمى واصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذين يعملون فيه ما بين فارس الى الروم (قوله فاردت ان اعيبها) اى فاذا رآها الملك معيبة تركها فاذا جاوزوه اصلحوها وانتفعوا بها (قوله وكان وراءهم) الجملة حالية على اضمار قد (قوله اذا رجعوا) من المعلوم انه اذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون فى حال توجههم امامهم فقد اتحد هذا القول مع ما بعده وقد يجاب بان قوله وكان وراءهم اى فى حال توجههم لكنهم فى حال رجوعهم يمرون عليه وحينئذ فلا يكون امامهم الآن وقوله أو امامهم الآن اى ووراء بمعنى امام قال تعالى من ورائه جهنم (قوله ملك كافر) اى وكان ملك غسان واسمه جيسور (قوله صالحة) اى صحيحة (قوله فخشينا) اى ان الله اعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام ان لم يقتله (قوله ان يرهقهما) اى يكلفهما ويوقعهما فى الكفر (قوله طبع كافرا) اى خلق مجبولا على الكفر وحينئذ فيكون مستثنى من حديث كل مولود يولد على فطرة الاسلام (قوله لمحبتهما له) علة لا يتباعه لهما فى الكفر (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله خيرا منه) اسم التفضيل ليس على بابه اذ لم يكن فى الغلام خير أو على بابه باعتبار زعمهما (قوله زكاة) تمييز وكذا قوله رحما (قوله جارية) اى بنتا (قوله فولدت نبيا) وقيل اثنى عشر نبيا وقيل ولدت سبعين نبيا وما فعله الخضر من قتل الغلام انما هو جار على شرعه لا على شرعنا فانه لا يجوز قتل الصبيان الكفار الا ان يقاتلوا بالسلاح فى الحرب ولو اطلع شخص على ما اطلع عليه الخضر فلا يجوز له قتل الغلمان وقد ارسل بعض الخوارج لابن عباس يساله كيف قتل الخضر الغلام الصغير وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل اولاد الكفار فضلا عن أولاد المؤمنين فكتب اليه على سبيل المجاراة والتسليم لدعواه ان علمت من حال الولد ان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتلهم وروى ان موسى لما قال للخضر أقتلت نفسا زكية الآية غضب الخضر وقلع كتف الصبى الايسر وقشر اللحم عنه واذا فيه مكتوب كافر لا يؤمن بالله ابدا (قوله فكان لغلامين) اسم احدهما اصرم والآخر صريم (قوله فى المدينة) هى المعبر عنها اولا بالقرية تحقيرا لها لكون اهلها لم يضيفوهما وعبر عنها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما (قوله مال مدفون من ذهب وفضة) هذا احد أقوال فى تفسير الكنز وقيل كان علما فى صحف مدفونة وقيل كان لوحا من ذهب

(فاقامه) الخضر بيده (قال) له موسى (لو شئت لتخذت) وفى قراءة لاتخذت (عليه أجرا) جعلا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا الى الطعام (قال) له الخضر (هذا فراق) اى وقت فراق (بينى وبينك) فيه اضافة بين الى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو (سانبئك) قبل فراقى لك (بتاويل مالم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين) عشرة (يعملون فى البحر) بها مؤاجرة لها طلبا للكسب (فاردت ان اعيبها وكان وراءهم) اذا رجعوا أو امامهم الآن (ملك) كافر (ياخذ كل سفينة) صالحة (غصبا) نصبه على المصدر المبين لنوع الاخذ (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا) فانه كما فى حديث مسلم طبع كافرا ولو عاش لارهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه فى ذلك (فاردنا ان يبدلهما) بالتشديد والتخفيف (ربهما خيرا منه زكاة) اى صلاحا وتقى (وأقرب) منه (رحما) بسكون الحاء وضمها رحمة وهى البر بوالديه فابدلهما تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز) مال مدفون من ذهب وفضة (لهما

مكتوب فى احد جانبيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفى الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه (قوله وكان أبوهما صالحا) قيل انه أبوهما مباشرة وقيل هو الاب السابع وقيل العاشر وكان يسمى كاشحا واسم أمهما دنيا وفيه دليل على أن تقوى الاصول تنفع الفروع (قوله أى ايناس رشدهما) أى حتى يبلغا أن يسلم ايناس أشدهما أى قوتهما وكمالهما (قوله ويستخرجا كنزهما) أى من تحت الجدار ولولا فعلى ذلك لضاع (قوله بل بامر الهام من الله) لم يقل بوحى لعدم الجزم بنبوته (قوله ذلك) أى ماذكر من الاجوبة الثلاثة (قوله ونوعت العبارة) أى ان هذا التغاير تنويع فى العبارة وبعضهم أبدى حكمة فى اختلاف التعبير وهى أن الاولى لما كان ظاهرها افسادا محضا أضافه لنفسه حيث قال فاردت أدبا مع الله وان كان الكل منه والثانى لما كان فيه نوع اصلاح ونوع افساد عبر فيه بقوله فاردنا والثالث لما كان اصلاحا محضا أضافه لله بقوله فاراد ربك قيل ان الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصنى قال كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران (قوله ويسئلونك) أى المشركون بامر اليهود فاليهود سبب فى السؤال وان لم تقع منهم المباشرة له فصح قول المفسر اليهود (قوله عن ذى القرنين) لقب بذلك لما قيل ان له قرنين صغيرين فى رأسه وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه ملك فارس والروم (قوله اسمه الاسكندر) أى وهو الذى بنى الاسكندرية وسماها باسمه (قوله ولم يكن نبيا) أى على الصحيح وانما كان وليا فقط ومايأتى مما يوهم نبوته مؤول ومحمول على الالهام والالقاء فى القلب وذلك غير مخصوص بالانبياء واسكندر هذا من أولاد سام بن نوح وكان ابن عجوز ليس لها غيره وكان أسود اللون وكان على شريعة ابراهيم الخليل فانه أسلم على يديه ودعا له وأوصاه بوصايا وكان يطوف معه وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان يسير معه على مقدمة جيشه وهذا بخلاف ذى القرنين الاصفر فانه من ولد العيص بن اسحق وكان كافرا عاش ألفا وستمائة سنة وكان قبل المسيح بثلثمائة سنة وفى القرطبى قال وهب بن منبه كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه اسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالى أى على لسان نبى كان موجودا أو بالهام ياذا القرنين انى باعثك أى سلطانا الى أمم الارض وهم أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع الارض وهم أصناف أمتان بينهما طول الارض كلها وأمتان بينهما عرض الارض كلها وأمم فى وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فاما اللتان بينهما عرض الارض فامة فى قطر الارض تحت الجنوب ويقال لها هاويل وأمة فى قطر الارض الايسر ويقال لها تاويل وأما اللتان بينهما طول الارض فامة عند مطلع الشمس يقال لها منسك وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك فقال ذو القرنين الهى لقد ندبتنى لامر عظيم لا يقدر قدره الا أنت فاخبرنى عن هذه الامم باى قوة أكاثرهم وباى صبر أقاسيهم وباى لسان أناطقهم وكيف لى بان أفقه لغتهم وليس لى قوة فقال الله تعالى ساظهرك بما حملتك اشرح لك صدرا فتسمع كل شئ وأثبت لك فهما فتفقه كل شئ والبسك الهيبة فلا يروعك شئ واسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق الى الامة التى عند مغرب الشمس لانها كانت أقرب الامم منه وهى ناسك

وكان أبوهما صالحا) فحفظا بصلاحه فى أنفسهما وما لهما (فاراد ربك أن يبلغا أشدهما) أى ايناس رشدهما (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) مفعول له عامله أراد (وما فعلته) أى ماذكر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار (عن امرى) أى اختيارى بل بامر الهام من الله (ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا) يقال استطاع واستطاع بمعنى أطاق ففى هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة فى فاردت فاردنا فاراد ربك (ويسئلونك) أى اليهود (عن ذى القرنين) اسمه الاسكندر ولم يكن نبيا (قل سأتلو) سأقص (عليكم منه) من حاله (ذكرا) خبرا

فوجد جنودا لا يحصيها الا الله وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله تعالى وألسنة مختلفة واهواء مشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر من جنود الظلمة قدر ما احاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فادخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان فدخلت في افواههم وانوفهم واعينهم وبيوتهم وغشيتهم من كل مكان فتحيروا وهاجوا وأشفقوا ان يهلكوا فعجوا الى الله بصوت واحد انا آمنا فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور امامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الارض الايمن وهي هاويل وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فاذا أتى اخضة او بحرا بنى سفنا من ألواح صغارا مثال النعال فيضمها في ساعة ثم يحمل عليها جميع من معه من تلك الامم فاذا قطع البحار والانهار فتقها ودفع الى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله فانتهى الى هاويل ففعل بهم كفعله بناسك فآمنوا فاخذ جيوشا منهم فانطلق الى ناحية الارض الاخرى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله في الاول ثم كر مقبلا حتى اخذ بناحية الارض اليسرى يريد تاويل وهي الارض التي تقابل هاويل بينهما عرض الارض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ثم عطف على الامم التي في وسط الارض من الانس والجن وياجوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت امة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع ويأكلون دواب الارض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق تنمى نماءهم في العام الواحد فاذا طالت المدة سيملؤن الارض ويخرجون اهلها منها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا الى آخر ما يأتي في الآية وبالجملة فقد ملكه الله ومكنه ودانت له الملوك فقد روي ان الذين ملكوا الدنيا كلها اربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان ابن داود والاسكندر والكافران نمروذ وبختنصر وسيملكها من هذه الامة خامس وهو المهدي (قوله انا مكنا له في الارض) أي بالتصرف فيها حيث شاء (قوله طريقا) أي كآلات السير وكثرة الجند (قوله الى مراده) اي وهو جميع الارض (قوله فاتبع سببا) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله موضع غروبها) اي فالمراد انه بلغ آخر العمارة من الارض ووصل الى ساحل البحر المحيط فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها رأى الشمس كأنها تغرب فيه وسماه الله عينا لانه بالنسبة الى ما هو أعظم منه في علم الله كالعين وان كان عظيما في نفسه (قوله حمئة) بالهمز بدون الف وبالف بعدها ياء قراءتان سبعيتان فاما الاولى فهي من الحماة وهي الطين الاسود واما الثانية فهي اسم فاعل من حمي يحمى والمعنى في عين حارة ولا تنافي بين القراءتين لان العين جامعة بين الوصفين الحرارة وكون أرضها من طين (قوله وغروبها في العين الخ) جواب عما يقال ان الشمس في السماء الرابعة وهي قدر كرة الارض مائة وستين مرة فكيف تسعها عين في الارض تغرب فيها فاجاب بان هذا الوجدان باعتبار ما رأى لا حقيقة كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه (قوله كافرين) اي وكانوا في مدينة لها اثنا عشر ألف باب كانت على ساحل البحر المحيط وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك وكان لباسهم جلود الوحوش (قوله قلنا) اي بالهام (قوله بالاسر) اي وسمي احسانا بالنسبة للقتل (قوله اما من ظلم) اي استمر على ظلمه (قوله ثم يرد) اي في الآخرة (قوله بسكون الكاف وضمها) اي فهما سبعيتان

(انا مكناله في الارض) بتسهيل السير فيها (وآتيناه من كل شيء) يحتاج اليه (سببا) طريقا يوصل الى مراده (فاتبع سببا) سلك طريقا نحو المغرب (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) موضع غروبها (وجدها تغرب في عين حمئة) ذات حماة وهي الطين الاسود وغروبها في العين في رأي العين والا فهي أعظم من الدنيا (ووجد عندها) اي العين (قوما) كافرين (قلنا ياذا القرنين) بالهام (اما ان تعذب) القوم بالقتل (واما ان تتخذ فيهم حسنا) بالاسر (قال أما من ظلم) بالشرك (فسوف نعذبه) نقتله (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) بسكون الكاف وضمها شديدا في النار (واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) اي الجنة والاضافة للبيان وفي قراءة بنصب جزاء وتنوينه قال الفراء ونصبه على التفسير

(قوله اى لجهة النسبة) اى نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور الى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء (قوله وسنقول له) اى لمن آمن (قوله موضع طلوعها) اى الموضع الذى تطلع الشمس عليه أولا قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة وقيل أقل لانه يسخر له السحاب وطويت له الاسباب (قوله هم الزنج) بفتح الزاى وكسرها (قوله سترا) هو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وهو فى الآية بالكسر (قوله ولا سقف) اى ولا أشجار لان أرضهم رخوة لا تحمل بناء لعدم الجبال فيها فتميد باهلها ولا تستقر (قوله و يظهرون عند ارتفاعها) اى مغيبها يسعون فى تحصيل مهمات معاشهم فحالهم بالضد من أحوال الخلق فما دامت الشمس طالعة فهم فى السراديب واذا غربت خرجوا لتكسباتهم (قوله اى الامر) أشار بذلك الى ان قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وقد أحطنا الخ) الجملة مستانفة من كلام الله وفائدة الاخبار بذلك الاعتناء بشان ذى القرنين وان الله معه بالنصر والعون أينما حل (قوله ثم اتبع) تقدم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف (قوله سببا) اى طريقا آخر توصله لجهة الشمال لان ياجوج ومأجوج وان كانوا فى وسط الارض الا أنهم لجهة الشمال لان أرضهم واسعة جدا تنتهى الى البحر المحيط قال بعضهم مسافة الارض بتمامها خمسمائة عام ثلثمائة بحار ومائة وتسعون مسكن ياجوج ومأجوج تبقى عشرة للحبشة منها سبعة وثلاثة لجملة الخلق غيرهم (قوله هنا و بعد) اى فى هذه الآية وفى قوله الآتى على ان تجعل بيننا و بينهم سدا وفى يس وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فهذه المواضع تقرأ بالفتح والضم سبعيتان (قوله جبلان) اى عاليان جدا أملسان (قوله بمنقطع) بفتح الطاء اى آخر بلاد الترك (قوله سد الاسكندر ما بينهما) اى الفتحة التى بين الجبلين وقدرها مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف فتكون مسيرته مائة وخمسين ساعة مسيرة اثنى عشر يوما ونصف فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر (قوله اى أمامهما) اى بقربهما (قوله قوما) اى وهم الترك والروم (قوله لا يكادون يفقهون قولا) اى لغرابة لغتهم و بطء فهمهم (قوله وفى قراءة) اى وهما سبعيتان والمعنى لا يفهمون غيرهم لشدة عجمتهم فكلامهم مغلق (قوله قالوا) اى قال مترجمهم لانهم من أولاد يافث بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم وانما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين وقيل خاطبوه بانفسهم وفهم لغتهم كرامة له لما تقدم ان الله جعل له فهما يفقه به كل شئ وهو الاقرب قال أهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام و يافث فسام أبو العجم والعرب والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة و يافث أبو الترك والبربر وصقالبة و ياجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء ولد آدم كلهم جزء (قوله ان ياجوج ومأجوج) روى ان كلا من الجبلين اشتمل على أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم أصناف صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنف منهم يفترش أحدهم احدى أذنيه و يلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه والجميع كفار دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الايمان ليلة الاسراء فلم يجيبوا (قوله بالهمز وتركه) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أعجميان) اى لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة (قوله بالنهب والبغى) اى فكانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وأدخلوه أرضهم (قوله عند خروجهم) اى من هذه الفتحة (قوله وفى قراءة خراجا) اى وهى سبعية أيضا (قوله وفى قراءة بنونين) اى وهى سبعية ايضا (قوله وغيره) اى كالملك (قوله وأجعل لكم السد تبرعا) روى أنه قال لهم أعدوا لى الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم

(الى لجهة النسبة (وسنقول له من أمرنا يسرا) اى نأمره بما يسهل عليه (ثم أتبع سببا) نحو المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) موضع طلوعها (وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) اى الشمس (سترا) من لباس ولا سقف لان أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس و يظهرون عند ارتفاعها (كذلك) اى الامر كما قلنا (وقد أحطنا بما لديه) اى عند ذى القرنين من الآلات والجند وغيرهما (خبرا) علما (ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) بفتح السين وضمها هنا وبعدهما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الاسكندر ما بينهما كما سيأتى (وجد من دونهما) اى أمامهما (قوما لا يكادون يفقهون قولا) اى لا يفهمونه الا بعد بطء وفى قراءة بضم الياء وكسر القاف (قالوا ياذا القرنين ان ياجوج ومأجوج) بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مفسدون فى الارض) بالنهب والبغى عند خروجهم الينا (فهل نجعل لك خرجا) جعلا من المال وفى قراءة خراجا (على ان تجعل بيننا و بينهم سدا) حاجزا فلا يصلون الينا (قال ما مكنى) وفى قراءة بنونين من غير ادغام (فيه ربى) من المال وغيره (خير) من خرجكم الذى تجعلونه لى فلا حاجة بى اليه وأجعل لكم السد تبرعا (فاعينونى بقوة) لما أطلبه منكم (اجعل بينكم و بينهم ردما)

حاجزا حصينا (آتونى زبر الحديد) قطعه على قدر الحجارة التى يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بضم الحرفين وفتحهما وضم الاول وسكون الثانى اى جانبى الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك (قال انفخوا) فنفخوا (حتى اذا جعله) اى الحديد (نارا) اى كالنار (قال آتونى افرغ عليه قطرا) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الاول لاعمال الثانى فافرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار شيئا واحدا (فما اسطاعوا) اى ياجوج وماجوج (ان يظهروه) يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) خرقا لصلابته وسمكه (قال) ذو القرنين (هذا) اى السد اى الاقدار عليه (رحمة من ربى) نعمة لانه مانع من خروجهم (فاذا جاء وعد ربى) بخروجهم القريب من البعث (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا (وكان وعد ربى) بخروجهم وغيره (حقا) كائنا قال تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ) يوم خروجهم (يموج فى بعض) يختلط به لكثرتهم (ونفخ فى الصور) اى القرن للبعث (فجمعناهم) اى الخلائق فى مكان واحد يوم القيامة (جمعا وعرضنا) قربنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم) بدل من الكافرين (فى غطاء عن ذكرى) اى القرآن فهم عمى لا يهتدون به (وكانوا لا يستطيعون سمعا) اى لا يقدرون ان يسمعوا من النبى ما يتلو عليهم بغضا له فلا يؤمنون به

قبول

علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجد طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منالهم مخاليب واضراس كالسباع ولهم شعر يوارى اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف فى واحدة ويشتى فى الاخرى يتسافدون تسافد البهائم فلما عاين ذو القرنين ذلك اهتم بالسد فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب فلما وصل الى ظاهر الارض بنى بقطع الحديد وافرغ عليه النحاس المذاب ولا يشكل هذا على ما تقدم من انهم اصناف لانه راى صنفا من الاصناف (قوله آتونى) بفتح الهمزة وكسرها مع المد فيهما قراءتان سبعيتان فزبر على الفتح منصوب على المفعولية وعلى الكسر منصوب بنزع الخافض (قوله زبر الحديد) جمع زبرة كغرف وغرفة (قوله بضم الحرفين الخ) اى فالقرآت السبعية ثلاث (قوله بالبناء) متعلق بساوى (قوله ووضع المنافخ) جمع منفخ كمنبر ويقال منفاخ كمفتاح ويجمع على منافيخ (قوله فنفخوا) أى وهذه كرامة لذى القرنين حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون ويفرغون النحاس مع انه اصعب من النار مع قربهم من ذلك (قوله وحذف من الاول) اى هو وضميره لانه فضلة والاصل آتونى قطرا افرغ عليه قطرا (قوله بين زبره) اى مكان الحطب والفحم الذى كان بينها فلما اكلته النار بقى ما بينها خاليا فافرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد (قوله لارتفاعه) اى فكان ارتفاعه مائتى ذراع (قوله وملاسته) اى فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره (قوله وما استطاعوا له نقبا) اى خرقا بالفعل كما يشهد له ما روى الشيخان عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحضرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كاشد مما كان حتى اذا بلغ مدتهم واراد الله ان يبعثهم الى الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون منه الى الناس فيستسقون المياه وتنفر الناس منهم (قوله فاذا جاء وعد ربى) اى وقت وعده (قوله بخروجهم) اى فيخرجون على الناس فينفرون منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الارض ومن فى السماء فيزدادون قوة وقسوة (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان كلام ذى القرنين تم عند قوله حقا وهذا من كلام الله (قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) اى لشدة الازدحام عند خروجهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين الى جبل الطور فرارا منهم ثم يسلط الله عليهم دودا فى انوفهم فيموتون به فتنتن الارض منهم فتاتى طيور ترميهم فى البحر بدعاء عيسى عليه السلام ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولا يصلون الى من تحصن بور داوذكر (قوله لكثرتهم) اى وضيق الارض فان ارضنا بالنسبة لارضهم ضيقة جدا (قوله ونفخ فى الصور) اى النفخة الثانية بدليل التعقيب فى قوله فجمعناهم واما النفخة الاولى فعندها تخرج روح كل ذى روح واختلف فى القدر الذى بين النفختين والصحيح انه اربعون عاما (قوله اى القرن) وهو بيد اسرافيل عليه السلام (قوله قربنا) اى اظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها (قوله يومئذ) اركان المراد به يوم الموقف فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والاظهار وان كان المراد بعد انقضاضه فالمراد بالعرض امتزاجهم فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها وفائدة التاكيد على الاول الاشارة الى انه لم يكن بينهم وبينها حجاب (قوله اعينهم) اى بصائرهم (قوله لا يهتدون به) اى لا يتعظون ولا يؤثر فى قلوبهم (قوله لا يستطيعون سمعا) اى سماع

قبول وفهم لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك (قوله أفحسب الذين كفروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أكفروا فحسبوا الخ والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أى ملائكتى وعيسى وعزيرا) اشار بذلك الى تنوعهم فى الكفر فالمشركون يعبدون الملائكة والنصارى يعبدون عيسى واليهود يعبدون العزير (قوله وعزيرا) هذا لقبه واسمه قطفير أو أطفير (قوله من دونى) أى غيرى وهو صادق بكونهم يشركونهم معه فى العبادة أو خصوصهم بالعبادة دونه (قوله مفعول ثان ليتخذوا) أى والاول قوله عبادى فمفعولا اتخذ مذكوران (قوله والمفعول الثانى لحسب محذوف) أى والاول قوله ان يتخذوا الخ والتقدير أظن الكافرون اتخاذهم عبادى من دونى أربابا لا يغضبنى بل هو مغضب لى وأعاقبهم عليه وبتفسير الاولياء بالارباب اندفعت شبهة من يزعم ان محبة الاولياء وزيارتهم اشراك واستدلوا بمثل هذه الآية فيقال ان كان اعتقاد الاولياء على سبيل انهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم فسلم انه اشراك وأما ان كان على سبيل انهم عباد اختار واخدمة ربهم وعبادته فاختارهم واحبهم فهذا الاعتقاد منج من المهالك وموروث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم فى دار السلام لما ورد المرء مع من احب (قوله كلا) هى كلمة ردع وزجر (قوله انا اعتدنا) اى هيأنا واحضرنا (قوله هؤلاء) أى الذين عبد والملائكة وعيسى وعزيرا (قوله وغيرهم) اى من بقية الكفار (قوله كالمنزل المعد للضيف) أى فهو استهزاء وسخرية بهم حيث سمى محل عذابهم نزلا والنزل اسم لمكان الضيف أول ما يهيأ له (قوله بالاخسرين) جمع أخسر اما بمعنى اشد الناس خسرانا او بمعنى خاسر (قوله طابق المميز) جواب عما يقال كيف جمع التمييز مع ان اصله الافراد ولم جمع المصدر مع انه لا يثنى ولا يجمع فاجاب بانه جمع لمشاكلة مميزه (قوله الذين ضل سعيهم) خبر مبتدا محذوف اى هم الذين الخ (قوله بطل عملهم) اى لان شرط الثواب الاسلام والكفر لا تنفع معه طاعة (قوله وهم يحسبون) الجملة حالية من فاعل ضل (قوله اى وبالبعث) اى فالمراد بلقاء الله لقاء بعثه وحسابه الخ (قوله فحبطت) اى فبسبب ذلك (قوله اى لا نجعل لهم قدرا) اى منزلة وانما قال ذلك لان الكفار على التحقيق توزن اعمالهم وبعضهم اجاب بان الآية فيها حذف النعت والتقدير وزنا نافعا (قوله ذلك اى الامر) اشار بذلك الى ان قوله ذلك خبر لمحذوف (قوله الذى ذكرت) تفسير لاسم الاشارة (قوله وابتدأ) اشار بذلك الى ان جملة جزاؤهم جهنم مستانفة وهو صادق بان يكون جزاؤهم مبتدأ وجهنم خبرا وبالعكس ويصح ان يكون ذلك مبتدا اول وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثانى وهو وخبره خبر الاول (قوله بما كفروا) الباء سببية ما مصدرية اى بسبب كفرهم واتخاذهم (قوله فى علم الله) اى قبل ان يخلقوا وهو جواب عما يقال انهم يدخلونها فى المستقبل فلم عبر بالماضى فاجاب بان المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم فهو نظير قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية (قوله هو وسط الجنة) اما بسكون السين بمعنى انها متوسطة بين الجنات او بفتحها بمعنى خيارها قال كعب ليس فى الجنان جنة اعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والفردوس الجنة من الكرم خاصة اوما غالبها كرم واختلف فيه فقيل هو عربى وقيل أعجمى وقيل هو رومى وقيل فارسى وقيل سريانى (قوله منزلا) اى وقيل هو ما يهيأ للضيف (قوله خالدين) حال مقدرة (قوله لا يبغون) حال اخرى (قوله تحولا) اى انتقالا عنها الى غيرها لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (قوله قل لو كان البحر مدادا) سبب نزولها ان اليهود قالت يا محمد انا قد اوتينا التوراة وفيها علم كثير فكيف تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقصدهم بذلك الانكار عليه واثبات الفضل لهم

والمفعول الثانى لحسب محذوف المعنى اظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبنى ولا اعاقبهم عليه كلا (انا اعتدنا جهنم للكافرين) هؤلاء وغيرهم (نزلا) اى هى معدة لهم كالمنزل المعد للضيف (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا) تمييز طابق المميز وبينهم بقوله (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) بطل عملهم (وهم يحسبون) يظنون (انهم يحسنون صنعا) عملا يجازون عليه (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بدلائل توحيده من القرآن وغيره (ولقائه) اى وبالبعث والحساب والثواب والعقاب (فحبطت اعمالهم) بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أى لا نجعل لهم قدرا (ذلك) اى الامر الذى ذكرت من حبوط اعمالهم وغيره وابتدأ (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) اى مهزوأ بها (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم) فى علم الله (جنات الفردوس) هو وسط الجنة واعلاها والاضافة اليه للبيان (نزلا) منزلا (خالدين فيها لا يبغون) يطلبون (عنها حولا) تحولا الى غيرها (قل لو كان البحر)

(قوله أى ماؤه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله لكلمات ربى) أى النفسية القائمة بذاته ويصح ان يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة ويكون المراد بعدم تناهيها باعتبار مدلولاتها (قوله لنفد البحر) أى فرغ (قوله قبل أن تنفد) ان قلت ان الآية تدل على تناهى الكلمات وفراغها لان مقتضى قوله قبل ان تنفد كلمات ربى انها تفرغ بعد فراغ المداد وأجيب بان قبل بمعنى غير (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لنفد) قدره اشارة الى ان لو شرطية جوابها محذوف ويوضح هذه الآية قوله تعالى فى سورة لقمان ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله (قوله ونصبه) أى مدادا وقوله على التمييز أى لمثل (قوله باقية على مصدريتها) اى فما وان كفتها عن العمل لا تخرجها عن المصدرية (قوله والمعنى) أى المأخوذ من التركيب (قوله عملا صالحا) اى بشروطه واركانه (قوله بان يرائى) هذا قد زائد على التوحيد والعمل وحينئذ فيكون بيانا للايمان الكامل الذى يرقى به صاحبه المراتب العلية واللقى الخاص والا فالمراتب ثلاث من اراد بعمله الحظ الفانى فهو فى أدنى المراتب ومن اراد به الخوف من العقاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه ومن اراد وجه الله فهو فى أعلى المراتب

﴿ سورة مريم مكية ﴾

سميت بذلك لذكر قصتها فيها على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها وفى بعض النسخ عليها السلام ولا ضرر فيها وان كان المقصود ذكر اسم السورة لا العلم المشهور ولم تذكر امرأة باسمها صريحا فى القرآن الا مريم فذكرت فيه فى ثلاثين موضعا وحكمة ذلك التبكيت لمن يزعم من الكفار انها زوجة الله لان العظيم يانف من ذكر زوجته باسمها فكان الله يقول لهم لو كان ما تزعمون حقا ما صرحت باسمها (قوله أو الا تخلف من بعدهم خلف الخ) تحصل ان الاقوال ثلاثة قيل مكية بتمامها وقيل المدنى منها آية السجدة فيها وقيل المدنى منها آيتان قوله فخلف من بعدهم خلف الى قوله شيا (قوله كهيعص) اعلم ان الكاف والصاد يمدان لازما باتفاق السبعة وهو قدر ثلاث الفات والهاء والياء يمدان مدا طبيعيا باتفاقهم وهو قدر الف ويجوز فى العين المد اللازم المذكور والقصر بقدر الفين قراءتان سبعيتان ويتعين فى النون من عين اخفاؤها فى الصاد وغنتها وفتح العين ويجوز فى الدال الاظهار والادغام فى ذال ذكر والقراءتان سبعيتان (قوله الله اعلم بمراده بذلك) هذا هو الحق وللسلف أقوال أخر منها ما قاله ابن عباس انه اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من اسماء القرآن وقيل هو اسم الله الاعظم ولذا يذكره العارفون فى احزابهم كالسيد الدسوقى وابى الحسن الشاذلى وقيل هو اسم السورة وقيل قسم اقسم الله به وعن الكلبى هو ثناء اثنى الله به على نفسه وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق فى وعده فكل حرف يشير لمعنى من هذه المعانى وقيل غير ذلك (قوله هذا) قدره اشارة الى ان ذكر خبر لمحذوف (قوله ذكر رحمة) هو مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف اى ذكر الله رحمته عبده زكريا (قوله مفعول رحمة) أى ورحمة من اضافة المصدر لفاعله وهذه التاء لا تمنع عمل المصدر لانها من بنية الكلمة لا للوحدة ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها لعبده زكريا بمعنى عاملة بالرحمة والنعمة لا بالغضب والنقمة وليس المراد بالذكر حقيقته وهو ضد النسيان لانه مستحيل (قوله متعلق برحمة) أى على انه ظرف له اى رحمة الله اياه وقت ان ناداه (قوله مشتملا على دعاء) أى وهو قوله رب انى وهن العظم الى قوله واجعله رب رضيا فجملة النداء ثمان جمل والدعاء منه هو قوله فهب لى من لدنك الخ (قوله جوف الليل) اى فى جوفه (قوله لانه اسرع للاجابة)

اى ماؤه (مدادا) هو ما يكتب به (لكلمات ربى) الدالة على حكمه وعجائبه بان تكتب به (لنفد البحر) فى كتابتها (قبل ان تنفد) بالتاء والياء تفرغ (كلمات ربى ولو جئنا بمثله) أى البحر (مددا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هى ونصبه على التمييز (قل انما انا بشر) آدمى (مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) ان المكفوفة بما باقية على مصدريتها والمعنى يوحى الى وحدانية الاله (فمن كان يرجوا) يامل (لقاء ربه) بالبعث والجزاء (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه) أى فيها بان يرائى (أحدا)

﴿ سورة مريم مكية الا سجدتها فمدنية او الا تخلف من بعدهم خلف الآيتين فمدنيتان وهى ثمان أو تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص) الله اعلم بمراده بذلك هذا (ذكر رحمة ربك عبده) مفعول رحمة (زكريا) بيان له (اذ) متعلق برحمة (نادى ربه نداء) مشتملا على دعاء (خفيا) سرا جوف الليل لانه أسرع للاجابة

(قال رب انى وهن) ضعف (العظم) جميعه (منى واشتعل الراس) منى (شيبا) تمييز محول عن الفاعل اى انتشر الشيب فى شعره كما ينتشر شعاع النار فى الحطب وانى ار يدان ادعوك (ولم أكن بدعائك) اى بدعائى اياك (رب (٢٧) شقيا) اى خائبا فيما مضى فلاتخيبنى فيما ياتى (وانى خفت الموالى) اى الذين يلونى فى النسب كبنى العم (من ورائى) اى بعد موتى على الدين ان يضيعوه كما شاهدته فى بنى اسرائيل من تبديل الدين (وكانت امرأتى عاقرا) لاتلد (فهب لى من لدنك) من عندك (وليا) ابنا (يرثنى) بالجزم جواب الامر و بالرفع صفة وليا (و يرث) بالوجهين (من آل يعقوب) جدى العلم والنبوة (واجعله رب رضيا) اى مرضيا عندك قال تعالى فى اجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته (يازكريا انا نبشرك بغلام) يرث كما سالت (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) اى مسمى بيحيى (قال رب انى) كيف (يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) من عتا يبس اى نهاية السن مائة وعشرين سنة و بلغت امرأته ثمانيا وتسعين سنة واصل عتى عتو وكسرت التاء تخفيفا وقلبت الواو الاولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء (قال) الامر (كذلك) من خلق غلام منكما (قال ربك هو على هين) اى بان ارد عليك قوة الجماع وافتق رحم امرأتك للعلوق (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) قبل خلقك ولاظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقت نفسه الى سرعة المبشر به (قال رب اجعل لى آية) اى علامة على حمل امرأتى (قال آيتك) عليه (ان لاتكلم الناس)

أى ماذكر من كونه خفيا حاصلا فى جوف الليل فتحصل ان اخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من اسباب الاجابة سيما اذا كان فى جوف الليل (قوله قال رب) اى يا مالكى ومربى (قوله وهن) من باب وعد بفتح الهاء للسبعة وقرئ بضمها وكسرها (قوله جميعه) اشار بذلك الى ان ال فى العظم للاستغراق (قوله اى انتشر) اشار بذلك الى ان فى اشتعل استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار فى الحطب واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر والجامع ان كلا يضعف ما نزل به وأعاد الضمير على الرأس مذكرا لانها تذكر لاغير (قوله وانى ار يدان ادعوك) تمهيد لقوله ولم أكن الخ (قوله اى بدعائى اياك) اشار بذلك الى ان دعاء مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف (قوله فيما مضى) اى انت قد اجبتنى فى الزمان الماضى حال شبو بيتى وعودتنى منك بالاحسان والاجابة فلا تخيبنى فيما ياتى فى حال شيخوختى (قوله وانى خفت الموالى) جمع مولى وهو العاصب (قوله كبنى العم) اى لانهم كانوا شرار بنى اسرائيل نخاف ان يبدلوا دينهم (قوله من ورائى) متعلق بمحذوف اى جور الموالى من ورائى (قوله على الدين) متعلق بخفت (قوله من تبديل الدين) بيان لما (قوله وكانت امرأتى) أى وهى اشاع اخت حنة كلتاهما بنت فاقود فولد لاشاع يحيى ولحنة مريم (قوله لاتلد) أى لم تلد اصلا لا فى صغرها ولا فى كبرها (قوله و بالرفع صفة وليا) هى سبعية ايضا وهى اظهر معنى لانها تفيد ان هذا الوصف من جملة مطلوبه (قوله العلم والنبوة) اى لا المال لان الانبياء لا يورثون درهما ولا دينارا (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان هذا من كلام الله ولا ينافيه ما تقدم فى سورة آل عمران من انه من كلام الملائكة لانه يمكن ان يكون الخطاب وقع مرتين أو المعنى على لسان الملائكة (قوله الحاصل به) نعت للابن (قوله انا نبشرك بغلام) بين هذه البشارة ووجود الولد فى الخارج بافعل ثلاث عشرة سنة (قوله اسمه يحيى) انما سماه بذلك لان رحم امه حيى به بعد موته بالعقم أو لحياة القلوب به وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية وتقول فى تثنيته يحييان رفعا و يحيين نصبا وجرا وتقول فى جمعه للسلامة يحيون رفعا و يحيين نصبا وجرا (قوله اى مسمى بيحيى) اى لم يسم بيحيى قبله (قوله كيف) اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لاستبعاد ذلك بحسب العادة لا بحسب القدرة الالهية او استفهام تعجب وسرور فى هذا الامر العجيب (قوله وكانت امرأتى عاقرا) اى ولم تزل (قوله يبس) بالياء المثناة بعدها باء موحدة من اليبس يقال عتا العود بمعنى يبس وجف ومعناه هنا يبس العظم والعصب والجلد (قوله عتوا) هو بضمتين وواو ين (قوله كسرت التاء الخ) اشتمل كلامه على اربع اعمالات فى الكلمة كسر التاء وقلب الواو الاولى ياء وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو وسبق احداهما بالسكون وادغام الياء فى الياء وهذا على غير قراءة حفص واما على قراءته من كسر العين اتباعا للتاء ففيه خمس اعمالات (قوله الامر) قدره اشارة الى ان كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) اى على لسان ملك او القاء فى القلب وأما الخطاب جهرا مشافهة فلم يكن لغير موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام (قوله وافتق) من باب نصر اى اشق (قوله للعلوق) بفتح العين اى المنى و يصح ضمها مصدر علق (قوله وقد خلقتك) الجملة حالية (قوله و لما تاقت نفسه) اى تطلعت وتشوقت واشار بذلك الى ان قوله قال رب اجعل لى آية مرتب على محذوف (قوله الى سرعة المبشر به) اى بعلامة تدل على حصوله بالفعل وليس عند زكريا شك فى اجابة الله

دعاءه بل قصد تعجيل المسرة ليزداد فرحا وشكرا (قوله اى تمنع) اى قهرا بلا آفة (قوله أى بايامها) أشار بذلك الى وجه الجمع بين ماهنا وبين آية آل عمران وحكمة ذكر الليالى هنا ان الليل سابق على النهار وهذه السورة مكية والمكى مقدم على المدنى وآل عمران مدنية فاعطى الساق للسابق والمتاخر للمتاخر (قوله حال من فاعل تكلم) اى ينعدم منك الكلام حال كونك سالما لم يطرأ عليك آفة ولا علة تمنعك من الكلام ويصح ان يكون صفة لثلاث اى ثلاثا كاملات لا نقص فيهن (قوله فخرج على قومه) اى متغيرا للون عاجزا عن الكلام فانكروا ذلك عليه وقالوا له مالك فاشار اليهم ان صلوا بكرة وعشيا (قوله من المحراب) يطلق على الغرفة وصدر البيت واكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه فالمحراب المعروف الآن يوافق اللغة قديما (قوله اى المسجد) اى موضع الصلاة (قوله وكانوا ينتظرون فتحه) اى فكان هو مقيما به ولا يفتحه الا وقت الصلاة ولا يدخلونه الا باذنه (قوله اشار اليهم) اى باصبعه وقيل كتب لهم (قوله اوائل النهار واواخره) أى فالمراد بالصلاة فى هذين الوقتين صلاة الصبح وصلاة العصر والمعنى صلوا صلاتكم على عادتكم ولا تنتظرونى أكلكم بل دعونى وحالى (قوله فعلم) اى زكريا (قوله وبعد ولادته الخ) قدر ذلك اشارة الى ان قوله يايحيى الخ مرتب على محذوف (قوله قال تعالى له) أى على لسان الملك (قوله خذ الكتاب) اى اعمل باحكامه وليس المراد اشتغل بحفظه فى المكتب مثلا لان الله القاه على قلبه بمجرد قوله خذ الكتاب (قوله بقوة) اى بجد واجتهاد وانما امر بذلك لان كلام الله عظيم جليل القدر فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه ومن هنا ينبغى لطالب العلم الجد والاجتهاد فيه ولا يتراخى فى طلبه فانك ان اعطيت العلم كلك اعطاك بعضه وان اعطيته بعضك لم يعطك شيا منه ولذا قال الامام الشافعى رضي الله عنه

اخى ان تنال العلم الا بستة * سانبيك عنها مخبرا ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * نصيحة استاذ وطول زمان

ولم يامر الله سيدنا محمدا بتلقى ما اوحى اليه بقوة لان الله اعطاه عزما وقوة عظيمة فلم يحتج للامر بذلك بل قيل له انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (قوله ابن ثلاث سنين) اى فاحكم الله عقله وقوى فهمه وقولهم النبوة على رأس الاربعين محله فى غير يحيى وعيسى على ما ياتى وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها واما النبوة فتاخرت للاربعين كغيره (قوله حنانا) اى رحمة ورقة فى قلبه وتعطفا على الناس (قوله صدقة عليهم) اى توفيقا للتصدق وقيل المراد بالزكاة طهارته من الاوساخ أو طهارة من اتبعه او المراد ان الله تصدق به على والديه (قوله وكان تقيا) أى مجبولا على التقوى ومن جملة تقواه انه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لدمعه مجار على خده (قوله ولم يهم بها) اى لم تخطر بباله ولا خصوصية له بذلك بل جميع الانبياء كذلك (قوله عاصيا لربه) اشار بذلك الى ان المبالغة ليست مرادة بل المنفى اصل العصيان لا المبالغة فيه (قوله وسلام عليه) اى امان له من المخاوف ونكرهنا وعرف فى قصة عيسى لان ماهنا حاصل من الله والقليل منه كثير وماذكر فى قصة عيسى ال فيه للعهد اى السلام المعهود وهو الكائن من الله (قوله يوم ولد) اى من ان يناله الشيطان بمكروه (قوله ويوم يموت) اى من عذاب القبر (قوله ويوم يبعث حيا) اى من هول الموقف ولا ينافى هذا ماورد ان الانبياء يوم القيامة يحشرون على الركب ويقولون رب سلم سلم لان جلال الله محيط بهم فهم خائفون من هيبته وجلاله لا من عذابه وعقابه لصدق وعد الله فى تامينهم فلا يخالف وعده * بقى شئ آخر وهو انه وردان يحيى قتل فى حياة والده فكيف ذلك مع طلبه ولد ايرثه واجابة الله له بقوله كذلك هو على هين اجيب بان هذه الرواية

اى تمنع من كلامهم بخلاف ذكر الله (ثلاث ليال) اى بايامها كما فى آل عمران ثلاثة أيام (سويا) حال من فاعل تكلم اى بلا علة (فخرج على قومه من المحراب) اى المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بامره على العادة (فاوحى) أشار (اليهم ان سبحوا) صلوا (بكرة وعشيا) اوائل النهار واواخره على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له (يايحيى خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) بجد (وآتيناه الحكم) النبوة (صبيا) ابن ثلاث سنين (وحنانا) رحمة للناس (من لدنا) من عندنا (وزكاة) صدقة عليهم (وكان تقيا) روى انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها (وبرا بوالديه) اى محسنا اليهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه (وسلام) منا (عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) اى فى هذه الايام المخوفة التى يرى فيها مالم يره قبلها فهو آمن فيها

ضعيفة والحق أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل وحينئذ فقد سقط السؤال والجواب (قوله واذكر في الكتاب مريم) أي قصة ولادتها لعيسى وحملها به فانها من الآيات الكبرى وتقدم أن معنى مريم العابدة خادمة الرب (قوله القرآن) أشار بذلك الى أن أل في الكتاب للعهد (قوله اذا انتبذت) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله أي خبرها وهو بدل اشتمال وليس المراد خصوص الخبر الواقع في وقت الانتباذ بل هو وما بعده الى آخر القصة (قوله أي اعتزلت في مكان) أشار بذلك الى أن مكان منصوب على الظرفية ويصح أن يكون مفعولا به على أن معنى انتبذت أتت مكانا (قوله من الدار) أي دار زوج خالتها وهو زكريا القيم عليها وفي بعض النسخ أو شرق بيت المقدس أي فقوله في الآية شرقيا يحتمل أن يكون شرقيا من دارها أو من بيت المقدس (قوله أو تغتسل من حيضها) أي لانها كانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرتين (قوله روحنا) سمي بذلك لان الله أحيا به القلوب والاديان كما أن الروح به حياة الاجساد أو كناية عن محبة الله له كما يقول الانسان لمن يحبه أنت روحي (قوله فتمثل لها) اختلف في كيفية تمثل الملك في غير صورته الاصلية هل تنعدم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل مع كونها باقية أولا تنفصل وانما تخفى عن الرائي وهو الذي ندين الله به لان لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم (قوله بعد لبسها ثيابها) جواب عما يقال ان الملك لا يدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلا عن كونها مكشوفة البدن فكيف أتى مريم وهي تغتسل فاجاب المفسر بانه انما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها (قوله بشرا سويا) أي بصورة شاب أمرد معتدل الخلقة لتانس بكلامه ولعله يهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها ولا يقال ان النظر المهيج للشهوة حرام لان ذلك اذا كان مع اختيار وأما الميل الطبيعي فلا يؤاخذ به الانسان (قوله بالرحمن) خصته بالذكر لرحم ضعفها وعجزها عن دفعه لعدم المغيث لها من الخلق (قوله ان كنت تقيا) أي عاملا بمقتضى تقواك وايمانك (قوله فتنتهي عني) هو جواب الشرط وقدره فعلا مضارعا مقرونا بالفاء فهو على تقدير المبتدا ليكون الجواب جملة اسمية حتى يسوغ اقترانه بالفاء أي فانت تنتهي عني (قوله رسول ربك) أي جبريل وقولهم ان الوحي لم ينزل على امرأة قط اي برسالة واما بغيرها فلا مانع منه (قوله ليهب لك) بالياء والهمزة قراءتان سبعيتان فعلى الاولى الاسناد لله وعلى الثانية الاسناد لجبريل لكونه سببا فيه (قوله غلاما زكيا) فيه مجاز الاول لانه حينئذ لم يكن غلاما (قوله بتزوج) دفع به ما يقال ان قولها لم يمسسني بشر يدخل تحته ولم اك بغيا فاجاب بان المس عبارة عن النكاح في الحلال والزنا ليس كذلك بل يقال فجر بها وما اشبهه (قوله بغيا) لم يقل بغية لان بغيا غالب في النساء فاجروه اجراء حائض وطامث وعاقر او يقال ان اصله بغويا بوزن فعول اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادت في الياء وكسرت الغين لتصح الياء وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء كما قال ابن مالك

ولا تلي فارقة فعولا * اصلا ولا المفعال والمفعيلا

وهذا ليس استبعادا منها لقدرة الله وانما هو تعجب من مخالفة العادة (قوله الامر) قدره اشارة الى ان كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) بمنزلة العلة كانه قيل الامر كذلك لانه علينا هين ولنجعله الخ (قوله على قدرتنا) اي كل قدرتنا على انواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى وخلق عيسى من انثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وانثى (قوله امرا مقضيا) اي لا يتغير ولا يتبدل (قوله فنفخ جبريل) اي نفخة وصلت الى فرجها ودخلت منه جوفها وليس المراد انه نفخ في فرجها مباشرة (قوله درعها) اي قميصها (قوله مكانا قصيا) اي بعيدا من اهلها

(واذكر في الكتاب) القرآن (مريم) اي خبرها (اذ) حين (انتبذت من اهلها مكانا شرقيا) اي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار (فاتخذت من دونهم حجابا) ارسلت ستارا تستتر به لتغلي راسها او ثيابها او تغتسل من حيضها (فارسلنا اليها روحنا) جبريل (فتمثل لها) بعد لبسها ثيابها (بشرا سويا) تام الخلق (قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) فتنتهي عني بتعوذي (قال انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) بالنبوة (قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر) بتزوج (ولم اك بغيا) زانية (قال) الامر (كذلك) من خلق غلام منك من غير اب (قال ربك هو علي هين) اي بان ينفخ بامري جبريل فيك فتحملي به ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه (ولنجعله آية للناس) على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلقه (امرا مقضيا) به في علمي فنفخ جبريل في جيب درعها فاحست بالحمل في بطنها مصورا (فحملته) فانتبذت) تنحت (به مكانا قصيا) بعيدا من اهلها

To: www.al-mostafa.com

وهو بيت لحم فرارا من تعيير قومها بولادتها من غير زوج (قوله فاجاءها المخاض) اى الجأها (قوله لتعتمد عليه) اى فاعتمدت عليه وقيل حضنته وكان يابسا فاخضر وأثمر لوقته (قوله فولدت) اى بيت لحم فخافت عليه فجاءت به الى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهى الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به الى بحر الاردن ففمسته فيه وهو اليوم الذى يتخذه النصارى عيدا ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون أن المياه فى ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون فى كل ماء (قوله فى ساعة) هو الصحيح وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر وسنها اذذاك عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة (قوله ليتنى مت قبل هذا) انما تمنت الموت لئلا تقع المصيبة بمن تكلم فى شانها بسوء والا فهى راضية بما بشرت به (قوله وكنت نسيا) بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان وقوله منسيا تاكيد لنسيا (قوله فناداها) اى لما شق عليها الامر وعلمت انها تتهم ولا بد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها قيل اول من علم بها يوسف النجار وكان رفيقا لها يخدمان المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما احد أشد عبادة واجتهادا منهما فبقى متحيرا فى أمرها ثم قال لها قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان أتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر فقالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الشجر بالقدرة من غير بذر ولا غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر ان ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله يقدر على ما يشاء يقول له كن فيكون قالت مريم ألم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زال ما فى نفسه من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد مدة نفاسها (قوله من تحتها) بفتح الميم وكسرها قراءتان سبعيتان فعلى الاولى الفاعل هو الموصول وتحتها صلته وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر والجار والمجرور متعلق بنادى (قوله اى جبريل) تفسير لمن على الفتح وللضمير المستتر فى نادى على الكسر وقيل المنادى لها عيسى ومعنى كونه تحتها اسفل ثيابها وحينئذ فيكون قوله أن لا تحزنى الى قوله فلن اكلم اليوم انسيا اول كلام عيسى (قوله وكان اسفل منها) اى كان جبريل فى مكان اسفل من مريم (قوله ان لا تحزنى) يحتمل ان تكون ان مفسرة وقد وجد شرطها وهو تقدم ما هو بمعنى القول ولا ناهية وحذفت النون للجازم أو ناصبة ولا نافية وحذفت النون للناصب (قوله نهرماء) اى وجمعه سريان كرغيف ورغفان ويطلق السرى على الشريف الرئيس واصله سريو اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء كسيد ويكون المراد به عيسى وما مشى عليه المفسر اظهر لمناسبة قوله فكلى واشربى (قوله كان انقطع) اى ثم جرى وامتلأ ماء ببركة عيسى وأمه (قوله والباء زائدة) اى ويصح ان تكون اصلية والمفعول محذوف والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لرطبا والتقدير وهزى اليك رطبا كائنا بجذع النخلة (قوله وفى قراءة بتركها) اى التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقى قراءة سبعية أيضا وهى ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط فرطبا مفعول به (قوله تمييز) اى على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر لا على الثالثة (قوله جنيا) اى تاما نضجه صالحا للاجتناء (قوله وقرى عينا) العامة على فتح القاف من قر يقر بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع من باب تعب وقرئ شذوذا بكسر القاف وهى لغة نجد بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع من باب ضرب (قوله أى تسكن) اى فهو من القرار بمعنى عدم الحركة ويصح ان يكون من القر وهو البرد لان العين اذا فرح صاحبها كان دمعها باردا واذا حزن كان دمعها حارا كانه

(فاجاءها) جاء بها (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) لتعتمد عليه فولدت والحمل والتصوير والولادة فى ساعة (قالت يا) للتنبيه (ليتنى مت قبل هذا) الامر (وكنت نسيا منسيا) شيا متروكا لا يعرف ولا يذكر (فناداها من تحتها) اى جبريل وكان اسفل منها (ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) نهر ماء كان انقطع (وهزى اليك بجذع النخلة) كانت يابسة والباء زائدة (تساقط) اصله بتاءين قلبت الثانية سينا وادغمت فى السين وفى قراءة تركها (عليك رطبا) تمييز (جنيا) صفته (فكلى) من الرطب (واشربى) من السرى (وقرى عينا) بالولد تمييز محول من الفاعل اى لتقر عينك به اى تسكن فلا تطمح الى غيره (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (ترين)

قال اتركى الحزن وافرحى بما اعطاك ربك (قوله حذف منه لام الفعل) اى واصله تراءين بهمزة هى عين الكلمة وياء مكسورة هى لامها واخرى ساكنة هى ياء الضمير والنون علامة الرفع نقلت حركة الهمزة الى الراء فسقطت الهمزة فتحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت الفا فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما ثم اكدبالنون وحرك بالكسر ففيه ست اعمالات نقل الحركة وسقوط الهمزة وقلب الياء الفا وحذفها وتاكيده بالنون وتحريكه بالكسر وان نظرت لحذف نون الرفع للجازم كانت سبعة افاد المفسر منها خمسا ولم يرتبها كما يعلم بالتامل (قوله فسالك عن ولدك) جواب عما يقال ان قولها فلن اكلم اليوم انسيا كلام فقد حصل التناقض فاجاب بان المراد اذا رأيت احدا من البشر وسالك عن امرك فقولى الخ ويكون انشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة (قوله صوما) قيل كان فى بنى اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وفى هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم فانه اغيظ لهم (قوله مع الاناسى) اى لامع الله كالذكر ولامع الملائكة لما ورد انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس والاناسي بفتح الهمزة جمع انسي أو انسان واصله على هذا اناسين قلبت النون ياء وادغمت فى الياء (قوله اى بعد ذلك) اى بعد قولها انى نذرت للرحمن صوما (قوله فاتت به) اى فى يوم وضعه وقيل بعد ار بعين يوما لما طهرت من نفاسها (قوله فرأوه) اى ابصروه (قوله قالوا) اى اهلها وكانوا اهل بيت صالحين بمصدوق قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض (قوله لقد جئت) اى فعلت واتيت (قوله فريا) من فريت الجلد قطعته اى شيئا قاطعا وخارقا للعادة ومقطعا للعرض (قوله هو رجل صالح) اى فى بنى اسرائيل شبهت به فى عفتها وصلاحها قيل انه تبع جنازته يوم مات ار بعون الفا من بنى اسرائيل كلهم يسمون هرون سوى سائر الناس (قوله ما كان ابوك) اى عمران وقوله وما كانت امك اى حنة (قوله فاشارت اليه) اى وحينئذ غضب القوم وقالوا اتسخرين بنا ثم قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا (قوله وجد) اشار المفسر الى ان كان تامة وحينئذ فصبيا حال ويصح ان تكون ناقصة وصبيا خبرها (قوله فى المهد) قيل المراد به حجرها وقيل هو المهد بعينه وردانه لما اشارت اليه ترك الرضاع واتكا على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه وقال انى عبد الله الخ (قوله عبد الله) وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ الها وكل هذه الاوصاف تقتضى براءة امه لان هذه اوصاف الكاملين المطهرين من الارجاس (قوله وجعلنى نبيا) اى فى الحال وقيل المراد سيجعلنى بعد الاربعين قولان للعلماء والله اعلم بحقيقة الحال (قوله اى نفاعا للناس) اى لانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويهدى من ضل (قوله اخبارا بما كتب له) اى فالماضي بمعنى المستقبل وقيل على حقيقته (قوله امرنى بهما) اى بفعلهما (قوله وبرا) العامة على فتح الباء وقرئ بكسرها اما على حذف مضاف اى ذا برا وامبالغة (قوله متعاظما) اى بل جعلنى متواضعا ومن تواضعه انه كان ياكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا (قوله والسلام) ال فيه للعهد اى السلام الحاصل ليحيي حاصل لى فلا يقال ان يحيي سلم عليه ربه وعيسي سلم على نفسه بل هو حاك السلام عن الله (قوله ويوم ابعث حيا) هذا آخر كلامه ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان هذا من كلام الله تعالى واما كلام عيسي فقد انتهى الى قوله حيا (قوله ذلك) اى المذكور بتلك الاوصاف واسم الاشارة مبتدا وعيسي خبره وابن مريم صفته وقول الحق خبر مبتدا محذوف اى قول ابن مريم قول الحق وهو من اضافة الموصوف للصفة اى القول الحق والمعنى ان الموصوف بما ذكر من الاوصاف

حذفت منه لام الفعل وعينه والقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (من البشر احدا) فيسالك عن ولدك (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) اى امسا كا عن الكلام فى شانه وغيره من الاناسى بدليل (فلن اكلم اليوم انسيا) اى بعد ذلك (فاتت به قومها تحمله) حال فراوه (قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا) عظيما حيث اتت بولد من غير اب (ياا خت هرون) هو رجل صالح اى باشبيهته فى العفة (ماكان ابوك امرا سوء) اى زانيا (وما كانت امك بغيا) زانية فمن أين لك هذا الولد (فاشارت) لهم (اليه) ان كلموه (قالوا كيف نكلم من كان) اى وجد (فى المهد صبيا قال انى عبد الله آتانى الكتاب) اى الانجيل (وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت) اى نفاعا للناس اخبار بما كتب له (واوصانى بالصلاة والزكاة) امرنى بهما (ما دمت حيا وبرا بوالدتى) منصوب بجعلنى مقدرا (ولم يجعلنى جبارا) متعاظما (شقيا) عاصيا لربه (والسلام) من الله (على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) يقال فيه ماتقدم فى السيد يحيي قال تعالى (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق) بالرفع خبر مبتدا مقدر اى قول ابن مريم

وبالنصب بتقدير قلت ابن الله كذبوا (ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) تنزيها له عن ذلك (اذا قضى أمرا) أى أراد أن يحدثه (فانما يقول له كن فيكون) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ومن ذلك خلق عيسى من غير أب (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) بفتح ان بتقدير اذكر وبكسرها بتقدير قل بدليل ماقلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم (هذا) المذكور (صراط) طريق (مستقيم) مؤد الى الجنة (فاختلف الاحزاب من بينهم) أى النصارى فى عيسى أهو ابن الله أو اله معه او ثالث ثلاثة (فويل) فشدة عذاب (للذين كفروا) بما ذكر وغيره (من مشهد يوم عظيم) اى حضور يوم القيامة وأهواله (اسمع بهم وابصر) بهم صيغتا تعجب بمعنى ما اسمعهم وما ابصرهم (يوم يأتوننا) فى الآخرة (لكن الظالمون) من اقامة الظاهر مقام المضمر (اليوم) اى فى الدنيا (فى ضلال مبين) اى بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن ابصاره أى اعجب منهم يا مخاطب فى سمعهم وابصارهم فى الآخرة بعد ان كانوا فى الدنيا صما عميا (وانذرهم) خوف يا محمد كفار مكة (يوم الحسرة) هو يوم القيامة الدين

والمعنى القول الحق (الذى فيه يمترون) من المرية اى يشكون وهم النصارى قالوا ان عيسى هو عيسى ابن مريم وقوله القول الحق اى الصدق المطابق للواقع (قوله وبالنصب) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بتقدير قلت) اى فهو مصدر مؤكد لعامله (قوله والمعنى) اى على كل من القراءتين فعلى الرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق وعلى النصب يكون المعنى قلت حاكيا عن عيسى القول الحق والقائل ذلك هو الله تعالى (قوله الذى فيه يمترون) خبر لمحذوف اى هو عيسى الذى فيه يترددون ويتحيرون (قوله قالوا ان عيسى ابن الله) أى وقالوا غير هذه المقالة كما فى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم وانما اقتصر على هذه هنا لانها التى يتضح ابطالها بقوله ما كان لله الخ (قوله ما كان لله) أى لا يمكن ولا يتأتى لانه مستحيل لا تتعلق به القدرة (قوله ان يتخذ من ولد) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان والمعنى ما كان اتخاذ الولد من صفته بل هو محال قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا (قوله عن ذلك) أى اتخاذ الولد (قوله اذا قضى أمرا) هذا كالدليل لما قبله كانه قال ان اتخاذ الولد والسعى فى اسبابه شان العاجز الضعيف المحتاج الذى لا يقدر على شئ واما القادر الغنى الذى يقول للشئ كن فيكون فلا يحتاج فى اتخاذ الولد الى احبال الانثى وحيث أوجده بقول كن لا يسمى ابنا له بل هو عبده ومخلوقه فهو تبكيت والزام لهم بالحجج الباهرة (قوله بتقدير أن) اى بعد فاء السببية الواقعة بعد الامر (قوله وان الله ربى وربكم) هذا من كلام عيسى سواء قرئ بكسر ان أو فتحها فهو من تعلقات قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة الخ (قوله بتقدير اذكر) اى اذكر يا عيسى ان الله الخ (قوله بتقدير قل) اى وان تكسر بعد القول (قوله هذا صراط مستقيم) من كلام عيسى ايضا (قوله المذكور) يعنى القول بالتوحيد ونفى الولد (قوله فاختلف الاحزاب) اى ان النصارى تحزبوا وتفرقوا فى شان عيسى بعد رفعه الى السماء اربع فرق اليعقوبية والنسطورية والملكانية والاسلامية لما روى أنه اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم اربعة نفر من كل قوم عالمهم فامتروا فى شان عيسى حين رفع فقال احدهم هو الله هبط الى الارض فاحيا من احيا وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقالت الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين الآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله وهو اله وامه اله وهم الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين وكفر الفرقة الاخيرة بعدم اتباعهم لنبينا صلى الله عليه وسلم من حين البعث وأما الذين اتبعوه منهم فهم الذين يعطون اجرهم مرتين كالنجاشى واتباعه وهم الذين قال تعالى فيهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الآيات (قوله فشدة عذاب) وقيل المراد بالويل وادى فى جهنم يأكل الحجارة والحديد قوتهم فيه الجيف (قوله من مشهد يوم عظيم) يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور وهو المراد هنا وسمى بذلك لشهادة الاعضاء عليهم بما كسبوا قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون (قوله اسمع بهم وأبصر) هو فعل ماض جاء على صورة الامر ومعناه التعجب واعرابه اسمع فعل ماض للتعجب والباء زائدة والضمير فاعله وابصر مثله وحذف بهم من الثانى لدلالة الاول عليه وليس المراد التعجب من المتكلم وهو الله لاستحالته عليه بل المراد التعجيب وهو حمل المخاطب على التعجب اى اعجبوا يا عبادى من شدة سمعهم وبصرهم فى ذلك اليوم (قوله من اقامة الظاهر مقام المضمر) اى اشارة الى أن من اتصف بصفاتهم يسمى ظالما (قوله فى ضلال) اى خطا وعدم اهتداء للحق (قوله به صموا) اى بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ فى الدنيا فالعجب منهم فى الحالتين شدة الاسماع والابصار فى الآخرة وضدهما فى الدنيا (قوله هو يوم القيامة) اى وله أسماء كثيرة منها يوم

الدين ويوم الجزاء ويوم الحساب والحاقة والقارعة واليوم الموعود وغيرذلك (قوله يتحسر فيه المسيء الخ) اى والمحسن على ترك الزيادة فى الاحسان كما فى الحديث (قوله اذ قضى الامر) اى حكم وأمضى وذلك انه ورد اذا استقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يؤتى بالموت فى صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فعند ذلك يزداد أهل النار حسرة على حسرتهم وأهل الجنة فرحا على فرحهم (قوله وهم فى غفلة) الجملة حالية وكذا قوله وهم لا يؤمنون وهذا الانذار لكل مكلف وانما خصه المفسر باهل مكة لانهم سبب نزولها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله باهلاكهم) أى فلا يبقى حى سوى الله تعالى لما ورد ان الله تعالى ينادى بعد انقراض الدنيا باهلها لمن الملك اليوم فيجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار (قوله والينا يرجعون) أى يردون فيجازى كل احد بما قدمه من خير وشر (قوله واذكر فى الكتاب ابراهيم) يحتمل انه معطوف على قوله وانذرهم يوم الحسرة والمعنى واذكر لاهل مكة قصة ابراهيم لعلهم يعتبرون فيؤمنوا ويحتمل انه معطوف على قوله واذكر فى الكتاب مريم عطف قصة على قصة وهو الاقرب (قوله مبالغا فى الصدق) أى فى أقواله وأفعاله وأحواله (قوله نبيا) وصف خاص لان كل نبى صديق ولا عكس وبين الولاية والصديقية عموم وخصوص مطلق أيضا فكل صديق ولى ولا عكس لان الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله ويبدل منه) اى بدل اشتمال وحينئذ فقوله انه كان صديقا نبيا معترض بين البدل والمبدل منه (قوله لابيه) قيل حقيقة وهو مامشى عليه السيوطى فى سورة الانعام تبعا للمفسر هنا ولا يضر كفر أصول الانبياء فان الله يخرج الحى من الميت ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم مازلت أنقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطاهرة لان المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية وان كانوا كفارا او يقال ان آزر لم يتحقق كفره الا بعد بعثة ابراهيم وحينئذ فقد انتقل منه النور المحمدى الى ولده وهو فى حالة الفترة وقيل هو عمه واسم ابيه تارخ وسمى أبا على عادة الاكابر من تسمية العم أبا وعليه فلا يرد الحديث المقدم وهما قولان للمفسرين (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) أى فاصله أبى فيقال فى اعرابه يا حرف نداء وأب منادى منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والتاء عوض عن الياء (قوله ولا يجمع بينهما) اى فلا يقال يا ابتى لان فيه الجمع بين العوض والمعوض ويقال يا ابتا لان الالف عوض عن الياء أيضا ففيه جمع بين عوضين (قوله لم تعبد مالا يسمع) اى لاى سبب تعبد مالا سمع فيه ولا بصر (قوله اوضر) أى أودفع ضر (قوله من العلم) اى العلم بالتوحيد والشرع (قوله فاتبعنى) أى امتثل امرى فيما آمرك به (قوله مستقيما) أى لا اعوجاج فيه (قوله بطاعتك اياه) اى فالمراد بعبادته امتثال امره فى عبادة الاصنام حيث حسنها له بوسوسته (قوله عصيا) اى وطاعة العاصى عصيان (قوله انى اخاف ان يمسك عذاب) اى فى المستقبل ان لم ترجع وانما عبر بالخوف لانه لم يكن قاطعا بموته على الكفر بل كان مترجيا ايمانه وقيل المراد بالخوف العلم والاقرب الاول لانه لو علم عدم هدايته ماخاطبه بهذا الخطاب اللطيف (قوله ناصرا وقرينا) المناسب الاقتصار على تفسيره بالقرين لانه بعد الدخول فى العذاب لا يتاتى معاونة ولا مناصرة (قوله اراغب) مبتدا وانت فاعل سد مسد الخبر وسوغه اعتماده على الاستفهام وهو اولى من جعله خبرا مقدما وانت مبتدا مؤخرا لانه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو اراغب والمعمول وهو عن آلهتى باجنبى وهو انت لان المبتدا غير معمول للخبر (قوله لئن لم تنته الخ) قابل التعطف واللطافة فى الخطاب بالفظاظة والغلظة فناداه باسمه وصدر كلامه بالانكار وهدده بقوله لئن لم تنته لارجمنك * وكل اناء بالذى فيه ينضح * (قوله بالحجارة) اى حتى تموت او تخلى سبيلى (قوله او بالكلام القبيح) أى الشتم

يتحسر فيه المسيء على ترك الاحسان فى الدنيا (اذ قضى الامر) لهم فيه بالعذاب (وهم) فى الدنيا (فى غفلة) عنه (وهم لا يؤمنون) به (انا نحن) تاكيد (نرث الارض ومن عليها) من العقلاء وغيرهم باهلاكهم (والينا يرجعون) فيه للجزاء (واذكر) لهم (فى الكتاب ابراهيم) اى خبره (انه كان صديقا) مبالغا فى الصدق (نبيا) و يبدل من خبره (اذ قال لابيه) آزر (يا ابت) التاء عوض عن ياء الاضافة ولا يجمع بينهما وكان يعبد الاصنام (لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك) لا يكفيك (شيا) من نفع او ضر (يا ابت انى قد جاءنى من العلم مالم ياتك فاتبعنى اهدك صراطا) طريقا (سويا) مستقيما (يا ابت لا تعبد الشيطان) بطاعتك اياه فى عبادة الاصنام (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) كثير العصيان (يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن) ان لم تتب (فتكون للشيطان وليا) ناصرا وقرينا فى النار (قال اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم) فتعيبها (لئن لم تنته) عن التعرض لها (لارجمنك) بالحجارة او بالكلام القبيح

من حفي اي بارا فيجيب دعائي وقد وفى بوعده المذكور في الشعراء واغفر لابي وهذا قبل ان يتبين له انه عدو لله كما ذكره في براءة (واعتزلكم وما تدعون) تعبدون (من دون الله وأدعو) أعبد (ربي عسى ان لا أكون بدعاء ربي) بعبادته (شقيا) كما شقيتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بان ذهب الى الارض المقدسة (وهبنا له ابنين يا نس بهما (اسحق و يعقوب وكلا) منهما (جعلنا نبيا ووهبنا لهم) للثلاثة (من رحمتنا) اي المال والولد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) رفيعا هو الثناء الحسن في جميع أهل الاديان (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وخلصه الله من الدنس (وكان رسولا نبيا وناديناه) بقول يا موسى اني أنا الله (من جانب الطور) اسم جبل (الايمن) اى الذى يلى يمين موسي حين أقبل من مدين (وقربناه نجيا) مناجيا بان اسمعه الله تعالى كلامه (و وهبنا له من رحمتنا) نعمتنا (أخاه هرون) بدل او عطف بيان (نبيا) حال هي المقصودة بالهبة اجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه وكان أسن منه (واذكر في الكتاب اسمعيل انه وكفاه

والدم (قوله فاحذرني) قدره اشارة الى ان قوله واهجرني معطوف على محذوف ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه فان جملة اهجرني انشائية وجملة لئن لم تنته الخ خبرية ولا يصح عطف الانشاء على الخبر (قوله مليا) اما منصوب على الظرفية واليه يشير المفسر بقوله دهرا طويلا أو على الحال من فاعل اهجرني أي اعتزلني سالما لا يصيبك مني مضرة (قوله أي لا أصيبك بمكروه) اى فهو سلام متاركة ومقاطعة (قوله ساستغفر لك ربي) اى أطلب غفرانه لك المترتب على هدايتك واسلامك (قوله حفيا) اى مبالغا في اكرامي واللطف بي والاعتناء بشاني و يطلق الحفي على المستقصي في السؤال ومنه قوله تعالى كانك حفي عنها (قوله وهذا قبل ان يتبين له انه عدو لله) هذا جواب عما يقال كيف يجوز الاستغفار للكفار فاجاب بانه استغفر له قبل علمه انه عدو لله فلما علم ذلك تبرأ منه و بهذا تعلم انه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر ان قصد بها هدايته واسلامه فان قطع بكفره فلا يجوز (قوله واعتزلكم) اى أرتحل من أرضكم و بلادكم وقد فعل ذلك (قوله بان ذهب) اى من بابل العراق الى الارض المقدسة (قوله يا نس بهما) استفيد منه انه رأى يعقوب وهو كذلك لما تقدم انه بشر باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقد عاش ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة و بينه و بين آدم ألفا سنة و بينه و بين نوح ألف سنة (قوله اسحق و يعقوب) خصهما لانه سيذكر اسمعيل بمزايا تخصه (قوله للثلاثة) اى ابراهيم وولديه (قوله المال والولد) اى فبسط لهم الدنيا ووسع لهم الارزاق وأكثرهم الاولاد فجميع الانبياء الذين جاؤا بعده من ذريته (قوله في جميع اهل الاديان) اى فكل أهل دين يترضون عن ابراهيم واسحق و يعقوب و يذكرونهم بخير الى يوم القيامة (قوله واذكر في الكتاب موسي) معطوف على قوله واذكر في الكتاب مريم عطف قصة على قصة والحاصل ان الله تعالى ذكر في هذه السورة أسماء عشرة من الانبياء زكريا و يحيي وعيسى وابراهيم واسحق و يعقوب واسمعيل وموسي وهرون وادريس وذكر لكل اوصافا ومناقب يجب الايمان بها تنبيها على عظيم شانهم وتعليما للامة المحمدية ليقتدوا بهم وكذا يقال في جميع قصص الانبياء المذكورة في القرآن (قوله بكسر اللام وفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من اخلص في عبادته) اى لم يلتفت لغير مولاه وهذا راجع لقراءة الكسر (قوله واخلصه الله) اى صفاه ونقاه وهو راجع لقراءة الفتح فيكون لفا ونشرا مرتبا فموسى عليه السلام صفاه مولاه واختاره لخدمته ومحبته فتسبب عن ذلك اخلاصه في عبادته (قوله وكان رسولا نبيا) اى ثبت واستقر أزلا في علمنا نبوته ورسالته والا فرسالته في الخارج حين المناداة (قوله بقوله يا موسى) اى في سورة القصص في قوله تعالى فلما قضى موسي الاجل وسار باهله الآيات (قوله اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر (قوله الذى يلى يمين موسي) هذا صريح في ان المراد به الطور الذى عند بيت المقدس لا الطور الذى عند السويس لانه على يسار المتوجه من مدين الى مصر كما هو مشاهد والايمن صفة للجانب بدليل تبعيته له في الاعراب في قوله تعالى وواعدناكم جانب الطور الايمن والمعنى انه سمع النداء في ذلك المكان بجميع أجزائه من كل جهة (قوله وقربناه) اى تقريب شرف ومكانة لا مكان (قوله من كل جهة) اى بكل جارحة (قوله بدل او عطف بيان) اى وأخاه مفعول به وقوله من رحمتنا اى من أجل رحمتنا (قوله هي المقصودة بالهبة) جواب عما يقال ما معنى هبته له مع كونه اسن منه والموهوب يكون متاخرا عن الموهوب له فاجاب بان المراد جعله نبيا يعينه و يشد عضده (قوله اجابة لسؤاله) تعليل لقوله وهبنا حيث قال واجعل لي وزيرا من أهلي (قوله وكان اسن منه) اى بسنة وقيل باربع سنين (قوله اسمعيل) اى ابن ابراهيم وكان من هاجر جارية سارة التي وهبتها له فلما ولدت له اسمعيل نقلها الى الحجاز قبل بناء البيت فتزوجها اسمعيل بن جرهم عرب من اليمن فزوجوه فلما كبر أرسله الله اليهم كما قال المفسر ثم تناسلت منه العرب الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكفاه بهذا فخرا ولما كان اعظم مزية من اولاد ابراهيم افرده بالذكر والثناء (قوله صادق الوعد) خص بهذا الوصف وان كان موجودا فى غيره من الانبياء لانه المشهور بين خصاله (قوله وانتظر من وعده) اى شخصا وعده اسمعيل وكان عليه ابراز الضمير لان الصلة جرت على غير من هى له والمعنى ان اسمعيل وعد شخصا ان ينتظره فى مكان ليذهب الرجل ويأتى له فمكث ثلاثة ايام أو حولا (قوله وكان رسولا) اى بشريعة ابيه (قوله قلبت الواو ان الخ) اى فوقعت الواو الثانية متطرفة قلبت ياء فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء وهذا الوصف جامع لكل خير لان من كانت افعاله مرضية لربه لا يصدر عنه الا كل بر واحسان ولا شك ان الانبياء كذلك لان الله اعلم حيث يجعل رسالته (قوله ادريس) هذا القبه واسمه اخنوخ بن شيث بن آدم ولقب بذلك لانه اول من درس الكتب لان الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة قيل هى التى نزلت على ابيه وقيل غيرها وهو اول من خط بالقلم وخاط الثياب واتخذ السلاح وقاتل الكفار ونظر فى علم النجوم والحساب (قوله هو جد أبى نوح) اى لان نوحا ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم ابن متوشالخ بن ادريس (قوله ورفعناه مكانا عليا) اختلف المفسرون فى المكان العلى فقيل المراد به المكان المعنوى وهو الرفعة وعلو المنزلة وقيل المراد به المكان الحسي وعليه فقيل هو السماء الرابعة وقيل الجنة واختلفوا فى سبب رفعه فقيل انه كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع اهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه فى زيارته فاذن له فاتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فابى ان ياكل معه ففعل ثلاث ليال فذكره ادريس وقال له فى الليلة الثالثة انى اريد ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استاذنت ربى ان اصحبك فقال ادريس لى اليك حاجة قال ماهى قال تقبض روحى فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبضها وردها اليه فى ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق الموت وغمته فاكون اشد استعدادا ثم قال له ادريس ان لى اليك حاجة قال وماهى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا حتى يفتح ابوابها ففعل فقال له كما أرأيتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح فتح أبوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق شجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين ولست اخرج فاوحى الله الى ملك الموت باذنى دخل الجنة وبامرى لا يخرج منها فهو حى هناك وقيل سببه انه نام ذات يوم فاشتد عليه حر الشمس فقال اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه فانه يمارس لنا راحاميية فاصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسى من نور عنده سبعون الف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يارب من اين لى هذا قال دعا لك رجل من بنى آدم يقال له ادريس فقال يارب اجعل بينى وبينه خلة فاذن له فى ذلك فصار يتردد على ادريس فقال له انك اكرم الملائكة عند ملك الموت فاشفع لى عنده ليؤخر اجلى فازداد عبادة وشكرا فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها فرفعه فى مكانه ثم أتى ملك الموت فقال له لى صديق من بنى آدم يتشفع بى اليك ليؤخر اجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان احببت اعلمته متى يموت فيقدم لنفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى انسان يموت الساعة عند مطلع الشمس قال انى أتيتك وتركته هناك فانطلق فوجده قد مات ثم احياه الله فهو يرفع فى الجنة تارة ويعبد الله مع الملائكة فى السماء الرابعة تارة اخرى قال العلماء أربعة من الانبياء احياء اثنان فى الارض

كان صادق الوعد) لم يعد شيا الا وفى به وانتظر من وعده ثلاثة ايام او حولا حتى رجع اليه فى مكانه (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا وكان يامر اهله) اى قومه (بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) اصله مرضو وقلبت الواو ان ياء بين والضمة كسرة (واذكر فى الكتاب ادريس) هو جد أبى نوح (انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) هو حى فى السماء الرابعة أو السادسة او السابعة او فى الجنة أدخلها بعد ان اذاق الموت واحيى ولم يخرج منها

(اولئك) مبتدا (الذين انعم الله عليهم) صفة له (من النبيين) بيان له وهو فى معنى الصفة وما بعده الى جملة الشرط صفة للنبيين فقوله (من ذرية آدم) اى ادريس (وممن حملنا مع نوح) فى السفينة اى ابراهيم ابن ابنه سام (ومن ذرية ابراهيم) اى اسمعيل

واسحق و يعقوب (و) من ذرية (اسرائيل) وهو يعقوب أى موسى وهرون وزكريا و يحيى وعيسى (وممن هدينا واجتبينا) اى من جملتهم وخبر اولئك (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا و بكيا) جمع ساجد و باك اى فكونوا مثلهم واصل بكى بكوى قلبت الواو ياء والضمة كسرة (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة) بتركها كاليهود والنصارى (واتبعوا الشهوات) من المعاصي (فسوف يلقون غيا) هو وادى جهنم اى يقعون فيه (الا) لكن (من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون) ينقصون (شيا) من ثوابهم (جنات عدن) اقامة بدل من الجنة (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) حال اى غائبين عنها (أنه كان وعده) اى موعده (ماتيا) بمعنى آتيا واصله ماتوى اوموعوده هنا الجنة ياتيه أهله (لا يسمعون فيها لغوا) من الكلام (الا) لكن يسمعون (سلاما) من الملائكة عليهم اومن بعضهم على بعض (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)

وهما الخضر والياس واثنان فى السماء وهما عيسى وادريس (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على الانبياء المذكورين فى هذه السورة وهم عشرة أولهم زكريا وآخرهم ادريس كما تقدم (قوله صفة له) اى لاسم الاشارة اى أولئك الموصوفون بانعام الله عليهم وذلك ان الله لما وصف كلا من الانبياء باوصاف تخصه اولا ذكرثانيا لهم صفة تعمهم (قوله بيان لهم) اى للمنعم عليهم (قوله اى ادريس) تفسير للذرية اى ان ادريس من ذرية آدم لانه تقدم انه ابن شيث بن آدم (قوله وممن حملنا) اى ومن ذرية من حملنا (قوله اى ابراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح لان من حمل معه أولاده الثلاثة وابراهيم من ذرية احدهم وهو سام لكن بوسايط فان بين ابراهيم ونوح عشرة قرون (قوله وعيسى) أى فاولاد البنات من الذرية والحاصل ان من ذرية آدم لصلبه ادريس ومن ذرية نوح بوسايط ابراهيم ومن ذريته اسمعيل واسحق و يعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهرون ويحيى وعيسى (قوله وممن هدينا) عطف على من ذرية آدم زيادة فى تمجيدهم (قوله خروا سجدا و بكيا) اى ان الانبياء اذا سمعوا آيات الله التى خصهم بها من الكتب المنزلة عليهم سجدوا و بكوا خضوعا وخشوعا (قوله و باك) اى على غير قياس وقياسه بكاة كقاض وقضاة (قوله فكونوا مثلهم) اى فى السجود والخشوع والخضوع والبكاء عند تلاوة القرآن كما فى الحديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا (قوله فخلف من بعدهم) اى وجد من بعد النبيين (قوله خلف) هو بالسكون فى الشر و بالفتح فى الخير يقال خلف سوء وخلف صدق (قوله هو واد فى جهنم) أى تستعيذ من حره أوديتها (قوله الا من تاب) قدر المفسر لكن اشارة الى ان الاستثناء منقطع لان المستثنى المؤمنون والمستثنى منه الكفار (قوله بدل من الجنة) قال بعضهم انه بدل كل من بعض لان الجنة بعض الجنات ورد بان أل فى الجنة جنسية فهو بدل كل من كل (قوله اى غائبين عنها) أى غير مشاهدين لها الان الوعد حاصل فى الدنيا ومن فيها لا يشاهد الجنة (قوله اى موعوده) اى الذى وعد به من الجنة وغيرها (قوله بمعنى آتيا) اى فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله أوموعوده الخ) اشار لتفسير آخر وعليه فاسم المفعول باق على ما هو عليه وحينئذ فيكون المراد بالموعود خصوص الجنة (قوله لغوا) هو الكلام الزائد المستغنى عنه (قوله لكن يسمعون سلاما) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع لان السلام ليس من جنس اللغو (قوله وليس فى الجنة نهار ولا ليل) أى وانما يعرفون الليل بارخاء الحجب وغلق الابواب والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روى وليس معرفة الليل للاستراحة فيه والنوم اذ لا نوم ولا تعب فيها بل ذلك على عادة الملوك فى الدنيا من تهيئة تحف فى الصباح والمساء ليتم نظامهم (قوله تلك الجنة) اسم الاشارة عائد على الجنة فى قوله فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا وأتى باسم الاشارة البعيد اشارة لعلو رتبتها ورفيع منزلتها (قوله نورث من عبادنا) عبر بالميراث اشارة الى انهم يعطونها عطاء لا يرد ولا يبطل كالميراث (قوله من كان تقيا) اى سعيدا وهو من مات على كلمة الاخلاص ولو مصرا على الكبائر فانه للجنة وان ادخل النار وعذب فيها بقدر جرمه لان الجنة جعلت مسكنا للموحدين والنار جعلت مسكنا للمشركين ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى فى سورة فاطر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الى ان قال جنات عدن يدخلونها وقوله صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة وان زنى وان سرق وان شرب الخمر ولكن الجنة مراتب ودرجات على حسب التفاوت فى الاعمال الصالحة

(قوله اى على قدرهما فى الدنيا وليس فى الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا (تلك الجنة التى نورث) نعطى وننزل (من عبادنا من كان تقيا)

بطاعته ونزل لما تاخر الوحي اياما وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا (وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا) اى امامنا من امور الآخرة (وما خلفنا) من امور الدنيا (وما بين ذلك) اى ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة اى له علم ذلك جميعه (وما كان ربك نسيا) بمعنى ناسيا اى تاركا لك بتاخير الوحي عنك هو (رب) مالك (السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته) اى اصبر عليها (هل تعلم له سميا) اى مسمى بذلك لا (ويقول الانسان) المنكر للبعث ابي بن خلف او الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (أئذا) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وادخال الف بينها بوجهيها وبين الاخرى (مامت لسوف أخرج حيا) من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي اى لا احيا بعد الموت وما زائدة للتاكيد وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى (اولا يذكر الانسان) اصله يتذكر ابدلت التاء ذالا وادغمت في الذال وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) فيستدل بالابتداء على الاعادة (فوربك لنحشرنهم) اى المنكرين للبعث (والشياطين) اى نجمع كلا منهم وشيطانه في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم) من خارجها (جثيا)

(قوله بطاعته) اى ولو بمجرد الاسلام (قوله ونزل لما تاخر الوحي) اى حين ساله اليهود عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فتاخر الوحي حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد اربعين يوما وقيل خمسة عشر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطات علي حتى ساءني واشتقت اليك فقال له جبريل انى كنت اشوق ولكني عبد مامورا اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست (قوله اكثر مما تزورنا) هذا عتاب من رسول الله لجبريل كانه قال له ان شوقي اليك في ازدياد فكان الرجاء فيك الزيارة لا الهجر (قوله وما نتنزل الا بامر ربك) هذا على لسان جبريل امره الله تعالى بذلك اعتذارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابا لسؤاله المذكور والتنزل النزول شيئا فشيئا (قوله من امور الآخرة) بيان لما ويصح ان يحمل قوله ما بين ايدينا على ما ياتي وقوله وما خلفنا على ما سبق وقوله وما بين ذلك على الحالة الراهنة (قوله له علم ذلك جميعه) اى تفصيلا واما علم بعضه اجمالا فيكون لبعض الحوادث كالانبياء والاولياء بالهام من الله تعالى ومع ذلك فيكتمونه ولا يفشون منه الا ما اذن لهم فيه اذا علمت ذلك فلا تشدق بالتجري على المغيبات من الضلال المبين لانه لو استند لقواعد فهي كاذبة ولو صادفت الحق بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم كذب المنجمون ولو صدقوا وان استند لكشف فصاحبه لا يطلع الا على بعض جزئيات ومع ذلك هو مامور بكتمها الا ان الله قال لنبيه على لسان جبريل له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك فكيف بغيره من آحاد الخلق (قوله اى تاركا لك) اى ان عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تركا لك وهجرانا وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى (قوله هو) قدره اشارة الى ان رب خبر لمحذوف (قوله فاعبده) اى دم على عبادته ولا تحزن بابطاء الوحي واستهزاء الكفرة (قوله اى مسمى بذلك) اى بلفظ الجلالة او برب السموات والارض وقيل معنى سميا مثلا يستحق ان يسمى الها واحدا يسمى بالله فان المشركين وان سموا الصنم الهالم يسموه الله قط لظهور احديته وانه رب السموات والارض وما بينهما قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقد ورد ان امرأة سمت ولدها الله فنزلت عليه نارا فاحرقته (قوله المنكر للبعث) اشار بذلك الى ان المراد بالانسان خصوص الكافر المنكر للبعث (قوله او الوليد) او لتنويع الخلاف في المراد بالانسان الذي قال تلك المقالة وفي الحقيقة كل من الشخصين قد قالها (قوله ائذا) منصوبة بقوله اخرج حيا ولا يقال ان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لان ذاك في لام الابتداء واما هذه فهي زائدة كما قال المفسر (قوله وادخال الف بينها) اى الثانية وقوله وبين الاخرى اى الاولى وكان المناسب ان يقول وتركه فتكون القراآت اربعا وهي سبعيات (قوله أولا يذكر) الاستفهام للتوبيخ (قوله وفي قراءة) اى وهي سبعية ايضا (قوله من قبل) اى من قبل بعثه (قوله فيستدل بالابتداء على الاعادة) اى لانها اهون قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه (قوله فوربك) اضاف اسمه تعالى اليه صلى الله عليه وسلم تشريفا وتعظيما (قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا) اى وهو الموقف (قوله واصله جثوو) اى بواوين قلبت الثانية ياء لتطرفها فاجتمعت مع الواو الساكنة قلبت الواو ياء وادغمت في الياء (قوله اوجثوى) اى بياء بعد الواو قلبت الواو ياء وادغمت في الياء وعلى كل كسرت التاء لتصح الياء (قوله ثم لننزعن من كل شيعة) اى من كل امة (قوله ايهم) موصولة بمعنى الذي بنيت على الضم لاضافتها وحذف صدر صلتها وقوله اشد خبر لمحذوف والجملة صلتها وهي وصلتها في محل نصب مفعول لننزعن وعتيا تمييز محول عن المبتدا المحذوف

على الركب جمع جاث واصله جثوو او جثوى من جثا يجثوا ويجثى لغتان (ثم لننزعن من كل شيعة) فرقة منهم (ايهم اشد على الرحمن عتيا) جراءة (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها) احق بجهنم الاشد وغيره منهم

(صليا) دخولا واحتراقا فنبدأ بهم وأصله صلوى من صلى بكسر اللام وفتحها (وان) اى ما (منكم) أحد (الا واردها)

اى داخل جهنم (كان على ربك حتما مقضيا) حتمه وقضى به لا يتركه (ثم ننجى) مشددا ومخففا (الذين اتقوا) الشرك والكفر منهما (ونذر الظالمين) بالشرك والكفر (فيها جثيا) على الركب (واذا تتلى عليهم) اى المؤمنين والكافرين (آياتنا) من القرآن (بينات) واضحات حال (قال الذين كفروا للذين آمنوا) اى الفريقين (نحن واتم (خير مقاما) منزلا ومسكنا بالفتح من قام وبالضم من اقام (واحسن نديا) بمعنى النادى وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه معنون نحن فنكون خيرا منكم قال تعالى (وكم) اى كثيرا (اهلكنا قبلهم من قرن) اى امة من الامم الماضية (هم احسن أثاثا) مالا ومتاعا (ورئيا) منظرا من الرؤية فكما اهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء (قل من كان فى الضلالة) شرط جوابه (فليمدد) بمعنى الخبر أى يمد (له الرحمن مدا) فى الدنيا يستدرجه (حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب) كالقتل والاسر (واما الساعة) المشتملة على جهنم فيدخلونها (فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا) اعوانا أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجندا لمؤمنين عليهم الملائكة

اى عتوه أشد والمعنى انه يميز طوائف الكفار فيطرح الاعتى فالاعتى على الترتيب لان عذاب الضال المضل يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد (قوله صليا) بضم الصاد وكسرها قراءتان سبعيتان جمع صال كجثيا جمع جات (قوله فنبدأ بهم) اى بالذين هم أولى بها (قوله من صلى بكسر اللام) اى كرضي وقوله وفتحها اى كرمى (قوله وان منكم الا واردها) اى مسلما أو كافرا والحاصل انه اختلف المفسرون فى المراد بالورود فقيل الدخول وقيل الحضور معها فى الموقف والذى عول عليه الاشياخ ان المراد به المرور على الصراط وهو على ظهرها احد من السيف وارق من الشعرة ويتسع للمؤمن بقدر عمله ومن هنا تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفا نورك لهبي وهم فى المرور مختلفون لما فى الحديث يرد الناس النار ثم يصدرون عنها باعمالهم فاولهم كلمح البصر ثم كالريح ثم كعدو الفرس ثم كالراكب الجد ثم كشد الرجل فى مشيه (قوله اى داخل جهنم) اى وتكون على المؤمنين ولوما تواعصاة غير من تحقق فيهم الوعيد بردا وسلاما لدخولهم فيها وهى خامدة فلا يشعرون بها (قوله كان) اى الورود (قوله حتما مقضيا) اى بمقتضي حكمته لا يجاب عليه (قوله ثم ننجى الذين اتقوا) اى نخرجهم منها من غير ان يمسهم عذابها وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد او بعد العذاب ومن هو نفذ فيهم الوعيد (قوله ونذر الظالمين) اى نتركهم فيها على سبيل الخلود وقوله جثيا حال من الظالمين (قوله واذا تتلى عليهم الخ) اى حين نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آيات القرآن وتلاها على المؤمنين والكافرين وعجزوا عن معارضتها اخذا غنياء الكفار فى الافتخار على فقراء المؤمنين بما لهم من حظوظ الدنيا حيث قالوا لهم انظروا الى منازلنا فتروها احسن من منازلكم والى مجالسنا فتروها احسن من مجالسكم نجلس فى صدر المجلس وتجلسون فى طرفه الحقير فاذا كان ذلك لنا فى الدنيا فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لاكرمكم كما اكرمنا وقصدهم بذلك فتنة فقراء المؤمنين بزينة الدنيا قال تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (قوله قال الذين كفروا) اى اغنياؤهم (قوله للذين آمنوا) اى الفقراء منهم (قوله نحن واتم) بيان للفريقين (قوله بالفتح وبالضم) اى فيهما قراءتان سبعيتان فالفتح على انه من قام ثلاثيا والضم على انه من اقام رباعيا وكل يحتمل ان يكون اسم مكان او اسم مصدر (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم (قوله هم احسن) مبتدأ وخبر والجملة صفة لقرن وانا ثاثا ورئيا تميزان (قوله ورئيا) اى مرئيا كالذبح بمعنى المذبوح وقوله منظرا أى هيئة وصورة (قوله قل) اى للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين (قوله فى الضلالة) اى الكفر والغفلة عن عواقب الامور (قوله بمعنى الخبر) اى واتى به على صورة الامر اعلاما بانه يحصل ولا بد بمقتضي حكمته كانه الزم نفسه بذلك (قوله اى يمد له الرحمن) انما ذكر الرحمن اشارة الى ان رحمته سبقت غضبه (قوله يستدرجه) اى بان يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه (قوله حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية فى قوله فليمدد له الرحمن (قوله واما الساعة) اما حرف تفصيل وهى مانعة خلو تجوز الجمع والعذاب والساعة بدلان من ما والمعنى يستمرون فى الطغيان الى ان يعلموا اذا رأوا العذاب او الساعة من هو شر مكانا وأضعف جندا (قوله فسيعلمون) جواب اذا وقوله من هو شر مكانا راجع لقوله خير مقاما وقوله وأضعف جندا راجع لقوله واحسن نديا على طريق اللف والنشر المرتب (قوله أهم ام المؤمنون) اشار بذلك الى ان من استفهامية ويصح كونها موصولة مفعول يعلمون (قوله عليهم) متعلق بجند لتضمينه معنى المعاونين وذلك كما وقع لهم فى بدر فالكفار كان جندهم ابليس واعوانه جاؤا اليهم ليعينوهم ثم انخذلوا عنهم والمؤمنون كان جندهم الملائكة التى قاتلت معهم كما

تقدم فى الانفال وآل عمران (قوله ويزيد الله) هذه الجملة مستانفة او معطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول كانه قال قل لهم من كان فى الضلالة الخ وقل لهم نزيد الله الذين اهتدوا الخ (قوله بما ينزل عليهم من الآيات) أى فكلما نزلت عليهم آية من القرآن ازدادوا بها هدى وايمانا قال تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا (قوله هى الطاعة) تقدم أن هذا أحد تفاسير فى الباقيات الصالحات وهو الاحسن (قوله خير عند ربك) اى من زينة الدنيا التى يتنعم بها الكفار (قوله بخلاف اعمال الكفار) اى فانها شر مردا لكونهم يردون الى جهنم فتحصل ان الاعمال كلها باقية لاصحابها فالمؤمنون تبقى لهم الاعمال الصالحة فيتنعمون بها فى الجنة والكفار تبقى لهم الاعمال السيئة فيعذبون بها فى النار فالعاقل يختار لنفسه اى العملين يبقى له (قوله والخيرية الخ) اى فافعل التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق فاندفع ما يقال ان اعمال الكفار لا خير فيها أصلا فكيف تصح المفاضلة (قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الاستفهام تعجبى أى تعجب يا محمد من مقالة هذا الكافر الشنيعة (قوله العاصى بن وائل) هو أبو سيدنا عمر والذى فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو والد عبد الله أحد العبادلة المشهور (قوله لخباب ابن الارت) هو بدرى من فقراء الصحابة وذلك ان خبابا كان صائغا فصاغ للعاصى حليا ثم طالبه باجرته فقال له لن أقضيك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لن اكفر به حتى تموت ثم تبعث قال وانى لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيك اذا رجعت الى مال وولد (قوله واستغنى بهمزة الاستفهام الخ) أى فاصله أأطلع حذفت همزة الوصل تخفيفا (قوله كلا) ذكر النحويون فى هذه اللفظة ستة مذاهب احسنها انها حرف ردع وزجر الثانى انها حرف تصديق بمعنى نعم الثالث انها بمعنى حق الرابع انها ترد لما قبلها الخامس انها صلة فى الكلام بمعنى أى السادس انها حرف استفتاح وذكرت فى القرآن فى ثلاثة وثلاثين موضعا وكلها فى النصف الثانى منه فى خمس عشرة سورة كلها مكية ترجع الى ثلاثة أقسام قسم يجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها فيبتدأ بها وذلك فى خمسة مواضع الاثنان فى هذه السورة واللتان فى الشعراء وواحدة فى سبا وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها او يتعين على ما قبلها وذلك فى تسعة مواضع واحدة فى المؤمنون وثنتان فى سال سائل والاولى والثالثة فى المدثر والاولى فى سورة القيامة والثانية فى سورة ويل للمطففين والاولى فى سورة الفجر والتى فى سورة ويل لكل وقسم لا يجوز الوقف عليها باتفاق وهو التسع عشرة الباقية (قوله سنكتب ما يقول) أى نظهره له ونعلمه انا كتبناه فاندفع ما يقال ان الكتابة لا تتاخر عن القول قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (قوله تزيد بذلك عذابا الخ) أى لما تقدم ان كل من كان اشد كفرا كان أعظم عذابا (قوله ونرثه ما يقول) أى نسلبه ونأخذه منه بان يخرج من الدنيا خاليا من ذلك (قوله فردا) اى منقطعا عن ماله وولده بالكلية فلا يلقى مالا ولا ولدا أصلا فى البعث ولا فى النار لانقطاع الاسباب بينهم وبين اولادهم بل وبين ما يشتهون كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واما المؤمنون وان كانوا يبعثون فرادى الا انهم يلاقون أحبابهم واولادهم وما يشتهونه (قوله واتخذوا) حكاية عما وقع من الكفار عموما (قوله الاوثان) هو مفعول اول وآلهة مفعول ثان (قوله سيكفرون الخ) فى معنى التعليل (قوله ضدا) اى اضدادا وانما افرده اما لكونه مصدرا فى الاصل اولانه مفرد فى معنى الجمع (قوله على الكافرين) اى واما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (قوله تهيجهم الى المعاصى) اى تغريهم بتزيين الشهوات لهم (قوله ازا) مفعول مطلق لتؤزهم والازيطلق على الغليان وعلى الحركة الشديدة وعلى التهيج والازعاج وهو المراد هنا (قوله فلا تعجل عليهم) أى لتستريح انت والمؤمنون من شرهم وتطهر الارض من فسادهم لان لهم اياما محصورة وانفاسا

(خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أى ما يرد اليه ويرجع بخلاف اعمال الكفار والخيرية هنا فى مقابلة قولهم أى الفريقين خير مقاما (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) العاصى بن وائل (وقال) لخباب بن الارت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال (لاوتين) على تقدير البعث (مالا وولدا) فاقضيك قال تعالى (اطلع الغيب) أى أعلمه وان يؤتى ما قاله واستغنى بهمزة الاستفهام عن همز الوصل فحذفت (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) بان يؤتى ما قاله (كلا) أى لا يؤتى ذلك (سنكتب) نامر بكتب (ما يقول ونمد له من العذاب مدا) نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره (ونرثه ما يقول) من المال والولد (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا مال له ولا ولد (واتخذوا) أى كفار مكة (من دون الله) الاوثان (آلهة) يعبدونهم (ليكونوا لهم عزا) شفعاء عند الله بان لا يعذبوا (كلا) أى لا مانع من عذابهم (سيكفرون) أى الآلهة (بعبادتهم) أى ينفقونها كما فى آية أخرى ما كانوا ايانا يعبدون (ويكونون عليهم ضدا)

اعوانا واعداء (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين) سلطناهم (على الكافرين تؤزهم) تهيجهم الى المعاصى (ازا فلا تعجل عليهم) بطلب العذاب

معدودة يعيشونها ثم يردون الى العذاب (قوله انما نعد لهم عدا) اى نضبط مايقع منهم ولا نهمل منه شيا ليؤاخذوا به (قوله أوالانفاس) تفسيران (قوله الى وقت عذابهم) اى وهو موتهم لان بموتهم تصير قبورهم حفرة من حفر النار فيعذبون فيها الى قيام الساعة فيقذفون فى النار (قوله يوم نحشر) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر أى اذكر يا محمد لقومك هذا اليوم العظيم فانه يوم الفصل بين اهل الجنة وأهل النار (قوله بمعنى راكب) هذا المعنى ليس ماخوذا من معنى الوفد لان الوفد فى اللغة الجماعة الذين يقدمون على الملوك للعطايا من غير تقييد بركوب بل هو ماخوذ من قرينة مدح المتقى لما ورد انهم يحشرون ركبانا على نجائب سرجها من ياقوت وعلى نوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد واختلف فى وقت ركوبهم فقيل من اول خروجهم من القبور وقيل من منصرفهم من الموقف وعلى كل فيستمرون راكبين حتى يقرعوا باب الجنة وجمع بانهم يركبون من أول خروجهم من القبور حتى باتوا الموقف ثم بعد انفضاض الموقف يركبون حتى يدخلوا الجنة وعن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد الى الله تعالى على خيل لا تروث ولا تبول لجمها من الياقوت الاحمر ومن الزبرجد الاخضر ومن الدر الابيض وسرجها السندس والاستبرق ومن كان يحب ركوب الابل فعلى نجائب لا تبعر ولا تبول أزمتها من الياقوت والزبرجد ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد و ياقوت قد أمنوا الغرق وأمنوا الاهوال وورد ايضا يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير (قوله بكفرهم) أشار بذلك الى ان المراد بالمجرمين الكفار (قوله وردا) اى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ومع ذلك يحملون اوزارهم على ظهورهم لما ورد ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله فى احسن صورة واطيب ريح فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك واتعبتك فى الدنيا اركبنى اليوم وان الكافر يستقبله عمله فى أقبح صورة وأنتنها ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك السيء طالما ركبتنى وأتعبتنى فى الدنيا وأنا اليوم أركبك قال تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (قوله لا يملكون) اى الخلق عموما مؤمنهم وكافرهم وقوله الشفاعة اى كونه يشفع لغيره أو يشفع غيره فيه (قوله الا من اتخذ) مستثنى من العموم المتقدم وهو متصل (قوله عند الرحمن) كرر لفظ الرحمن فى هذه السورة ست عشرة مرة اشارة الى ان رحمته غلبت غضبه (قوله اى شهادة ان لا اله الا الله) اى مع عدیلتها وهى محمد رسول الله (قوله ولا حول ولا قوة الا بالله) فى رواية والتبرى من الحول والقوة لله وعدم رجاء غيره (قوله ومن زعم أن الملائكة بنات الله) اى وهم مشركو العرب وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار اثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين (قوله قال تعالى) اى تقريعا وتوبيخا (قوله منكرا عظيما) اى فظيعا شديدا (قوله تكاد السموات الخ) هذا بيان لكون ذلك الشيء منكرا عظيما (قوله ينفطرن) اى يتفتتن ويتقطعن (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا وظاهر ان القراآت أربع وليس كذلك بل هى ثلاث فقط لان فى قراءة التاء من تكاد وجهين التاء والنون من يتفطرن وفى قراءة الياء وجها واحدا وهو التاء من يتفطرن والثلاث سبعيات (قوله وتنشق الارض) اى تنخسف بهم (قوله من أجل أن دعوا للرحمن ولدا) المعنى ان هذه المقالة منهم موجبة للغضب عليهم الذى ينشا عنه نزول السماء قطعا قطعا عليهم وخسف الارض بهم وسقوط الجبال عليهم لولا حلمه وسبق رحمته او المعنى ان هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفزع منها السموات والارض والجبال وتتمنى أنها لو أهلكت من تفوه بها لولا رحمة الله (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم (قوله وماينبغى للرحمن) اى لا يليق به ذلك ولا يتاتى لاستحالته عليه عقلا ونقلا لان الولد

(انما نعد لهم) الايام والليالى أو الانفاس (عدا) الى وقت عذابهم اذكر (يوم نحشر المتقين) بايمانهم (الى الرحمن وفدا) جمع وافد بمعنى راكب (ونسوق المجرمين) بكفرهم (الى جهنم وردا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان (لا يملكون) أى الناس (الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أى شهادة ان لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله (وقالوا) اى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتخذ الرحمن ولدا) قال تعالى لهم (لقد جئتم شيا ادا) اى منكرا عظيما (تكاد) بالتاء والياء (السموات ينفطرن) بالنون وفى قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق (منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) أى تنطبق عليهم من أجل (ان دعوا للرحمن ولدا) قال تعالى (وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا) اى مايليق به ذلك (ان) اى ما (كل من) فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزير وعيسى

علامة الضعف والحدوث (قوله لقد احصاهم) أى أحاط بهم علمه (قوله وعدهم عدا) اى عد اشخاصهم وانفاسهم وأفعالهم فلا يخفى عليه شئ من أمورهم (قوله مبلغ جميعهم) راجع لقوله وعدهم وقوله ولا واحد منهم راجع لقوله احصاهم فكأنه قال أحاط بهم علمه جمعا وفرادى (قوله فردا) أى منفردا (قوله سيجعل لهم الرحمن ودا) اى فى الدنيا والآخرة والتنوين للتعظيم اى ودا عظيما مكلما عظمت طاعاتهم عظم ودهم لربهم ولاحبا به وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة فان المحبة رأس الايمان وأساسه كما فى الحديث الا الايمان لمن لا محبة له فمن أعطى المحبة لله ولاحبا به فقد أعطى خير الدنيا والآخرة لان المحبة حكمة ايجاد الخلق كما فى الحديث القدسى فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فبي عرفونى و بالجملة فالمحبة أمرها عظيم ولذا كان تنافس العارفين فيها فكل من عظمت معرفته ازداد محبة وشغفا وعبر باداة الاستقبال لان المؤمنين كانوا بمكة فى مبدا الاسلام مفرقين فوعد الله رسوله بان يؤلف بين قلوب المؤمنين و يضع فيها المحبة فهذه الآية نزلت فى مبدا الاسلام تسلية له صلى الله عليه وسلم وودا بضم الواو للسبعة وقرئ بفتحها وكسرها فهو مثلث (قوله فانما يسرناه) أى انزلناه ميسرا (قوله العربى) أى فالمراد باللسان اللغة العربية (قوله جمع ألد) أى شديد الخصومة (قوله وكم أهلكنا الخ) تخويف لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله هل تحس) بضم التاء وكسر الحاء من أحس رباعيا والاستفهام انكارى كما اشار له بقوله لا وقرئ شذوذا بفتح التاء وضم الحاء أو كسرها (قوله منهم) حال من أحد لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا خفيا) اى والمعنى استاصلناهم بالهلاك جميعا حتى لا يرى منهم أحد ولا يسمع له صوت خفى

﴿سورة طه مكية﴾

أى كلها وقيل الا فاصبر على ما يقولون الآية وهذه السورة نزلت قبل اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت سببا فيه (قوله وأربعون الخ) أى فالخلاف فى سبع آيات أو خمس (قوله الله أعلم بمراده بذلك) اشار بذلك الى ان طه حروف مقطعة استاثر الله بعلمها وقيل ان طه اسم من اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم حذف منه حرف النداء وقيل انه فعل امر وأصله طاها والمعنى طا الارض بقدميك معا خوطب به لما كان يشدد على نفسه فى تهجده حيث كان يقوم الليل كله و يقف على احدى رجليه و يريح الاخرى من شدة التعب فامره الله بالتخفيف على نفسه فكان يصلى و ينام و يقوم على رجليه معا (قوله من طول قيامك) بيان لما وقيل ان معنى لتشقى لتتعب نفسك بتاسفك على كفر من كفر فانما عليك البلاغ فارح نفسك من هذا التعب فانا انزلنا القرآن لمن يذكر و يخشى وقيل انه رد وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن أنزل عليك لتشقى به (قوله لكن) أشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع لان التذكرة ليست من جنس الشقاء (قوله تذكرة) مفعول لاجله والتشقى كذلك وانما نصب الثانى دون الاول لان فاعل الذكرى والانزال هو الله بخلاف الاول (قوله لمن يخشي) اى لمن فى قلبه رقة يتاثر بالمواعظ (قوله بدل من اللفظ) أى عوض من التلفظ والنطق بفعله المقدر والاصل نزلناه تنزيلا بحذف الفعل وجوبا لنيابة المصدر عنه فى المعنى والعمل (قوله هو) قدره اشارة الى ان الرحمن خبر لمحذوف وحينئذ فيكون نعتا مقطوعا قصد به المدح (قوله سرير الملك) اى الذى يجلس عليه الملك قال تعالى فى حق بلقيس قال نكروا لها عرشها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى ومن ذلك جواب الامام مالك رضي الله عنه عن معنى الاستواء على العرش فى حقه تعالى حيث قال للسائل الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة اخرجوا عنى هذا المبتدع وأما الخلف وهم من بعد المائة الخمسمائة فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون ان المراد بالاستواء

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى (فانما يسرناه) أى القرآن (بلسانك) العربى (لتبشر به المتقين) الفائزين بالايمان (وتنذر) تخوف (به قوما لدا) جمع ألد أى جدل بالباطل وهم كفار مكة (وكم) أى كثيرا (اهلكنا قبلهم من قرن) أى أمة من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل (هل تحس) تجد (منهم من أحد او تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا الا فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

﴿سورة طه﴾

مكية مائة وخمس وثلاثون آية أو اربعون أو ثنتان (بسم الله الرحمن الرحيم طه) الله اعلم بمراده بذلك (ما انزلنا عليك القرآن) يا محمد (لتشقى) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أى خفف عن نفسك (الا) لكن أنزلناه (تذكرة) به (لمن يخشي) يخاف الله (تنزيلا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (ممن خلق الارض والسموات العلى) جمع عليا ككبرى وكبر هو (الرحمن على العرش) وهو فى اللغة سرير الملك (استوى) استواء يليق به (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما)

الاستيلاء بالتصرف والقهر فالاستواء له معنيان الركوب والجلوس والاستيلاء بالقهر والتصرف وكلا المعنيين وارد في اللغة يقال استوى السلطان على الكرسي بمعنى جلس واستوى على الاقطار بمعنى ملك وقهر ومن الثاني قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وحينئذ فالمتعين اطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثاني (قوله من المخلوقات) بيان للثلاثة (قوله هو التراب الندى) اى الذى فيه نداوة فان لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ثرى (قوله وان تجهر بالقول) المقصود منه النهى عن الجهر لغير امر شرعى كانه يقول ان الله غنى عن الجهر فلا تجهد نفسك به فالجهر بالذكر والدعاء والقراءة بقصد اسماع الله تعالى اما جهل او كفر واما لغرض آخر كارشاد العباد وحضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب (قوله فالله غنى الخ) قدره اشارة الى ان جواب الشرط محذوف وقوله فانه يعلم السر الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله واخفى) هو افعل تفضيل اى والذى هو اخفى من السر (قوله اى ما حدثت به النفس الخ) هذا أحد اقوال فى تفسير السر واخفى وقال ابن عباس السر ما اسره ابن آدم فى نفسه وأخفى ما اخفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فالله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلائق فى علمه كنفس واحدة (قوله فلا تجهد) بفتح التاء والهاء او ضم التاء وكسر الهاء من جهد واجهد اى لا تتعب نفسك بالجهر بقصد اسماع الله تعالى وهذا نهى له صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره (قوله والحسنى مؤنث الاحسن) اى فهى اسم تفضيل بوصف بها الواحد من المؤنث والجمع من المذكر الغير العاقل كما هنا (قوله وهل اتاك حديث موسى) الاستفهام للتشويق والتقرير فى ذهن السامع والجملة مستانفة خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان الله يقول له انا ارسلناك بالتوحيد ولا غرابة فى ذلك فانه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى حيث قيل له انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى وبه ختم موسى مقالته حيث قال انما الهكم الله الذى لا اله الا هو فالمقصود من الاستفهام تشويق السامع ليتلقى ما ذكر بتطلع والتفات وحضور قلب لا حقيقته فانه مستحيل عليه تعالى او ان هل بمعنى قد كما قال المفسر (قوله اذ رأى نارا) ظرف لحديث (قوله امرأته) اى وهى بنت شعيب واسمها صفورا وقيل صفور ياوقيل صفورة واسم اختها ليا وقيل شرفا وقيل عبدا واختلف فى التى تزوجها فقيل هى الصغرى وقيل الكبرى وتقدم ذلك (قوله امكثوا) انما اتى بجمع الذكور وان كان الخطاب لامرأته تعظيما او مراعاة لمن معها من الخدم والاولاد (قوله وذلك فى مسيره الخ) روى انه عليه السلام استاذن شعيبا عليه السلام فى الخروج الى امه واخيه بمصر فخرج باهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور الذى هو بفلسطين لانه هو الذى على يمين المتوجه من مدين وقيل هو الذى بين مصر وأيلة ورد بانه على يسار المتوجه من مدين الى مصر كما هو مشاهد وقد قال تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية باردة وكانت ليلة الجمعة وقد اخطا الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح زنده فلم يخرج نارا فبينما هو فى ذلك اذ رأى عن يسار الطريق من جانب الطور نارا فامر اهله بالمكث لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال فلما وصل الى تلك النار التى ابصرها خاطبه الله وارسله الى فرعون وخلف اهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من اهل مدين فعرفهم فحملهم الى شعيب فمكثوا عنده حتى جاوز موسى ببنى اسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب الى موسى بمصر (قوله انى آنست) من الايناس

من المخلوقات (وما تحت الثرى) هو التراب الندى والمراد الارضون السبع لانها تحته (وان تجهر بالقول) فى ذكر او دعاء فالله غنى عن الجهر به (فانه يعلم السر واخفى) منه اى ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به فلا تجهد نفسك بالجهر (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الواردبها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن (وهل قد (أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله) لامرأته (امكثوا) هنا وذلك فى مسيره من مدين طالبا مصر (انى آنست) ابصرت (نارا لعلى آتيكم منها بقبس) شعلة فى رأس فتيلة أو عود

وهو الابصار ومنه انسان العين لانه يبصر الاشياء (قوله أو أجد على النار هدى) او مانعة خلو تجوز الجمع وعلى بمعنى عند اى عند النار (قوله وكان اخطأها) اى لانه سار على غير الطريق مخافة من ملوك الشام (قوله لعدم الجزم بوفاء الوعد) لانه لا يدرى ما يفعل الله به (قوله فلما أتاها) اى النار التى آنسها (قوله وهى شجرة عوسج) هذا احد أقوال فيها وقيل عليق وقيل عناب (قوله نودى يا موسى انى انا ربك) هذا أول المكالمة بينه و بين الله تعالى وآخرها قوله فيما يأتى ان العذاب على من كذب وتولى وهذا بالنسبة لهذه الواقعة والا فله مكالمات أخر وسمع الكلام بكل أجزائه من جميع جهاته حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا (قوله فاخلع نعليك) اى تواضعا لله ومن ثم كان السلف يطوفون بالكعبة حفاة وقيل أمر بخلعهما لنجاستهما لانهما كانا من جلد حمار ميت لم يدبغ روي انه خلعهما وألقاهما خلف الوادى (قوله بالتنوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان (قوله وأنا اخترتك) اى للنبوة والرسالة وكان عمره اذ ذاك اربعين سنة كما سيأتى عند قوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى (قوله انني انا الله) بدل مما يوحى وهو اشارة للعقائد العقلية وقوله فاعبدنى اشارة للاعمال الفرعية وقوله ان الساعة آتية اشارة للعقائد السمعية فقد اشتمل ذلك على جملة الدين (قوله وأقم الصلاة) خصها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة العبادات لعظم شانها واحتوائها على الذكر وشغل القلب واللسان والجوارح فهى افضل اركان الدين بعد التوحيد (قوله لذكرى فيها) اى لتذكرنى فيها لانها مشتملة على كلامى وغيره من انواع الذكر (قوله ان الساعة آتية) اى حاصلة ولا بد وسميت ساعة لانها تاتى فى ساعة اى قطعة من الزمان (قوله اكاد أخفيها) اى اريد اخفاء وقتها والحكمة فى اخفاء وقتها واخفاء الموت ان الله تعالى حكم بعدم قبول التوبة عند قرب بها وفى الغرغرة فلو عرف الخلق وقتهما لاشتغلوا بالمعاصى الى قرب ذلك الوقت ثم يتوبون فيتخلصون من عقاب المعصية فتعريف وقتهما كالاغراء بفعل المعاصى (قوله بعلاماتها) اى امارتها واول العلامات الصغرى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرها ظهور المهدى (قوله لتجزى) اما متعلق باخفيها أو بآتية وقوله اكاد اخفيها جملة معترضة بين المتعلق والمتعلق (قوله بما تسعى) ما موصولة وجملة تسعى صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به وقوله من خير وشر بيان لما (قوله فلا يصدنك) الخطاب لموسى والمراد غيره والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة (قوله فتردى) منصوب بفتحة مقدرة على الالف بان مضمرة بعد فاء السببية فى جواب النهى (قوله وما تلك بيمينك يا موسى) اى بعد ان خلع عليه خلعة النبوة والرسالة بسط له الكلام ليزداد حبا وشغفا و يؤيده بالمعجزات الباهرة وما اسم استفهام مبتدأ وتلك اسم اشارة خبر وقوله بيمينك متعلق بمحذوف حال والعامل فيه معنى الاشارة وهذا احسن من جعل تلك اسما موصولا بمعنى التى وبيمينك صلتها لانه ليس مذهب البصريين (قوله الاستفهام للتقرير) اى فحكمة الاستفهام كون موسي يقرو يعترف بصفات تلك العصا فيمنحه فوق ما يعلم منها وليس المراد حقيقة الاستفهام الذى هو طلب الفهم فانه مستحيل عليه تعالى لعلمه بها (قوله قال هى عصاى) اى وكانت من آس الجنة نزل بها آدم منها ثم ورثها شعيب فلما زوجه ابنته أمرها ان تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الانبياء عنده فوقع فى يدها عصا آدم فاخذها موسي بعلم شعيب وانما زاد فى الجواب لان المقام مقام مباسطة وخطاب الحبيب ولا شك ان الزيادة فى الجواب فى هذا المقام مما يريح الفؤاد والا فكان يكفيه ان يقول هى عصاى (قوله عند الوثوب) اى النهوض للقيام (قوله وأهش) بضم الهاء من هش يهش بمعنى خبط الشجر ليسقط ورقه وأما هش يهش بكسر الهاء فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر والبشاشة (قوله ولى فيها مآرب اخرى)

(او أجد على النار هدى) اى هاديا يدلنى على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل وقال لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد (فلما اتاها) وهى شجرة عوسج (نودى يا موسى انى) بكسر الهمزة بتاويل نودى بقيل و بفتحها بتقدير الباء (انا) تاكيد لياء المتكلم (ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس) المطهر او المبارك (طوى) بدل او عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتانيث باعتبار البقعة مع العلمية (وانا اخترتك) من قومك (فاستمع لما يوحى) اليك منى (انني انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى) فيها (ان الساعة آتية اكاد اخفيها) عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها (لتجزى) فيها (كل نفس بما تسعى) به من خير او شر (فلا يصدنك) يصرفنك (عنها) اى عن الايمان بها (من لا يؤمن بها واتبع هواه) فى انكارها (فتردى) اى فتهلك ان انصددت عنها (وما تلك) كائنة (بيمينك يا موسى) الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها (قال هى عصاى اتوكأ) اعتمد (عليها) عند الوثوب والمشي (واهش) اخبط ورق الشجر (بها) ليسقط (على غنمى) فتاكله (ولى فيها مآرب) جمع ماربة مثلث الراء اى حوائج (اخرى)

أجمل فى هذا الجواب اما حياء من الله تعالى لطول الكلام أو اتكالا على علمه تعالى (قوله كحمل الزاد) أشار بالكاف الى أن لها منافع أخرى فكان يستقى بها الماء من البئر فيجعلها موضع الحبل وكل شعبة من شعبتيها تصير دلوا ممتلئا وكانت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له مايأكله يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصنين فصارت شجرة وأورقت وأثمرت وكانت شعبتاها تضيآن بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحاربه (قوله فالقاها) أى طرحها على الارض (قوله فاذا هى حية تسعى) عبر عنها بالحية وفى آية أخرى بثعبان وفى أخرى بانها كالجان ووجه الجمع ما أشار له المفسر بقوله تمشي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الخ * والحاصل أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعبانا عظيما وجانا باعتبار سرعة مشيها (قوله المسمى بالجان) أى وهو الثعبان الصغير وأما الجن فهو النوع المعروف (قوله قال خذها ولا تخف) انما حصل له الخوف لان صورتها هائلة فشعبتاها صارتا شدقين لها والمحجن عنقها وعيناها تتقدان نارا تمر بالشجرة العظيمة فتلتقمها وتقطع الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لانيابها صوت عظيم فظن انها سطوة من الله عليه فولى مدبرا ولم يعقب فلما قال الله له خذها ولا تخف تبين له أنها نعمة لا نقمة (قوله فادخل يده) أى مكشوفة وقيل كان عليه مدرعة صوف فلما قال له خذها لف كم المدرعة على يده فامره الله أن يكشف يده وقال أرأيت لو أذن الله لها اكانت المدرعة تغني عنك شيا قال لا ولكني ضعيف من الضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية (قوله وتبين) هو فعل ماض فاعله ضمير يعود على موسى أى علم (قوله أن موضع الخ) فى محل المفعول به (قوله موضع مسكها) أى الاتكاء عليها والمعنى أنه لما وضع يده فى فمها وانقلبت عصا ويده بحالها رأى محل يده هو ما بين الشعبتين فالشعبتان صارتا شدقين وصار ما تحتهما وهو محل مسكها بيده عنقالها (قوله وارى ذلك) أى بصر الله موسى قلبها حية فى ذلك الوقت لئلا يجزع الخ (قوله لدى فرعون) أى عنده (قوله بمعنى الكف) أى لا بمعنى حقيقتها وهى من الاصابع الى المنكب (قوله تحت العضد) بيان المراد من الجنب وقوله الى الابط أى من المرفق منتهيا الى الابط (قوله من الادمة) أى السمرة (قوله من غير سوء) متعلق بتخرج وهذا يسمى عند أهل البيان احتراسا وهو أن يؤتى بشئ يرفع توهم غير المراد لان البياض قد يراد به البرص والبهق (قوله تضئ كشعاع الشمس) أى فكان اذا ادخل يده اليمنى فى جيبه وادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها كان لها نور ساطع يضئ بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشتد ضوأ ثم اذا ردها الى جيبه صارت الى لونها الاول (قوله الآية الكبرى) قدره اشارة الى ان الكبرى صفة لمحذوف مفعول ثان لقوله نريك والكاف مفعول اول والكبرى اسم تفضيل والمعنى التى هى اكبر من غيرها حتى من العصا لانها لم تعارض اصلا واما العصا فقد عارضها السحرة (قوله اذهب الى فرعون) اى بهاتين الآيتين وهما العصا واليد روى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى فانك بعينى وسمعى وان معك يدى ونصرى وانى البسك جبة من سلطانى تستكمل بها القوة فى امرك ابعثك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وامن مكرى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وانكر ربوبيتى اقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا ليا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدى لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمى فسكت موسى سبعة ايام لا يتكلم ثم جاءه الملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب

كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام زاد فى الجواب بيان حاجاته بها (قال القها ياموسى فالقاها فاذا هى حية) ثعبان عظيم (تسعى) تمشي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان المعبر به فيها فى آية اخرى (قال خذها ولا تخف) منها (سنعيدها سيرتها) منصوب بنزع الخافض اى الى حالتها (الاولى) فادخل يده فى فمها فعادت عصا وتبين ان موضع الادخال موضع مسكها بين شعبتيها وارى ذلك السيد موسي لئلا يجزع اذا انقلبت حية لدى فرعون (واضمم يدك) اليمنى بمعنى الكف (الى جناحك) اى جنبك الايسر تحت العضد الى الابط واخرجها (تخرج) خلاف ما كانت عليه من الادمة (بيضاء من غير سوء) اى برص تضئ كشعاع الشمس تغشي البصر (آية اخرى) وهى و بيضاء حالان من ضمير تخرج (لنريك) بها اذا فعلت ذلك لاظهارها (من آياتنا) الآية (الكبرى) اى العظمى على رسالتك واذا اراد عودها الى حالتها الاولى ضمها الى جناحه كما تقدم واخرجها (اذهب) رسولا (الى فرعون) ومن معه (انه طغى) جاوز الحد فى كفره الى ادعاء الالهية (قال رب اشرح لى صدرى)

اشرح لى صدرى الخ (قوله وسعه لتحمل الرسالة) اى فانك كلفتنى بامر عظيم لا يقوى عليه الا من شرحت صدره وقويته (قوله واحلل عقدة من لسانى) اى لكنة حاصلة فيه وقد أجيب بحلها فعاد لفصاحته الاصلية وهذا هو الاحسن وقيل زال بعضها بدليل قوله هو أفصح منى لسانا وقول فرعون ولا يكاد يبين ورد بان معنى هو أفصح أنه لم يطر أعليه لكنة وقول فرعون باعتبار ما يعهده منه (قوله بجمرة وضعها الخ) اى وذلك ان موسى لاعبه فرعون ذات يوم فنتف لحيته ولطمه على وجهه فاغتم وهم بقتله فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم مثل هذا الغلام لا يفرق بين التمرة والجمرة فاتى له بطشت فيه تمر وقيل جوهر و بطشت فيه جمر فاراد ان ياخذ التمرة او الجوهر فاخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر فاخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق لسانه وصار فيه لكنة (قوله يفقهوا قولى) مجزوم فى جواب الدعاء (قوله وزيرا) من الوزر وهو الثقل سمى بذلك لانه يتحمل مشاق الملك و يعينه على أموره و يقوم بها (قوله مفعول ثان) اى والاول وزيرا والاحسن عكسه بان يجعل وزيرا مفعولا ثانيا مقدما وهرون مفعول أول مؤخر لان القاعدة اذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الاول هو المعرفة لان أصله المبتدأ والنكرة المفعول الثانى لان أصله الخبر ووزيرا نكرة وهرون معرفة بالعلمية (قوله والفعلان بصيغتى الامر والمضارع الخ) حاصل ما هنا ان القرا آت السبعية خمس اثنتان عند الوقف على ياء أخى وهما قراءة الفعلين بصيغتى الامر فتضم الهمزة فى الاول وتفتح فى الثانى والمضارع فتفتح فى الاول وتضم فى الثانى وثلاثة عند وصل أخى بما بعده وهى ان تسكن الياء ممدودة قدرا لفين مع قراءة الفعلين بالمضارع او تفتحها والفعلان بالامر أو تحذفها وهما بالامر أيضا (قوله وهو جواب الطلب) اى وهو اجعل لى (قوله كى نسبحك كثيرا) تعليل لكل من الافعال الثلاثة التى هى اجعل واشدد وأشرك (قوله قال قد اوتيت) اى جوابا لمطلوباته وقوله سؤلك اى مسؤلك ففعل بمعنى مفعول كاكل وخبز بمعنى ماكول ومخبوز (قوله ياموسى) خاطبه باسمه اشعارا بمحبته وتعظيم شانه ورفعة قدره عليه السلام (قوله منا عليك) اى تفضلا حاصلا عليك وقدره دخولا على ما بعده (قوله ولقد منا عليك) استئناف مسوق لزيادة الطمأنينة لموسى كان الله يقول له انا قد منا عليك بمن سابقة من غير دعاء منك ولا طلب فلان نعطيك ما تطلبه بالاولى وصدر الجملة بالقسم زيادة فى الاعتناء بشانه (قوله مرة أخرى) تانيث آخر بمعنى غير أى تحققت منتنا عليك مرة أخرى غير المنة التى تحققت لك بسؤالك والمراد بالمنة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة (قوله للتعليل) اى لمقوله منا والمعنى لاننا اوحينا الى أمك الخ و يصح ان تكون للظرفية والمعنى ولقد منا عليك وقت ايحائنا الى أمك الخ وحاصل ما ذكره من المنن من غير سؤال ثمانية الاولى قوله اذ أوحينا الثانية قوله وألقيت عليك الثالثة قوله ولتصنع على عينى الرابعة قوله فرجعناك الى أمك الخامسة قوله وقتلت نفسا السادسة قوله وفتناك فتونا السابعة قوله فلبثت سنين الثامنة قوله واصطنعتك لنفسى (قوله الى أمك) اى واسمها يوحانذ بياء مضمومة فواو ساكنة بعدها حاء مهملة فالف فنون مكسورة فذال معجمة (قوله منا ما أو الهاما) اى أو يقظة ولا ينافيه كونها ليست نبية فان المخصوص بالانبياء الوحى بالشرائع والتكاليف واما الوحى بغير الشرع فجائز حتى للنساء كما وقع لمريم أم عيسى (قوله لما ولدتك) اى فى السنة التى رتب فرعون اتباعه لذبح كل من يولد من الذكور فى تلك السنة وذلك ان فرعون رأى رؤياها اته فقصها على الكهنة فعبرت له بمولود يكون زوال ملكه على يديه فامر أتباعه بان يذبحوا كل من يولد من الذكور حتى شق الامر فابقى القتل فى سنة و رفعه فى سنة فصادف ولادة موسى فى السنة التى فيها القتل فلما ولد جاء أتباع فرعون

وسعه لتحمل الرسالة (و يسر) سهل (لى أمرى) لا بلغها (واحلل عقدة من لسانى) حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير (يفقهوا) يفهموا (قولى) عند تبليغ الرسالة (واجعل لى وزيرا) معينا عليها (من أهلى هرون) مفعول ثان (أخى) عطف بيان (اشدد به أزرى) ظهرى (وأشركه فى امرى) اى الرسالة والفعلان بصيغتى الامر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب (كى نسبحك) تسبيحا (كثيرا ونذكرك) ذكرا (كثيرا انك كنت بنا بصيرا) عالما فانعمت بالرسالة (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) منا عليك (ولقد منا عليك مرة أخرى اذ) للتعليل (أوحينا الى أمك) مناما أو إلهاما لما ولدتك وخافت ان يقتلك فرعون فى جملة من يولد

يفتشون على المولود فوضعته امه فى التنور فجاءت اخته وأوقدته فقتشوا عليه فلم يجدوه فخرجوا من عندها فنظرت الى التنور فوجدته موقدا فخافت عليه فناداها من التنور فاخرجته سالما فاوحى الله اليها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم فاخذت صندوقا وجعلت فيه قطنا ووضعته فيه ثم طلت رأس التابوت بالقار والقته فى اليم فوجه البحر حتى ادخله فى نهر كائن فى بستان فرعون وكان فرعون جالسا مع آسية زوجته فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي احسن الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا حتى انه لم يقدر على بعده عنه وذلك قوله تعالى وألقيت عليك محبة منى (قوله مايوحى) ابهمه للتعظيم كقوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم (قوله فى امرك) اى شانك (قوله و يبدل منه) اى بدل مفصل من مجمل (قوله اى شاطئه) المراد قربه لان الصندوق اخذ من نفس البحر قريبا من البر (قوله والامر بمعنى الخبر) اى وحكمة العدول عنه انه لما كان إلقاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به نزل البحر منزلة شخص مطيع أمره الله بامر لا يستطيع مخالفته (قوله والقيت عليك محبة منى) يحتمل ان المعنى القيت عليك محبة صادرة منى بان أحببتك فتسبب عن محبتى محبة الناس لك ويحتمل ان المعنى القيت عليك محبة خلقتها فى قلوب الناس لك فاحبوك والاول احسن لعدم الكلفة فيه (قوله ولتصنع) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله لتحب من الناس (قوله تربى على رعايتى الخ) اى فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ مجازا مرسلا من اطلاق السبب وهو نظر العين على المسبب وهو الحفظ والرعاية لان شان من ينظر للشئ بعينه ان يحفظه و يرعاه (قوله أختك مريم) اى وكانت شقيقته وهى غير ام عيسى (قوله لتتعرف خبرك) اى فوجدتك وقعت فى يد فرعون فدللتهم على امك حيث قالت هل ادلكم الخ (قوله وانت لا تقبل الخ) اى لحكمة عظيمة وهى وقوعك فى يد امك لانك لو رضعت غيرها لاستغنوا عن امك (قوله على من يكفله) اى بكل رضاعه وقد ارضعته امه قيل ثلاثة اشهر وقيل اربعة (قوله فرجعناك) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله فاجبيت الخ (قوله كى تقر عينها) اى تسكن وتبرد دمعة حزنها (قوله ولا تحزن حينئذ) اى حين اذ قبلت ثديها والمراد نفى دوام الحزن (قوله هو القبطى) اى واسمه قاب قان وكان طباخا لفرعون (قوله من جهة فرعون) اى لا من جهة قتله فانه كان كافرا (قوله وفتناك فتونا) اى خلصناك من محنة بعد اخرى روى ان سعيد بن جبير سال ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وضلت غنمه فى ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير (قوله سنين عشرا) اى ولبث فى مصر قبل قتل القبطى ثلاثين سنة وقيل خرج من مصر وهو ابن اثنتى عشرة سنة فمكث بمدين لرعى الغنم عشر سنين وبعدها ثمانى عشرة سنة (قوله على قدر) أى مقدار من الزمان (قوله واصطنعتك لنفسي) اى لتشتغل باوامرى وتبلغ رسالتى وان تكون فى حركاتك وسكناتك لى لا لغيرى (قوله اذهب انت واخوك بآياتى) اى قد اجبناك فيما طلبت واعطينا أخاك الرسالة فاذهب انت وهو الى فرعون وقومه (قوله الى الناس) قدره اشارة الى انه حذف من هنا لدلالة قوله فيما ياتى الى فرعون عليه كما انه حذف فيما ياتى قوله بآياتى لدلالة ما هنا عليه ففى الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر (قوله بآياتى التسع) المناسب للمفسر ان يقول العصا واليد لان باقى التسع لم يكن فى المبدا بل كان فى اثناء المدة وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعددة (قوله ولا تنيا فى ذكرى) يقال ونى ينى ونيا كوعد يعد وعدا اذا فتر وأصله تونيا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها الفتحة

(مايوحى) فى امرك ويبدل منه (أن اقذفيه) القيه (فى التابوت فاقذفيه) بالتابوت (فى اليم) بحر النيل (فليلقه اليم بالساحل) اى شاطئه والامر بمعنى الخبر (ياخذه عدو لى وعدوله) وهو فرعون (والقيت) بعد أن أخذك (عليك محبة منى) لتحب من الناس فاحبك فرعون وكل من رآك (ولتصنع على عينى) تربى على رعايتى وحفظى لك (اذ) للتعليل (تمشى اختك) مريم لتتعرف خبرك وقد احضروا مراضع وانت لا تقبل ثدى واحدة منهن (فتقول هل ادلكم على من يكفله) فاجيبت فجاءت بامه فقبل ثديها (فرجعناك الى امك كى تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) حينئذ (وقتلت نفسا) هو القبطى بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون (فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) اختبرناك بالايقاع فى غير ذلك وخلصناك منه (فلبثت سنين) عشرا (فى اهل مدين) بعد مجيئك اليها من مصر عند شعيب النبي وتزوجك بابنته (ثم جئت على قدر) فى علمى بالرسالة وهو ابن بعون سنة من عمرك (ياموسى واصطنعتك) اخترتك (لنفسي) بالرسالة (اذهب انت واخوك) الى الناس (بآياتى) التسع (ولا تنيا) تفترا (فى ذكرى) بتسبيح

والكسرة

وغيره (اذهبا الى فرعون انه طغى) بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) فى رجوعه من ذلك (لعله يتذكر) يتعظ (او يخشى) الله فيرجع والترجى بالنسبة اليهما لعلمه تعالى بانه لا يرجع (قالا ربنا انا نخاف ان يفرط علينا) أى يعجل بالعقوبة (او ان يطغى) علينا اى يتكبر (قال لا تخافا انني معكما) بعوني (أسمع) مايقول (وأرى) مايفعل (فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل) الى الشام (ولا تعذبهم) اى خل عنهم من استعمالك اياهم فى اشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل (قد جئناك بآية) بحجة (من ربك) على صدقنا بالرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) اى السلامة له من العذاب (انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب) ماجئنا به (وتولى) اعرض عنه فاتياه وقالا له جميع ماذكر (قال فمن ربكما يا موسى) اقتصر عليه لانه الاصل ولا دلالة عليه بالتربية (قال ربنا الذى أعطى كل شئ) من الخلق (خلقه) الذى هو عليه متميزة عن غيره (ثم هدى) الحيوان منه الى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك (قال) فرعون (فما بال) حال (القرون) الامم (الاولى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح فى عبادتهم الاوثان (قال) موسى (علمها) اى علم حالهم محفوظ (عند ربى فى كتاب) هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة (لا يضل) يغيب (ربى) عن شئ (ولا ينسى) ربى شيأ هو (الذى جعل لكم) فى جملة الخلق (الارض مهادا) فراشا (وسلك) سهل (لكم فيها سبلا) طرقا (وانزل من السماء ماء) مطرا قال تعالى تتميما لما وصفه به

والكسرة (قوله وغيره) أى كتبليغ الرسالة وهو المقصود بالذات (قوله اذهبا الى فرعون) ان قلت ما حكمة جمعهما فى ضمير واحد مع ان هرون لم يكن حاضرا فى محل المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر أجيب بان الله كشف الحجاب فى ذلك الوقت عن سمع هرون حتى سمع الخطاب مع أخيه لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة وهرون سمعه من جبريل عن الله وهذا أحسن مايقال (قوله فقولا له قولا لينا) أى سهلا لطيفا وقد قصه الله فى سورة النازعات فى قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض (قوله فى رجوعه عن ذلك) أى عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر (قوله والترجى بالنسبة اليهما) أى الى موسى وهرون والمعنى اذهبا مترجيين ايمانه وطامعين فيه ولا تذهبا آيسين منه (قوله لعلمه تعالى بانه لا يرجع) اى والفائدة فى ارسالهما الزامه الحجة وقطع عذره لجريان عادته سبحانه وتعالى انه لا يعذب أحدا الا بعد تبليغه الدعوة وعناده بعد ذلك (قوله قالا ربنا) أسند القول لهما لانه وقع من كل منهما وان كان مكانهما مختلفا لما تقدم انه لا مانع من ازالة الحجاب عن هرون وسماعه من جبريل ما قيل لموسى وقت المناجاة (قوله أى يعجل بالعقوبة) أى فلا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة (قوله او ان يطغى) أى يزداد تكبرا وكفرا وأو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال لا تخافا) اى لا تنزعجا منه (قوله فأتياه) اى اذهبا بانفسكما اليه ولا تقعدا فى مكان وترسلاه (قوله فقولا انا رسولا ربك) امرهما الله ان يقولا له ست جمل اولها قوله انا رسولا ربك الثانية قوله فارسل معنا بنى اسرائيل الثالثة ولا تعذبهم الرابعة قد جئناك بآية من ربك الخامسة والسلام على من اتبع الهدى السادسة انا قد اوحينا الينا أن العذاب على من كذب وتولى (قوله فارسل معنا بنى اسرائيل) اى أطلقهم من أسرك ولا تقول عليهم فانهم اولاد الانبياء ولا يليق أن يولى عليهم خسيس والمعنى ان موسى وهرون ارسلا الى فرعون بانه يؤمن بالله وحده ولا يتولى على بنى اسرائيل (قوله بحجة) أى دليل وبرهان على ما ادعيناه من الرسالة (قوله فأتياه وقالا له جميع ماذكر) قدر ذلك اشارة الى ان قوله قال فمن ربكما الخ مرتب على محذوف واشعارا بانهما سارعا الى امتثال الامر من غير توان فيه (قوله فمن ربكما) لم يضف الرب لنفسه تكبرا وطغيانا وخوفا على قومه اذا اضاف الرب لنفسه ان يميلوا لموسى (قوله اقتصر عليه) أى مع توجيه الخطاب لهما (قوله لانه الاصل) أى فى الرسالة وهرون وان كان رسولا الا ان المقصود منه معاونة موسى (قوله ولا دلالة عليه بالتربية) اى ولا قامة فرعون الدليل على موسى بان ذكره بتربيته له فى قوله الآتى فى الشعراء ألم نربك فينا وليدا (قوله خلقه) اى صورته وشكله (قوله الحيوان منه) اى من كل شئ (قوله قال فما بال القرون الاولى) لما ظهر للعين حقية ماقال موسى وبطلان ماهو عليه اراد ان يصرفه عليه السلام الى مالا يعنيه من الامور التى لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات خوفا على رياسته ان تذهب فلم يلتفت موسى عليه السلام الى ذلك الحديث وقال علمها عند ربى (قوله فى عبادتهم الاوثان) أى أكان سببا فى شقاوتهم اوسعادتهم وانما لم يوضح له الجواب لانه مامور بملاطفته فاذا وضح له الجواب ربما نفر وتغير (قوله لا يضل ربى) اى لا يذهب شئ عن علمه (قوله ولا ينسى) اى هو علمه (قوله الذى جعل لكم الارض) هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الاول (قوله مهادا) اى كالمهاد (قوله طرقا) اى تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا ما آربكم (قوله قال تعالى) أشار بذلك

الى ان قوله فاخرجنا به ازواجا من كلامه تعالى لا بطريق الحكاية عن موسي بل خطابا لاهل مكة وامتنانا عليهم و ينتهي الى قوله تارة اخرى وقيل انه من كلام موسي ايضا وفيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله وخطابا لاهل مكة) اى فى قوله كلوا وارعوا (قوله شتى) ألفه للتانيث (قوله يقال رعت الانعام الخ) اى فيستعمل لازما ومتعديا (قوله اى مبيحين لكم) المناسب ان يقول اى قائلين لكم كلوا الخ فهو امر اباحة (قوله جمع نهية) وقيل انه اسم مفرد فهو مصدر كالهدى والسرى (قوله بخلق ابيكم آدم منها) اى فجميع الخلق غير آدم خلقوا من الارض بواسطة وهذا احد قولين وقيل كل انسان خلق من التراب بلا واسطة لان كل نطفة وقعت فى الرحم ياخذ الملك الموكل بها شيا من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب (قوله ولقد أريناه آياتنا كلها) اخبار عما وقع لموسي فى مدة دعائه لفرعون وبهذا التقرير صح قول المفسر التسع واندفع ما يقال ان فرعون فى ابتداء الامر لم ير الا العصا واليد وعليه فتكون هذه الجملة معترضة بين القصة (قوله قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى) اى بعد ان رأى ما رأى من معجزة العصا واليد قال ماذكر تسترا وخوفا على حظ رياسته لئلا يؤمن قومه (قوله فلنا تينك) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتى وكبريائى وقوله بسحر متعلق بنا تينك (قوله مثله) اى فى الغرابة (قوله موعدا) الاحسن انه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل وقوله بيننا مفعول ثان مقدم وقوله بنزع الخافض اى فالمعنى عين زمانا بيننا و بينك نجتمع فيه فى مكان سوى أى متوسط (قوله بكسر أوله وضمه) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال موعدكم يوم الزينة) خصه عليه السلام بالتعيين لمزيد وثوقه بر به وعدم مبالاته بهم وليكون ظهور الحق على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك بين كل حاضر وباد فيكون أعظم فخرا لموسى عليه السلام (قوله يوم عيد لهم) اى وكان يوم عاشوراء واتفق انه يوم سبت (قوله وان يحشر الناس) ان ومادخلت عليه فى تاويل مصدر معطوف على الزينة أى و يوم حشر الناس ضحى (قوله وقته) اى وقت الضحى وهو ارتفاع الشمس (قوله ادبر) اى انصرف من المجلس (قوله أى ذوى كيده) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله ثم أتى بهم الموعد) أى فى يوم الزينة فى المكان المتوسط وهو سكندرية (قوله وهم اثنان وسبعون) الاثنان من القبط والسبعون من بنى اسرائيل وهذا أحد اقوال فى عددهم وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفا وهو ما فى بعض النسخ وقيل اثنى عشر ألفا (قوله مع كل واحد حبل وعصا) تقدم انها كانت حمل اربعمائة بعير (قوله اى الزمكم الله الويل) أشار بذلك الى ان ويلكم منصوب بفعل محذوف والويل معناه الدمار والهلاك (قوله باشراك احدمعه) أى بسبب اشراك احد مع الله والمعنى الزمكم الله الويل ان افتريتم على الله الكذب بسبب اشراككم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون (قوله بضم الياء الخ) اى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من الرباعى والفتح من الثلاثى (قوله فتنازعوا امرهم بينهم) اى تناظروا وتشاوروا فى امر موسى واخيه سرا واختلف فيما أسروه فقيل هو

(ان فى ذلك) المذكور هنا (لآيات) لعبرا (لاولى النهى) لاصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمى به العقل لانه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح (منها) اى من الارض (خلقناكم) بخلق ابيكم آدم منها (وفيها نعيدكم) مقبورين بعد الموت (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة) مرة (اخرى) كما اخرجناكم عند ابتداء خلقكم (ولقد اريناه) اى بصرناه فرعون (آياتنا كلها) التسع (فكذب) بها وزعم انها سحر (وابى) ان يوحد الله تعالى (قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا) مصر و يكون لك الملك فيها (بسحرك ياموسي فلنا تينك بسحر مثله) يعارضه (فاجعل بيننا و بينك موعدا) لذلك (لانخلفه نحن ولا انت مكانا) منصوب بنزع الخافض فى (سوى) بكسر اوله وضمه اى وسطا تستوى اليه مسافة الجائى من الطرفين (قال) موسي (موعدكم يوم الزينة) يوم عيد لهم يتزينون فيه و يجتمعون (وان يحشر الناس) بجمع أهل مصر قولهم (ضحى) وقته للنظر فيما يقع (فتولى فرعون) ادبر (فجمع كيده) اى ذوى كيده من السحرة (ثم أتى) بهم الموعد (قال لهم موسي) وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا (و يلكم) أى الزمكم الله الويل (لا تفتروا على الله كذبا) باشراك أحد معه (فيسحتكم) بضم الياء وكسر الحاء و بفتحهما اى يهلككم (بعذاب) من عنده (وقد خاب) خسر (من افترى) كذب على الله (فتنازعوا أمرهم بينهم) فى موسى

قولهم ان هذين لساحران الخ وقيل هو قول بعضهم لبعض ماهذا ساحر فان غلبنا اتبعناه وان غلبناه بقينا على ما نحن عليه (قوله واسروا النجوى) اى تحدثوا سرا فيما بينهم (قوله لابى عمرو) اى فقراءته بالياء اسم ان وساحران خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر وقوله ولغيره خبر مقدم وهذان مبتدأ مؤخر وقوله وهوموافق اى هذان موافق لمن يعرب المثنى بحركات مقدرة على الالف فيبنى اسم الاشارة الدال عليه على الالف وقد اجمل المفسر فى قوله ولغيره هذان * والحاصل ان القراآت السبعيات اربع الاولى لابى عمرو والتى ذكرها المفسر وبقى ثلاث الاولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون ان والثانية والثالثة تخفيف نون هذان مع تشديد نون ان او تخفيفها فعلى تشديد نون ان يكون هذان اسمها مبنيا على الالف وساحران خبرها وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبرا وان مخففة واسمها ضمير الشان والجملة خبر ان (قوله اى باشرافكم) تفسير لطريقتكم فان من جملة معانى الطريقة اماثل الناس واشرافهم اى وذلك كفرعون وجلسائه (قوله فاجمعوا كيدكم) اى اجعلوه مجمعا بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم (قوله بهمزة وصل الخ) اى فهما سبعيتان (قوله ثم ائتوا صفا) اى لانه اهيب فى صدور الرائين (قوله اما ان تلقى) ان وما بعدها فى تاويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اختر (قوله قال بل القوا) اى ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر (قوله فاذا حبالهم) اذا فجائية وحبالهم وعصيهم مبتدا خبره جملة يخيل اليه الخ (قوله اصله عصوو) بوزن فلوس وقوله قلبت الواو ان ياء بين الخ اى قلبت الثانية ياء لوقوعها متطرفة فاجتمعت مع الواو وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء (قوله وكسرت العين) اى اتباعا للصاد وكسرت الصاد لتصح الياء (قوله يخيل اليه) اى لانهم طلوها بالزئبق فلما اشتد حر الشمس اضطربت واهتزت فتخيل انها تتحرك (قوله خيفة) اصله خوفة قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها (قوله من جهة ان سحرهم الخ) جواب عما يقال كيف حصل له الخوف مع علمه بانه على الحق ولا يصل له سوء منهم (قوله انك انت الاعلى) فيه اشارة الى ان لهم علوا وغلبة بالنسبة لسائر الناس فطمنه الله بامور لا تخطر ببالك فان ابتلاع العصا لحبالهم وعصيهم امر لا يخطر ببال موسى (قوله تلقف) بفتح اللام وتشديد القاف او بسكون اللام وفتح القاف قراءتان سبعيتان (قوله ماصنعوا) اى اخترعوا مما لا حقيقة له (قوله اى جنسه) دفع بذلك ما يقال لم لم يقل ولا يفلح السحرة بصيغة الجمع وفيه اشارة الى ان الكلام موجه للعموم فكانه قال لا يفلح كل ساحر سواء كان من هؤلاء او من غيرهم (قوله حيث اتى) اى فى اى زمان او مكان اقبل منه (قوله فالقى موسى عصاه الخ) قدره اشارة الى ان قوله فالقى السحرة سجدا مرتب على محذوف (قوله فالقى السحرة سجدا) اى ايما بالله وكفرا بفرعون وهذا من غرائب قدرة الله حيث القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقاءين قيل لم يرفعوا رؤسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب ورأوا منازلهم فى الجنة (قوله وقالوا آمنا) قدر المفسر الواو اشارة الى انه معطوف على قوله فالقى السحرة سجدا وفيه ايماء الى انهم جمعوا فى الايمان بين القول والفعل (قوله قال آمنتم له قبل ان آذن لكم) اى لما شاهد فرعون من السحرة السجود والاقرار خاف ان يقتدى الناس بهم فى الايمان بالله وحده فالقى شبهتين الاولى قوله آمنتم له قبل ان آذن لكم اى لم تشاورونى ولم تستعينوا بنظر غيركم بل فى الحال آمنتم له فحينئذ دل ذلك على ان ايمانكم ليس عن بصيرة بل بسبب آخر الثانية قوله انه لكبيركم الذى علمكم السحر اى فانتم اتباعه فى السحر فتواطاتم معه على ان تظهروا العجز من انفسكم ترويجا لامره وتفخيما لشانه لتنزعوا

هذان وهو موافق للغة من يأتى فى المثنى بالالف فى احواله الثلاث (لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) مؤنث امثل بمعنى اشرف اى باشرافكم بميلهم اليهما لغلبتهما (فاجمعوا كيدكم) من السحر بهمزة وصل وفتح الميم من جمع اى لم وبهمزة قطع وكسر الميم من اجمع احكم (ثم ائتوا صفا) حال اى مصطفين (وقد افلح) فاز (اليوم من استعلى) غلب (قالوا يا موسى) اختر (اما ان تلقى) عصاك اى اولا (واما ان نكون اول من القى) عصاه (قال بل القوا) فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) اصله عصوو قلبت الواو ان ياء بين وكسرت العين والصاد (يخيل اليه من سحرهم انها) حيات (تسعى) على بطونها (فاوجس) احس (فى نفسه خيفة موسى) اى خاف من جهة ان سحرهم من جنس معجزته ان يلتبس امره على الناس فلا يؤمنوا به (قلنا) له (لا تخف انك انت الاعلى) عليهم بالغلبة (والق ما فى يمينك) وهى عصاه (تلقف) تبتلع (ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر) اى جنسه (ولا يفلح الساحر حيث اتى) بسحره فالقى موسى عصاه فتلقفت كل ما

صنعوه (فالقى السحرة سجدا) خروا ساجدين لله تعالى و(قالوا آمنا برب هرون وموسى قال) فرعون (آمنتم)

الملك معنى وهاتان الشبهتان لا يقبلهما الا من عنده تردد او شك وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة فلا يدخل عليه شئ من ذلك لظهور شمس الهدى واتضاحها لهم (قوله بتحقيق الهمزتين) اى الاولى وهى للاستفهام والثانية وهى المزيدة فى الفعل الرباعى وقوله وابدال الثانية ألفا صوابه الثالثة وهى فاء الكلمة فيكون فى كلامه اشارة لقراءة واحدة او يقال ان معنى قوله الثانية أى فى الفعل بقطع النظر عن همزة الاستفهام وبقيت قراءة أخرى وهى تسهيل الثانية والثلاث سبعيات ولا يتاتى هنا الرابعة المتقدمة فى الاعراف وهى قلب الاولى واوا لعدم الضمة قبلها هنا بخلاف ماتقدم فانها تقدمها ضمة ونص الآية قال فرعون أ آمنتم واصل الفعل أأمن كاكرم بهمزتين الاولى زائدة والثانية فاء الكلمة قلبت الثانية ألفا على القاعدة قال ابن مالك

ومدا ابدل ثانى الهمزين من * كلمة ان يسكن كآثر وائتمن

ثم دخلت همزة الاستفهام (قوله من خلاف) من ابتدائية أى فالقطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو (قوله اى عليها) أشار بذلك الى ان فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت لفظة فى الموضوعة للظرفية الخاصة لمعنى على الموضوعة للاستعلاء الخاص بجامع التمكن فى كل (قوله على مخالفته) متعلق بكل من اشدوابقى (قوله قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا) اى قالوا ذلك غير مكترثين بوعيده لهم (قوله من البينات) اى المعجزات الظاهرة وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات وانما نسب المجئ لهم وان كان موسى جاء بها لفرعون وقومه ايضا لانهم هم المنتفعون بها (قوله قسم) اى وجوابه محذوف تقديره لا نؤثرك على الحق ولا يجوز ان يكون قوله لن نؤثرك جوابه لان القسم لا يجاب بلن الا شذوذا ولا ينبغى حمل التنزيل عليه (قوله اوعطف على ما) اى والتقدير لن نؤثرك على الذى جاءنا من البينات ولا على الذى فطرنا (قوله فاقض ما انت قاض) اقض فعل امر وفاعله مستتر تقديره انت وما اسم موصول مفعوله وانت قاض صلته والعائد محذوف تقديره الذى انت قاضيه وقد اشار لهذا ابن مالك بقوله

كذاك حذف ما بوصف خفضا * كانت قاض بعد أمر من قضي

وهو جواب عن تهديده المذكور كانهم قالوا لانبالى بك ولا بتهديدك فافعل ما بدا لك ولم يثبت فى الكتاب ولا فى السنة انه فعل ما هددهم به (قوله النصب على الاتساع) اى نصب هذه المبدلة منه الحياة الدنيا على نزع الخافض (قوله وما أكرهتنا عليه من السحر) معطوف على خطايانا أى ويغفر لنا الذى اكرهتنا عليه من السحر (قوله تعلما وعملا) اى لان فرعون كان يخبره الكهنة بظهور مولود من بنى اسرائيل يكون زوال ملكه على يديه فلعلهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين فاحب ان يتهيا لمعارضته باكراه الناس على تعليم السحر واكراههم ايضا على الاتيان بهم من المداين البعيدة ومما يدل على كونهم مكرهين على عمله ماروى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى وهو نائم ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ماهذا ساحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا أن يعارضوه (قوله والله خير وابقى) رد لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان قوله انه من يات ربه الخ مستانف من كلامه تعالى وقيل انه من كلام السحرة الهمهم الله اياه (قوله انه من يات ربه مجرما) اى بان يموت على كفره (قوله فيستريح) اى من العذاب (قوله حياة تنفعه) اى بان تكون هنية مرية (قوله من تحتها الانهار) اى من تحت قصورها (قوله وذلك) اى ماتقدم من قوله جنات عدن الخ

بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا (له قبل ان آذن) انا (لكم انه لكبيركم) معلمكم (الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) حال بمعنى مختلفة اى الايدى اليمنى والارجل اليسرى (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) اى عليها (ولتعلمن اينا) يعنى نفسه ورب موسى (أشد عذابا وابقى) ادوم على مخالفته (قالوا لن نؤثرك) نختارك (على ماجاءنا من البينات) الدالة على صدق موسى (والذى فطرنا) خلقنا قسم اوعطف على ما (فاقض ما انت قاض) اى اصنع ماقلته (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) النصب على الاتساع اى فيها وتجزى عليه فى الآخرة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الاشراك وغيره (وما اكرهتنا عليه من السحر) تعلما وعملا لمعارضة موسى (والله خير) منك ثوابا اذا اطيع (وابقى) منك عذابا اذا عصى قال تعالى (انه من يات ربه مجرما) كافرا كفرعون (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة تنفعه (ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات) الفرائض والنوافل (فاولئك لهم الدرجات العلى) جمع عليا مؤنث اعلى (جنات عدن) اى اقامة بيان له (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) (قوله

(قوله تطهر من الذنوب) اى بعدم فعلها أو بالتوبة النصوح منها (قوله ولقد أوحينا الى موسي) عطف قصة على قصة لان الله تعالى قص علينا اولا مبدأ رسالة موسي الى فرعون وما وقع منه وقص علينا ثانيا منتهى أمر فرعون وجنوده وكل ذلك عبرة للامة المحمدية ليعلموا ان الظالم وان امهله الله وأمده بالنعم لا يهمله وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة وتقدم ذكرها فى الاعراف مبسوطا (قوله بعبادى) اى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا (قوله لغتان) اى وقراءتان سبعيتان وكان المناسب للمفسر التنبيه على ذلك (قوله اى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله من ارض مصر) اى الى البحر فهو مامور بالسير له فلا يقال لم لم يسر بهم فى البر فى طريق الشام (قوله طريقا) مفعول به لتضمن اضرب معنى اجعل كما أشار له المفسر والمراد بالطريق جنسه فان الطرق كانت اثنتى عشرة بعدد اسباط بنى اسرائيل (قوله يبسا) اى يؤل الى ذلك لانه لم يكن يابسا قبل وانما مرت عليه الصبا فجففته قال ابن عباس لما امر الله موسي ان يقطع بقومه البحر وكان يوسف عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عليها عجوز فاخذوها وقال لها موسى اطلبي منى شيأ فقالت اكون معك فى الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون فلما وصل البحر وكان على حصان اقبل جبريل على فرس انثى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدى فرعون فابصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على اثرها فصاحت الملائكة بالقبط الحقوا حتى اذا الحق آخرهم وكادوا لهم ان يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فرجع بنو اسرائيل حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسي ادع الله ان يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فلفظهم البحر الى الساحل فاصابوا من امتعتهم شيأ كثيرا (قوله لا تخاف) العامة ما عدا حمزة وحده على الرفع وعليه فهو جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او حال من فاعل اضرب اى اضرب لهم طريقا حال كونك غير خائف وقرأ حمزة بالجزم على ان لا ناهية وتخف مجزوم بها وقوله ولا تخشى هو بالالف باتفاق القراء فعلى رفع لا تخاف العطف ظاهر وعلى الجزم فيكون قوله ولا تخشي معطوفا على لا تخف مجزوما وعلامة جزمه حذف الالف والالف الموجودة للاشباع اتى بها موافقة للفواصل ورؤس الآى (قوله فاتبعهم فرعون) اى بعد ما ارسل حاشرين يجمعون له الجيش فجمعوا جيوشا كثيرة حتى كان مقدمة جيشه سبعمائة الف فضلا عن الجناحين والقلب والساقة (قوله بجنوده) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فرعون (قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم) اى علاهم وغمرهم من الامر الهائل مالم يبلغ كنهه احد (قوله واضل فرعون قومه) اخبار عن حاله قبل الغرق (قوله خلاف قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد) اى انه مخالف له فهو تكذيب لفرعون فى قوله (قوله قد انجيناكم من عدوكم الخ) قدم اولا نعمة الايجاء ثم النعمة الدينية ثم الدنيوية فهو ترتيب فى غاية الحسن (قوله فنؤتى موسي التوراة) جواب عما يقال ان المواعدة كانت لموسي لا لهم فكيف اضيفت لهم واجيب ايضا بانه امر موسي ان يختار منهم سبعين رجلا فاضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار (قوله هما الترنجبين) هو شئ حلو ابيض مثل الثلج كان ينزل عليهم فى التيه من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (قوله والطير السمانى) اى فكان ريح الجنوب يأتيهم به فيذبح الرجل منهم ما يكفيه وشرهم من العيون التى تخرج من الحجر (قوله والمنادى من وجد من اليهود الخ) هذا احد قولين وقيل المخاطب من كان فى عهد موسي (قوله توطئة) اى تمهيدا (قوله من طيبات ما رزقناكم) اى لذائذه وحلالاته (قوله بان تكفروا النعمة) اى بعدم شكرها وبطركم لها (قوله بكسر الحاء الخ) اى ففى كل قراءتان سبعيتان (قوله سقط فى النار) أى على سبيل الخلود (قوله يصدق بالفرض والنفل) اى

لغتان اى سر بهم ليلا من ارض مصر (فاضرب) اجعل (لهم) بالضرب بعصاك (طريقا فى البحر يبسا) اى يابسا فامتثل ما امر به وايبس الله الارض فمروا فيها (لا تخاف دركا) اى ان يدركك فرعون (ولا تخشى) غرقا (فاتبعهم فرعون بجنوده) وهو معهم (فغشيهم من اليم) اى البحر (ما غشيهم) فاغرقهم (واضل فرعون قومه) بدعائهم الى عبادته (وما هدى) بل أوقعهم فى الهلاك خلاف قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم) فرعون باغراقه (وواعدناكم جانب الطور الايمن) فنؤتى موسي التوراة للعمل بها (ونزلنا عليكم المن والسلوى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر والمنادى من وجد من اليهود ومن النبي صلى الله عليه وسلم وخوطبوا بما انعم الله به على اجدادهم زمن النبي موسي توطئة لقوله تعالى لهم (كلوا من طيبات ما رزقناكم) اى المنعم به عليكم (ولا تطغوا فيه) بان تكفروا النعمة به (فيحل عليكم غضبي) بكسر الحاء اى يجب و بضمها اى ينزل (ومن يحلل عليه غضبي) بكسر اللام وضمها (فقد هوى) سقط فى النار (وانى لغفار لمن تاب) من الشرك (وآمن) وحد الله (وعمل صالحا) يصدق بالفرض والنفل (ثم اهتدى)

العمل الصالح يشمل كلا منهما (قوله باستمراره على ماذكر الى موته) اى بان يدوم على التوبة والايمان والاعمال الصالحة وهو جواب عما يقال ما فائدة ذكر الاهتداء آخرا مع انه داخل فى عموم قوله وآمن فافاد المفسر ان النجاة التامة والمغفرة الشاملة لمن حصلت منه التوبة والايمان والاعمال الصالحة ثم استمر عليها الى ان لقى مولاه (قوله وما أعجلك عن قومك ياموسى) ما استفهامية مبتدأ واعجلك خبره وعن قومك متعلق باعجلك والمعنى اى شئ جعلك متعجلا عن قومك وسابقا لهم * وحاصل ذلك ان الله سبحانه وتعالى وعد موسى ثلاثين يوما وأتمها بعشر بعد اغراق فرعون وقومه يصومها ولا ياكل ولا يشرب ولا ينام فيها وأمره تعالى ان يحضر من قومه سبعين رجلا يختارهم من بنى اسرائيل ليذهبوا معه الى الطور لاجل ان ياخذوا التوراة فخرج بهم وخلف هرون على من بقى وفى رواية انه امرهرون أن لا ياتى بهم عند تمام الميقات فسار موسي بالسبعين ثم عجل من بينهم تشوقا الى ربه وخلفهم وراءه وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال تعالى له وما أعجلك الخ والمقصود من سؤال الله لموسي اعلامه بما حصل من قومه والا فيستحيل عليه تعالى السؤال لطلب العلم (قوله عن قومك) سياق المفسر يقتضي ان المراد بهم جملة بنى اسرائيل وأيده جماعة من المفسرين (قوله لمجيئ ميعاد اخذ التوراة) اى لمجيئك فى ميعاد اخذ التوراة (قوله قال هم اولاء على اثرى) هم مبتدأ وأولاء خبره وقوله على أثرى خبر بعد خبر (قوله اى زيادة على رضاك) اى فسارعت الى امتثال امرك طلبا لزيادة رضاك لا لاصل الرضا فانه حاصل وطلبه لا يليق بحال الانبياء (قوله وقيل الجواب) اى جواب السؤال وهو قوله وعجلت اليك رب لترضى (قوله أتى بالاعتذار) اى عن سبقه لقومه وقوله بحسب ظنه متعلق بالاعتذار (قوله وتخلف المظنون لما قال تعالى) اى ظهر لموسى ان ظنه تخلف حين اخبره الله بان قومه قد عبدوا العجل وهذا يؤيد ما قلناه اولا ان المراد بالقوم جميع بنى اسرائيل (قوله أى بعد فراقك لهم) اى بعشرين يوما وهذا الاخبار من الله تعالى عند تمام الاربعين (قوله واضلهم السامرى) اسمه موسى بن ظفر منسوب الى سامرة قبيلة من بنى اسرائيل كان منافقا وكان قد رباه جبريل لان فرعون لما شرع فى ذبح الولدان وضعته امه فى حفرة فتعهده جبريل وكان يغذيه من اصابعه الثلاثة فيخرج له من احداها لبن ومن الاخرى سمن ومن الاخرى عسل (قوله فرجع موسي) اى بعد ان تم الاربعين واخذ التوراة روى انه لما رجع موسي سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قوله انه يعطيكم التوراة) ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر مفعول ثان لقوله يعدكم والاول الكاف (قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم) المعنى ان كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد فانه لم يطل وان كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه (قوله وتركتم المجيء بعدى) اى لانه وعدهم ان يتبعوه على اثره الميقات فخالفوا واشتغلوا بعبادة العجل (قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا) أى لا بالوخلينا وانفسنا ما أخلفنا ولكن السامرى سول لنا وغلب على عقولنا فاطعناه (قوله مثلث الميم) أى وكلها قراآت سبعيات (قوله وبضمها وكسر الميم) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله استعارها منهم بنو اسرائيل) اى قبل مسخ اموالهم (قوله بعلة عرس) اى ان بنى اسرائيل اظهروا أن العلة فى استعارتها هو العرس وفى الواقع ليس كذلك (قوله بامر السامرى) اى فقال لهم انما تاخر عنكم موسي لما معكم من الاوزار فالرأى ان تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنبها

باستمراره على ماذكر الى موته (وما اعجلك عن قومك) لمجيء ميعاد أخذ التوراة (ياموسى قال هم أولاء) اى بالقرب منى ياتون (على اثرى وعجلت اليك رب لترضى) عنى اى زيادة على رضاك وقيل الجواب اتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما (قال) تعالى (فانا قد فتنا قومك من بعدك) اى بعد فراقك لهم (واضلهم السامرى) فعبدوا العجل (فرجع موسى الى قومه غضبان) من جوتهم (أسفا) شديد الحزن (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) اى صدقا انه يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) مدة مفارقتى اياكم (ام اردتم ان يحل) يجب (عليكم غضب من ربكم) بعبادتكم العجل (فاخلفتم موعدى) وتركتم المجيء بعدى (قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) مثلث الميم اى بقدرتنا اوامرنا (ولكنا حملنا) بفتح الحاء مخففا وبضمها وكسر الميم مشددا (أوزارا) اثقالا (من زينة القوم) اى حلى قوم فرعون استعارها منهم بنو اسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم (فقذفناها) طرحناها فى النار بامر السامرى (فكذلك) كما القينا (القى السامرى) ما معه من حليهم ومن التراب الذى اخذه من اثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتى

(قوله

(فاخرج لهم عجلا) صاغه من الحلى (جسدا) لحما ودما (له خوار) اى صوت يسمع اى انقلب كذلك بسبب التراب الذى أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه فى فمه (فقالوا) أى السامرى واتباعه هذا (الهكم والهموسي فنسي) موسي ربه هنا وذهب يطلبه قال تعالى (افلا يرون أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه (لا يرجع) العجل (اليهم قولا) أى لا يرد لهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا) اى دفعه (ولا نفعا) أى جلبه اى فكيف يتخذ الها (ولقد قال لهم هرون من قبل) أى قبل ان يرجع موسى (يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى) فى عبادته (واطيعوا أمرى) فيها (قالوا لن نبرح) نزال (عليه عاكفين) على عبادته مقيمين (حتى يرجع الينا موسي قال) موسى بعد رجوعه (يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادته (ان لا تتبعن) لا زائدة (افعصيت أمرى) باقامتك بين من يعبد غير الله تعالى (قال) هرون (يا ابن أم) بكسر الميم وفتحها أراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (لا تأخذ بلحيتى) وكان أخذها بشماله (ولا برأسى) وكان أخذ شعره بيمينه غضبا (انى خشيت) لو اتبعتك ولا بد ان يتبعنى جمع ممن لم يعبد العجل (ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل) وتغضب على (ولم ترقب) تنظر (قولى) فيما رأيته فى ذلك (قال فما خطبك) شانك الداعى الى ما صنعت (ياسامرى قال بصرت بما لم يبصروا به) بالياء والتاء اى علمت ما لم يعلموه (فقبضت قبضة من) تراب (اثر) حافر فرس (الرسول) جبريل (فنبذتها) القيتها فى صورة العجل المصاغ (وكذلك سولت) زينت (لى نفسي) وألقى فيها ان آخذ قبضة من تراب ماذكر والقيها على مالا روح له يصير له روح ورأيت قومك طلبوا منك ان تجعل لهم الها فحدثتنى نفسي ان يكون ذلك العجل الههم (قال) له موسي (فاذهب) من بيننا (فان لك فى الحياة) اى مدة حياتك (ان تقول) لمن رأيته (لا مساس) اى لا تقربنى فكان يهيم فى البرية واذا مس احدا اومسه احد حما جميعا (وان لك موعدا) لعذابك (لن تخلفه) بكسر اللام اى لن تغيب عنه و بفتحها اى بل تبعث اليه (وانظر الى الهك الذى ظلت) اصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفا اى دمت (عليه عاكفا) اى مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار

(قوله فاخرج لهم عجلا) هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامرى فهو معطوف على قوله واضلهم السامرى (قوله جسدا) حال من العجل ولا يقال جسدا الا للحيوان ولا يقال لغيره جسد الا للزعفران والدم اذا يبس (قوله واتباعه) أى الذين ضلوا وصاروا يساعدونه على من توقف من بنى اسرائيل (قوله افلا يرون) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله ان مخففة من الثقيلة) اى فقوله لا يرجع بالرفع فى قراءة العامة (قوله ولقد قال لهم هرون الخ) اى فنصحهم هرون قبل رجوع موسي (قوله وان ربكم الرحمن) انما ذكر هذا الاسم تنبيها على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن (قوله حتى يرجع الينا موسى) غاية لمكوثهم بطريق التعلل والتسويف لا بطريق الوعد وترك عبادته عند رجوعه (قوله اذ رأيتهم) ظرف منصوب بمنعك والمعنى اى شيء منعك وقت رؤيتك ضلالهم (قوله لا زائدة) أى للتاكيد والمعنى ما منعك من اتباعى فى الغضب لله والمقاتلة لمن كفر (قوله باقامتك بين من يعبد غير الله) اى ولم يبالغ فى منعهم والانكار عليهم (قوله بكسر الميم) اى فحذفت الياء و بقيت الكسرة دالة عليها وقوله وفتحها أى فحذفت الالف المنقلبة عن الياء و بقيت الفتحة دالة عليها والقراءتان سبعيتان (قوله أعطف لقلبه) اى لا لكونه أخاه من أمه فقط فان الحق انه شقيقه (قوله وكان أخذ شعره) أى الرأس (قوله ولم ترقب قولى) معطوف على ان تقول اى وخشيت عدم ترقبك اى انتظارك وتاملك فى قولى حتى تفهم عذرى فالياء فى قولى واقعة على هرون هذا هو المتبادر من عبارة المفسر وقيل انه معطوف على فرقت اى وخشيت ان تقول لم ترقب قولى أى تحفظه وتعمل به فعليه الياء واقعة على موسي (قوله قال بصرت) بضم الصاد فى قراءة العامة من باب ظرف وقرئ بكسرها من باب تعب (قوله بالياء) اى بنو اسرائيل وقوله والتاء اى انت وقومك والقراءتان سبعيتان (قوله من اثر الرسول) أى وعرفه لسابق الالفة فلما جاء جبريل ليطلب موسي الى الميقات لاخذ التوراة كان راكبا على فرس كلما وضعت حافرها على شيء اخضر فعرف السامرى ان للتراب الذى تضع الفرس حافرها عليه شانا (قوله فى صورة العجل) أى فى فمه (قوله المصاغ) صوابه المصوغ كما فى بعض النسخ (قوله طلبوا منك) اى حين جاوزوا البحر كما قال تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم الآية (قوله فان لك فى الحياة) ان حرف توكيد ونصب والجار والمجرور خبرها مقدم وان تقول فى محل نصب اسمها مؤخر والمعنى ان هذا القول ثابت لك مادمت حيا لا ينفك عنك فكان يصيح فى البرية لا مساس وحرم موسي عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته و يقال ان قومه باقية فيهم تلك الحالة الى الآن وهذه الآية اصل فى نفى اهل البدع والمعاصي وهجرانهم وعدم مخالطتهم (قوله فكان يهيم فى البرية) اى مع السباع والوحوش يقال ان موسى هم بقتله فقال الله له لا تقتله فانه سخى (قوله و بفتحها) اى فهما قراءتان

(ثم لننسفنه فى اليم نسفا) ندرينه فى هواء البحر وفعل موسى بعد ذبحه ماذكره (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) تمييز محول عن الفاعل اى وسع علمه كل شئ (كذلك) اى كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة (نقص عليك من انباء) اخبار (ما قد سبق) من الامم (وقد آتيناك) اعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا (من اعرض عنه) فلم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) اى فى عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) تمييز مفسر للضمير فى ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة (يوم ينفخ فى الصور) القرن النفخة الثانية (ونحشر المجرمين) الكافرين (يومئذ زرقا) عيونهم مع سواد وجوههم (يتخافتون بينهم) يتسارون (ان) ما (لبثتم) فى الدنيا (الا عشرا) من الليالى بايامها (نحن اعلم بما يقولون) فى ذلك اى ليس كما قالوا (اذ يقول امثلهم) اعدلهم (طريقة) فيه (ان لبثتم الا يوما) يستقلون لبثهم فى الدنيا جدا لما يعاينونه فى الآخرة من اهوالها (ويسئلونك عن الجبال) كيف تكون يوم القيامة (فقل) لهم (ينسفها ربى نسفا) بان يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح (فيذرها قاعا) منبسطا (صفصفا) مستويا (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا امتا) ارتفاعا (يومئذ) اى يوم اذ نسفت الجبال (يتبعون) اى الناس بعد القيام من القبور (الداعى) الى المحشر بصوته وهو اسرافيل يقول هلموا الى عرض الرحمن (لا عوج له) اى لاتباعهم اى لا يقدرون ان لا يتبعوا (وخشعت) سكنت (الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) صوت وطء الاقدام فى نقلها الى المحشر كصوت اخفاف الابل فى مشيها (يومئذ لا تنفع الشفاعة) احدا (الا من اذن له الرحمن) ان يشفع له (ورضى له قولا)

سبعيتان (قوله ثم لننسفنه فى اليم) أى فلا يبقى له عين ولا أثر (قوله بعد ذبحه) أى ولما ذبحه سال منه الدم (قوله انما الهكم الله الخ) كلام مستانف لتحقيق الحق وابطال الباطل وهذا آخر قصة موسى المذكورة فى هذه السورة (قوله كذلك نقص عليك) جملة مستانفة ذكرت تسلية له صلى الله عليه وسلم وتكثيرا لمعجزاته وزيادة فى علم أمته ليعرفوا أحباب الله فيحبونهم وأعداء الله فيبغضونهم ليزدادوا رفعة وشانا حيث اطلعوا على سير الاوائل (قوله أى كما قصصنا عليك) أشار بذلك الى أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره كقصصنا هذا الخبر الغريب نقص عليك الخ (قوله هذه القصة) أل للجنس لان المتقدم ثلاث قصص قصة موسى مع فرعون ومع بنى اسرائيل ومع السامرى (قوله ذكرا) سمى بذلك لتذكيره النعم والدار الآخرة (قوله من أعرض عنه) هذه الجملة فى محل نصب صفة لذكرا (قوله فلم يؤمن به) أشار بذلك الى أن المراد بالاعراض عنه الكفر به وانكار كونه من عند الله كلا أو بعضا (قوله من الاثم) بيان للحمل الثقيل (قوله خالدين فيه) الجملة فى محل نصب على الحال من الضمير فى يحمل العائد على من باعتبار معناها والتقدير يحملون الوزر حال كونهم مخلدين فيه (قوله أى فى الوزر) أى عقابه فالكلام على حذف مضاف (قوله وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فعل ماض لا نشاء الذم والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله حملا ولهم جار ومجرور متعلق بقول محذوف ويوم القيامة ظرف لساء وحملا تمييز والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله وزرهم (قوله يوم ينفخ) أى نامر بالنفخ وفى قراءة سبعية أيضا بالياء مع بناء الفعل للمفعول أى ينفخ اسرافيل (قوله القرن) أى وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق (قوله النفخة الثانية) أى لحشر الخلائق (قوله زرقا) حال من المجرمين (قوله مع سواد وجوههم) خصت بالذكر لانها مظهر القبح والحسن (قوله يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما شاهدوه من الرعب والهول (قوله من الليالى بايامها) حمل المفسر العشر على الليالى دون الايام لتجريده من التاء فان المعدود اذا كان مؤنثا جرد العدد من التاء عكس المذكر (قوله أمثلهم طريقة) أى أعدلهم رأيا فى الدنيا (قوله لما عاينوه فى الآخرة من الهول) أى فنسب ذلك القول لهم لشدة ما عاينوا من الهول لا لكونه أقرب الى الصدق (قوله ويسئلونك) أى كفار مكة تعنتا واستهزاء (قوله ثم يطيرها بالرياح) أى فالمعنى انها تذهب بقدرة الله فلا يبقى لها أثر (قوله فيذرها) أى يتركها والضمير عائد على الارض (قوله قاعا صفصفا) حالان من الضمير فى يذرها والقاع المستوى الصلب والصفصف الارض الملساء فهو قريب فى المعنى من القاع فهو توكيد له (قوله عوجا) تقدم أن العوج بالكسر فى المعانى وبالفتح فى المحسوسات وماهنا من الثانى لكن عبر فيه بالكسر لانه لشدة غرابته كانه صار من قبيل المعانى (قوله يتبعون الداعى) اى فيقبلون من كل جهة (قوله وهو اسرافيل) اى فيضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول يا ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون عليه وقيل المنادى جبريل والنافخ اسرافيل وصححه بعضهم (قوله الى عرض الرحمن) اى العرض عليه (قوله لا عوج له) اى لا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل ياتونه سراعا (قوله للرحمن) اى لجلاله وهيبته (قوله الا همسا) مفعول به وهو استثناء مفرغ (قوله الا من اذن له الرحمن) من مفعول به وهى واقعة على

المشفوع له او على الشفيع فقول المفسر ان يشفع له اى او يشفع فى غيره (قوله بان يقول لا اله الا الله) اى مع عديلتها وهى محمد رسول الله والمعنى ان من مات على الاسلام فقد رضي الله قوله وأذن له ان يشفع فى غيره وان يشفع غيره فيه (قوله ما بين ايديهم) اى الخلق عموما (قوله ولا يحيطون به) اى بما بين ايديهم وماخلفهم (قوله لا يعلمون ذلك) أى لا تفصيلا ولا اجمالا وانما يعلمه الله سبحانه وتعالى (قوله وعنت الوجوه) عنا فعل ماض والتاء للتانيث والوجوه فاعل وأصله عنوت تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت الفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين فهو من باب سما يسمو سموا واما عنى كرضي يعنى عنا فهو بمعنى تعب وليس مرادا هنا بل المراد خضعت وذلت وأل فى الوجوه للاستغراق أى كل الوجوه والمراد أصحابها وخصت الوجوه بالذكر لان الذل اول مايظهر فيها (قوله للحى) اى الذى حياته أبدية لا أول لها ولا آخر (قوله القيوم) أى القائم على كل نفس بما كسبت فيجازيها على الخير والشر (قوله وقد خاب من حمل ظلما) اشار بذلك الى ان الخلائق تنقسم فى القيامة قسمين أهل سعادة وأهل شقاوة وكلاهما فى خضوع وذل لله جل جلاله لكن اهل السعادة خضوعهم اجلالا وهيبة ورغبة فى الله واهل الشقاوة خضوعهم رهبة واشفاقا من عذاب الله وياسا من رحمة الله قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله خسر) اى ظهر خسرانه (قوله من حمل ظلما) اى تحمله وارتكبه وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدل على ان أهل الظلم خائبون خاسرون اى معرضون لذلك ففى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة فان الظالم ربما أداه ظلمه الى الكفر والعياذ بالله تعالى فاذا مات على ذلك فهو مخلد فى النار وان مات على الاسلام فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة فى سيآته والنقص من حسناته (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى وبضدها تتميز الاشياء فالعاصي الظالم يخاف زيادة سيآته ونقص حسناته لما ورد انه يؤخذ من حسناته للمظلوم فاذا لم يبق له حسنات طرح من سيآت المظلوم عليه (قوله أى مثل انزال ماذكر) اى الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة الغريبة (قوله انزلناه) اى على لسان جبريل مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع (قوله عربيا) أى بلغة العرب ليعرفوا انه فى الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر (قوله من الوعيد) اى التخويف (قوله لعلهم يتقون الشرك) اى يجعلون بينهم وبين الشرك وقاية بان يؤمنوا (قوله او يحدث لهم ذكرا) اى موعظة فى القلوب فينشا عنها امتثال الاوامر واجتناب النواهى وتكرار المواعظ فى القرآن من مزيد رحمته تعالى بعباده سيما مع امهالهم وعدم معاجلتهم بالاخذ ولذلك يقال للكفار يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (قوله الملك) اى النافذ حكمه وأمره (قوله الحق) اى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا وأبدا (قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) المعنى لا تتعجل بقراءة ما القاه عليك جبريل فى قلبك حتى يقرأه عليك وسبب ذلك ان جبريل كان ياتى للنبي بالقرآن فيلابس جسمه ويضعه فى قلبه فيريد النبي التعجل والنطق به فامره الله ان لا ينطق به حتى يقرأه جبريل بالمسان عليه ظاهرا وهذا معنى قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه والحكمة فى تلقى رسول الله عن جبريل ظاهرا انه يكون سنة متبعة لامته فهم مامورون بالتلقى من افواه المشايخ ولا يفلح من أخذ العلم او القرآن من السطور بل التلقى له سر آخر (قوله وقل رب زدنى علما) اى سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالى نزول القرآن فانها افضل ما يسئل واعزما يطلب ومن هنا امر المشايخ للمريدين بتلاوة القرآن والتعبد به بعد كما لهم ونظافة قلوبهم وما داموا لم يكملوا يامرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه

بان يقول لا اله الا الله يعلم ما بين ايديهم) من امور الآخرة (وما خلفهم) من امور الدنيا (ولا يحيطون به علما) لا يعلمون ذلك (وعنت الوجوه) خضعت (للحى القيوم) اى الله (وقد خاب) خسر (من حمل ظلما) اى شركا (ومن يعمل من الصالحات) الطاعات (وهو مؤمن فلا يخاف ظلما) زيادة فى سيآته (ولا هضما) بنقص من حسناته (وكذلك) معطوف على كذلك نقص اى مثل انزال ماذكر (أنزلناه) أى القرآن (قرآنا عربيا وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) الشرك (او يحدث) القرآن (لهم ذكرا) بهلاك من تقدمهم من الامم فيعتبرون (فتعالى الله الملك الحق) عما يقول المشركون (ولا تعجل بالقرآن) اى بقراءته (من قبل ان يقضى اليك وحيه) اى يفرغ جبريل من ابلاغه (وقل رب زدنى علما) اى بالقرآن فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علما (ولقد عهدنا الى آدم)

اذكر (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) وهو ابو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم (أبى) عن السجود لآدم قال انا خير منه (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء بالمد (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك واقتصر على شقاه لان الرجل يسعى على زوجته (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك) بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم ان وجملتها (لا تظمأ فيها) تعطش (ولا تضحى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس في الجنة (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) اى التي يخلد من ياكل منها (وملك لا يبلى) لا يفنى وهو لازم الخلود (فاكلا) اى آدم وحواء (منها فبدت لهما سوآتهما) اى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لان انكشافه يسوء صاحبه (وطفقا يخصفان) اخذا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليستترا به (وعصى آدم ربه فغوى) بالاكل من الشجرة (ثم اجتباه ربه) قربه (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) اى هداه الى المداومة على التوبة (قال اهبطا) اى آدم وحواء

لتخلص قلوبهم والحكمة في ذلك ان الغفلة في الذكر اخف منها في القرآن لما في الاثر رب قارئ والقرآن يلعنه فجعل العارفون للتوصل للقرآن طرقا يجاهدون انفسهم فيها لتزدادوا بقراءتهم القرآن علوما ومعارف واخلاقا وحينئذ فليس تركهم القراءة في المبدأ لكون غيره افضل منه بل لينظفوا انفسهم للقراءة (قوله وصيناه ان لا ياكل من الشجرة) اى نهيناه عن الاكل منها وحتمنا عليه الاكل منها فغلب مرادنا على امرنا (قوله ترك عهدنا) اى متاولا حيث غلطه ابليس بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فظن انه لا يحلف احد بالله كذبا (قوله واذ قلنا للملائكة) كررت هذه القصة في سبع سور من القرآن تعليما للعباد امتثال الامر واجتناب النهي وعطف هذه القصة على ما قبلها من عطف السبب على المسبب لان هذه القصة سبب في عداوة ابليس لآدم (قوله فسجدوا) اى جميعا وتقدم الجواب عن سجود الملائكة باوضح وجه (قوله الا ابليس) استثناء متصل او منقطع (قوله كان يصحب الملائكة الخ) توجيه للاتصال لكونه لم يعبر بلكن (قوله فلا يخرجنكما) النهي لابليس صورة والمراد نهيهما عن تعاطي اسباب الخروج فيتسبب عن ذلك حصول التعب له في الدنيا (قوله واقتصر على شقاه) اى مع ان النهي لهما معا (قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى الخ) قابل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعرى والظمأ والضحو وان كان الجوع يقابل العطش والعرى يقابل الضحو لان الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر ففي عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن (قوله بفتح الهمزة وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال يا آدم) بيان لصورة الوسوسة (قوله فبدت لهما سوآتهما) اى بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما اكلا من الشجرة (قوله يسوء صاحبه) اى يحزنه (قوله من ورق الجنة) اى ورق التين فصارا يلزقان بعضه ببعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به (قوله وعصى آدم ربه فغوى) أى وقع فيما نهى عنه متاولا حيث تخلف ما قصده باكله من الشجرة وضل عن مطلوبه وهو الخلود في الجنة فمعصيته وقوعه في المخالفة باعتبار الواقع لا في القصد والنية بل قصده ونيته امتثال الامر وتجنب ما يوجب الخروج وحينئذ فلا يجوز ان يطلق على آدم العصيان والغواية من غير اقتران بالتاويل ولا نفي اسم العصيان عنه لصريح الآية وعلى كل حال فالله عنه راض وهو معصوم قبل النبوة وبعدها من كل ما يخالف امر الله هذا هو الحق في تقرير هذا المقام واعلم ان الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح كما هو معهود في نصوص الشرع وتسمية الله له في حقهم معصية من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله بالاكل من الشجرة) تقدم انها الحنطة وقيل التين وقيل غير ذلك (قوله ثم اجتباه) اى اصطفاه واختاره (قوله قبل توبته) اى بقوله ربنا ظلمنا انفسنا الخ (قوله الى المداومة على التوبة) اى الاستمرار عليها (قوله قال اهبطا) اى قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة لان مكثهما فيها كان معلقا على عدم اكلهما من الشجرة وقد سبق في علمه تعالى انهما ياكلان منها فهو امر مبرم والمعلق على المبرم مبرم فاخراجهما ليس للغضب عليهما بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما لانهما خرجا من الجنة منفردين ويعودان اليها بمائة وعشرين صفا من اولادهما لا يحيط بعدة تلك الصفوف الا الله تعالى * ان قلت ما الحكمة في تعليق الخروج على الاكل من الشجرة ولم يكن بلا سبب * اجيب بان الله سبحانه وتعالى كريم ومن عادة الكريم ان لا يسلب نعمته عن المنعم اليه الا بحجة قال تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم (قوله اى آدم وحواء) يحتمل ان اى حرف نداء وآدم منادى مبني على الضم في محل نصب وحواء معطوف

بما اشتملتما عليه من ذريتكما (منها) من الجنة (جميعا بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (فاما) فيه ادغام نون أن الشرطية فى ما الزائدة (يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى) اى القرآن (فلا يضل) فى الدنيا (٥٧) (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن اعرض عن ذكرى) اى القرآن فلم يؤمن به (فان له معيشة ضنكا) بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت فى حديث بعذاب الكافر فى قبره (ونحشره) اى المعرض عن القرآن (يوم القيامة أعمى) اى اعمى البصر (قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا) فى الدنيا وعند البعث (قال) الامر (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) تركتها ولم تؤمن بها (وكذلك) مثل نسيانك آياتنا (اليوم تنسى) تترك فى النار (وكذلك) ومثل جزائنا من اعرض عن القرآن (نجزى من اسرف) اشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وابقى) ادوم (افلم يهد) يتبين (لهم) لكفار مكة (كم) خبرية مفعول به (اهلكنا) اى كثيرا اهلكنا (قبلهم من القرون) اى الامم الماضية بتكذيب الرسل (يمشون) حال من ضمير لهم (فى مساكنهم) فى سفرهم الى الشام وغيرها فيعتبروا وما ذكر من اخذ اهلاك من فعله الخالى عن

على آدم ويحتمل ان أى حرف تفسير وآدم وحواء تفسير للضمير فى اهبطا (قوله بما اشتملتما عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الاعراف حيث جمع فيها وتقدم لها وجه آخر فى التوفيق بينهما بان الجمع باعتبار آدم وحواء وابليس والحية وعلى هذا فقوله بعضكم لبعض عدو باعتبار ان الحية وابليس عدو لآدم وذريته (قوله من ظلم بعضهم بعضا) اى من اجل ظلم بعضهم بعضا لما فى الحديث سالت ربى ان لا يسلط على أمتى عدوا من سوى انفسها فاستجاب لى (قوله فاما يأتينكم منى هدى) ان شرطية مدغمة فى ما الزائدة ويأتينكم فعل الشرط مبنى على الفتح فى محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ومنى متعلق بهدى وهدى فاعل وقوله فمن اتبع الخ من شرطية واتبع فعل الشرط وجملة فلا يضل جوابه وقوله ومن أعرض الخ جملة شرطية ايضا والجملتان فى محل جزم جواب الشرط الاول (قوله اى القرآن) فى تفسير الهدى والذكر فيما ياتى بالقرآن قصورا لان الخطاب مع آدم وذريته وهداهم وتذكيرهم اعم من ان يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب النازلة على الرسل فالمناسب ان يقول اى كتاب ورسول (قوله بالتنوين) اى وصلا وابداله الفا وقفا وفى قراءة شاذة ضنكى كسكرى بالف بدل عن التنوين اجراء للوصل مجرى الوقف (قوله مصدر) اى وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل هو بلفظ واحد للجميع ولذلك لم يقل ضنكة (قوله بعذاب الكافر فى قبره) اى لما ورد انه يضغط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال فى العذاب حتى يبعث وقيل المراد بالعيشة الضنكى الحياة فيما يغضب الله تعالى وان كان فى رخاء ونعمة اذ لا خير فى نعمة بعدها النار لما فى الحديث رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا (قوله اى المعرض عن القرآن) المناسب ان يقول المعرض عن الهدى لما علمت (قوله اى اعمى البصر) اى وذلك فى المحشر فاذا دخل النار زال عماه ليرى مقعده فى النار وعذابه بها (قوله الامر كذلك) قدره اشارة الى ان كذلك خبر لمحذوف (قوله تركتها ولم تؤمن بها) اى فالمراد بالنسيان الاعراض وعدم الايمان بها وليس المراد حقيقة النسيان وحينئذ فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على ان من حفظ القرآن ثم نسيه يحشر يوم القيامة أعمى لانه امر اختلف فيه العلماء فمذهب مالك رضى الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن مستحب اكيدا بتداء ودواما فنسيانه مكروه ومذهب الشافعى نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه (قوله أدوم) اى لانه لا ينقطع بخلاف عذاب الدنيا والقبر (قوله أفلم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يهد لهم (قوله يتبين) اشار بذلك الى ان يهد فعل لازم والمعنى أعموا فلم يظهر لهم اهلاكنا كثيرا من قبلهم من القرون (قوله مفعول به) اى وتمييزها محذوف اى قرنا وقوله من القرون متعلق بمحذوف صفة لذلك التمييز (قوله بتكذيب الرسل) الباء سببية اى ان الاهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الايمان بالله ورسله (قوله وماذكر) مبتدأ وقوله لا مانع منه خبره والمعنى ان اخذ المصدر من الفعل لصحة المعنى لا يتوقف على الحرف المصدرى بل يسبك المصدر من الفعل بدون سابك لتوقف المعنى عليه واما لصحة الاعراب فلا يكون غالبا الا بحرف مصدرى (قوله لذوى العقول) اى السليمة الصافية وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون (قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) اى ان الله سبحانه وتعالى سبق فى علمه تاخير العذاب العام لهذه الامة اكراما لنبيها ولولا ذلك لحل بهم كما حل بمن قبلهم من القرون الماضية فتاخيره

(٨ - صاوى - ث) حرف مصدرى لرعاية المعنى لا مانع منه (ان فى ذلك لآيات) لعبر (لأولى النهى) لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتاخير العذاب عنهم الى الآخرة (لكان) الاهلاك (لزاما) لازما لهم فى الدنيا (واجل مسمى) مضروب لهم

امهال لا اهمال ليتدارك الكافر مافاته فيما بقي من عمره فان تاب قبله ربه (قوله معطوف على الضمير المستتر في كان) أي والمعنى لكان الاهلاك والاجل المعين له لزاما أي لازما لهم ولم يقل لازمين لان لزاما مصدر في الاصل وان كان هنا بمعنى اسم الفاعل وقوله وقام الفصل الخ أي ان العطف على ضمير الرفع المتصل جائز اذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما كما هنا قال ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما * وأحسن مما قرره المفسر أن يجعل قوله وأجل مسمى معطوفا على كلمة والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى وهو مدة معيشتهم في الدنيا التي قدرها الله لهم لكان العذاب العام لازما (قوله فاصبر على ما يقولون) أي حيث علمت أن تاخير عذابهم ليس باهمال بل هو لازم لهم في القيامة فتسل واصبر ولا تتعجل (قوله منسوخ بآية القتال) أي وعليه فالمراد بقوله اصبر لا تعاجلهم بالقتال وقيل ان الآية محكمة وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الاذية (قوله صل) انما سمى التسبيح والتحميد صلاة لاشتمالها عليهما ولان المقصود من الصلاة تنزيه الله عن كل نقص والمعنى لا تشتغل بالدعاء عليهم بل صل الصلوات الخمس ولما كان الاصل في الامر الوجوب حمل الامر بالتسبيح والتحميد على الامر بالصلاة (قوله حال) أي من فاعل سبح والباء في بحمد ربك للملابسة كما قال المفسر (قوله ومن آناء الليل) جمع انى بكسر الهمزة والقصر كمعى وأصله أاناء بهمزتين أبدلت الثانية الفا على القاعدة المعروفة (قوله وأطراف النهار) المراد بالجمع ما فوق الواحد لان المراد به الزمن الذي هو آخر النصف الاول وأول الثاني (قوله المنصوب) أي بسبح والمعنى صل في أطراف النهار وهو الوقت الذي يجمع الطرفين وهو الزوال (قوله لعلك ترضى) متعلق بسبح أي سبح في هذه الاوقات لعلك ترضى بذلك وانظر الى هذا الخطاب اللطيف المشعر بانه صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين وأفضل الخلق أجمعين حيث قال له ربه لعلك ترضى ولم يقل لعلي أرضي عليك ونحو ذلك ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة وقول السيدة عائشة رضي الله عنها ما أرى ربك الا يسارع في هواك فصلاته صلى الله عليه وسلم ما مورها ليرضي هو لا ليكفر الله عنه سيئاته ولا ليرضي عليه وحينئذ فلا كلفة عليه فيها الان فيها شهوده لربه الذي هو قرة عينه وللعارفين الكاملين من أمته نصيب من هذا المقام (قوله ولا تمدن عينيك) عطف على فاصبر أي لا تنظر بعينيك الى زهرة الدنيا نظر رغبة وهذا الخطاب لرسول الله والمراد غيره لان ذلك مستحيل عليه لما ورد أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وورد ليست الدنيا مني (قوله أصنافا منهم) أي الخلق فالدنيا دائرة في أصناف الخلق فتارة تكون مع الشريف وتارة مع الوضيع وهكذا (قوله زهرة الحياة الدنيا) الاحسن أنه منصوب على أنه مفعول ثان لمتعنا بتضمينه معنى أعطينا والاول هو قوله أزواجا (قوله بان يطغوا) الباء سببية أي نفتنهم بسبب طغيانهم فيه (قوله ورزق ربك خير وأبقى) أي فعلى الانسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى وهي الجنة ونعيمها ويترك ما يفنى وهو الدنيا وقسمته الازلية تاتيه منها من غير تعب ولا مشقة (قوله وأمر أهلك) أي أمتك (قوله واصطبر عليها) أي وأمرهم بذلك (قوله نحن نرزقك) أي نحن متكفلون برزقك فتفرغ لما كلفت به ولا تشتغل بما تكفلنا لك به روي أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهل بيته ضيق أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (قوله والعاقبة للتقوى) أي الجميلة المحمودة لاهل التقوى (قوله أي المشركون) أي وهم كفار مكة (قوله مما يقترحونه) أي يطلبونه تعنتا كما تقدم بعضه في قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات (قوله أولم تاتهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف

معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل بخبرها مقام التاكيد (فاصبر على ما يقولون) منسوخ بآية القتال (وسبح) صل (بحمد ربك) حال أي متلبسا به (قبل طلوع الشمس) صلاة الصبح (وقبل غروبها) صلاة العصر (ومن آناء الليل) ساعاته (فسبح) صل المغرب والعشاء (وأطراف النهار) عطف على محل من آناء المنصوب أي صل الظهر لان وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الاول وطرف النصف الثاني (لعلك ترضى) بما تعطى من الثواب (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا) اصنافا (منهم زهرة الحياة الدنيا) زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) بان يطغوا (ورزق ربك) في الجنة (خير) مما اتوه في الدنيا (وابقى) ادوم (وامر اهلك بالصلاة واصطبر) اصبر (عليها لا نسالك) نكلفك (رزقا) لنفسك ولا لغيرك (نحن نرزقك والعاقبة) الجنة (للتقوى) لاهلها (وقالوا) اى المشركون (لولا) هلا (ياتينا) محمد (بآية من ربه) مما يقترحونه (اولم تاتهم)

اى اعموا ولم تاتهم الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مافى الصحف الاولى) أى الكتب المتقدمة والمعنى ألم يكتفوا بالقرآن المحتوى على اخبار الامم الماضية (قوله ولو انا اهلكناهم) كلام مستانف لتقرير ماقبله (قوله لقالوا ربنا الخ) اى لكان لهم ان يحتجوا يوم القيامة ويعتذروا بهذا العذر فقطع الله عذرهم بارسال الرسول لهم ولم يهلكهم قبل مجيئه (قوله من قبل ان نذل) اى يحصل لنا الذل والهوان (قوله ونخزى) اى نفتضح (قوله مايؤل اليه الامر) اى امرنا وامركم (قوله فتربصوا) اى انتظروا (قوله من اصحاب الصراط السوى) من فى الموضعين استفهامية والكلام على حذف مضاف والتقدير فستعلمون جواب من اصحاب الخ وهو انهم هم المؤمنون (قوله ومن اهتدى من الضلالة) أشار المفسر الى وجه المغايرة بين القسمين فاصحاب الصراط السوى من لم يضل اصلا كالنبى ومن اسلم صبيا ومن اهتدى هو من سبق له الكفر ثم اسلم بعد ذلك

﴿سورة الانبياء عليهم السلام﴾

سميت بذلك لذكر قصص جملة من الانبياء فيها (قوله مكية) اى نزلت قبل الهجرة باتفاق (قوله او اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف مرتب على الخلاف فى قوله تعالى قال افتعبدون من دون الله الى قوله أفلا تعقلون هل هو آية واحدة او آيتان واول الثانية قوله أف لكم الخ (قوله اهل مكة) أشار بذلك الى انه من اطلاق العام وارادة الخاص وحاصل ذلك ان كفار قريش قالوا لمحمد يهددنا بالبعث والجزاء على الاعمال وهذا بعيد فانزل الله اقترب للناس حسابهم ووجه قرب الحساب انه آت لا محالة وكل آت قريب أو يقال ان قرب باعتبار ماه مضي من الزمان فان مابقى اقل مما مضى (قوله وهم فى غفلة معرضون) الجملة حالية اى قرب حسابهم والحال انهم غافلون معرضون غير متاهبين له والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية وان كان سببها الرد على كفار مكة الا ان العبرة بعمومها (قوله مايأتيهم من ذكر) هذا فى معنى العلة لما قبله كانه قال مسرضون لانه مايأتيهم من ذكر الخ (قوله من ربهم) الجار والمجرور متعلق بيأتيهم (قوله اى لفظ قرآن) دفع بذلك مايقال كيف وصف الذكر بالحدوث مع ان المراد به القرآن وهو قديم فاجاب بان وصفه بالحدوث باعتبار ألفاظه المنزلة علينا وأما باعتبار المدلول وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم واما مادلت عليه الالفاظ الحادثة فمنها ماهو قديم كمدلول آية الكرسي والصمدية ومنها ماهو حادث كمدلول القصص واخبار المتقدمين ومنها ماهو مستحيل كمدلول ماتخذ الله من ولد (قوله وهم يلعبون) الجملة حالية من فاعل استمعوه وكذا قوله لاهية قلوبهم والمعنى مايقرأ عليهم القرآن الا استمعوه فى حال استهزائهم وكون قلوبهم غافلة عن معناه فلا يسمعونه سماع تدبر وقبول وكل آية وردت فى الكفار جرت بذيلها على عصاة الامة ففى هذه الآية تحذير لمن يستمع القرآن فى حال لهوه ولعبه واقبح منه من يطرب بسماعه من حيث اشماله على الانغام المعروفة لا من حيث بلاغته ومواعظه واحكامه وكونه من عند الله فانا لله وانا اليه راجعون (قوله بدل من واو اسروا النجوى) أشار بذلك الى ان اسر فعل ماض والواو فاعله والنجوى مفعوله والذين بدل وهذه احدى طريقتين للنحويين فى الفعل الذى لحقته العلامة واسند للظاهر والطريقة الثانية ان الواو حرف علامة والذين فاعل وتسمى بلغة اكلونى البراغيث ولما كانت ضعيفة لا ينبغى حمل الآية عليها اعرض عنها المفسر (قوله هل هذا الا بشر مثلكم) بدل من النجوى مفسر لها أى فكانوا يتناجون بذلك سرا بينهم ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره (قوله أفتاتون السحر) اى تحضرونه وتقبلونه (قوله وانتم تبصرون) الجملة حالية من فاعل تاتون (قوله فى السماء والارض) اشار المفسر الى انه حال من القول أى يعلم القول حال كون القول كائنا فى

الرسل (ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله) قبل محمد الرسول (لقالوا) يوم القيامة (ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك) المرسل بها (من قبل ان نذل) فى القيامة (ونخزى) فى جهنم (قل) لهم (كل) منا ومنكم (متربص) منتظر مايؤل اليه الامر (فتربصوا فستعلمون) فى القيامة (من اصحاب الصراط) الطريق (السوى) المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة أنحن ام انتم

﴿سورة الانبياء مكية وهى مائة واحدى او اثنتا عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم اقترب) قرب (للناس) أهل مكة منكرى البعث (حسابهم) يوم القيامة (وهم فى غفلة) عنه (معرضون) عن التاهب له بالايمان (مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث) شيأ فشيأ اى لفظ قرآن (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزؤن (لاهية) غافلة (قلوبهم) عن معناه (واسروا النجوى) اى الكلام (الذين ظلموا) بدل من واو اسروا النجوى (هل هذا) اى محمد (الا بشر مثلكم) فما يأتى به سحر (افتاتون السحر)

تتبعونه (وانتم تبصرون) تعلمون انه سحر (قل) لهم (ربى يعلم القول) كائنا (فى السماء والارض وهو السميع) لما اسروه (العليم) به (بل)

السماء والارض (قوله للانتقال من غرض الى آخر) أى فلا تقع بل فى القرآن الا للانتقال لا للابطال لانه يكون اضرابا عن الكلام السابق واعراضا عنه لكونه صدر على وجه الغلط وتنزه الله عنه خلافا لمن يقول انها تاتى للابطال واستدل بقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقوله تعالى أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق ولا دليل فى ذلك لان بل فيهما للانتقال من الاخبار بقولهم الى الاخبار بالواقع فتامل (قوله أضغاث أحلام) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو والجملة مقول القول (قوله بل هو شاعر) أى يأتى بكلام يخيل للسامع معانى لا حقيقة لها وليس المراد بالشعر هنا خصوص الكلام المقفى الموزون قصدا بل ما هو أعم (قوله فليأتنا بآية) جواب شرط مقدر كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا كما يزعم فليأتنا الخ (قوله كما ارسل الاولون) صفة لمصدر محذوف والتقدير اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين (قوله من قرية) من زائدة فى الفاعل (قوله لا) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله وما ارسلنا) رد لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم (قوله يوحى اليهم) اى يأتيهم الوحى بالشرائع والاحكام والمعنى ما أرسلنا الى الامم قبل ارسالك لامتك الا رجالا من أفراد جنسك متاهلين للارسال (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله فاسئلوا أهل الذكر) أى المطلعين على أحوال الرسل الماضية فانهم يخبرونكم بحقيقة الحال (قوله العلماء بالتوراة والانجيل) انما أحالهم عليهم لانهم كانوا يرسلون للمشركين ان ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم فهم مشتركون فى العداوة لرسول الله واصحابه فلا يكذبونهم فيما هم فيه (قوله من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أى أقرب من تصديقكم المؤمنين والمعنى اذا اخبركم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين واخبركم أهل الكتاب بذلك صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين لافتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين (قوله وما جعلناهم جسدا الا يأكلون الطعام) رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (قوله وما كانوا خالدين) اى ماكثين على سبيل الخلود فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (قوله ثم صدقناهم الوعد) أى باهلاك اعدائهم (قوله بانجائهم) محمول على الرسل الذين امروا بالجهاد فلا يرد من قتل من الرسل فانهم لم يؤمروا بالجهاد (قوله ومن نشاء) اى المؤمنين الذين اتبعوهم وقد وقع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كبراء اصحابه الذين حضروا مغازيه لم يموتوا فى حروبه بل بقوا بعده ومهدوا دينه (قوله لقد انزلنا اليكم كتابا) كلام مستانف قصد به التبكيت عليهم والمعنى كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم لانه بلسانكم وعلى لغتكم فكان بمقتضى الحمية والعقل ان تعظموا هذا الكتاب وهذا النبى الذى جاء به وتكونوا اول مؤمن به فاعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم (قوله فيه ذكركم) اى الثناء عليكم بالجميل اوشرفكم ومواعظكم (قوله افلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم فلا تعقلون ان الامر كذلك (قوله وكم قصمنا من قرية) كم خبرية مفعول مقدم لقصمنا ومن قرية بيان لكم (قوله أى أهلها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والمقصود من هذه الآية تحذير الكفار من هذه الامة عن عدم الايمان والرجوع عن الكفر بانهم لا يغرنهم سعة الدنيا عليهم والتفاخر بالاموال والاولاد كان الله يقول لهم لا تغتروا بذلك فانا اهلكنا كثيرا من اهل القرى الكفار وما جرى عليهم يجرى عليكم وأهل القرى قيل المراد بهم الامم الماضية كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم وقيل المراد بهم اهل قرية باليمن تسمى حضور بوزن شكور بعث الله عليهم موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب نبيا قبل موسى ابن عمران فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى نساءهم فلما استمر فيهم

للانتقال من غرض الى آخر فى المواضع الثلاثة (قالوا) فيما أتى به من القرآن (هو اضغاث احلام) اخلاط رآها فى النوم (بل افتراه) اختلقه (بل هو شاعر) فما أتى به شعر (فليأتنا بآية كما ارسل الاولون) كالناقة والعصا واليد قال تعالى (ما آمنت قبلهم من قرية) اى اهلها (اهلكناها) بتكذيبها ما اتاها من الآيات (أفهم يؤمنون) لا (وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (اليهم) لا ملائكة (فاسالوا أهل الذكر) العلماء بالتوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وأنتم الى تصديقهم اقرب من تصديق المؤمنين بمحمد (وما جعلناهم) اى الرسل (جسدا) بمعنى اجسادا (لا يأكلون الطعام) بل يأكلونه (وما كانوا خالدين) فى الدنيا (ثم صدقناهم الوعد) بانجائهم (فانجيناهم ومن نشاء) اى المصدقين لهم (واهلكنا المسرفين) المكذبين لهم (ولقد انزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) لانه بلغتكم (افلا تعقلون)

فتؤمنون به (وكم قصمنا) أهلكنا (من قرية) أى أهلها (كانت ظالمة) كافرة (وأنشانا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا باسنا) القتل

اى شعر اهل القرية بالاهلاك (اذاهم منها يركضون) يهربون مسرعين فقالت لهم الملائكة أستهزاء (لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم) نعمتم (فيه ومساكنكم لعلكم تسالون) شيئا من دنياكم على العادة (قالوا يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا (انا كنا ظالمين) بالكفر (فما

القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فانكم اهل نعمة وغنى فاتبعهم بختنصر واخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الانبياء فلما راوا ذلك اقروا بالذنوب حيث لم ينفعهم فعلى القول الاول كم واقعة على القرى وعلى الثانى واقعة على اشخاص تلك القرية (قوله اى شعر اهل القرية) بفتح العين بمعنى علم وأما بالضم فمعناه تكلم بالشعر ضد النثر (قوله يهربون) اى فالركض كناية عن الهرب (قوله استهزاء بهم) جواب عما يقال ان الملائكة معصومون من الكذب فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بانهم مهلكون عن آخرهم فاجاب بان هذا القول ليس على حقيقته بل سخرية بهم على حد ذق انك انت العزيز الكريم (قوله ومساكنكم) بالجر عطفا على ما (قوله شيئا من دنياكم) اى فانتم اهل سخاء وغنى تعطون الفقراء وهذا توبيخ وتهكم بهم (قوله بالكفر) اى وقتل موسى (قوله فما زالت) ما نافية وزال فعل ماض ناقص وتلك اسمها ودعواهم خبرها (قوله الكلمات) المراد بها قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين (قوله حتى جعلناهم) اى رجالهم واما النساء فقد سباهم بختنصر كما تقدم وكلام المفسر يفيد ان هذه الآية حكاية عن اهل حضور (قوله كخمود النار) اى سكون لهبها مع بقاء جمرها واما الهمود فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير رمادا (قوله لاعبين) حال من فاعل خلقنا وهو محط النفى (قوله بل دالين على قدرتنا) ويسبحوننا بدليل قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده (قوله ونافعين لعبادنا) اى وتفصيل جهات النفع بها لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى (قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا) رد على من اثبت الولد والزوجة لله (قوله لا تخذناه من لدنا) جواب لو واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم والمعنى لو تعلقت ارادتنا باتخاذ الزوجة والولد لاتخذناه من عندنا لكنا لم نتخذه فلم تتعلق به ارادتنا لاستحالة ذلك علينا (قوله ان كنا فاعلين) يحتمل ان تكون نافية اى ما كنا فاعلين (قوله بل نقذف بالحق على الباطل) اى شاننا ان نؤيد الحق ونذهب الباطل (قوله مما تصفون الله به) اشار بذلك الى ان ما موصولة والعائد محذوف ويصح ان تكون مصدرية والمعنى ولكم الويل من اجل وصفكم اياه بما لا يليق (قوله اى الملائكة) عبر عنهم بالعندية اشارة الى انهم فى مكانة وشرف ورفعة (قوله لا يستكبرون) اى يتكبرون (قوله ولا يستحسرون) اى لا يكلون ولا يتعبون (قوله يسبحون الليل والنهار) المقصود من هذا الاخبار تحريض المؤمنين على الطاعات وتبكيت الكفار على تركها لان العبادة والتسبيح وصف اهل القرب والشرف وتركها وصف اهل البعد والخسة (قوله فهو منهم كالنفس منا) اى فهو سجية وطبيعة لهم ولا يشغلهم التسبيح عن غيره كما من الكفرة ونزول الارض وتبليغ الاحكام وغير ذلك كما ان اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام ان قلت ان هذا قياس مع الفارق لان آلة النفس غير آلة الكلام واما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال اجيب بان الملائكة لهم السنة كثيرة بعضها يسبحون الله به وبعضها يلعنون اعداء الله به فلا يقاسون على بنى آدم (قوله وهمزة الانكار) اى وهو راجع لقوله هم ينشرون (قوله هم ينشرون) اى حيث ادعوا انها آلهة لزمهم ما ذكر ضمنا والتزاما والا فهم لم يدعوا انها تحيي الموتى (قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) لو حرف شرط وكان تامة فعل الشرط وآلهة فاعلها وفيهما متعلق بكان والا بمعنى غير صفة لآلهة ظهر اعرابها فيما بعدها وقوله لفسدتا جواب الشرط ففعل الشرط يقال له المقدم وجوابه يقال له التالى واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم والمعنى لكنهما لم

زالت تلك) الكلمات (دعواهم) يدعون بها ويرددونها (حتى جعلناهم حصيدا) اى كالزرع المحصود بالمناجل بان قتلوا بالسيف (خامدين) ميتين كخمود النار اذا طفئت (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا (لو اردنا ان نتخذ لهوا) ما يلهى به من زوجة أو ولد (لاتخذناه من لدنا) من عندنا من الحور العين والملائكة (ان كنا فاعلين) ذلك لكنا لم نفعله فلم نرده (بل نقذف) نرمى (بالحق) الايمان (على الباطل) الكفر (فيدمغه) يذهبه فاذا هو زاهق) ذاهب ودمغه فى الاصل اصاب دماغه بالضرب وهو مقتل (ولكم) يا كفار مكة (الويل) العذاب الشديد (مما تصفون) الله به من الزوجة أو الولد (وله) تعالى (من فى السموات والارض) ملكا (ومن عنده) اى الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) لا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه

شاغل (ام) بمعنى بل للانتقال وهمزة الانكار (اتخذوا آلهة) كائنة (من الارض) كحجر وذهب وفضة (هم) اى الآلهة (ينشرون) اى يحيون الموتى لا ولا يكون الها الا من يحيي الموتى (لو كان فيهما) اى السموات والارض (آلهة الا الله)

To: www.al-mostafa.com

تفسدا فلم يكن فيهما آلهة غير الله والجمع فى آلهة ليس قيدا وكذا قوله فيهما وانما أتى بذلك ردا على الكفار فى اتخاذهم الآلهة فى السماء والارض (قوله أى غيره) أشار بذلك الى ان الا صفة بمعنى غير فهى اسم لكن لم يظهر اعرابها الا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف ولا يجوز ان تكون اداة استثناء لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ اما الاول فلانه يلزم منه نفى التوحيد اذ التقدير لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا فيقضى بمفهومه انه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل وأما الثانى فلان المستثنى منه يشترط ان يكون عاما وآلهة جمع منكر فى الاثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه (قوله لوجود التمانع بينهم) أى التخالف بين الآلهة ويسمى الدليل على ذلك ببرهان التمانع والتطارد فى فرض اختلافهما وتقريره ان يقال لو فرض الهان متصفان بصفات الالوهية واراد أحدهما ايجاد شىء والآخر اعدامه فاما ان يتم مرادهما معا وهو باطل للزوم اجتماع الضدين أو لا يتم مرادهما معا وهو باطل ايضا للزوم عجز من لا يتم مراده وعجز من يتم مراده ايضا لوجود المماثلة بينهما فبطل التعدد وثبتت الوحدانية واذا فرض اتفاقهما فهو باطل ايضا لوجود برهان التوارد وتقريره أيضا ان يقال لو فرض الهان واراد امعا ايجاد شىء فاما ان يحصل باراداتهما معا وذلك باطل لانه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على اثر واحد او يسبق أحدهما الى ايجاده فيلزم عليه عجز الآخر او تحصيل الحاصل ويلزم عجز الاول لوجود المماثلة بينهما واعلم ان الدليل على ثبوت الوحدانية لله النقل والعقل اما النقل فآيات كثيرة جدا منها والهكم اله واحد لا اله الا هو الله لا اله الا هو الحى القيوم هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو الى غير ذلك وأما العقل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وكهذه الآية اذا علمت ذلك فالدليل فى هذه الآية قطعى كما هو الحق لكون الفساد مرتبا على فرض الاتفاق والاختلاف وليس اقناعيا بحسب ما يفهمه المخاطب خلافا لما تقتضيه عبارة المفسر حيث احاله على العادة وبهذه الآية انتفت الكموم الخمسة الكم المتصل فى الذات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير فيها والكم المتصل فى الصفات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير والكم المنفصل فى الافعال وهو المشارك له فيها والمتصل فيها لا ينفى لانه ثابت لان افعاله كثيرة على حسب شؤونه فى خلقه (قوله الكرسى) الصواب ابقاء العرش على ما هو عليه لان التحقيق ان العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته والكرسى تحته وخص العرش بالذكر لانه اعظم من غيره فاذا كان الله رب العرش كان رب غيره بالاولى (قوله لا يسئل عما يفعل) اى لا يسئل عما يحكم فى عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب الخالق المالك لجميع الاشياء اذا علمت ذلك فالاعتراض على افعال الله اما كفر أو قريب منه (قوله وهم يسئلون) أى يقال للخلق لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم وتبين بهذا أن من يسئل عن اعماله كعيسى والملائكة لا يصلح للالوهية (قوله أم اتخذوا من دونه آلهة) اضراب انتقالى من بطلان التعدد الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليل على الوهيتها (قوله فيه استفهام توبيخ) أى من حيث ان أم بمعنى الهمزة وسكت عن كونها بمعنى بل هنا والمناسب لما تقدم انها بمعناها ايضا (قوله على ذلك) اى الاتخاذ كان الله يقول لهم نحن قد أتينا ببراهين دالة على وحدانيتنا فائتوا ببرهان يدل على ثبوت الشريك لنا (قوله هذا ذكر من معى) أى عظتهم ومتمسكهم على التوحيد (قوله ليس فى واحد منها) اى فراجعوها وانظروا هل فى واحد

أى غيره (لفسدتا) خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع فى الشىء وعدم الاتفاق عليه (فسبحان) تنزيه (الله رب) خالق (العرش) الكرسى (عما يصفون) أى الكفار الله به من الشريك له وغيره (لا يسال عما يفعل وهم يسالون) عن افعالهم (أم اتخذوا من دونه) تعالى أى سواه (آلهة) فيه استفهام توبيخ (قل هاتوا برهانكم) على ذلك ولا سبيل اليه (هذا ذكر من معى) أى امتى وهو القرآن (وذكر من قبلى) من الامم وهو التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله ليس فى واحد منها أن مع الله الها مما قالوا تعالى عن ذلك

(بل أكثرهم لا يعلمون الحق) اى توحيد الله (فهم معرضون) عن النظر الموصل اليه (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) اى وحدونى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) (٦٣) من الملائكة (سبحانه بل) هم (عباد مكرمون) عنده والعبودية تنافى الولادة (لا يسبقونه بالقول) لا يأتون بقولهم الا بعد قوله (وهم بامره يعملون) اى بعده (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) اى ما عملوا وما هم عاملون (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) تعالى ان يشفع له (وهم من خشيته) تعالى (مشفقون) اى خائفون (ومن يقل منهم انى اله من دونه) اى الله اى غيره وهو ابليس دعا الى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فذلك نجزيه جهنم كذلك) كما نجزيه (نجزى الظالمين) اى المشركين (أولم) بواو وتركها (ير) يعلم (الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا) اى سدا بمعنى مسدودة (ففتقناهما) اى جعلنا السماء سبعا والارض سبعا اوفتق السماء ان كانت لا تمطر فامطرت وفتق الارض ان كانت لا تنبت فانبتت (وجعلنا من الماء) النازل من السماء والنابع من الارض (كل شئ حى) نبات وغيره اى فالماء سبب لحياته (أفلا يؤمنون) بتوحيدى

منها غير الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) اضراب انتقالى من محاجتهم الى بيان أنهم كالبهائم لا يميزون بين الحق والباطل (قوله الحق) الكلام على حذف مضاف اى توحيد الحق (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) تقرير لما قبله من كون التوحيد نطقت به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله وقالوا) الضمير عائد على فرق من العرب وهم خزاعة وجهينة و بنو سلمة حيث قالوا الملائكة بنات الله (قوله والعبودية تنافى الولادة) اى لان عبد الانسان لا يكون ولده وهذا بحسب المعتاد عندهم (قوله وهم بامره يعملون) اى لا يخالفونه فى القول ولا فى العمل (قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) اى فهم يراقبونه فى جميع أحوالهم فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده لعلمهم بانه تعالى محيط بهم (قوله الا لمن ارتضى) اى ان كان مؤمنا فلا يقدمون على الشفاعة الا لمن علموا ان الله راض عنه و يقبل شفاعتهم فيه (قوله وهم من خشيته مشفقون) اى وجلون لا يأمنون مكره والاشفاق الخوف مع الاجلال و يرادفه الخشية (قوله ومن يقل منهم) اى من الملائكة الحدث عنهم أولا بقوله بل عباد مكرمون وهذا على سبيل الفرض والتقدير لانهم معصومون من الكفر والمعاصى ويحتمل ان القول قد وقع من بعضهم وهو ابليس كما قال المفسر وكونه من الملائكة باعتبار انه كان بينهم وملحقا بهم فى العبادة حتى قيل انه كان أعبدهم (قوله دعا الى عبادة نفسه) اى لاجل الاضلال والاغواء ولا مانع من ذلك كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم فى الصور النيرة كالقمر والشمس وغير ذلك ودعواه انه رب العالمين وكما وقع لبرصيصا العابد حيث أتى له وهو مصلوب وقال له اسجد لى وأنا أخلصك وان كان فى الواقع معترفا بالعبودية لله تعالى وآيسا من رحمته اذا علمت ذلك فكلام المفسر لا غبار عليه (قوله كذلك نجزى الظالمين) اى اياها (قوله أولم ير) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ولم يعلموا (قوله بواو ودونها) قراءتان سبعيتان (قوله ير الذين كفروا الخ) شروع فى ذكر ستة أدلة على التوحيد وان ماسوى الله مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله كانتا رتقا) اى شيأ واحدا ما روى ان الله خلق السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتقها بها وقيل خلق السموات قطعة واحدة مرتفعة والارض قطعة واحدة منخفضة فجعل السموات سبعا والارض سبعا ولكن السموات طباق والارض مختلف فيها قيل طباق وقيل مجاورة لبعضها كناية عن الاقاليم السبعة وتقدم الجواب عن جمع السموات وافراد الارض بان جنس السموات مختلف بخلاف الارض (قوله أن كانت لا تمطر) بفتح الهمزة مصدرية اى كونها لا تمطر فامطرت (قوله من الماء) الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم وكل شئ مفعول أول مؤخر والمعنى ناشئا ومتسببا عنه (قوله نبات وغيره) اى فالحياة فى كل شئ بحسبه فحياة الحيوان قيام الروح به وحياة النبات بروزه من الارض وخضرته وأثماره (قوله رواسى) جمع راسية من رسا الشئ اذا ثبت واستقر (قوله ان تميد) قدر المفسر لا النافية لصحة التعليل اى لاجل عدم تحركها بهم لان تثبيتها بالجبال لاجل عدم التحرك لا للتحرك (قوله الى مقاصدهم) اى الدنيوية والاخروية (قوله كالسقف للبيت) اى وهذا ما عليه أهل السنة وقالت الحكماء ان السماء محيطة بالارض كاحاطة بياض البيضة بصفارها اذا علمت ذلك فلا فرار من قضاء الله الا اليه (قوله محفوظا عن الوقوع) اى او عن الفساد والخلل (قوله وهم عن آياتها)

(وجعلنا فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن) لا (تميد) تتحرك (بهم وجعلنا فيها) اى الرواسى (فجاجا) مسالك (سبلا) بدل اى طرقا نافذة واسعة (لعلهم يهتدون) الى مقاصدهم فى الاسفار (وجعلنا السماء سقفا) للارض كالسقف للبيت (محفوظا) عن الوقوع (وهم عن آياتها)

اى الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وافعاله (قوله من الشمس والقمر) اى وغيرهما كالنجوم وارتفاعها من غير عمد ونزول الماء منها (قوله لا يتفكرون فيها) اى مع انهم لو سئلوا عمن خلق السموات والارض ليقولن الله (قوله وهو الذى خلق الليل الخ) فيه التفات من التكلم للغيبة (قوله من الشمس والقمر) بيان للمضاف اليه المحذوف (قوله اى مستديرا كالطاحونة) اى كهيئة فلك المغزل اى تقالته وقيل الفلك السماء التى تسير فيها تلك الكواكب كما تسير السفن فى البحر واختلف الناس فى حركات الكواكب على ثلاثة اقوال قيل ان الفلك ساكن والسير للكواكب وهو الذى يدل عليه لفظ القرآن وقيل ان الفلك متحرك والكواكب متحركة وحركة كل تدافع حركة الآخر وقيل ان الفلك متحرك والكواكب ساكنة ولا يعلم الحقيقة الا الله تعالى واختلف هل الشمس والقمر يجريان من تحت الارض وعليه الحكماء ومنتهى سيرهما فى العالم العلوى وعليه أهل السنة (قوله وللتشبيه به) جواب عما يقال لم جمعهما بضمير العقلاء فاجاب بانه لما اسندت لهما السباحة التى هى من افعال العقلاء جمعا جمعهم (قوله ونزل لما قال الكفار ان محمدا سيموت) اى شماتة به (قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) اى سبقت حكمتنا بان كل بشر من قبلك بل ومن بعدك لا يخلد فى الدنيا بل يذوق الموت واقتصر على البشر وان كان غيره كذلك بدليل ما بعده للرد عليهم لكونهم من البشر (قوله فالجملة الاخيرة الخ) اى فالهمزة مقدمة من تاخير لان الاستفهام له الصدارة والاصل أفهم الخالدون ان مت (قوله كل نفس) أى مخلوقة فلا يرد ذات الله تعالى وهو دليل لما قبله اعم منه وليس معينا وقوله ذائقة الموت اى ذائقة مرارة مفارقة الروح للجسم وهى فى غاية الصعوبة جدا ومثلوه بعصر القصب بالآلة المعروفة فانه لا يبقى فيه طراوة اصلا بل يؤخذ للنار حالا غير ان المؤمن يتسلى برؤية ما اعد له من النعيم الدائم والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيته ما أعد له من العذاب المقيم (قوله نختبركم) اى نعاملكم معاملة المختبر اذ لا يخفى على الله شئ (قوله أتبصرون) راجع للشر وقوله وتشكرون راجع للخير فالمؤمن الكامل يشاهد الاشياء كلها من الله فاذا ابتلى بالفقر والمرض مثلا رضى به وازداد اقبالا عليه واذا أنعم عليه بالغنى والصحة مثلا ازداد شكرا وخوفا من الله فهو راض عن الله فى الحالتين واما الكافر والفاسق فيشاهد الاشياء من الخلق فاذا ابتلى سخط واذا أنعم عليه بطر فهو مغضوب عليه فى الحالين (قوله والينا ترجعون) اى تردون فيظهر لكم جزاء اعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله واذا رآك الذين كفروا) رأى بصرية اى ابصرك المشركون (قوله ان يتخذونك) جواب اذا وان نافية بمعنى ما كما قال المفسر (قوله يقولون) قدره اشارة الى ان قوله أهذا الذى الخ مقول لقول محذوف والمعنى يقول بعضهم لبعض فى حال الهزء والسخرية اهذا الخ (قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون) هم مبتدأ وكافرون خبره وبذكر متعلق به وهم الثانية تاكيد لفظى للاولى وحينئذ فقد فصل بين العامل والمعمول بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول واضافة ذكر للرحمن من اضافة المصدر لفاعله كما اشار له المفسر حيث قدر لهم وحينئذ فالمراد بالذكر ارشاد الله لعباده بارسال الرسل وانزال الكتب ويحتمل انه مضاف لمفعوله اى ذكرهم الرحمن بالتوحيد (قوله اذ قالوا ما نعرفه) اى الرحمن وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (قوله فى استعجالهم العذاب) اى حيث قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله من عجل) هو ضد البطء اى السرعة فى الامور (قوله اى انه لكثرة عجله فى احواله الخ) اشار بذلك الى ان فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه العجل من حيث ان الانسان طبع عليه حتى صار كالجبلة له بالطين الذى خلق منه البشر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو خلق والمعنى أن

من الشمس والقمر والنجوم (معرضون) لا يتفكرون فيها فيعلمون ان خالقها لا شريك له (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل) تنوينه عوض عن المضاف اليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فى فلك) أى مستدير كالطاحونة فى السماء (يسبحون) يسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وللتشبيه به اتى بضمير جمع من يعقل * ونزل لما قال الكفار ان محمدا سيموت (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) اى البقاء فى الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) فيها لا فالجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكارى (كل نفس ذائقة الموت) فى الدنيا (ونبلوكم) نختبركم (بالشر والخير) كفقر وغنى وسقم وصحة (فتنة) مفعول له اى لننظر أتصبرون وتشكرون أولا (والينا ترجعون) فنجازيكم (واذا رآك الذين كفروا ان) ما (يتخذونك الا هزؤا) اى مهزوأ به يقولون (أهذا الذى يذكر آلهتكم) اى يعيبها (وهم بذكر الرحمن) لهم (هم) تاكيد (كافرون) به اذ قالوا ما نعرفه * ونزل فى استعجالهم العذاب (خلق الانسان من عجل) اى انه لكثرة عجله فى احواله كانه خلق منه (سأريكم آياتى) الانسان

مواعيدى بالعذاب (فلا تستعجلون) فيه فاراهم القتل ببدر (ويقولون متى هذا الوعد) بالقيامة (ان كنتم صادقين) فيه قال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) يمنعون منها فى القيامة وجواب لو ما قالوا اذ لك (بل تاتيهم) القيامة (بغتة فتبهتهم) تحيرهم (فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) يمهلون (٦٥) لتوبة او معذرة (ولقد استهزئ برسل

الانسان جبل على السرعة فى الامور والعجلة فيها حتى انه يقع فى المضرة ولا يشعر (قوله مواعيدى بالعذاب) المراد متعلقاتها وهو انواع العذاب فى الدنيا كوقعة بدر وغيرها وفى الآخرة كعذاب النار (قوله ويقولون) اى استهزاء واستعجالا للعذاب (قوله ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه والتقدير فاتوا به وهو خطاب منهم للنبي واصحابه (قوله قال تعالى) كلام مستانف لبيان شدة هول ما يستعجلونه لجهلهم به (قوله ولا عن ظهورهم) اى فهو كناية عن احاطة النار بهم من كل ناحية (قوله ما قالوا ذلك) قدره اشارة الى ان جواب لو محذوف (قوله بل تاتيهم بغتة) اضراب انتقالى من قولهم الى بيان كيفية وقوع العذاب بهم (قوله ردها) اى دفعها (قوله فيه تسلية للنبي) أى حيث كان يغتم من استهزائهم وعدم انقيادهم (قوله قل من يكلؤكم الخ) أى قل يا محمد للمستهزئين القائلين لا نعرف الرحمن من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه ان اراده بكم وقدم الليل لكثرة الآفات فيه (قوله والمخاطبون لا يخافون الخ) توطئة لقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون والمعنى ليس لهم حافظ ولا مانع غير الرحمن غيرانهم لا يخافونه لاعراضهم عن ذكره (قوله فيها معنى الهمزة) اى زيادة على بل (قوله لا يستطيعون نصرا نفسهم) اى فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم (قوله يجارون) اى ينقذون (قوله بل متعنا هؤلاء الخ) اضراب عما توهموه من ان حفظهم وامدادهم بالنعم من قبل آلهتهم بل ما هم فيه من السراء والنعم والحفظ منا استدراج لهم (قوله بالفتح على النبي) أى وتسليط المسلمين عليهم (قوله افهم الغالبون) استفهام توبيخ وتقريع وفيه معنى الانكار ولذا قدر المفسر لا وقوله بل النبي واصحابه أى هم الغالبون (قوله قل انما انذركم بالوحى) المقصود من ذلك توبيخهم على ما وقع منهم حيث أقام لهم الحجج والبراهين فلم يذعنوا لها (قوله ولا يسمع الصم الدعاء) بالياء المفتوحة ورفع الصم على الفاعلية ونصب الدعاء على المفعولية وفى قراءة سبعية ايضا بالتاء المضمومة وكسر الميم خطاب للنبي والصم مفعوله الاول والدعاء مفعوله الثانى والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كان الله يقول له أرح قلبك ولا تعلقه بهم وارض بحكم الله فيهم (قوله بتحقيق الهمزتين) اى همزة الدعاء وهمزة اذا (قوله وتسهيل الثانية) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقعة خفيفة) اخذ الخفة من التعبير بالمس والنفح والتاء الدالة على المرة والنفح فى الاصل هبوب رائحة الشيء والمعنى ولئن اصابهم عذاب خفيف ليقولن تحسرا وتندما يا ويلنا الخ وهو كناية عن كونهم فى غاية الضعف والحقارة ومن كان كذلك فلا يبالى به (قوله ونضع الموازين) هذه الآية آخر خطابات قريش فى هذه السورة والجمع فى الموازين للتعظيم فان الصحيح انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود لكل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب ومكانه قبل الصراط كفته اليمنى للحسنات وهى نيرة عن يمين العرش وكفته اليسرى للسيئات وهى مظلمة عن يساره يأخذ جبريل بعموده ناظرا الى لسانه وميكائيل امين عليه يحضره الجن والانس ووقته بعد الحساب ولا يكون الوزن فى حق كل احد بل هو تابع للحساب فمن حوسب وزنت اعماله ومن لا فلا والحق ان الكفار توزن اعمالهم السيئة غير الكفر ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر واعمالهم الحسنة التى لا تتوقف على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف فيخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر فتوزن اعمالهم لاجل ذلك

من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قل) لهم (من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) من عذابه ان نزل بكم اى لا احد يفعل ذلك والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لانكارهم له (بل هم عن ذكر ربهم) اى القرآن (معرضون) لا يتفكرون فيه (ام) فيها معنى الهمزة للانكار اى أ (لهم آلهة تمنعهم) مما يسوؤهم (من دوننا) اى ألهم من يمنعهم منه غيرنا لا (لا يستطيعون) اى الآلهة (نصر انفسهم) فلا ينصرونهم (ولا هم) اى الكفار (منا) من عذابنا (يصحبون) يجارون يقال صحبك الله اى حفظك واجارك (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) بما انعمنا عليهم (حتى طال عليهم العمر) فاغتروا بذلك (أفلا يرون انا نأتى الارض) نقصد أرضهم (ننقصها من اطرافها) بالفتح على النبي (افهم الغالبون) لا بل

النبي واصحابه به (قل) لهم (انما انذركم بالوحى) من الله لا من قبل نفسى (ولا يسمع الصم الدعاء اذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (ما ينذرون) اى هم لتركهم العمل بما سمعوه من الانذار كالصم (ولئن مستهم نفحة) وقعة خفيفة (من عذاب ربك ليقولن يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا (انا كنا ظالمين) بالاشراك وتكذيب محمد (ونضع الموازين

لا للنجاة من عذاب الكفر فانه لا يخفف عنهم ولا ينقطع وأما قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فمعناه نافعا بحيث ينجون من الخلود في النار وقيل حسناتهم التي فعلوها يجازون عليها في الدنيا كصحة وعافية ولا يجازون عليها في الآخرة أصلا واختلف هل الوزن بصنج أولا واستظهر الاول تحقيقا للعدل فتوضع السيئات في مقابلة الحسنات فان رجح أحدهما وضع صنج بقدر ما رجح فينعم بقدره أو يعذب بقدره فان لم يكن له الا حسنات فقط أو سيئات فقط وضعت الصنج في الكفة الاخرى واختلف أيضا هل الاعمال تصور وتوزن فالحسنات تصور بصورة حسنة نورانية ثم توضع في كفة الحسنات والسيئات تصور بصورة قبيحة ظلمانية ثم توضع في كفة السيئات أو توزن الصحائف أو توزن الاشخاص ولا مانع من حصول ذلك كله (قوله القسط) أفرد لانه مصدر وصف به مبالغة أو على حذف مضاف (قوله شيا) اما مفعول ثان أو مفعول مطلق (قوله وان كان العمل) قدره المفسر اشارة الى أن كان ناقصة اسمها مستتر يعود على العمل ومثقال بالنصب خبرها وفي قراءة سبعية برفعه على انها تامة (قوله من خردل) المراد أقل قليل (قوله وكفى بنا حاسبين) أي عالمين والمقصود منه التحذير لان الانسان العاقل اذا علم ان الله تعالى يحاسبه مع القدرة عليه واحاطة علمه بجزئيات أعماله فانه يكون على حذر وخوف منه (قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) شروع في ذكر قصص الانبياء تسلية له صلى الله عليه وسلم وزيادة في علم أمته وذكر منها عشر قصص الاولى قصة موسى وهرون الثانية قصة ابراهيم الثالثة قصة لوط الرابعة قصة نوح الخامسة قصة داود وسليمان السادسة قصة أيوب السابعة قصة اسميل وادريس وذي الكفل الثامنة قصة يونس التاسعة قصة زكريا العاشرة قصة مريم وعيسى صلوات الله وسلامه على الجميع (قوله وضياء) أي يستضاء بها من ظلمات الجهل والكفر (قوله الذين يخشون ربهم) أي عذابه (قوله بالغيب) حال من الفاعل في يخشون أي حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس والناس في ذلك مراتب فمنهم من يعتقد أن الله مطلع عليه ولا يغيب عنه ولكن قلبه غير ذائق لذلك وهذا محجوب قد تقع منه المعاصي ومنهم من يراقب الله بقلبه بحيث يشاهد انه في حضرة الله وانه مطلع عليه وهذا أعلى من الاول ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة ومنهم من يشاهد الله بعين بصيرته وهذا أعلى المقامات ويسمى مقام المشاهدة (قوله وهم من الساعة مشفقون) خصت بالذكر لكونها أعظم ما يخاف منه (قوله مبارك) أي كثير الخير (قوله أفانتم له منكرون) الخطاب لاهل مكة تقريعا لهم أي ان هذا القرآن فيه تذكيركم وفيه خير كثير أيليق منكم انكاره والاستهزاء به (قوله أي هداه قبل بلوغه) المراد بالهدى الاهتداء لصلاح الدين والدنيا حين خرج من السرب وهو صغير وتفكر واستدل بالكواكب على وحدانية الله وليس المراد به النبوة وقيل من قبل موسى وهرون وعليه فالمراد بالرشد النبوة فتحصل انه ان كان المراد بقوله قبل قبل البلوغ فالمراد بالرشد الاهتداء لصلاح الدين والدنيا لان الله لم يتخذ وليا جاهلا بمعرفته فضلا عن نبي وان كان المراد به قبل موسى وهرون فالمراد بالرشد النبوة وارشاد الخلق (قوله وكنا به عالمين) أي ولم نزل كذلك (قوله اذ قال لابيه) ظرف لقوله آتينا او لمحذوف اى اذكر (قوله لابيه) اى آزر (قوله التماثيل) جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام او نحاس او خشب وكانت تلك الاصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان متقدتان تضيآن بالليل (قوله عاكفون) عبر بالعكوف الذي هو عبارة عن الاستمرار على الشيء لغرض ما ولم يعبر بالعبادة تحقيرا لهم (قوله قالوا وجدنا آبانا الخ) أجابوا بذلك وان

القسط) ذوات العدل (ليوم القيامة) أي فيه (فلا تظلم نفس شيا) من نقص حسنة أو زيادة سيئة (وان كان) العمل (مثقال) زنة (حبة من خردل اتينا بها) اى بموزونها (وكفى بنا حاسبين) محصين في كل شيء (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) اى التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام (وضياء) بها (وذكرا) اى عظة بها (للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب) عن الناس اى في الخلاء عنهم (وهم من الساعة) اى اهوالها (مشفقون) اى خائفون (وهذا) اى القرآن (ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون) الاستفهام فيه للتوبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل) اى هداه قبل بلوغه (وكنا به عالمين) اى بانه اهل لذلك (اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل) الاصنام (التي انتم لها عاكفون) اى على عبادتها مقيمون (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم (قال) لهم (لقد كنتم انتم وآباؤكم) بعبادتها

كان غير موافق لسؤاله بما لانه ما سأل سؤاله اذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب او غيره كانه قال ما هي لاي شئ عبدتموها وحينئذ فلم يكن لهم جواب الا التقليد (قوله في ضلال مبين) اى لعدم استنادكم الى دليل (قوله قالوا أجئتنا بالحق الخ) اى لما استبعدوا تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه اللعب فقالوا اصدق ما تقوله أم أنت هازل فيه (قوله قال بل ربكم الخ) اضراب عن قولهم باقامة البرهان على صدق ما ادعاه (قوله وانا على ذلكم) أي على ما ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض دون ما عداه (قوله من الشاهدين) اى العالمين بالبرهان (قوله وتالله لاكيدن اصنامكم) انتقال من دلالة قولية الى دلالة فعلية فلما لم يفد فيهم الدليل القولي عدل الى الدليل الفعلي وهو الكسر والمعنى لاجتهدن في كسرها وأكيدنكم فيها (قوله بعد ذهابهم الى مجتمعهم) أي وقد ذهب معهم ابراهيم فلما كان في أثناء الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكى رجله فتركوه ومضوا ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله لاكيدن اصنامكم فسمعها الضعفاء فرجع ابراهيم الى بيت الاصنام وقبالة الباب صنم عظيم والى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم اصغر من الذي يليه وكانوا وضعوا عند الاصنام طعاما يأكلون منه اذا رجعوا من عيدهم اليهم فقال لهم ابراهيم ألا تأكلون فلم يجيبوه فكسرها (قوله بضم الجيم وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتحها (قوله بفاس) هو مهموز الآلة التي يكسر بها الحجر (قوله الا كبيرا لهم) أي لم يكسره بل تركه والضمير في لهم يصح ان يعود على الاصنام او على عابديها (قوله من فعل هذا) أي التكسير ومن يحتمل ان تكون استفهامية مبتدأ وفعل هذا خبره او موصولة وفعل صلته وانه لمن الظالمين خبره (قوله قالوا سمعنا فتى) القائل هم الضعفاء من قوم ابراهيم الذين سمعوا حلفه (قوله اى يعيبهم) اى ينقصهم ويستهزئ بهم (قوله يقال له ابراهيم) مرفوع على انه نائب فاعل يقال على ارادة لفظه او مبتدا خبره محذوف اى يقال له ابراهيم فاعل ذلك او منادى وحرف النداء محذوف او خبر لمحذوف أي يقال له هذا ابراهيم (قوله قالوا فأتوا به) القائل لذلك النمروذ (قوله لعلهم يشهدون) اى لعل الناس يشهدون عليه بفعله بان يكون احد من الناس رآه يكسرها (قوله بتحقيق الهمزتين) اى بادخال الف بينهما وتركه فتكون القراآت السبعيات خمسا وحاصلها ان الهمزتين اما محققتان او الثانية مسهلة وفي كل اما بادخال الف بينهما اولا فهذه أربع والخامسة ابدال الثانية الفا (قوله قال بل فعله كبيرهم هذا) اعلم ان هذا من التعريض لان القاعدة انه اذا دار الفعل بين قادر عليه وعاجز عنه واثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره في الآخر فهو اشارة لنفسه مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل وقوله هذا بدل من كبيرهم او نعت له وردان ابراهيم قال لهم ان الكبير غضب من اشراككم معه غيره الصغار في العبادة فكسرهن واراد بذلك اقامة الحجة عليهم (قوله ان كانوا ينطقون) أي ان كانوا ممن يمكن ان ينطق وخص النطق بالذكر وان كان غيره من السمع والعقل وبقية اوصاف العقلاء كذلك لانه اظهر في تبكيتهم (قوله فيه تقديم جواب الشرط) أي وهو قوله فاسألوهم وفيه اشارة الى ان قوله بل فعله كبيرهم هذا مرتبط بقوله ان كانوا ينطقون والمعنى بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم (قوله فرجعوا الى انفسهم) أي الى عقولهم وتذكروا ان من لا يقدر على دفع المضرة واجلب المنفعة كيف يصلح ان يكون الها (قوله ثم نكسوا على رؤسهم) اى انقلبوا الى المجادلة والكفر بعد استقامتهم بالمراجعة ونكسوا بالتخفيف مبنيا للمفعول في القراءة العامة وفاعل النكس هو الله كما يشير له المفسر وقرئ شذوذا بالتشديد وبالتخفيف

(السموات والارض الذي فطرهن) خلقهن على غير مثال سبق (وانا على ذلكم) الذي قلته (من الشاهدين) به (وتالله لاكيدن اصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم) بعد ذهابهم الى مجتمعهم في يوم عيدهم (جذاذا) بضم الجيم وكسرها فتاتا بفاس (الا كبيرا لهم) علق الفاس في عنقه (لعلهم اليه) اى الى الكبير (يرجعون) فيرون ما فعل بغيره (قالوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) فيه (قالوا) اى بعضهم لبعض (سمعنا فتى يذكرهم) أي يعيبهم (يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس) اى ظاهرا (لعلهم يشهدون) عليه انه الفاعل (قالوا) له بعد اتيانه (أأنت) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه (فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) ساكتا عن فعله (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم) عن فاعله (ان كانوا ينطقون) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بان الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون الها

(فرجعوا الى أنفسهم) بالتفكر (فقالوا) لانفسهم (انكم انتم الظالمون) اى بعبادتكم من لا ينطق (ثم نكسوا) من الله (على رؤسهم)

مبنيا للفاعل (قوله أى ردوا الى كفرهم) اى الاستمرار عليه (قوله وقالوا والله) اشار بذلك الى ان قوله لقد علمت الخ جواب قسم محذوف (قوله بكسر الفاء) اى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها اى بترك التنوين فالقرا آت ثلاث سبعيات (قوله افلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فلا تعقلون (فائدة) وردفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منها فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختى والمعنى انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب الا هذه الكلمات الثلاث فقوله انى سقيم اراد سقيم القلب من ضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا تبكيت لقومه وقوله هذه اختى اى فى الدين والخلقة فهذه الالفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب أصلا ومعنى كون الاولى والثانية فى ذات الله انهما من اجل غيرته على الله وأما الثالثة فمن اجل غيرته على زوجته وهذا ما فتح الله به (قوله قالوا حرقوه) القائل ذلك النمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن نمروذ بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هينوب خسف الله به الارض والحكمة فى اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل ان ابراهيم باد أهم بالفضيحة والتشنيع عليهم فاحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة (قوله فجمعوا له الحطب الخ) حاصل القصة فى ذلك انه لما اجتمع نمروذ وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الحشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلبه لئن اصابته لتحطبن فى نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب والقائه فيه فلما جمعوا ما ارادوا واشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة ايام فلما ارادوا أن يلقوا ابراهيم فلم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى ارضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى انه خليلى ليس لى خليل غيره وانا الاله ليس له اله غيرى فان استغاث باحدكم أودعاه فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا وليه وأنا اعلم به فخلوا بينه وبين فلما أرادوا القاءه فى النار اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل روى انه قال حين اوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به فى المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا قال جبريل فاسال ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى وكان وقت القائه فيها ابن ست عشرة سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة ولما ألقى فيها جعل كل شىء يطفئ النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار فصم بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله وكان من قتل وزغة فى أول ضربة كتب له مائة حسنة وفى الثانية دون ذلك وفى الثالثة دون ذلك ذكر بعض الحكماء ان الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران ومدة مكثه فى النار سبعة ايام وقيل اربعون يوما وقيل خمسون يوما (قوله فى منجنيق) آلة ترمى بها الحجارة فارسى معرب لان الجيم والقاف لا يجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب (قوله كونى بردا وسلاما) اى ابردى بردا غير ضار ورد انه لما ألقى فيها أخذت الملائكة بضبعيه فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس

أى ردوا الى كفرهم وقالوا والله (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) اى فكيف تامرنا بسؤالهم (قال افتعبدون من دون الله) أى بدله (مالا ينفعكم شيا) من رزق وغيره (ولا يضركم) شيا اذا لم تعبدوه (اف) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أى نتنا وقبحا (لكم ولما تعبدون من دون الله) أى غيره (أفلا تعقلون) ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وانما يستحقها الله تعالى (قالوا حرقوه) أى ابراهيم (وانصروا آلهتكم) أى بتحريقه (ان كنتم فاعلين) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار فى جميعه واوثقوا ابراهيم وجعلوه فى منجنيق ورموه فى النار قال تعالى (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت اضاءتها

وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص وأقعده على الطنفسة وجلس معه يحدثه ويقول له يا ابراهيم ان ربك يقول لك اما علمت ان النار لا تضر أحبابي قال ابراهيم ما كنت اياما قط أنعم مني من الايام التي كنت في النار ثم نظر نمروذ واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه فناداه يا إبراهيم ان الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار لكبير هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى اذا قمت ان تضرك قال لا قال قم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الى ربي ليؤنسني فيها قال نمروذ يا ابراهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده واني ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبحها له نمروذ وكف عن ابراهيم عليه السلام (قوله و بقوله سلاما الخ) اى ولو لم يقل على ابراهيم لما احرقت النار احدا ولما اوقدت (قوله فجعلناهم الاخسرين) اى لانهم خسروا السعي والنفقة فلم يحصلوا مرادهم ويحتمل ان المراد بالاخسرين الهالكون لان الله سلط عليهم البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في رأس النمروذ بعوضة فاهلكته (قوله ابن اخيه هاران) اى الاصغر وكان له أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة اولاد آزر وأما هاران الاكبر فهو عم ابراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به (قوله من العراق) اى وصحب معه لوطا وسارة ونزل بحران فمكث بها ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل بالسبع من ارض فلسطين وترك لوطا بالمؤتفكة فبعثه الله نبيا الى اهلها وما قرب منها (قوله بكثرة الانهار والاشجار) اشار بذلك الى ان المراد بالبركة الدنيوية وعليه يحمل ما ورد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب ألا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده والا فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق (قوله بفلسطين) بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير قرى بيت المقدس (قوله ولوطا بالمؤتفكة) هي قرى قوم لوط رفعها جبريل واسقطها مقلوبة بامر من الله (قوله كما ذكر في الصافات) اى في قوله رب هب لي من الصالحين (قوله نافلة) حال من يعقوب اى اعطى يعقوب لابراهيم زيادة على مطلوبه (قوله وولداه) اى اسحق ويعقوب (قوله وابدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدمت في سورة براءة (قوله يهدون بامرنا) اى يدعون الناس بوحينا (قوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة) عطف خاص على عام لان الصلاة افضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (قوله وكانوا لنا عابدين) تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أي كانوا لنا لا لغيرنا (قوله ولوطا) منصوب بفعل مقدر يفسره قوله آتينا (قوله فصلا بين الخصوم) اى على وجه الحق (قوله وعلما) اى بالشرائع والاحكام (قوله اى اهلها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف أو فيه مجاز عقلي (قوله الاعمال) قدره اشارة الى ان الخبائث صفة لموصوف محذوف (قوله والرمي بالبندق) اى رمي المارة بالبرام وأما بندق الرصاص فلم يحدث الا في هذه الامة (قوله وغير ذلك) اى كالقمار في المجالس (قوله بان انجيناه من قومه) المناسب ان يقول وأدخلناه في أهل رحمتنا أي جنتنا والا فيلزم عليه التكرار (قوله واذكر) قدره اشارة الى ان نوحا منصوب بفعل محذوف وبعث نوح وهو ابن أربعين سنة ومكث في قومه الف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان

و بقوله وسلاما سلم من الموت ببردها (وأرادوا به كيدا) وهو التحريق (فجعلناهم الاخسرين) في مرادهم (ونجيناه ولوطا) ابن اخيه هاران من العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) بكثرة الانهار والاشجار وهي الشام نزل ابراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة و بينهما يوم (ووهبنا له) اى لابراهيم وكان سال ولدا كما ذكر في الصافات (اسحق و يعقوب نافلة) اى زيادة على المسؤل أو هو ولد الولد (وكلا) اى هو وولداه (جعلنا صالحين) أنبياء (وجعلناهم أئمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير (يهدون) الناس (بأمرنا) الى ديننا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة) اى ان تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء اقامة تخفيف (وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما) فصلا بين الخصوم (وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل) اى اهلها الاعمال (الخبائث) من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك (انهم كانوا قوم سوء) مصدر

ساءه نقيض سره (فاسقين وادخلناه في رحمتنا) بان انجيناه من قومه (انه من الصالحين و) اذكر (نوحا) وما بعده بدل منه (اذ نادى) دعا

ستين فجملة عمره الف وخمسون سنة وهذا احد اقوال تقدمت (قوله بقوله رب لا تذر على الارض الخ) اى بعد ان أوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (قوله الذين فى سفينته) وجملتهم ستة رجال ونساؤهم وقيل ار بعون رجلا وار بعون امرأة (قوله منعناه) اشار بذلك الى انه ضمن نصر معنى منع حيث عدى بمن (قوله ان لا يصلوا اليه) اى لئلا يصلوا اليه فهو تعليل لنصرناه (قوله وداود وسليمان) معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وعاش داود مائة سنة و بينه و بين موسى خمسمائة وتسع وستون سنة وقيل وتسع وسبعون وعاش ولده سليمان تسعا وخمسين و بينه و بين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحو الف سنة وسبعمائة سنة (قوله اى قصتهما) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله و يبدل منهما) فى الحقيقة الابدال من المضاف المحذوف (قوله اذ يحكمان) عبر عنه بالمضارع استحضارا للحال الماضية لغرابتها (قوله هو زرع أو كرم) هما قولان للمفسرين وعلى كل كان قبل تمام نضجه (قوله اذ نفشت) اى تفرقت وانتشرت فيه فافسدته (قوله غنم القوم) اى بعض القوم اى قوم داود وهم امته (قوله وكنا لحكمهم شاهدين) اى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا فخذها ايها العاقل ولا تتردد فيها (قوله فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين) اى بناء على ان اقل الجمع اثنان و يجاب ايضا بان الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما (قوله قال داود لصاحب الحرث رقاب الغنم) اى عوضا عن حرثه وحاصل تلك القصة ان رجلين دخلا على داود عليه السلام احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا قد انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فافسدته فلم تبق منه شيا فاعطاه داود رقاب الغنم فى الحرث فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتنى بالذى هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها و يزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت ومن احكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتونى بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضي به للصغرى (قوله ففهمناها) اى فهمناه الصواب فيها (قوله وحكمهما باجتهاد الخ) اى ويجوز الخطأ على الانبياء اذا لم يكن فيه مفسدة ولكن لا يبقيهم الله عليه لعصمتهم والمجتهد ماجور أخطأ أو اصاب لكن المصيب له اجران والمخطئ له اجر واحد (قوله وقيل بوحى) اى لكل منهما وهذا فى شريعتهم واما فى شريعتنا فمذهب مالك ما أتلفته البهائم ليلا وهى غير معروفة بالعداء ولم تربط ولم يغلق عليها فعلى ربها وان زاد على قيمتها يقوم ان لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف وان بدا صلاحه ضمن قيمته على البت وأما ما اتلفته نهارا وهى غير عادية ولم يكن معها راع وسرحت بعيدة عن المزارع فلا ضمان على ربها وان كان معها راع أو سرحها ربها قرب المزارع او كانت عادية فعلى ربها ليلا ونهارا ومذهب ابى حنيفة لا ضمان فيما أتلفته البهائم ليلا ونهارا الا أن يكون معها سائق أو قائد ومذهب الشافعى فيه تفصيل فانظره و يمكن تخريج حكم داود على شريعتنا بانه رأى ان قيمة الغنم مثل الحرث وصاحب الغنم مفلس فالحكم انها تعطى لصاحب الحرث (قوله وكلا آتينا حكما وعلما) دفع بذلك ما يتوهم من قوله ففهمناها سليمان ان داود ناقص فى العلم (قوله وسخرنا) اى ذللنا (قوله يسبحن) حال من الجبال وقوله

على قومه بقوله رب لا تذر الخ (من قبل) اى قبل ابراهيم ولوط (فاستجبنا له فنجيناه واهله) الذين فى سفينته (من الكرب العظيم) اى الغرق وتكذيب قومه له (ونصرناه) منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) الدالة على رسالته ان لا يصلوا اليه بسوء (انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعين و) اذكر (داود وسليمان) اى قصتهما و يبدل منهما (اذ يحكمان فى الحرث) هو زرع او كرم (اذ نفشت فيه غنم القوم) اى رعته ليلا بلا راع بان انفلتت (وكنا لحكمهم شاهدين) فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين قال داود لصاحب الحرث رقاب الغنم وقال سليمان ينتفع بدرها ونسلها وصوفها الى ان يعود الحرث كما كان باصلاح صاحبها فيردها اليه (ففهمناها) اى الحكومة (سليمان) وحكمهما باجتهاد ورجع داود الى سليمان وقيل بوحى والثانى ناسخ للاول (وكلا) منهما (آتينا) ه (حكما) نبوة (وعلما) بامور الدين (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) كذلك

والطير

والطير فيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب فالنصب اما على انه مفعول معه او معطوف على الجبال والرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله كذلك وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب (قوله لامره به اذا وجد فترة) اى فكانه اذا وجد فترة امر الجبال والطير فسبحن (قوله وان كان عجبا عندكم) اى مستغربا وقد اتفق فى هذه الامة لغير واحد منها كالسيد الدسوقى وامثاله (قوله وعلمناه صنعة لبوس) اى وسبب ذلك انه مر به ملكان على صورة رجلين فقال أحدهما للآخر نعم الرجل الا انه يأكل من بيت المال فسأل الله ان يرزقه من كسبه فألان الله له الحديد فكان يعمل منه الدروع بغير نار كانه طين فى يده (قوله وهى الدروع) أنث الضمير لكون درع الحديد تؤنث وتذكر وامادرع المرأة أى قميصها فمذكر (قوله وهو أول من صنعها) اى حلقا بعضها داخل فى بعض وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض (قوله لكم) اى يا أهل مكة (قوله فى جملة الناس) دفع به ما يرد كيف تكون لاهل مكة مع ان صنع داود لم يكن فى زمنهم فأفادانها نعمة اتصلت بمن بعده الى ان كانوا من جملتهم (قوله و بالفوقانية للبوس) اى لانه بمعنى الدرع وهى تؤنث (قوله ولسليمان الريح) عبر باللام اشارة الى ان الله ملكه الريح وجعلها ممتثلة لامره وعبر بمع فى حق داود لان الجبال والطير قد صاحباه فى التسبيح واشتركا معه (قوله اى شديدة الهبوب الخ) لف ونشر مرتب (قوله تجرى بامره) حال (قوله الى الارض التى باركنا فيها) اى لانها مقره فكان ينتقل منها و يرجع اليها قال وهب كان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطيور وقام له الانس والجن حيث يجلس على سريره وكان أمر اغاز يا قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة يقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس و يرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فقرا الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجري بامره كيف شاء فكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر حتى ملك الارض مشرقا ومغربا ملك سلطنة وحكم واما رسالته فكانت لبنى اسرائيل (قوله ومن الشياطين) اى الكفار منهم (قوله وغيره) أى كالنورة والطاحون والقوارير والصابون فان ذلك من استخراجاتهم (قوله لانهم كانوا اذا فرغوا من عمل الخ) قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل فاشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله و يخربه (قوله وأيوب) قدر اذكر اشارة الى ان أيوب معمول لمحذوف (قوله و يبدل منه) اى من أيوب والمعنى اذكر قصة أيوب اذ نادى ربه ففى الحقيقة الابدال من المضاف المقدر كما تقدم نظيره وسياتى (قوله لما ابتلى) متعلق بنادى (قوله بفقد جميع ماله) اى فجملة ما ابتلاه الله به أربعة أمور وحاصل قصته باختصار ان أيوب كان رجلا من الروم وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخى ابراهيم وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وكان له اهل وولد من رجال ونساء وكان نبيا تقيا شاكرا لانعم ربه وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات فيقف فيهن من حيث ما اراد

للسيد داود (وعلمناه صنعة لبوس) وهى الدرع لانها تلبس وهو اول من صنعها وكان قبلها صفائح (لكم) فى جملة الناس (لتحصنكم) بالنون لله و بالتحتانية لداود و بالفوقانية للبوس (من باسكم) حربكم مع أعدائكم (فهل أنتم) يا اهل مكة (شاكرون) نعمى بتصديق الرسول اى اشكروني بذلك (و) سخرنا (لسليمان الريح عاصفة) وفى آية اخرى رخاء اى شديدة الهبوب وخفيفته بحسب ارادته (تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها) وهى الشام (وكنا بكل شئ عالمين) من ذلك علمه تعالى بان ما يعطيه سليمان يدعوه الى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه (و) سخرنا (من الشياطين من يغوصون له) يدخلون فى البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان (و يعملون عملا دون ذلك) اى سوى الغوص من البناء وغيره (وكنا لهم حافظين) من ان يفسدوا ما عملوا لانهم كانوا اذا فرغوا من عمل قبل الليل افسدوه ان لم يشغلوا بغيره (و) اذكر

(أيوب) و يبدل منه (اذ نادى ربه) لما ابتلى بفقد جميع ماله و ولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له الا زوجته سنين ثلاثا او سبعا

فسمع صلاة الملائكة على ايوب فحسده وقال الهى نظرت فى عبدك ايوب فوجدته شاكرا حامدا لك ولو ابتليته لرجع عن شكرك وطاعتك فقال الله له انطلق فقد سلطتك على ماله فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم قد سلطت على مال ايوب فقال عفريت اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شيء آتى عليه قال ابليس اذهب فائت الابل ورعاتها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها ثم جاء ابليس فى صورة القيم على قعود الى ايوب فوجده قائما يصلى فقال له أحرقت نارا بلك ورعاتها فقال ايوب الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها ثم سلط عفريتا على الغنم ورعاتها فصاح عليهم فماتوا جميعا وعلى الحرث فتحول ريحا عاصفا فاطارها ثم جاء ابليس واخبر ايوب بذلك فحمد الله واثنى عليه فلما راى انه قد افنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد الى السماء وقال يارب سلطنى على اولاده فقال له انطلق فقد سلطتك على أولاده فذهب اليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعا ثم جاء فى صورة المعلم الذى يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه فاخبره بموت اولاده وفصل له ذلك حتى رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال يا ليت امى لم تلدنى ففرح ابليس وصعد الى السماء سريعا لينظر ما يفعل به فاوحى الله الى ايوب انه ابليس فاستغفر فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يارب سلطنى على جسده فقال له انطلق فقد سلطتك على جسده غير قلبه ولسانه وعقله فانقض عدو الله سريعا فاتاه فوجده ساجدا فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج منها ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل كذلك حتى تقطع جسده وأنتن فاخرجه اهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا وهجره الناس كلهم الا زوجته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تخدمه وتاتيه بالطعام وهجره الثلاثة الذين آمنوا به ولم يتركوا دينهم ونقل ان سبب قوله أنى مسنى الضر ان الدود قصد قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر ولا ينافى صبره قوله انى مسنى الضر لانه شكوى للخالق وهي لا تنافى الصبر ان قلت ان الانبياء يستحيل عليهم التنفر من الامراض اجيب بان ما نزل به ليس من المنفرات فى شيء وانما هو حرارة وحكة ظهرت من آثار نفخ اللعين ابليس واعظم الله ضررها لخصوص ايوب تعظيما لقدره لان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل كما ورد بذلك الحديث (قوله اوثمانى عشرة) هذا هو الصحيح (قوله وضيق) اما فعل مبنى للمفعول عطف على ابتلى أو مصدر عطف على فقد (قوله وانت ارحم الراحمين) تعريض بطلب الرحمة (قوله فاستجبنا له نداءه) اى الذى فى ضمنه الدعاء (قوله فكشفنا ما به من ضر) روى ان الله قال له اركض برجلك الارض فركض فخرجت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة اخرى ففعل فنبعت عين ماء باردا فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان وهو معنى قوله تعالى فى سورة ص اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (قوله بان احيا له) اى لانهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم وقيل رزقه الله مثلهم روى ان امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا (قوله ثلاث اوسبع) اى فجملتهم ستة أو اربعة عشر (قوله وكان له اندر) هو الموضع الذى يدرس فيه الطعام (قوله افرغت احداهما على اندر القمح والذهب) اى لمناسبته له فى الحمرة وكذا يقال فيما بعده (قوله وذكرى للعابدين) خصهم لانهم المنتفعون بذلك (قوله واسمعيل) عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات ابوه تسع وثمانون سنة وقصة صبره على الذبح ستاتى مفصلة فى سورة الصافات (قوله وادريس) هو جد

أو ثمانى عشرة وضيق عيشته (انى) بفتح الهمزة بتقدير الباء (مسنى الضر) أى الشدة (وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له) نداءه (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله) اولاده الذكور والاناث بان احيوا له وكل من الصنفين ثلاث اوسبع (ومثلهم معهم) من زوجته وزيد فى شبابها وكان له اندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين افرغت احداهما على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاض (رحمة) مفعول له (من عندنا) صفة (وذكرى للعابدين) ليصبروا فينالوا (و) اذكر (اسمعيل وادريس

وذا الكفل كل من الصابرين) على طاعة الله وعن معاصيه (وادخلناهم في رحمتنا) من النبوة (انهم من الصالحين) لها وسمي ذا الكفل لانه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وان يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل لم يكن نبيا (و) اذكر (ذا النون) صاحب الحوت وهو يونس بن متى و يبدل منه (اذ ذهب مغاضبا) لقومه اي غضبان عليهم مما قاسي منهم ولم يؤذن له في ذلك (فظن ان لن نقدر عليه) اي نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت او نضيق عليه بذلك (فنادى في الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (ان) اي بان (لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) في ذهابي من بين قومي بلا اذن (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بتلك الكلمات (وكذلك) كما نجيناه (ننجي المؤمنين) من كربهم اذا استغاثوا بنا داعين (و) اذكر (زكريا) ويبدل منه (اذ نادى ربه) بقوله (رب لا تذرني فردا) أي بلا ولد يرثني (وانت خير الوارثين) الباقي بعد فناء خلقك (فاستجبنا له) نداءه (ووهبنا له يحيى) ولدا

نوح ولد في حياة آدم قبل موته بمائة سنة و بعث بعد موته بمائتي سنة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فجملة عمره أربعمائة وخمسون سنة وكان بينه وبين نوح ألف سنة (قوله وذا الكفل) هذا لقبه واسمه بشر وهو ابن ايوب (قوله وادخلناهم) معطوف على محذوف تقديره فاعطيناهم ثواب الصابرين وادخلناهم الخ (قوله لانه تكفل بصيام جميع نهاره الخ) اي فكان يصوم النهار و يصلي بالليل ولا يفتر وكان ينام وقت القيلولة وكان لا ينام الا تلك النومة فامتحنه ابليس لينظر هل يغضب ام لا فاتاه ابليس حين اخذ مضجعه فدق عليه الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم بيني و بين قومي خصومة وانهم ظلموني فقام وفتح له الباب وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة فقال له اذا قعدت للحكم فائتني أخلص حقك فلما جلس للحكم لم يجده فلما رجع الى القائلة من الغد اتاه ودق الباب فقال له من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال الم أقل لك اذا قعدت للحكم فائتني فقال ان خصومي أخبث قوم اذا علموا انك قاعد قالوا نعطيك حقك واذا قمت جحدوني فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى انام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة جاءه ابليس فلم ياذن له الرجل فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له انا نام والخصوم بيابك فعرف انه عدو الله وقال فعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله (قوله وقيل لم يكن نبيا) أي بل كان عبدا صالحا والصحيح انه نبي قيل بعث الى رجل واحد (قوله وذا النون) لقب ليونس وجمعه انوان ونينان وهو اسم للحوت كبيرا او صغيرا (قوله ابن متى) اسم ابيه وقيل اسم أمه (قوله و يبدل منه) اي بدل اشتمال (قوله مغاضبا لقومه) اي لاجله لان خروجه باجتهاد منه حين وعدهم بالعذاب فلما لم ينزل بهم ظن انه ان بقي بينهم قتلوه لانهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب (قوله اي غضبان عليهم) أشار بذلك الى ان المفاعلة ليست على بابها (قوله اي نقضي عليه بما قضينا) اشار بذلك الى ان معنى ان لن نقدر عليه نقضي عليه بما قضينا من القدر وهو القضاء والمعنى فظن اننا لا نؤاخذه بخروجه (قوله أو نضيق عليه) اي فمعنى نقدر نضيق كما في قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه لا من القدرة بمعنى الاستطاعة التي هي ضد العجز (قوله من حبسه في بطن الحوت) اي وكانت مدة مكثه ببطن الحوت أربعين يوما او سبعة ايام او ثلاثة او اربع ساعات واوحى الله الى ذلك الحوت لا تاكل له لحما ولا تهشم له عظما فانه ليس رزقا لك وانما جعلتك سجنا له * وحاصل ذلك انه حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي توعدهم به خرج فركب سفينة فسارت قليلا ثم وقفت في لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة فضربوها فخرجت على يونس فالقوه في البحر فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه اياه فدعا ربه فالقاه الحوت بالساحل ضعيفا وكانت تاتيه غزالة صباحا ومساء فيشرب من لبنها حتى قوى فرجع الى قومه فآمنوا به جميعا قال تعالى وارسلناه الى مائة ألف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين (قوله ان لا اله الا انت) ان امامخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وما بعدها خبرها او تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهذا الدعاء عظيم جدا لاشتماله على التهليل والتسبيح والاقرار بالذنب ولذا ورد في الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له (قوله وزكريا) معمول لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله اي بلا ولد يرثني) اي في العلم والنبوة (قوله بعد عقمها) المراد به انسداد الرحم عن الولادة (قوله انهم كانوا يسارعون) علة لمحذوف اي قالوا ما قالوا لانهم الخ (قوله رغبا ورهبا) اما منصوبان على المفعول من

(واصلحنا له زوجه) فاتت بالولد بعد عقمها (انهم) اي من ذكر من الانبياء (كانوا يسارعون) يبادرون (في الخيرات) الطاعات (و يدعوننا رغبا) في رحمتنا (ورهبا) من عذابنا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين في عبادتهم

أجله أوعلى انهما واقعان موقع الحال أى راغبين راهبين (قوله والتى أحصنت فرجها) صفة لموصوف محذوف معمول لمحذوف قدر ذلك المفسر بقوله واذكر مريم (قوله من أن ينال) أى يصل اليه أحد بحلال أوحرام ان قلت المزية ظاهرة فى حفظه من الحرام واما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه أجيب بان الترهب كان مشروعا لهم أولتكون ولادتها خارقة للعادة (قوله حيث نفخ فى جيب درعها) أى أمرناه ففعل ذلك أوالمراد نفخنا فيها بعض الارواح المخلوقة لنا وهى روح عيسى (قوله آية للعالمين) لم يقل آيتين لان كلا من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آية واحدة أوفيه الحذف من الاول لدلالة الثانى عليه (قوله ان هذه أمتكم) أشار المفسر الى أن اسم الاشارة يعود على ملة الاسلام والامة فى الاصل الجماعة ثم أطلقت على الملة لانها تستلزم الاجتماع والمعنى أن ملة الاسلام ملتكم لا اختلاف فيها من لدن آدم الى محمد فلا تغيير ولا تبديل فى أصول الدين وانما التغاير فى الفروع فمن غير وبدل فى الملة فهو خارج عنها ضال مضل وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص دفع مايتوهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعقائد تخالف عقائد من قبله من الرسل (قوله حال لازمة) أى من أمة وقيل بدل من هذه ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بخبر ان نحو ان زيدا قائم أخاك وأمتكم بالرفع خبر ان وقرئ شذوذا بالنصب على انه بدل من هذه أوعطف بيان (قوله فاعبدون) ان كان الخطاب للمؤمنين فمعناه دوموا على العبادة وان كان الخطاب للكفار فمعناه انشاء العبادة والتوحيد (قوله وتقطعوا أمرهم) أى تفرقوا فى أمرهم واختلفوا فى دينهم وهذا اخبار من الله بان الجميع لم يكونوا على دين واحد لسبق حكمته البالغة بذلك والحكمة فى ذكر العبادة هنا والتقوى فى المؤمنون وذكر الواو هنا والفاء هناك قيل تفنن وقيل لان الخطاب هنا للكفار فناسبه ذكر التوحيد والخطاب هناك للرسل فناسبه ذكر التقوى وأتى بالواو هنا لانها لا تقتضى الترتيب وهو المراد هنا فان التفرق كان حاصلا من قبل بخلاف مايأتى فان التفرق حصل بعد ارسال الرسل فناسبه الفاء (قوله وهم طوائف اليهود والنصارى) لا مفهوم له بل هذه الامة افترقت ثلاثا وسبعين فرقة اثنان وسبعون فى النار وواحدة ناجية كما فى الحديث (قوله كل الينا راجعون) تهديد للكفار والمعنى أن الله تعالى لا يفلت احدا بل كل من الثابت على الحق والزائغ عنه راجع اليه (قوله من الصالحات) اى الاعمال الحسنة من فرض ونفل (قوله فلا كفران لسعيه) اى لا يمنع من ثوابه ولا يحرم منه فالكفران مصدر بمعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار فشبه منع الثواب بالكفر والجحود (قوله وانا له كاتبون) اى حافظون للعمل فلا يضيع منه شئ (قوله وحرام) خبر مقدم وانهم لا يرجعون مبتدأ مؤخر والمعنى رجوع اهل قرية اهلكناها ممتنع وقوله الى الدنيا اى الى البقاء والمعيشة فيها وقيل الى الايمان يعنى ان رجوعهم الى الايمان ممتنع لسبق الشقاء عليهم قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (قوله غاية لامتناع رجوعهم) اى فهى متعلقة بحرام غاية لما قبلها ويصح ان تكون ابتدائية وتكون الجملة مستانفة (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالهمز وتركه) قراءتان سبعيتان (قوله اسم قبيلتين) اى من بنى آدم يقال انهم تسعة أعشار بنى آدم وتقدمت قصتهم (قوله وذلك قرب القيامة) اى بعد نزول عيسى وهلاك الدجال حين يأتى ويمكث اربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كباقى الايام وفى الحديث فقلنا يارسول الله فى اليوم الذى كسنة يكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فينزل عيسى على منارة بنى أمية شرقى دمشق عليه حلتان ممصرتان فيقتله ثم يخرج ياجوج وماجوج من السد فيحصل للخلق جدب

(و) اذكر مريم (التى احصنت فرجها) حفظته من أن ينال (فنفخنا فيها من روحنا) أى جبريل حيث نفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى (وجعلناها وابنها آية للعالمين) الانس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل (ان هذه) اى ملة الاسلام (امتكم) دينكم ايها المخاطبون اى يجب أن تكونوا عليها (أمة واحدة) حال لازمة (وانا ربكم فاعبدون) وحدون (وتقطعوا) اى بعض المخاطبين (امرهم بينهم) اى تفرقوا امر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى قال تعالى (كل الينا راجعون) اى فنجازيه بعمله (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران) اى جحود (لسعيه وانا له كاتبون) بان نامر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه (وحرام على قرية اهلكناها) اريد اهلها (انهم لا) زائدة (يرجعون) اى ممتنع رجوعهم الى الدنيا (حتى) غاية لامتناع رجوعهم (اذا فتحت) بالتخفيف والتشديد (ياجوج وماجوج) بالهمز وتركه اسمان اعجميان لقبيلتين ويقدر قبله مضاف اى سدهما وذلك قرب القيامة

عظيم حتى تكون رأس الثور خيرا من مائة دينار ثم يدعو الله عيسي فيرسل الله عز وجل النغف فى رقابهم فيهلكون جميعا فتملأ رممهم وجيفهم الارض فيدعو الله عيسي فيرسل الله عليهم طيرا كاعناق البخت فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا فيغسل الارض من آثارهم ثم يقول الله للارض أنبتى ثمرك فيكثر الرزق جدا و يستقيم الحال لعيسي والمؤمنين فبينما هم كذلك اذ بعث الله عليهم ريحا لينة تقبض روح كل مؤمن ومسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون فى الارض كتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة و بين موت عيسي والنفخة الاولى مائة وعشرون سنة لكن السنة بقدر شهر كما ان الشهر بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة فيكون بين عيسي والنفخة الاولى قدر ثنتى عشرة سنة من السنين المتادة وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسي ابن مريم و يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم (قوله وهم من كل حدب ينسلون) أى يأجوج ومأجوج ينتشرون فى الارض و يسرعون فيها من كل مرتفع من الارض (قوله واقترب الوعد) عطف على فتحت (قوله اى القصة) أشار بذلك الى ان الضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم وأبصار مبتدأ مؤخر والجملة خبرها والتعقيب عرفى لان النفاوت القليل كالعدم فاندفع ما يقال انه رتب الشخوص على فتح السد واقتراب الساعة مع ان الشخوص لا يوجد الا يوم القيامة (قوله يقولون يا و يلنا) أشار بذلك الى ان يا و يلنا مقول لقول محذوف (قوله بل كنا ظالمين) اضراب عن قولهم قد كنا فى غفلة لعله ينفعهم الاقرار بالذنب فلا ينفعهم (قوله من الاوثان) خصها بالذكر لانها كانت معظم معبوداتهم والا فالشمس والقمر يصيران ثورين عقيرين فى النار (قوله وقودها) اى وسمى حصبا لانه يرمى بهم فيها كما ترمى الحصباء (قوله لو كان هؤلاء آلهة الخ) تبكيت عليهم (قوله زفير) أى أنين و تنفس شديد (قوله لشدة غليانها) أى فعدم سماعهم لشدة غليان النار عليهم لما ورد اذا بقى من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخرى ثم تلك التوابيت فى توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون ولا يرى أحد منهم ان فى النار أحدا يعذب غيره (قوله ونزل لما قال ابن الزبعرى الخ) حاصل ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فاقبل ابن الزبعرى وهو بكسر الزاى وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء مقصورا وقد أسلم بعد ذلك فاخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله لهم فقال أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله فقال له ابن الزبعرى أنت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح و بنو مدلج يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فنزلت هذه الآية ردا عليه (قوله المنزلة الحسنى) اى الدرجة والرتبة الحسنى او المراد الكلمة الحسنى وهى لا اله الا الله او المراد السعادة الابدية (قوله ومنهم من ذكر) اى العزير وعيسي والملائكة والمعنى ان كل من سبقت له الحسنى سواء عبد أولا فهو مبعد عن النار (قوله أولئك عنها مبعدون) اى عن جهنم ان قلت كيف ذلك مع قوله تعالى وان منكم الا واردها والورود يقتضي القرب منها أجيب بان المراد مبعدون عن عذابها وألمها فان المؤمنين اذا مروا على النار تخمد وتقول جزيا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهبي وهذا لا ينافى الورود (قوله لا يسمعون حسيسها) اى حركة تلهبها وفى هذا تاكيد

(وهم من كل حدب) مرتفع من الارض (ينسلون) يسرعون (واقترب الوعد الحق) اى يوم القيامة (فاذا هى) اى القصة (شاخصة ابصار الذين كفروا) فى ذلك اليوم لشدته يقولون (يا) للتنبيه (و يلنا) هلاكنا (قد كنا) فى الدنيا (فى غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) أنفسنا بتكذيبنا للرسل (انكم) يا أهل مكة (وما تعبدون من دون الله) اى غيره من الاوثان (حصب جهنم) وقودها (أنتم لها واردون) داخلون فيها (لو كان هؤلاء) الاوثان (آلهة) كما زعمتم (ما وردوها) دخلوها (وكل) من العابدين والمعبودين (فيها خالدون لهم) للعابدين (فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) شيا لشدة غليانها * ونزل لما قال ابن الزبعرى عبد عزير والمسيح والملائكة فهم فى النار على مقتضي ما تقدم (ان الذين سبقت لهم منا) المنزلة (الحسنى) ومنهم من ذكر (أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها) صوتها (وهم فيما اشتهت أنفسهم) من النعيم (خالدون

بعدهم عنها (قوله لايحزنهم الفزع الاكبر) هذا بيان لنجاتهم من الفزع اثر بيان نجاتهم من النار (قوله وهو أن يؤمر بالعبد الى النار) اى الكافر وقيل هو حين تغلق النار على اهلها ويياسون من الخروج وقيل هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار وينادى يا اهل النار خلود بلا موت وقيل هو جميع اهوال القيامة (قوله عند خروجهم من القبور) أى تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك وقيل تستقبلهم على ابواب الجنة ولا مانع انها تستقبلهم فى الحالين (قوله اسم ملك) أى فى السماء الثالثة وعلى هذا فالمصدر مضاف لفاعله فان هذا الملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه (قوله واللام زائدة) اى والكتاب مفعوله (قوله او السجل الصحيفة) اى والمعنى كطى الصحف على مكتوبها وعليه فهو من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره كما يطوى الرجل الصحيفة على ما فيها (قوله وفى قراءة) اى سبعية أيضا (قوله جمعا) أى وأما على قراءة الافراد فأل للجنس (قوله كما بدأنا اول خلق) اى كما بدأنا هم فى بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة والخلق بمعنى المخلوق واضافة اول له من اضافة الصفة للموصوف والمعنى كما بدأنا المخلوق الاول نعيده ثانيا (قوله بعد اعدامه) هذا احد قولين لاهل السنة والقول الثانى ان الاعادة بعد تفرق الاجزاء قال فى الجوهرة

وقل يعاد الجسم بالتحقيق . * عن عدم وقيل عن تفريق

(قوله ومامصدرية) اى وبدأنا صلتها والجملة فى محل جر بالكاف واول خلق مفعول به لبدأنا (قوله وعدا علينا) اى فعلينا انجازه لتعلق علمنا بوقوعه وقدرتنا على انفاذه (قوله لمضمون ماقبله) اى الجملة الخبرية (قوله انا كنا فاعلين) توكيد لما قبله (قوله بمعنى الكتاب) اى قال فى الزبور للجنس والمعنى جنس الكتب السماوية (قوله بمعنى أم الكتاب) اى وهو اللوح المحفوظ (قوله ان الارض) مفعول كتبنا (قوله عام فى كل صالح) اى من هذه الامة وغيرها من الامم والمراد بالصلاح الموت على الايمان والمعنى ان المؤمنين يرثون الجنة ويتنعمون فيها على قدر اعمالهم وعبر بالميراث لانه ملك مستمر يأتى من غير تكسب واما من مات على الكفر فليس له فى الجنة نصيب لان الجنة عزيزة عند الله فلا يعطيها لاعدائه واما الدنيا فقد تعطى للكافر لعدم عزتها عنده لما فى الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه ماسقى الكافر منها جرعة ماء ومعناه لو كان للدنيا قدر عند الله لبقيت ببقائه ولو كانت باقية ما نعم الكافر فيها لهوانه عليه فقدر الله فى الازل ان الدنيا فانية زائلة لاقدر لها عنده فنعم فيها الكفار (قوله كفاية فى دخول الجنة) اى من حيث انه يوصل لمراضى الله تعالى فى الدنيا ويؤنس صاحبه فى القبر ويوضع فى الميزان ويرقى به فى درجات الجنة (قوله عاملين به) أى ممتثلين اوامره مجتنبين نواهيه (قوله اى للرحمة) أشار بذلك الى ان رحمة منصوب على انه مفعول لاجله ويصح ان يكون منصوبا على الحال اى انه نفس الرحمة لما وردان الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة او على حذف مضاف اى ذا رحمة أو راحما لما فى الحديث انما انا رحمة مهداة (قوله الانس والجن) اى برا وفاجرا مؤمنا وكافرا لانه رفع بسببه الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ورحمة ايضا من حيث انه جاء بما يرشد الخلق الى السعادة العظمى فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى ومن كفر فهو رحمة له فى الدنيا فقط (قوله قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد) اعلم ان فى هذه الآية قصرين الاول قصر الصفة على الموصوف والثانى بالعكس والمعنى كما قال المفسر ما يوحى الى فى أمر الاله الا اختصاصه بالوحدانية ففيه رد على الكفرة الذين يعبدون غير الله (قوله بمعنى الامر) اى فالمراد منه التحضيض على الاسلام لا الاستفهام عنه (قوله اعلمتكم بالحرب) اى انذرتكم به والمراد بالحرب محاربته هو واصحابه لهم والمعنى اعلمتكم بانى

(هذا يومكم الذى كنتم توعدون) فى الدنيا (يوم) منصوب باذكر مقدرا قبله (نطوى السماء كطى السجل) اسم ملك (للكتاب) صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة او السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفى قراءة للكتب جمعا (كما بدأنا اول خلق) عن عدم (نعيده) بعد اعدامه فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد الى اول وما مصدرية (وعدا علينا) منصوب بوعدنا مقدرا قبله وهو مؤكد لمضمون ماقبله (انا كنا فاعلين) ما وعدنا (ولقد كتبنا فى الزبور) بمعنى الكتاب اى كتب الله المنزلة (من بعد الذكر) بمعنى ام الكتاب الذى عند الله (ان الارض) ارض الجنة (يرثها عبادى الصالحون) عام فى كل صالح (ان فى هذا) القرآن (لبلاغا) كفاية فى دخول الجنة (لقوم عابدين) عاملين به (وما ارسلناك) يامحمد (الا رحمة) اى للرحمة (للعالمين) الانس والجن بك (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد) اى ما يوحى الى فى امر الاله الا وحدانيته (فهل انتم مسلمون) منقادون لما يوحى الى من وحدانية الاله والاستفهام بمعنى الامر (فان تولوا) عن ذلك (فقل آذنتكم) اعلمتكم بالحرب (على سواء) حال من الفاعل والمفعول أى مستوين فى علمه لا أستبد به محاربكم

محاربكم والحال انى وأنتم مستوون فى العلم بنقض الصلح لئلا انسب للغدر المذموم فاعله (قوله لتناهبوا) اى لتستعدوا وتتهيؤا له وهو علة للنفى لا للمنفى فالمعنى لا أستبد به بل اعلمكم لتناهبوا (قوله وان أدرى اقريب ام بعيد ما توعدون) اى لا أدرى الوقت الذى يحل بكم العذاب فيه وانما علمه موكول الى الله والمراد بالعذاب تعذيبه اياهم بحربه فى الدنيا وقوله او القيامة اى تعذيبهم بالنار (قوله انه يعلم الجهر من القول) اى ما تقولونه جهرا مما لا يليق (قوله والفعل) اشار بذلك الى ان فى الآية اكتفاء (قوله اى ما أعلمتكم به) اى وهو تاخير العذاب عنهم فى الدنيا (قوله اختبار لكم) اى معاملتكم معاملة المختبر (قوله وهذا مقابل للاول الخ) حاصله ان قوله لعله فتنة لكم محتمل للوقوع وعدمه واما قوله ومتاع الى حين فهو محقق الحصول والاحسن ان يجعل قوله ومتاع خبر المحذوف تقديره وهذا متاع الى حين اى اى وتاخير عذابكم متاع اى تمتع لكم الى وقت فراغ الاجل والجملة مستانفة (قوله وفى قراءة قال) اى وهى سبعية ايضا فالاولى امروا الثانية اخبارا عن مقالته (قوله احكم بالحق) اى عجل النصر لى والعذاب لاعدائى (قوله والخندق) المناسب حذفه لانه هو الاحزاب (قوله المستعان) اى الذى تطلب منه الاعانة (قوله على ما تصفون) اى على وصفكم لربكم ولنبيه بالنقائص فقد امر رسول الله بتفويض الامر الى الله والصبر على المشاق تعليما لامته حسن الالتجاء الى ربهم

﴿ سورة الحج مكيه ﴾

سميت بذلك لذكر الحج فيها (قوله الا ومن الناس الخ) هذا احد قولين فى المدنى منها (قوله أو الاهذان خصمان) هذا قول ثان وقوله الست آيات أى وتنتهى الى صراط الحميد لكن اربع آيات منها متعلقات بالكفار وآيتان متعلقتان بالمؤمنين وقيل ان السورة كلها مدنية وقيل الا اربع آيات من قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الى قوله عذاب مقيم فهى مكيات والتحقيق انها مختلطة منها مكى ومنها مدنى وهى من اعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا وسفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها (قوله أو ثمان وسبعون آية) اى انها سبعون آية جزما والخلاف فى النيف الزائد على خمسة أقوال (قوله اى اهل مكة) اما برفع اهل على ان اى حرف تفسير واهل تفسير للناس او نصبه على ان اى حرف نداء واهل منادى وقوله وغيرهم بالرفع او النصب واشار بذلك الى ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بان تطيعوه) اى بفعل المامورات واجتناب المنهيات (قوله ان زلزلة الساعة الخ) تعليل للامر بالتقوى والمعنى اتقوا ربكم لتامنوا من المخاوف فان من دخل حضرته امن من كل ما يزعج قال تعالى ان المتقين فى مقام أمين واضافة زلزلة للساعة من اضافة المصدر لفاعله والمفعول محذوف تقديره الارض واسناد الزلزلة للساعة مجاز عقلى لانها مقدمتها ومن علامتها الكبرى لما روى فى حديث الصور انه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين وان عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الارض كالسفينة تضربها الامواج او كالمنديل المعلق تحركه الرياح (قوله اى الحركة الشديدة) اى وتكون تلك الحركة فى نصف رمضان (قوله التى يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها) اشار المفسر بذلك الى ان تلك الزلزلة تكون فى الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها ويقوى هذا القول قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت الآية والرضاع والحمل انما هو فى الدنيا وقيل تكون مع النفخة الاولى وقيل تكون مع قيام الساعة عند النفخة الثانية وحينئذ يكون قوله تذهل

تعالى (يعلم الجهر من القول) والفعل منكم ومن غيركم (ويعلم ما تكتمون) انتم وغيركم من السر (وان) ما (ادرى لعله) أى ما اعلمتكم به ولم يعلم وقته (فتنة) اختبار (لكم) ليرى كيف صنعكم (ومتاع) تمتع (الى حين) اى انقضاء آجالكم وهذا مقابل للاول المترجى بلعل وليس الثانى محلا للترجى (قل) وفى قراءة قال (رب احكم) بينى وبين مكذبى (بالحق) بالعذاب لهم او النصر عليهم فعذبوا ببدر وأحد والاحزاب وحنين والخندق ونصر عليهم (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) من كذبكم على الله فى قولكم اتخذ ولدا وعلى فى قولكم ساحر وعلى القرآن فى قولكم شعر

﴿سورة الحج مكية الا ومن الناس من يعبد الله الآيتين والاهذان خصمان الست آيات فمدنيات وهى اربع او خمس أوست او سبع او ثمان وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الناس) اى اهل مكة وغيرهم (اتقوا ربكم) اى عقابه بان تطيعوه (ان زلزلة الساعة) اى الحركة الشديدة للارض التى يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذى هو قرب الساعة (شيء عظيم) فى ازعاج الناس الذى هو نوع العقاب (يوم ترونها تذهل) بسببها

كل مرضعة مبالغة اى ان الزلزلة من شدة هولها وعظمة شانها ان تذهل كل مرضعة عن ولدها (قوله كل مرضعة بالفعل) والمعنى مباشرة للارضاع (قوله عما ارضعت) يصح ان تكون ما مصدرية اى عن ارضاعها ويصح ان تكون ما موصولة اى عن الذى ارضعته (قوله كل ذات حمل) هو بفتح الحاء ما كان فى بطن أو على رأس شجرة واما الحمل بكسر الحاء فهو ما يحمل على الظهر (قوله ولكن عذاب الله شديد) استدراك على محذوف تقديره فهذه الاحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الخ فما بعد لكن مخالف لما قبلها وهاتان الآيتان قيل نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى كانوا حوله فقرأهما عليهم فلم يرا باكيا أكثر من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر (قوله من يجادل فى الله) اى فى قدرته وصفاته العظيمة (قوله بغير علم) حال من فاعل يجادل (قوله وانكروا البعث) اى حيث قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (قوله مريد) أى عات والمراد ما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وهو الاقرب لقوله فى الآية الاخرى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير (قوله كتب عليه) هو فعل مبنى للمفعول وان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر نائب فاعل (قوله من تولاه) اما شرطية والهاء واقعة فى جوابها أو موصولة والفاء زائدة فى الخبر لشبه المبتدأ بالشرط (قوله يدعوه) اى وسمى الدعاء هداية تهكما بهم (قوله اى النار) اشار بذلك الى ان المراد بالسعير النار بجميع طبقاتها لا الطبقة المسماة بذلك (قوله يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما ذكر من يجادل فى قدرة الله بغير علم وكان جدالهم فى البعث ذكر ليلين على ذلك الاول فى نفس الانسان وابتداء خلقه والثانى فى الارض ومايخرج منها فاذا تامل الانسان فيهما ثبت عنده البعث وانه واقع لا محالة (قوله ثم من علقة) اى بان تصير النطفة دما جامدا وهكذا يقال فيما بعده بدليل قوله تعالى فى سورة المؤمنون ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة لما ورد ان النطفة اذا وقعت فى الرحم واراد الله ان يخلق منها بشرا طارت فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة ثم تمكث اربعين يوما ثم تصير دما فى الرحم فذلك جمعها وهو وقت جعلها علقة واتفقوا على ان نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما وذلك اربعة اشهر (قوله تامة الخلق) اى تامة التصوير بان خلق الراس واليدان والرجلان (قوله اى غير تامة الخلق) اى غير تامة التصوير بان لم يخلق فيها شئ من ذلك (قوله كمال قدرتنا) قدره اشارة الى ان مفعول نبين محذوف (قوله ونقر فى الارحام ما نشاء) اى فلا تسقطه الرحم (قوله الى اجل مسمى) اى معين لاخراجه فتارة يخرج لستة اشهر وتارة لاكثر (قوله طفلا) حال من مفعول نخرجكم وافرده لانه مصدر فى الاصل أولا نه يراد به الجنس أولان المعنى نخرج كل واحد منكم طفلا كقولك القوم يشبعهم رغيف اى كل واحد منهم والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال الى البلوغ (قوله الى ارذل العمر) قيل هو خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون وقيل تسعون (قوله والخرف) بفتحتين هو فساد العقل من الكبر (قوله لكيلا يعلم) متعلق بيرد اى لكيلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه (قوله قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) اى فهو مخصوص بغير من

وجماعة (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين وانكروا البعث واحياء من صار ترابا (ويتبع) فى جداله (كل شيطان مريد) اى متمرد (كتب عليه) قضى على الشيطان (انه من تولاه) اى اتبعه (فانه يضله ويهديه) يدعوه (الى عذاب السعير) اى النار (يا أيها الناس) اى اهل مكة (ان كنتم فى ريب) شك (من البعث فانا خلقناكم) اى اصلكم آدم (من تراب ثم) خلقنا ذريته (من نطفة) منى (ثم من علقة) وهى الدم الجامد (ثم من مضغة) وهى لحمة قدر ما يمضغ (مخلقة) مصورة تامة الخلق (وغير مخلقة) اى غير تامة الخلق (لنبين لكم) كمال قدرتنا لتستدلوا بها فى ابتداء الخلق على اعادته (ونقر) مستانف (فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى) وقت خروجه (ثم نخرجكم من بطون امهاتكم (طفلا) بمعنى اطفالا (ثم) نعمركم (لتبلغوا اشدكم) اى الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين سنة (ومنكم من يتوفى) يموت قبل بلوغ الاشد (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) اخسه من الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة

قرأ القرآن والعلماء وأماهم فلا يردون الى الارذل بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم كما هو مشاهد (قوله وترى الارض هامدة) هذا هو الدليل الثانى على تمام قدرته تعالى (قوله تحركت) أى فى رأى العين بسبب حركة النبات (قوله بان الله هو الحق) أى هذا الصنع بسبب انه تعالى هو الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا ابدا الموجد للاشياء على طبق علمه وارادته (قوله وان الساعة آتية) توكيد لقوله وانه يحيي الموتى وكذا قوله وان الله يبعث من فى القبور (قوله ونزل فى أبى جهل) واسمه عمرو بن هشام وأبو جهل كنيته ويكنى أيضا بابى الحكم (قوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) عطف على قوله ومن الناس الاول والمعنى ان الكفار تنوعوا فى كفرهم فبعضهم كان يقلد غيره فى الكفر وقد دلت الآية الاولى على هذا القسم وبعضهم كان قدوة يقتدى به غيره فى الضلال والكفر وقد دلت هذه الآية عليه وبعضهم كان يدخل الاسلام باللسان وفى قلبه الريب والشك وهو الآتى فى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وحينئذ فليس فى الآية تكرار (قوله بغير علم) اى معرفة وقوله ولا هدى اى استدلال وقوله ولا كتاب اى وحى والمعنى انه يجادل من غير مستند أصلا (قوله ثانى عطفه) أى لاوى جنبه والمراد منه الاعراض عن الحق لان شان من أعرض عن شيء لوى جنبه عنه فشبه عدم التمسك بالحق بلى الجانب واستعير اسم المشبه به للمشبه بجامع الاعراض فى كل على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية والعامة على كسر العين وهو الجانب وقرئ شذوذا بفتحها وهو مصدر بمعنى التعطف كانه قال تاركا تعطفه اى رحمته وتمسك بالقسوة (قوله اى لاوى عنقه) الاوضح ان يقول جنبه لان العطف بالكسر الجانب الا ان يقال يلزم من لى الجانب لى العنق (قوله ليضل) متعلق بيجادل وقوله بفتح الياء أى فهو فعل لازم والمعنى ليحصل له الضلال فى نفسه وقوله وضمها اى فهو متعد والمعنى ليوقع غيره فى الضلال وهما قراءتان سبعيتان واللام للعاقبة والصيرورة (قوله عذاب) فى بعض النسخ زيادة ثقيل ومعناه عظيم متكرر وأخذ ذلك من التنوين على حد شر أهر ذا ناب (قوله عذاب الحريق) من اضافة الموصوف لصفته أى العذاب المحرق أو الحريق طبقة من طباق جهنم (قوله ويقال له) أى من قبل الله على ألسنة ملائكة العذاب (قوله ذلك) أى ماذكر من الخزى وعذاب الحريق (قوله عبر عنهما الخ) جواب عما يقال لم خص اليدين بالذكر مع أن الفاعل هو الشخص ذاته (قوله تزاول) أى تعالج (قوله وان الله) عطف على قدمت (قوله أى بذى ظلم) أى فظلام صيغة نسبة كتمار ونجار ودفع بذلك ما يقال ان نفى الكثرة يستدعى ثبوت اصل الظلم مع انه مستحيل لان الظلم التصرف فى ملك الغير بغير اذنه ولا ملك لاحد معه لان حكمه فى ملكه دائر بين الفضل والعدل فلا يسئل عما يفعل وحينئذ فلا يليق من الشخص الاعتراض على احكام الله تعالى وانما يرضى ويسلم ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة (قوله فيعذبهم بغير ذنب) أى وسماه ظلما لانه وعد الطائع بالجنة ووعده لا يتخلف لكن لو فرض لم يكن ظلما (قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف) نزلت فى المنافقين وأعراب البوادى كان احدهم اذا قدم المدينة فصح فيها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمان له وان اصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت فى هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وقوله على حرف حال من فاعل يعبد أى متزلزلا وقد صار مثلا لكل من كان عنده شك فى شيء (قوله اى شك فى عبادته) اى ضعف يقين فيها (قوله شبه بالحال على حرف جبل فى عدم ثباته) اشار بذلك الى أن فى الآية استعارة تمثيلية حيث شبه حال من دخل الاسلام من غير اعتقاد وصحة قصد

(وترى الارض هامدة) يابسة (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت (وربت) ارتفعت وزادت (وانبتت من) زائدة (كل زوج) صنف (بهيج) حسن (ذلك) المذكور من بدء خلق الانسان الى آخر احياء الارض (بان) بسبب أن (الله هو الحق) الثابت الدائم (وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب) شك (فيها وان الله يبعث من فى القبور) ونزل فى ابى جهل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى) معه (ولا كتاب منير) له نور معه (ثانى عطفه) حال اى لاوى عنقه تكبرا عن الايمان والعطف الجانب عن يمين اوشمال (ليضل) بفتح الياء وضمها (عن سبيل الله) اى دينه (له فى الدنيا خزى) عذاب فقتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أى الاحراق بالنار ويقال له (ذلك بما قدمت يداك) اى قدمته عبر عنه بهما دون غيرهما لان اكثر الافعال تزاول بهما (وان الله ليس بظلام) اى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (ومن الناس من يعبد الله على حرف) اى شك فى عبادته شبه بالحال على حرف جبل فى عدم ثباته (فان اصابه خير) صحة وسلامة فى نفسه وماله

بحال الجالس على طرف جبل تحته مهاوى بجامع التزلزل وعدم الثبات فى كل (قوله اطمأن به) اى رضى به وسكن اليه (قوله فتنة) المراد بها هنا كل مكروه للطبع وثقيل على النفس ولم يقل وان اصابه شر ليقع فى مقابلة الخير لان ماينفر عنه الطبع ليس شرا فى نفسه بل قد يكون خيرا اذا حصل معه الرضا والتسليم (قوله انقلب على وجهه) اى ارتد للحالة التى كان عليها أولا من الكفر والاعتراض على الله تعالى (قوله بفوات ماامله) اى وهو كثرة ماله واجتماعه باحبائه (قوله ذلك هو الخسران المبين) اى الذى لاخسران مثله لفوات حظه من الدنيا والآخرة (قوله من الصنم) لامفهوم له بل مثله كل مخلوق والحاصل ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية تقال ايضا لمن التجا للمخلوق وترك الخالق معتمدا على ذلك المخلوق واما الالتجاء للمخلوق من حيث انه مهبط الرحمات كما صلة آل البيت والاولياء والصالحين فهو مطلوب وهو فى الحقيقة التجاء للخالق يقرب ذلك ان الله تعالى امرنا بالجلوس فى المساجد والطواف بالبيت وقيام ليلة القدر ونحوها وماذاك الا للتعرض للرحمة النازلة فى تلك الاماكن والازمان فلا فرق بين الاشخاص وغيرها فهم مهبط الرحمات لا منشؤها تامل (قوله اللام زائدة) اى ومن مفعول يدعو وضره مبتدأ وأقرب خبره والجملة صلة من ان قلت انه اثبت الضر والنفع هنا ونفاهما فيما تقدم فقد حصل التعارض والتناقض أجيب بان النفى باعتبار ما فى نفس الامر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل (قوله هو) قدره اشارة الى ان المخصوص بالذم محذوف (قوله وعقب ذكر الشاك بالخسران) الجار والمجرور حال من الشاك والباء للملابسة وقوله بذكر المؤمنين متعلق بعقب والمعنى لما ذكر الشاك فى الدين حال كونه ملتبسا بالخسران ذكر عقبه المؤمنين وما اعدلهم من الثواب الجزيل (قوله من الفروض) اى وهى ما امر بها المكلف امرا جازما يترتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب وقوله والنوافل هى ما امر بها الشخص امرا غير جازم يترتب على فعلها الثواب وليس فى تركها عقاب (قوله تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها (قوله ان الله يفعل مايريد) اى فلا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل (قوله من كان يظن ان لن ينصره الله) هذه الآية مرتبطة بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف واما قوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ فهو معترض بين اوصاف الشاك لجرى عادة الله بذكر اهل الوعد اثر اهل الوعيد والمعنى من كان يظن من الكفار والشاكين فى دينهم ان الله لا ينصر محمدا فى الدنيا وفى الآخرة فليات بحبل يشده فى سقف بيته وفى عنقه ثم يختنق به حتى يموت فلينظر هل فعله هذا يذهب غيظه وهو نصرة محمد فالاتيان بالحبل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظا فيكون بمعنى قوله تعالى قل موتوا بغيظكم وهذا هو المشهور فى تفسير الآية ولذا مشى عليه المفسر وقيل ان المعنى من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا فليطلب حيلة يصل بها الى السماء ثم ليقطع النصر عنه وينظر هل يذهب ما احتال به غيظه ان امكنه ذلك (قوله بان يقطع نفسه) بالتحريك وهو اشارة الى ان مفعول يقطع محذوف (قوله كما فى الصحاح) راجع لجميع ماذكر من قوله بحبل الى السماء الخ والصحاح بفتح الصاد اسم كتاب فى اللغة للامام ابى النصر اسمعيل بن حماد الجوهرى (قوله مايغيظ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف ويغيظ صلته والعائد محذوف والتقدير الشىء الذى يغيظه (قوله منها) بيان لما الواقعة على نصرة النبى (قوله حال) اى من الهاء فى انزلناه (قوله على هاء انزلناه) اى فالمعنى وانزلنا ان الله يهدى من يريد اى ويضل من يريد ففى الآية اكتفاء

منها (والآخرة) بالكفر (ذلك هو الخسران المبين) البين (يدعو) يعبد (من دون الله) من الصنم (مالا يضره) ان لم يعبده (ومالا ينفعه) ان عبده (ذلك) الدعاء (هو الضلال البعيد) عن الحق (يدعو لمن) اللام زائدة (ضره) بعبادته (اقرب من نفعه) ان نفع بتخيله (لبئس المولى) هو اى الناصر (ولبئس العشير) الصاحب هو وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب فى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الفروض والنوافل (جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل مايريد) من اكرام من يطيعه واهانة من يعصيه (من كان يظن أن لن ينصره الله) اى محمدا نبيه (فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) بحبل (الى السماء) اى سقف بيته يشده فيه وفى عنقه (ثم ليقطع) اى ليختنق به بان يقطع نفسه من الارض كما فى الصحاح (فلينظر هل يذهبن كيده) فى عدم نصرة النبى (مايغيظ) ه منها المعنى فليختنق غيظا منها فلا بد منها (وكذلك) اى مثل انزالنا الآيات السابقة (انزلناه) اى القرآن الباقى (آيات بينات) ظاهرات حال (وان الله يهدى من يريد) هداه معطوف على هاء انزلناه (قوله)

(قوله ان الذين آمنوا الخ) أى فالاديان ستة واحد للرحمن وأصحابه فى الجنة وخمسة للشيطان وأصحابها فى النار (قوله والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس ويقولون العالم له أصلان النور والظلمة وقيل هم قوم يستعملون النجاسات والاصل نجوس أبدلت النون ميما (قوله طائفة منهم) اى من اليهود وقيل هم طائفة من النصارى (قوله ان الله على كل شئ شهيد) تعليل لقوله ان الله يفصل بينهم (قوله عالم) أشار بذلك الى ان الشهيد معناه الذى لا يغيب عنه شئ (قوله والشمس والقمر والنجوم) عطف خاص على قوله من فى السموات ونص عليها لما وردان بعضهم كان يعبدها (قوله والجبال والشجر والدواب) عطف خاص على من فى الارض وخصها بالذكر لان بعضهم كان يعبدها (قوله اى يخضع له) أشار بذلك الى ان المراد بالسجود الخضوع والانقياد لله وهو أحد قولين وقيل المراد بالسجود حقيقته لانه ورد ما فى السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له وقال تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال (قوله وكثير من الناس) أشار المفسر الى انه معطوف على فاعل يسجد (قوله يشقه) اى يحتم عليه الشقاء وهو عدم الاهتداء (قوله ان الله يفعل ما يشاء) اى فلا حرج عليه ولا منازع له فى حكمه (قوله هذان خصمان) اسم الاشارة يعود على المؤمنين والكفار كما قاله المفسر وسبب نزولها تخاصم حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث مع عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فكان كل من الفريقين يسب دين الآخر وقيل نزلت فى المسلمين واهل الكتاب حيث قال اهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسدا * واختلف هل هذا الخصام فى الدنيا والتعقيب بقوله فالذين كفروا الخ باعتبار تحققه مضمونه أو فى الآخرة بدليل التعقيب ولذا قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدى الله تعالى (قوله وهو يطلق على الواحد والجماعة) اى لانه مصدر فى الاصل والغالب استعماله مفردا مذكرا وعليه قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم ويثنى ويجمع كما هنا (قوله اختصموا) جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الاشخاص فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (قوله اى فى دينه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله قطعت لهم ثياب من نار) اى قدرت على قدر جثثهم ففى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه اعداد النار واحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترها لابدانهم وجمع الثياب لان تراكم النار عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع (قوله يصب من فوق رؤسهم الحميم) لما ذكر ان الثياب تغطى الجسد غير الرأس ذكر ما يصيب الرأس ولما ذكر ما يصيب ظاهر الجسد ذكر ما يصيب باطنه وهو الحميم الذى يذيب ما فى البطون من الاحشاء لما فى الحديث ان الحميم ليصب من فوق رؤسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص الى جوفه فيسلب ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان (قوله وتشوى به الجلود) أشار بذلك الى ان الجلود مرفوع بفعل مقدر لان الجلود لا تذاب نظير * علفتها تبنا وماء باردا * ويصح ان يكون معطوفا على ماء ويراد بالاذابة التقطع (قوله ولهم مقامع) جمع مقمعة بكسر الميم آلة القمع أى الضرب والزجر (قوله من غم) اى من أجل حصوله لهم (قوله أعيدوا فيها) اى لما ورد ان جهنم تفور بهم فيصعدون الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد

يبنهم يوم القيامة) بادخال المؤمنين الجنة وادخال غيرهم النار (ان الله على كل شئ) من عملهم (شهيد) عالم به علم مشاهدة (ألم تر) تعلم (ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) اى يخضع له بما يراد منه (وكثير من الناس) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع فى سجود الصلاة (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكافرون لانهم أبوا السجود المتوقف على الايمان (ومن يهن الله) يشقه (فما له من مكرم) مسعد (ان الله يفعل ما يشاء) من الاهانة والاكرام (هذان خصمان) اى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (اختصموا فى ربهم) اى فى دينه (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) يلبسونها يعنى أحيطت بهم النار (يصب من فوق رؤسهم الحميم) الماء البالغ نهاية الحرارة (يصهر) يذاب (به ما فى بطونهم) من شحوم وغيرها (و) تشوى به (الجلود ولهم مقامع من حديد) لضرب رؤسهم (كلما أرادوا ان يخرجوا منها) اى النار (من غم) يلحقهم بها (أعيدوا فيها) ردوا اليها بالمقامع

فيهوون فيها سبعين خريفا (قوله وقيل لهم) اى تقول لهم الملائكة ذلك (قوله عذاب الحريق) من اضافة الموصوف للصفة اى العذاب المحرق (قوله ان الله يدخل الذين آمنوا الخ) لم يقل فى حقهم والذين آمنوا عطفا على قوله فالذين كفروا اشارة لتعظيم شان المؤمنين (قوله الانهار) جمع نهر والمعنى تجرى من تحت قصورهم (قوله من اساور) من امازائدة اوللتبعيض اولبيان الجنس وقوله من ذهب من لابتداء الغاية (قوله بان يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب والاصل بان يرصع الذهب باللؤلؤ وقيل انهم يلبسون الاساور من النوعين الذهب واللؤلؤ وفى آية هل أتى وحلوا أساور من فضة فهم يلبسونها من الانواع الثلاثة لما ورد ان المؤمن يسور فى الجنة بثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وفى الحديث تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء (قوله ولباسهم فيها حرير) غاير الاسلوب حيث لم يقل و يلبسون فيها حريرا اشارة الى ان الحرير ثيابهم المعتادة فى الجنة فان العدول الى الجملة الاسمية يدل على الدوام (قوله وهو المحرم لبسه على الرجال فى الدنيا) أى يوضاهم الله فى الآخرة الى ماحرمه عليهم فى الدنيا قال عليه الصلاة والسلام من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة واختلف فى معنى الحديث فقيل لم يلبسه فى الآخرة اذا مات مصرا ودخل النار فلا ينافى انه اذا دخل الجنة يلبسه وقيل لم يلبسه اصلا ولو دخل الجنة بل يتنعم بغير الحرير وما هو فلا يشتهيه فيها والمعتمد الاول وكذا يقال فى الاحاديث الواردة فيمن شرب الخمر ولبس الذهب (قوله وهو لا اله الا الله) اى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى افضل الاذكار لما فى الحديث افضل ماقلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله فهى رأس المال لذاكرها لا يقبل شئ من الاعمال الا بها فمن مات عليها حصلت له السعادة والسيادة نسال الله تعالى الثبات عليها فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه (قوله الى صراط الحميد) اى وهو دين الاسلام وسمى صراطا لانه طريق يوصل الى رضا الله تعالى (قوله اى طريق الله المحمودة) اشار بذلك الى ان الحميد وصف لله تعالى ومعناه المحمود فى افعاله (قوله و يصدون) معطوف على كفروا فيه عطف المستقبل على الماضى وحينئذ فاما ان يراد بالماضى المضارع او يجرد المضارع عن معناه بان يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب العطف وهذا هو الاحسن ولا يصح جعل جملة و يصدون حالا لان الجملة المضارعية المثبتة اذا وقعت حالا لا تقرن بالواو قال ابن مالك

وذات بدء بمضارع ثبت * حوت ضميرا ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة لان الاصل عدمها وخبر ان محذوف يقدر بعد قوله والباد لدلالة قوله نذقه من عذاب أليم والتقدير نذيقهم من عذاب اليم كما سياتى فى المفسر (قوله منسكا) قدره اشارة الى ان مفعول جعلنا الثانى محذوف وقوله ومتعبدا عطف تفسير (قوله للناس) ظرف لغوا ما متعلق بمنسكا الذى قدره المفسر او بجعلنا وهذا التقدير انما هو لا يضاح المعنى والا فيصح جعل جملة سواء العاكف فيه والباد مفعولا ثانيا وعلى ما قدره المفسر تكون حالية (قوله سواء العاكف فيه) سواء بالرفع خبر مقدم والعاكف وما عطف عليه مبتدأ مؤخر وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالا والعاكف مرفوع على الفاعلية لسواء لانه مصدر وصف به فهو فى قوة اسم الفاعل المشتق تقديره جعلنا مستويا فيه العاكف الخ والمعنى ان المقيم فى المسجد والطارئ سواء فى النزول به فمن سبق الى مكان فيه فهو حقه لا يقيمه منه غيره وليس المراد ان دور مكة غير مملوكة لاربابها فالغريب واهل البلد سواء فيها بل هى مملوكة لاربابها ويجوز بيعها واجارتها (قوله والباد) باثبات الياء وصلا ووقفا او حذفها فيهما او حذفها ووقفا واثباتها وصلا ثلاث قراآت سبعيات وقوله الطارئ دفع به مايتوهم من قوله البادى ان المراد بساكن البادية بل المراد به الطارئ كان من البادية اولا وانما

(و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) اى البالغ نهاية الاحراق وقال فى المؤمنين (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب واؤلؤ) بالجر اى منهما بان يرصع اللؤلؤ بالذهب وبالنصب عطفا على محل من اساور (ولباسهم فيها حرير) وهو المحرم لبسه على الرجال فى الدنيا (الى الطيب من القول) وهو لا اله الا الله (وهدوا الى صراط الحميد) اى طريق الله المحمودة ودينه (ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله) طاعته (و) عن (المسجد الحرام الذى جعلناه) منسكا ومتعبدا (للناس سواء العاكف) المقيم (فيه والباد) الطارئ

(ومن يرد فيه بالحاد) الباء زائدة (بظلم) اى بسببه بان ارتكب منهيا ولو شتم الخادم (نذقه من عذاب اليم) مؤلم اى بعضه ومن هذا سمى الطارى بادیا لانه لا یاتی الیها الا من البادیة (قوله ومن یرد فیه) اى یقصد فی المسجد الحرام (قوله بالحاد) اى عدول عن الاعتدال (قوله الباء زائدة) اى فی المفعول (قوله نذقه من عذاب الیم) اى فی الآخرة الا ان یتوب وأخذ منه ان السیئة فی مکة اعظم من السیئة فی غیرها ومن هنا کره مالك المجاورة فی مکة لغیر اهلها وندبها بالمدینة (قوله ومن هذا) اى جواب الشرط (قوله یؤخذ خبران) اى ویکون مقدرا بعد قوله والبادی (قوله واذکر) قدره اشارة الى ان قوله بوأنا ظرف لمحذوف (قوله بینا لابراهیم مکان البیت) اى اریناه أصله لیبنیه حین أسکن ولده اسمعیل وأمه هاجر فی تلك الارض وأنعم الله علیهما بزمزم فدعا الله بعمارة هذا البیت فبعث الله له ریحا هفافة فکشفت عن أساس آدم فرتب قواعده علیه لان أساسه فی الارض کما قیل ثلاثون ذراعا بذراع آدم وقیل بعث الله تعالى سحابة بقدر البیت فقامت بحذاء البیت وفیه رأس یتکلم یا ابراهیم ابن علی دوری فبنی علیه وجعل طوله فی السماء سبعة أذرع بذراعه وأدخل الحجر فی البیت لم یجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا یلقی فیه ما یهدی للبیت وبناه قبله شیث وقبل شیث آدم وقبل آدم الملائکة ثم بعد ابراهیم بناه العمالقة ثم جرهم ثم قصی ثم قریش ثم الزبیر ثم الحجاج وهی باقیة الآن علی بنائه ثم یهدمها فی آخر الزمان ذو السویقتین فیجددها عیسی ابن مریم علیه السلام (قوله وامرناه) قدره اشارة الى ان قوله ان لا تشرك معمول لمحذوف وذلك المحذوف معطوف علی بوأنا (قوله من الاوثان) قیل المراد بها الاصنام لان جرهما والعمالقة کانت لهم اصنام فی محل البیت قبل ان یبنیه ابراهیم علیه السلام وقیل المراد نزهه عن ان یعبد فیه غیره تعالى فهو کنایة عن اظهار التوحید و یصح ان یکون المراد طهره من الاقذار والانجاس والدماء وجمیع ما تنفر منه النفوس (قوله وأذن فی الناس بالحج) اى بالدعاء الیه والامر به (قوله علی جبل ابی قبیس) اى فلما سمعت النداء خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القری فنادی فی الناس بالحج فاول من اجابه اهل الیمن فالیس حاج من یومئذ الى یوم تقوم الساعة الا من اجاب ابراهیم علیه السلام ومن ثم قیل من لبی مرة حج مرة ومن لبی مرتین حج مرتین ومن لبی أکثر حج بقدر تلبیته (قوله لبیك اللهم لبیك) اى اجبنك اجابة بعد اجابة (قوله یاتوك) اى یاتوا مکانك لان المقصود اتیان البیت لا اتیان ابراهیم وقوله رجالا وعلی کل ضامر لیس فیه دلیل علی ان راکب البحر لا یجب علیه الحج لان مکة لیست علی البحر وانما یتوصل الیها علی احدی هاتین الحالتین (قوله وعلی کل ضامر) النضیر فی الاصل ان تعلف الفرس حتی تسمن ثم تفلل عنه الاکل شیا فشیا حتی یصل الى حد القویة وحینئذ فیکون سریع الجری وقدم الراجل لما ورد انه بکل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم کل حسنة مائة الف حسنة وللراکب بکل خطوة سبعون حسنة وأخذ الشافعی من هذا الحدیث ان المشی افضل من الرکوب وقال مالك الرکوب افضل لانه اقرب للشکر ولان رسول الله صلی الله علیه وسلم حج راکبا ولو کان المشی افضل لفعله رسول الله واجاب عن الحدیث بانه تنزیه وهی لا تقتضی الافضلیة (قوله حملا علی المعنی) اى حیث الحق الفعل العلامة ولو راعی اللفظ لقال یاتی (قوله بالتجارة) اى لانها جائزة للحاج من غیر کراهة اذا لم تکن مقصودة بالسفر (قوله ویذکروا اسم الله) اى عند اعداد الهدایا وذبحها (قوله عشر ذی الحجة) اى وسمیت معلومات لحرص الحجاج علی علمها لان وقت الحج فی آخرها (قوله الى آخر ایام التشریق) راجع للقولین قبله (قوله علی مارزقهم) اى لاجل مارزقهم (قوله فکلوا منها) امر اباحة لمخالفة ما کانت علیه الجاهلیة من عدم الاکل من لحوم هدایاهم فامر الله بخالفتهم واتفق العلماء

یؤخذ خبران اى نذیقهم من عذاب الیم (و) اذکر (اذ بوأنا) بینا (لابراهیم مکان البیت) لیبنیه وکان قد رفع زمن الطوفان وامرناه (ان لا تشرك بی شیا وطهر بیتی) من الاوثان (للطائفین والقائمین) المقیمین به (والرکع السجود) جمع راکع وساجد المصلین (واذن) ناد (فی الناس بالحج) فنادی علی جبل ابی قبیس یا أیها الناس ان ربکم بنی بیتا وأوجب علیکم الحج الیه فاجیبوا ربکم فالتفت بوجهه یمینا وشمالا وشرقا وغربا فاجابه کل من کتب له ان یحج من اصلاب الرجال وارحام الامهات لبیك اللهم لبیك وجواب الامر (یاتوك رجالا) مشاة جمع راجل کقائم وقیام (و) رکبانا (علی کل ضامر) ای بعیر مهزول وهو یطلق علی الذکر والانثی (یاتین) ای الضوامر حملا علی المعنی (من کل فج عمیق) طریق بعید (لیشهدوا) أی یحضروا (منافع لهم) فی الدنیا بالتجارة او فی الآخرة او فیهما قوال (ویذکروا اسم الله فی ایام معلومات) ای عشر ذی الحجة او یوم عرفة او یوم النحر الى آخر ایام التشریق أقوال (علی مارزقهم من بهیمة الانعام) الابل والبقر والغنم التی تنحر فی یوم العید وما بعده من الهدایا والضحایا (فکلوا منها) اذا کانت مستحبة (واطعموا البائس الفقیر) ای الشدید الفقر

(ثم ليقضوا تفثهم) اى يزيلوا اوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وليوفوا) بالتخفيف والتشديد (نذورهم) من الهدايا والضحايا (وليطوفوا) طواف الافاضة (بالبيت العتيق) اى القديم لانه اول بيت وضع للناس (ذلك) خبر مبتدا مقدر اى الامر او الشان ذلك المذكور (ومن يعظم حرمات الله) هى ما لا يحل انتهاكه (فهو) أى تعظيمها (خير له عند ربه) فى الآخرة (وأحلت لكم الانعام) اكلا بعد الذبح (الا ما يتلى عليكم) تحريمه فى حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) من للبيان اى الذى هو الاوثان (واجتنبوا قول الزور) اى الشرك بالله فى تلبيتهم او شهادة الزور (حنفاء لله) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غير مشركين به) تاكيد لما قبله وهما حالان من الواو (ومن يشرك بالله فكانما خر) سقط (من السماء فتخطفه الطير) اى تاخذه بسرعة (او تهوى به الريح) اى تسقطه (فى مكان سحيق) بعيد اى فهو لا يرجى خلاصه (ذلك) يقدر قبله الامر مبتدا (ومن يعظم شعائر الله فانها) اى فان تعظيمها وهى البدن التى تهدى للحرم بان تستحسن وتستسمن (من تقوى القلوب) منهم وسميت شعائر لاشعارها بما تعرف به انها هدى كطعن اى حديدة بسنامها (لكم فيها منافع) كركوبها والحمل عليها مالا يضرها (الى أجل مسمى) وقت نحرها (ثم محلها) اى مكان حل نحرها (الى البيت العتيق) اى عنده والمراد الحرم جميعه (ولكل امة) اى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) بفتح السين مصدر وبكسرها اسم

على أن الهدى اذا كان تطوعا جاز الاكل منه واختلفوا فى الهدى الواجب فقال الشافعى لا يأكل منه وقال مالك يأكل من كل هدى وجب الا من جزاء الصيد وفدية الاذى والنذر اذا قصد به المساكين وقال أصحاب أبى حنيفة يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما (قوله ثم ليقضوا تفثهم) أى بعد تمام حجهم وتحللهم لان الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب الرمى فالنحر فالحلق فطواف الافاضة فبعد الفراغ منها حل له كل شئ كان محرما عليه قبل الاحرام (قوله بالتشديد والتخفيف) هما قراءتان سبعيتان (قوله لانه أول بيت وضع) وقيل سمى عتيقا لان الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه ومن الغرق لانه رفع أيام الطوفان (قوله أى الامر أو الشان ذلك) أشار بذلك الى أن قوله ذلك خبر لمحذوف وهذا على عادة الفصحاء اذا ذكروا جملة من الكلام ثم أرادوا الخوض فى كلام آخر يقولون هذا وقد كان كذا فهو يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهى كلام واحد (قوله هى ما لا يحل انتهاكه) أى وهى التكاليف التى كلف الله بها عباده من واجب ومندوب ومكروه وحرام وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها فتعظيمه فى الواجب والسنة والمندوب فعل كل وفى المكروه والحرام ترك كل بل وترك ما يؤدى لذلك (قوله خير له عند ربه) أى قربة رطاعة يثاب عليها فى الآخرة واسم التفضيل على بابه باعتبار ما يزعمه أهل اللهو والفسوق من أن من أطلق نفسه فى الشهوات فقد أصاب حظه فهو خير باعتبار ما عندهم لا باعتبار ما عند الله لما ورد ساعة شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا (قوله الانعام) أى الابل والبقر والغنم (قوله بعد الذبح) أى أو النحر أو العقر (قوله الا ما يتلى عليكم) أى الا مدلول الآية التى تتلى عليكم (قوله فالاستثناء منقطع) اى ووجهه ان فى الآية ما ليس من جنس الانعام كالدم ولحم الخنزير (قوله ويجوز ان يكون متصلا) اى ووجهه العموم فى قوله الانعام لان ظاهره حل الانعام مطلقا ولو منخنقة وموقوذة ومتردية فافاد ان الحلال ما عدا ما فى الآية (قوله فاجتنبوا الرجس) هو فى الاصل القذر والاوساخ وعبادة الاوثان قذر معنوى (قوله قول الزور) تعميم بعد تخصيص لان عبادة الاوثان رأس الزور (قوله اى الشرك بالله فى تلبيتهم) اى فانهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك (قوله او شهادة الزور) اى الشهادة بما لا يعلم حقيقته (قوله حنفاء لله) أى مخلصين له (قوله حالان من الواو) اى فى اجتنبوا لكن الاولى مؤسسة والثانية مؤكدة (قوله ومن يشرك بالله الخ) هذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والمعنى انه شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء فى ان كلا لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع فهو هالك لا محالة اما بتخطف الطير لحمه أو تفرقة الرياح لاجزائه فى أمكنة بعيدة لا يرجى خلاصه (قوله يقدر قبله الامر مبتدا) اى واسم الاشارة خبر نظير ما تقدم (قوله شعائر الله) جمع شعيرة او شعارة (قوله وهى البدن) فسرها بذلك وان كانت الشعائر فى الاصل اعلام الحج وافعاله مراعاة للسياق (قوله بان تستحسن) اى تختار حسنة بان تكون غالية الثمن لما روى ان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (قوله من تقوى القلوب) اى من امتثال الاوامر واجتناب النواهى وقوله منهم قدره اشارة الى ان العائد محذوف (قوله بما تعرف به) اى بعلامة يعرف بها انها هدى (قوله كطعن حديدة بسنامها) اى وشق الجلال واخراج السنام من النسق وكتعليق النعال فى رقبتها (قوله كركوبها والحمل عليها) اى وشرب لبنها الفاضل عن ولدها (قوله اى عنده) اشار بذلك الى ان الى بمعنى عند (قوله والمراد الحرم جميعه)

أى لاخصوص الكعبة (قوله أى ذبحا قربانا) مفعول للمصدر الذى هو ذبحا والمعنى ان يذبحوا القربان وقيل معنى منسكا نوعا من التعبد والتقرب (قوله ليذكروا اسم الله) معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله (قوله من بهيمة الانعام) اى عند ذبحها ونحرها (قوله انقادوا) اى خضعوا وفوضوا أمورهم اليه ورضوا باحكامه (قوله المتواضعين) هذا أصل معناه لان الاخبات نزول الخبت وهو المكان المنخفض (قوله الذين اذا ذكر الله) اى بان سمعوا الذكر من غيرهم أو ذكروا بانفسهم (قوله من البلايا) اى المحن بان لا يجزعوا عند نزولها بهم (قوله يتصدقون) اى صدقة التطوع ويعلم منه انهم يخرجون الزكاة الواجبة بالاولى (قوله وهى الابل) أى فالبدن عند الشافعى خاصة بالابل وقال ابو حنيفة البدن الابل والبقر وعلى كل حال فالبقر من شعائر الله ايضا (قوله لكم فيها خير) الجملة اما حالية أو مستانفة (قوله فاذكروا اسم الله عليها) اى بان تقولوا عند ذبحها بسم الله والله أكبر اللهم ان هذا منك واليك (قوله قائمة) المناسب ان يقول قائمات (قوله فاذا وجبت جنوبها) كناية عن الموت وجمع الجنوب مع ان البعير اذا سقط عند النحر انما يسقط على أحد جنبيه لان ذلك الجمع فى مقابلة جمع البدن (قوله سقطت الى الارض) اى فالوجوب السقوط يقال وجبت الشمس أى سقطت (قوله فكلوا منها) اى ان كانت مستحبة باتفاق وكذا ان كانت واجبة عند مالك الا فى جزاء الصيد وفدية الاذى والنذر اذا قصد به المساكين ولا يأكل من الواجبة عند الشافعى (قوله وأطعموا القانع) اى المستغنى بما أعطيه المتعفف عما فى ايدى الناس الذى لا التفات له اليهم الذى قال الله فى حق من اتصف بصفته يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وقال الامام الشافعى رضي الله عنه

أمت مطامعى فارحت نفسى * فان النفس ماطمعت تهون
واحييت القنوع وكان ميتا * ففى احيائه عرضى مصون
اذا طمع يحل بقلب شخص * علته مهانة وعلاه هون

(قوله أى مثل ذلك التسخير) اى المفهوم من قوله صواف (قوله والا لم تطق) أى والا نسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها (قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) ردا لما كانت عليه المشركون من تشريح اللحم وجعله حول الكعبة وتضميخها بالدم تقربا الى الله تعالى (قوله اى لا يرفعان اليه) اى وانما يرفع اليه العمل الصالح ومنه التصدق (قوله لتكبروا الله على ماهداكم) اى بان تقولوا الله أكبر على ماهدانا والحمد لله على ما اولانا (قوله وبشر المحسنين) اى برضا الله والدرجات الرفيعة (قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا) مناسبة هذه الآية لما قبلها ان الله تعالى لما ذكر جملة من افعال الحج والترغيب فيه وذكر ان الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام كان قائلا يقول باى شيء تمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع فانزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين وانهم يتمكنون من المسجد الحرام ويدفع عنهم اعداءهم وهذه الآية وان كان سبب نزولها ما ذكر الا ان العبرة بعموم اللفظ ولذا حذف المعمول ليؤذن بالعموم فالمؤمنون ما لهم للعز والنصر والفوز الاكبر وان امتحنوا ببلاء اوغيره فذلك لتكفير سيآتهم ورفع درجاتهم فهو بخير على كل حال (قوله غوائل المشركين) قدره اشارة الى ان المفعول محذوف لدلالة المقام عليه والغوائل جمع غائلة وهى ما يصيب الانسان من المكروه (قوله فى اماناته) مفرد مضاف أى أماناته وهى الاوامر والنواهى (قوله وهم المشركون) اى لانهم خائنون كافرون فى كل وقت وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك وهذا وعيد للكفار اثر وعد المؤمنين لان شان الخائن يجازى على خيانته بالخزى والعقاب (قوله اذن للذين يقاتلون)

انقادوا (وبشر المخبتين) المطيعين المتواضعين (الذين اذا ذكر الله وجلت) خافت (قلوبهم والصابرين على ما اصابهم) من البلايا (والمقيمى الصلاة) فى اوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة وهى الابل (جعلناها لكم من شعائر الله) اعلام دينه (لكم فيها خير) نفع فى الدنيا كما تقدم واجر فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى (فاذا وجبت جنوبها) سقطت الى الارض بعد النحر وهو وقت الاكل منها (فكلوا منها) ان شئتم (واطعموا القانع) الذى يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض (والمعتر) السائل أو المتعرض (كذلك) أى مثل ذلك التسخير (سخرناها لكم) بان تنحر وتركب والا لم تطق (لعلكم تشكرون) انعامى عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) اى لا يرفعان اليه (ولكن يناله التقوى منكم) اى يرفع اليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الايمان (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم) ارشدكم لمناسك حجه ومناسك مدينه (وبشر المحسنين) اى الموحدين (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) غوائل المشركين (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانته (كفور) لنعمته وهم المشركون المعنى انه يعاقبهم (اذن للذين يقاتلون) اى للمؤمنين ان يقاتلوا

اخرجوا من ديارهم بغير حق)فى الاخراج ما اخرجوا(الا ان يقولوا) اى بقولهم(ربنا الله)وحده وهذا القول حق فالاخراج به اخراج بغير حق(ولولا دفع الله الناس بعضهم) بدل بعض من الناس (ببعض لهدمت)بالتشديد للتكثير وبالتخفيف (صوامع)للرهبان (وبيع) كنائس للنصارى (وصلوات) كنائس لليهود بالعبرانية (ومساجد) للمسلمين(يذكر فيها)اى فى المواضع المذكورة(اسم الله كثيرا) وتنقطع العبادات بخرابها (ولينصرن الله من ينصره) اى ينصر دينه(ان الله لقوى) على خلقه (عزيز) منيع فى سلطانه وقدرته (الذين ان مكناهم فى الارض) بنصرهم على عدوهم(اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) جواب الشرط وهو رجوا صلة الموصول ويقدر قبله هم وبعد أو لله عاقبة الامور) اى اليه مرجعها فى الآخرة (وان يكذبوك)الى آخره فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فقد كذبت قبلهم قوم نوح) بايبث قوم باعتبار المعنى(وعاد)قوم هود (وثمود) قوم صالح (وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين) قوم شعيب (وكذب قوله

اى يريدون القتال والماذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله ان يقاتلوا وفى قراءة سبعية ايضا يقاتلون بالبناء للمفعول (قوله وهذه اول آية نزلت فى الجهاد) اى بعد ان نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نيف وسبعين آية وذلك ان مشركى مكة كانوا يؤذون اصحاب رسول الله ويعذبونهم فيشكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فحينئذ كان يوم عيد عند المسلمين (قوله وان الله على نصرهم لقدير) جملة مستانفة سيقت لوعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية (قوله هم الذين) قدر المفسر الضمير اشارة الى ان الموصول خبر لمحذوف وهو احد اوجه فى اعرابه ويصح ان يكون نعتا او بيانا او بدلا من الذين الاول او منصوبا على المدح (قوله الا ان يقولوا) استثناء مفرغ من محذوف قدره المفسر بقوله ما اخرجوا وهو متصل والمعنى لم يكن لهم سبب فى اخراجهم الا تعصب المشركين عليهم من اجل مخالفتهم فى الدين ان قلت ان سبب خروجهم امر الله لنبيه اجيب بان سبب الخروج باطنا امر الله لهم بالخروج وظاهرا تعصب المشركين عليهم ولا يصح استثناؤه من المذكور لانه يصير المعنى الذين اخرجوا من ديارهم الا ان يقولوا ربنا الله وهو لا يصح (قوله ولولا دفع الله الناس) لولا حرف امتناع لوجود ودفع مبتدأ والخبر محذوف والتقدير موجود اضافة دفع لما بعده من اضافة المصدر لفاعله وقوله بعضهم اى الكافرين وقوله ببعض اى المؤمنين والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود لهدم فى زمن موسى الكنائس التى كانوا يصلون فيها فى شرعه وفى زمن عيسى الصوامع والبيع وفى زمن نبينا المساجد وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ وأما من يوم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقد بطل كل دين يخالف دينه قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين فالمعنى لولا عز الاسلام وقوة شوكته واعبد الله فى اى زمن (قوله بالتشديد للتكثير) باعتبار المواضع (قوله وبالتخفيف) باعتبار افراد كل من مسمياته (قوله صوامع) جمع صومعة وهى المحل المرتفع البناء فى الاماكن الخلية (قوله للرهبان) اى وقيل للصابئين (قوله وصلوات) جمع صلاة سميت الكنائس بذلك لانه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا فحذفت الصاد والثاء المثلثة والصر ومعناه فى لغتهم المصلى (قوله اى ينصر الله دينه) اى اولياءه وهو على نصره تعالى اولياءه على اعدائه ومعنى نصر العبد لربه هو تجلده بالقتال لاعداء الله أو بايضاح الادلة والحجج على اعداء الله كالعلماء (قوله منيع فى سلطانه) لما سبب ان يقول غالب على امره وقد انجز الله وعده بان اذل الكفار واعز المسلمين فاورثهم ارضهم وديارهم (قوله الذين ان مكناهم فى الارض الخ) يجوز فى محله الوصل لما مر فى الذى قبله (قوله جواب الشرط) اى قوله اقاموا وما عطف عليه (قوله وجوابه) اى الشرط فعله وجوابه (قوله صلة الموصول) اى لا محل لها من الاعراب (قوله وقيل الخ) اى على احد الاحتمالات المتقدمة وهو اخبار من الله عما يكون عليه المهاجرون من النصر (قوله رضى الله عنهم) (قوله ولله عاقبة الامور) اى آخر امور الخلق مصيرها اليه فيجازى كل شخص بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله وان يكذبوك) اى يتمادوا على تكذيبك بعد الايذاك والضمير عائد على اهل مكة والمعنى لا تحزن وتسل فلست بأول من كذبته قومه (قوله باعتبار المعنى) اى وهو الامة والقبيلة (قوله وعاد وثمود) لم يقل قوم هود وقوم صالح لاشتهارهما بهذين الاسمين (قوله واصحاب مدين) خصهم بالذكر وان كان شعيب ارسل الى اصحاب الايكة ايضا لانهم ساكنون معهم فى المكان يعرف خصهما بالذكر لشبههما بالتكذيب

موسي) كذبه القبط لاقومه بنو اسرائيل اى كذب هؤلاء رسلهم فلك اسوة بهم (فامليت

(قوله كذبه القبط لاقومه) اشار بذلك الى وجه بناء الفعل فى هذا الاخير للمفعول والقبط بوزن الفسط اهل مصر (قوله فامليت للكافرين) وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التشنيع عليهم (قوله اى انكارى عليهم) اشار بذلك الى أن نكير مصدر بمعنى الانكار (قوله باهلاكهم) أى بعذاب الاستئصال (قوله للتقرير) اى والمعنى فليقر المخاطبون بان اهلاكى لهؤلاء كان واقعا موقعه وفى الحقيقة هو متضمن معنى التعجب والمعنى على أشد ما كان انكارى عليهم (قوله فكاين) مبتدا ومن قرية تمييز وقوله اهلكتها خبره وقوله وهى ظالمة الجملة حالية والمعنى عدد كثير من القرى اهلكتها والحال انها ظالمة (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله أى اهلها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله فهى خاوية على عروشها) اى تهدمت حيطانها فسقطت الحيطان فوق السقوف (قوله وبئر معطلة) قدر المفسر كم والجار اشارة الى ان معطوف على قرية والمعنى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت اهلها وقيل ان البئر واحدة معهودة وهى التى نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب رهم بحضرموت وسميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وهناك بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم والمتبادر من الآية العموم ولذا مشى عليه المفسر (قوله افلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره اغفلوا فلم يسيروا فهو تحريض لهم على السير ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار ليعتبروا وهم وان كانوا سافروا لم يسافروا للاعتبار والنظر فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا (قوله فتكون لهم قلوب) مفرع على قوله يسيروا المنفى فهو منفى ايضا (قوله ما نزل بالمكذبين) مفعول يفعلون (قوله اى القصة) اى وما بعده تفسيره (قوله لا تعمى الابصار الخ) اى فالخلل ليس فى حواسهم الظاهرية وانما هو فى قلوبهم فترتب على ذلك انهماكهم فى الشهوات وعدم ادراكهم للحق لان عمى القلب هو الضار فى الدين لما ورد فى الحديث الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب (قوله تاكيد) اى قوله التى فى الصدور تاكيد للقلوب لان المعلوم ان القلوب محالة فى الصدور ومعنى قولهم سمعت باذنى ونظرت بعينى (قوله ويستعجلونك بالعذاب) اى يطلب كفار مكة تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون ان ما توعدنا به مع كوننا كذبناك كما كذبت الامم الماضية رسلهم (قوله ولن يخلف الله وعده) يتضمن ذلك نزول العذاب بهم فى الدنيا وتضمن قوله وان يوما عند ربك الخ عذابهم فى الآخرة فهم يتقلبون بين العذاب فى الدنيا والآخرة (قوله فانجزه يوم بدر) أى فقتل منهم سبعون واسر سبعون من صنديدهم (قوله كالف سنة) اقتصر على الالف لانه منتهى العدد بلا تكرار وهو كناية عن طول العذاب فى حقهم (قوله بالتاء واليا) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وكاين من قرية) أى من اهل قرية فهو مما فى قوله ولن يخلف الله وعده بيان لوجه الخ بخلاف الاولى فانها بيان لما فى قوله فكيف كان نكير (قوله كل مما يناسبه) (قوله قل يا أيها الناس) اى خصوصا بعد ما عمهم بقوله جئت لهداية الله فى كتابه انه يخاطب المؤمنين بيا ايها الذين آمنوا وكفار مكة بيا ايها الناس (قوله وانما انا لكم بشير مؤمنين) اى بالجنة (قوله مغفرة) من الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) اى بالطعن فيها (معجزين)

للكافرين) امهلتهم بتاخير العقاب لهم (ثم أخذتهم) بالعذاب (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم بتكذيبهم باهلاكهم والاستفهام للتقرير اى هو واقع موقعه (فكاين) اى كم (من قرية اهلكتها) وفى قراءة اهلكناها (وهى ظالمة) اى اهلها بكفرهم (فهى خاوية) ساقطة (على عروشها) سقوفها (و) كم من (بئر معطلة) متروكة بموت اهلها (وقصر مشيد) رفيع خال بموت اهله (افلم يسيروا) اى كفار مكة (فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما نزل بالمكذبين قبلهم (او آذان يسمعون بها) اخبارهم بالاهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فانها) أى القصة (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) تاكيد (و يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) بانزال العذاب فانجزه يوم بدر (وان يوما عند ربك) من ايام الآخرة بسبب العذاب (كالف سنة مما تعدون) بالتاء واليا فى الدنيا (وكاين من قرية املیت لها وهى ظالمة ثم اخذتها) باراداهلها (والى المصير) المرجع (قل يا ايها الناس) اى اهل مكة (انما انا لكم نذير مبين) بين الانذار (وانا بشير للمؤمنين (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) بالقرآن بابطالها (معجزين)

في والمعنى اجتهدوا في ابطالها حيث قالوا في القرآن انه اساطير الاولين وسحر وكهانة (قوله من اتبع النبي) اشار به الى ان مفعول معجزين محذوف (قوله ويثبطونهم) اى يعوقونهم ويشغلونهم (قوله اومقدرين عجزنا) اى فالمفعول محذوف تقديره الله والمعنى عليه ظانين عجزنا عنهم (قوله وفي قراءة معاجزين) اى وهي سبعية ايضا وتقدير المفعول عليها معاجزين الله اى مسابقين له ومعنى مسابقتهم ظنهم الفرار من عذاب الله ومعنى مسابقة الله انزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه (قوله يظنون ان يفوتونا) اى فلا يلحقهم عذابنا (قوله أصحاب الجحيم) اى ما لهم لها وهي معدة لهم (قوله وما ارسلنا من قبلك الخ) هذه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من رسول) من زائدة في المفعول اى رسولا (قوله هو نبي امر بالتبليغ) اى انسان ذكر حر أوحى اليه بشرع وامر بتبليغه (قوله ولا نبي) عطف على رسول ان قلت ان تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ ينافي قوله ارسلنا اجيب بان الارسال معناه البعث لنفسه لانه اوحى اليه بشرع يعمل به في نفسه وليس مامورا بتبليغه للخلق او يقدر قبل قوله ولا نبي ما يناسبه كان يقال مثلا ولا نبيا نامن نبي على حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله اى لم يؤمر بالتبليغ) اشار المفسر بهذا الى أن العطف في الآية مغاير وان كان لفظ النبي أعم (قوله قراءته) انما سميت القراءة أمنية لان القارئ اذا وصل الى آية رحمة تمنى حصولها أو آية عذاب تمنى البعد عنه (قوله ما ليس من القرآن) مفعول القى (قوله مما يرضاه) بيان لما (قوله المرسل اليهم) اى وهم الكفار (قوله وقد قرأ النبي) اشار بذلك الى ان سبب نزول هذه الآية قراءة النبي سورة النجم وذلك كان في رمضان سنة خمس من البعثة وكانت الهجرة الى الحبشة في رجب من تلك السنة وقدوم المهاجرين الى مكة كان في شوال من تلك السنة (قوله بالقاء الشيطان) متعلق بقرأ (قوله تلك الغرانيق) معمول قرأ والغرانيق في الاصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق كفردوس اوغرنوق كعصفور وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع (قوله ففرحوا بذلك) اى بما سمعوه وقالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم (قوله يبطل) اى يزيل فالنسخ في اللغة معناه الازالة وما ذكره المفسر من قصة الغرانيق رواية عامة المفسرين الظاهرين قال الرازي اما اهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول أما القرآن فبوجوه احدها قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية ثانيها قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي الآية ثالثها قوله تعالى وما ينطق عن الهوى واما السنة فمنها ما روى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هي من وضع الزنادقة وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والكفار والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فمن أوجه احدها ان من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للاوثان فقد كفر ثانيها لو كان الالقاء على الرسول ثم الازالة عنه لكانت عصمته من اول الامر اولى وهو الذي يجب علينا اعتقاده في كل نبي ثالثها وهو أقوى الاوجه انا لو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن شرعه ثم قال الرازي وقد عرفنا ان هذه القصة موضوعة وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة قاله الخطيب ثم قال وهذا هو الذي يطمئن اليه القلب وان اطنب ابن حجر العسقلاني في صحتها انتهى ويكون معنى الآية على هذا التحقيق التي الشيطان في امنيته اى تلاوته شبها وتخيلات في قلوب الامم بان يقول لهم الشيطان هذا سحر وكهانة فينسخ الله تلك الشبه من قلوب من اراد لهم الهدى ويحكم الله آياته في قلوبهم والله عليم بما القاه الشيطان في قلوبهم حكيم في تسليطه عليهم

من اتبع النبي اى ينسبونهم الى العجز ويثبطونهم عن الايمان أو مقدرين عجزنا عنهم وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا اى يظنون ان يفوتونا بانكارهم البعث والعقاب (أولئك اصحاب الجحيم) النار (وما ارسلنا من قبلك من رسول) هو نبي أمر بالتبليغ (ولا نبي) اى لم يؤمر بالتبليغ (الا اذا تمنى) قرأ (القى الشيطان في امنيته) قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل اليهم وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم بمجلس من قريش بعد افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى بالقاء الشيطان على لسانه من غير علمه صلى الله عليه وسلم به تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما القاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلي بهذه الآية ليطمئن (فينسخ الله) يبطل (ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) يثبتها (والله عليم) بالقاء الشيطان ما ذكر (حكيم) في تمكينه منه يفعل ما يشاء

(ليجعل مايلقى الشيطان فتنة) محنة (للذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أى المشركين عن قبول الحق (وان الظالمين) الكافرين (لفى شقاق بعيد) خلاف طويل مع النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم ابطل ذلك (وليعلم الذين اوتوا العلم) التوحيد والقرآن (انه) اى القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت) تطمئن

ليميز المفسد من المصلح (قوله ليجعل مايلقى الشيطان) متعلق بيحكم أى ثم يحكم الله آياته ليجعل الخ (قوله والقاسية قلوبهم) عطف على الذين اى فتنة للقاسية قلوبهم (قوله حيث جرى على لسانه الخ) قد علمت أن هذا خلاف الصواب والصواب أن يقول حيث سلط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن فى القرآن (قوله وليعلم) عطف على ليجعل (قوله فيؤمنوا به) اى بالقرآن (قوله اى دين الاسلام) اى وسمى صراطا لانه يوصل لمرضات الله كما أن الصراط يوصل لدار النعيم (قوله ولا يزال الذين كفروا) رجوع لذكر حال الكفار وما هم عليه (قوله اى القرآن) أشار بذلك الى أن الضمير عائد على القرآن وقيل عائد على الرسول اى فى شك فى امر الرسول من كونه صادقا اولا (قوله بما القاه الشيطان على لسان النبى) هذا خلاف الصواب والصواب أن يقول بما القاه الشيطان فى قلوب من أضلهم الله (قوله يوم عقيم) العقم فى الاصل عدم الولادة فشبه اليوم الذى لا خير فيه بمرأة عقيم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو العقم فاثباته تخييل والجامع عدم الثمرة فى كل (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة أى الملك يوم تاتيهم الساعة بغتة أو ياتيهم العذاب يوم القيامة لله ومعنى كونه لله عدم نسبة شئ فى الملك لاحد سواه فى ذلك اليوم (قوله ناصب للظرف) اى قوله يومئذ (قوله يحكم بينهم) جملة مستانفة سيقت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم (قوله فضلا من الله) أى لا بسبب أعمالهم (قوله والذين هاجروا) مبتدا خبره ليرزقنهم وخصهم بالذكر وان كانوا داخلين فى جملة المؤمنين تعظيما لشانهم (قوله ثم قتلوا) اى فى الحروب وقوله اوماتوا أى على فراشهم من غير قتل (قوله هو رزق الجنة) أى التنعم فيها (قوله أفضل المعطين) أى فالمراد بالرزق الاعطاء وهو ينسب للخلق كما ينسب للخالق الا أن نسبته للخالق حقيقة ولغيره مجاز (قوله ليدخلنهم الخ) اما مستانف او بدل من قوله ليرزقنهم (قوله بضم الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حليم) اى فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة (قوله ذلك الذى قصصناه عليك) اى من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين واسم الاشارة خبر لمحذوف تقديره الامر الذى قصصناه عليك ذلك اى لا تغيير فيه ولا تبديل فهى كلمة يؤتى بها للانتقال من كلام الى آخر (قوله ومن عاقب) العقاب ماخوذ من التعاقب وهو مجئ الشئ بعد غيره وحينئذ فقوله عاقب بمعنى جازى حقيقة لغوية وأما قوله بمثل ماعوقب به أتى به لمشاكلة الاول للازدواج نظير فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والباء فى بمثل للآلة والباء فى به للسببية (قوله اى قاتلهم) اى قاتل من كان يقاتله نزلت هذه الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون ان لا يقاتلوهم فى الشهر الحرام فابوا فحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم والى هذا يشير المفسر بقوله غفورلهم عن قتالهم فى الشهر الحرام وقيل نزلت فى قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله وقيل انها عامة فى النبى واصحابه وذلك ان المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوهم من مكة فوعد الله بالنصر محمدا واصحابه فانهم حزب الله والكفار حزب الشيطان

(له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط) طريق (مستقيم) اى دين الاسلام (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) شك (منه) اى القرآن بما القاه الشيطان على لسان النبى ثم ابطل (حتى تاتيهم الساعة بغتة) اى ساعة موتهم اوالقيامة فجاة (او ياتيهم عذاب يوم عقيم) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التى لا تاتى بخير او هو يوم القيامة لا ليل له (الملك يومئذ) اى يوم القيامة (لله) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف (يحكم بينهم) بين المؤمنين والكافرين بما بين بعده (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم) فضلا من الله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) شديد بسبب كفرهم (والذين هاجروا فى سبيل الله) اى طاعته من مكة الى المدينة (ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) هو رزق الجنة

 (وان الله لهو خير الرازقين) افضل المعطين (ليدخلنهم مدخلا) بضم الميم وفتحها اى ادخالا اوموضعا (يرضونه) وهو الجنة (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) عن عقابهم الامر (ذلك) الذى قصصناه عليك (ومن عاقب) جازى من المؤمنين (بمثل ماعوقب به) ظلما من المشركين اى قاتلهم كما قاتلوه فى الشهر المحرم (ثم بغى عليه) منهم اى ظلم باخراجه من منزله (لينصرنه الله ان الله

(قوله غفور لهم) اى مافعلوه لانهم فعلوه دفاعن انفسهم لا تجريا على المحرم (قوله ذلك) مبتدأ و بان الله خبره (قوله بان يزيد) اى الآخر وقوله ذلك اى الايلاج فهو اشارة الى ان الايلاج دليل القدرة والقدرة دليل النصر لان القادر على ادخال كل منهما فى الآخر قادر على نصر احبابه وخذلان اعدائه (قوله وان الله) بالفتح فى قراءة العامة عطف على ان الاولى وقرئ شذوذا بالكسر استئنافا (قوله ذلك بان الله) مبتدا وخبر وقوله هو اما مبتدأ أو ضمير فصل (قوله الثابت) اى الذى لا يقبل الزوال ازلا ولا ابدا (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الزائل) اى الفانى الذى لا بقاء له (قوله وان الله هو العلى الكبير) نتيجة ماقبله من الاوصاف (قوله ألم تر ان الله انزل من السماء ماء) شروع فى ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق وماسواه باطل وفى الحقيقة كل دليل نتيجة للدليل الذى قبله ففى الادلة الترقى فى الاحتجاج والمعرفة فتامل الاول انزال الماء الناشئ عنه اخضرار الارض الثانى قوله له مافى السموات ومافى الارض الثالث تسخير مافى الارض الرابع تسخير الفلك الخامس امساك السماء السادس الاحياء ثم الاماتة ثم الاحياء ثانيا (قوله تعلم) فسر الرؤية بالعلم دون الابصار لان الماء وان كان مرئيا الا ان كون الله منزلا له من السماء غير مرئى (قوله مطرا) لا مفهوم له لان النيل وماء الآبار من السماء الا ان يقال اقتصر على المطر لانه هو المشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره (قوله فتصبح الارض مخضرة) عبر بالمضارع اشارة الى استمرار النفع به بعد نزوله (قوله بما فى قلوبهم عند تاخير المطر) اى من التاثر والقنوط (قوله على جهة الملك) اى فلا ملك لاحد معه (قوله سخر لكم مافى الارض) اى ذلل لكم مافيها من الدواب لتنتفعوا بها (قوله والفلك) بالنصب فى قراءة العامة عطف على ما فى قوله مافى الارض اى وسخر لكم الفلك وافردها بالذكر لكون تسخيرها أعجب من سائر المسخرات والفلك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد فوزن الواحد قفل ووزن الجمع بدن (قوله من ان أو لئلا تقع) اشار بذلك الى أن تقع اما فى محل نصب على المفعول لاجله اى لاجل ان لا تقع أو فى محل جر على حذف حرف الجر والتقدير من ان تقع اى من وقوعها (قوله الا باذنه) استثناء مفرغ من معنى قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض والتقدير لا يتركها تقع فى حال من الاحوال الا فى حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى (قوله وهو الذى أحياكم) أى أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا فكل من الاحياء الاول والثانى اما نعمة او نقمة (قوله ثم يحييكم عند البعث) اى للثواب أو العقاب (قوله ان الانسان لكفور) اى جحود لنعم خالقه (قوله لكل أمة) اى اهل دين فالمراد بالامة من له ملة وشرع (قوله بفتح السين وكسرها) أى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله شريعة) اى أحكام دين لكل أمة معينة من الامم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة أخرى فالامة التى كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى منسكهم التوراة ومن مبعث عيسى الى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم منسكهم الانجيل والامة الموجودون عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم الى يوم القيامة منسكهم القرآن لا غيره وحينئذ فقوله فلا ينازعنك فى الامر اى لا ينازعك هؤلاء الامم فى امر دينك زعما منهم ان شريعتهم باقية لم تنسخ فان التوراة والانجيل شريعتان لمن مضى من الامم قبل بعث محمد ومن وقت بعثته انتسخ كل شرع سوى شرعه صلى الله عليه وسلم اذا علمت ذلك فقول المفسر فلا ينازعك فى الامر اى امر الذبيحة الخ لا يسلم لانه يقتضى ان يكون أكل الميتة من جملة المناسك والشرائع التى

لهم) عن المؤمنين (غفور) لهم عن قتالهم فى الشهر الحرام (ذلك) النصر (بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) اى يدخل كلا منهما فى الآخر بان يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التى بها النصر (وان الله سميع) دعاء المؤمنين (بصير) بهم حيث جعل فيهم الايمان فاجاب دعاءهم (ذلك) النصر ايضا (بان الله هو الحق) الثابت (وان ما يدعون) بالياء والتاء يعبدون (من دونه) وهو الاصنام (هو الباطل) الزائل (وان الله هو العلى) اى العالى على كل شئ بقدرته (الكبير) الذى يصغر كل شئ سواه (ألم تر) تعلم (ان الله انزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض مخضرة) بالنبات وهذا من أثر قدرته (ان الله لطيف) بعباده فى اخراج النبات بالماء (خبير) بما فى قلوبهم عند تاخير المطر (له ما فى السموات وما فى الارض) على جهة الملك (وان الله لهو الغنى) عن عباده (الحميد) لاوليائه (ألم تر) تعلم (ان الله سخر لكم ما فى الارض) من البهائم (والفلك) السفن (تجرى فى البحر) للركوب والحمل (بامره) باذنه (ويمسك السماء) من (ان) اولئلا (تقع على الارض الا باذنه) فتهلكوا (ان الله بالناس لرؤف رحيم) فى التسخير والامساك (وهو الذى احياكم) بالانشاء (ثم يميتكم) عند انتهاء آجالكم (ثم يحييكم) عند البعث (ان الانسان) اى المشرك (لكفور) لنعم الله بتركه توحيده (لكل أمة جعلنا منسكا) بفتح السين وكسرها جعلها شريعة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعنك) يراد به لا تنازعهم (فى الامر) اى امر الذبيحة اذ قالوا ما قتل الله أحق ان تاكلوه مما قتلتم

(وادع الى ربك) اى الى دينه (انك لعلى هدى) دين (مستقيم وان جادلوك) فى امر الدين (فقل الله اعلم بما تعملون) فتجازيكم عليه وهذا قبل الامر بالقتال (الله يحكم بينكم) يها المؤمنون والكافرون (يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) بان يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر (ألم تعلم) الاستفهام فيه للتقرير (ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك) اى ما ذكر (فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (ان ذلك) اى علم ماذكر (على الله يسير) سهل (ويعبدون) اى المشركون (من دون الله ما لم ينزل به) هو الاصنام (سلطانا) حجة (وما ليس لهم به علم) انها آلهة (وما للظالمين) بالاشراك (من نصير) يمنع عنهم عذاب الله (واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) ظاهرات حال (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) اى الانكار لها اى اثره من الكراهة والعبوس (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) اى يقعون فيهم بالبطش (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) اى باكره اليكم من القرآن المتلو عليكم هو (النار وعدها الله الذين كفروا) بان مصيرهم اليها (وبئس المصير) هى (يا أيها الناس) اى اهل مكة (ضرب مثل فاستمعوا له) وهو (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) اى غيره وهم الاصنام (ان يخلقوا ذبابا) اسم جنس واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث

جعلها الله لبعض الامم ولا شك فى بطلان ذلك فكان المناسب له ان يفسر الآية بما فسرناها به (قوله وادع الى ربك) اى ادعهم أو ادع الناس عموما (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اى فهو منسوخ بآية القتال وهذا احد قولين وقيل ان الآية محكمة وحينئذ فيكون المعنى اترك جدالهم وفوض الامر الى الله بقولك الله اعلم بما تعملون فيكون وعيدا لهم على اعمالهم حيث داموا على الكفر وهو لا ينافى قتالهم لان القتال يرفعه احد امرين الاسلام أو الجزية مع البقاء على الكفر (قوله الله يحكم بينكم) اى يقضي ويفصل (قوله الاستفهام فيه للتقرير) اى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله اى علم ماذكر) اى الموجود فى السماء والارض (قوله هو اللوح المحفوظ) هو من درة بيضاء فوق السماء السابعة معلق فى الهواء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب (قوله سلطانا) اى من جهة الوحى (قوله وما ليس لهم به علم) اى دليل عقلى (قوله حال) اى من آيات (قوله فى وجوه الذين كفروا) وضع الظاهر موضع المضمر تبكيتا عليهم (قوله اى الانكار لها) اشار بذلك الى ان المنكر مصدر ميمى على حذف مضاف (قوله يكادون يسطون) هذه الجملة حال اما من الموصول أو من الوجوه وضمن يسطون معنى يبطشون فعداه بالباء والا فهو متعد بعلى (قوله النار) قدر المفسر الضمير اشاره الى ان النار خبر لمحذوف كانه قيل وما الاشر فقيل هو النار (قوله وعدها الله الذين كفروا) وعد يتعدى لمفعولين الهاء مفعول ثان مقدم والذين كفروا مفعول اول مؤخر نظير قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ويصح العكس بان يجعل الضمير هو المفعول الاول والذين كفروا هو المفعول الثانى واليه يشير المفسر بقوله بان مصيرهم اليها حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به والنار هى الموعودة والمعنى جعل الله الكفار طعاما للنار وعدها بهم والاول انسب من جهة العربية لان المفعول الاول شرطه صلاحيته للاخذ كاعطيت زيدا درهما (قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) هذه الآية مرتبطة بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا فالخطاب وان كان لاهل مكة الا ان المراد به عموم من كان يعبد الاصنام والمثل فى اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير ثم صار حقيقة عرفية فى ماشبه مضربه بمورده كقولهم الصيف ضيعت اللبن وليس مرادا هنا بل المراد به الامر الغريب والقصة العجيبة واليه يشير المفسر فى آخر العبارة بقوله هذا امر مستغرب (قوله فاستمعوا له) اى اصغوا اليه لتعتبروا (قوله وهو) اى المثل المضروب (قوله واحده ذبابة) اى ويجمع على ذبان بالكسر كغربان وذبان بالضم كقضبان وأذبة كاغربة ماخوذة من ذب اذا طرد وآب اذا رجع لانه يذب فيرجع وهو احرص الحيوانات واجهلها لانه يرمى نفسه فى المهلكات ومدة عيشه اربعون يوما واصل خلقته من العفونات ثم يتوالد بعضه من بعض يقع روثه على الشئ الابيض فيرى اسود وعلى الاسود فيرى ابيض (قوله ولو اجتمعوا له) الجملة حالية كانه قال انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو فى حال اجتماعهم (قوله وان يسلبهم) اى ياخذ ويختطف منهم (قوله مما عليهم من الطيب والزعفران الخ) اى لانهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله وكانوا يحلونها بالياقيت واللآلىء وانواع الجواهر ويطيبونها بانواع الطيب فربما سقط شئ منها فياخذه طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده (قوله الملطخون بها) المناسب ان يقول الملطخين لانه نعت سببي للطيب والزعفران (قوله لا يستنقذوه) اى لا يخلصون منه (قوله عبر عنه بضرب المثل) جواب عما يقال ان الذى ضرب وبين ليس بمثل حقيقة

(ولو اجتمعوا له) لخلقه (وان يسلبهم الذباب شيئا) مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخون به (لا يستنقذوه) لا يستردوه (منه) لعجزهم فكيف يعبدون شركاء الله تعالى هذا امر مستغرب عبر عنه بضرب المثل (ضعف الطالب) العابد (والمطلوب) المعبود

فكيف سماه مثلا فاجاب بان القصة العجيبة تسمى مثلا تشبيها لها ببعض الامثال فى الغرابة (قوله ماقدروا الله حق قدره) هذه الآية قيل غير مرتبطة بما قبلها وعليه فيكون سبب نزولها كما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وحوله اصحابه وفى القوم مالك بن أبى الصيف من احبار اليهود فقال له رسول الله ناشدتك الله هل رأيت فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين فقال نعم فقال له رسول الله وانت حبر سمين فضحك القوم فالتفت مالك الى عمر بن الخطاب وقال ما أنزل الله على بشر من شئ وقيل سبب نزولها ان اليهود قالوا خلق الله السموات يوم الاحد والارض يوم الاثنين والجبال يوم الثلاثاء والاوراق والاشجار يوم الاربعاء والشمس والقمر فى يوم الخميس وخلق آدم وحواء فى يوم الجمعة ثم استوى على ظهره ووضع احدى رجليه على الاخرى واستراح فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها من تتمة المثل وعليه درج المفسر (قوله الله يصطفى) اى يختار (قوله من الملائكة رسلا) ان قلت ان هذه الآية تقتضى ان يكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم وآية فاطر تقتضى ان الكل رسل اجيب بان التبعيض بالنسبة لارسالهم لبنى آدم والجمع رسل بالنسبة لبعضهم بعضا (قوله ومن الناس رسلا) أشار بذلك الى ان فى الآية الحذف من الثانى لدلالة الاول عليه (قوله نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن المغيرة ووافقه على ذلك قومه (قوله كجبريل الخ) مثل باثنين من الملائكة واثنين من الانس (قوله ماقدموا) اى من الاعمال (قوله وماخلفوا) اى لم يعملوه بالفعل (قوله اوماعملوا) اى بالفعل وقوله وماهم عاملون اى فى المستقبل (قوله ترجع الامور) اى تصير امور الخلائق اليه تعالى ويجازى كلا بعمله (قوله اى صلوا) اى وعبر عنها بالركوع والسجود من باب تسمية الشئ باسم أشرف اجزائه (قوله كصلة الرحم ومكارم الاخلاق) اى وغيرهما من الخيرات الواجبة والمندوبة (قوله لعلكم تفلحون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق فالفلاح محقق لمن فعل هذه الامور (قوله وجاهدوا فى الله) اى اعداءكم الظاهرية والباطنية فالظاهرية فرق الضلال والكفر ومجاهدتها معلومة ويسمى الجهاد الاصغر والباطنية النفس والهوى والشيطان ومجاهدتها الامتناع من شهواتها اشيا فشيا ويسمى الجهاد الاكبر كما فى الحديث ووجه تسميته أكبر ان الاعداء الظاهرية تحضر تارة وتغيب اخرى وتصالح واذا قتلها الشخص او قتلته فهو فى الجنة بخلاف الاعداء الباطنية فلا تغيب اصلا ولا يمكن الصلح معها واذا قتلت صاحبها وغلبته فهو فى النار (قوله حق جهاده) من اضافة الصفة للموصوف اى جهادا حقا (قوله هو اجتباكم) اى اصطفاكم وجعلكم امة وسطا (قوله وماجعل عليكم فى الدين من حرج) المراد بالدين اصوله وفروعه حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم فمن ذلك قبول توبتهم اذا ندموا وأقروا ولم يجعل توبتهم قتل انفسهم واذا أذنب الشخص منهم ذنبا ستره الله ولم يفضحه فى الدنيا بان يجده مكتوبا فى جبهته أو على باب داره كما كان فيمن قبلهم وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها وغير ذلك ان قلت كيف لا حرج فى الدين مع ان اليد تقطع بسرقة ربع دينار والمحصن يرجم بزنا مرة ونحو ذلك اجيب بان رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع واما السراق واصحاب الحدود فقد انتهكوا حرمة الشرع وانتقلوا من السهولة للصعوبة لان الله لم يحرم المال مطلقا ولا النكاح مطلقا بل احل اشياء وحرم اشياء فما جزاء من يتعدى الحدود الا التشديد عليه (قوله بنزع الخافض الكاف) أى كملة ابيكم فالتشبيه فى اصول الدين وفى سهولة الفروع (قوله هو سماكم المسلمين) أشار المفسر الى ان الضمير عائد على الله تعالى وقيل الضمير عائد على ابراهيم (قوله اى قبل هذا الكتاب) اى فى الكتب القديمة (قوله وفى هذا) اى بقوله ورضيت لكم الاسلام دينا

(ماقدروا الله) عظموه (حق قدره) عظمته اذ أشركوا به مالم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزيز) غالب (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) رسلا نزل لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لمقالتهم (بصير) بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل وابراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم (يعلم مابين ايديهم وما خلفهم) اى ماقدموا وما خلفوا أو ماعملوا وماهم عاملون بعد (والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) اى صلوا (واعبدوا ربكم) وحدوه (وافعلوا الخير) كصلة الرحم ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) تفوزون بالبقاء فى الجنة (وجاهدوا فى الله) لاقامة دينه (حق جهاده) باستفراغ الطاقة فيه ونصب حق على المصدر (هو اجتباكم) اختاركم لدينه (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) اى ضيق بان سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم واكل الميتة والفطر للمرض والسفر (ملة ابيكم) منصوب بنزع الخافض الكاف (ابراهيم) عطف بيان (هو) اى الله (سماكم المسلمين من قبل) اى قبل هذا الكتاب (وفى هذا) (قوله

(قوله ليكون الرسول) متعلق بسماكم واللام للعاقبة (قوله داوموا عليها) اى بشروطها وأركانها (قوله وآتوا الزكاة) اى لمستحقيها (قوله ثقوا) اى فى جميع أموركم (قوله هو) قدره اشارة الى ان المخصوص بالمدح محذوف وحذفه من الثانى لدلالة هذا عليه

﴿سورة المؤمنون مكية﴾

سورة مبتدأ والمؤمنون مضاف اليه مجرور بياء مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية ومكية خبر وظاهره ان جميعها مكى وقيل الا ثلاث آيات وهى قوله ولقد خلقنا الانسان الى آخرها فانهن مدنيات (قوله وثمان) هذا قول الكوفيين وقوله او تسع عشرة آية هو قول البصريين وسبب هذا اختلافهم فى قوله تعالى ثم أرسلنا موسى وآخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين هل هو آية كما قاله البصريون او بعض آية كما قاله الكوفيون (قوله قد للتحقيق) اى لتحقيق ما يحصل فى المستقبل وتنزيله منزلة الواقع (قوله فاز المؤمنون) اى ظفروا بمقصودهم ونجوا من كل مكروه قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره (قوله خاشعون) اى ظاهرا وباطنا فالخشوع الظاهرى التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ووضع اليد فى الحاصرة وغير ذلك والخشوع الباطنى استحضار عظمة الله وعدم التفكر بدنيوى وقدم الصلاة لانها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين (قوله والذين هم عن اللغو) المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة فى الدين او الدنيا كان قولا اوفعلا أو مكروها او مباحا كالهزل واللعب وضياع الاوقات فيما لا يعنى والتغول فى الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه وبالجملة فينبغى للانسان ان يرى ساعيا فى حسنة لمعاده اودرهم لمعاشه ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (قوله والذين هم للزكوة) اعلم ان الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من النقدين والعشر او نصفه من الحرث والشاة من الاربعين وعلى المصدر الذى هو فعل الفاعل فعلى الاول يكون معنى فاعلون مؤدون لان القدر المخرج لا معنى لفعله وعلى الثانى ففاعلون على بابه (قوله حافظون) اى مانعون (قوله عن الحرام) اى عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه (قوله اى من زوجاتهم) أشار بذلك الى ان على بمعنى من (قوله أو ما ملكت أيمانهم) عبر بما دون من وان كان المقام له لان الاناث ناقصات ولا سيما الارقاء ففيهن شبه بالبهائم فى حل البيع والشراء (قوله اى السرارى) جمع سرية بالضم وهى فى الاصل الامة التى بوئت ببيت مأخوذة من السر وهو الجماع او الاخفاء لان الانسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرته اومن السرور لان مالكها يسر بها (قوله فانهم غير ملومين) علة للاستثناء (قوله كالاستمناء باليد) اى فهو حرام عند مالك والشافعى وأبى حنيفة وقال أحمد بن حنبل يجوز بشروط ثلاثة ان يخاف الزنا وان لا يجد مهر حرة أو ثمن أمة وان يفعله بيده لا بيد أجنبى او أجنبية (قوله والذين هم لاماناتهم) أى ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهى عن المنكر وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعوراتهم (قوله جمعا ومفردا) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وعهدهم) مرادف للامانات (قوله حافظون) اى غير مضيعين لها (قوله يحافظون) اى يداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانه ابتدأ بها أوصاف المؤمنين وختمها بها (قوله لا غيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل لان الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر وهو اضافى لا حقيقى لانه ثبت ان الجنة يدخلها الاطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا

اى القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة أنه بلغكم (وتكونوا) أنتم (شهداء على الناس) ان رسلهم بلغتهم (فاقيموا الصلوة) داوموا عليها (وآتوا الزكوة واعتصموا بالله) ثقوا به (هو مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى) هو (ونعم النصير) اى الناصر لكم

﴿سورة المؤمنون مكية وهى مائة وثمان او تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم قد) للتحقيق (أفلح) فاز (المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خشعون) متواضعون (والذين هم عن اللغو) من الكلام وغيره (معرضون والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) عن الحرام (الا على أزواجهم) اى من زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) اى السرارى (فانهم غير ملومين فى اتيانهن (فمن ابتغى وراء ذلك) من الزوجات والسرارى كالاستمناء باليد فى اتيانهن (فاولئك هم العادون) المتجاوزون الى ما لا يحل لهم (والذين هم لاماناتهم) جمعا ومفردا (وعهدهم) فيما بينهم اوفيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها (راعون) حافظون (والذين هم على صلواتهم) جمعا ومفردا (يحافظون) يقيمونها فى أوقاتها (أولئك هم الوارثون) لا غيرهم

على الايمان بعد المغفرة لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء او يقال ان الحصر فيهم حقيقي بالنسبة للفردوس وباقي الجنان لمن لم يمت كافرا (قوله الذين يرثون الفردوس) عبر بالارث دون الاستحقاق لان الارث ملك دائم (قوله ويناسبه ذكر المبدا بعده) اشار بذلك الى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها والمعنى ان الآية التي سبقت ذكر فيها المعاد وما يؤل اليه أمر من اتصف بتلك الصفات وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدا وحينئذ فبين الآيتين مناسبة وهذا اتم مما قيل ان هذه الآية جملة مستانفة لا ارتباط لها بما قبلها (قوله ولقد خلقنا الانسان الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات من هنا الى قوله وعلى الفلك تحملون أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى الاول تقلب الانسان في أطوار خلقته وهي تسعة آخرها قوله تبعثون الثاني خلق السموات السموات الثالث انزال الماء الرابع منافع الحيوانات وذكر منها اربعة انواع واللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله من سلالة) متعلق بخلقنا (قوله متعلق بسلالة) اى لانه بمعنى مسلول (قوله أي الانسان نسل آدم) اشار بذلك الى ان الضمير يعود على الانسان لكن لا بالمعنى الاول وحينئذ ففي الكلام استخدام ويؤيده قوله تعالى في الآية الاخرى وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (قوله في قرار مكين) اى في مقر متمكن وصف بذلك لانه محفوظ لا يطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقا (قوله ثم خلقنا النطفة علقة) قيل كلها وقيل جزء منها والباقي يوضع نصفه في موضع تربته والنصف الثاني يوضع في السماء فاذا اراد الله احياء الخلق من القبور أمطرت السماء منيا فتتلاقى النطف النازلة من السماء بالنطف الباقية في الارض فتوجد الخلائق بنتها وهذا هو حكمة قوله تعالى كما بدأكم تعودون (قوله وفي قراءة عظما) أي وهي سبعية ايضا (قوله ثم أنشأناه خلقا آخر) أي من غير توان والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها الى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين (قوله بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك وقيل الخلق الآخر هو خروجه الى الدنيا وقيل خروج اسنانه وشعره وقيل كمال شبابه والاتم انه عام في هذا وغيره من النطق والادراك وتحصيل المعقولات وجميع الامور التي اشتمل عليها بنو آدم من الكمالات الحسية والمعنوية التي يشير لها قول بعض العارفين

وتحسب انك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الاكبر

(قوله فتبارك الله) اى تعاظم وارتفع قدره (قوله المقدرين) اى المصورين ودفع بذلك ما يقال ان اسم التفضيل يقتضي المشاركة مع انه لا خالق غيره فاجاب بان المراد بالخلق التقدير لا الايجاد والابداع والتقدير حاصل من الحوادث (قوله للعلم به) أي من قوله الخالقين فانه يدل عليه (قوله بعد ذلك) اى من الامور العجيبة (قوله يوم القيامة) اى عند النفخة الثانية ان قلت ما حكمة اختلاف المتعاطفات بثم والفاء لانه ورد ان مدة كل طور اربعون يوما فان نظر لآخر المدة واولها اقتضى ان يعطف بثم وان نظر لآخرها اقتضى ان يعطف بالفاء اجيب بانه نزل التفاوت بين الاطوار منزلة التراخي والبعد الحسي لان حصول النطفة من التراب غريب جدا وكذا جعلها دما بخلاف جعل الدم لحما فهو قريب لمشابهته له في اللون او الصورة وكذا جعلها عظما واما جعلها خلقا آخر فغريب وكذا الموت والبعث فظهر حكمة التعبير في كل موضع بما يناسبه (قوله ولقد خلقنا فوقكم) المراد به جهة العلو لان كونها فوق انما هو بعد خلق الخلق والا فوقت خلق السموات لم يكونوا مخلوقين (قوله لانها طرق الملائكة) اى في العروج والهبوط والطيران وقيل معنى طرائق مطروقات اى موضوعا بعضها فوق بعض فهو معنى طباقا في الآية الاخرى (قوله وانزلنا من السماء) الجار والمجرور متعلق بانزلنا (قوله بقدر) أي تقدير لجلب منافعهم ودفع مضارهم وقيل المعنى

(الذين يرثون الفردوس) هو جنة أعلى الجنان (هم فيها خالدون) في ذلك اشارة الى المعاد ويناسبه ذكر المبدا بعده (و) الله (لقد خلقنا الانسان) آدم (من سلالة) هي من سللت الشيء من الشيء أي أستخرجته منه وهو خلاصته (من طين) متعلق بسلالة (ثم جعلناه) اى الانسان نسل آدم (نطفة) منيا (في قرار مكين) هو الرحم (ثم خلقنا النطفة علقة) دما جامدا (فخلقنا العلقة مضغة) لحما قدر ما يمضغ (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) وفي قراءة عظما في الموضعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا (ثم أنشأناه خلقا آخر) بنفخ الروح فيه (فتبارك الله احسن الخالقين) اى المقدرين وميز أحسن محذوف للعلم به اى خلقا (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) للحساب والجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) اى سبع سموات جمع طريقة لانها طرق الملائكة (وما كنا عن الخلق) تحتها (غافلين) ان تسقط عليهم فنهلكهم بل نمسكها كما آية ويمسك السماء ان تقع على الارض (وانزلنا من السماء ماء بقدر) من

بقدر حاجاتهم واليه يشير المفسر (قوله فاسكناه فى الارض) اى جعلناه ساكنا ثابتا مستقرا فى الارض بعضه على ظهرها و بعضه فى بطنها (قوله وانا على ذهاب به لقادرون) الباء فى به للتعدية والمعنى وانا لقادرون على اذهابه روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسي بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدنيا والدين (قوله لكم فيها) اى الجنات (قوله ومنها) اى من ثمرا لجنات كالرطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك (قوله وشجرة تخرج من طور سيناء) المراد بها شجرة الزيتون وخصت بسيناء لان اصلها منه ثم نقلت وهى اول شجرة نبتت فى الارض بعد الطوفان وتبقى فى الارض كثيرا حتى قيل انها تعمر ثلاثة آلاف سنة (قوله سيناء) قيل معناه المبارك أو الحسن أو الملتف بالاشجار وهو الجبل الذى نودى عليه موسي (قوله منع الصرف للعلمية والتانيث) اى وقيل للعلمية والعجمة لانه اسم اعجمى نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتهم فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها وسينين فهو علم مركب كامرئ القيس ومنع من الصرف وان كان جزء علم نظرا الى انه عومل معاملة العلم (قوله والتانيث للبقعة) اى والهمزة فيه ليست للتانيث بل للالحاق بقرطاس وهى منقلبة عن ياء او واو لوقوعها متطرفة بعد الف زائدة (قوله من الرباعى والثلاثى) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله وان لكم فى الانعام لعبرة) عبر فى جانب الانعام بالعبرة دون النبات لان العبرة فيها اظهر (قوله مما فى بطونها) عبر بلفظ الجمع هنا لان المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله ولكم فيها منافع الخ وذكر الضمير فى النحل باعتبار البعض فان المراد خصوص الاناث بدليل الاقتصار على اللبن (قوله اى الابل) خصها لانها المحمول عليها غالبا و يصح عوده على الانعام لان منها ما يحمل عليه ايضا كالبقر (قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) شروع فى ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم فتكون ستا الاولى قصة نوح الثانية قصة هود الثالثة قصة القرون الآخرين الرابعة قصة موسي وهرون الخامسة قصة عيسي وامه والمقصود منه اطلاع الامة المحمدية على احوال من مضي ليقتدوا بهم فى الخصال المرضية و يتباعدوا عن خصالهم المذمومة ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار وقيل عبد الله وقيل يشكر وعاش من العمر الف سنة وخمسين لانه ارسل على راس الاربعين ومكث يدعو قومه الف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وهذا أحد اقوال تقدمت (قوله مالكم من اله غيره) بمنزلة التعليل لما قبله (قوله وهو اسم ما) اى قوله اله وأما لفظ غيره فيصح فيه الرفع اتباعا لمحل اله والجر اتباعا للفظه قراءتان سبعيتان (قوله وما قبله الخبر) اى وهو الجار والمجرور وما مشي عليه المفسر طريقة ضعيفة للنحاة وهى جواز اعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها اذا كان الخبر ظرفا او جارا ومجرورا والمشهور اهمالها حينئذ فكان المناسب ان يقول وهو مبتدأ مؤخر وما قبله الخبر (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير اجهلتم فلا تتقون (قوله فقال الملأ) اى الاشراف وحاصل ما ذكروه خمس مقالات الاولى ما هذا الا بشر مثلكم الثانية ولو شاء الله لانزل ملائكة الثالثة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين الرابعة ان هو الا رجل به جنة الخامسة فتربصوا به حتى حين ولكونها ظاهرة الفساد لم يتعرض لردها

كفايتهم (فاسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون) فيموتون مع دوابهم عطشا (فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب) هما اكثر فواكه العرب (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون) صيفا وشتاء (و) أنشانا (شجرة تخرج من طور سيناء) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتانيث للبقعة (تنبت) من الرباعى والثلاثى (بالدهن) الباء زائدة على الاول ومعدية على الثانى وهى شجرة الزيتون (وصبغ للآكلين) عطف على الدهن أى ادام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت (وان لكم فى الانعام) اى الابل والبقر والغنم (لعبرة) عظة تعتبرون بها (نسقيكم) بفتح النون وضمها (مما فى بطونها) اى اللبن (ولكم فيها منافع كثيرة) من الاصواف والاوبار والاشعار وغير ذلك (ومنها تاكلون وعليها) اى الابل (وعلى الفلك) اى السفن (تحملون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) أطيعوه ووحدوه (مالكم من اله غيره) وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة (افلا تتقون) تخافون عقوبته بعبادتكم غيره (فقال الملا الذين كفروا من قومه) لاتباعهم (ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل

يتشرف (عليكم) بان يكون متبوعا وانتم أتباعه (ولو شاء الله) ان لا يعبد غيره (لانزل ملائكة) بذلك لا بشرا (ما سمعنا بهذا) الذى دعا اليه نوح من التوحيد (فى آبائنا الاولين) أى الامم الماضية (ان هو) اى ما نوح (الا رجل به جنة) حالة جنون (فتربصوا به) انتظروه (حتى حين) الى زمن موته (قال) نوح (رب انصرنى) عليهم (بما كذبون) اى بسبب تكذيبهم اياى بان تهلكهم قال تعالى مجيبا دعاءه (فاوحينا اليه ان اصنع الفلك) السفينة (٩٦) (باعيننا) بمرأى منا وحفظنا (ووحينا) امرنا (فاذا جاء أمرنا) باهلاكهم (وفار التنور)

(قوله بان يكون متبوعا) اى بادعاء الرسالة (قوله ان لا يعبد غيره) اشار بذلك الى ان مفعول المشيئة محذوف (قوله بذلك) أى بان لا يعبد غيره (قوله لا بشرا) اى لان الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شانهم ينقاد الخلق اليهم من غير شك فلما لم يفعل ذلك علمنا انه ما ارسل رسولا (قوله حالة جنون) اى فعلة بالكسر للهيئة قال ابن مالك * وفعلة لهيئة كجلسة * (قوله الى زمن موته) أى فكانوا يقولون لبعضهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوى أمره وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل امره فنستريح منه أو المراد بالحين الزمان الذى تظهر فيه العواقب فالمعنى انتظروا عاقبة أمره فان أفاق والا فاقتلوه (قوله قال رب انصرنى) أى قال ذلك بعد ان أيس من ايمانهم (قوله ان اصنع الفلك) أن مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله باعيننا) حال من الضمير فى اصنع وجمع الاعين للمبالغة (قوله بمرأى منا وحفظنا) اشار بذلك الى ان فى الآية مجازا مرسلا لان شان من نظر الى الشئ بعينه حفظه فاطلق اللازم واريد الملزوم (قوله ووحينا) اى تعليمنا فان الله أرسل اليه جبريل فعلمه صنعتها وصنعها فى عامين وجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين والذراع الى المنكب وهذا أشهر الروايات وقيل غير ذلك وقد تقدم فى هود وجعلها ثلاث طباق السفلى للسباع والهوام والوسطى للدواب والانعام والعليا للانس (قوله فاذا جاء أمرنا) اى ابتدأ ظهوره (قوله وفار التنور) عطف بيان لمجيء الامر روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور فاركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء فصار الى نوح فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان بمسجد الكوفة على يمين الداخل مما يلى باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام (قوله علامة لنوح) أى على ركوب السفينة (قوله من كل زوجين) اى غير البشر لما ياتى انه ادخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين (قوله وغيرهما) أى من كل ما يلد أو يبيض بخلاف ما يتولد من العفونات كالدود والبق فلم يحمله فيها (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بالتنوين) أى فحذف ما اضيف اليه كل وعوض عنه التنوين (قوله أى زوجته) اى المؤمنة لانه كان له زوجتان احداهما مؤمنة فاخذها معه فى السفينة والاخرى كافرة تركها وهى أم ولده كنعان (قوله وهو زوجته) أى الكافرة (قوله بخلاف سام) اى وهو ابو العرب وحام هو ابو السودان ويافث هو ابو الترك (قوله ستة رجال) اى فالجملة اثنا عشر (قوله بترك اهلاكهم) متعلق بتخاطبنى (قوله انهم مغرقون) اى محكوم عليهم بالغرق (قوله واهلاكهم) اى ونجانا من اهلاكهم (قوله وقل رب انزلنى الخ) العبرة بعموم اللفظ فهذا الدعاء تنبغى قراءته لكل من نزل فى محل يريد الاقامة فيه (قوله عند نزولك من الفلك) اى حين استوت على الجودى وكان يوم عاشوراء أو ابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة اشهر (قوله بضم الميم) اى فهما قراءتان سبعيتان وظاهره ان الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك بل كل من الوجهين يتاتى على كل من القراءتين (قوله مباركا ذلك الانزال) تفسير

للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فاسلك فيها) اى ادخل فى السفينة (من كل زوجين) أى ذكر وانثى أى من كل انواعهما (اثنين) ذكرا وانثى وهو مفعول ومن متعلقة باسلك وفى القصة ان الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب يديه فى كل نوع لتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما فى السفينة وفى قراءة كل بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تاكيد له (واهلك) اى زوجته واولاده (الا من سبق عليه القول منهم) بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة وفى سورة هود ومن آمن وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كانوا فى السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) كفروا بترك اهلاكهم (انهم مغرقون فاذا استويت) اعتدلت للضمير (انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) الكافرين واهلاكهم (وقل) عند نزولك من الفلك (رب انزلنى منزلا) بضم الميم وفتح الزاى مصدرا واسم مكان وبفتح الميم وكسر الزاى مكان النزول (مباركا) ذلك الانزال أو المكان (وانت خير المنزلين) ماذكر (ان فى ذلك) المذكور من امر نوح والسفينة واهلاك الكفار (لآيات) دلالات على قدرة الله تعالى

للضمير في مباركا والوجهان لكل من الضم والفتح (قوله وان كنا لمبتلين) ان مخففة واللام فارقة والمعنى وانا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لننظر هل يتبعونه ويتعظون بوعظه (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) اى من بعد قوم نوح (قوله قرنا) اى قوما سموا بذلك لان بعضهم مقترن ببعض في الزمان (قوله هم عاد) اسم قبيلة أرسل اليها هود وماذكره المفسر من ان المراد بالقرن عاد و بالرسول هود هو ما عليه اكثر المفسرين ويشهد له مجئ قصة هود عقب قصة نوح في الاعراف وهود والشعراء * وخير ما فسرته بالوارد * ولا يشكل على هذا قوله في آخر القصة فاخذتهم الصيحة الموهم ان القرن ثمود وان الرسول صالح لانه يقال المراد بالصيحة صيحة الريح أى شدة صوته (قوله فارسلنا فيهم) اى في القرن وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يات من مكان غير مكانهم (قوله رسولا منهم) أى من جنسهم وقبيلتهم لان هود ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهم ينسبون لعاد وتقدم ذلك في هود (قوله بان اعبدوا) أشار بذلك الى ان أن مصدرية و يصح جعلها تفسيرية لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه لان ارسلنا بمعنى قلنا (قوله وقال الملا) عطف على ماقبله وأتى بالواو اشارة الى تباين الكلامين بخلاف ما في الاعراف وهود فانه في جواب سؤال مقدر ولذا تركت الواو (قوله الذين كفروا) وصف مخصص لان قومه بعضهم آمن و بعضهم كفر (قوله واترفناهم في الحياة الدنيا) اى اعطيناهم ملكا عظيما قال تعالى مذكرا لهم بهذه النعم على لسان نبيهم أمدكم بانعام و بنين وجنات وعيون (قوله ماهذا الا بشر مثلكم) هذه شبهة أولى تنتهي لقوله لخاسرون والثانية انكارهم البعث وتنتهي لقوله مبعوثين وأهمل الجواب عنهما لفسادهما وركاكتهما (قوله و يشرب مما تشربون) اى منه فحذف العائد لاستكمال الشروط التي اشار اليها ابن مالك بقوله كذا الذي جر بما الموصول جر * كمر بالذي مررت فهو بر

(قوله ولئن اطعتم) اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله والجواب لاولهما) اى على القاعدة التي ذكرها ابن مالك بقوله

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولا يصلح ان يكون جوابا للشرط لعدم وجود الفاء (قوله انكم اذا متم الخ) الكاف اسم ان وخاسرون خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر واذا لتاكيد مضمون الشرط ولذا قال المفسر اذا طعتموه (قوله أيعدكم) استفهام لتقرير ماقبله (قوله انكم مخرجون) اى من القبور او من العدم الى الوجود تارة اخرى (قوله تاكيد لفظي) اى تاكيد لفظي (قوله اسم فعل ماض) اختلف في اسم الفعل فقيل معناه لفظ الفعل وعليه فهو مبني على الفتح لا محل له من الاعراب والثاني توكيد له واللام زائدة بما اسم موصول فاعله وتوعدون صلته واللام للبيان والفاعل مستتر فيه والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور، قيل معناه المصدر وعليه فهو مبتدأ في محل رفع والثاني توكيد له ولما توعدون متعلق بمحذوف خبر المبتدا واللام ليست زائدة اذ علمت ذلك فكلام المفسر رضي الله عنه في غاية الاجمال لان قوله اسم فعل ماض احد قولين وقوله بمعنى مصدر هو القول الثاني وقوله اى بعد بعد يصح ان يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيرا للفعل الماضي او بلفظ المصدر فيكون تفسيرا للمصدر وقوله واللام زائدة ظاهره على كل من القولين وليس كذلك بل هي زائدة على كون المراد به لفظ الفعل والموصول فاعل لا على كونها للبيان ولا على كونه مصدرا وقوله للبيان هذا قول ثان فكان المناسب ان ياتي بالواو وترك التفريع على المصدر وتقدم انها ليست زائدة بل متعلقة بمحذوف خبر وفي هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الاربعين والمشهور منها ستة عشر وهي هيهات بفتح التاء

(وان) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان (كنا لمبتلين) مختبرين قوم نوح بارساله اليهم ووعظه (ثم انشانا من بعدهم قرنا) قوما (آخرين) هم عاد (فارسلنا فيهم رسولا منهم) هودا (ان) اى بان (اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) عقابه فتؤمنون (وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أى بالمصير اليها (واترفناهم) نعمناهم (في الحياة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم يا كل مما تاكلون منه و يشرب مما تشربون و) الله (لئن اطعتم بشرا مثلكم) فيه قسم وشرط والجواب لاولهما وهو مغن عن جواب الثاني (انكم اذا) اى اذا أطعتموه (لخاسرون) اى مغبونون (أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) هو خبر انكم الاولى وانكم الثانية تاكيد لها لما طال الفصل (هيهات هيهات) اسم فعل ماض بمعنى مصدر أى بعد بعد (لما توعدون) من الاخراج من القبور واللام زائدة للبيان (ان هي)

أى ما الحياة (الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) بحياة بنائنا (وما نحن بمبعوثين ان هو) اى ما الرسول (الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) اى مصدقين فى البعث بعد الموت (قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل) من الزمان وما زائدة (ليصبحن) ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (٩٨) (فاخذتهم الصيحة) صيحة العذاب والهلاك كائنة (بالحق) فماتوا (فجعلناهم غثاء) وهو نبت يبس اى صيرناهم مثله فى اليبس (فبعدا) من الرحمة (للقوم الظالمين) المكذبين (ثم انشانا من بعدهم قرونا) اقواما (آخرين ما تسبق من امة اجلها) بان تموت قبله (وما يستاخرون) عنه ذكر الضمير بعد تانيثه رعاية للمعنى (ثم ارسلنا رسلنا تترا) بالتنوين وعدمه اى متتابعين بين كل اثنين زمان طويل (كلما جاء امة) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو (رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) فى الهلاك (وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون با آياتنا وسلطان مبين) حجة بينة وهى اليد والعصا وغيرهما من الآيات (الى فرعون وملئه فاستكبروا) عن الايمان بها و بالله (وكانوا قوما عالين) قاهرين بنى اسرائيل بالظلم (فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) مطيعون خاضعون (فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) اى قومه بنى اسرائيل (يهتدون) به من الضلالة واوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة استثقلت (وجعلنا ابن مريم) عيسى (وامه آية) لم يقل آيتين لان الآية فيهما واحدة ولادته من غير فحل (وآويناهما الى ربوة) مكان مرتفع وهو بيت المقدس اودمشق اوفلسطين اقوال (ذات قرار) اى مستوية يستقر عليها ساكنوها (ومعين) اى ماء جار ظاهر تراه العيون

وضمها وكسرها وفى كل مع التنوين و بدونه وهيهات باسكان التاء أو ابدالها هاء ساكنة وفى كل من الثمان اما بالهاء أولا أو ابدالها همزة وقرئ بالجميع لكن المتواتر القراءة الاولى وهى الفتح من غير تنوين (قوله أى ما الحياة) اشار بذلك الى أن ان نافية والضمير عائد على الحياة (قوله بحياتنا بنائنا) جواب عما يقال ان فى قولهم ونحيا اعترافا بالبعث مع كونهم منكرين له * فاجاب بان المراد وتحيا ابناؤنا بعد موتنا (قوله بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم اياى (قوله صيحة العذاب والهلاك) جواب عما يقال ان الصيحة كانت عذاب قوم صالح لا قوم هود (قوله كائنة بالحق) أى العدل فيهم واشار بذلك الى ان الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة (قوله غثاء) مفعول ثان لجعلنا (قوله وهو نبت يبس) الاوضح ان يقول وهو العشب اذا يبس (قوله فبعدا للقوم الظالمين) بعدا مصدر بدل من لفظ الفعل والاصل بعدوا بعدا واللام اما متعلقة بمحذوف للبيان أو ببعدا وهو اخبار أو دعاء عليهم (قوله ثم أنشانا من بعدهم) اى من بعد قوم هود ونوح وقوله قرونا آخرين أى كقوم صالح وابراهيم ولوط وشعيب (قوله من أمة) أى جماعة (قوله وما يستاخرون) اى لا يتاخرون عنه والمقصود من هذه الآية التقريع والتخويف لاهل مكة كانه قال لا تغتروا بطول الامل فان للظالم وقتا يؤخذ فيه لا يتقدم عليه ولا يتاخر عنه (قوله بعد تانيثه) اى فى قوله اجلها الراجع الى أمة وقوله رعاية للمعنى اى لان أمة بمعنى قوم (قوله تترا) التاء مبدلة من واو وأصله وترا وهو مصدر على التحقيق ومعناه المتابعة مع مهلة وقيل المتابعة مطلقا وان لم تكن مهلة ولكن الآية تفسر بالاول لانه الواقع (قوله بالتنوين وعدمه) اى فيهما قراءتان سبعيتان فمن نون قال ان الفه للالحاق بجعفر كعلقى فلما نون ذهبت الفه لالتقاء الساكنين ومن لم ينون قال ان ألفه للتانيث كدعوى (قوله وتسهيل الثانية الخ) اى فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو وهما قراءتان سبعيتان (قوله وجعلناهم أحاديث) جمع احدوثة كاعجوبة واضحوكة ما يتحدث به عجبا وتسليا ولا يقال ذلك الا فى الشر ولا يقال فى الخير (قوله فبعدا لقوم لا يؤمنون) بعدا منصوب بمحذوف اى بعدوا عن رحمتنا بعدا لا يزول (قوله با آياتنا) اى التسع وهى العصا واليد والسنون الجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله وسلطان مبين) عطف مرادف اشارة الى ان المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان ايضا (قوله وغيرهما) اى من باقى التسع (قوله لبشرين مثلنا) افرد مثل لانه يجرى مجرى المصادر فى الافراد والتذكير ولا يؤنث أصلا (قوله وقومهما لنا عابدون) الجملة حالية (قوله فكانوا من المهلكين) أى من جملة من هلك (قوله أى قومه بنى اسرائيل) اشار بذلك الى ان الضمير فى لعلهم راجع لقوم موسى لا لفرعون وقومه لان التوراة انما جاءته بعد هلاك فرعون وقومه (قوله جملة واحدة) اما راجع لقوله وأوتيها او راجع لهلاك فرعون وقومه (قوله لان الآية فيهما واحدة) اى لان ولادته من غير اب امر خارق للعادة فيصح نسبته لهما وله (قوله وآويناهما الى ربوة) سبب ذلك ان ملك ذلك الزمان كان اراد ان يقتل عيسى فهربت به امه الى تلك الربوة ومكثت بها اثنتى عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك (قوله وهو بيت المقدس) هو اعلى مكان من الارض لا يزيد على غيره فى الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهو اقرب البقاع الى السماء (قوله ومعين) اسم مفعول من عان يعين فهو معين واصله معيون كمبيوع

استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقاء الساكنين وكسرت العين لتصح الياء (قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) خطاب لجميع الرسل على وجه الاجمال فليس المراد انهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة بل المراد خوطب كل رسول فى زمانه بذلك بان قيل مثلا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا اى بما تعمل عليم وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الاجمال التشنيع على رهبانية النصارى حيث يزعمون ان ترك المستلذات مقرب الى الله فرد الله عليهم بان المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات (قوله الحلالات) اى مستلذات ام لا (قوله واعملوا صالحا) أى شكرا على تلك النعم لتزدادوا بها قربا من ربكم (قوله فاجازيكم عليه) اى ان خيرا فخير وان شرا فشر فالآية فيها ترغيب وترهيب (قوله واعلموا ان هذه امتكم) قدر المفسر لفظ اعلموا اشارة الى ان بفتح الهمزة معمولة لمحذوف وهذه اسمها وأمتكم خبرها وأمة حال وواحدة صفة له (قوله دينكم) اشار بذلك الى ان المراد بالامة الدين والمراد به العقائد لانها هى التى اتحدت فى جميع الشرائع واما الاحكام الفرعية فقد اختلفت باختلاف الشرائع (قوله وفى قراءة بتخفيف النون) اى والهمزة مفتوحة والعامل مقدر كما فى المشددة واسمها ضمير الشان وهذه أمتكم مبتدأ وخبر والجملة خبر ان (قوله استئنافا) اى فهو اخبار من الله بان جميع الشرائع متفقة الاصول والقرآآت الثلاث سبعيات (قوله فاتقون) اى افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه (قوله فتقطعوا أمرهم) اى جعلوا دينهم مفرقا فلذلك صاروا فرقا مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من الاديان الباطلة (قوله زبرا) جمع زبور بمعنى فريق (قوله فرحون) اى لاعتقادهم أنهم على الحق (قوله فذرهم) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير لكفار مكة كما أشار لذلك المفسر وهو تسلية له (قوله فى غمرتهم) مفعول ثان لذرهم اى مستقرين فيها والغمرة فى الاصل الماء الذى يغمر القامة ثم استعير ذلك للجهالة والغمر بالضم يقال لمن لم يجرب الامور والغمر بالكسر الحقد (قوله من مال وبنين) بيان لما (قوله بل لا يشعرون) اضراب انتقالى أى لا يعلمون ان توسعة الدنيا عليهم ليست ناشئة عن الرضا عليهم بل استدراج لهم قال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما (قوله ان الذين هم) الدين اسم ان وهم مبتدأ ومشفقون خبره ومن خشية ربهم متعلق بمشفقون وكذا يقال فيما بعده (قوله مشفقون) الاشفاق الخوف مع زيادة التعظيم فهو اعلى من الخشية وهذه الاوصاف متلازمة من اتصف بواحد منها لزم منه الاتصاف بالباقى (قوله القرآن) اى وغيره من باقى الكتب السماوية (قوله يعطون) اشار بذلك الى ان قوله يؤتون من الايتاء وهو الاعطاء (قوله وقلوبهم وجلة) الجملة حالية من فاعل يؤتون اى والحال ان قلوبهم خائفة من عدم قبول اعمالهم الصالحة لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغنائه ولذا ورد عن ابى بكر الصديق انه قال لا آمن مكر الله ولو كانت احدى قدمى داخل الجنة والاخرى خارجها وكان كثير البكاء من خشية الله حتى اثرت الدموع فى خديه (قوله يقدر قبله لام الجر) اى فيكون تعليلا لقوله وجلة (قوله أولئك يسارعون فى الخيرات) هذه الجملة خبر عن قوله ان الذين هم من خشية ربهم وما عطف عليه فاسم ان اربع موصولات وخبرها جملة أولئك الخ (قوله وهم لها سابقون) الضمير قيل للخيرات وقيل للجنة وقيل للسعادة وقوله فى علم الله اى كتبوا سابقين فى علم الله فظهر فيهم مقتضى سابقية العلم (قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها) اى تفضلا منه سبحانه وتعالى والا فلا يسئل عما يفعل وأتى بهذه الآية عقب اوصاف المؤمنين اشارة الى ان تلك الاوصاف فى طاقة الانسان وكذا جميع التكاليف التى افترضها الله على عباده فعلا او تركا وهذا لمن وفقه الله وكشفت عنه الحجب

(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) الحلالات (واعملوا صالحا) من فرض ونفل (انى بما تعملون عليم) فاجازيكم عليه (و) اعلموا (ان) هذه) اى ملة الاسلام (أمتكم) دينكم ايها المخاطبون اى يجب ان تكونوا عليها (أمة واحدة) حال لازمة وفى قراءة بتخفيف النون وفى أخرى بكسرها مشددة استئنافا (وأنا ربكم فاتقون) فاحذرون (فتقطعوا) اى الاتباع (أمرهم) دينهم (بينهم زبرا) حال من فاعل تقطعوا اى احزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم (كل حزب بما لديهم) اى عندهم من الدين (فرحون) مسرورون (فذرهم) اى اترك كفار مكة (فى غمرتهم) ضلالتهم (حتى حين) اى حين موتهم (أيحسبون انما نمدهم به) نعطيهم (من مال وبنين) فى الدنيا (نسارع) نعجل (لهم فى الخيرات) لا (بل لا يشعرون) ان ذلك استدراج لهم (ان الذين هم من خشية ربهم) خوفهم منه (مشفقون) خائفون من عذابه (والذين هم بآيات ربهم) القرآن (يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) معه غيره (والذين يؤتون) يعطون (ما آتوا) اعطوا من الصدقة والاعمال الصالحة (وقلوبهم وجلة) خائفة ان لا تقبل منهم (انهم) يقدر قبله لام الجر (الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) فى علم الله (ولا نكلف نفسا الا وسعها) اى طاقتها فمن لم يستطع ان يصلى قائما فليصل جالسا ومن لم يستطع ان يصوم فليأكل (ولدينا)

عندنا (كتاب ينطق بالحق) بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الاعمال (وهم) اى النفوس العاملة (لا يظلمون) شيا منها فلا ينقص من ثواب اعمال الخيرات ولا يزاد

فى السيات (بل قلوبهم) اى الكفار (فى غمرة) جهالة (من هذا) القرآن (ولهم اعمال من دون ذلك) المذكور للمؤمنين (هم لها عاملون) فيعذبون عليها (حتى) ابتدائية (اذا أخذنا مترفيهم) اغنياءهم ورؤساءهم (بالعذاب) اى السيف يوم بدر (اذا هم يجارون) يضجون يقال لهم (لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون) لا تمنعون (قد كانت آياتى) من القرآن (تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون) ترجعون قهقرى (مستكبرين) عن الايمان (به) اى بالبيت أو بالحرم بانهم اهله فى أمن بخلاف سائر الناس فى مواطنهم (سامرا) حال اى جماعة يتحدثون بالليل حول البيت (تهجرون) من الثلاثى تتركون القرآن ومن الرباعى أى تقولون غير الحق فى النبى والقرآن قال تعالى (أفلم يدبروا) أصله يتدبروا فادغمت التاء فى الدال (القول) اى القرآن الدال على صدق النبى (ام جاءهم ما لم يات آباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة) الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبى ومجىء الرسل للامم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والامانة وان لا جنون به (بل) للانتقال (جاءهم بالحق) القرآن اى القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الاسلام (واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق) اى القرآن (أهواءهم) بان جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى عن ذلك (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) اى خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع فى الشيء

واما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلة يشق عليه تعاطيها قال بعض العارفين

اذا رفع الحجاب فلا ملالة * لتكليف الاله ولا مشقه

(قوله عندنا) اى عندية رتبة ومكانة واختصاص (قوله ينطق بالحق) اى يبين اعمال العباد خيرها وشرها (قوله بما عملته) الضمير عائد على النفس المتقدم ذكرها (قوله وهم لا يظلمون) الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ نفس لانه نكرة فى سياق النفى (قوله فلا ينقص من ثواب اعمال الخير الخ) اى لان الاعمال كلها والجزاء عليها مثبتة فى اللوح المحفوظ وهو مطابق لما فى علم الله (قوله بل قلوبهم) رجوع لاحوال الكفار (قوله ولهم اعمال) اى سيئة (قوله من دون ذلك) اى غير ما ذكر للمؤمنين والمعنى ان الكفار لهم اعمال مضادة ومخالفة لاوصاف المؤمنين المتقدمة (قوله هم لها عاملون) اى مستمرون عليها (قوله ابتدائية) اى تبتدأ بعدها الجمل (قوله اذا أخذنا مترفيهم) اذا ظرف لما يستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه واذا الثانية للمفاجاة قائمة مقام الفاء قال ابن مالك

وتخلف الفا اذا المفاجاه * كان تجد اذا لنا مكافاه

(قوله اغنياءهم ورؤساءهم) اى كابى جهل واضرابه من صناديدهم (قوله يجارون) أى يصرخون ويبتهلون او يستغيثون ويلتجؤن فى كشف العذاب عنهم ومع ذلك فلا ينفعهم (قوله يقال لهم) الاقرب ان ذلك عند قبض ارواحهم حين تاتيهم الملائكة بالمطارق من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم وقيل انه يوم القيامة حين يعذبون فى النار (قوله قد كانت آياتى الخ) تعليل لما قبله (قوله تنكصون) من باب جلس ودخل فهو بكسر الكاف وضمها (قوله ترجعون قهقرى) اى الى جهة الخلف وهو كناية عن اعراضهم عن الايمان (قوله به) الجار والمجرور اما متعلق بمستكبرين او بسامرا وأشار المفسر الى ان الضمير اما عائد على البيت او الحرم (قوله سامرا) من السمر وهو الحديث ليلا (قوله حال) المناسب للمفسر ان يقول احوال ويؤخره عن قوله تهجرون لان الاحوال ثلاثة مستكبرين وسامرا وتهجرون (قوله اى جماعة) اشار بذلك الى ان سامرا اسم جمع واحده مسامر (قوله من الثلاثى) اى ماخوذ من الهجران وهو الترك او من هجر هجرا بالتحريك هذى وتكلم بما لا يعقله (قوله ومن الرباعى) اى ماخوذ من الاهجار وهو الفحش فى الكلام (قوله افلم يدبروا القول) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلم يدبروا وهذا شروع فى بيان ان اقدامهم على هذه الضلالات لا بد ان يكون لاحد أمور أربعة احدها ان لا يتاملوا فى دليل نبوته وهو القرآن المعجز مع انهم تاملوا وظهرت لهم حقيقته ثانيها ان يعتقدوا ان بعثة الرسول امر غريب لم تسمع ولم ترد عن الامم السابقة وليس كذلك لانهم عرفوا ان الرسل كانت ترسل الى الامم ثالثها ان لا يكونوا عالمين بامانته وصدقه قبل ادعاء النبوة وليس كذلك بل سبقت لهم معرفة كونه فى غاية الامانة والصدق رابعها ان يعتقدوا فيه الجنون وليس كذلك لانهم كانوا يعلمون انه اعقل الناس وسياتى خامس فى قوله ام تسئلهم خرجا وأم فى المواضع الاربعة مقدرة ببل الانتقالية وهمزة الاستفهام التقريرى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله من صدق النبى الخ) بيان للحق على طبق الآية على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله واكثرهم للحق) أى

القرآن وغيره فهو أعم من الحق الاول ولذا أظهر في مقام الاضمار وأشار بقوله واكثرهم الى أن الاقل لم يدم على كراهة الحق بل رجع عن كفره وآمن (قوله عادة) المناسب أن يقول عقلا لان وجود الشريك يقضي بفساد العالم عقلا لا عادة (قوله بل أتيناهم بذكرهم) اضراب انتقالي والمعنى كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم فالليق بهم الانقياد له وتعظيمه والعامة على قصر أتيناهم وقرئ بالمد بمعنى أعطينا وحينئذ فالباء امازائدة وذكرهم مفعول ثان أو المفعول محذوف وقرئ بالقصر مع تاء المتكلم أو تاء المخاطب وقوله بذكرهم هكذا قرأ العامة وقرئ شذوذا بذكراهم بالف التانيث وبذكرهم بنون العظمة (قوله أم تسالهم خرجا) راجع لقوله أم يقولون به جنة وما بينهما اعتراض (قوله فخراج ربك خير) تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار (قوله أجره وثوابه) أي في الآخرة وقوله ورزقه أي في الدنيا فهذه الامور كالخراج من حيث ان الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبدا (قوله وفي قراءة خرجا في الموضعين الخ) أي فالقراآت الثلاث سبعيات لكن الاولى أبلغ من حيث انه عبر في حق الله بالخراج المفيد للتكرار وفي حق العبيد بالخرج المفيد عدم التكرار والمماثلة في القراءتين الباقيتين للمشاكلة (قوله وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر وبالمد أي أثاب (قوله عن الصراط) متعلق بناكبون (قوله عادلون) أي زائغون ومنحرفون (قوله ولو رحمناهم الخ) قال الاشياخ الاظهر ان هذه الآية واللتين بعدها الى مبلسون مدنيات وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة دعا على أهل مكة بقوله اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فقحطوا حتى اكلوا العلهز وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاي معجمة شيء كانوا يتخذونه من الدم ووبر الابل في سنى المجاعة فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الآية (قوله للجوا) اللجاج التمادي والاستمرار على العناد في تعاطي الفعل المنهي عنه (قوله ولقد أخذناهم بالعذاب) تاكيد لما قبله (قوله فما استكانوا) أصله استكونوا نقلت حركة الواو الى ما قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت الفا والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع الى الله في الماضي ولم يحصل منهم التجاء الى الله في المستقبل (قوله ابتدائية) أي تبتدأ بعدها الجمل (قوله اذا فتحنا عليهم) اذا شرطية واذا الثانية رابطة للجواب قائمة مقام الفاء (قوله آيسون) أي فالابلاس اليأس ومنه ابليس لياسه من رحمة الله (قوله وهو الذي انشا لكم الخ) خطاب للخلق عموما قصد به تذكير النعم للمؤمنين والتوبيخ للكافرين حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها لان السمع خلق ليسمع به ما يرشد والبصر ليشاهد به الآيات الدالة على كمال اوصاف الله والقلوب بمعنى العقول ليتامل بها في مصنوعات الله فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها فهو بمنزلة عادمها قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء وافرد السمع وجمع الابصار تفننا (قوله تاكيد للقلة) اى لفظ ما تاكيد للقلة المستفادة من التنكير والمعنى شكرا قليلا وهو كناية عن عدمه (قوله تبعثون) اى تحيون بعد الموت (قوله وله اختلاف الليل والنهار) اى خلقا وايجادا (قوله بالسواد والبياض) لف ونشر مرتب (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه اى اغفلتم فلا تعقلون ان القادر على انشاء الخلق قادر على اعادتهم بعد الموت (قوله بل قالوا) اى كفار مكة (قوله مثل ما قال الاولون) اى من

عادة عند تعددا لحاكم (بل اتيناهم بذكرهم) اى بالقرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم (فهم عن ذكرهم معرضون ام تسالهم خرجا) اجرا على ما جئتهم به من الايمان (فخراج ربك) اجره وثوابه ورزقه (خير) وفي قراءة خرجا في الموضعين وفي قراءة اخرى خراجا فيهما (وهو خير الرازقين) افضل من اعطى واجر (وانك لتدعوهم الى صراط) طريق (مستقيم) اى دين الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (عن الصراط) اى الطريق (لناكبون) عادلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي جوع اصابهم بمكة سبع سنين (للجوا) تمادوا (في طغيانهم) ضلالتهم (يعمهون) يترددون (ولقد اخذناهم بالعذاب) الجوع (فما استكانوا) تواضعوا (لربهم وما يتضرعون) يرغبون الى الله بالدعاء (حتى) ابتدائية (اذا فتحنا عليهم بابا ذا) صاحب (عذاب شديد) هو يوم بدر بالقتل (اذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير (وهو الذي انشا) خلق (لكم السمع) بمعنى الاسماع (والابصار والافئدة) القلوب (قليلا) تاكيد للقلة (تشكرون وهو الذي ذراكم) خلقكم (في الارض واليه تحشرون) تبعثون (وهو الذي يحيي) ينفخ الروح في المضغة (ويميت وله اختلاف الليل والنهار) بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أفلا تعقلون) صنعه تعالى فتعتبرون (بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا) اى الاولون (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون)

لا وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) اى البعث بعد الموت (من قبل ان) ما (هذا الا اساطير) أكاذيب (الاولين) كالاضاحيك والاعاجيب جمع أسطورة بالضم (قل) لهم (لمن الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) خالقها ومالكها (سيقولون لله قل) لهم (افلا تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الذال تتعظون فتعلمون ان القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) الكرسي (سيقولون لله قل افلا تتقون) تحذرون عبادة غيره (قل من بيده ملكوت) ملك (كل شيء) والتاء للمبالغة (وهو يجير ولا يجار عليه) يحمى ولا يحمى عليه (ان كنتم تعلمون سيقولون لله) وفى قراءة لله بلام الجر فى الموضعين نظرا الى ان المعنى من له ماذكر (قل فانى تسحرون) تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده اى كيف تخيل لكم أنه باطل (بل أتيناهم بالحق) بالصدق (وانهم لكاذبون) فى نفسه وهو (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا) اى لو كان معه اله (لذهب كل اله بما خلق) اى انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (ولعلا بعضهم على بعض) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سبحان الله) تنزيها له (عما يصفون) به مما ذكر (عالم) الغيب الذى والشهادة) ماغاب وماشوهد بالجر صفة والرفع خبر هو مقدرا (فتعالى) تعظم (عما يشركون) به معه (قل رب اما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (تريني مايوعدون) من العذاب هو صادق بالقتل ببدر (رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين)

قوم نوح وهود وصالح وغيرهم (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله وادخال الف بينهما) اى وترك الادخال فالقرا آت اربع سبعيات فى الثانى وثلاث فى الاول بترك الادخال بين المحققتين (قوله لقد وعدنا) وعد فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل هو الضمير المتصل ونحن توكيد له وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل فهو نائب فاعل ايضا وقوله هذا مفعول ثان لوعد ونائب الفاعل مفعول اول والاصل وعدنا الآن محمد بالبعث ووعد غيره آباءنا من قبلنا به وقدم المرفوع الذى هو نائب الفاعل هنا وعكس فى النمل تفننا واشارة الى انه يجوز الامران (قوله قل لهم) اى لاهل مكة المنكرين للبعث (قوله من الخلق) اى المخلوقات عقلاء وغيرهم (قوله ان كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه والتقدير فاخبرونى بخالقهما (قوله سيقولون الله) اخبار من الله بما يقع منهم فى الجواب قبل وقوعه (قوله بادغام التاء) اى بعد قلبها دالا فذالا وتسكينها (قوله الكرسي) المناسب ابقاؤه على ظاهره فان العرش على التحقيق غير الكرسي (قوله والتاء للمبالغة) اى وكذا الواو فيهما زائدتان كزيادتهما فى الرحموت والرهبوت من الرهبة والرحمة (قوله يحمى ولا يحمى عليه) الاول بفتح الياء كيرمى والثانى بضمها والمعنى يمنع ويحفظ من اراد حفظه ولا يمنع منه احد ولا ينصر من اراد خذلانه قال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده (قوله وفى قراءة لله بلام الجر) اى وهو لمعظم السبعة (قوله فى الموضعين) اى الاخيرين واما جواب السؤال الاول فهو باللام باتفاق السبعة ولم يقرأ بدونها احد (قوله نظرا الى ان المعنى) اى فلام الجر مقدرة فى السؤال فظهرت فى الجواب نظرا للمعنى واما على قراءة اسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال لانه لا فرق بين قوله من رب السموات وبين لمن السموات كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وان شئت قلت لزيد لان السؤال لا فرق فيه بين أن يقال لمن هذه الدار أو من ربها (قوله قل فانى) اى فكيف تسحرون (قوله عبادة الله) بدل من الحق فهو بالجر (قوله اى فكيف يخيل لكم) اشار بذلك الى ان المراد بالسحر التخييل والوهم لا حقيقته (قوله فى نفيه) اى الحق (قوله من ولد) من زائدة فى المفعول وقوله من اله من زائدة فى اسم كان (قوله اى لو كان معه اله) اشار بذلك الى ان قوله اذا الذهب جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية علم من قوله وما كان معه من اله وتقدم تحقيق الكلام فى هذا البرهان فى الانبياء (قوله كفعل ملوك الدنيا) كلامه يقتضى ان هذا أمر عادى لا الزام قطعى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق انه دليل عقلى قطعى (قوله عالم الغيب والشهادة) هذا دليل آخر على الوحدانية كانه قال الله عالم الغيب والشهادة وغيره لا يعلمهما فغيره ليس باله (قوله بالجر صفة) اى للفظ الجلالة او بدل منه وقوله والرفع خبر هو مقدرا اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعالى عما يشركون) عطف على معنى ما تقدم كانه قال علم الغيب فتعالى (قوله قل رب الخ) هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو مجاب لان الله ما أمره بدعاء الا استجاب له (قوله اما تريني) ان شرطية وما زائدة وتريني فعل الشرط والنون للوقاية والياء مفعول اول وما مفعول ثان ويوعدون صلة ما ورب تاكيد للاول وقوله فلا تجعلني الخ جواب الشرط (قوله بالقتل ببدر) اى وهو

To: www.al-mostafa.com

فاهلك بهلاكهم (وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن) اى الخصلة من الصفح والاعراض عنهم (السيئة) أذاهم اياك وهذا قبل الامر بالقتال (نحن أعلم بما يصفون) اى يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه (وقل رب أعوذ) أعتصم (بك من همزات الشياطين) نزغاتهم بما يوسوسون به (وأعوذ بك رب أن يحضرون) فى أمورى لانهم انما يحضرون بسوء (حتى) ابتدائية (اذا جاء أحدهم الموت) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قال رب ارجعون) الجمع للتعظيم (لعلى أعمل صالحا) بان أشهد أن لا اله الا الله يكون (فيما تركت) ضيعت من عمرى أى فى مقابلته قال تعالى (كلا) اى لا رجوع (انها) اى رب ارجعون (كلمة هو قائلها) اى ولا فائدة له فيها (ومن ورائهم) أمامهم (برزخ) حاجز يصدهم عن الرجوع (الى يوم يبعثون) ولا رجوع بعده (فاذا نفخ فى الصور) القرن النفخة الاولى أو الثانية (فلا أنساب بينهم يومئذ) يتفاخرون بها (ولا يتساءلون) عنها خلاف حالهم فى الدنيا لما يشغلهم من عظم الامر عن ذلك فى بعض مواطن القيامة وفى بعضها يقبلون وفى آية فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون (فمن ثقلت موازينه) بالحسنات (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) بالسيئات (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) فهم (فى جهنم خالدون)

الذى رآه بالفعل (قوله فاهلك بهلاكهم) اى لان شؤم الظالم قد يعم غيره ان قلت ان رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين فكيف أمره الله بهذا الدعاء أجيب بانه أمر بذلك اظهارا للعبودية وتواضعا لربه وتعظيما لاجره وليكون فى جميع الاوقات ذاكرا لله تعالى (قوله وانا على ان نريك الخ) ان حرف توكيد ونصب ونا اسمها والجار والمجرور متعلق بقادرون وما واقعة على العذاب وقادرون خبر ان واللام للابتداء زحلقت للخبر والمعنى وانا لقادرون على ان نريك العذاب الذى نعدهم به (قوله اى الخصلة الخ) أشار بذلك الى ان التى صفة لموصوف محذوف وقوله من الصفح الخ بيان للخصلة التى هى أحسن (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اى فهو منسوخ ويحتمل أن المعنى ادفع بالتى هى أحسن ولو فى حال القتال كان الله يقول له اذا قدرت عليهم فاصفح عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به وحينئذ فتكون الآية محكمة وقد حصل منه هذا الامر عند فتح مكة (قوله وقل رب) أى فى كل وقت لان العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جدا وهو وان كان معصوما فالمقصود تعليم أمته واظهار الالتجاء لربه (قوله من همزات الشياطين) جمع همزة وهى النخسة (قوله نزغاتهم) اى افسادا تهم والمعنى أتحصن بك من وساوس الشيطان (قوله وأعوذ بك رب) كرر ذلك للمبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل اشارة الى ان هذا الكلام منقطع عما قبله قصد به وصف حال الكافر بعد موته (قوله الجمع للتعظيم) جواب عما يقال لم يقل رب ارجعنى بالافراد مع ان المخاطب واحد وأجيب أيضا بان الواو لتكرير الطلب كانه قال ارجعنى ارجعنى ارجعنى او الجمع باعتبار الملائكة الذين يقبضون روحه كانه استغاث بالله أولا ثم رجع الى طلب الرجوع الى الدنيا من الملائكة (قوله يكون فيما تركت) اى بدلا عنه (قوله اى لا رجوع) أشار بذلك الى ان كلا هنا معناها النفى ومع ذلك فيها معنى الردع والزجر (قوله اى رب ارجعون) اى وما بعدها (قوله ومن ورائهم) الجمع باعتبار معنى أحد (قوله برزخ) هو المدة التى من حين الموت الى البعث والمعنى ان بينهم وبين الرجعة حجابا وما نعا من الرجوع وهو الموت اذا علمت ذلك فالاموات لا تعود أجسامهم فى الدنيا بارواحهم كما كانوا أبدا وانما يبعثون يوم القيامة لا فرق بين الانبياء وغيرهم وما ورد عن بعض الصالحين من انهم يجتمعون بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة فالمراد ان روحه الشريفة تشكلت بصورة جسده الشريف وكذا يقال فى الاولياء والشهداء لان أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة وأما الكفار فارواحهم محبوسة لا تسعى فى الملكوت (قوله ولا رجوع بعده) اى يوم البعث (قوله النفخة الاولى) هو قول ابن عباس وقوله او الثانية هو قول ابن مسعود (قوله يتفاخرون بها) جواب عما يقال ان الانساب ثابتة بينهم لا يصح نفيها فاجاب بان معنى لا أنساب بينهم لا يتفاخرون بانسابهم وأجيب أيضا بان معنى لا أنساب بينهم لا أنساب تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والدهشة (قوله خلاف حالهم فى الدنيا) اى لانهم كانوا يسئلون عن بعضهم فى الدنيا (قوله لما يشغلهم) علة لقوله ولا يتساءلون ودفع بذلك ما يقال كيف الجمع بين هذه الآية وآية وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فجمع المفسر بان القيامة مواطن مختلفة وهذا مبنى على ان المراد النفخة الثانية واما على أن المراد النفخة الاولى فوجه الجمع ان نفى السؤال انما هو عند النفخة الاولى لموتهم حينئذ واثباته انما هو بعد النفخة الثانية (قوله موازينه) الجمع اما للتعظيم أو باعتبار الموزون (قوله بالحسنات) الباء سببية اى بسبب ثقل الحسنات (قوله بالسيئات) اى بسبب ثقل السيئات والمعنى فمن رجحت حسناته فاولئك هم المفلحون ومن رجحت سيئاته فاولئك الذين خسروا الخ (قوله فهم فى جهنم) أشار المفسر

تلفح وجوههم النار) تحرقها (وهم فيها كالحون) شمرت شفاههم العليا والسفلى عن اسنانهم ويقال لهم (الم تكن آياتى) من القرآن (تتلى عليكم) تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) وفى قراءة شقاوتنا بفتح اوله والف وهما مصدران بمعنى (وكنا قوما ضالين) عن الهداية (ربنا اخرجنا منها فان (١٠٤) عدنا) الى المخالفة (فانا ظالمون قال) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (اخسئوا فيها)

ابعدوا فى النار اذلاء (ولا تكلمون) فى رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم (انه كان فريق من عبادى) هم المهاجرون (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حتى انسوكم ذكرى) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الانساء فنسب اليهم (وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم) النعيم المقيم (بما صبروا) على استهزائكم بهم واذاكم اياهم (انهم) بكسر الهمزة (هم الفائزون) بمطلوبهم استئناف وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم (قال) تعالى لهم بلسان مالك وفى قراءة قل (كم لبثتم فى الارض) فى الدنيا وفى قبوركم (عدد سنين) تمييز (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) شكوا فى ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب (فاسئل العادين) اى الملائكة المحصين اعمال الخلق (قال) تعالى بلسان مالك وفى قراءة ايضا قل (ان) اى ما (لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون) مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة الى لبثكم فى النار قوله (افحسبتم انما خلقناكم عبثا) لا لحكمة (وانكم الينا لا ترجعون) بالبناء للفاعل وللمفعول لا بل لتتعبدكم بالامر والنهى وترجعوا الينا ونجازى على ذلك وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (فتعالى الله) عن العبث وغيره مما لا يليق به (الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)

الى ان قوله فى جهنم خبر لمحذوف (قوله تلفح وجوههم) اللفح الاصابة بشدة (قوله شمرت شفاههم الخ) اى فالكالح تشمر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد انه تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخى السفلى حتى تبلغ سرته (قوله تتلى عليكم) اى فى الدنيا (قوله وفى قراءة) وهى سبعية ايضا (قوله وهما مصدران بمعنى) اى وهو سوء العاقبة (قوله بعد قدر الدنيا مرتين) اى وقدرها قيل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة وقيل اثنا عشر الف سنة بعدد البروج وقيل ثلثمائة الف سنة وستون سنة بعدد ايام السنة (قوله اخسئوا فيها) اى اسكتوا اسكوت هوان وذل (قوله فينقطع رجاؤهم) اى وهذا آخر كلامهم فى النار فلا يسمع لهم بعد ذلك الا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب (قوله انه كان فريق) تعليل لما قبله (قوله بضم السين وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وسلمان) المناسب ان يقول بدله وخباب لان سلمان ليس من المهاجرين (قوله فنسب اليهم) اى وحقه ان ينسب الى الاستهزاء (قوله وكنتم منهم تضحكون) اى وذلك غاية الاستهزاء (قوله بكسر الهمزة وبفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بلسان مالك) دفع بذلك ما يقال ان قوله قال يقتضى ان الله يكلمهم مع انه قال فى آية اخرى ولا يكلمهم الله فاجاب بان المكلم لهم الملك عن الله (قوله وفى قراءة قل) اى وهى سبعية ايضا والحاصل ان هنا وفيما ياتى فى قوله قال ان لبثتم ثلاث قراآت سبعيات الامر فيهما والماضى فيهما والامر فى الاول والماضى فى الثانى (قوله كم لبثتم) كم فى محل نصب على الظرفية الزمانية وقوله عدد سنين هو مميزها والمعنى لبثتم كم عددا من السنين والقصد من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت عليهم لانهم كانوا يعتقدون بقاءهم فى الدنيا ويعولون على اللبث فيها وينكرون البعث فلما ادخلوا النار وايقنوا دوامها وخلودهم فيها سالهم عن لبثهم فى الدنيا زيادة فى تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه حيث ظهر خلافه (قوله فاسئل العادين) بالتشديد جمع عاد من العدد وهذا من جملة كلامهم لانه غشيهم من الهول والعذاب ما يشغلهم عن ضبط ذلك واحصائه (قوله قال تعالى) اى تقريعا وتوبيخا وتصديقا لهم (قوله لو انكم) لو هنا امتناعية ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله مقدار لبثكم وجواب لو محذوف ايضا قدره المفسر بقوله كان قليلا اى فى علمكم والمعنى لو انكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لعلمتم قلة لبثكم فى الدنيا (قوله افحسبتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فحسبتم وحسب بمعنى ظن والاستفهام للتوبيخ والانكار (قوله عبثا) اما حال مؤول باسم الفاعل اى عابثين او مفعول لاجله والعبث اللعب وكل ما ليس فيه غرض صحيح فقوله لا لحكمة تفسير للعبث (قوله وانكم الينا لا ترجعون) عطف على انما خلقناكم فيكون حسب مسلطا عليه (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا) قدره جوابا للاستفهام (قوله بل لتتعبدكم) اى لنكلفكم (قوله على ذلك) اى على امتثال التعبد المذكور (قوله الا يعبدون) اى حكمة خلقى لهم كونهم يمتثلوا امرى ويجتنبوا نواهى (قوله فتعالى الله) اى تنزه (قوله الملك الحق) اى الذى يحق له التصرف فى ملكه بالايجاد والاعدام والثواب والعقاب وغير ذلك فكل ما سواه مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله الكريم) بالجر صفة للعرش لان كل بركة ورحمة وخير نازلة منه وقرئ شذوذا بالرفع على انه نعت مقطوع للمدح

(قوله الكرسي) تقدم ان المناسب ابقاؤه على ظاهره (قوله هو السرير الحسن) هكذا في بعض النسخ وفي بعضها اسقاطها (قوله صفة كاشفة) أي بيان للواقع لان كل من ادعى مع الله الها آخر لا بد وان يكون لا برهان له به (قوله فانما حسابه عند ربه) هو جواب الشرط (قوله انه لا يفلح الكافرون) الجمهور على كسر ان استئنافا وفيه معنى العلة وقرئ شذوذا بالفتح على انه خبر حسابه والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم (قوله في الرحمة زيادة على المغفرة) أي فذكر الرحمة بعد المغفرة تحلية بعد تخلية ففي الغفران محو السيئات وفي الرحمة رفع الدرجات (قوله افضل رحمة) بالنصب على التمييز

﴿سورة النور﴾

سميت بذلك لذكر النور فيها وفي هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الاحكام الدينية المفصلة ولذلك كتب عمر رضي الله عنه الى الكوفة علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة رضي الله عنها لا تنزلوا النساء في الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل (قوله هذه سورة) اشار المفسر الى ان سورة خبر لمحذوف قدره بقوله هذه والاشارة لما في علم الله لكونها في حكم الحاضر المشاهد ويصح ان تكون سورة مبتدأ وجملة انزلناها صفة لها والخبر قوله الزانية والزاني والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا أو الخبر محذوف والتقدير فيما يتلى عليكم وهذا على قراءة الرفع وهي لعامة القراء وقرئ سورة بالنصب بفعل مضمر يفسره انزلناها فهو من باب الاشتغال او على الاغراء اي دونك سورة (قوله وفرضناها) اي اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا (قوله مخففا ومشددا) أي فيهما قراءتان سبعيتان (قوله وانزلنا فيها) كرر الانزال لكمال الاعتناء بشانها (قوله آيات بينات) أي دلائل على وحدانية الله تعالى وقد ذكر في اول هذه السورة أنواع من الاحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله فرضناها اشارة الى الاحكام وقوله وانزلنا فيها آيات بينات اشارة الى الادلة (قوله بادغام التاء الثانية) اي بعد قلبها دالا فذالا أي وبتسكينها اي فيهما قراءتان سبعيتان وبقيت ثالثة سبعية ايضا وهي حذف احدى التاءين (قوله الزانية والزاني) مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم او جملة فاجلدوا ودخلت الفاء لشبه المبتدا بالشرط وعليه درج المفسر وقدمت المرأة في حد الزنا وأخرت في آية حد السرقة لان شهوة الزنا في المرأة اقوى واكثر والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة وهي في الرجل اقوى واكثر (قوله لرجمهما بالسنة) اشار بذلك الى ان الزانية والزاني لفظ عام يشمل المحصن وغيره فالسنة اخرجت المحصن وبينت ان حده الرجم فصار الكلام في غيره (قوله فاجلدوا كل واحد منهما الخ) اي بسوط لين له رأس واحدة ويجرد الرجل من ثيابه والمرأة مما يقيها ألم الضرب وتوضع في قفة فيها تراب للستر (قوله والرقيق على النصف مما ذكر) اي الحد والتغريب وهذا مذهب الشافعي وقال مالك لا يغرب الا الذكر الحر واما المرأة والرقيق فلا يغربان (قوله ولا تاخذكم) بقرأ العامة بالتاء مراعاة للفظ وقرئ شذوذا بالياء التحتية (قوله رأفة) بسكون الهمزة وفتحها قراءتان سبعيتان وقرئ بالمد بوزن سحابة والرأفة اشد الرحمة ويقال رؤف بالضم والفتح والكسر كعلم وقطع وطرب (قوله بان تتركوا شيأ من حدهما) اي لان اقامة الحدود فيها رضا الله ولما ورد اقامة حد لله تعالى في الارض خير من ان تمطروا اربعين صباحا (قوله في هذا) اي قوله ان كنتم تؤمنون الخ (قوله تحريض) اي حث على ما قبل الشرط وهو قوله ولا تاخذكم بهما رأفة فالواجب الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها (قوله وهو جوابه) أي كما هو رأي الكوفيين وقوله او دال اي كما هو رأي البصريين

الكرسي هو السرير الحسن (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) صفة كاشفة لا مفهوم لها (فانما حسابه) جزاؤه (عند ربه انه لا يفلح الكافرون) لا يسعدون (وقل رب اغفر وارحم) المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة (وانت خير الراحمين) افضل رحمة

﴿سورة النور مدنية وهي ثنتان اوار بع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذه (سورة انزلناها وفرضناها) مخففا ومشددا لكثرة المفروض فيها (وانزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالات (لعلكم تذكرون) بادغام التاء الثانية في الذال تتعظون (الزانية والزاني) اي غير المحصنين لرجمهما بالسنة وال فيما ذكر موصولة وهو مبتدا ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) اي ضربة يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر (ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله) أي حكمه بان تتركوا شيأ من حدهما (ان كنتم تؤمنون

بالله واليوم الآخر) اي يوم البعث في هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه او دال على جوابه

زانية اومشركة والزانية لا ينكحها الا زان أومشرك) اى المناسب لكل منهما ماذكر (وحرم ذلك) اى نكاح الزوانى (على المؤمنين) الاخيار نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين ان يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم (والذين يرمون المحصنات) العفيفات بالزنا (ثم لم ياتوا باربعة شهداء) على زناهن برؤيتهم (فاجلدوهم) اى كل واحد منهم (ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة) فى شئ (أبدا وأولئك هم الفاسقون) لاتيانهم كبيرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) عملهم (فان الله غفور) لهم قذفهم (رحيم) بهم بالهامهم التوبة فيها ينتهى فسقهم وتقبل شهادتهم وقيل لا تقبل رجوعا بالاستثناء الى الجملة الاخيرة (والذين يرمون أزواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) عليه (الا أنفسهم) وقع ذلك لجماعة من الصحابة (فشهادة أحدهم) مبتدأ (أربع شهادات) نصب على المصدر (بالله انه لمن الصادقين) فيما رمى به زوجته من الزنا (والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين)

(قوله وليشهد عذابهما طائفة) الامر للندب والطائفة الفرقة التى يمكن ان تكون حلقة (قوله قيل ثلاثة الخ) القولان للشافعى وعند مالك اقل ذلك أربعة (قوله اى المناسب لكل منهما ماذكر) أى فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية والمعنى ان الزانى يرغب فى نكاح الزانية اوالمشركة والزانية ترغب فى نكاح الزانى اوالمشرك (قوله وحرم ذلك على المؤمنين) اى لما فيه من المفاسد كالطعن فى النسب والتعرض للتهم والتشبه بالفساق فالواجب التزوج بالعفيفات لما فى الحديث تخيروا لنطفكم فان العرق دساس (قوله نزل ذلك) اى الآية وحينئذ فالمطابق لسبب النزول هو الجملة الثانية وانما ذكر الاولى زيادة فى التنفير (قوله وهن موسرات) اى غنيات (قوله خاص بهم) اى ولم ينسخ الى الآن (قوله وانكحوا الايامى) جمع ايم وهى من ليس لها زوج بكرا اوثيبا ومن ليس له زوجة وهو يشمل الزانى والزانية وغيرهما فغاية الامر ان نكاح الفاسق والفاسقة مكروه (قوله والذين يرمون المحصنات) تقدم ان الزانى والزانية اما ان يرجما ان كانا محصنين او يجلدا ان لم يكونا كذلك فبين ان الزانى أمره عظيم شديد لا بد وان يثبت اما باقرار او باربعة عدول فان انتفى واحد من ذلك حد المدعى فبين هذه الآية وماقبلها شدة مناسبة وقوله الذين مبتدا و يرمون صلته والخبر ثلاث جمل الاولى فاجلدوهم الثانية قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا الثالثة قوله وأولئك هم الفاسقون ومعنى يرمون المحصنات يتهمونهن فشبه الاتهام بالرمى بجامع التادية للهلاك فى كل لانه ان ثبت ذلك الامر فقد هلك المرمى وان لم يثبت فقد هلك الرامى وقوله المحصنات لا مفهوم له بل وكذا المحصنون وانما خصهن بالذكر لان الشان قوة شهوة النساء (قوله العفيفات) تفسير للمحصنات باعتبار اللغة لان الاحصان كما يطلق على العفة يطلق على التزوج وعلى الحرية ومفهوم قوله العفيفات انه اذا رمى غير عفيف لا يحد و يشترط زيادة على العفة ان يكون المرمى يتاتى منه الزنا او اللواط بان يكون ذا آلة فان رمى مجبوبا عزر ولا يحد وان يكون حرا مسلما مكلفا فان انتفى شرط منها لم يحد القاذف الا رامى الصبى باللواط به او الصبية المطيقين فعند مالك يحد وعند الشافعى يعزر (قوله بالزنا) أى او اللواط فى آدمى مطيق اوجنى تشكل بآدمى (قوله باربعة شهداء) اى عدول وقوله برؤيتهم متعلق بشهداء اى يشهدون بانهم رأوا الذكر فى الفرج ولا بد ان يتحدوا فى الرؤية والاداء فان اختلفوا ولو فى اى صفة حد الجميع (قوله ابدا) أى مادام مواصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء وعلى هذا درج مالك والشافعى وقال أبو حنيفة لا تقبل شهادتهم ولو تابوا (قوله الا الذين تابوا) استثناء متصل لان المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم (قوله من بعد ذلك) أى القذف (قوله فبها ينتهى فسقهم) هذا مبنى على رجوع الاستثناء للجملتين الاخيرتين وهو مذهب مالك والشافعى فعندهما ان التائب تقبل شهادته و يزول عنه اسم الفسق (قوله وقيل لا تقبل) هذا مذهب ابى حنيفة واتفق الجميع على ان القاذف يجلد وان تاب فليس الاستثناء راجعا الى الجملة الاولى (قوله أزواجهم) جمع زوج بمعنى الزوجة وحذف التاء افصح من اثباتها الا فى المواريث (قوله ولم يكن لهم شهداء) مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك وقال الشافعى له ترك البينة و يلاعن وأجاب عن الآية بانها خرجت على سبب النزول فانه لم يكن لهم بينة (قوله الا أنفسهم) بالرفع بدل من شهداء (قوله وقع ذلك) اى قذف الزوجة بالزنا (قوله لجماعة من الصحابة) اى وهم هلال بن أمية وعويمر العجلانى وعاصم بن عدى (قوله نصب على المصدر) اى والعامل شهادة وفى قراءة سبعية أيضا بالرفع خبر المبتدا (قوله من الزنا) اى او نفى الحمل لان اللعان كما يكون فى رؤية الزنا يكون فى نفى الحمل (قوله والخامسة ان لعنة الله الخ) بالرفع لا غير باتفاق السبعة وقوله ان تشهد

في ذلك وخبر المبتدا تدفع عنه حد القذف (ويدرأ) يدفع (عنها العذاب اى حد الزنا الذى ثبت بشهاداته (ان تشهد اربع) شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) فى ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بالستر فى ذلك (وان الله تواب) بقبوله التوبة فى ذلك وغيره (حكيم) فيما حكم به فى ذلك وغيره لبين الحق فى ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها (ان الذين جاؤا بالافك) اسوإ الكذب على عائشة رضى الله عنها ام المؤمنين بقذفها (عصبة منكم) جماعة من المؤمنين قالت حسان بن ثابت وعبد الله بن ابى ومسطح وحمنة بنت جحش (لا تحسبوه) ايها المؤمنون غير العصبة (شرا لكم بل هو خير لكم) ياجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه وهو صفوان فانها قالت كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بعد ما انزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شانى واقبلت الى الرحل فاذا عقدى انقطع هو بكسر المهملة الفلادة فرجعت ألتمسه وحملوا هودجى هوما يركب فيه على بعيرى يحسبونى فيه وكانت النساء خفافا انما ياكلن العلقة هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام اى القليل ووجدت عقدى وجئت بعد ما ساروا فجلست فى المنزل الذى كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدونى فيرجعون الى فغلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان قدعرس من وراء الجيش فادلج هما بتشديد الراء والدال اى نزل من آخر الليل للاستراحة فسار منه

أربع شهادات بالنصب لاغير باتفاق السبعة وقوله والخامسة ان غضب الله الخ يجوز فى السبعة رفعه ونصبه فتحصل أن الخامسة الاولى بالرفع لاغير وفى الثانية الوجهان ولفظ اربع الاول فيه الوجهان والثانى بالنصب لاغير وحكمة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب ان اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله وفى لعانه ابعاد الزوجة والولد وفى لعانها اغضاب الرب والزوج والاهل ان كانت كاذبة (قوله وخبر المبتدا) أى الذى هو قوله فشهادة أحدهم (قوله فى ذلك) أى فيما رماها به ﴿فائدة﴾ يترتب على لعانه دفع الحد عنه وقطع نسب الولد منه وايجاب الحد عليها وعلى لعانها دفع الحد عنها وتابيد تحريمها وفسخ نكاحها (قوله بالستر) متعلق بكل من فضل ورحمة (قوله لبين الحق فى ذلك) جواب لولا (قوله ان الذين جاؤا بالافك الخ) شروع فى ذكر الآيات المتعلقة بالافك وهى ثمانية عشر تنتهى بقوله أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ومناسبة هذه الآيات لما قبلها ان الله لما ذكر ما فى الزنا من الشناعة والقبح وذكر ما يترتب على من رمى غيره به وذكر انه لا يليق باحاد الامة فضلا عن زوجة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ذكر ما يتعلق بذلك (قوله أسوإ الكذب) أى أقبحه وأفحشه (قوله على عائشة) متعلق بالكذب وقد عقد عليها النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين أو سبع ودخل عليها بالمدينة وهى بنت تسع وتوفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة (قوله عصبة منكم) العصبة من العشرة الى الاربعين وان كان من عبنتهم وذكرتهم أربعة فقط لانهم هم الرؤساء فى هذا الامر (قوله من المؤمنين) أى ولو ظاهرا فان عبد الله بن أبى من كبار المنافقين (قوله قالت) أى عائشة فى تعيين أهل الافك (قوله وحمنة بنت جحش) هى زوجة طلحة بن عبيد الله (قوله لا تحسبوه شرا لكم) لمخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم (قوله بل هو خير لكم) أى لظهور كرامتكم على الله وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (قوله ياجركم الله به) أى بسبب الصبر عليه (قوله ومن جاء معها) أى يقود بها الراحلة (قوله وهو صفوان) أى السلمى ابن المعطل (قوله فى غزوة) قيل هى غزوة بنى المصطلق وكانت فى السنة الرابعة وقيل فى السادسة وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ضرار أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وردها عليهم (قوله بعد ما أنزل الحجاب) أى وهى قوله تعالى واذا سالتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب (قوله وأذن) بالمد والقصر أى اعلم (قوله وقضيت شانى) أى حاجتى كالبول مثلا (قوله فاذا عقدى انقطع) أى وكان من جزع اظفار وهو الخرز اليمانى غالى القيمة وكان أصله لامها أعطته لها حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لاختها أسماء (قوله التمسه) اى افتش عليه (قوله فجلست فى المنزل الذى كنت فيه) اى وهذا من حسن عقلها وجودة رايها فان من الآداب ان الانسان اذا ضل عن رفقته وعلم انهم يفتشون عليه ان يجلس فى المكان الذى فقدوه فيه ولا ينتقل منه فربما رجعوا فلم يجدوه (قوله فنمت) اى وكانت كثيرة النوم لحداثة سنها (قوله وكان صفوان قد عرس) اى وكان صاحب ساقة رسول الله لشجاعته وكان اذا رحل الناس قام يصلى ثم اتبعهم فما سقط منهم شئ الا حمله حتى ياتى به اصحابه (قوله فسار منه) اى فادلج بالتشديد سار من آخر الليل واما ادلج سار من اوله

(قوله فى منزله) اى منزل الجيش الذى مكثت فيه عائشة (قوله ووطئ على يدها) اى الراحلة خوف ان تقوم (قوله موغرين) أى أتينا الجيش فى وقت القيلولة (قوله فهلك من هلك) اى تكلم بما كان سببا فى هلاكه (قوله فى) اى بسببي (قوله ابن ابى) ابن سلول) نسب اولا لابيه ثم لامه (قوله انتهى قولها) هذا باعتبار ما اختصره والا فحديثها له بقية كما فى البخارى وهى فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا وهم يفيضون من قول اصحاب الافك ويريبنى فى وجعى انى لا ارى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين أمرض انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت بفتح فكسر اى برئت من مرضى فخرجت انا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول فى البرية او فى التنزه فاقبلت انا وأم مسطح بنت رهم نمشي فعثرت فى مرطها هو بكسر الميم كساء من صوف فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا وقالت يا هنتاه اى قليلة المعرفة الم تسمعى ما قالوا فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تيكم فقلت ائذن لى الى ابوى قالت وانا حينئذ اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوى فقلت لامى ما يتحدث به الناس قالت يا بنيتى هونى على نفسك الشان فوالله لما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقا لى دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق اهله فاما اسامة فاشار اليه بالذى يعلم من نفسه بالودلهم فقال اسامة هم اهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما على بن ابى طالب فقال لم يضق الله عليك والنساء سواها كثير واسال الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال يا بريرة هل رأيت فيها شيا يريبك فقالت بريرة لا والذى بعثك بالحق نبيا ان رأيت منها امرا أغمصه عليها هو بهمزة مفتوحة ففين معجمة فصاد مهملة اى اعيبه وانكره اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن العجين فيا تى الداجن هو بدال مهملة ثم جيم ما يا لف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيا كله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه فاستعذر من عبد الله بن ابى ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى من رجل بلغنى اذاه فى اهلى فوالله ما علمت فى اهلى الا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلى الا معى فقام سعد ابن معاذ وقال يا رسول الله انا والله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير فقال كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت وبكيت يومى لا يرقا لى دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندى ابواى وقد بكيت ليلتى ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدى قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى اذ استاذنت امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه فى شانى شيء قالت فتشهد ثم قال يا عائشة انه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت برية فسيبرئك الله وان كنت المممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى

فاصبح فى منزله فرأى سواد انسان نائم اى شخصه فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى اى قوله انا لله وانا اليه راجعون فخمرت وجهى بجلبابى اى غطيته بالملاءة والله ما كلمنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين اناخ راحلته ووطئ على يدها فركبتها فانطلق يقودنى الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة اى من اوغر واقفين فى مكان وغر من شدة الحر فهلك من هلك فى وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى ابن سلول اه قولها رواه الشيخان

أى انقطع جريانه حتى ما احس منه بقطرة وقلت لابى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما ادرى ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما ادرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيرا من القرآن فقلت انى والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس ووقر فى انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم انى برية والله يعلم انى لبريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم انى لبريئة لتصدقننى والله ما أجد لى ولكم مثلا الا ابا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وانا أرجو ان يبرئنى الله ولكن والله ما ظننت ان ينزل فى شانى وحى ولانا أحقر فى نفسى من ان يتكلم بالقرآن فى أمرى ولكن كنت أرجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام ان برح مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل عليه الوحى فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء أو الشدة والكرب حتى انه لينحدر منه مثل الجمان أى اللؤلؤ من العرق فى يوم شات فلما سرى أى كشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال يا عائشة احمدى الله فقد برأك الله فقالت أمى قومى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الآيات فلما انزل الله هذا فى براءتى قال ابو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه والله لا انفق على مسطح بشيء أبدا بعد ما قال فى عائشة فانزل الله عز وجل ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الآية الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح الذى كان يجرى عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال زينب بنت جحش عن أمرى فقال يا زينب ما علمت ما رأيت فقالت يا رسول الله احمى سمعى وبصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت وهى التى كانت تسامينى فعصمها الله بالورع انتهى (قوله لكل امرىء منهم) أى من العصبة (قوله ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اكتسب من الاثم فى الدنيا وهو لغير عبد الله بن أبى فانهم قد حدوا حد القذف وعمى حسان وشلت يده فى آخر عمره وعمى مسطح أيضا أو فى الدنيا والآخرة وهو لابن أبى فعذبه الله بخزى الدنيا والخلود فى النار (قوله لولا اذ سمعتموه) لما بين سبحانه وتعالى حال الخائضين فى الافك وانهما اكتسبوا الاثم شرع فى توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر الاول هذا والثانى لولا جاؤا عليه الخ والثالث ولولا فضل الله الخ الرابع اذ تلقونه الخ الخامس ولولا اذ سمعتموه الخ السادس يعظكم الله الخ السابع ان الذين يحبون الخ الثامن ولولا فضل الله عليكم الخ التاسع يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الى سميع عليم ولولا هنا للتوبيخ لدخولها على الماضى لان لولا لها ثلاثة أحوال اذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ واذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض واذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية وقد كررت هنا فى ست مواضع الاول والثانى والرابع توبيخية لا جواب لها والثالث والخامس والسادس شرطية ذكر جوابها فى الثالث والسادس وحذف فى الخامس فتدبر واذا ظرف لظن والمعنى كان ينبغى لكم بمجرد سماعه ان تحسنوا الظن فى أم المؤمنين ولا تصروا على الامر القبيح بعد سماعه (قوله بانفسهم) أى بابناء جنسهم فى الايمان والصحبة (قوله فيه التفات عن الخطاب) اى الى الغيبة اذ كان مقتضى الظاهر ظننتم وحكمته التسجيل عليهم والمبالغة فى توبيخهم (قوله لولا جاؤا عليه) أى الافك (قوله شاهدوه) أى عاينوا الزنا (قوله فى حكمه) أى الشرعى لان مداره على الشهادة والامر الظاهر وهذا جواب عما يقال انهم كاذبون عند الله مطلقا ولو أتوا بشهداء فاجاب بانهم كاذبون باعتبار حكم

قال تعالى (لكل امرىء منهم) اى عليه (ما اكتسب من الاثم) فى ذلك (والذى تولى كبره منهم) أى تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبى (له عذاب عظيم) هو النار فى الآخرة (لولا) هلا (اذ) حين (سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) اى ظن بعضهم ببعض (خيرا وقالوا هذا افك مبين) كذب بين فيه التفات عن الخطاب اى ظننتم ايها العصبة وقلتم (لولا) هلا (جاؤا) اى العصبة (عليه باربعة شهداء) شاهدوه (فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله) اى فى حكمه (هم الكاذبون) فيه

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم) ايها العصبة اى خضتم (فيه عذاب عظيم) فى الآخرة (اذ تلقونه بالسنتكم) اى يرويه بعضكم عن بعض وحذف من الفعل احدى التاءين واذ منصوب بمسكم أو بافضتم (وتقولون بافواهكم مالبس لكم به علم وتحسبونه هينا) لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) فى الاثم (ولولا) هلا (اذ) حين (سمعتموه قلتم مايكون) ماينبغ

(لنا أن نتكلم بهذا سبحانك) هو للتعجب هنا (هذا بهتان) كذب (عظيم يعظكم الله) ينهاكم (ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين) تتعظون بذلك (ويبين الله لكم الآيات) فى الامر والنهى (والله عليم) بما يامر به وينهى عنه (حكيم) فيه (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) باللسان (فى الذين آمنوا) بنسبتها اليهم وهم العصبة (لهم عذاب اليم فى الدنيا) بحد القذف (والآخرة) بالنار لحق الله (والله يعلم) انتفاءها عنهم (وأنتم) ايها العصبة بما قلتم من الافك (لا تعلمون) وجودها فيهم (ولولا فضل الله عليكم) ايها العصبة (ورحمته وان الله رؤف رحيم) بكم لعاجلكم بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أى طرق تزيينه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) اى المتبع (يامر بالفحشاء اى القبيح (والمنكر) شرعا باتباعها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم) ايها العصبة بما قلتم من الافك (من أحد أبدا) أى ماصلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة لو لم منه (ولكن الله يزكى) يطهر (من يشاء) من الذنب بقبول توبته منه (والله سميع) بما قلتم (عليم) بما قصدتم (ولا يأتل) يحلف (أولوا الفضل) اى اصحاب الغنى (منكم والسعة أن) لا (يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) نزلت فى ابى بكر حلف ان لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجرى بدرى

الشرع ولا شك انهم لو أتوا ببينة معتبرة لكان حكم الله انهم صادقون فى الظاهر فاراد الله ان يكذبهم ظاهرا وباطنا (قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لولا امتناعية وجوابها قوله لمسكم والمعنى امتنع مس العذاب لكم لوجود فضل الله ورحمته عليكم (قوله فيما افضتم فيه) اى بسببه وما اسم موصول وأفضتم صلته أو مصدرية أى بسبب الذى افضتم فيه او بسبب افاضتكم (قوله عذاب عظيم) اى لغير ابن سلول فان عذابه محتم (قوله اذ تلقونه بالسنتكم) اى تتلفظون به باللسان فقط دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون براءتها وانما تلفظهم بالافك محض حسد وعناد (قوله ولولا اذ سمعتموه) لولا توبيخية واذ ظرف لقلتم والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الامر ان تقولوا سبحانك وفصل بالظرف بين لولا وقلتم لانه يغتفر فى الظروف مالا يغتفر فى غيرها (قوله هو للتعجب هنا) اى مع التنزيه والمعنى تنزيها لك من انتهاك حرماتك فانه غير لائق بك ولا باحبابك الذين قلت فيهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا (قوله ينهاكم) اشار بذلك الى انه ضمن يعظكم معنى ينهاكم فعداه بعن (قوله ابدا) أى مدة حياتكم (قوله ان كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه اى فلا تعودوا لمثله (قوله باللسان) اى فالمراد باشاعتها اشاعة خبرها (قوله بنسبتها اليهم) اشار بذلك الى ان المراد بالذين آمنوا خصوص عائشة وصفوان (قوله وهم العصبة) تفسير للذين يحبون (قوله لحق الله) اى ذنب الاقدام وهو محمول على عبد الله بن أبى وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته (قوله وان الله رؤف رحيم) عطف على فضل الله (قوله لعاجلكم بالعقوبة) جواب لولا وخبر المبتدا محذوف والتقدير موجودان (قوله خطوات) بضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله ومن يتبع خطوات الشيطان) شرط حذف جوابه تقديره فلا يفلح ابدا وقوله فانه يامر الخ تعليل للجواب (قوله اى المتبع) هكذا بصيغة اسم المفعول وهو الشيطان (قوله باتباعهما) متعلق بيامر (قوله ما زكى منكم من احد ابدا) هذا يفيد أنهم تابوا وطهروا وهو كذلك الا عبد الله بن أبى فانه استمر على النفاق حتى هلك كافرا (قوله ولا يأتل) لا ناهية والفعل مجزوم بحذف الياء (قوله اى اصحاب الغنى) فى تفسير الفضل بالغنى نوع تكرار مع قوله والسعة وحينئذ فالمناسب تفسير الفضل بالعلم والدين والاحسان وكفى به دليلا على فضل الصديق (قوله ان لا يؤتوا) اشار المفسر الى ان الكلام على تقدير لا النافية (قوله أولى القربى) اى القرابة وقوله والمساكين والمهاجرين معطوف على أولى فهذه الاوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح (قوله حلف ان لا ينفق على مسطح) اى فبعد ذلك تاب وجاء الى ابى بكر واعتذر وقال انما كنت اغشو مجلس حسان واسمع منه ولا أقول فقال له ابو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل وكفر عن يمينه ﴿لطيفة﴾ وقع لابن المقرى انه وقع منه هفوة فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة فكتب الولد لابيه

لا تقطعن عادة برولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه * فان أمر الافك من مسطح
يحط قدر النجم من افقه * وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه

﴿فكتب اليه والده﴾

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة * توجب ايصالا الى رزقه

لما خاض فى الافك بعد ان كان ينفق عليه وناس من الصحابة اقسموا ان لا يتصدقوا على من تكلم شيء من الافك (وليعفوا وليصفحوا) عنهم فى ذلك (الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) للمؤمنين قال ابو بكر بلى انا احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح ما كان ينفقه عليه (ان الذين يرمون) بالزنا (المحصنات) العفائف (الغافلات) عن الفواحش بان لا يقع فى قلوبهن فعلها (المؤمنات) بالله ورسوله (لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم) ناصبه الاستقرار الذى تعلق به لهم (تشهد) بالفوقانية والتحتانية (عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) من قول وفعل وهو يوم القيامة (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) حيث حقق لهم جزاءه الذى كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن ابى والمحصنات هنا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر فى قذفهن توبة ومن ذكر فى قذفهن اول السورة التوبة غيرهن (الخبيثات) من النساء ومن الكلمات (للخبيثين) من الناس (والخبيثون) من الناس (للخبيثات) مما ذكر (والطيبات) مما ذكر (للطيبين) من الناس (والطيبون) منهم

لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق فى حقه

انتهى (قوله لما خاض فى الافك) ظرف لقوله حلف (قوله وليعفوا) اى أولوا الفضل (قوله وليصفحوا) اى ليعرضوا عن لومهم (قوله ورجع الى مسطح ما كان ينفقه عليه) اى وحلف ان لا ينزع نفقته منه ابدا ومسطح هو ابن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقبه (قوله الغافلات عن الفواحش) اى لسلامة صدورهن ونقاء قلوبهن واستغراقهن فى مشاهدة الله تعالى (قوله لعنوا فى الدنيا) اى بعدوا فيها عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين وقوله والآخرة اى بالعذاب ان لم يتوبوا (قوله ناصبه الاستقرار الخ) اى والتقدير وعذاب عظيم كائن لهم يوم تشهد (قوله بالفوقانية والتحتانية) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يومئذ) معمول ليوفيهم او ليعلمون (قوله جزاءهم الواجب عليهم) اشار بذلك الى ان المراد بالدين الجزاء لما فى الحديث كما تدين تدان (قوله هو الحق) اى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ومنهم عبد الله بن ابى) أتى بهذا ليصح قوله كانوا يشكون فيه فالشك من بعضهم واما حسان ومسطح وحمنة فهم مؤمنون لا يترددون فى الجزاء (قوله أزواج النبى) اى لان من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع لاشتراكهن فى العفة والصيانة والنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لم يذكر فى قذفهن توبة) اى مثل ما ذكر فيما تقدم فى قوله الا الذين تابوا (قوله ومن ذكر) مبتدأ وغيرهن خبره وهذا من باب التهويل والتعظيم لامر الافك والا فهو كغيره من سائر المعاصى التى تمحى بالتوبة واما بعد نزول الآيات فقد صار قذف عائشة رضى الله عنها بصفوان كفرا لمصادمة القرآن العظيم فاعتقاد براءتها شرط فى صحة الايمان (قوله الخبيثات للخبيثين) كلام مستانف سيق لتاكيد البراءة لعائشة وتقبيحا على من تكلم فيها والمعنى ان الجانسة من دواعى الانضمام فالخبيث لا يكاد يالف غير جنسه والطيب كذلك وهو بمعنى قولهم * وكل إناء بالذى فيه ينضح * (قوله والطيبات للطيبين) الاشارة بذلك لرسول الله وعائشة اى فحيث كان رسول الله اطيب الطيبين تبين بذلك ان عائشة من أطيب الطيبات (قوله من الناس ومن الكلمات) هذان قولان فى تفسير الخبيثات وقوله مما ذكر اى من الناس والكلمات (قوله اى اللائق بالخبيث مثله) اى من نساء او كلمات (قوله وقد افتخرت عائشة باشياء) منها ان جبريل عليه السلام اتى بصورتها فى سرقة حرير وقال هذه زوجتك ويروى انه اتى بصورتها فى راحته ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل الوحى عليه وهى معه فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وفى القرطبى قال بعض اهل التحقيق ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمى بالفاحشة برأه الله على لسان صبى فى المهد وان مريم لما رميت بالفحشاء برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام وان عائشة لما رميت بالفحشاء برأها الله بالقول فما رضى لها براءة صبى ولا نبى حتى براها الله بكلامه من القذف والبهتان انتهى (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الخ) لما ذكر الله احكام العفاف وكان من جملة العفاف عدم دخول منازل الغير الا باذن اهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك وسبب نزولها ان امرأة من الانصار قالت يا رسول الله انى اكون فى بيتى على حال لا احب ان يرانى عليها احد

(للطيبات) مما ذكر اى اللائق بالطيب مثله وبالطيب مثله (اولئك) الطيبون والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مبرؤون مما يقولون) اى الخبيثون والخبيثات من النساء فيهم (لهم) للطيبين والطيبات من النساء (مغفرة ورزق كريم) فى الجنة وقد افتخرت عائشة باشياء منها انها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا

غير بيوتكم حتى تستأنسوا) اى تستأذنوا (وتسلموا على أهلها) فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل كما ورد فى حديث (ذلكم خير لكم) من الدخول بغير استئذان (لعلكم تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الذال خيريته فتعملون به (فان لم تجدوا فيها احدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم) بعد الاستئذان (ارجعوا فارجعوا هو) اى الرجوع (ازكى) اى خير (لكم) من القعود على الباب (والله بما تعملون) من الدخول باذن وغير اذن (عليم) فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع) اى منفعة (لكم) باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة (والله يعلم ما تبدون) تظهرون (وما تكتمون) تخفون فى دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسياتى انهم اذا دخلوا بيوتهم يسلمون على انفسهم (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) عما لا يحل لهم نظره ومن زائدة (ويحفظوا فروجهم) عما لا يحل لهم فعله بها (ذلك ازكى) اى خير (لهم ان الله خبير بما يصنعون) بالابصار والفروج فيجازيهم عليه (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) عما لا يحل لهن نظره (ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن فعله بها (ولا يبدين) يظهرن

لا والدا ولد فيأتى الاب فيدخل على وانه لا يزال يدخل على رجل من اهلى وانا على تلك الحالة فنزلت (قوله غير بيوتكم) اى غير محل سكنكم وحينئذ فقد خرج مالك ذات الدار اذا دخل على مكتريها فيجب عليه الاستئذان لانه قد صدق عليه انه غير بيته (قوله حتى تستأنسوا) من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش سمى بذلك لان المستأذن مستوحش فاذا اذن له فقد زال الاستيحاش (قوله فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل) اشار بذلك الى ان السلام مقدم على الاستئذان وهو قول الاكثر والحق التفصيل فان وقع بصره على احد فى البيت قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير الاول اعلام والثانى للتهيؤ والثالث استئذان فى الدخول أو الرجوع واذا اتى الباب لا يستقبله من تلقاء وجهه بل يجئ من جهة ركنه الايمن أو الايسر واذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه ولا يكتفى بقوله انا مثلا لما روى عن جابر بن عبد الله قال استأذنت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت انا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أنا كانه كرهه ذلك لعدم افادته فالواجب ان يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين اراد الدخول على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مشربة فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم أيدخل عمر (قوله من الدخول بغير استئذان) اى ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتكم صباحا حييتكم مساء فربما اصاب الرجل مع امراته فى لحاف (قوله بادغام التاء الثانية فى الذال) اى بعد قلبها ذالا فذالا (قوله احدا يأذن لكم) السالبة تصدق بنفى الموضوع فهو صادق بان لا يكون فيها احدا اصلا أو فيها من لا يصلح للاذن أو فيها من يصلح لكن لم يأذن (قوله حتى يؤذن لكم) اى حتى يأتيكم الاذن ولو مع خادم يوثق به (قوله هو ازكى) اى اطهر للامن من الرذائل والدنآت (قوله ليس عليكم جناح) هذا كالاستثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم وسبب نزولها ان ابا بكر رضى الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال يا رسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت (قوله غير مسكونة) اى غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة كالربط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها (قوله باستكنان) اى طلب كن يستتر فيه من الحر والبرد وقوله وغيره كالبيع والشراء (قوله المسبلة) اقتصر عليها لان مورد سؤال ابى بكر فى الخانات المسبلة التى بين مكة والشام (قوله وسياتى) اى فى آخر السورة فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اى قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليكم اى وان كان بها اهل فسلموا عليهم (قوله قل للمؤمنين الخ) شروع فى ذكر احكام تعم المستأذنين وغيرهم (قوله يغضوا) اى يخفضوا (قوله ومن زائدة) اى يغضوا ابصارهم وحكمة دخول من فى غض البصر دون حفظ الفرج الاشارة الى ان امر النظر اوسع من امر الفرج (قوله ذلك ازكى لهم) اى لانه ابعد للريبة ولا مفهوم للبصر والفرج بل باقى الجوارح كذلك وخص البصر والفرج بالذكر لانهما مقدمتان لغيرهما من الجوارح (قوله فيجازيهم عليه) اى فالغاض يجازى بالحسنات وغيره يجازى بالسيئات (قوله وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) هذا امر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغض الابصار وحفظ الفروج وبسط الكلام فى شانهن لان النساء شانهن التبرج والخيلاء والعجب لما روى اذا اقبلت المرأة جلس ابليس على راسها فزينها لمن ينظر واذا ادبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر وقد اشتملت هذه الآية على خمس وعشرين ضميرا للاناث ما بين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير فى القرآن فى هذا الشان (قوله عما لا يحل لهن فعله بها) اى عن الامر الذى لا يحل فعله بالفروج كان تمكن المرأة من فرجها غير زوجها نظرا أو فعلا

ز ينتهن الا ماظهر منها) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لاجنبي ان لم يخف فتنة في احد وجهين والثاني يحرم لانه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اي يسترن الرؤس والاعناق والصدور بالمقانع (ولا يبدين زينتهن)

(قوله زينتهن) أي موضع زينتهن (قوله فيجوز نظره لاجنبي الخ) هذا مذهب مالك واحد قولين عند الشافعي (قوله حسما للباب) اي سدا للذريعة (قوله وليضربن بخمرهن) أي يلقين خمرهن على موضع جيوبهن وهو العنق والجيب في الاصل طوق القميص وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها فامرن بارسال خمرهن على جيوبهن سترا لما يبدو منها (قوله زينتهن) أي مواضع زينتهن (قوله الا لبعولتهن) حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعا آخرها الطفل (قوله او آبائهن) اي وان علوا (قوله او ابنائهن) اي ولو من الرضاع وان سفلوا (قوله او اخوانهن) جمع أخ كان من نسب او رضاع (قوله او نسائهن) اي نساء جنسهن اللاتي اشتركن معهن في الايمان فيخرج الكافرات (قوله فيجوز لهم نظره) أي يجوز للرجال المحارم رؤية ما عدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء و يجوز لهن نظر ذلك منهم وهذا مذهب الشافعي وعند مالك لا يحل للرجال المحارم الا نظر الوجه والاطراف من النساء المحارم واما النساء فيحل لهن نظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم (قوله فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن) أي باتفاق مالك والشافعي لئلا تصفها الكافرة لاهل دينها فتحصل المفاسد (قوله العبيد) أي فيجوز ان يكشفن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الحابين وهذا مذهب الشافعي وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره فالوغد يرى من سيدته الوجه والاطراف وغيره كالحر الاجنبي يرى منها الوجه والكفين (قوله او التابعين) الحق ان المراد بالتابع الشيخ الهرم الذي لا يشتهي النساء أو الابله الذي لا يعرف الارض من السماء ولا الرجل من المرأة (قوله غير أولي الاربة) بالكسر الحاجة (قوله من الرجال) حال من التابعين اي فيجوز لمن ذكر نظر ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي وعند مالك يحل نظر الوجه والاطراف فقط (قوله الذين لم يظهروا على عورات النساء) اعلم ان الصبي اما ان لا يبلغ أن يحكي ما رأى وهذا غيبته كحضوره أو ان يبلغه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالمحرم او يعرف امر الجماع، الشهوة وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي (قوله ليعلم ما يخفين من زينتهن) أي فان ذلك يورث الرجال ميلا اليهن وهذا من باب سد الباب وتعليم الاحوط والا فصوت الخلخال مثلا ليس بعورة (قوله وتوبوا الى الله جميعا) هذا حسن اختتام لهذه الآية كان الله يقول لا تقنطوا من رحمتي فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليتب فان التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود (قوله تغليب الذكور) أي في قوله وتوبوا الخ (قوله وانكحوا الايامى منكم الخ) الخطاب للاولياء والسادات والانكاح تزويج الغير (قوله جمع أيم) أي بوزن فيعل قيل غير مقلوب وقيل ان الاصل أيائم فقلب (قوله وهي من ليس لها زوج الخ) اي فلفظ الايم يطلق على كل من الرجل والمرأة الغير المتزوجين سواء سبق لهما تزوج اولا والامر للوجوب ان خيف الزنا على المرأة او الرجل او اضطرت المرأة النفقة لكن المرأة زوجها لها الحل، تزوج بنفسها ان كان رشيدا واذن له ولي [illegible] وتارة يكون كالمرأة لمن يخاف زناها ولا يمكنه تزويجها لعدم كفء او لغير ذلك وتارة يكون كالمرأة لمن يخاف زناها ولا يمكنه تزويجها لعدم كفء او لغير ذلك وتارة يكون كالمرأة لمن يخاف زناها ولا يمكنه تزويجها لعدم كفء او لغير ذلك (قوله والصالحين في الاحرار الخ) اي بقرينة

(ولا يبدين زينتهن) الخفية وهي ماعدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) جمع بعل اي زوج (او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن) فيجوز لهم نظره الا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الازواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن وشمل ما ملكت ايمانهن العبيد (او التابعين) في فضول الطعام (غير) بالجر صفة والنصب استثناء (اولى الاربة) اصحاب الحاجة الى النساء (من الرجال) بان لم ينتشر ذكر كل (او الطفل) بمعنى الاطفال (الذين لم يظهروا يطلعوا (على عورات النساء) للجماع فيجوز ان يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) من خلخال يتقعقع (وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون) مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره (لعلكم تفلحون)

تنجون من ذلك لقبول التوبة منه وفي الآية تغليب الذكور على الاناث (وانكحوا الايامى منكم) جمع ايم وهي من ليس لها زوج بكرا كانت او ثيبا ومن ليس له زوج وهذا في الاحرار والحرائر (والصالحين)

أى المؤمنين (من عبادكم وإمائكم) وعبادمن جموع عبد (ان يكونوا) اى الاحرار (فقراء يغنهم الله) بالتزوج (من فضله والله واسع) خلقه (عليم) بهم (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) اى ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا (حتى يغنيهم الله)

يوسع عليهم (من فضله) فينكحون (والذين يبتغون الكتاب) بمعنى المكاتبة (مما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا) أى أمانة وقدرة على الكسب لاداء مال الكتابة وصيغتها مثلا كاتبتك على ألفين فى شهرين كل شهر ألف فاذا أديتهما فانت حر فيقول قبلت (وآتوهم) أمر للسادة (من مال الله الذى آتاكم) ما يستعينون به فى أداء ما التزموه لكم وفى معنى الايتاء حط شئ مما التزموه (ولا تكرهوا فتياتكم اى اماءكم (على البغاء) اى الزنا (ان أردن تحصنا تعففا عنه وهذه الارادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط (لتبتغوا) بالاكراه (عرض الحياة الدنيا) نزلت فى عبد الله بن أبى كان يكره جواريه على الكسب بالزنا (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور) لهن (رحيم) بهن (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء وكسرها فى هذه السورة بين فيها ماذكر او بينة (ومثلا) خبرا عجيبا وهو خبر عائشة (من الذين خلوا من قبلكم) اى من جنس أمثالهم اى أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم (وموعظة للمتقين) فى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا اذا سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا اذ سمعتموه قلتم الخ يعظكم الله ان تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين لانهم المنتفعون بها (الله نور السموات والارض) اى منورهما بالشمس والقمر

قوله واما ئكم (قوله اى المؤمنين) اى فالعبيد المؤمنون يزوجون وجوبا ان خيف بتركه الزنا وهذا عند الشافعى وعند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده ولو خاف العبد الزنا وحينئذ فالامر عنده للندب (قوله من عبادكم) اى فيزوج سيده ولو بحرة وقوله واما ئكم اى فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا الحر بشرط ان لا يجد للحرائر طولا وان يخشى الزنا ومحل الشرطين ان لم يكن عقيما (قوله من جموع عبد) اى وله جموع أخر كعبيد وأعابد واعبد ونحو ذلك (قوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) اى فان فى فضل الله كفاية عن المال لقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الغنى بالتزوج فالمهم تزوج الصالحين من عباد الله نساء ورجالا وان كانوا فقراء لما فى الحديث تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك (قوله والله واسع) اى ذو العطايا العظيمة التى لا تنفد (قوله عليم بهم) اى بحالهم فيغنيهم (قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) اى ليجتهدوا فى طلب العفة وتحصيل أسبابها وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء او يكون بملازمة الصوم والرياضة لما فى الحديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ويكون بترك استعمال العقاقير التى تقوى الشهوة واستعمال ضدها (قوله اى ما ينكحون به) اى فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب (قوله عن الزنا) قدره اشارة الى أن متعلق يستعفف محذوف (قوله والذين) اسم موصول مبتدا و يبتغون صلته والكتاب معمول ليبتغون وقوله مما ملكت أيمانكم حال من فاعل يبتغون وقوله فكاتبوهم الجملة خبر وقرن بالفاء لما فى المبتدا من معنى الشرط (قوله بمعنى المكاتبة) اى وهى مفاعلة لان السيد كتب على نفسه العتق والعبد كتب على نفسه النجوم (قوله فكاتبوهم) الامر للندب (قوله اى أمانة) اى فى دينه (قوله وقدرة على الكسب) أى بحرفة وغيرها (قوله وآتوهم) الامر قيل للندب وقيل للوجوب (قوله حط شئ) اى وهو أفضل من الاعطاء لانه قد يصرفه فى غير جهة الكتابة والافضل ان يكون ذلك الحط فى آخر نجم (قوله ولا تكرهوا فتياتكم) جمع فتاة ولا مفهوم للاكراه بل الرضا بالزنا من الكبائر وانما عبر به لانه سبب النزول (قوله على البغاء) هو مصدر بغت المرأة تبغى بغاء اى زنت وهو مختص بزنا النساء (قوله ان أردن تحصنا) لا مفهوم له بل يحرم الاكراه على الزنا وان لم يردن التحصن وانما نص على ذلك لانه الواقع من عبد الله بن أبى الذى نزلت فى حقه الآية (قوله محل الاكراه) اى فلا يتحقق الاكراه الا عند تلك الارادة وأما عند ميلهن له فذلك باختيارهن فلا يتصور الاكراه حينئذ فالتقييد لاجل صحة قوله تكرهوا (قوله كان يكره جواريه) اى وكن ستا فشكا ثنتان منهن للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية (قوله غفور لهن) اى ما وقع منهن لان المكره وان لم يكن آثما فلربما يحصل منه بعض ميل والاكراه المبيح للزنا هو خوف القتل أو ضرب المؤدى له أو لتلف عضو واما القتل فلا يباح بخوف القتل بل يسلم نفسه ولا يقتل غيره واما ترك الصلاة مثلا فالاكراه عليه يحصل بالضرب ونحوه (قوله بفتح الياء وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بين فيها ماذكر) راجع للفتح وقوله او بينة راجع للكسر (قوله ومثلا) عطف على آيات (قوله اى من جنس أمثالهم) أشار بذلك الى ان فى الآية حذف مضافين والاصل ومثلا من جنس أمثال الذين خلوا (قوله الله نور السموات والارض) اعلم ان حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أولا وتدرك بواسطتها سائر المبصرات

المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لها وهو بهذا المعنى مستحيل اطلاقه على الله تعالى وحينئذ فيجاب عن الآية بان معنى كونه نور السموات والارض خالق النور فى السموات بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة وفى الارض بالمصابيح والسرج والشموع والانبياء والعلماء والصالحين وافاد هذا المفسر بقوله اى منورهما وقيل معنى نور السموات والارض مظهرهما لان النور كما يطلق على الكيفية يطلق على الظاهر فى نفسه المظهر لغيره وهو بهذا المعنى يصح اطلاقه على الله تعالى فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهر الاشياء من العدم الى الوجود قال ابن عطاء الله فى الحكم الكون كله ظلمة أنار ه ظهور الحق فيه فوجود العالم بوجود الله اذ لولا وجود الله ما وجد شئ من العالم (قوله مثل نوره) مبتدأ وقوله كمشكاة خبر والمثل بمعنى الصفة والكلام على حذف مضاف اى كمثل مشكاة (قوله اى صفته فى قلب المؤمن) اشار بذلك الى ان فى الكلام شبه استخدام حيث ذكر النور أولا بمعنى ثم ذكره ثانيا بمعنى آخر فتحصل انه فسر النور اولا بالحسي وثانيا بالمعنوى (قوله كمشكاة) اختلف فى هذه اللفظة قيل عربية وقيل حبشية معربة (قوله فى زجاجة) واحدة الزجاج وفيه ثلاث لغات الضم وبه قرأ العامة والفتح والكسر وبهما قرئ شذوذا (قوله هى القنديل) بكسر القاف (قوله الموقودة) صوابه الموقدة (قوله غير النافذة) قيد به لانه فى تلك الحالة اجمع للنور (قوله اى الانبوبة) هى السنبلة التى فى القنديل وهو تفسير آخر للمشكاة وحينئذ فكان المناسب للمفسر ان يقول او الانبوبة فتحصل انه اختلف فى المشكاة فقيل هى الطاقة الغير النافذة التى وضع فيها القنديل وعليه فهى ظرف للقنديل وقيل هى السنبلة التى تكون وسط القنديل توضع فيها الفتيلة وعليه فالقنديل ظرف لها (قوله بكسر الدال وضمها) اى مع الهمزة قراءتان سبعيتان وقوله وبضمها وتشديد الياء قراءة سبعية أيضا فتكون القراآت ثلاثا (قوله بمعنى الدفع) اى وبابه قطع (قوله منسوب الى الدر) اى لشدة صفائه (قوله بالماضي الخ) حاصله ان القراآت ثلاث سبعيات بالماضى وبالمضارع بالتحتانية ويكون الضمير عائدا على المصباح وبالفوقانية ويكون الضمير عائدا على الزجاجة على حذف مضاف اى فتيلة الزجاجة (قوله من زيت شجرة) من ابتدائية وأشار المفسر الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله مباركة) اى لكثرة منافعها قال ابن عباس فى الزيتون منافع يسرج بزيته وهو ادام ودهان ودباغ ووقود وليس فيه شئ الا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم وهى اول شجرة نبتت فى الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت فى منازل الانبياء والارض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله لا شرقية ولا غربية) بالجر صفة لشجرة وقرئ شذوذا بالرفع خبر لمحذوف أى لا هى شرقية ولا هى غربية والجملة فى محل جر نعت لشجرة (قوله بل بينهما الخ) اشار بذلك الى ان المراد بقوله لا شرقية ولا غربية انها متوسطة لا شرقية فقط ولا غربية فقط بل بينهما وهى الشام فان زيتونه اجود الزيتون وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا نبات فى مقناة ولا خير فيهما فى مضحى والمقناة بقاف ونون مفتوحة او مضمومة فهمزة المكان الذى لا تطلع عليه الشمس والمضحى هو الذى تشرق عليه دائما فتحرقه وهو احد قولين وقيل معنى لا شرقية ولا غربية ان الشمس تبقى عليها دائما من اول النهار لآخره لا يوارى بها عن الشمس شئ كالتى تكون فى الصحارى الواسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى وعلى هذا فلا يتقيد بشام ولا غيرها (قوله مضرين) هذا هو محل النفى وهو حال (قوله ولو لم تمسسه نار) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير لاضاء (قوله نور به) اى الزيت وقوله على نور رأى مع نوره هو نور المصباح والزجاجة فالانوار المشبه بها متعددة كانوار المشبه فليس المقصود فى الآية التثنية بل

(مثل نوره) أى صفته فى قلب المؤمن (كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) هى القنديل والمصباح السراج اى الفتيلة الموقودة والمشكاة الطاقة غير النافذة اى الانبوبة فى القنديل (الزجاجة كانها) والنور فيها (كوكب درى) اى مضئ بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام وبضمها وتشديد الياء منسوب الى الدر اللؤلؤ (توقد) المصباح بالماضي وفى قراءة بمضارع اوقد مبنيا للمفعول بالتحتانية وفى اخرى توقد بالفوقانية اى الزجاجة (من) زيت (شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين (يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار) لصفائه (نور) به (على نور) بالنار

الكثرة وتراكم الانوار (قوله ونور الله اى هداه الخ) اى فبراهين الله تزداد فى قلب المؤمنين برهانا بعد برهان ان قلت لم ضرب المثل بنور الزيت ولم يضربه بنور الشمس والقمر والشمع مثلا اجيب بان الزيت فيه منافع ويسهل لكل احد كما ان المؤمن الكامل الايمان منافعه كثيرة واختلف فى هذا التشبيه هل هو تشبيه مركب بان قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر الى مقابلة جزء بجزء وذلك بان يراد مثل نور الله الذى هو هداه وبراهينه الساطعة كجملة النور الذى يتخذ من هذه الهيئة او تشبيه جزء بجزء بان يشبه صدر المؤمن بالمشكاة وقلبه بالزجاجة ومعارفه بالزيت وايمانه بالمصباح (قوله يهدى الله لنوره من يشاء) اى من يريد هدايته فان الاسباب دون مشيئته لاغية ولولا العناية ما كان الوصول لذلك النور (قوله اى دين الاسلام) المراد به ما يشمل الايمان وهو الذى ضرب له المثل المتقدم والظاهر فى مقام الاضمار اعتناء بشانه (قوله ويضرب الله الامثال للناس) اى تقريبا للمعقول من المحسوس فحيث كان نور الايمان والمعارف مثله هكذا فلا تدخل شبهة على المؤمن الاشاهدها بعين البصيرة كما تشاهد بعين البصر ويشهد الحق بعين البصيرة كما يشهده بعين البصر وفى هذا المقام تنافس المتنافسون فادناهم اهل المراقبة واعلاهم اهل المشاهدة ومن هذا المعنى قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقوله فى الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقوله فى الحديث ايضا الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وللعارفين تعننات وضرب امثال فى هذه المقامات لا يدركها الا من كان من اهل هذا النور (قوله فى بيوت) المراد بها جميع المساجد وقيل خصوص مساجد اربع الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباء لانه لم يبنها الا نبي فالكعبة بناها ابراهيم واسماعيل وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقرب الاول لان العبرة بعموم اللفظ (قوله يتعلق بيسبح الآتى) اى سواء قرئ مبنيا للفاعل أو المفعول وكرر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشان المساجد لما ورد بيوت الله فى الارض تضئ لاهل السماء كما تضئ النجوم لاهل الارض ويصح ان يكون متعلقا بمحذوف دل عليه قوله يسبح والتقدير يسبحوا بكم فى بيوت وعلى هذين فالوقف على عليم ويصح ان يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة او لمصباح أو لزجاجة أو متعلق بتوقد وعلى هذه الاربعة لا توقف على عليم (قوله أذن الله) اى امر والجملة صفة لبيوت وان ومادخلت عليه فى تاويل مصدر مجرور بالباء المقدرة والتقدير امر الله برفعها (قوله تعظم) اى حسا ومعنى فالتعظيم الحسي رفعها بالبنيان المتين الحسن مساويا لبنيان البلد او أعلى ولا منافاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام اذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم لان المنهى عنه الزخرفة والتزويق لاحسن البنيان واتقانه ومن التعظيم الحسى تطهيرها من الاقذار والنجاسات قال القرطبي كره بعض اصحابنا تعليم الصبيان فى المساجد لانهم لا يتحرزون عن الاقذار والاوساخ فيؤدى ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم واقامة حدودكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم وجمروها فى الجمع واجعلوها لها على ابوابها المطاهر والتعظيم المعنوى بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوى وغير ذلك مما لا يعنى (قوله ويذكر فيها اسمه) اى بأى ذكر كان (قوله بفتح الموحدة وكسرها) اى فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الفتح يكون نائب الفاعل احد المجرورات الثلاث والاول أولى ولذا اقتصر عليه المفسر ورجال فاعل فعل محذوف أو خبر لمحذوف تقديره يسبحه أو المسبح وعليه فالوقف على الآصال وعلى الكسر فرجال فاعله ولا يوقف على الآصال (قوله اى يصلى) فسر التسبيح بالصلاة لاشتمالها عليه واختلف فى المراد بالصلاة فقيل المراد صلاة الصبح فى الغدو وباقى

ونور الله اى هداه للمؤمن نور على نور الايمان (يهدى الله لنوره) اى دين الاسلام (من يشاء ويضرب) يبين (الله الامثال للناس) تقريبا لافهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شئ عليم) ومنه ضرب الامثال (فى بيوت) متعلق بيسبح الآتى (أذن الله ان ترفع) تعظم (ويذكر فيها اسمه) بتوحيده (يسبح) بفتح الموحدة وكسرها اى يصلى (له فيها بالغدو)

الخمس فى الآصال وقد أشار لهذا المفسر بقوله من بعد الزوال وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل انهما الصلاة الوسطى (قوله مصدر) أى فى الاصل وأما هنا فالمراد منه الازمنة (قوله أى البكر) أى وهى أوائل النهار وقوله العشايا هى أواخر النهار (قوله رجال) خصوا بالذكر لان شانهم حضور المساجد للجمعة والجماعة (قوله شراء) خص التجارة بالشراء وان كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضا لذكره البيع بعده وقيل المراد بالتجارة حقيقتها ويكون خص البيع بالذكر لان الاشتغال به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع ناجزا محققا والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله (قوله عن ذكر الله) أى عن حقوق الله صلاة أو غيرها فقوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة من ذكر الخاص بعد العام اعتناء بشانهما فان المواظب عليهما كامل الايمان (قوله واقام الصلاة) أى أدائها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله يخافون يوما) أى هؤلاء الرجال وان اكثروا الذكر والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى لعلمهم بانهم ما عبدوه حق عبادته (قوله بين النجاة والهلاك) راجع لتقليب القلوب وقيل معنى تقلب القلوب ارتفاعها الى الحناجر فلا تنزل ولا تخرج من شدة الهول (قوله بين ناحية اليمين والشمال) وقيل تقلب الابصار شخوصها من هول الامر وشدته (قوله ليجزيهم الله) اللام للعاقبة والصيرورة أى ان مآل أمرهم وعاقبته الجزاء الحسن وليست لام العلة لان هذه مرتبة عامة المؤمنين وتلك الاوصاف انما هى الكامل الايمان (قوله وأحسن بمعنى حسن) أى فالمحترز عنه المجازاة على القبيح فالمعنى يجازون على كل عمل حسن قال تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ولا يجازون على ما سبق من العمل القبيح (قوله ويزيدهم من فضله) أى فلا يقتصر فى اعطائهم على جزاء أعمالهم بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم (قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب) تذييل ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يفى به الحساب (قوله يقال فلان ينفق بغير حساب الخ) أى فهو كناية عن كون الله يعطيهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بغير نهاية فوق ما وعدهم به (قوله والذين كفروا الخ) لما ضرب الله المثل للمؤمنين باشرف الامثال واعلاها ضرب المثل للكفار باشر الاشياء وأخسها والحاصل أن الله ضرب للكفار مثلين مثل لاعمالهم الحسنة بقوله كسراب الخ ومثل لاعمالهم السيئة بقوله أو كظلمات الخ والاسم الموصول مبتدأ وكفروا صلته وأعمالهم مبتدأ ثان وكسراب خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاول ويصح أن يكون أعمالهم بدل اشتمال وكسراب خبر الذين (قوله أعمالهم) أى الصالحة كصدقة وعتق وغير ذلك مما لا يتوقف على نية (قوله بقيعة) الباء بمعنى فى كما يشير له المفسر بقوله اى فى فلاة (قوله جمع قاع) اى كجيرة جمع جار وقيل القيعة مفرد بمعنى القاع (قوله يشبه الماء الجارى) اى ويسمى آلا ايضا قال الشاعر

اذا ما الآل الذى لا يجرى لورد * الى آل فلم يدرك بلالا

ويسمى سرابا لانه يتسرب اى يجرى كالماء (قوله يحسبه) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان وماضيه حسب بكسر السين وهو من باب تعب فى لغة جميع العرب الا بنى كنانة فانهم يكسرون المضارع مع كسر الماضى ايضا (قوله الظمآن) اى وكذا كل من رآه وانما خص الظمآن لانه احوج اليه من غيره (قوله حتى اذا جاءه) اى جاء ما قصده وظنه ماء وهو غاية فى محذوف اى يستمر سائرا اليه حتى اذا جاءه الخ (قوله كذلك الكافر الخ) اشار بذلك الى وجه الشبه فتحصل انه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده ان عمله الصالح ينفعه فى الآخرة فاذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته بحال الظمآن الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد

مصدر بمعنى الغدوات اى البكر (والآصال) العشايا من بعد الزوال (رجال) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كانه قيل من يسبحه (لا تلهيهم تجارة) اى شراء (ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة) حذف هاء اقامة تخفيف (وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب) تضطرب (فيه القلوب والابصار) من الخوف القلوب بين النجاة والهلاك والابصار بين ناحيتى اليمين والشمال هو يوم القيامة (ليجزيهم الله احسن ما عملوا) اى ثوابه واحسن بمعنى حسن (ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) يقال فلان ينفق بغير حساب اى يوسع كانه لا يحسب ما ينفقه (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة) جمع قاع اى فى فلاة وهو شعاع يرى فيها نصف النهار فى شدة الحر يشبه الماء الجارى (يحسبه) يظنه (الظمآن) اى العطشان (ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب ان عمله كصدقة ينفعه حتى اذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله اى لم ينفعه

السراب تعلق به فاذا جاءه لم يجده شيا (قوله ووجد الله) اى وجد وعد الله بالجزاء على عمله أو المعنى وجد عذاب الله له (قوله اى جازاه عليه فى الدنيا) المعنى ان الكافر يوم القيامة يعلم و يتحقق ان الله جازاه على اعماله الحسنة التى لم تتوقف على نية فى الدنيا بالمال والبنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا هكذا قال المفسر وهو وان كان صحيحا فى نفسه الا أن المفسرين على خلافه فانهم قالوا معنى وفاه حسابه جازاه عليه فى الآخرة بالعذاب والحاصل انه ان أريد مثل اعماله الصالحة التى تتوقف على نية فسلم انه لا يجد لها جزاء فى الآخرة ولا تنفعه أصلا وان أريد خصوص مالا يتوقف على نية فقيل لا يجد لها نفعا اصلا وقيل يجد نفعها اما فى الدنيا كتوسعتها عليه وعافيته وغير ذلك او فى الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر (قوله او كظلمات) اوللتقسيم أى ان اعمال الكافر تنقسم قسمين قسم كالسراب وهو العمل الصالح وقسم كالظلمات وهو العمل السيئ وقوله أو كظلمات معطوف على قوله كسراب على حذف مضاف تقديره أو كذى ظلمات يدل عليه قوله اذا أخرج يده لم يكد يراها (قوله لجى) منسوب للج او اللجة وهو الماء الغزير (قوله يغشاه موج الخ) اى يعلوه وهو اشارة الى كثرة الامواج وتراكمها والمعنى ان البحر اللجى يكون باطنه مظلما بسبب غزارة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان مع ذلك سحاب ازدادت الظلمة جدا ووجه الشبه ان الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات ظلمة البحر والامواج والسحاب كذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة الفعل (قوله من فوقه سحاب) اى قد غطى انوار النجوم (قوله هذه ظلمات) شار بذلك الى ان قوله ظلمات خبر لمحذوف (قوله اذا اخرج يده) خصها لانها اقرب الاشياء اليه (قوله ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) استفيد من هذا ان النور ليس بالحول ولا بالقوة بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء والمعنى من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له (قوله الم تر) الخطاب لكل عاقل وهو توبيخ للكفار كان الله يقول لهم ان تسبيحى ليس قاصرا عليكم بل جميع من فى السموات والارض يسبحونى (قوله ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك توطئة لقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه فالصلاة مندرجة فى عموم التسبيح (قوله والطير) بالرفع عطف على من والنصب على المعية، صافات بالنصب على الحال على كل من القراءتين وقرئ شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر ومفعول صافات محذوف اى احنحتها (قوله بين السماء والارض) اشار بهذا الى ان العطف مغاير لانه فى حالة الطيران يكون بين السماء والارض (قوله قد علم الله صلاته الخ) اشار بذلك الى ان الضمير فى علم عائد على الله و يصح عوده على كل اى علم كل صلاة نفسه وتسبيحها (قوله فيه تغليب العاقل) اى حيث عبر بالفعل (قوله خزائن المطر والرزق) راجع للسماء وقوله والنبات راجع للارض وفى كلام المفسر اشارة الى ان الكلام على حذف مضاف والاصل ولله ملك خزائن السموات والارض والاصح ابقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره وعلى كل فهو من ادلة تنزيه المخلوقات له (قوله والى الله المصير) اى مرجع الخلائق كلها الى الله فيجازى كل احد بعمله (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل لا خصوص النبى صلى الله عليه وسلم لان من تامل ذلك حصل له العلم به (قوله ثم يؤلف بينه) اى بين اجزائه لان كل جزء سحاب وبهذا اندفع ماقيل ان بين لا تدخل الا على متعدد والى هذا يشير المفسر بقوله يضم بعضه الى بعض الخ (قوله ركاما) الركام الشئ المتراكم بعضه على بعض (قوله فترى الودق) اى تبصره (قوله مخارجه) اى ثقبه فالسحاب غربال المطر قال كعب لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لافسد ما يقع عليه من الارض (قوله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد) اشار بذلك

(ووجد الله عنده) اى عند الجازاة (أو) الذين كفروا اعمالهم السيئة (كظلمات فى بحر لجى) عميق (يغشاه موج من فوقه) اى الموج (موج من فوقه) اى الموج الثانى (سحاب) اى غيم هذه (ظلمات بعضها فوق بعض) ظلمة البحر وظلمة الموج الاول وظلمة الثانى وظلمة السحاب (اذا أخرج) الناظر (يده) فى هذه الظلمات (لم يكد يراها) اى لم يقرب من رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اى من لم يهده الله لم يهتد (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض) ومن التسبيح صلاة (والطير) جمع طائر بين السماء والارض (صافات) حال باسطات اجنحتهن (كل قد علم) الله (صلاته وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون) فيه تغليب العاقل (ولله ملك السموات والارض) خزائن المطر والرزق والنبات (والى الله المصير) المرجع (الم تر ان الله يزجى سحابا) يسوقه برفق (ثم يؤلف بينه) يضم بعضه الى بعض فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة (ثم يجعله ركاما) بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) مخارجه (و ينزل من السماء

الى ان السماء كما ينزل منها المطر الذى هو نفع للعباد ينزل منها بعض الجبال التى هى البرد وهو ضر للعباد فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر (قوله زائدة) الحاصل ان من الاولى ابتدائية لا غير والثانية فيها ثلاثة اوجه قيل زائدة وقيل ابتدائية وقيل تبعيضية وهو الاحسن والثالثة فيها اربعة اوجه الثلاثة المتقدمة وقيل بيانية وهو الاحسن وحينئذ فيكون المعنى على ذلك وننزل بعض جبال كائنة فى السماء التى هى البرد انزالا ناشئا ومبتدأ من السماء (قوله فيها) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لجبال (قوله بدل باعادة الجار) هذا راجع لقوله من جبال والمناسب للمفسر ان يقول او بدل فيكون قولا ثانيا لان هذا لا يتاتى على جعلها زائدة بل على جعلها ابتدائية (قوله فيصيب به) اى بالبرد (قوله سنا برقه) هو بالقصر فى قراءة العامة معناه الضياء واما بالمد فمعناه الرفعة وليس مرادا (قوله اى يخطفها) اشار بذلك الى ان الباء فى الابصار للتعدية والمعنى يذهبها بسرعة لان الضوء القوى يذهب الضعيف ومن ذلك قول الفقهاء اذا فعل رجل بآخر فعلا اذهب بصره واريد ان يقتص منه باذهاب بصره فانه يؤتى له بمرآة وتوضع فى الشمس ويجلس الشخص قبالتها وتقلب المرآة يمينا وشمالا فان ذلك يخطف بصره (قوله اى يأتى بكل منهما بدل الآخر) اى ويقصر هذا ويطول هذا وفى هذا رد على من ينسب الامور للدهر (قوله لاولى الابصار) جمع بصيرة وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك حيث يتاملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شيء واحد فسبحان القادر على كل شيء (قوله على قدرة الله) متعلق بدلالة (قوله اى حيوان) اشار بذلك الى ان المراد بالدابة ما دب على وجه الارض لا خصوص ذوات الاربع (قوله اى نطفة) هذا بحسب الغالب فى الحيوانات الارضية والا فالملائكة خلقوا من النور والجن خلقوا من النار وآدم خلق من الطين وعيسى خلق من النفس الذى نفخه جبريل فى جيب امه والدود تخلق من الفاكهة والعفونات وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد ان الله خلق ماء وجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (قوله فمنهم) الضمير راجع لكل باعتبار معناه وفيه تغليب العاقل على غيره حيث اتى بضمير جماعة الذكور العقلاء فى الجميع (قوله من يمشى على بطنه) قدمه لغرابته وسماه مشيا مشاكلة لما بعده والا فهو زحف (قوله كالحيات والهوام) بالتشديد أى خشاش الارض وأدخلت الكاف الدود والسمك (قوله كالانسان والطير) اى والنعام (قوله ومنهم من يمشي على اربع) أى ومنهم من يمشي على اكثر كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بام اربع واربعين وانما لم يصرح بهذا القسم لندوره ولدخوله فى قوله يخلق الله ما يشاء (قوله ان الله على كل شيء قدير) اى مما ذكر ومما لم يذكر (قوله لقد انزلنا) اللام موطئة لقسم محذوف اى والله لقد أنزلنا الخ (قوله مبينات) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله والله يهدى من يشاء) اشار بذلك الى ان الهدى بيد الله وعنايته فلا يهتدى الا من حفه الله بالعناية فليس ظهور الآيات سببا فى الاهتداء دون عناية الله (قوله ويقولون آمنا بالله) شروع فى ذكر احوال المنافقين (قوله واطعنا) قدر المفسر الضمير اشارة الى ان مفعول اطعنا محذوف (قوله واذا دعوا الى الله ورسوله) تفصيل لما اجمل اولا (قوله المبلغ عنه) جواب عما يقال لم افرد الضمير فى ليحكم مع انه تقدمه اثنان فاجاب بان الرسول هو المباشر للحكم وانما ذكر الله معه تفخيما لشانه وتعظيما لقدره (قوله اذا فريق) اذا فجائية قائمة مقام الفاء فى ربط الجواب بالشرط (قوله معرضون) اى ان كان الحكم عليهم بدليل ما بعده (قوله اليه) يصح ان يكون متعلقا بيأتوا او بمذعنين (قوله أفى قلوبهم مرض) اشار بذلك الى ان منشأ الاعراض وسببه احد أمور ثلاثة

من) زائدة (جبال فيها) فى السماء بدل باعادة الجار (من برد) اى بعضه (فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد) يقرب (سنا برقه) لمعانه (يذهب بالابصار) الناظرة له أى يخطفها (يقلب الله الليل والنهار) أى يأتى بكل منهما بدل الآخر (ان فى ذلك) التقليب (لعبرة) دلالة (لاولى الابصار) لاصحاب البصائر على قدرة الله تعالى (والله خلق دابة) اى حيوان (من ماء) أى نطفة (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحيات والهوام (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشي على اربع) كالبهائم والنعام (يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات) اى بينات هى القرآن (والله يهدى من يشاء الى صراط) طريق (مستقيم) اى دين الاسلام (ويقولون) أى المنافقون (آمنا) صدقنا (بالله) بتوحيده (وبالرسول) محمد (وأطعنا) هما فيما حكما به (ثم يتولى) يعرض (فريق منهم من بعد ذلك) عنه (وما أولئك) المعرضون (بالمؤمنين) المعهودين الموافق قلوبهم لالسنتهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) المبلغ عنه (ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) عن المجيء اليه (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) مسرعين طائعين (أفى قلوبهم مرض) كفر

(أم ارتابوا) أى شكوا فى نبوته (أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) فى الحكم اى فيظلموا فيه (بل أولئك هم الظالمون) بالاعراض عنه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) بالقول اللائق بهم (ان يقولوا سمعنا وأطعنا

(قوله أم ارتابوا) أم بمعنى بل والهمزة وكذا يقال فيما بعده والاستفهام للتقرير (قوله لا) أشار بذلك الى ان الاستفهام فى هذا الاخير بمعنى النفى والمعنى لا محل لخوفهم لاستحالة الحيف على الله ورسوله (قوله بالاعراض عنه) اى الحكم (قوله انما كان قول المؤمنين) العامة على نصب القول خبر الكان والاسم ان ومادخلت عليه وقرئ شذوذا برفعه على انه اسمها وان ومادخلت عليه خبرها (قوله بالاجابة) اى قولا وفعلا (قوله حينئذ) اى حين اذ قالوا هذا القول (قوله ومن يطع الله الخ) قال بعض الاحبار هذه الآية جمعت مافى توراة موسى وانجيل عيسى (قوله يخافه) هذا حل معنى والا فكان حقه ان يقول يخفه (قوله وكسرها) اى باشباع ودونه فهذه ثلاث قراآت وبسكون القاف مع كسر الهاء بدون اشباع فتكون أربعة وكلها سبعية (قوله هم الفائزون) اى الظافرون بمقصودهم الناجون من كل مكروه (قوله واقسموا بالله) الضمير عائد على المنافقين وهو معطوف على قوله ويقولون آمنا بالله وبالرسول (قوله جهد أيمانهم) جهد منصوب على المفعولية المطلقة والمعنى جهدوا اليمين جهدا حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وأضيف الى المفعول كضرب الرقاب وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قوله ليخرجن) اللام موطئة للقسم ويخرجن فعل مضارع مؤكد بالنون رأصله ليخرجونن حذفت نون الرفع لتوالى الامثال فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد حذفت الواو لالتقائهما وبقيت الضمة لتدل عليها (قوله طاعة) مبتدأ ومعروفة صفته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله خير من قسمكم و يصح ان يكون طاعة خبر المحذوف تقديره أمركم طاعة معروفة اى الامر المطلوب منكم طاعة معروفة بالصدق وموافقة الواقع لا مجرد القول باللسان (قوله ان الله خبير بما تعملون) تعليل لما قبله والمعنى لا تحلفوا باللسان مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والاخلاص فان الله مطلع على بواطنكم وظواهركم لا تخفى عليه خافية (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه وقوله فانما عليه ما حمل علة لذلك المحذوف (قوله ما حمل) اى كلف (قوله تهتدوا) اى تصلوا للرشاد والفوز برضا الله وهذا راجع لقوله وعليكم ما حملتم وقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين راجع لقوله فانما عليه ما حمل على سبيل اللف والنشر المشوش (قوله أى التبليغ البين) اى الظاهر وقد اداه فعليكم أن تؤدوا ماحملتم من الطاعة لله ورسوله (قوله وعد الله الخ) وعد فعل ماض ولفظ الجلالة فاعله والاسم الموصول مفعوله الاول والمفعول الثانى محذوف تقديره الاستخلاف فى الارض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمنا يدل على هذا المحذوف قوله ليستخلفنهم الخ فان اللام موطئة لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم (قوله منكم) الجار والمجرور حال من الذين آمنوا والخطاب لعموم الامة (قوله فى الارض) اى جميعها وقد حصل ذلك (قوله كما استخلف) ما مصدرية والمعنى استخلافا كاستخلاف الذين من قبلهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله الذى ارتضى لهم) العائد محذوف اى ارتضاه لهم والمعنى وليجعلن دينهم الذى رضيه لهم ظاهرا وقائما على جميع الاديان (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله بما ذكر) اى وهو ما تقدم من الامور الثلاثة (قوله يعبدوننى) اى يوحدوننى وقوله لا يشركون بى شيأ حال من فاعل يعبدوننى او بدل مما قبله (قوله هو مستانف) أى واقع فى جواب سؤال مقدر كانه قيل مالهم يستخلفون ويجعل

بالاجابة (وأولئك) حينئذ (هم المفلحون) الناجون (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله) يخافه (ويتقه) بسكون الهاء وكسرها بان يطيعه (فاولئك هم الفائزون) بالجنة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غايتها (لئن أمرتهم) بالجهاد (ليخرجن قل) لهم (لا تقسموا طاعة معروفة) للنبى خير من قسمكم الذى لا تصدقون فيه (ان الله خبير بما تعملون) من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا) عن طاعته بحذف احدى التاءين خطاب لهم (فانما عليه ما حمل) من التبليغ (وعليكم ماحملتم) من طاعته (وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين) اى التبليغ البين (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) بدلا عن الكفار (كما استخلف) بالبناء للفاعل والمفعول (الذين من قبلهم) من بنى اسرائيل بدلا عن الجبابرة (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام بان يظهره على جميع الاديان ويوسع لهم فى البلاد فيملكوها (وليبدلنهم) بالتخفيف والتشديد (من بعد خوفهم) دينهم من الكفار (امنا) وقد انجز الله وعده لهم بما ذكر وأثنى عليهم بقوله (يعبدوننى لا يشركون بى شيأ) هو مستانف فى حكم التعليل

(ومن كفر بعد ذلك) الانعام منهم به (فاولئك هم الفاسقون) واول من كفر به قتلة عثمان رضى الله عنه فصاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) اى رجاء الرحمة (لا تحسبن) بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول (الذين كفروا معجزين) لنا (فى الارض) بان يفوتونا (وماواهم) مرجعهم (النار ولبئس المصير) المرجع هى (يا أيها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم) من العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من الاحرار وعرفوا أمر النساء (ثلاث مرات) فى ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) اى وقت الظهر (ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم)) بالرفع خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه اى هى اوقات وبالنصب بتقدير اوقات منصوبا بدلا من محل ماقبله قام المضاف اليه مقامه وهى لا لقاء الثياب تبدو فيها العورات (ليس عليكم ولا عليهم) اى المماليك والصبيان (جناح) فى الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) اى بعد الاوقات الثلاثة هم (طوافون عليكم) للخدمة (بعضكم) طائف (على بعض) والجملة مؤكدة لما قبلها (كذلك) كما بين ماذكر (يبين الله لكم الآيات) اى الاحكام (والله عليم) بامور خلقه (حكيم) بما دبره لهم وآية الاستئذان قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى ترك الاستئذان

دينهم ظاهرا على جميع الاديان ويؤمنون فقيل يعبدونني الخ (قوله بعد ذلك الانعام) اى بما ذكر من الامور الثلاثة فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله فاولئك هم الفاسقون وليس المراد به ماقابل الايمان والا لقال الكافرون (قوله وأول من كفر به) اى بالانعام (قوله قتلة عثمان) اى وهم جماعة من الرعية أخذوه بغتة (قوله وأقيموا الصلاة) معطوف على قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (قوله لعلكم ترحمون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق (قوله بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعيتان (قوله والفاعل الرسول) اى على كل من القراءتين والاسم الموصول مفعول اول ومعجزين مفعول ثان (قوله بان يفوتونا) ان يفروا من عذابنا (قوله وماواهم النار) معطوف على جملة لا تحسبن او على مقدر تقديره بل هم مقهورون وماواهم (قوله هى) قدره اشارة الى ان المخصوص بالذم محذوف (قوله يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم) اختلف فى الامر فقيل للوجوب وقيل للندب والامر متعلق بالخدومين لا بالخدم وسبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج ابن عمرو الى عمر بن الخطاب ليدعوه فدعاه فدجده نائما وقد اغلق عليه الباب فدق الغلام عليه الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عمر وددت ان الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا فى هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا شكرا لله تعالى (قوله وعرفوا امر النساء) اى ميزوا بين العورة وغيرها (قوله فى ثلاثة اوقات) اشار بذلك الى ان قوله ثلاث مرات منصوب على الظرفية (قوله من قبل صلاة الفجر) اى لانه وقت القيام من النوم ولبس ثياب اليقظة (قوله وحين تضعون ثيابكم) اى التى تلبس فى اليقظة تضعونها لاجل القيلولة (قوله من الظهيرة) اى من اجل الظهيرة وهى شدة الحر (قوله ومن بعد صلاة العشاء) اى لانه وقت التجرد عن الثياب والنوم فى الفراش (قوله بالرفع) اى وعليه فالوقف على قوله العشاء (قوله اى هى أوقات الخ) اى فالاصل اوقات ثلاث عورات حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (قوله وبالنصب) اى وعليه فالوقف على لكم والقراءتان سبعيتان (قوله وهى لا لقاء الثياب) مبتدأ وقوله تبدو فيها العورات خبره (قوله ليس عليكم) اى فى تمكينكم ياهم من الدخول عليكم (قوله ولا عليهم) اى فى الدخول لعدم تكليفهم (قوله هم طوافون) اشار بذلك الى ان طوافون خبر لمحذوف (قوله على بعض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن قوله بعضكم قدره المفسر بقوله طائف (قوله والجملة مؤكدة لما قبلها) وقيل ليست مؤكدة لان المعنى الاطفال والمماليك يطوفون عليكم للخدمة وانتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان فى هذه الاوقات وغيرها لضاق الامر عليكم فقوله بعضكم على بعض فيه زيادة على ماقبله (قوله وآية الاستئذان) اى قوله يا أيها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين الخ (قوله قيل منسوخة) اى لما روى ان نفرا من العراق قالوا لابن عباس كيف ترى فى هذه الآية التى أمرنا بها ولا يعمل بها أحد فقال ابن عباس ان الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم او الولد او يتيم الرجل والرجل على اهله فامر الله بالاستئذان فى تلك العورات فجاءهم الله بالستور والحجب فلم ار أحدا يعمل بذلك بعد (قوله وقيل لا) اى كما روى عن سعيد بن جبير حيث قال يقولون نسخت والله ما نسخت ولكن مما تهاون بها الناس (قوله ولكن تهاون الناس فى ترك الاستئذان) اى لكثرة الغطاء والوطاء ومع ذلك فالمناسب تعليم الاستئذان فى هذه الاوقات للصبيان

والمماليك ليكونوا متخلقين بالاخلاق الجميلة (قوله واذا بلغ الاطفال) مقابل لقوله والذين لم يبلغوا الحلم (قوله الذين من قبلهم) اى الذين ذكروا فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الآية (قوله آياته) اى احكامه (قوله والله عليم حكيم) اى بامور الخلائق فالذى ينبغى التخلق باخلاق الشرع ولا يعول الانسان على ما يعلمه من صيانة حريمه و يترك آداب الشرع (قوله والقواعد) جمع قاعد بغير تاء كحائض وطامث فان هذا الوصف مخصوص بالنساء وكل وصف مخصوص بالنساء فلا يحتاج لتمييز بتاء وهو مبتدأ واللاتى صفته وقوله فليس عليهن جناح خبره وقرن بالفاء لعموم المبتدأ فان أل فيه اسم موصول أو لكونه وصف بالاسم الموصول (قوله قعدن عن الحيض) اى انقطع حيضهن (قوله اللاتى لا يرجون نكاحا) اى لا يطمع فيه لموت شهوتهن عن الرجال (قوله ان يضعن) اى ينزعن (قوله من الجلباب) اى وهى الملحفة التى يغطى بها جميع البدن كالملاءة والحبرة (قوله والقناع) اى الذى يلبس فوق الخمار لستر الوجه والعنق (قوله غير متبرجات بزينة) اى متزينات فحيث وجد الشرط جاز لهن كشف الوجه واليدين بين الاجانب لعدم الفتنة وهو المفتى به عند مالك واحد قولين عند الشافعى (قوله بان لا يضعنها) اى بان يدمن الستر للوجه والكفين بين الاجانب (قوله خير لهن) اى لما فيه من سد الذرائع فالافضل لهن الستر للوجه واليدين لان كل ساقطة لها لاقطة (قوله ليس على الاعمى حرج الخ) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس لما نزل يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله تعالى عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول ولا يستوفى حقه من الطعام فنزلت هذه الآية وعلى هذا فتكون على بمعنى فى اى ليس عليكم فى مؤاكلة الاعمى والاعرج والمريض حرج وقيل سبب نزولها ان هؤلاء الجماعة كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الاصحاء خوف ان يستقذروهم وعلى هذا فعلى على بابها وقيل ان الآية نزلت فى الجهاد والمعنى ليس على هؤلاء حرج فى التخلف عن الجهاد وقيل كانت الصحابة اذا خرجوا للغزو دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة و يقولون لهم قد احللنا لكم ان تاكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك و يقولون لا ندخلها واصحابها غائبون مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس فنزلت الآية رخصة لهم وكل صحيح اذا علمت ذلك فنفى الحرج عن هؤلاء فى امور مخصوصة وليس ذلك على العموم فان ما كلف به الصحيح كلف به غيره (قوله مقابليهم) اى السالمين من هذه الثلاثة (قوله ولا على انفسكم) معطوف على الاعمى والمعنى ليس عليكم حرج فى الاكل من بيوتكم (قوله من بيوتكم) بضم الباء وكسرها قراءتان سبعيتان هنا وفى جميع ما يأتى (قوله اى بيوت اولادكم) اى ذكورا أو اناثا لان بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام انت ومالك لابيك وقوله عليه الصلاة والسلام ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه والحامل للمفسر على هذا التقدير عدم توهم حرمة الاكل من بيت نفسه وعدم ذكر الاولاد صراحة فدل ذلك على ان المراد ببيوتكم بيوت اولادكم (قوله أو بيوت آبائكم) اى وان علوا (قوله اخوانكم) جمع اخ و يجمع على اخوة وهو المراد هنا لان المراد بهم اخوة النسب وهم من شاركوك فى رحم أو صلب (قوله أو بيوت اخواتكم) جمع اخت اى مما تملكه أو من ملك زوجها ان كان صديقا له أو ماذونا فيه وكذا يقال فيما يأتى (قوله أو ما ملكتم) با لتخفيف وقرئ شذوذا بضم الميم وتشديد اللام مكسورة اى ملككم غيركم (قوله مفاتحه) جمع مفتح بكسر الميم فى قراءة العامة وقرئ مفاتيحه

(واذا بلغ الاطفال منكم) أيها الاحرار (الحلم فليستاذنوا) فى جميع الاوقات (كما استاذن الذين من قبلهم) اى الاحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء) قعدن عن الحيض والولد لكبر هن (اللاتى لا يرجون نكاحا) لذلك (فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار (غير متبرجات) مظهرات (بزينة) خفية كقلادة وسوار وخلخال (وان يستعففن) بان لا يضعنها (خير لهن والله سميع) لقولكم (عليم) بما فى قلوبكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) فى مؤاكلة مقابليهم (ولا) حرج (على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم) اى بيوت اولادكم (أو بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت اخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه)

بالياء ومفتاحه بالافراد (قوله اى خزنتموه لغيركم) اى حفظتموه بان تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته فلا باس عليه ان ياكل من ثمرته وثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر اه (قوله وهو من صدقكم فى مودته) اى من كان خالصا لكم فى المحبة (قوله من بيوت من ذكر) اى الاصناف الاحد عشر وخصوا بالذكر لان الشان التبسط بينهم (قوله اى اذا علم رضاهم به) اى ولو بقرينة وهذا أحد قولين للعلماء وقيل يجوز الاكل من بيوت من ذكروا ولم يعلم رضاهم به لان القرابة التى بينهم تقتضى العطف والسماح فان قلت على الاول حيث كان مشروطا بعلم رضاهم فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الاجانب وأجيب بان هؤلاء يكفى فيهم ادنى قرينة بل الشرط فيهم ان لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الاجانب فلا بد من علم الرضا بصريح الاذن أو قرينة (قوله مجتمعين) اشار بذلك الى ان قوله جميعا حال من فاعل تاكلوا وكذا قوله اشتاتا (قوله جمع شت) هو مصدر بمعنى التفرق (قوله نزل فيمن تحرج الخ) اى فهو كلام مستانف بيان لحكم آخر وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من بنى كنانة كان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يؤاكله لم ياكل شيا وقيل نزلت فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين فى كثرة الاكل وقلته (قوله فاذا دخلتم بيوتا لكم) اى مساكنكم (قوله تحية) منصوب على المصدر من معنى فسلموا من باب جلست قعودا وقمت وقوفا (قوله من عند الله) اى ثابتة بامره (قوله مباركة) اى لانه يرجى بها زيادة الخير والثواب (قوله لكى تفهموا ذلك) اى معالم دينكم فهذا أمر ارشاد وأدب للعباد (قوله انما المؤمنون الخ) المقصود من هذه الآية مدح المؤمنين الخالصين والتعريض بذم المنافقين وانما أداة حصر والمؤمنون مبتدأ وقوله الذين آمنوا خبره (قوله على امر جامع) اسناد الجمع للامر مجاز عقلى وحقه ان يسند للمؤمنين (قوله كخطبة الجمعة) اى والاعياد والحروب والحديث وغير ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم تجاه النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن شاء منهم (قوله حتى يستاذنوه) اى يطلبوا منه الاذن فياذن لهم (قوله ان الذين يستاذنونك الخ) هذا توكيد لما تقدم ذكر تفخيما وتعظيما للاستئذان (قوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم) اى كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك حيث استاذن الرسول فى الرجوع الى اهله فاذن له النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ارجع فلست بمنافق وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ماتت والنبى صلى الله عليه وسلم متجهز لغزوة بدر (قوله فاذن لمن شئت منهم) فى ذلك تفويض الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الواسطة العظمى بين الخلق وربهم فاذا أذن لاحد علم من ذلك ان رضا الله فى اذنه قال العارف

وخصك بالهدى فى كل أمر * فلست تشاء الا ما يشاء

(قوله واستغفر لهم الله) اى ليعوضهم بدل ما فاتهم من مجالستك من اجل العذر الذى نزل بهم (قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) اى نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا ابا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بان تقولوا يا رسول الله يا نبى الله يا امام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبى بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد

أى خزنتموه لغيركم (أو صديقكم) وهو من صدقكم فى مودته المعنى يجوز الاكل من بيوت من ذكر وان لم يحضروا اى اذا علم رضاهم به (ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين جمع شت نزل فيمن تحرج ان ياكل وحده واذا لم يجد من يؤاكله يترك الاكل (فاذا دخلتم بيوتا) لكم لا أهل بها (فسلموا على أنفسكم) اى قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليكم وان كان بها اهل فسلموا عليهم (تحية) مصدر حيا (من عند الله مباركة طيبة) يثاب عليها (كذلك يبين الله لكم الآيات) اى يفصل لكم معالم دينكم (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا ذلك (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) اى الرسول (على أمر جامع) كخطبة الجمعة (لم يذهبوا) لعروض عذر لهم (حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم) أمرهم (فاذن لمن شئت منهم) بالانصراف (واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بان تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبى الله يا رسول الله فى لين وتواضع

وفاته فبهذا يعلم ان من استخف بجناب صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أى لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون وهذه الآداب كما تكون فى حق النبي تكون فى حق حملة شريعته فينبغى لتلامذة الاشياخ ان يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها ليحصل لهم الفتوح والفلاح (قوله الذين يتسللون) أى يذهبون واحدا بعد واحد لان المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة اذا رقى النبي المنبر فاذا كثر الناس نظروا يمينا وشمالا ويخرجون واحدا بعد واحد الى ان يذهبوا جميعا (قوله لواذا) حال من الواو فى يتسللون من التلاوذ وهو الاستتار بان يغمز بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرتب على ما قبله وضمن يخالفون معنى يعرضون فعداه بعن (قوله أن تصيبهم فتنة) ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر مفعول يحذر أى إصابة فتنة (قوله او يصيبهم) او مانعة خلو تجوز الجمع (قوله الا ان لله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أنتم عليه) قد للتحقيق والمعنى ان الله يعلم الامر الذى فى قلوب المنافقين من المخالفة والاعراض عن اوامر الله تعالى (قوله ويوم يرجعون اليه) معطوف على ما أى يردون اليه وهو يوم البعث (قوله فينبئهم بما عملوا) اى يخبرهم باعمالهم فيثيبهم على الحسنات ويعاقبهم على السيآت

﴿سورة الفرقان﴾

سميت بذلك لان بها الفرق بين الحق والباطل لاشتمالها على احكام التوحيد وأدلته ومكارم الاخلاق واحوال المعاد (قوله الى قوله رحيما) أى وهو ثلاث آيات (قوله تعالى) اى تنزه فى ذاته وصفاته وافعاله عن النقائص وممائلة ماسواه لانه قديم وماسواه حادث اومعنى تبارك تعاظم أى اتصف بكل كمال ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى فلا يقال تبارك النبي ولا تبارك السلطان مثلا وهو فعل ماض غير متصرف فلا يأتى منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل (قوله الفرقان) من الفرق وفعله فرق من باب قتل وبها قرئ قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقرئ شذوذا من باب ضرب وهو بالتخفيف فى المعانى وبالتشديد فى الاجسام يقال فرقت بين الكلامين وفرقت بين العبدين والصحيح انهما بمعنى واحد فى المعانى والاجسام (قوله القرآن) اى ويسمى به البعض كما يسمى به الكل فالسورة الواحدة تسمى فرقانا والجميع يسمى فرقانا لانه معجز للبشر وفارق بين الحق والباطل كلا او بعضا ويصح ان يراد به جملة القرآن ويكون نزل مستعملا فى حقيقته بالنسبة لما نزل اذ ذاك وبمعنى المستقبل بالنسبة لما سينزل (قوله لانه فرق بين الحق والباطل) اى ميز بينهما وقيل لانه نزل مفرقا فى اوقات كثيرة (قوله على عبده) انما وصفه بهذا الوصف لانه أشرف الاوصاف واعلاها (قوله ليكون) علة لقوله نزل والضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم لانه أقرب مذكور ويصح ان يكون عائدا على الفرقان او المنزل وهو الله تعالى والاوضح الاول (قوله دون الملائكة) اشار بذلك الى ان الانذار خاص بالانس والجن لان الملائكة لا تجوز عليهم المعاصي والمخالفة لعصمتهم من ذلك وان كان النبي عليه الصلاة والسلام ارسل لهم ارسال تكليف بما يليق بهم على المعتمد والحاصل ان ارسال النبي للثقلين ارسال تكليف وكذا للملائكة واما للحيوانات التى لا تعقل والجمادات فارسال تشريف (قوله نذيرا) اى وبشيرا وانما اقتصر على الانذار لان السورة مكية وفى ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير (قوله الذى له ملك السموات والارض) نعت للموصول الاول او بيان او بدل او خبر لمحذوف اى هو الذى او منصوب على المدح وما

وخفض صوت (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) أى يخرجون من المسجد فى الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء وقد للتحقيق (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) اى امر الله اورسوله (ان تصيبهم فتنة) بلاء (او تصيبهم عذاب اليم) فى الآخرة (الا ان لله ما فى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (قد يعلم ما انتم) ايها المكلفون (عليه) من الايمان والنفاق (و) يعلم (يوم يرجعون اليه) فيه التفات عن الخطاب اى متى يكون (فينبئهم) فيه (بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شيء) من اعمالهم وغيرها (عليم)

﴿سورة الفرقان مكية الا والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله رحيما فمدنى وهى سبع وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك) تعالى (الذى نزل الفرقان) القرآن لانه فرق بين الحق والباطل (على عبده) محمد (ليكون للعالمين) اى الانس والجن دون الملائكة (نذيرا) مخوفا من عذاب الله (الذى له ملك السموات والارض

بعده من تمام الصلة فلا يلزم عليه الفصل بأجنبي بين الموصول الاول والثاني على جعله تابعا له (قوله ولم يتخذ ولدا) رد على اليهود والنصارى (قوله ولم يكن له شريك في الملك) رد على عباد الاصنام (قوله وخلق كل شيء) كالدليل لما قبله لان الخالق الكل شيء لا شريك له ولم يتخذ ولدا (قوله من شانه ان يخلق) دفع بذلك ما يقال انه دخل في الشيء ذاته تعالى وصفاته فاجاب بان المراد بالشيء ما شانه ان يتعلق به الخلق وهو المعدوم (قوله سواه تسوية) اي عدله تعديلا بان جعله على شكل حسن ودفع بذلك ما قيل ان الآية فيها قلب لان الخلق متاخر عن التقدير لان التقدير أزلي لانه تعلق العلم والارادة الازلي والخلق حادث لانه تعلق القدرة التنجيزي الحادث فاجاب بان التقدير بمعناه التصوير على شكل حسن ولا شك ان ذلك حاصل بعد ايجاده على طبق العلم والارادة وهذا سر قول الغزالي ليس في الامكان ابدع مما كان لان ما اوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم والارادة ازلا فوجد على طبق ذلك فاذا كان كذلك كان التغيير لذلك مستحيلا لانه حينئذ ينقلب علم الله جهلا وهو لا تتعلق به القدرة ان قلت يشكل على هذا قوله تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وقوله تعالى انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فانه يقتضي ان في قدرة الله اذهاب هذا العالم والاتيان بغيره أجيب بان ما في الآية باعتبار التعلق الصلاحي للقدرة والتجويز العقلي وما قاله الغزالي باعتبار التعلق التنجيزي الذي حصل متعلقه (قوله أي الكفار) اي المعلومون من قوله للعالمين (قوله آلهة) وصفهم بسبعة اوصاف اولها قوله لا يخلقون شيا وآخرها قوله نشورا (قوله وهم يخلقون) اي يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها لها (قوله لانفسهم) أي فضلا عن غيرهم (قوله ضرا) قدمه لان دفعه اهم وقدم الموت لمناسبة الضر (قوله وقال الذين كفروا) شروع في ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن اثر أكاذيبهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى (قوله افتراه) أي اختلقه (قوله وهم من اهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا انهم ياتون له بالاخبار الماضية وهو يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى اعانتهم له (قوله قال تعالى) اي رد المقالتهم (قوله كفرا وكذبا) لف ونشر مرتب (قوله أي بهما) أشار بذلك الى ان ظلما وزورا منصوبان بنزع الخافض ويصح نصبهما بجاء بتضمينه معنى فعل (قوله وقالوا ايضا) أي كما قالوا ما تقدم (قوله اساطير الاولين) خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله اكتتبها) اي امر بكتبها لانهم يعلمون انه امي لا يقرأ ولا يكتب (قوله من ذلك القوم) المناسب ان يقول من اولئك القوم (قوله تقرأ عليه) اي فليس المراد بالاملاء الالقاء على الكاتب ليكتبه (قوله بكرة واصيلا) المراد دائما ابدا (قوله ردا عليهم) أي مقالتهم الشنيعة (قوله الغيب) أي مغاب عنا (قوله للمؤمنين) كذا قال المفسر ويصح ان يكون المراد الكفار فيكون تعليلا لمحذوف تقديره واخرعما بكم ولم يعاجلكم به لانه الخ وقوله كان اي ولم يزل (قوله وقالوا مال هذا الرسول الخ) شروع في بعض قبائحهم التي قالوها في حق الرسول عليه السلام والمعنى اي شيء حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب الرزق كما نفعل فتسميتهم اياه رسولا بطريق الاستهزاء به (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله فيكون معه نذيرا) بالنصب في قراءة العامة على جواب التحضيض وقرئ شذوذا بالرفع عطفا على انزل (قوله يصدقه) اي يشهد له بالرسالة والصدق (قوله او تكون له جنة) بالتاء في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالياء لان تانيث الجنة مجازي (قوله وقال الظالمون) اظهار في موضع الاضمار للاشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا

(من دونه) اي الله اي غيره (آلهة) هي الاصنام (لا يخلقون شيا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا) اي دفعه (ولا نفعا) اي جره (ولا يملكون موتا ولا حياة) اي اماتة لاحد واحياء لاحد (ولا نشورا) اي بعثا للاموات (وقال الذين كفروا ان هذا) اي ما القرآن (الا افك) كذب (افتراه) محمد (واعانه عليه قوم آخرون) وهم من اهل الكتاب قال تعالى (فقد جاؤا ظلما وزورا) كفرا وكذبا أي بهما (وقالوا) ايضا هو (اساطير الاولين) أكاذيبهم جمع اسطورة بالضم (اكتتبها) انتسخها من ذلك القوم بغيره (فهي تملى) تقرأ (عليه) ليحفظها (بكرة واصيلا) غدوة وعشيا قال تعالى ردا عليهم (قل انزله الذي يعلم السر) الغيب (في السموات والارض انه كان غفورا) للمؤمنين (رحيما) بهم (وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا) هلا (أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) يصدقه (او يلقى اليه كنز) من السماء ينفقه ولا يحتاج الى المشي في الاسواق لطلب المعاش (او تكون له جنة) بستان (ياكل منها) أي من ثمارها فيكتفي بها وفي قراءة ناكل بالنون اي نحن فيكون له مزية علينا بها (وقال الظالمون) اي الكافرون للمؤمنين (ان) ما (تتبعون الا رجلا مسحورا)

(قوله مخدوعا مغلوبا على عقله) أى فالمراد بالسحر الاختلال فى العقل من اطلاق الملزوم واراة اللازم (قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستفهام التعجبى أى تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الاوصاف التى كانت سببا فى ضلالهم (قوله فضلوا بذلك) أى ضرب الامثال (قوله عن الهدى) أى الحق (قوله فلا يستطيعون سبيلا) أى لا يقدرون على الوصول الى الهدى لما طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم (قوله تبارك) اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كمال مستلزم انتفى كل نقص وحينئذ فيحسن تفسيره فى كل مقام بما يناسبه فلما كان ما تقدم مقام تنزيه فسره بتعالى ولما كان ماهنا مقام اعطاء فسره بتكاثر خيره ولما كان ماياتى فى آخر السورة مقام عظمة وكبرياء فسره بتعاظم وهكذا يقال فى كل مقام (قوله خيرا من ذلك) اى مما اقترحوا بان يعجل لك أعظم من ذلك فى الدنيا (قوله جنات) بدل من خيرا (قوله لانه شاء أن يعطيه اياها فى الآخرة) علة لقوله أى فى الدنيا والمعنى تكاثر خير الله الذى ان شاء جعل لك خيرا مما تمنوه لك فى الدنيا وانما لم تتعلق ارادة الله به لكونه فانيا والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفانى جزاء لاحبابه لان الدنيا دار ممرلا مقر حلالها حساب وحرامها عقاب وحاشا مسبحانه وتعالى أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه فى الحساب اوالعقاب (قوله بالجزم) اى عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والمعطوف على الجواب جواب (قوله بالرفع استئنافا) اى اومعطوف على جواب الشرط بناء على انه غير مجزوم لقول ابن مالك

*وبعد ماض رفعك الجزا حسن * وانما لم يجزم لضعف تاثيران فى الشرط لكونه ماضيا فارتفع والقراءتان سبعيتان (قوله بل كذبوا بالساعة) اضراب انتقالى عن ذكر قبائحهم الى بيان مالهم فى الآخرة من انواع العذاب (قوله واعتدنا) اى هيانا واحضرنا وفى هذا دليل على ان النار مخلوقة الآن كما ان الجنة كذلك لقوله تعالى اعتدت للمتقين (قوله نارا مسعرة) بالتشديد والتخفيف (قوله اذا راتهم) اى حقيقة بعينها لما فى الحديث من كذب على معتمدا فليتبوا بين عينى جهنم مقعدا قيل يارسول الله اولها عينان قال اما سمعتم الله عزوجل يقول اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بمن جعل مع الله الها آخر افلهوا بصر به من الطير يحب السمسم فيلتقطه وفى رواية يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران واذنان يسمعان ولسان ينطق يقول انى وكلت بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين انتهى وهذا مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة الكلام على حذف مضاف اى رات زبانيتها بناء منهم على ان الرؤية مشروطة بالحياة (قوله من مكان بعيد) قيل مسيرة سنة وقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة (قوله اوسماع التغيظ رؤيته وعلمه) اشار بذلك الى ان السماع ليس على حقيقته بل المراد منه الرؤية والعلم واجيب ايضا بان المراد سماع مايدل عليه وهو الغليان وقد افاده اولا فتحصل ان المفسر اجاب بجوابين (قوله واذا القوا) اى طرحوا (قوله مكانا) منصوب على الظرفية اى فى مكان (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بان يضيق عليهم) اى كصيق الحائط على الوتد الذى يدق فيه بعنف (قوله لانه فى الاصل صفة له) اى وهو نكرة ومن المعلوم ان نعت النكرة اذا تقدم عليها يعرب حالا كقول الشاعر *لمية موحشا طلل والاصل لمية طلل موحش (قوله مقرنين) حال من الواو فى القوا والتقرين تقييد الارجل وجمع الايدى والاعناق فى السلاسل (قوله مصفدين) من التصفيد وهو الشد والايثاق بالقيود (قوله دعوا هنالك) اى فى ذلك المكان (قوله ثبورا) اى فيقولون يا ثبوراه هذا أوانك فاحضر لانه أخف مما هم فيه

مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال) بالمسحور والمحتاج الى ما ينفقه والى ملك يقوم معه بالامر (فضلوا) بذلك عن الهدى (فلا يستطيعون سبيلا) طريقا اليه (تبارك) تكاثر خير (الذى ان شاء الله جعل لك خيرا من ذلك) الذى قالوه من الكنز والبستان (جنات تجرى من تحتها الانهار) اى فى الدنيا لانه شاء ان يعطيه اياها فى الآخرة (ويجعل) بالجزم (لك قصورا) ايضا وفى قراءة بالرفع استئنافا (بل كذبوا بالساعة) القيامة (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا مسعرة اى مشتدة (اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا) غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) صوتا شديدا او سماع التغيظ رؤيته وعلمه (واذا القوا منها مكانا ضيقا) بالتشديد والتخفيف بان يضيق عليهم ومنها حال من مكانا لانه فى الاصل صفة له (مقرنين) مصفدين قد قرنت اى جمعت ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال والتشديد للتكثير (دعوا هنالك ثبورا) هلاكا

فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) كعذابكم (قل أذلك) المذكور من الوعيد وصفة النار (خير أم جنة الخلد التي وعد) ها (المتقون كانت لهم) في علمه تعالى (جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا (لهم فيها ما يشاؤن خالدين)

(قوله فيقال لهم) اى على سبيل التهكم والسخرية بهم (قوله ثبورا واحدا) اى مرة واحدة (قوله كعذابكم) تشبيه في الكثرة وفي نسخة باللام اى لاجل دوام عذابكم وكثرته فينبغي أن يكون دعاؤكم كذلك (قوله قل أذلك خير) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والا فليس في النار خير (قوله في علمه تعالى) جواب عما يقال انها لم تكن جزاء ومصيرا الآن فاجاب بان المعنى قد سبق علم الله بانها تكون لهم جزاء ومصيرا (قوله مرجعا) اى مستقرا (قوله لهم فيها ما يشاؤن) اى من النعم اللائقة بهم وأما ما لا يليق بهم فلا يخطر ببالهم فكل انسان يرضيه الله بما أعطاه ولا يلتفت الى عطاء من هو أشرف منه ولا يخطر بباله سؤاله وبهذا اندفع ما قيل ان مقتضى الآية ان الانسان يتمنى مراتب الانبياء في الجنة ويعطاها (قوله حال) اى من الهاء في لهم أو من الواو في يشاؤن (قوله كان وعدهم ماذكر) أشار بذلك الى ان اسم كان يعود على الوعد المفهوم من قوله وعد المتقون (قوله ربنا وآتنا) اى كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لانفسهم وقوله ربنا وأدخلهم اى كما قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين (قوله ويوم نحشرهم) ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر والضمير في نحشرهم للعابدين لغير الله (قوله بالنون) اى مع النون في نقول أو الياء وقوله والتحتانية اى مع التحتانية في يقول فالقراآت ثلاث سبعيات خلافا لما يوهمه المفسر من انها أربع (قوله وما يعبدون) معطوف على مفعول نحشرهم وأوقع ما على العقلاء وهو قليل وهذا ما يفيده المفسر بالتمثيل ويصح ان يراد من ما العاقل وغيره كالاصنام وغلب غير العاقل على العاقل لكثرته (قوله اثباتا للحجة على العابدين) اى وتبكيتا لهم وهو جواب عما يقال ان الله عالم في الازل بما ذكر فما فائدة هذا السؤال (قوله بتحقيق الهمزتين) اى مع ادخال ألف بينهما وتركه فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال واحدة فتكون خمسا خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع وكلها سبعية ان قلت على قراءة الابدال يلزم عليه التقاء الساكنين على غير حده وهو ممنوع أجيب بان محل منعه ما لم يكن مسموعا وهذا مسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هؤلاء) نعت لعبادي أو عطف بيان أو بدل منه (قوله قالوا) اى المعبودون وهو كلام مستانف واقع في جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا قالوا في الجواب (قوله من أولياء) اى اتباعا يعبدوننا ويصح ان يراد بالاولياء المتبوعون اى معبودون لنا لان الولى كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني اذا علمت ذلك فالتبري حاصل في هذه الآية من الاولياء بمعنى المعبودين أو العابدين لغير الله وأما بمعنى من تولوا خدمة الله أو من تولاهم الله فلم يكلهم لغيره فقد اتخذهم الله وأمر بالتعلق باذيالهم (قوله مفعول أول) اى لنتخذ (قوله وما قبله) اى وهو قوله من دونك (قوله فكيف نامر بعبادتنا) اى بعبادتهم اياانا فنحن لم نضلهم (قوله ولكن متعتهم الخ) استدراك لرفع ما يتوهم ثبوته والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة فجعلوا ذلك سببا للضلال وليس لنا مدخل في ذلك وفي هذا الاستدراك رجوع للحقيقة (قوله تركوا الموعظة) أى غفلوا عن التذكر في آياتك فالنسيان معناه الترك (قوله بورا) يحتمل انه جمع بائر او مصدر من البوار وهو الهلاك (قوله فقد كذبوكم) خطاب للعابدين فالواو واقعة على المعبودين والكاف على العابدين وقوله بما تقولون أى فيما تقولون وقوله بالفوقانية اى باتفاق العشرة وقوله انهم آلهة مقول القول (قوله اى لاهم) راجع للتحتانية وقوله ولا أنتم راجع للفوقانية (قوله ومن يظلم منكم) اى أيها المكلفون من العابدين والمعبودين فظلم العابد

حال لازمة (كان) وعدهم ماذكر (على ربك وعدا مسؤلا) يسأله من وعده ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او تسأله لهم الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) بالنون والتحتانية (وما يعبدون من دون الله) اى غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن (فيقول) تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين اثباتا للحجة على العابدين (أأنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه (أضللتم عبادي هؤلاء) أوقعتموهم في الضلال بامركم اياهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) طريق الحق بانفسهم (قالوا سبحانك) تنزيها لك عما لا يليق بك (ما كان ينبغي) يستقيم (لنا ان نتخذ من دونك) اى غيرك (من أولياء) مفعول أول ومن زائدة لتاكيد النفي وما قبله الثاني فكيف نامر بعبادتنا (ولكن متعتهم وآباءهم) من قبلهم باطالة العمر وسعة الرزق (حتى نسوا الذكر) تركوا الموعظة والايمان بالقرآن (وكانوا قوما بورا) هلكى قال تعالى (فقد كذبوكم) اى كذب المعبودون العابدين (بما تقولون) بالفوقانية أنهم آلهة (فما يستطيعون) بالتحتانية والفوقانية أى لاهم ولا أنتم (صرفا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نصرا) منعا لكم منه (ومن يظلم) يشرك (منكم

بعبادته غير الله وظلم المعبود برضاه بذلك (قوله نذقه) بنون العظمة فى قراءة العامة (قوله وما ارسلنا قبلك الخ) المقصود من هذه الآية تسليته للنبي صلى الله عليه وسلم والرد على المشركين حيث قالوا مال هذا الرسول يا كل الطعام الخ (قوله الا انهم) الجملة حالية وان مكسورة باتفاق القراء واللام للابتداء زحلقت للخبر والمعنى ما ارسلنا قبلك من المرسلين فى حال من الاحوال الا فى حالة اكلهم الطعام ومشيهم فى الاسواق اى فهذه عادتهم ودأبهم فان هجوك بذلك فقد هجوا جميع الانبياء فلا تحزن (قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) اى ان الدنيا دار بلاء وامتحان فجعل بعض العبيد فتنة لبعض ليظهر الصابر من غيره (قوله ابتلى الغنى بالفقير الخ) اى فالغنى ممتحن بالفقير يحسده والفقير ممتحن بالغنى يسخر به ويحتقر به والصحيح ممتحن بالمريض يقول لم لم نعاف ونصير مثل هذا والمريض ممتحن بالصحيح يتكبر عليه ويغتر بصحته والشريف كالانبياء والعلماء والصلحاء ممتحن بالوضيع يحسده على ما اعطاه الله وهكذا والمخلص من ذلك الصبر على احكام الله والرضا بها لان الواجب على الانسان ان ينظر فى امور الدنيا الى من هو دونه ولا ينظر الى من هو فوقه لئلا يزدرى نعمة الله عليه وفى امور الآخرة الى من هو فوقه ليصرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم ومن هنا ينبغى صحبة الصالحين والمساكين ومرافقتهم ليقتدى بهم (قوله يقول الثانى) اى الفقير والمريض والوضيع وقوله فى كل اى من الاقسام الثلاثة وبالجملة فالفتنة ان يحسد المعافى المبتلى والصبر ان يحبس كل منهما نفسه عن هذا البطر وهذا عن الضجر عن ابى الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة وهو قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون (قوله استفهام بمعنى الامر) هذا أحد وجهين والوجه الآخر ان الاستفهام على حقيقته أى لينظر أيحصل منكم صبر ام لا فيجازيكم على ذلك (قوله وكان ربك بصيرا) فى ذلك تانيس للعبد أى ان الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع فلا تنبغى الشكوى للخلق ولا اظهار ما فى القلوب بل ان وجد الشخص فى نفسه صبرا فليشكر الله وان وجد غير ذلك فعليه ان يرجع الى ربه بالندم والتوبة (قوله لا يخافون البعث) أى لانهم منكرون له فهم يزعمون انهم آمنون منه (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله فكانوا رسلا الينا) أى بالشرائع ونحوها بدل محمد (قوله او نرى ربنا) اى يكشف الحجاب لنا فنراه عيانا (قوله فنخبر) بالبناء للمفعول اى يخبرنا هو بان محمدا رسوله (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم مقالتهم (قوله تكبروا) أى حيث لم يرضوا بان يكون رسولهم من البشر بل طمعوا ان يكون من الملائكة (قوله فى شان انفسهم) أى انهم عدوا أنفسهم كبيرة لامر قام بها (قوله بطلبهم رؤية الله) متعلق بعتوا والباء للسببية ولم يذكر متعلق استكبروا وقد علمته وفى الآية لف ونشر مرتب فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة والعتو راجع لطلبهم رؤية الله (قوله على اصله) اى من غير ابدال (قوله بالابدال فى مريم) اى لمناسبة رؤس الآى واصله عتو وكسرت التاء فوقعت الواو ساكنة اثر كسرة قلبت ياء ثم اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء (قوله يوم يرون الملائكة) اى المتولين عذابهم (قوله لا بشرى يومئذ) هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة تقديره قائلين لهم لا بشرى (قوله فلهم البشرى بالجنة) اى لقوله تعالى بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار (قوله ويقولون) معطوف على يرون فالضمير للكفار (قوله حجرا محجورا) العامة على

نذقه عذابا كبيرا) شديدا فى الآخرة (وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليا كلون الطعام ويمشون فى الاسواق) فانت مثلهم فى ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) بلية ابتلى الغنى بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثانى فى كل مالى لا اكون كالاول فى كل (أتصبرون) على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم استفهام بمعنى الامر اى اصبروا (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر وبمن يجزع (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث (لولا) هلا (انزل علينا الملائكة) فكانوا رسلا الينا (او نرى ربنا) فنخبر بان محمدا رسوله قال تعالى (لقد استكبروا) تكبروا (فى) شان (انفسهم وعتوا) طغوا (عتوا كبيرا) بطلبهم رؤية الله تعالى فى الدنيا وعتوا بالواو على اصله بخلاف عتيا بالابدال فى مريم (يوم يرون الملائكة) فى جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدرا (لا بشرى يومئذ للمجرمين) اى الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (ويقولون حجرا محجورا) على عادتهم فى الدنيا اذا نزلت بهم شدة اى عوذا معاذا

يستعيذون من الملائكة قال تعالى (وقدمنا) عمدنا (الى ماعملوا من عمل) من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف واغاثة ملهوف فى الدنيا (فجعلناه هباء منثورا) هو مايرى فى الكوى التى عليها الشمس كالغبار المفرق اى مثله فى عدم النفع به اذ لا ثواب فيه لعدم شرطه و يجازون عليه فى الدنيا (أصحاب الجنة يومئذ) يوم القيامة (خير مستقرا) من الكافرين فى الدنيا (وأحسن مقيلا) منهم أى موضع قائلة فيها وهى الاستراحة نصف النهار فى الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب فى نصف نهار كما ورد فى حديث (ويوم تشقق السماء) اى كل سماء (بالغمام) اى معه وهو غيم ابيض (ونزل الملائكة) من كل سماء (تنزيلا) هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدرا وفى قراءة بتشديد شين تشقق بادغام التاء الثانية فى الاصل وفى اخرى وننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة (الملك يومئذ الحق للرحمن) لا يشركه فيه احد (وكان) اليوم (يوما على الكافرين عسيرا) بخلاف المؤمنين (ويوم يعض الظالم) المشرك

كسر الحاء وقرئ شذوذا بفتحها وضمها (قوله يستعيذون من الملائكة) اى يطلبون من الله انقاذهم منهم بهذه العبارة (قوله عمدنا) اى تعلقت ارادتنا ودفع بذلك ما قيل ان القدوم من صفات الحوادث وهو محال على الله تعالى ففسره بلازمه وهو القصد والمراد من القصد فى حقه تعالى تعلق ارادته بالشئ (قوله وقرئ ضيف) بكسر القاف مع القصر أو فتحها مع المد ومعناه الاحسان اليه (قوله فى الدنيا) متعلق بعملوا (قوله فى الكوى) جمع كوة وهى الطاقة فى الحائط بفتح الكاف وضمها (قوله لعدم شرطه) اى وهو الايمان (قوله ويجازون عليه فى الدنيا) اى باعطاء المال والولد والعافية وغير ذلك من ملاذ الدنيا فاعمال الكافر الحسنة التى لا تتوقف على نية يعطى جزاءها فى الدنيا واما ما تتوقف على نية فلا يجد لها جزاء اصلا لعدم صحتها (قوله خير مستقرا من الكافرين) اى ان مستقرا المؤمنين فى الجنة خير من مستقر الكافرين فى الدنيا فافعل التفضيل على بابه والى هذا اشار المفسر بقوله فى الدنيا فهو جواب عما يقال ان مستقر اهل النار لا خير فيه ويصح ان يراد استقرار كل فى الآخرة والتفضيل ليس مرادا بل المقصود التقريع والتوبيخ للكفار (قوله من ذلك) اى من قوله وأحسن مقيلا (قوله كما ورد فى الحديث) قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس (قوله ويوم تشقق السماء) يوم ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر كما قاله المفسر (قوله اى كل سماء) اشار بذلك الى ان أل فى السماء استغراقية (قوله اى معه) اشار بذلك الى أن الباء بمعنى مع ويصح ان تكون للسببية أو للملابسة أو بمعنى عن (قوله وهو غيم أبيض) اى سحاب فوق السموات السبع يخنه كشخن السموات السبع وثقله كثقلها فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله وهكذا حتى ينزل الى الارض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة سماء الدنيا وهم مثل اهل الارض عشر مرات ثم ملائكة السماء الثانية وهم مثلهم عشرين مرة وهكذا واذا نزل ملائكة السماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع فى المحشر صفا واذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفا آخر وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار و يطردون عنهم النار وتقدم بسط ذلك فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الخ (قوله ونصبه باذكر مقدرا) اى وهو معطوف على يوم يرون الملائكة وكذا قوله ويوم يعض الظالم (قوله فى الاصل) اى قبل قلبها شينا وتسكينها وادغامها فى الشين (قوله وفى أخرى وننزل بنونين الخ) هذه القراءة انما تاتى عند تشديد الشين فتحصل ان القراآت ثلاث سبعيات فعند تشديد الشين يجوز فى ننزل القراءتان وعند التخفيف يجوز فى ننزل قراءة واحدة وهى كونه ماضيا مبنيا للمفعول خلافا لما يوهمه المفسر من انها أربع قراآت (قوله الملك) مبتدأ ويومئذ ظرف له والحق نعت له وللرحمن خبره والمعنى ان الملك يوم القيامة لله وحده وحكمه التقييد بهذا اليوم وان كان الملك لله فى كل زمن لان ثبوت الملك له خاصة فى ذلك اليوم فليس لاحد ملك ظاهر أبدا واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون للخلق تصرف صورى والى هذا اشار المفسر بقوله لا يشركه فيه احد (قوله بخلاف المؤمنين) اى فليس عليهم عسيرا لما ورد انه يهون عليهم حتى يكون اخف من صلاة مكتوبة (قوله ويوم) منصوب باذكر او معطوف على يوم يرون كما تقدم (قوله يعض الظالم) هو من باب تعب ونفع والمعنى ان الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعض على يديه قال عطاء يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبتت يداه

يا كلهما (قوله عقبة بن ابى معيط) اشار المفسر بذلك الى ان الآية نزلت فى ظالم خاص ويقاس عليه كل ظالم وهو احد قولين وقيل نزلت فى الظالمين عموما (قوله كان نطق بالشهادتين الخ) وذلك انه صنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله وانى محمد رسول الله ففعل فاكل رسول الله من طعامه وكان عقبة صديقا لابى بن خلف فلما اخبر بذلك قال له يا عقبة صبأت قال لا ولكن دخل على رجل فابى ان يا كل طعامى الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا راض عنك حتى تاتيه فتبزق فى وجهه ففعل ذلك عقبة فعاد بزاقه على وجهه فحرقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أراك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن النبي أبيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات وحكم الآية عام فى كل صاحبين اجتمعا على معصية الله تعالى لما روى يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل (قوله يقول يا ليتنى) الجملة حالية من فاعل يعض (قوله للتنبيه) اى وليست للنداء لان المنادى شرطه ان يكون اسما وليت حرف تمن اولنداء والمنادى محذوف اى يا قوم (قوله عوض عن ياء الاضافة) أى وأصله ويلتى بكسر التاء وفتح الياء فتحت التاء فتحركت وانفتح ماقبلها قلبت الفا فيقال فى اعرابه ويلتا مضاف والالف مضاف اليه فى محل جر وليس لنا الف فى محل جر الا ما كانت عوضا عن ياء المتكلم (قوله لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور وفلانة كناية عن علم من يعقل من الاناث (قوله لقد أضلنى) علة لتمنيه واكده باللام القسمية اظهارا لندمه وتحسره (قوله اى القرآن) أى وقيل كلمة الشهادة (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان قوله وكان الشيطان الخ جملة مستانفة من كلامه تعالى وكلام الظالم تم عند قوله جاءنى (قوله وكان الشيطان) اى وهو كل عات متمرد صد عن سبيل الله من الجن والانس (قوله بان يتركه) اى يترك نصره (قوله وقال الرسول) عطف على قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ماقالوه وبيان مايحيق بهم فى الآخرة من الاهوال وهذا القول قيل صدر منه فى الدنيا وعليه يحمل قول المفسر فاصبر كما صبروا وقيل سيقع منه فى الآخرة حال اقامة الحجة عليهم واذا ورد انه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم سحقا سحقا (قوله مهجورا) أي فاعرضوا عنه ولم يؤمنوا به فهذه الآية وردت فى الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به لا فيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه وان كان يعاتب عليه فى الآخرة لما ورد من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه (قوله وكذلك جعلنا الخ) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم والمعنى كما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبي عدوا (قوله بربك) الباء زائدة فى الفاعل (قوله هاديا) اى موصلا لك الى الطريق القويم (قوله وقال الذين كفروا الخ) حكاية عن بعض قبائح كفار مكة وشبههم التى تتعلق بالقرآن ولما كانت تلك الشبهة ربما تدخل على بعض الضعفاء اعنى الله بردها والتوبيخ لمن ابداها (قوله لولا نزل عليه القرآن) نزل بمعنى انزل لان نزل بالتشديد معناه الانزال مفرقا وانزل معناه الانزال جملة فلو لم يجعل بمعنى أنزل لناقضه قوله جملة يؤيده قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر حيث عبر بانزلنا دون نزلنا لان المراد نزوله جملة فى سماء الدنيا (قوله قال تعالى) اى رد التلك الشبهة بامور ثلاثة مقتضية لنزوله مفرقا الاول تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم الثانى ترتيله ليسهل حفظه الثالث قوله ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا (قوله نزلناه كذلك) اشار بذلك الى ان قوله

عقبة بن ابى معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع ارضاء لابى بن خلف (على يديه) ندما وتحسرا فى يوم القيامة (يقول يا) للتنبيه (ليتنى اتخذت مع الرسول) محمد (سبيلا) طريقا الى الهدى (ياويلتا) الفه عوض عن ياء الاضافة اى ويلتى ومعناه هلاكى (ليتنى لم اتخذ فلانا) اى ابيا (خليلا لقد اضلنى عن الذكر) اى القرآن (بعد اذ جاءنى) بان ردنى عن الايمان به قال تعالى (وكان الشيطان للانسان) الكافر (خذولا) بان يتركه ويتبرأ منه عند البلاء (وقال الرسول) محمد (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا قال تعالى (وكذلك) كما جعلنا لك عدوا من مشركى قومك (جعلنا لكل نبي) قبلك (عدوا من المجرمين) المشركين فاصبر كما صبروا (وكفى بربك هاديا) لك (ونصيرا) ناصرا لك على اعدائك (وقال الذين كفروا لولا) هلا (نزل عليه القرآن جملة واحدة) كالتوراة والانجيل والزبور قال تعالى نزلناه (كذلك) اى متفرقا

كذلك نعت لمصدر محذوف والمعنى نزلناه تنزيلا مثل ذلك التنزيل (قوله لنثبت به فؤادك) علة للمحذوف الذى قدره المفسر والمعنى انزلناه مفرقا ليتقوى قلبك على تلقيه فلا يحصل لك منه ثقل لان القرآن فى نفسه ثقيل سيما على من لم يقرأ ولم يكتب قال تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ولذلك لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ وتتابع الوحى ثلاث سنين ليشتاق للتلقى فان الشئ اذا جاء على شوق كان اثبت (قوله ورتلناه ترتيلا) اى فرقناه آية بعد آية وشيا بعد شئ فى عشرين أو ثلاث وعشرين سنة (قوله لنيسر فهمه وحفظه) اى لك ولامتك عن ظهر قلب وهذه عطية لهذه الامة المحمدية لم يعطها غيرهم ولذا ورد وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيما للاطفال ليثبت فى قلوبهم واغتفر التنكيس فى تعليمه ليسهل حفظه فان الطفل اذا رأى السورة قصيرة قوى على حفظها ونشط لما بعدها (قوله ولا يأتونك بمثل) اى سؤال عجيب يريدون به القدح فى نبوتك (قوله الا جئناك بالحق) استثناء مفرغ من عموم الاحوال كانه قيل لا يأتونك بمثل فى حال من الاحوال الا فى حال اتياننا اليك بالحق وبما هو احسن بيانا له والمعنى كلما أوردوا شبهة أو اتوا بسؤال عجيب اجبنا عنه بجواب حسن يرده ويدفعه من غير كلفة عليك فيه فلو نزل القرآن جملة لكان النبي هو الذى يبحث فى القرآن عن رد تلك الشبهة كالعالم الذى يكشف فى الكتب عن جواب المسائل التى يسئل عنها فيكون الامر موكولا له فتكون الكلفة عليه وما كان موكولا الى الله كان اتم مما هو موكول الى العبد وفيه قمع للمعاندين (قوله واحسن) معطوف على الحق فهو مجرور بالفتحة للوصفية ووزن الفعل (قوله الذين يحشرون) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله اى يساقون) اى يسحبون مقلوبين بطؤن الارض برؤسهم ووجوههم وترتفع اقدامهم بقدرة الله تعالى (قوله من غيرهم) متعلق بكل من شر وأضل والمراد بغيرهم باقى الكفار والمعنى ان من عانده صلى الله عليه وسلم فهو فى أسوإ الاحوال واشرها فى الآخرة (قوله وهو كفرهم) الضمير عائد على السبيل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم على مكائد قومه بذكر بعض قصص الانبياء على سبيل الاجمال والمعنى لا تحزن يا محمد فان من خالفك وعاندك يحل به الدمار كما حل بالمخالف من الامم المتقدمة (قوله وجعلنا معه) معطوف على آتينا والواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فان اتيان موسى التوراة كان بعد رسالة هرون وهلاك فرعون وقومه ويمكن ان يجاب عن الآية بان المراد بقوله اتينا موسى الكتاب قدرنا له ان ياتيه فى عملنا فهو اخبار عما سيحصل فالماضى بالنسبة لما سبق فى علم الله (قوله اخاه) مفعول أول لجعلنا وهرون بدل منه ووزيرا مفعول ثان لجعلنا والمعنى جعلنا هرون معينا لموسى بوحى منا له فى دعوى القوم الى التوحيد واعلاء الكلمة فهو نبي ورسول بما جاء به موسى بخلاف وزارة على للنبي صلى الله عليه وسلم المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له انت منى بمنزلة هرون من موسى فالمراد بها مطلق الاعانة لا المشاركة فى الاتصاف بالرسالة فان من اثبتها لعلى فقد كفر (قوله بآياتنا) اى ادلة توحيدنا لا خصوص التسع (قوله فدمرناهم تدميرا) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فذهبا الخ (قوله لما كذبوا الرسل) لما شرطية وجوابها قوله اغرقناهم كما قال المفسر (قوله لطول لبثه) دفع بذلك ما يقال لم جمع الرسل مع انه رسول واحد وهو نوح فاجاب بجوابين الاول انه جمعه لطول مدته فى قومه فكانه رسل متعددة الثانى ان من كذب رسولا فقد كذب باقى الرسل (قوله وجعلناهم) اى جعلنا هلاكهم وما وقع منهم (قوله للظالمين) وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بوصف الظلم (قوله سوى ما يحل) اى ينزل بهم وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها بخلاف

(لنثبت به فؤادك) نقوى قلبك (ورتلناه ترتيلا) أى اتينا به شيا بعد شئ بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه (ولا يأتونك بمثل) فى ابطال أمرك (الا جئناك بالحق) الدافع له (واحسن تفسيرا) بيانا لهم (الذين يحشرون على وجوههم) اى يساقون (الى جهنم أولئك شر مكانا) هو جهنم (واضل سبيلا) اخطا طريقا من غيرهم وهو كفرهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا) معينا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى القبط فرعون وقومه فذهبا اليهم بالرسالة فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) اهلكناهم اهلاكا (و) اذكر (قوم نوح لما كذبوا الرسل) بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكانه رسل أولان تكذيبه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجئ بالتوحيد (اغرقناهم) جواب لما (وجعلناهم للناس) بعدهم (آية) عبرة (واعتدنا) فى الآخرة (للظالمين) الكافرين (عذابا اليما) مؤلما سوى ما يحل بهم فى الدنيا (و) اذكر (عادا) قوم هود

سائر معانيه فهو بالكسر لا غير (قوله وثمودا) بالصرف على معنى الحى وتركه على معنى القبيلة قراءتان سبعيتان (قوله اسم بئر) اختلف هل هى اسم للبئر التى لم تطو أو للبئر مطلقا وما قاله المفسر أحد أقوال فى الرس وقيل هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم فيه من كل لون فسموه العنقاء لطول عنقها وكانت تسكن الجبال وتختطف صبيانهم فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا (قوله وقيل غيره) أى وهو حنظلة (قوله فانهارت) أى انخسفت بهم (قوله وكلا) منصوب بفعل محذوف يلائم ضربنا فى معناه تقديره وخوفنا كلا ضربنا له الامثال والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا فتبرناهم تتبيرا أى فتتناهم تفتيتا فجعلناهم كالتبر وهو قطع الذهب والفضة المفتتة (قوله مر) أشار بذلك الى أنه ضمن أتوا معنى مروا فعدى بعلى والا فاتى يتعدى بنفسه أو بالى والمعنى مروا عليهم فى أسفارهم الى الشام (قوله مصدر ساء) أى بحسب الاصل والمراد فى الآية بالمطر السوء الرمى بالحجارة (قوله وهى عظمى قرى قوم لوط) أى واسمها سدوم وتقدم أن القرى خمسة وقيل ان أل فى القرية للجنس فيشمل جميعها لان الخسف ونزول الاحجار عم جميعها وقيل نجت منها واحدة كانت لا تعمل الخبائث (قوله يرونها) أى يرون آثارها (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله بل كانوا لا يرجون نشورا) أى كانوا كفارا لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فهو اضراب انتقالى من توبيخهم الى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم ايمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه (قوله ان يتخذونك) جواب اذا (قوله الا هزؤا) مفعول ثان ليتخذون وقوله مهزوأ به أشار بها الى أن المصدر مؤول باسم المفعول لان المفعول الثانى فى الاصل خبر والمصدر لا يصح الاخبار به الا بتاويل (قوله أهذا الذى الخ) الجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف قدره المفسر (قوله فى دعواه رسولا) قدر ذلك دفعا لما يقال هم لا يعترفون برسالته فكيف يقولون ماذكر (قوله ليضلنا عن آلهتنا) أى بكثرة الادلة والمعجزات (قوله لولا ان صبرنا عليها) أى ثبتنا واستمسكنا بعبادتها (قوله قال تعالى) أى رد القولهم ان كاد ليضلنا (قوله من أضل سبيلا) من اسم استفهام مبتدأ وأضل خبره وسبيلا تمييز وقد أشار المفسر الى ذلك بقوله أهم أم المؤمنون (قوله قدم المفعول الثانى) أى وقيل لا تقديم ولا تاخير لاستوائهما فى التعريف (قوله وجملة من الخ) أى بحسب الصورة والا فهى وصلتها فى قوة المفرد (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى (قوله أم تحسب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاستفهام فيها انكارى (قوله أن أكثرهم) استفيد منه ان الاقل سمع وعقل فآمن (قوله ان هم الا كالانعام) أى فى عدم انتفاعهم بالآيات (قوله بل هم اضل سبيلا) اى لان الانعام تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتهرب مما يضربها وهؤلاء ليسوا كذلك (قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل) اقام الله سبحانه وتعالى ادلة محسوسة على انفراده تعالى بالالوهية وذكر منها هنا خمسة الاول هذا الثانى قوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا الثالث قوله وهو الذى ارسل الرياح الرابع قوله وهو الذى مرج البحرين الخامس قوله وهو الذى خلق من الماء بشرا وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل عاقل فان من تامل فى تلك الادلة حق التامل عرف ان موجدها فاعل مختار منفرد بالكمال (قوله تنظر) اشار بذلك الى ان الرؤية بصرية فقوله كيف منصوب بمد على الحال والمعنى الم تنظر الى صنع ربك مد الظل كيف اى على اى حالة وقدر المفسر فعل اشارة الى ان المراد رؤية المصنوعات لا رؤية

تبرنا تتبيرا) اهلكنا اهلا كا بتكذيبهم انبياءهم (ولقد اتوا) اى مر كفار مكة (على القرية التى امطرت مطر السوء) مصدر ساء اى بالحجارة وهى عظمى قرى قوم لوط فاهلك الله اهلها لفعلهم الفاحشة (افلم يكونوا يرونها) فى سفرهم الى الشام فيعتبرون والاستفهام للتقرير (بل كانوا لا يرجون) يخافون (نشورا) بعثا فلا يؤمنون (واذا رأوك ان) ما (يتخذونك الا هزؤا) مهزوا به يقولون (اهذا الذى بعث الله رسولا) فى دعواه محتقرين له عن الرسالة (ان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه (كاد ليضلنا) يصرفنا (عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها) لصرفنا عبادتها قال تعالى (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) عيانا فى الآخرة (من اضل سبيلا) اخطا طريقا اهم ام المؤمنون (ارايت) اخبرنى (من اتخذ الهه هواه) اى مهويه قدم المفعول الثانى لانه اهم وجملة من اتخذ مفعول اول لرايت والثانى (افانت تكون عليه وكيلا) حافظا تحفظه عن اتباع هواه لا (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون) سماع تفهم (او يعقلون) ما تقول لهم (ان) ما (هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) اخطا طريقا منها لانها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم (الم تر) تنظر (الى) فعل (ربك كيف مد الظل)

الذات لان المقصود نصب الادلة ليستدل بها على مؤثرها فان كل صنعة لا بد لها من صانع وان كان يلزم من التفكر فى تلك الاشياء رؤية الله بعين القلب لانه لا يغيب عن مخلوقه طرفة عين ومن هنا قيل العارف يرى الله فى كل شئ فالآثار كالمرآة للناظر فمن تامل فيها رأى مؤثرها ولا تحجب الا من سبقت له الشقاوة (قوله من وقت الاسفار الخ) المناسب ان يقول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس اذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين ثانيها من غروب الشمس الى طلوعها ثالثها من طلوع الشمس الى ان تزول ومن زوالها الى غروبها وأما ما قاله المفسر فلم يوافقه عليه أحد من المفسرين وهذا الوقت أعنى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس أطيب الاوقات وأفضلها ولذا وصفت به الجنة قال تعالى وظل ممدود فيه يجد المريض راحته والمسافر وكل ذى علة وفيه ترد أرواح الاموات منهم الى الاجساد وطيب نفوس الاحياء قال أبو العالية نهار الجنة هكذا وأشار الى ساعة يصلون صلاة الفجر (قوله ولو شاء لجعله ساكنا) اى ثابتا مستقرا لا يذهب عن وجه الارض (قوله لا يزول بطلوع الشمس) اى بان لا تطلع فلا يزول بان يستمر الليل مقيما أو تطلع من غير ضوء (قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) اى جعلنا الشمس دليلا على الظل ليلا ونهارا فالمراد بالظل ما قابل نور الشمس وكل من الظل ونور الشمس عرض لقيامه بغيره وأما ذات الشمس فجوهر (قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) اى قليلا شيئا فشيئا وذلك ان الشمس اذا طلعت ظهر لكل شاخص ظل الى جهة المغرب فكلما ارتفعت فى الافق نقص الظل شيئا فشيئا الى ان تصل الشمس وسط السماء فعند ذلك ينتهى نقص الظل فبعض البلاد لا يبقى فيها ظل أبدا فى بعض أيام السنة كمكة وزبيد وما عداها تبقى له بقية وهذا على حسب الاشهر القبطية وضبط ذلك بعضهم بقوله طزه جبا ابدوحى فالطاء بتسعة لطوبة فظل الزوال فيه تسعة أقدام والزاى بسبعة لامشير والهاء بخمسة لبرمهات والجيم بثلاثة لبرمودة والباء باثنين لبشنس والالف بواحدة لتوبة والالف الثانية بواحد لابيب والباء باثنين لمسرى والدال باربعة لتوت والواو بستة لبابه والحاء بثمانية لهاتور والياء بعشرة لكيهك فاذا زالت الشمس زاد الظل جهة المشرق شيئا فشيئا حتى تغرب الشمس (قوله كاللباس) أشار بذلك الى انه من التشبيه البليغ بحذف الاداة ووجه الجامع بين المشبه والمشبه به الستر فى كل (قوله والنوم سباتا) من السبت وهو القطع لقطع الاشغال فيه كما قال المفسر (قوله بقطع الاعمال) الباء سببية والجار والمجرور متعلق براحة (قوله لابتغاء الرزق) اى طلبه (قوله وهو الذى أرسل الرياح) اى المبشرات وهى ثلاث الشمال وتاتى من جهة القطب والجنوب تقابلها والصبا وتاتى من مطلع الشمس والدبور تاتى من المغرب وبها أهلكت عاد (قوله وفى قراءة الريح) اى وهى سبعية أيضا وأل فيها للجنس (قوله وفى قراءة بسكون الشين الخ) حاصل ما ذكره المفسر من القراآت أربع وكلها سبعية الاولى والثانية جمع نشور كرسول والثالثة مصدر نشر والرابعة جمع بشير (قوله ومفرد الاولى) اى والثانية (قوله وأنزلنا من السماء) فيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله طهورا) اى طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره (قوله بلدة) أى أرضا (قوله بالتخفيف) اى لا غير لان المخفف لما ليس ذا روح غالبا واما بالتشديد لما كانت فيه الروح قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال بعضهم

أيا سائلى تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ما عنه تسئل
فما كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل

(قوله يستوى فيه المذكر الخ) جواب عما يقال لم ذكر ميتا مع انه نعت لبلدة وهى مؤنثة وقوله ذكره الخ جواب ثان فكان المناسب ان يأتى باو (قوله انعاما) خصها بالذكر لانها عزيزة عند أهلها لكونها سببا لحياتهم ومعاشهم (قوله جمع انسان) هو الراجح وقيل جمع انسى وهو معترض بان الياء فى

من وقت الاسفار الى وقت طلوع الشمس (ولو شاء لجعله ساكنا) مقيما لا يزول بطلوع الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) اى الظل (دليلا) فلولا الشمس ما عرف الظل (ثم قبضناه) اى الظل الممدود (الينا قبضا يسيرا) خفيا بطلوع الشمس (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) ساترا كاللباس (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع الاعمال (وجعل النهار نشورا) منشورا فيه لابتغاء الرزق وغيره (وهو الذى أرسل الرياح) وفى قراءة الريح (بشرا بين يدى رحمته) اى متفرقة قدام المطر وفى قراءة بسكون الشين تخفيفا وفى أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفى أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون اى مبشرات ومفرد الاولى نشور كرسول والاخيرة نشر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا (لنحيى به بلدة ميتا) بالتخفيف يستوى فيه المذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان (ونسقيه) اى الماء (مما خلقنا أنعاما) ابلا وبقرا وغنما (وأناسى كثيرا) جمع انسان

انسي للنسب وهو لا يجمع على فعالى كما قال ابن مالك

* واجعل فعالى لغير ذى نسب * (قوله واصله اناسين) اى كسرحان وسراحين (قوله ولقد صرفناه) اى فرقناه فى البلاد المختلفة والاوقات المتغايرة على حسب ما قدر فى سابق علمه، روى عن ابن مسعود انه قال ليس من سنة بامطر من اخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم واذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافى والبحار (قوله ادغمت التاء فى الذال) اى بعد قلبها ذالا فذالا (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله اى نعمة الله به) اى فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيرا (قوله جحودا للنعمة) أى حيث أضافوها لغير خالقها (قوله مطرنا بنوء كذا) النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب وطلوع رقيبه من المشرق فى ساعته فى عدة أيام معلومة لهم وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط وقيل الى الطالع واعتقاد تاثير تلك الاشياء فى المصنوعات كفر لانه لا اثر لشئ فى شئ بل المؤثر هو الله وحده وانما تلك الاشياء من جملة الاسباب العادية التى توجد الاشياء عندها لا بها ويمكن تخلفها كالاحراق للنار والرى للماء والشبع للاكل (قوله لبعثنا فى كل قرية) اى فى زمنك (قوله ليعظم أجرك) اى فالنبى صلى الله عليه وسلم له مثل اجر من آمن به من بعثته الى يوم القيامة (قوله فلا تطع الكافرين) اى بل اصبر على احكام ربك (قوله جهادا كبيرا) اى لان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف (قوله أرسلهما متجاورين) اى اجراهما متلاصقين لا يمتزجان ولا يبغى احدهما على الآخر (قوله هذا عذب فرات) هذه الجملة يحتمل ان تكون مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل كيف مرجهما ويحتمل ان تكون حالية بتقدير القول أى مقولا فيهما هذا عذب الخ وسمى الماء العذب فراتا لانه يفرت العطش أى يشقه ويقطعه (قوله شديد الملوحة) اى وقيل شديد الحرارة وقيل شديد المرارة وهذا من أحسن المقابلة حيث قال عذب فرات وملح اجاج (قوله حاجزا لا يختلط احدهما بالآخر) اى فالماء العذب داخل فى الملح وجار فى خلاله ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان بل يبقى كل على ما هو عليه بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوى لا يحس بل بمحض قدرته تعالى وهذا من اكبر الادلة على انفراد الله تعالى بالالوهية (قوله وحجرا محجورا) تقدم ان معناه تعوذا تعوذا والمراد هنا الستر المانع فشبه البحران بطائفتين متعاديتين كل منهما تتحصن من الاخرى وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو قوله حجرا محجورا على طريق الاستعارة المكنية (قوله بشرا) اى خلقا كاملا مركبا من لحم وعظم وعصب وعروق ودم على شكل حسن قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم (قوله ذا نسب الخ) اى فقسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن واخر الصهر لانه لا يحصل الا بعد الكبر والتزوج (قوله ذا صهر) صهر الرجل اقارب زوجته وصهر المرأة اقارب زوجها (قوله وكان ربك قديرا) اى حيث خلق من مادة واحدة انسانا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة واخلاق متعددة وجعله قسمين متقابلين فمن كان قادرا على ذلك وامثاله فهو حقيق بان لا يعبد غيره (قوله ويعبدون من دون الله) شروع فى ذكر قبائح المشركين مع ظهور تلك الادلة (قوله مالا ينفعهم ولا يضرهم) قدم النفع فى بعض الآيات وأخره فى بعضها تفننا (قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا) اى يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك وال فى الكافر للجنس فالمراد كل كافر وقيل معنى ظهيرا مهينا لا يعبأ به فعلى بمعنى عند والمعنى وكان الكافر عند ربه مهانا لاحرمة له ماخوذ من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك (قوله بطاعته) أى الشيطان والباء سببية والمعنى صار الكافر معينا للشيطان على معصية الله بسبب طاعته اياه والخروج

واصله أناسين فابدلت النون ياء وادغمت فيها الياء اوجمع انسي (ولقد صرفناه) أى الماء (بينهم ليذكروا) اصله يتذكروا ادغمت التاء فى الذال وفى قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أى نعمة الله به (فابى اكثر الناس الا كفورا) جحودا للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) يخوف اهلها ولكن بعثناك الى اهل القرى كلها نذيرا ليعظم اجرك (فلا تطع الكافرين) فى هواهم (وجاهدهم به) اى القرآن (جهادا كبيرا) وهو الذى مرج البحرين) ارسلهما متجاورين (هذا عذب فرات) شديد العذوبة (وهذا ملح اجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حاجزا لا يختلط احدهما بالآخر (وحجرا محجورا) اى سترا ممنوعا به اختلاطهما (وهو الذى خلق من الماء بشرا) من المنى انسانا (فجعله نسبا) ذا نسب (وصهرا) ذا صهر بان يتزوج ذكرا كان او انثى طلبا للتناسل (وكان ربك قديرا) قادرا على ما يشاء (ويعبدون) اى الكفار (من دون الله مالا ينفعهم) بعبادته (ولا يضرهم) بتركها وهو الاصنام (وكان الكافر على ربه ظهيرا) معينا للشيطان بطاعته

عن طاعة الله (قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) اى لم نرسلك فى حال من الاحوال الا فى حال كونك مبشرا ونذيرا فمن آمن فقد تحقق بالبشارة ومن استمر على الكفر فله النذارة (قوله على تبليغ ما ارسلت به) اى المفهوم من قوله ارسلناك (قوله لكن من شاء الخ) أشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع والمعنى لا أطلب من اموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء ان ينفق امواله لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته فليفعل (قوله فى مرضاته تعالى) اى كالصدقة والنفقة فى سبيل الله تعالى (قوله وتوكل على الحى الذى لا يموت) لما قدم ان الكافر خارج عن طاعة ربه وعن طاعة رسوله وامر الرسول ان لا يسالهم اجرا على تبليغه أمره بالاعتماد عليه تعالى ليكفيه شرورهم ويغنيه عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى فى جميع الامور من غير اعتماد على الاسباب وان تعاطاها (قوله الذى لا يموت) صفة كاشفة لان معنى الحى فى حقه تعالى ذو الحياة الابدية التى يستحيل عليها الموت والفناء ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم لاتصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية (قوله وسبح) اى نزهه عن كل نقص (قوله بحمده) الباء للملابسة كما قال المفسر اى صفه بالكمالات (قوله اى قل سبحان الله والحمد لله) اى فذلك مجمع التسبيح والتحميد لان معنى تسبيح الله تنزيه الله عن كل نقص ومعنى الحمد لله كل كمال ثابت لله فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التى اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التى بقيتها لا اله الا الله والله اكبر وحكمة تاخير لا اله الا الله عن هاتين الجملتين ليكون النطق بها عن معرفة ويقين فهى نتيجة ما قبلها والله اكبر نتيجة الثلاث قبلها لانه اذا تنزه عن النقائص واتصف بالكمالات وثبت انه لا اله غيره فقد انفرد بالكبرياء والعظمة وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد لانهما مستلزمتان للجملتين بعدهما (قوله وكفى به) الباء زائدة فى الفاعل (قوله عالما) اى بالمذنب والطائع (قوله تعلق به) اى بخبيرا (قوله بذنوب) اى لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة والمعنى ان الله قادر على مجازاة الخلق فى كل وقت فلا ينظر الانسان لعيوب الناس ولا طاعاتهم بل عليه بنفسه ويفوض امرهم اليه (قوله هو الذى) اشار بذلك الى ان الموصول خبر لمحذوف وهذه الجملة سيقت تحريضا للتوكل عليه تعالى فان من كان قادرا على ذلك فهو حقيق بالتوكل عليه (قوله فى ستة ايام) اى فالارض فى يومين الاحد والاثنين وما عليها فى يومين الثلاثاء والاربعاء والسموات فى يومين الخميس والجمعة، فرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة (قوله اى فى قدرها) دفع بذلك ما يقال ان الايام لم تكن موجودة اذ ذاك (قوله والعدول عنه) اى عن الخلق فى لمحة (قوله التثبت) اى التانى والتؤدة فى الامور وعدم العجلة فيها المرادان العجلة من الشيطان واستثنى العلماء من ذلك مسائل اكرام الضيف وتزويج الكفء وتجهيز الميت والصلاة فى اول وقتها وقضاء الدين وتعجيل الاوبة للمسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب (قوله هو فى اللغة سرير الملك) ى ومنه قوله تعالى ايكم ياتينى بعرشها والمراد هنا جسم عظيم محيط بالعالم فوق سمرات السبع (قوله بدل من ضمير استوى) ويصح ان يكون خبر المحذوف أو خبر الذى خلق (قوله اى استواء يليق به) هذا اشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة ومذهب الخلف تفسير الاستواء بالاستيلاء عليه والتصرف فيه وهو احد معنيى الاستواء واستدلوا لذلك بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وفى قوله الرحمن اشارة الى ان الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العالمين وكان سقف

(وما ارسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) مخوفا من النار (قل ما اسالكم عليه) اى على تبليغ ما ارسلت به (من اجر الا) لكن (من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) طريقا بانفاق ماله فى مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك (وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح) متلبسا (بحمده) اى قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) عالما تعلق به بذنوب هو (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام) من ايام الدنيا اى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) هو فى اللغة سرير الملك (الرحمن) بدل من ضمير استوى اى استواء يليق به

الجنة لا بوصف الجلال والاكرام ولم يبق له اثر (قوله فاسال به خبيرا) به متعلق بخبير قدم لرعاية الفاصلة والمعنى اسال يا محمد خبيرا بصفاته تعالى وليس خبيرا بصفاته الا هو سبحانه وتعالى و يصح ان يكون الجار والمجرور متعلقا باسال والباء بمعنى عن والمعنى اسال عنه خبيرا أى عالما بصفاته يطلعك على ما خفى عليك والخبير يختلف باختلاف السائل فان كان السائل النبي عليه الصلاة والسلام فالخبير هو الله وان كان السائل اصحابه فالخبير النبي وان كان السائل التابعين فالخبير الصحابة عن النبي عن الله وهكذا فآل الامر الى ان المشايخ العارفين يفيدون الطالب عن الله وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد (قوله واذا قيل لهم) اى لكفار مكة (قوله قالوا وما الرحمن) اى ظنا منهم ان المراد به غيره تعالى لانهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلمة الكذاب (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى قهما قراءتان سبعيتان (قوله والآمر محمد) اى على كل من القراءتين (قوله ولا نعرفه) راجع لقوله لما تامرنا فكان المناسب ذكره بلصقه (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى (قوله تعاظم) اى انفرد بالعظمة لان من كانت هذه اوصافه فهو منفرد بالكبرياء والعظمة وتقدم ان لفظة تبارك من الصفات الجامعة تفسر فى كل مقام بما يناسبه (قوله بروجا) جمع برج وهو فى الاصل القصر العالى سميت هذه المنازل بروجا لانها للكواكب السبعة السيارة كالمنازل الرفيعة التى هى كالقصور لسكانها فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة (قوله الحمل) اى و يسمى بالكبش (قوله والاسد) اى و يسمى بالليث ايضا وقوله والدلو يسمى الدالى ايضا (قوله المربخ) بكسر الميم (قوله وله) اى من البروج المذكورة والحاصل ان خمسة من الكواكب السبعة اخذت عشرة بروج كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما اخذ واحدا من البروج وتقدم فى سورة الحجر نظم الكواكب والبروج وتقدم ان زحل نجم فى السماء السابعة والمشترى فى السادسة والمربخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الاولى وتخصيص الشمس بالاسد لكونه بيتها المنسوب لها فلا ينافى سيرها فى البروج كلها وكذا غيرها من بواقى الكواكب السبعة وذلك لان البروج اصلها فى سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها (قوله والزهرة) بفتح الهاء (قوله وعطارد) بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع (قوله وزحل) ممنوع من الصرف للعلمية والعدل كعمر وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالاكل والشرب يوجد النفع عندها لا بها فهى من جملة الاسباب العادية فمن اعتقد تاثيرها بطبعها فقد كفر أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق (قوله وجعل فيها) اى السماء (قوله اى نيرات) صفة لموصوف محذوف اى كواكب نيرات ودخل فيها القمر فلذلك قال وخص القمر الخ (قوله لنوع فضيلة) اى لان مواقيت العبادة تبنى على الشهور القمرية قال تعالى و يسالونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج (قوله اى يخلف كل منهما الآخر) اى بان يقوم مقامه فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه (قوله بالتشديد) اى فاصله يتذكر قلبت التاء دالا ثم ذالا وادغمت فى الذال (قوله والتخفيف) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله كما تقدم) اى فى قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا (قوله مافاته فى احدهما من خير الخ) اى فمن فاته شئ من الخير بالليل ادركه بالنهار ومن فاته بالنهار ادركه بالليل من فرائض وسنن وغيرهما (قوله او اراد شكورا) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله وعباد الرحمن الخ) لما ذكر احوال المنافقين والكفار وما آل اليه أمرهم ذكر هنا اوصاف المؤمنين الكاملين ووصفهم باوصاف ثمانية بها تنال المراتب العالية واضافتهم

(فاسئل) ايها الانسان (به) بالرحمن (خبيرا) يخبرك بصفاته (واذا قيل لهم) لكفار مكة (اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا) بالفوقانية والتحتانية والآمر محمد ولا نعرفه لا (وزادهم) هذا القول لهم (نفورا) عن الايمان قال تعالى (تبارك) تعاظم (الذى جعل فى السماء بروجا) اثنى عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهى منازل الكواكب السبعة السيارة المربخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو (وجعل فيها) ايضا (سراجا) هو الشمس (وقمرا منيرا) وفى قراءة سرجا بالجمع اى نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) اى يخلف كل منهما الآخر (لمن اراد ان يذكر) بالتشديد والتخفيف كما تقدم مافاته فى احدهما من خير فيفعله فى الآخر (او اراد شكورا) اى شكر النعمة ربه عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ اليه

وما بعده صفات له الى اولئك يجزون غير المعترض فيه (الذين يمشون على الارض هونا) اى بسكينة وتواضع (واذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه (قالوا سلاما) اى قولا يسلمون فيه من الاثم (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) بمعنى قائمين اى يصلون بالليل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) اى لازما (انها ساءت) بئست (مستقرا ومقاما) هى اى موضع استقرار واقامة (والذين اذا انفقوا) على عيالهم (لم يسرفوا ولم يقتروا) بفتح اوله وضمه اى يضيقوا (وكان) انفاقهم (بين ذلك) الاسراف والاقتار (قواما) وسطا (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله) قتلها (الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك) اى واحدا من الثلاثة (يلق اثاما) اى عقوبة (يضاعف) وفى قراءة يضعف بالتشديد (له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه) بجزم الفعلين بدلا و برفعهما استئنافا (مهانا) حال (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) منهم (فاولئك يبدل الله سيآتهم) المذكورة (حسنات) فى الآخرة (وكان الله غفورا رحيما) اى لم يزل متصفا بذلك (ومن تاب) من ذنوبه غير من ذكر (وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) اى يرجع اليه رجوعا فيجازيه خيرا (والذين لا يشهدون الزور) اى الكذب والباطل (واذا مروا باللغو) من الكلام القبيح وغيره

اليه تعالى للتشريف والا فكل المخلوقات عباد الله أو يقال اضافتهم له من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة وستختص بهم فى الآخرة (قوله وما بعده) أى من الموصولات الثمانية التى أولها قوله الذين يمشون وآخرها قوله والذين يقولون ربنا هب لنا (قوله الى أولئك) أى وهو الخبر كما سيذكره هناك (قوله غير المعترض فيه) أى وهو قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما الى قوله متابا وهو ثلاث آيات وحاصل ما ذكر من الاوصاف أن بعضها متعلق بالخلق وبعضها متعلق بالخالق (قوله هونا) هو مصدر هان كقال (قوله أى بسكينة) أى تؤدة وتان (قوله الجاهلون) أى السفهاء (قوله قالوا سلاما) أى مع القدرة على الانتقام فالمراد الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام وهذا الخلق من أعظم الاخلاق لما فى الحديث كاد الحليم أن يكون نبيا وفى الحديث يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم والآثار فى ذلك كثيرة (قوله والذين يبيتون) شروع فى ذكر معاملتهم للخالق اثر معاملتهم للخلق وخص البيتوتة بالذكر لان العبادة بالليل أبعد عن الرياء وفى الحديث لا زال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لا ينامون وأخر القيام مراعاة للفواصل (قوله أى يصلون بالليل) هذا صادق بصلاة العشاء والصبح فى جماعة ولكن كلما كثرت الصلاة بالليل كان خيرا (قوله والذين يقولون الخ) أى فهم مع حسن المعاملة للخالق وللخلق ليس عندهم غرور ولا أمن من مكر الله بل هم خائفون من عذابه وجلون من هيبته (قوله ان عذابها الخ) تعليل لقولهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم (قوله كان غراما) أى فى علمه تعالى (قوله أى لازما) أى لزوما كليا فى حق الكفار ولزوما بعده خروج فى حق عصاة المؤمنين (قوله انها ساءت) الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز المذكور والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله هى (قوله مستقرا ومقاما) هما بمعنى واحد وهو الذى يشير اليه المفسر وقيل مستقر العصاة المؤمنين ومقاما للكافرين (قوله بفتح أوله) أى مع كسر التاء وضمها من بان ضرب ونصر وقوله وضمه أى مع كسر التاء لا غير فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أى يضيقوا) أى على عيالهم مع يسارهم (قوله وكان بين ذلك قواما) هو بمعنى قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية (قوله والذين لا يدعون مع الله الخ) شروع فى بيان اجتنابهم للمعاصى اثر بيان اتيانهم الطاعات (قوله الا بالحق) اى لا يقتلون النفس المحرمة بسبب من الاسباب الا بسبب الحق بان تكون مستحقة للقتل كالمرتد والزانى المحصن والقاتل (قوله أى واحدا من الثلاثة) فى بعض النسخ أى ما ذكر وهو المناسب لقوله يضاعف لان الشرك اذا ارتكب المعاصى مع الشرك تضاعفت له العقوبة (قوله وفى قراءة يضعف) أى فيهما قراءتان سبعيتان وكل منهما مع جزم الفعل ورفعه فالقراآت أربع سبعيات (قوله بدلا) أى من يلق بدل اشتمال (قوله مهانا) أى ذليلا حقيرا (قوله الا من تاب) استثناء متصل من الضمير فى يلق (قوله فاولئك) اسم الاشارة راجع لقوله من تاب (قوله يبدل الله سيآتهم) أى يمحو ما سبق منهم من المعاصى بسبب التوبة ويثبت مكانها الطاعات أو نيتها وفى القرطبى ولا يبعد فى كلام الله تعالى اذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة (قوله ومن تاب) أى عن المعاصى بتركها والندم عليها (قوله وعمل صالحا) أى فعل الطاعات ولو بالنية كمن جاءه الموت عقب التوبة (قوله فيجازيه خيرا) دفع بذلك ما يتوهم اتحاد الشرط والجزاء كانه قال من تاب وعمل صالحا فانه يرجع الى جزاء الله فى الآخرة الجزاء الحسن (قوله والذين لا يشهدون الزور) اى لا يحضرونه اولا يشهدون به (قوله واذا مروا) باللغو اى من غير تقصد منهم له (قوله وغيره) اى وهو الفعل

القبيح (قوله مروا كراما) اى مكرمين أنفسهم بالغض عن الفواحش (قوله بل خروا سامعين الخ) أشار بذلك الى ان النفى مسلط على القيد فقط وهو قوله صما وعميانا والمعنى اذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر (قوله من أزواجنا) من للبيان (قوله بالجمع والافراد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قرة أعين) اى ما يحصل به سرورها (قوله واجعلنا للمتقين اماما) اى اجعلنا هداة يقتدى بنا فى مواسم الخيرات والطاعات بان تصفى بواطننا من من غيرك حتى يكون حالنا سببا فى هداية الخلق ولذا قيل حال رجل فى ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل فى رجل ولفظ امام يستوى فيه الجمع وغيره فالمطابقة حاصلة (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على المتصفين بالاوصاف الثمانية (قوله الغرفة) اسم جنس أريد به الجمع والغرفة اعلى منازل الجنة وأفضلها كما ان الغرفة أعلا مسا كن الدنيا (قوله بالتشديد) اى ومعناه يعطون والفاعل الله وقوله والتخفيف أى فمعناه يجدون والقراءتان سبعيتان (قوله تحية وسلاما) جمع بينهما لان المراد بالتحية الاكرام بالهدايا والتحف وبالسلام سلامه تعالى عليهم بالقول او سلام الملائكة أو سلام بعضهم على بعض (قوله الملائكة) أى أو من الله او من بعضهم لبعض والمعنى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فتحصل ان قوله تحية وسلاما قيل هما بمعنى واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظهما وقيل متخالفان فالتحية الاكرام بالهدايا والتحف والسلام الدعاء اما من الملائكة او من الله أو من بعضهم لبعض (قوله خالدين فيها) اى لا يموتون ولا يخرجون (قوله وأولئك) اى الواقع مبتدا وقوله وما بعده اى قوله يجزون الواقع خبره (قوله قل ما يعبأ بكم ربى الخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين أفاد ان المدار على تلك الاوصاف التى بها العبادة لله فلولا العبادة الواقعة من الخلق لم يكترث بهم ولم يعتد بهم عنده فان الانسان خلق ليعرف ربه ويعبده والا فهو شبيه بالبهائم قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففى العبادة يتنافس المتنافسون وبها يفوز الفائزون (قوله لولا دعاؤكم اياه) أشار بذلك الى ان المصدر مضاف لفاعله (قوله فسوف يكون العذاب) اى الذى دل عليه قوله فقد كذبتم (قوله لزاما) مصدر لازم كقاتل قتالا والمراد هنا اسم الفاعل وفى الآية تهديد لكفار مكة (قوله فقتل منهم يوم بدر سبعون الخ) روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وقوله خمس اى خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل فالدخان هو قوله تعالى يوم تاتى السماء بدخان مبين والمراد به شئ يشبه الدخان وقد نزل بقريش من شدة الجوع صار الواحد يرى كأن بينه وبين السماء دخانا والقمر فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والروم فى قوله تعالى غلبت الروم فى أدنى الارض والبطشة فى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى وهى القتل يوم بدر واللزام هو الاسر يومها (قوله دل عليه ما قبلها) اى وهو قوله قل ما يعبأ بكم ربى والتقدير لولا دعاؤكم اى طلبكم من الله رفع الشدائد وانتم تتعلقون باستار الكعبة ما يعبأ بكم اى ما يكترث بكم فلا يرفعها عنكم وقوله فقد كذبتم أى دمتم على تكذيبه بعد اخراجه من بينكم فسوف يكون العذاب لازما لكم لا يردعنكم ولا يقبل منكم دعاء فتدبر

﴿سورة الشعراء﴾

اى السورة التى ذكر فيها الشعراء سميت باسم بعضها على عادته تعالى وقد ورد فى فضل الطواسين احاديث منها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله أعطانى السبع الطوال مكان التوراة وأعطانى المص مكان الانجيل وأعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبى قبلى

(مروا كراما) معرضين عنه (والذين اذا ذكروا) وعظوا (بآيات ربهم) اى القرآن (لم يخروا) يسقطوا (عليها صما وعميانا) بل خروا سامعين ناظرين منتفعين (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا) بالجمع والافراد (قرة أعين) لنا بان نراهم مطيعين لك (واجعلنا للمتقين اماما) فى الخير (أولئك يجزون الغرفة) الدرجة العليا فى الجنة (بما صبروا على طاعة الله (ويلقون) بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء (فيها) فى الغرفة (تحية وسلاما) من الملائكة (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) موضع اقامة لهم وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدا (قل) يا محمد لاهل مكة (ما) نافية (يعبأ) يكترث (بكم ربى لولا دعاؤكم) اياه فى الشدائد ليكشفها (فقد) اى فكيف (يعبأ بكم وقد (كذبتم الرسول والقرآن (فسوف يكون) العذاب (لزاما) ملازما لكم فى الآخرة بعد ما يحل بكم فى الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون جواب لولا دل عليه ما قبلها

﴿سورة الشعراء مكية﴾

(قوله الا والشعراء الى آخرها) اى وجملته أربع آيات (قوله طسم) هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض وفى مصحف ابن مسعود ط س م مفصولة من بعضها وبها قرئ فيقف على كل حرف وقفة يميزها كل حرف وقرئ هنا وفى القصص بكسر الميم على البناء وأمال الطاء بعض القراء (قوله الله اعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا القول أصح وأسلم (قوله تلك) مبتدأ وآيات الكتاب خبره واسم الاشارة عائد على آيات هذه السورة (قوله والاضافة بمعنى من) اى والمعنى آيات من الكتاب (قوله المظهر الحق من الباطل) اشار بذلك الى ان المبين من أبان بمعنى اظهر ويصح ان يكون من بان اللازم بمعنى ظهر اى الظاهر اعجازه (قوله لعلك باخع نفسك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والباخع من بخع من باب نفع قتل نفسه من وجد او غيظ (قوله ولعل هنا للاشفاق) أى فالترجى بمعنى الامر والمعنى ارحم نفسك وارأف بها (قوله اى اشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعى وبوصلها من الثلاثى والاول ان تعدى بمن كان بمعنى الخوف وان تعدى بعلى كان بمعنى الرحمة والرفق (قوله ان نشا ننزل عليهم الخ) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان حقيقة أمرهم والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم فانا لو شئنا ايمانهم لانزلنا عليهم معجزة تاخذ بقلوبهم فيؤمنون قهرا عليهم ولكن سبق فى علمنا شقاؤهم فعدم ايمانهم متالا منهم فارح نفسك من التعب القائم بها وان حرف شرط ونشا فعل الشرط وننزل جوابه (قوله آية) أى معجزة تخوفهم كرفع الجبل فوق رؤسهم كما وقع لبنى اسرائيل (قوله بمعنى المضارع) اشار بذلك الى ان قوله فظلت مستانف ويصح ان يكون معطوفا على ننزل فهو فى محل جزم (قوله ولما وصفت الاعناق بالخضوع الخ) دفع بذلك ما يقال كيف جمع الاعناق بجمع العقلاء فاجاب بانه لما ناسب الخضوع لها وهو وصف العقلاء جمعها بالياء والنون كقوله تعالى رأيتهم لى ساجدين قالتا أتينا طائعين والا فكان مقتضى الظاهر ان يقول خاضعة وهناك اجوبة أخر منها ان المراد بالاعناق الرؤساء ومنها ان لفظ الاعناق مقحم والاصل فظلوا لها خاضعين ومنها غير ذلك (قوله من ذكر) من زائدة وقوله من الرحمن من ابتدائية (قوله صفة كاشفة) اى لانه فهم من قوله ياتيهم لان التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث (قوله الا كانوا عنه معرضين) أى غير متاملين له (قوله عواقب) اى وعبر عنها بالانباء لان القرآن أخبر عنها والمراد نزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم (قوله اولم يروا الى الارض) أى الى عجائبها والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اغفلوا اولم ينظروا الى الارض الخ وهذا بيان للادلة التى تحدث فى الارض وقتا بعد وقت تدل على انه متفرد بالالوهية ومع ذلك استمرا كثرهم على الكفر (قوله كم انبتنا فيها) كم فى محل نصب مفعول لانبتنا ومن كل زوج تمييزها (قوله نوع حسن) أى كثير النفع (قوله ان فى ذلك لآية الخ) قد ذكرت هذه الآية فى هذه السورة ثمان مرات (قوله فى علم الله) هذا مبنى على اصالة كان وقوله وكان قال سيبويه الخ توجيه ثان فكان المناسب ان يقول وقال سيبويه كان زائدة (قوله ذو العزة) اى الهيبة والجلال (قوله ينتقم من الكافرين) اى بمظهر عزته الذى هو القهر والغلبة وقوله يرحم المؤمنين أى بمظهر رحمته (قوله واذ نادى ربك موسى الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة سبع قصص اولها قصة موسى وهرون ثانيها قصة ابراهيم ثالثها قصة نوح رابعها قصة هود خامسها قصة صالح سادسها قصة لوط سابعها قصة شعيب وتقدم حكمة ذكر تلك القصص ان بها تكون الحجة على الكافرين والزيادة فى علم المؤمنين ولذا كان المؤمن من هذه الامة اسعد السعداء وكافرها اشقى الاشقياء وحكمة التكرار الزيادة فى ايمان المؤمن وقطع حجة الكافر والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وليس المراد به ذكر وقت المناداة بل المراد ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله ليلة رأى النار والشجرة) اى رأى

الا والشعراء الى آخرها
قدنى وهى مائتان وسبع وعشرون آية
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(طسم) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) اى هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (المبين) المظهر الحق من الباطل (لعلك) يا محمد (باخع نفسك) قاتلها غما من اجل (ان لا يكونوا) اى اهل مكة (مؤمنين) ولعل هنا للاشفاق اى اشفق عليها بتخفيف هذا
نعم (ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت) بمعنى المضارع اى تظل اى تدوم (اعناقهم لها خاضعين) فيؤمنون ولما وصفت الاعناق بالخضوع الذى هو لاربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء (وما ياتيهم من ذكر) قرآن (من الرحمن محدث) صفة كاشفة (الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا) به (فسيأتيهم انباء) عواقب (ما كانوا به يستهزؤن او لم يروا) ينظروا (الى الارض كم انبتنا فيها) اى كثيرا (من كل زوج كريم) نوع حسن (ان فى ذلك لآية) دلالة على كمال قدرته تعالى (وما كان اكثرهم مؤمنين) فى علم الله وكان قال سيبويه زائدة (وان ربك لهو العزيز) ذو العزة ينتقم من الكافرين (الرحيم) يرحم المؤمنين (و) اذكر يا محمد لقومك (اذ نادى ربك موسى) ليلة رأى النار والشجرة

النار موقدة فى الشجرة الخضراء وليس هذا مبدأ ما وقع فى المناداة وانما هو ما فصل فى سورة طه من قوله تعالى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى (قوله ان ائت القوم الظالمين) يصح ان تكون ان مصدرية كما مشى عليه المفسر او مفسرة لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وكان النداء بكلام نفسى سمعه من جميع جهاته بجميع اجزائه من غير واسطة (قوله رسولا) حال من فاعل ائت (قوله قوم فرعون) بدل من القوم الظالمين وقوله معه اى فرعون وهذا قدفهم بالاولى لانه راس الضلال (قوله و بنى اسرائيل) معطوف على انفسهم والتقدير وظلموا بنى اسرائيل (قوله باستعبادهم) اى معاملتهم اياهم معاملة العبيد فى استخدامهم فى الاعمال الشاقة والصنائع الخسيسة نحو اربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثين (قوله للاستفهام الانكارى) المناسب ان يقول للاستفهام التعجبى لان المعنى على الانكار فاسد لانه للنفى ومدخولها نفى ونفى النفى اثبات فيصير المعنى انهم اتقوا الله وليس كذلك و يصح ان تكون الا للعرض (قوله قال رب انى اخاف الخ) اعتذار من موسى لاظهار العجز عن الامر الذى كلفه وقد اتى بثلاثة اعذار كل واحد منها مرتب على ماقبله (قوله و يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) هما بالرفع على الاستئناف اوعطف على خبر ان عند السبع وقرئ شذوذا بنصبهما عطفا على مدخول ان والمقصود من هذا الاعتذار الاعانة على هذا الامر المهم بشرح الصدر وطلاقة اللسان وارسال اخيه والامن من القتل وقد دل على ذلك قوله فى سورة طه رب اشرح لى صدرى و يسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى الآيات (قوله للعقدة التى فيه) أى الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير حين نتف لحية فرعون فاغتم لذلك وهم بقتله فاشارت عليه زوجته ان يمتحنه فقدم له تمرة وجمرة فاخذ الجمرة بتحويل جبريل يده فوضعها على لسانه فحصل فيه ثقل فى النطق (قوله فارسل الى هرون) اى وكان فى مصر فاتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة فموسى جاءته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل وان كان حاضرا وهرون جاءته الرسالة فى ذلك الوقت ايضا بواسطة جبريل (قوله معى) اى ليكون معينا لى وهو بمعنى قوله فى سورة القصص فارسله معى ردأ يصدقنى (قوله ولهم على ذنب) اى فى زعمهم (قوله فاخاف ان يقتلون) اى فيفوت المقصود من الارسال (قوله فيه تغليب الحاضر على الغائب) اى بالنسبة لموسى والا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله بآياتنا) جمع الآيات مع انهما اثنان العصا واليد باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات (قوله انا معكم) اى معية خاصة بالعون والنصر (قوله أجريا مجرى الجماعة) اى تعظيما لهما (قوله اى كلامنا) قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم ان وخبرها الذى هو الرسول حيث افرده (قوله ان ارسل معنا بنى اسرائيل) اى خلصهم واطلقهم (قوله فاتياه الخ) اشار بذلك الى ان قوله قال الم نربك الخ مرتب على محذوف روى انهما لما انطلقا الى فرعون لم يؤذن لهما سنة فى الدخول عليه فدخل البواب على فرعون وقال له ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال له فرعون ائذن له لعلنا نضحك معه فدخلا عليه فوجداه قد اخرج سباعا من اسد ونمور وفهود يتفرج عليها فخاف خدامها ان تبطش بموسى وهرون فاسرعوا اليهما واسرعت السباع الى موسى وهرون فاقبلت تلحس اقدامهما وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ما أنتما قالا انا رسول رب العالمين فعرف موسى لانه نشأ فى بيته فقال ألم نربك فينا وليدا الخ فامتن عليه أولا بنعمة التربية وثانيا بعدم مؤاخذته بما وقع منه من قتل القبطى (قوله قريبا من الولادة) قصده بذلك دفع ما ورد على الآية بان الوليد يطلق على المولود حال ولادته وليس مرادا هنا فانه كان زمن الرضاع عند أمه ثم اخذه فرعون بعد

(أن) اى بان (ائت القوم الظالمين) رسولا (قوم فرعون) معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله و بنى اسرائيل باستعبادهم (ألا) الهمزة للاستفهام الانكارى (يتقون) الله بطاعته فيوحدونه (قال) موسى (رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى) من تكذيبهم لى (ولا ينطلق لسانى) باداء الرسالة للعقدة التى فيه (فارسل الى) أخى (هرون) معى (ولهم على ذنب) بقتل القبطى منهم (فاخاف ان يقتلون) به (قال) تعالى (كلا) اى لا يقتلونك (فاذهبا) أى انت وأخوك ففيه تغليب الحاضر على الغائب (بآياتنا انا معكم مستمعون) ماتقولون ومايقال لكم أجريا مجرى الجماعة (فاتيا فرعون فقولا انا) اى كلامنا (رسول رب العالمين) اليك (ان) اى بان (ارسل معنا) الى الشام (بنى اسرائيل) فاتياه فقالا له ماذكر (قال) فرعون لموسى (الم نربك فينا) فى منازلنا (وليدا) صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه (ولبثت فينا

من عمرك سنين) ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون و يركب من مراكبه وكان يسمى ابنه (وفعلت فعلتك التي فعلت) هي قتلة القبطي (وانت من الكافرين) الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد (قال) موسي (فعلتها اذا) اي حينئذ (وانا من الضالين) عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما) علما (وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي) اصله تمن بها علي (ان عبدت بني اسرائيل) بيان لتلك اي اتخذتهم عبيدا ولم تستعبدني لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم وقدر بعضهم

الفطام والاولى ابقاء الاية على ظاهرها لان موسى وان كان عند امه الا انه تحت نظر فرعون فهو في تربيته من حين ولادته (قوله من عمرك) حال من سنين لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله وعدم الاستعباد) اي اتخاذك لي عبدا مثل بني اسرائيل (قوله حينئذ) هذا حل معنى لا حل اعراب وهي حرف جواب فقط وقيل حرف جواب وجزاء (قوله عما آتاني الله بعدها الخ) اي فليس علي فيما فعلته في تلك الحالة لوم لعدم التكليف حينئذ أو المعنى من المخطئين لا من المتعمدين (قوله وجعلني من المرسلين) في ذلك رد لما وبخه به فرعون وهو القتل بغير حق فكانه قال فكيف تدعي الرسالة وقد حصل منك ما يقدح في تلك الدعوى فاجابه موسى بانه قتله قبل ان تاتيه الرسالة ثم اتته بعد ذلك (قوله وتلك نعمة) مبتدأ وخبر وقوله تمنها صفة لنعمة وان عبدت الخ عطف بيان موضح للمبتدأ كما قاله المفسر (قوله أصله تمن بها علي) اي فحذف الجار فاتصل الضمير فهو من باب الحذف والايصال (قوله ولم تستعبدني) اي فلا منة لك علي في عدم استعبادك اياي لان استعبادك غير ظلم وقد نجاني الله منه (قوله وقدر بعضهم) اي وهو الاخفش (قوله أول الكلام) اي والاصل أو تلك نعمة الخ (قوله للانكار) اي وهو بمعنى النفي (قوله أي أي شيء هو) اي وذلك لان ما يسئل بها عن الحقيقة والمعنى اي جنس هو من اجناس الموجودات (قوله وما بينهما) اي جنس السموات والارض فاندفع ما قيل لم ثنى الضمير مع ان مرجعه جمع (قوله ان كنتم موقنين) اي محققين ان الله تعالى هو الخالق لها (قوله من اشراف قومه) اي وكانوا خمسمائة لابسين الاساور ولم يكن يلبسها الا السلاطين على عادة الملوك (قوله الذي لم يطابق السؤال) اي لان ما يسئل بها عن الحقيقة وقد اجابه بالصفات التي يسئل عنها باي والعدول عن المطابقة لان السؤال عن الحقيقة عبث وسفه لاستحالته (قوله قال ربكم ورب آبائكم الاولين) انما ذكر ذلك لان نفوسهم اقرب الاشياء اليهم (قوله وهذا) اي الجواب (قوله ولذلك) اي لشدة غيظه (قوله قال ان رسولكم) سماه رسولا استهزاء واضافه الى المخاطبين استنكافا من نسبته له (قوله قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) اي فتشاهدون في كل يوم انه ياتي بالشمس من المشرق و يذهب بها من المغرب (قوله ان كنتم تعقلون) اي ان كان لكم عقل وفيه رد لقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون (قوله قال لئن اتخذت الها غيري الخ) عدول عن الحاجة الى التهديد لقصر حجته وجهله وعدم استقامته روي انه فزع من موسي فزعا شديدا حتى كان اللعين لا يمسك بوله (قوله اي أتفعل ذلك) اشار الى ان الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله قال فائت به) انما امر فرعون بالاتيان به لظنه انه يقدر على معارضته (قوله و نزع يده) اي من جيبه قيل لما راى فرعون الآية الاولى قال هل لك غيرها فاخرج يده فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار و يسد الافق (قوله من الادمة) اي السمرة (قوله حوله) ظرف في محل الحال (قوله يريدان يخرجكم من ارضكم) لما راى تلك الآيات الباهرة خاف على قومه ان يتبعوه فتنزل الى

اول الكلام همزة استفهام للانكار (قال فرعون) لموسي (وما رب العالمين) الذي قلت انك رسوله أي أي شيء هو ولما لم يكن سبيل للخلق الى معرفة حقيقته تعالى وانما يعرفونه بصفاته اجابه موسي عليه الصلاة والسلام ببعضها (قال رب السموات والارض وما بينهما) اي خالق ذلك (ان كنتم موقنين) بانه تعالى خالقه فآمنوا به وحده (قال) فرعون (لمن حوله) من اشراف قومه (الا تستمعون) جوابه الذي لم يطابق السؤال (قال) موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) وهذا وان كان داخلا فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك (قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال) موسى (رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) انه كذلك فامنوا به وحده (قال) فرعون لموسى (لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين) كان سجنا شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الارض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه احدا (قال) له موسى (أولو) اي أتفعل ذلك ولو (جئتك بشيء مبين) اي برهان بين على رسالتي (قال) فرعون له (فائت به ان كنت من الصادقين) فيه (فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) حية عظيمة (ونزع يده) اخرجها من جيبه (فاذا هي بيضاء) ذات شعاع (للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الادمة (قال) فرعون (للملا حوله ان هذا لساحر عليم) فائق في علم السحر (يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره

فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه) اخر امرهما (وابعث في المدائن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل سحار عليم) يفضل موسى في علم السحر (لجمع السحرة لميقات يوم معلوم) وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى (فلما جاء السحرة قالوا

لفرعون أئن) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا) اى حينئذ (لمن المقربين قال لهم موسى) بعدما قالوا له اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين (القوا ما انتم ملقون) فالامر فيه للاذن بتقديم القائهم توسلا به الى اظهار الحق (فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) بحذف احدى التاءين من الاصل تبتلع (ما يافكون) يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى (فالقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لعلمهم بان ما شاهدوه من العصا لا يتاتى بالسحر (قال) فرعون (أآمنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا (له لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامرى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امرى قال يا بن ام لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى قال فاذهب فان لك فى الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما وعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوى ومن اهتدى اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من فى السماوات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين أولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى افلا يؤمنون وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وإذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون قل انما انذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك انزلناه افأنتم له منكرون ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السماوات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب إذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين انما الهكم الله واحد وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

مشاورتهم بعد ان كان مستقلا بالرأى والتدبير وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام (قوله فماذا تامرون) اى اى شىء تامرونني به (قوله يأتوك) مجزوم فى جواب الامر (قوله بفضل موسى) اى يفوقه ويزيد عليه (قوله من يوم الزينة) كان يوم عيدهم وقيل كان يوم سوق (قوله والترجى على تقدير غلبتهم) اى الترجى على فرض الغلبة المقتضية للاتباع (قوله على الوجهين) اى تحقيقها وتسهيل الثانية وكان عليه ان يقول وتركها اى ترك الادخال على الوجهين فتكون القراآت أربعا (قوله لاجرا) اى اجرة وجعلا (قوله قال نعم) اى لكم الاجرة على عملكم السحر وزادهم ثقة وله وانكم اذا الخ (قوله فالامر فيه) جواب عما يقال كيف يأمرهم بفعل السحر مع انه لا يجوز الامر به لان الامر به رضا والرضا بالكفر كفر وحاصل الجواب ان الممتنع الامر به فى حال كونه مستحسنا له وأما الامر به للتوسل لابطاله فليس فيه استحسان ولا رضا بل هو الممدوح شرعا (قوله وقالوا بعزة فرعون) أى نقسم ونحلف بعزة فرعون واقسموا لفرط اعتقادهم فى انفسهم انهم غالبون (قوله من الاصل) اى اصل الصيغة (قوله يقلبونه) اى يغيرونه عن حاله الاول من الجمادية الى كونه حية تسعى وقوله بتمويههم) الباء سببية (قوله فالقى السحرة) اى خروا وسقطوا ساجدين لما رأوا من باهر المعجزة فلم يتمالكوا أنفسهم (قوله رب موسى وهرون) بدل مما قبله للتوضيح وللاشعار بان سبب ايمانهم ما اجراه الله على يد موسى وهرون (قوله وابدال الثانية ألفا) صوابه الثالثة لانها هى المنقلبة الفا وترك قراءة أخرى وهى حذف الاولى من الهمزتين وقلب الثالثة ألفا (قوله فعلكم شيأ منه وغلبكم بآخر) اى اخفاه عنكم وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا ان السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق (قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) حاصله انهم لما آمنوا باجمعهم اشتد خوف فرعون على باقى قومه من دخولهم فى الايمان فنفر الباقى بقوله لاقطعن الخ (قوله انا الى ربنا منقلبون) تعليل لنفى الضير وهل فعل بهم ما توعدهم به خلاف ولم يرد فى القرآن ما يدل على انه فعل (قوله فى زماننا) اى من اتباع فرعون فلا ينافى ان بنى اسرائيل سبقوهم بالايمان (قوله واوحينا الى موسى) يحتمل ان يكون الوحى بتكليم الله له اوعلى لسان جبريل (قوله بعد سنين) اى ثلاثين وذلك أن موسى مكث فى مصر اولا ثلاثين وفى مدين عشر سنين ثم لما رجع الى مصر ثانيا مكث يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم اغرق الله فرعون وقومه وعاش بعد ذلك خمسين سنة فجملة عمره مائة وعشرون سنة (قوله بآيات الله) اى باقى التسع لان موسى افتتحهم اولا بالعصا واليد فلم يؤمنوا فجاءهم بالسنين الجدبة ثم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس على اموالهم فلم يفد فيهم ذلك وقد سبق ذلك مفصلا فى الاعراف (قوله بعبادى) الاضافة للتشريف والمعنى سر بعبادى المختصين برحمتى والا فالكل من حيث الخلق عباده (قوله وفى قراءة) اى وهى

(انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فانجيكم وأغرقهم (فارسل فرعون) حين اخبر بسيرهم (فى المدائن) قيل كان له الف مدينة واثنا عشر الف قرية (حاشرين) جامعين الجيش قائلا (ان هؤلاء لشرذمة) طائفة (قليلون) قيل كانوا ستمائة الف وسبعين الفا ومقدمة جيشه سبعمائة الف فقالهم بالنظر الى كثرة جيشه (وانهم لنا لغائظون) فاعلون ما يغيظنا (وانا لجميع حذرون) متيقظون وفى قراءة حاذرون مستعدون قال تعالى (فاخرجناهم) اى فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسي وقومه (من جنات) بساتين

أمرنى ربى فلما أصبح فرعون وعلم بسير موسي ببنى اسرائيل خرج فى أثرهم وبعث الى مداين مصر لتلحقه الجيوش (قوله انكم متبعون) علة الامر بالسير (قوله حين أخبر بسيرهم) روى ان قوم موسي قالوا لجماعة فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم (قوله ومقدمة جيشه الخ) اى وجملة جيشه الف الف وستمائة (قوله فاعلون ما يغيظنا) اى حيث خالفوا ديننا وطمسوا على أموالنا وقتلوا أبكارنا لما روى ان الله امر الملائكة ان يقتلوا ابكار القبط وأوحى الى موسي ان يجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم يذبحوا اولاد الضان ويلطخوا ابوابهم بدمائها لتميز الملائكة بيوت بنى اسرائيل من بيوت القبط فدخلت الملائكة فقتلت ابكارهم فاصبحوا مشغولين بموتاهم وهذا هو سبب تاخر فرعون وقومه عن موسى وقومه (قوله وانا لجميع حذرون) اى من عادتنا الحذر والحزم فى الامور (قوله وفى قراءة الخ) اى وهى سبعية ايضا بمعنى الاولى وقيل الحذر المتيقظ والحاذر الخائف (قوله كانت على جانبى النيل) اى من اسوان الى رشيد قال كعب الاحبار أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى فى الدنيا سيحان وجيحان والنيل والفرات فسيحان نهر الماء فى الجنة وجيحان نهر اللبن فى الجنة والنيل نهر العسل فى الجنة والفرات نهر الخمر فى الجنة (قوله أموال ظاهرة) هذا أحد قولين وقيل المراد بالكنوز الاموال التى تحت الارض وخصها بالذكر لان ما فوق الارض انطمس وحينئذ فتسميتها كنوزا ظاهر (قوله مجلس حسن للامراء والوزراء) قيل كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب وقيل المقام الكريم المنابر وكانت الف منبر لالف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه (قوله اخراجنا كما وصفنا) اشار بذلك الى ان قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وأورثناها) اى الجنات والعيون والكنوز وقيل المراد أورثنا بنى اسرائيل ما استعاروه من حلى آل فرعون والاحسن ان يراد ما هو أعم فان بنى اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه وملكوا مشارق الارض ومغاربها (قوله وقت شروق الشمس) اى يوم الملاقاة وليس المراد انهم ادركوا بنى اسرائيل يوم خروجهم لانهم تاخروا عنهم حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم (قوله اى لن يدركونا) اشار بذلك الى ان كلا للنفى والمعنى لا سبيل لهم علينا لان الله وعدنا بالخلاص منهم (قوله فاوحينا الى موسى الخ) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاج البحر فصار يرمى بموج كالجبال فصار بنو اسرائيل يقولون اين أمرت فرعون من خلفنا والبحر امامنا وموسى يقول ههنا فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فاذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتل سرجه ولا لبده (قوله اثنى عشر فرقا) اى قطعة بعدد اسباط بنى اسرائيل (قوله بينها مسالك) اى بين الاثنى عشر فرقا (قوله على هيئته) اى وهى انفلاقه اثنتى عشرة فرقة (قوله وحزقيل) هو المذكور فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون الخ وقوله ومريم بنت ناموسي اى كانت عجوزا تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة (قوله التى دلت على عظام يوسف عليه السلام)

كانت على جانبى النيل (وعيون) انهار جارية فى الدور من النيل (وكنوز) اموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لانه لم يعط حق الله منها (ومقام كريم) مجلس حسن للامراء والوزراء يحفه اتباعهم (كذلك) اى اخراجنا كما وصفنا (وأورثناها بنى اسرائيل) بعد اغراق فرعون وقومه (فاتبعوهم) لحقوهم (مشرقين) وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) اى راى كل منهما الآخر (قال اصحاب موسى انا لمدركون) يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به (قال) موسى (كلا) اى لن يدركونا (ان معى ربى) بنصره (سيهدين) طريق النجاة قال تعالى (فاوحينا الى موسي ان اضرب بعصاك البحر) فضربه (فانفلق) فانشق اثنى عشر فرقا (فكان كل فرق كالطود العظيم) الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده (وازلفنا) قربنا (ثم) هناك (الآخرين) فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم (وانجينا موسي ومن معه اجمعين) باخراجهم من البحر على هيئته المذكورة (ثم اغرقنا الآخرين) فرعون وقومه باطباق البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخروج بنى اسرائيل منه (ان فى ذلك) اى اغراق فرعون وقومه (لآية) عبرة لمن بعدهم (وما كان اكثرهم مؤمنين) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسي التى دلت على عظام يوسف عليه السلام (وان ربك لهو العزيز) فانتقم من الكافرين باغراقهم (الرحيم) بالمؤمنين فانجاهم من الغرق

أى وسبب ذلك أن الله أمر موسى باخذ يوسف معه الى الشام حين خروجه من مصر فسال على قبره فلم يعرف اذ ذاك فدلته عليه هذه العجوز بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة وكان يوسف قد دفن فى قعر بحر النيل فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به الى الشام ﴿فائدة﴾ قال قيس بن حجاج لما فتحت مصر أتى اهلها الى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بؤنة من أشهر القبط فقالوا يا الاميران لنيلنا هذا سنة وعادة لا يجرى الا بها فقال لهم وماذاك فقالوا اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها أرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم القيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام ليهدم ما قبله فاقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيرا وهموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعلمه بالقصة فكتب اليه عمر بن الخطاب انك قد اصبت بالذى فعلت وانى بعثت اليك بطاقة فى داخل كتابى فالقها فى النيل اذا اتاك كتابى فلما قدم كتاب عمر الى عمرو بن العاص اخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسال الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم فاصبحوا وقد زاد فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة (قوله واتل عليهم نبا ابراهيم) عطف على اذكر العامل فى قوله واذ نادى ربك موسى الخ عطف قصة على قصة (قوله اى كفار مكة) خصهم بالذكر لانهم الحاضرون وقت نزول الآية والا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم الى يوم القيامة (قوله ويبدل منه) اى بدل مفصل من مجمل (قوله ما تعبدون) ما اسم استفهام معمول لتعبدون والمعنى ما هذا الذى تعبدونه اى ما حقيقته (قوله صرحوا بالفعل الخ) جواب عما يقال كان القياس ان يقولوا أصناما كقوله ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو فاجاب بانهم صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ما فيه الافتخار (قوله اى نقيم نهارا على عبادتها) هذا معنى نظل الاصلى ولكن مقتضي الافتخار أن يكون معناها ندوم على عبادتها ليلا ونهارا (قوله زادوه) اى قوله فنظل الخ (قوله قال هل يسمعونكم) اتى بالمضارع اشارة الى ان هذا الوصف مستمر وثابت فى الاصنام فى الماضى والحال والاستقبال ولا بد من محذوف هنا دل عليه قوله اذ تدعون تقديره هل يسمعون دعاءكم (قوله اذ تدعون) اذ هنا بمعنى اذا استحضار اللحال الماضية وحكاية لها تبكيتا عليهم (قوله قالوا بل وجدنا الخ) هذا الجواب يفيد تسليم ما قاله ابراهيم وانما اعتذروا عن ذلك بالتقليد فلما لم يجدوا مخلصا غيره احتجوا به (قوله قال أفرأيتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أتاملتم فلم تبصروا أو أبصرتم ما كنتم تعبدونه (قوله وآباؤكم) عطف على الضمير فى تعبدون وهو ضمير رفع متصل فلذا فصل بالضمير المنفصل قال ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(قوله فانهم عدو لى) أسند العداوة لنفسه تعريضا بهم وهو أبلغ فى النصيحة من التصريح بان يقول فانهم عدو لكم ان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى لا تعقل أجيب باجوبة منها أن المعنى عدو لى يوم القيامة ان عبدتهم فى الدنيا ومنها أن الكلام على حذف مضاف اى فان أصحابهم عدو لى ومنها أن الكلام على القلب اى فانى عدو لهم (قوله الا رب العالمين) أشار المفسر بقوله لكن الى الاستثناء منقطع والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدوى بل هو ولي فى الدنيا والآخرة (قوله الذى خلقنى) نعت لرب العالمين أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف وما بعده عطف عليه (قوله فهو يهدين) أتى بالفاء هنا وفى

(واتل عليهم) اى كفار مكة (نبا) خبر (ابراهيم) ويبدل منه (اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما) صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه (فنظل لها عاكفين) اى نقيم نهارا على عبادتها زادوه فى الجواب افتخارا به (قال هل يسمعونكم اذ) حين (تدعون او ينفعونكم) ان عبدتموهم (أو يضرون) كم ان لم تعبدوهم (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) اى مثل فعلنا (قال افرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى) لا أعبدهم (الا) لكن (رب العالمين) فانى أعبده (الذى خلقنى فهو يهدين)

قوله يشفين لترتب الهداية على الخلق والشفاء على المرض بخلاف الاطعام والاسقاء فليس بينهما ترتب وأتى بثم فى جانب الاحياء ليعد زمنه عن زمن الموت لان المراد به الاحياء فى الآخرة (قوله الى الدين) اى وغيره من مصالح دنياى وآخرتى وانما خص الدين لان المقام للرد ولانه اهم (قوله والذى هو يطعمنى ويسقين) اى فى الدنيا والآخرة (قوله واذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض لنفسه وان كان الكل من الله تاديبا كما قال تعالى بيدك الخير ولم يقل والشر وقال الخضر فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما (قوله والذى اطمع) عبر بالطمع المفيد عدم الاخذ فى الاسباب مع انها حاصلة منه لعدم اعتماده عليها (قوله ان يغفر لى) ذكر ذلك تواضعا وتعليما للامة والا فهو معصوم من الخطايا (قوله رب هب لى حكما) لما ذكر تلك الاوصاف قوى رجاؤه فى ربه فطلب منه معالى الامور وخير الدنيا والآخرة (قوله علما) اى زيادة فيه (قوله وألحقنى بالصالحين) أى فى العمل او فى درجات الجنة (قوله واجعل لى لسان صدق) من اضافة الموصوف للصفة اى ذكرا حسنا من باب تسمية الشئ باسم آلته (قوله الذين يأتون بعدى) وقد أجاب الله تعالى فاما من امة من الامم الا وهى تحييه وتثنى عليه بخير سيما فى هذه الامة المحمدية خصوصا فى المؤمنين منهم فانهم يذكرونه بخير فى كل تشهد وانما طلب ذلك ليذنفع به هو وينتفع به المثنى لكن بشرط الايمان واما حديث من احب قوما حشر معهم وان لم يعمل بعملهم فمعناه اذا اشتركوا معهم فى الايمان وان لم يصلوا لمقامهم (قوله من ورثة جنة النعيم) أى مندرجا فيهم ومن جملتهم واضافة جنة للنعيم من اضافة المحل الى الحال فيه فالمراد مطلق الجنة لا خصوص الدار المسماة بذلك وقد اجاب الله فى جميع دعواته سوى الدعاء بالغفران لابيه (قوله بان تتوب عليه الخ) ظاهره ان هذا الدعاء صدر من ابراهيم وابوه حى ولكن ينافيه قوله وهذا قبل ان يتبين له فان التبين المذكور انما حصل بموته كافرا وحينئذ فلا يصح جعله قيدا للدعاء له فى حياته بالتوفق للايمان وانما يصح لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التى هو عليها وأجيب بانه لا مانع ان الله اعلم ابراهيم بموت ابيه كافرا وهو حى وحينئذ فقد صح ماقاله المفسر (قوله وهذا) اى الدعاء له بما ذكر (قوله كما ذكر فى سورة براءة) اى فى قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الآية (قوله تفضحنى) اى تكشف عيوبى بين خلقك وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجويز العقلى فان تعذيب المطيع جائز عقلا لا شرعا (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الخ من كلام الله تعالى ويصح ان يكون من كلام ابراهيم فيكون بدلا من يوم قبله (قوله لكن من أتى الله الخ) أشار المفسر بذلك الى ان الاستثناء منقطع ولكن ينافيه تقديره احدا فتحصل ان الاستثناء اما منقطع ان جعل من قوله مال ولا بنون ويكون المعنى لكن من أتى الله بقلب سليم فانه ينتفع أو متصل ان جعل من المفعول الذى قدره المفسر والتقدير لا ينفع المال والبنون احدا الا الذى أتى الله بقلب سليم فانه ينفعه المال والبنون (قوله وهو قلب المؤمن) أى فينتفع بالمال الذى انفقه فى الخير والولد الصالح بدعائه له لما فى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له (قوله وازلفت الجنة للمتقين) أى بحيث يشاهدونها فى الموقف ويعرفون مافيها فتحصل لهم البهجة والسرور وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وبرزت الجحيم للغاوين) أى جعلت لهم بارزة ظاهرة بحيث يرونها مع مافيها من أنواع العذاب فتحصل لهم المساءة والاحزان ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا (قوله وقيل لهم) اى على سبيل التوبيخ (قوله اين ما كنتم تعبدون) اين خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكنتم تعبدون صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه وقوله من دون الله حال (قوله ألفوا) أى مرة بعد اخرى لان الكبكبة تكرير الكب وهو الالقاء على الوجه كان من ألقى فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى

الى الدين (والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع) أرجو (ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) اى الجزاء (رب هب لى حكما) علما (وألحقنى بالصالحين) النبيين (واجعل لى لسان صدق) ثناء حسنا (فى الآخرين) الذين يأتون بعدى الى يوم القيامة (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى ممن يعطاها (واغفر لابى انه كان من الضالين) بان تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل ان يتبين له انه عدو لله كما ذكر فى سورة براءة (ولا تخزنى) تفضحنى (يوم يبعثون) اى الناس قال تعالى فيه (يوم لا ينفع مال ولا بنون) احدا (الا) لكن (من اتى الله بقلب سليم) من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فانه ينفعه ذلك (وأزلفت الجنة) قربت (للمتقين) فيرونها (وبرزت الجحيم) أظهرت (للغاوين) الكافرين (وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله) اى غيره من الاصنام (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (او ينتصرون) بدفعه عن انفسهم (فكبكبوا) القوا (فيها هم

والغاوون وجنود ابليس) اتباعه ومن اطاعه من الجن والانس (اجمعون قالوا) اى الغاوون (وهم فيها يختصمون) مع معبوديهم (تالله ان) مخففه من الثقيلة واسمها محذوف اى انه (كنا لفى ضلال مبين) بين (اذ) حيث (نسويكم برب العالمين) فى العبادة (وما اضلنا) عن الهدى (الا المجرمون) اى الشياطين او اولونا الذين

اقتدينا بهم (فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين (ولا صديق حميم) اى يهمه امرنا (فلو ان لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) لو هنا للتمنى ونكون جوابه (ان فى ذلك) المذكور من قصة ابراهيم وقومه (لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين) بتكذيبهم له لاشتراكهم فى المجئ بالتوحيد اولانه لطول لبثه فيهم كانه رسل وتانيث قوم باعتبار معناه وتذكيره باعتبار لفظه (اذ قال لهم اخوهم) نسبا (نوح الا تتقون) الله (انى لكم رسول امين) على تبليغ ما ارسلت به (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته (وما اسالكم عليه) على تبليغه (من اجر ان) ما (اجرى) اى ثوابى (الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) كرره تاكيدا (قالوا انؤمن) نصدق (لك) لقولك (واتبعك) وفى قراءة واتباعك جمع تابع مبتدا (الارذلون) السفلة كالحاكة والاساكفة (قال وما علمى) اى علمى (بما كانوا يعملون ان) ما (حسابهم الا على ربى) فيجازيهم (لو تشعرون) تعلمون ذلك ما عبتموهم (وما انا بطارد المؤمنين ان) ما (انا الا نذير مبين) بين الانذار (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول لنا (لتكونن من المرجومين) بالحجارة او بالشتم (قال) نوح (رب ان قومى كذبون

قمرها (قوله والغاوون) عطف على ضمير كبكبوا وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل (قوله ومن أطاعه) عطف تفسير (قوله وهم فيها يختصمون) الجملة حالية ومقول القول تالله الخ (قوله واسمها محذوف الخ) قد يقال انها فى الآية مهملة فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام قال ابن مالك

* وخففت ان فقل العمل * الخ (قوله اذ نسويكم) ظرف لكونهم فى ضلال مبين (قوله اولونا) اى السابقون علينا وهو جمع اول (قوله من الملائكة والنبيين الخ) أى فالشفعاء تكثر للمؤمنين لما ورد لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة (قوله ولا صديق حميم) أفرد الصديق وجمع الشفعاء لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان اى خاصته او الخالص ويؤيده قول المفسر اى يهمه أمرنا وقوله يهمه بضم اوله وكسر ثانيه وبفتح اوله وضم ثانيه (قوله ونكون جوابه) اى فهو منصوب فى جواب التمنى (قوله لآية) أى عظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها على احسن ترتيب (قوله وما كان اكثرهم مؤمنين) اى بل لم يؤمن منهم الا لوط ابن اخيه وسارة زوجته كما تقدم فى سورة الانبياء (قوله بتكذيبهم له) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع انهم انما كذبوا رسولا واحدا وهو نوح فاجاب بان تكذيبهم له تكذيب للباقى فالجمع على حقيقته وقوله اولانه الخ جواب ثان وعليه فالجمع مجاز (قوله وتانيث قوم) اى تانيث الفعل المسند اليه وقوله باعتبار معناه اى وهو الامة والجماعة (قوله وتذكيره) اى تذكير الضمير العائد عليه فى قوله اذ قال لهم ولا مفهوم لقوم بل كل اسم جمع او جمع تكسير لمذكر اولمؤنث كذلك (قوله نسبا) اى لا فى الدين (قوله نوح) تقدم ان اسمه عبد الغفار او شكر ونوح لقبه (قوله الا تتقون) الا للعرض (قوله انى لكم رسول امين) انما اخبر بذلك ليتبع وليس قصده الافتخار (قوله فاتقوا الله) اى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله من أجر) من زائدة فى المفعول اى أجرة وجعلا (قوله كرره تاكيدا) اى وحسن ذلك كون الاول مرتبا على الرسالة والامانة والثانى على عدم سؤاله أجرا منهم (قوله قالوا أنؤمن لك الخ) هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم حيث جعلوا اتباع الفقراء ما نعا من ايمانهم واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس خالصا لوجه الله بل هو طمع فى ان ينالهم شىء من الدنيا (قوله وفى قراءة) ظاهره انها سبعية وليس كذلك بل هى عشرية والمعتمد جواز القراءة بها (قوله واتباعك) مبتدأ وخبره الارذلون واما القراءة الاولى فهى جملة فعلية وهى حالية على كل حال (قوله الارذلون) جمع ارذل كالاكبرون جمع اكبر (قوله السفلة) المراد بهم الفقراء والضعفاء وسبب مبادرتهم للايمان قلة عوائقهم كالرياسة والغنى فان ذلك موجب للانقة عن الاتباع (قوله قال وما علمى) يحتمل ان تكون ما استفهامية واليه يشير المفسر بقوله اى علم لى ويحتمل ان تكون نافية (قوله بما كانوا يعملون) اى لم اكلف العلم بعقائدهم الباطنية وانما كلفت ان ادعوهم الى الايمان (قوله ان حسابهم) اى حساب بواطنهم (قوله ما عبتموهم) قدره اشارة الى ان لو شرطية حذف جوابها (قوله وما انا بطارد المؤمنين) جواب لما فهمه من طلبهم طرد الضعفاء وهذا كما سالت قريش النبى صلى الله عليه وسلم ان يطرد الموالى والفقراء كما تقدم فى سبب نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى (قوله ان انا الا نذير مبين) أى للمكلفين اعزاء او غيرهم فكيف يليق منى طرد الفقراء (قوله قالوا لئن لم تنته) اى تترك ما انت عليه من معارضتنا (قوله قال رب ان قومى كذبون) انما

قال ذلك تمهيد الدعاء عليهم كانه قال انهم اعرضوا عن دينك وتوحيدك فانا ادعو عليهم لاجل ذلك والمعنى انهم استمروا على تكذيبي وأصروا عليه بعدما كررت عليهم الدعوة وسياتى تفصيل ذلك فى سورة نوح فى قوله قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الخ (قوله فافتح بينى و بينهم فتحا) من الفتاحة بالضم والكسر وهى الحكومة اى احكم بيننا بما يستحقه كل منا (قوله ومن معى من المؤمنين) آثر الايمان اشارة الى انهم خالصون فى الاتباع وكان من معه من المؤمنين ثمانين أربعون من الرجال وار بعون من النساء على احد اقوال تقدمت (قوله ثم اغرقنا بعد) اى بالطوفان حيث التقى ماء السماء على ماء الارض (قوله الباقين من قومه) اى صغارا وكبارا فالهلاك الدنيوى عم الكبار والصغار والبهائم وأما فى الآخرة فالخلود فى النار مخصوص بمن مات كافرا بعد البلوغ واما صبيانهم بل وصبيان المشركين من أول الدنيا الى آخرها فيدخلون الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت عاد) اسم ابى قبيلة هود الاعلى سميت القبيلة باسمه فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة لعاد وقوله المرسلين المراد هود وانما جمع لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب الجميع لاشتراك الكل فى المجىء بالتوحيد (قوله اخوهم) اى من النسب لما تقدم انه من ذرية عاد وكان هود تاجرا جميل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر ار بعمائة وار بعا وستين سنة (قوله الا تتقون) ألا أداة عرض وهو الطلب بلين ورفق تاليفا لقلوب المجرمين لعلهم يهتدون (قوله انى لكم رسول أمين) تعليل لعرضه التقوى عليهم والمعنى انى لكم رسول ابلغكم ما أرسلت به اليكم أمين لا أزيد ولا أنقص (قوله فاتقوا الله) تفريع على قوله انى لكم رسول امين اى حيث كنت رسولا امينا فالواجب عليكم تقوى الله وطاعتى فطاعته من حيث كونه رسولا من عند الله لا من حيث ذاته ولذا لم يقل الا تتقون وتطيعونى (قوله من أجر) اى جعل وأجرة على رسالتى (قوله الا على رب العالمين) اى لانه المرسل لى الغنى المغنى (قوله أتبنون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ وهو شروع فى توبيخهم على أمور ثلاثة كل واحد منها مناف للتقوى البناء للعبث واتخاذ المصانع والتجبر (قوله بكل ريع) بكسر الراء و يقال بفتحها هو المكان المرتفع (قوله علما للمارة) اى كالعلم فى الارتفاع (قوله بمن يمر بكم الخ) هذا احد أوجه فى تفسير متعلق العبث وقيل تعبثون بالبناء لظنهم ان المارة يحتاجون الى البناء ليهتدوا به فى الاسفار مع انهم يستغنون عنه بالنجوم وقيل المعنى تبنون بروج الحمام لتعبثوا بها وقيل المعنى تبنون بنيانا تجتمعون فيه للعبث وكل صحيح واقع منهم (قوله مصانع) جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أوضمها وهو الحوض والبركة تجعل تحت الارض كالصهريج (قوله كانكم) فسر لعل بكان بدليل القراءة الشاذة كانكم تخلدون والاولى ابقاء لعل على بابها من الترجى و يكون المعنى راجين ان تخلدوا فى الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجو ذلك لان مجىء لعل بمعنى كان لم يرد (قوله واذا بطشتم) اى فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسياط والقتل بالسيف (قوله فاتقوا الله فى ذلك) اى فيما تقدم من الامور الثلاثة (قوله الذى امدكم) اى اعطاكم المدد وهو النعم (قوله امدكم بانعام) بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل (قوله وبنين) اى ذرية (قوله وجنات) جمع جنة (قوله انى اخاف عليكم) اى ان دمتم على مخالفتى ولم تشكروا على هذه النعم بعد بعثتى (قوله فى الدنيا) اى بالريح العقيم وقوله وفى الآخرة اى بالخلود فى النار (قوله أم لم تكن من الواعظين) هذا أبلغ من ان يقولوا أم لم تعظ لان المعنى سواء علينا اوعظت بان كنت من اهل الوعظ أم لم تكن اصلا من اهله بان كنت اميا مثلنا ولست نبيا (قوله اى لا نرعوى لوعظك) اى لا نرتدع ولا ننكف له (قوله الا خلق الاولين) اى من تقدموا قبلك كشيث ونوح فانهم كانوا يختلقون أمورا فاقتديت بهم فاسم الاشارة على هذه القراءة راجع لما خوفهم به

(اوعظت ام لم تكن من الواعظين) اصلا اى لا نرعوى لوعظك (ان) ما (هذا) الذى خوفتنا به (الا خلق الاولين) اى اختلاقهم وكذبهم

فافتح بينى و بينهم فتحا) اى احكم (ونجنى ومن معى من المؤمنين) قال تعالى (فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) المملوء من الناس والحيوان والطير (ثم اغرقنا بعد) اى بعد انجائهم (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسألكم عليه من أجران) ما (أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) بناء علما للمارة (تعبثون) بمن يمر بكم وتسخرون منهم والجملة حال من ضمير تبنون (وتتخذون مصانع) للماء تحت الارض (لعلكم) كانكم (تخلدون) فيها لا تموتون (واذا بطشتم) بضرب اوقتل (بطشتم جبارين) من غير رأفة (فاتقوا الله) فى ذلك (واطيعون) فيما امرتكم به (واتقوا الذى امدكم) انعم عليكم (بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات) بساتين (وعيون) انهار (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فى الدنيا وفى الآخرة ان عصيتمونى (قالوا سواء علينا) مستوعندنا

(قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وعليها فاسم الاشارة عائد على متقدم وهو عدم البعث (قوله أى طبيعتهم وعادتهم) أى عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب (قوله وما نحن بمعذبين) أى على ما فعلناه من الاعمال (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله بالريح) أى الصرصر وكانت باردة شديدة الصوت لا ماء فيها وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام أولها من صبيح يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال وكانت فى أواخر الشتاء وسيأتى بسطها فى سورة الحاقة (قوله وما كان اكثرهم مؤمنين) أى بل اقلهم كانوا مع هود فى حظيرة تنسم عليهم ريح لينة حتى مضت تلك المدة فاخذهم وهاجر من تلك الارض الى مكة (قوله العزيز) أى الغالب على امره (قوله الرحيم) اى المنعم على عباده بدقائق النعم (قوله كذبت ثمود) اسم ابى قبيلة صالح الاعلى سميت القبيلة باسمه وتسمى ايضا عادا الثانية وهم ذرية من آمن من قوم هود (قوله المرسلين) المراد بهم صالح وتقدم وجه التعبير بالجمع (قوله اخوهم) اى فى النسب لاجتماعه معهم فى الاب الاعلى وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (قوله الا تتقون) تقدم ان الاداة عرض كما فى قول الشاعر

يا ابن الكرام الا تدنو فتبصر ما * قد حدثوك فما راء كمن سمعا

وحكمة التعبير اولا بالعرض تاليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين لقصر عقلهم وجهلهم (قوله اتتركون) الاستفهام انكارى توبيخى وما اسم موصول بينها المفسر بقوله من الخيرات وهنا اسم اشارة للمكان القريب والمراد دار الدنيا والمعنى اتظنون انكم تتركون فى الدنيا متمتعين بانواع النعم والشهوات آمنين من كل مكروه لا تمتحنون باوامر ونواه ولا تحاسبون على شئ فيها لا تظنوا ذلك بل الواجب عليكم ترك الفانى والاشتغال بالباقى (قوله فى جنات) بدل من قوله هنا باعادة الجار (قوله ونخل) هو اسم جنس جمعى واحده نخلة يذكر ويؤنث واما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقا (قوله طلعها) هو ثمرها فى اول ما يطلع كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو وبعده الاغريض ويسمى خلالا ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر يجمعها قولك طاب زبرت فاطوار النخل سبعة كاطوار الانسان ولذا ورد فى الحديث اكرموا عماتكم النخل وافرد النخل بالذكر لفضله على سائر الاشجار (قوله وتنحتون من الجبال بيوتا) اى لطول اعماركم فان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم لان الواحد منهم كان يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة (قوله بطرين) اى لنعم ربكم (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله حاذقين) اى ماهرين فى العمل (قوله ولا تطيعوا امر المسرفين) الاسناد مجازى فى النسبة والاصل ولا تطيعوا المسرفين فى امرهم (قوله الذين يفسدون فى الارض) صفة للمسرفين (قوله ولا يصلحون) دفع بذلك ما يتوهم انه يقع منهم الاصلاح فى بعض الاوقات (قوله ما انت الا بشر مثلنا) اى فكيف تدعى انك رسول الينا (قوله قال هذه ناقة) الاشارة اليها بعد ان خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا عن ابى موسى الاشعرى قال رايت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا (قوله لها شرب الخ) امرهم صالح بامرين الاول قوله لها شرب الثانى قوله ولا تمسوها بسوء (قوله نصيب من الماء) اى فهى تشرب منه يوما وانتم تشربون منه يوما لا تزاحمكم ولا تزاحموها وفى يومها تشربون من لبنها (قوله فعقروها) اى يوم الثلاثاء واخذهم العذاب يوم السبت وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم وهو انهم فى اليوم الاول تصفر وجوههم ثم تحمر فى اليوم الثانى ثم تسود فى اليوم الثالث (قوله اى عقرها بعضهم) اى وهو قدار وكان قصيرا ازرق وكان ابن زنا ضربها فى ساقيها بالسيف قال السدى وغيره اوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد فى شهركم

وفى قراءة بضم الحاء واللام اى ما هذا الذى نحن عليه من ان لا بعث الاخلق الاولين اى طبيعتهم وعادتهم (وما نحن بمعذبين فكذبوه) بالعذاب (فاهلكناهم) فى الدنيا بالريح (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجران) ما (اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا) من الخيرات (آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) بطرين وفى قراءة فارهين حاذقين (فاتقوا الله واطيعون) فيما امرتكم به (ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون فى الارض) بالمعاصى (ولا يصلحون) بطاعة الله (قالوا انما انت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم (ما انت) ايضا (الا بشر مثلنا فائت بآية ان كنت من الصادقين) فى رسالتك (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم) بعظم العذاب (فعقروها) اى عقرها بعضهم برضاهم

هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد في هذا الشهر ذكر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر فابى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا وغضب التسعة على صالح لانه كان سببا لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله فقالوا نخرج الى سفر فيرى الناس سفرنا فنكمن في غار حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقون ويعلمون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام في القرية بل كان ينام في المسجد فاذا أصبح أتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك فصاحوا في القرية يا عباد الله أما رضي صالح انه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (قوله نادمين على عقرها) ان قلت لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم أجيب بان ندمهم لخوف نزول العذاب فقط لا توبة منهم (قوله العزيز الرحيم) حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين الاسمين الاشارة الى ان العذاب النازل بالكفار لا يغادر منهم أحدا والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تغادر منهم أحدا فكل من مظهر الاسمين ظهر في مستحقه (قوله أخوهم لوط) اى في البلد بسبب السكنى والمجاورة لا في النسب لانه ابن أخي ابراهيم عليهما السلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فنزل ابراهيم بالخليل من أرض الشام ولوط بسدوم وقراها (قوله الذكران) جمع ذكر أي أدبارهم (قوله اى الناس) وكذا غيرهم من الحيوانات الغير العاقلة فهذه الخصلة القبيحة لم تكن في أحد قبل قوم لوط ثم لما خسف بهم تنوسيت حتى ظهرت في هذه الامة المحمدية فانا لله وانا اليه راجعون (قوله ماخلق لكم) اى أحل وأباح (قوله أي أقبالهن) اى لانه محل نبات البذر قال تعالى نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنى شئتم (قوله عادون) اى متعدون (قوله من القالين) متعلق بمحذوف خبر ان اى لقال من القالين ومن القالين صفته ولعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولا يصح ان يجعل قوله من القالين خبر ان فيكون عاملا في لعملكم لئلا يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل مع انه لا يجوز (قوله اى من عذابه) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف لان بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل (قوله وأهله) اى بنتيه وزوجته المؤمنة (قوله الباقين) اى في العذاب قيل تبعت لوطا ثم التفتت لقومها فنزل عليها حجر وقيل لم تتبعه بل بقيت فخسف بها مع قومها (قوله أهلكناهم) اى بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها (قوله وأمطرنا عليهم) اى على من منهم خارج القرى لسفر او غيره (قوله مطرهم) هذا هو مخصوص بالذم (قوله كذب أصحاب الايكة) هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار وقد وقع لفظ الايكة في أربع مواضع في القرآن في الحجر وق وهنا وص فالاولى ان يال مع الجر لاغير والاخريان يقرآن بالوجهين (قوله وفي قراءة) اى وهي سبعية ايضا (قوله بحذف الهمزة) اى الثانية وقوله على اللام اى لام التعريف واما الهمزة الاولى فقد حذفت للاستغناء عنها بتحريك اللام لانها همزة وصل أتي بها للتوصل للنطق بالساكن وفي كلام المفسر نظر لانه يقتضي ان اللام الموجودة لام التعريف وحينئذ فلا يصح قوله وفتح الهاء لان المقرون بال يجر بالكسرة وقع فيه نقل أم لا قال ابن مالك

وجر بالفتحة ما لا ينصرف * ما لم يضف أو يك بعد أل ردف

فالمناسب ان يقول وفي قراءة بوزن ليلة ليفيد ان اللام من بنية الكلمة وحركتها أصلية وحينئذ فجره بالفتحة ظاهر للعلمية والتانيث باعتبار البقعة ان كان هذا اللفظ عربيا وللعلمية والعجمة ان كان أعجميا

(فاصبحوا نادمين) على عقرها (فاخذهم العذاب) الموعود به فهلكوا (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم * كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله وأطيعون وما أسالكم عليه من أجر ان) ما (أجري الا على رب العالمين أتاتون الذكران من العالمين) اى من الناس (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) اى أقبالهن (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن انكارك علينا (لتكونن من المخرجين) من بلدتنا (قال) لوط (اني لعملكم من القالين) المبغضين (رب نجني وأهلي مما يعملون) اى من عذابه (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) امرأته (في الغابرين) الباقين أهلكناها (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة من جملة الاهلاك (فساء مطر المنذرين) مطرهم (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم * كذب أصحاب الايكة) وفي قراءة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام

وفتح الهاء هى غيضة شجر قرب مدين (المرسلين اذ قال لهم شعيب) لم يقل اخوهم لانه لم يكن منهم (ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجران) ما (اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل) اتموه (ولا تكونوا من المخسرين) الناقصين (وزنوا بالقسطاس المستقيم) الميزان السوى (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) لا تنقصوهم من حقهم شيئا (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة افسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها (واتقوا الذى خلقكم والجبلة) الخليقة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه (نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا) بسكون السين وفتحها قطعة (من السماء ان كنت من الصادقين) فى رسالتك (قال ربى اعلم بما تعملون) فيجازيكم به (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة) هى سحابة اظلتهم بعد حر شديد اصابهم فامطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه) اى القرآن (لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين) جبريل (على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) بين وفى قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله (وانه) اى ذكر القرآن المنزل على محمد (لفى زبر) كتب (الاولين) كالتوراة والانجيل وكانوا (أولم يكن لهم) لكفار مكة (آية) على ذلك (ان يعلمه علماء بنى اسرائيل) كعبد الله بن سلام واصحابه ممن آمنوا فانهم يخبرون بذلك

(قوله وفتح الهاء) فى بعض النسخ وفتح التاء وهى اوضح (قوله هى غيضة شجر) بفتح الغين وبالضاد المعجمة اى مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض وكان شجرهم الدوم (قوله قرب مدين) هى قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام (قوله المرسلين) المراد به شعيب وفى جمعه ما علمت وقد ارسل شعيب ايضا لاهل مدين لكن اهل مدين اهلكوا بالصيحة واصحاب الايكة اهلكوا بعذاب يوم الظلة (قوله لانه لم يكن منهم) اى بل كان من مدين قال تعالى والى مدين اخاهم شعيبا (قوله الناقصين) اى لحقوق الناس (قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم) اى فكانوا اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون ومن جملة بخسهم انهم ينقصون الدراهم والدنانير (قوله وغيره) اى كقطع الطريق (قوله لمعنى عاملها) اى ولفظهما مختلف (قوله والجبلة) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام اى الجماعة والامم المتقدمة الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كانها الجبال قوة وصلابة وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وبفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء (قوله وما انت الا بشر مثلنا) اتى بالواو هنا دون قصة صالح مبالغة فى تكذيبه لانه عند دخول الواو يكون كل من الامرين التسحير والبشرية مقصودا بخلاف تركها فلم يقصد الا التسحير والثانى دليل له (قوله مخففة من الثقيلة) المناسب ان يقول مهملة لاعمل لها لان المكسورة اذا خففت قل عملها والاولى حمل القرآن على الكثير (قوله بسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيتان (قوله فكذبوه) اى استمروا على تكذيبه (قوله عذاب يوم الظلة) روى ان الله تعالى فتح عليهم بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا فارسل الله تعالى سحابة فاظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا ورياحا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا وهذا العذاب الذى حل بهم هو الذى طلبوه تهكما بشعيب بقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء (قوله اصابهم) اى سبعة ايام ثم لجؤا الى السحابة بعد السبعة الايام (قوله وانه لتنزيل رب العالمين) شروع فى مدح القرآن ومن انزله والمنزل عليه والمعنى ان هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما يزعمون (قوله نزل به) الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كانه قال نزل فى حال ملابسة له على حد خرج زيد بثيابه (قوله على قلبك) خصه بالذكر لانه سلطان الاعضاء فكل شئ وصل للقلب وصل لسائر الاعضاء ففى الحديث الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب فحيث نزل على قلبه فقد تمكن من سائر بدنه فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان ولذا ورد انه كان اذا نزل عليه جبريل بالآية يريد ان يقراها بلسانه قبل ان يتلوها جبريل عليه ظاهرا حتى امر بعدم الاستعجال بالقراءة قال تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به (قوله لتكون من المنذرين) اى ومن المبشرين (قوله بلسان) يصح ان يكون بدلا من قوله به باعادة الجار ويصح ان يكون متعلقا بالمنذرين والمعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربى وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم الصلاة والسلام (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية (قوله اى ذكر القرآن) دفع بذلك ما يقال ان ظاهر الآية ان القرآن نفسه ثابت فى سائر الكتب مع انه ليس كذلك والمراد بذكره نعته والاخبار عنه بانه ينزل على محمد وانه صدق وحق (قوله أولم يكن لهم آية) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله واصحابه) اى

وكانوا اربعة غيره أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين فالخمسة من علماء اليهود وقد حسن اسلامهم (قوله ويكن بالتحتانية ونصب آية) اى على انه خبر يكن مقدم واسمها قوله ان يعلمه الخ (قوله ورفع آية) اى على انه فاعل يتكن وقوله ان يعلمه بدل من آية (قوله جمع أعجم) اصله أعجمى بياء النسب خفف بحذفها وبه اندفع ما يقال ان افعل فعلاء لا يجمع جمع المذكر السالم (قوله أنفة من اتباعه) اى تكبرا (قوله كذلك) معمول لسلكناه والضمير فى سلكناه للقرآن على حذف مضاف أفاده المفسر (قوله لا يؤمنون به الخ) الجملة مستانفة او حال من الهاء فى سلكناه وقوله حتى يروا العذاب الاليم مقدم من تاخير وأصل الكلام حتى ياتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون فيرونه فيقولوا هل نحن منظرون اى مؤخرون عن الاهلاك ولو طرفة عين لنؤمن فيقال لهم لا أى لا تاخير ولا امهال (قوله أفبعذابنا يستعجلون) استفهام توبيخ وتهكم حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام تقديره أيغفلون ما ينزل بهم (قوله أفرأيت) معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض وقوله ما كانوا يوعدون تنازعه رأيت يطلبه مفعولا اول وجاءهم يطلبه فاعلا فاعملنا الاول وأضمرنا فى الثانى ضميرا يعود عليه اى ثم جاءهم هو أى الذى كانوا يوعدونه وجملة ما أغنى عنهم الخ فى محل نصب سدت مسد المفعول الثانى لرأيت (قوله ما كانوا يوعدون) اى به وما اسم موصول (قوله استفهامية) اى استفهام انكار كما أشار له بقوله أى لم يغن فهذا مساو فى المعنى لقول بعضهم انها نافية وهى على صنيع المفسر مفعول مقدم لاغنى وقوله ما كانوا يمتعون فاعل باغنى ولا مصدرية (قوله وما أهلكنا من قرية الخ) اى انه جرت عادته سبحانه وتعالى انه لا يهلك أهل قرية الا بعد ارسال الرسول اليهم وعصيانهم وذلك تفضل منه سبحانه والا فلو اهلكهم من اول الامر لا يعد ظالما لانه متصرف فى ملكه يحكم لا معقب لحكمه ففعله دائر بين الفضل والعدل (قوله الا لها منذرون) الجملة صفة لقرية فان قلت لم تركت الواو وهنا وذكرت فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجيب بان الاصل ترك الواو واذا زيدت كانت لتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم (قوله ذكرى) مفعول لاجله أى لاجل تذكيرهم العواقب (قوله وما كنا ظالمين) اى لا نفعل فعل الظالمين بان نهلكهم قبل الانذار بل لانهلكهم الا بعد اتيان الرسل وامهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل (قوله رد القول المشركين) مقول القول محذوف تقديره ان الشياطين يلقون القرآن على لسانه فهو من جملة الكهنة (قوله وما ينبغى لهم) اى لا يمكنهم (قوله انهم عن السمع الخ) علة لقوله وما ينبغى لهم وما يستطيعون (قوله لكلام الملائكة) ان كان المراد كلامهم بالوحى الذى يبلغونه للانبياء فالشياطين معزولون عنه لا يصلون اليه اصلا وان كان المراد به المغيبات التى ستقع فى العالم فكانوا اولا يسترقونها فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات فلما بعث سلط عليهم الشهب وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين وانقطع نزولهم على الكهنة فبطل قول المشركين ان القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله (قوله فلا تدع مع الله الها آخر) نزل رد القول المشركين اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد الهك سنة والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (قوله رواه البخارى ومسلم) اى فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال فى انذاره يا معشر قريش اشتروا انفسكم لا أغنى عنكم من الله شيا يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيا يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيا يا فاطمة بنت رسول الله سلينى ما شئت من مالى لا اغنى عنك من الله شيا وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش قد

الاعجمين) جمع أعجم (فقرأه عليهم) اى كفار مكة (ما كانوا به مؤمنين) أنفة من اتباعه (كذلك) اى مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الاعجمى (سلكناه) أدخلنا التكذيب به (فى قلوب المجرمين) اى كفار مكة بقراءة النبى (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون) لنؤمن فيقال لهم لا قالوا متى هذا العذاب قال تعالى (أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت) اخبرنى (ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما) استفهامية بمعنى اى شئ (اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فى رفع العذاب او تخفيفه اى لم يغن (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون) رسل تنذر اهلها (ذكرى) عظة لهم (وما كنا ظالمين) فى اهلاكهم بعد انذارهم * ونزل ردا لقول المشركين (وما تنزلت به) بالقرآن (الشياطين وما ينبغى) يصلح (لهم) ان ينزلوا به (وما يستطيعون) ذلك (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) بالشهب (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) ان فعلت ذلك الذى دعوك اليه (وانذر عشيرتك الاقربين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد انذرهم جهارا رواه البخارى ومسلم

اجتمعوا فجعل الذى لا يستطيع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ماهو فجاء ابو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبى لهب وتب الى آخر السورة (قوله واخفض جناحك) أى فبعد الانذار تواضع لمن آمن منهم وتبرأ ممن بقى على كفره ولا تخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم فان الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل عليه (قوله بالواو والفاء) أى فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على قوله واندر وعلى الفاء هو بدل من قوله فقل انى برىء (قوله على العزيز) أى الغالب على امره القاهر لكل معارض لامره (قوله الرحيم) أى بالمؤمن الممتثل لامره (قوله حين تقوم) اى منفردا وقوله وتقلبك فى الساجدين اى مع الجماعة (قوله الى الصلاة) لا مفهوم لها بل يراه حين يقوم للجهاد وللخطبة وللامر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من سائر تنقلاته وانما خص الصلاة لانها اعظم اركان الاسلام بعد الشهادتين ولان قرة عينه فيها لما فى الحديث وجعلت قرة عينى فى الصلاة والمراد برؤيته اياه زيادة تجلى الرحمة عليه والا فرؤية الله حاصلة لكل مخلوق (قوله وتقلبك فى الساجدين) فى على كلام المفسر بمعنى مع وقيل ان فى على بابها والمراد بالساجدين المؤمنون والمعنى يراك متقلبا فى اصلاب وارحام المؤمنين من آدم الى عبد الله فاصوله جميعا مؤمنون واورد على هذا آزر أبو ابراهيم فانه كان كافرا وأجيب بجوابين الاول انه كان عمه واسم أبيه تارخ الثانى انه كان أباه حقيقة وقولهم ان اصوله صلى الله عليه وسلم ليسوا كفارا محله مادام النور المحمدى فى الواحد منهم فاذا انتقل لمن بعده فلا مانع من ان يعبد غير الله وحينئذ فآزر ما كفر الا بعد انتقال النور منه الى ابراهيم ولده (قوله هل أنبئكم الخ) هذا رد لقولهم انه كاهن (قوله على من تنزل الشياطين) الجار والمجرور متعلق بتنزل والجملة فى محل نصب سادة مسد المفعول الثانى والثالث ان جعل انبئكم متعديا لثلاثة ومسد الثانى فقط ان جعل متعديا لاثنين (قوله وغيره) اى كالسطيح (قوله من الكهنة) جمع كاهن وهو الذى يخبر عن الامور المستقبلة والعراف هو الذى يخبر عن الامور الماضية (قوله يلقون السمع) يحتمل أن الضمير عائد على الشياطين والمعنى يلقون ماسمعوه الى الكهنة ويحتمل انه عائد على كل افاك أثيم والمعنى يلقون ماسمعوه من الشياطين الى عوام الخلق أو المعنى يصغون الى الشياطين بكليتهم حين يسمعون منهم (قوله واكثرهم كاذبون) الضمير اما عائد على الشياطين أو الكهنة والاكثرية باعتبار الاقوال اى اكثر اقوالهم كاذبون فيها والاقل فيها صدق وليس المراد ان الاقل فيهم صادق بل الكل طبعوا على الكذب واكثر الكلمات كذب واقلها صدق (قوله وكان هذا قبل ان حجبت الشياطين عن السماء) دفع بذلك التناقض بين ماهنا وما تقدم فى قوله انهم عن السمع لمعزولون وحاصل ذلك ان هذه الآية اخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السموات وتمثيله بمسيلمة باعتبار ما كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم واما بعد وجوده فلم يصل لمسيلمة ولا لغيره شيء من الشياطين (قوله والشعراء) اى الذين يستعملون الشعر وهو الكلام الموزون باوزان عربية المقفى قصدا والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وامية ابن ابى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون اشعارهم (قوله من اودية الكلام وفنونه) اشار بذلك

(واخفض جناحك) ألن جانبك (لمن اتبعك من المؤمنين) الموحدين (فان عصوك) اى عشيرتك (فقل) لهم (انى برىء مما تعملون) من عبادة غير الله (وتوكل) بالواو والفاء (على العزيز الرحيم) الله اى فوض اليه جميع امورك (الذى يراك حين تقوم) الى الصلاة (وتقلبك) فى اركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (فى الساجدين) اى المصلين (انه هو السميع العليم هل أنبئكم) اى كفار مكة (على من تنزل الشياطين) بحذف احدى التاءين من الاصل (تنزل على كل افاك) كذاب (أثيم) فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة (يلقون) اى الشياطين (السمع) اى ماسمعوه من الملائكة الى الكهنة (واكثرهم كاذبون) يضمون الى المسموع كذبا كثيرا وكان هذا قبل ان حجبت الشياطين عن السماء (والشعراء يتبعهم الغاوون) فى شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون (الم تر) تعلم (انهم فى كل واد) من اودية الكلام وفنونه (يهيمون)

الى ان الشعراء يخوضون فى كل كلام فهم مشبهون بالهائم فى الاودية الذى لا يدرى اين يتوجه (قوله يخوضون) أى يخوضون (قوله اى يكذبون) اى لانهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثون عليهما ولا يفعلون ماذكروا يذمون ضدهما ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شئ صدر منهم (قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) سبب نزولها ان كعب بن مالك قال للنبى صلى الله عليه وسلم قد انزل فى الشعر فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل وقوله قد أنزل فى الشعر اى انزل القرآن فى ذم الشعر واهله (قوله من الشعراء) اى ومنهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم واعلم ان الشعر منه مذموم وهو مدح من لا يجوز مدحه وذم من لا يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الاولى وقوله عليه السلام لان يمتلئ جوف احدكم قيحا ودما خير له من ان يمتلئ شعرا ومنه ممدوح وهو مدح من يجوز مدحه وذم من يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الثانية وقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقال الشعبى كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على اشعر الثلاثة وروى عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر فى المسجد ويستنشده فروى انه دعا عمرو بن أبى ربيعة المخزومى فاستنشده قصيدة فانشده اياها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى انه عليه السلام قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وكان يضع له منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله وروى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض وارسل كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسود الضارب بذنبه ثم ادلع بلسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك بالحق لافرينهم بلسانى فرى الاديم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر أعلم قريش بانسابها وان لى فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبى فاتاه حسان ثم رجع فقال والذى بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان الله يؤيدك بروح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء * هجوت محمدا برا تقيا
رسول الله شيمته الوفاء * فان ابى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
تكلت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء * ينازعن الاعنة مصعدات
على اكنافها الاسل الظماء * تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فان اعرضتموعنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء * والا فاصبروا لضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد ارسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء * تلاقى كل يوم من معد
سباب او قتال او هجاء * فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له خفاء

(قوله قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) استدلال على جواز هجوهم للكفار فى مقابلة هجو الكفار لهم وقوله فمن اعتدى عليكم الخ استدلال على شرط المماثلة فى المقابلة فلا يجوز للمظلوم ان يزيد

يخوضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء (وانهم يقولون) فعلنا (مالا يفعلون) اى يكذبون (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الشعراء (وذكروا الله كثيرا) اى لم يشغلهم الشعر عن الذكر (وانتصروا) بهجوهم الكفار (من بعد ما ظلموا) بهجو الكفار لهم فى جملة المؤمنين فليسوا مذمومين قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (وسيعلم الذين ظلموا) من الشعراء وغيرهم

(اى منقلب) مرجع (ينقلبون) يرجعون بعد الموت

﴿سورة النمل وهى ثلاث اوار بع اوخمس وتسعون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طس) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) اى هذه الآيات (آيات القرآن) آيات منه (وكتاب مبين) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة هو (هدى) اى هادمن الضلالة (وبشرى للمؤمنين) المصدقين به بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) يأتون بها على وجهها (ويؤتون) يعطون (الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) يعلمونها بالاستدلال واعيدهم لما فصل بينه وبين الخبر (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة (فهم يعمهون) يتحيرون فيها لقبحها عندنا (اولئك الذين لهم سوء العذاب) اشده فى الدنيا القتل والاسر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (وانك) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (لتلقى القرآن) اى يلقى عليك بشدة (من لدن) من عند (حكيم عليم) فى ذلك اذكر (اذقال موسى لاهله)

فى الدم على ماظلم به من المهجو (قوله اى منقلب) معمول لينقلبون الذى بعده لا لما قبله لان الاستفهام له الصدر وهو مفعول مطلق اى ينقلبون أى انقلاب والجملة سادة مسد مفعولى يعلم والمعنى يرجعون مرجعا سيئا لان مصيرهم الى النار وهو اقبح مرجع وأشره

﴿سورة النمل مكية﴾

اى كلها وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص الاولى قصة موسى مع فرعون الثانية قصة النمل الثالثة قصة بلقيس الرابعة قصة صالح مع قومه الخامسة قصة لوط مع قومه وما بقى منها حكم ومواعظ (قوله ثلاث اواربع الخ) اى انه اختلف فى النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال (قوله الله اعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا القول اسلم وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الاعراب لانه فرع معرفة المعنى والموضوع انه لم يعرف (قوله تلك) مبتدأ وآيات القرآن خبره واسم الاشارة عائد على مافى هذه السورة (قوله آيات منه) أشار بذلك الى ان الاضافة على معنى من كما تقول جلست مع زيد ساعة الليل تريد ساعة منه (قوله مظهر الحق من الباطل) اى فالحق صار بالقرآن ظاهرا واضحا والباطل كذلك (قوله عطف بزيادة صفة) جواب عما يقال لم عطف الكتاب على القرآن مع انهما متحدان معنى فاجاب بانه سوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن فى القرآن (قوله هدى) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو فالجملة مستانفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره مافائدة الاتيان به وما الثمرة المترتبة عليه فاجاب بانه هدى وبشرى للمؤمنين (قوله اى هادمن الضلالة) هذا احد احتمالات فى تفسير الهدى ويحتمل ان المراد ذو هدى او بلغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد ماقيل فى زيد عدل (قوله للمؤمنين) حذف من الاول لدلالة الثانى عليه فالقرآن هدى للمؤمنين وبشرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى وخص المؤمنين بالذكر لانهم الممتثى بهم المشرفون بخدمته تعالى (قوله يأتون بها على وجهها) اى بشروطها واركانها وآدابها على الوجه الاكمل (قوله ويؤتون الزكاة) اى الواجبة للاصناف الثمانية (قوله وهم) مبتدأ و(يوقنون خبره وبالآخرة متعلق بيوقنون (قوله يعلمونها بالاستدلال) اى من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية فمن شك فى ذلك فقد كفر (قوله لما فصل بينه وبين الخبر) اى بمتعلق الخبر وهو قوله بالآخرة (قوله ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) مقابل قوله هدى وبشرى للمؤمنين الخ على عادته سبحانه وتعالى متى ذكر وصف المؤمنين يعقبه بذكر ضدهم (قوله زينا لهم اعمالهم) اى حسناها لهم بان جعلناها محبوبة لا تفسهم وهى فى الواقع ليست حسنة وانما ذلك ليقضى الله امرا كان مفعولا قال الشاعر

يقضى على المرء فى ايام محنته * حتى يرى حسنا مالبس بالحسن

(قوله يتحيرون فيها) اى لتعارض تزيين الشيطان واخبار الرحمن ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبيح فاهل الكفر متحيرون فى كفرهم لكونهم فى ظلمات ومن المعلوم ان السائر فى الظلمات متحير بخلاف السائر فى النور فاهل الايمان مصدقون مصممون على اعتقادهم واهل الكفر متشككون متحيرون (قوله هم الاخسرون) اى ان خسرانهم فى الآخرة أشد من خسرانهم فى الدنيا لدوام العذاب فى الآخرة (قوله بشدة) اخذ ذلك من تشديد الفعل (قوله من لدن حكيم عليم) اى من عند من يضع الشئ فى محله العالم بالكليات والجزئيات فذكر وصف العلم بعد الحكمة من ذكر العام بعد الخاص (قوله اذكر) قدره اشارة الى أن قوله اذ قال ظرف لمحذوف والمعنى اذكر يامحمد لقومك قصة

زوجته عند مسيره من مدين الى مصر (انى آنست) ابصرت من بعيد (نارا سآتيكم منها بخبر) عن حال الطريق وكان قد ضلها (او آتيكم بشهاب قبس) بالاضافة للبيان وتركوا اى شعلة نار فى رأس فتيلة او عود (لعلكم تصطلون) والطاء بدل من تاء الافتعال من

قصة موسى وما وقع له (قوله زوجته) اى بنت شعيب أى وولده وخادمه (قوله عند مسيره من مدين) اى ليجتمع بامه وأخيه بمصر وكان فى ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق (قوله وكان قد ضلها) اى تاه عنها (قوله أو آتيكم) او مانعة خلو تجوز الجمع (قوله اى شعلة نار) اى شعلة مقتبسة من النار فالاضافة لبيان الجنس كما قال المفسر لان الشهاب يكون من النار وغيرها كالكوكب (قوله بدل من تاء الافتعال) اى لانها وقعت بعد الصاد وهى من حروف الاطباق فقلبت طاء على القاعدة المعلومة (قوله بكسر اللام) اى من باب تعب وقوله وفتحها اى من باب رمى (قوله نودى) اى ناداه الله (قوله اى بان) أشار بذلك الى ان ان مصدرية وما بعدها فى تاويل مصدر وحرف الجر مقدر قبلها اى نودى ببركة من فى النار الخ اى بتقديسه وتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة أى ناداه الله بانا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة كما تقدم فى طه حيث قال وانا اخترتك الخ (قوله من فى النار) هو نائب فاعل بورك وهذا تحية لموسى وتكرمة له (قوله أو العكس) اى فتفسر من الاولى بالملائكة والثانية بموسى وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله يتعدى بنفسه) اى فيقال باركك الله (قوله وبالحرف) أى اللام وفى وعلى (قوله ويقدر بعد فى مكان) اى على التفسير الاول فيقال ان بورك من فى مكان النار وانما احتيج لهذا التقدير لان موسى اذ ذاك لم يكن فى النار حقيقة بل كان فى المكان القريب منها (قوله من جملة ما نودى) اى أتى به وانما أتى بالتنزيه هنا لدفع ما يتوهم ان الكلام الذى سمعه فى ذلك المكان بحرف وصوت او كون الله فى مكان او جهة (قوله وألق عصاك) لم يقل هنا وان كما فى القصص لانه هنا ذكر بعد أن فصل فحسن عطف ألق عليه وما يأتى لم يذكر فقصد عطف وان ألق على قوله ان يا موسى انى أنا الله (قوله تهتز) حال من ضمير رآها (قوله حية خفيفة) اى فى سرعة الحركة فلا ينافى عظم جثتها (قوله يرجع) اى لم يرجع على عقبه (قوله لا تخف منها) اى لانك فى حضرتى ومن كان فيها فهو آمن لا يخطر بباله خوف من شئ (قوله لكن من ظلم الخ) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع ومن ظلم مبتدا وقوله فانى غفور خبره (قوله اتاه) اى عمله (قوله طوق القميص) انما لم يامره بادخالها فى كمه لانه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل لها كم قصير (قوله تخرج بيضاء) جواب لقوله أدخل (قوله لها شعاع) اى لمعان واشراق (قوله آية) أشار بذلك الى ان فى تسع آيات فى محل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج وقد صرح بهذا المحذوف فى سورة طه حيث قال هناك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة فى جملة الآيات التسع (قوله الى فرعون) متعلق بما قدره المفسر وقوله انهم كانوا الخ تعليل لذلك المقدر (قوله فلما جاءتهم آياتنا) اى جاءهم موسى بها وقوله مبصرة اسم فاعل والمراد به المفعول اطلق اسم الفاعل على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها تبصر نفسها (قوله اى مضيئة) اى اضاءة معنوية فى جميعها وحسية فى بعضها وهو اليد (قوله قالوا هذا) اى ما نشاهده من الخوارق التى اتى بها موسى (قوله واستيقنتها انفسهم) حال من الواو فى جحدوا ولذا قدر فيه قد (قوله اى تيقنوا الخ) اشار به الى ان السين زائدة (قوله راجع الى الجحد) اى على انه علة له (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها مؤخر والجملة فى محل نصب على اسقاط الخافض

صلى بالنار بكسر اللام وفتحها تستدفئون من البرد (فلما جاءها نودى ان) اى بان (بورك) اى بارك الله (من فى النار) اى موسى (ومن حولها) اى الملائكة او العكس و بارك يتعدى بنفسه و بالحرف و يقدر بعد فى مكان (وسبحان الله رب العالمين) من جملة ما نودى ومعناه تنزيه الله من السوء (يا موسى انه) اى الشان (أنا الله العزيز الحكيم والق عصاك) فالقاها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كانها جان) حية خفيفة (ولى مدبرا ولم يعقب) يرجع قال تعالى (يا موسى لا تخف) منها (انى لا يخاف لدىّ) عندى (المرسلون) من حية وغيرها (الا) لكن (من ظلم) نفسه (ثم بدل حسنا) اتاه (بعد سوء) اى تاب (فانى غفور رحيم) اقبل التوبة واغفر له (وأدخل يدك فى جيبك) طوق القميص (تخرج) خلاف لونها من الادمة (بيضاء من غير سوء) برص لها شعاع يغشى البصر آية (فى تسع آيات) مرسلا بها (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) اى مضيئة واضحة (قالوا هذا سحر مبين) بين ظاهر (وجحدوا بها) اى لم يقروا (و) قد (استيقنتها أنفسهم) اى تيقنوا انها من عند الله (ظلما وعلوا) تكبرا عن الايمان بما جاء به موسى راجع الى الجحد (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة المفسدين) التى علمتها

(قوله من اهلاكهم) اي بالاغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين (قوله ولقد آتينا داود وسليمان) هو بالمد بمعنى اعطينا وهو شروع فى ذكر القصة الثانية وكان لداود تسعة عشر ولدا أجلهم سليمان وعاش داود مائة سنة وسليمان ابنه نيفا وخمسين سنة وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وبين سليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم الف وسبعمائة سنة (قوله بالقضاء بين الناس) اى وهو علم الشرائع (قوله ومنطق الطير) اى تصويته (قوله وغير ذلك) اى كتسبيح الجبال (قوله وقالا الحمد لله) اى شكر كل منهما ربه على ما انعم عليه به (قوله الذى فضلنا) اى اعطانا هذا الفضل العظيم (قوله وتسخير الجن والانس الخ) ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان وهو كذلك الا ان سليمان فاق أباه وكانت له السلطنة الظاهرة (قوله على كثير من عباده المؤمنين) اى الذين لم يؤتوا مثلنا وهذه مزية وهى لا تقتضي الافضلية فداود وسليمان وان اعطيا تلك المزايا فاولوالعزم افضل منهما لان التفضيل من الله لا بالمزايا (قوله وورث سليمان داود) اى قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه التسعة عشر مع كون النبوة والعطايا التى مع داود مستمرة معه وليس المراد ان نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلاشئ (قوله وقال يا أيها الناس) اى قال سليمان لبنى اسرائيل شكرا لله على نعمه (قوله علمنا منطق الطير) اى فهمنا الله اصوات الطير ولا مفهوم للطير بل كان الزرع والنبات يكلمه و يفهم كلامه وردان سليمان كان جالسا اذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه أتدرون ما يقول هذا الطائر انه قال لى السلام عليك ايها الملك المسلط والنبي لبنى اسرائيل اعطاك الله الكرامة واظهرك على عدوك انى منطلق الى افراخى ثم امر بك الثانية وانه سيرجع الينا الثانية ثم رجع فقال لهم يقول السلام عليك ايها الملك المسلط ان شئت ان تاذن لى كيما اكتسب على افراخى حتى يشبوا ثم آتيك فافعل بى ما شئت فاخبرهم سليمان بما قال واذن له فانطلق ومر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لا يا نبي الله قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخا فخاف فقال له سليمان احذر فقال الهدهد يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فانا اسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع فى حبالة الصبي وهو فى يده فقال له ما هذا قال ما رايتها حتى وقعت بها يا نبي الله قال و يحك فانت ترى الماء تحت الارض اما ترى الفخ فقال يا نبي الله اذا نزل القضاء عمى البصر وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول * لدوا للموت وابنوا للخراب * وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لما خلقوا له وصاح عنده طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح عنده هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول ان من لا يرحم لا يرحم وصاح عنده صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقيل ان الصرد هو الذى دل آدم على مكان البيت ولذلك يقال له الصرد الصرام وصاحت عنده طيطرجى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاحت عنده خطافة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها وقيل ان آدم خرج من الجنة فاشتكى الى الله تعالى الوحشة فانسه الله بالخطاف والزمها البيوت فهى لا تفارق بنى آدم انسا لهم قال ومعها اربع آيات من كتاب الله لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى آخرها وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم وهدرت حمامة عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى عدد ما فى السموات والارض وصاح قمرى عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه

من اهلاكهم (ولقد آتينا داود وسليمان) ابنه (علما) بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وقالا) شكرا لله (الحمد لله الذى فضلنا) بالنبوة وتسخير الجن والانس والشياطين (على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود) النبوة والعلم دون باقى اولاده (وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير) اى فهم اصواته

يقول سبحان ربي العظيم المهيمن قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار والحداة يقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع تقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل مكان وصاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال النبي صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح قال اذكروا الله يا غافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم النسر اذا صاح قال يا ابن آدم عش ما شئت فآخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس راحة واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغض آل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين الى آخرها فيقول ولا الضالين فيمد بها صوته كما يمد القارئ (قوله وأوتينا من كل شيء) قال ذلك تحدثا بنعمة الله وشكرا على ما أعطاه (قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس) اى من الاماكن البعيدة وكان له نقباء ترد أول العسكر على آخره لئلا يتقدموا في السير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساط من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعني حرة وسبعمائة سرية فيامر الريح العاصف فترفعه ثم يامر الرخاء فتسير به وروى عن كعب الاحبار أنه قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فتطبخ الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوى فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت اصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فاوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب ابكاني ان هذا نبي من انبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علي ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله اليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان احب انبيائي الي واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني افرض عليهم فريضة يحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام وعبدة الشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي النمل (قوله يجمعون ثم يساقون) اى يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون بالسير (قوله حتى اذا أتوا) غاية لمحذوف اى فسار وامشاة على الارض وركبانا حتى اذا أتوا الخ (قوله نمله صغار) اى وهو المعروف وقوله او كبار اى كالبخاتي او الذئاب (قوله قالت نملة) قيل اسمها طاخية وقيل جرمى حكى الزمخشري عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه وقف على قتادة وهو يقول سلوني فامر ابو حنيفة شخصا سال قتادة عن نملة سليمان هل كانت ذكرا او انثى فلم يجب فقيل لابي حنيفة في ذلك فقيل كانت انثى واستدل بلحاق العلامة قال بعضهم وفيه نظر لان لحاق التاء في قالت لا يدل على انها مؤنثة لان تاءه للوحدة لا للتانيث وحينئذ فيصح ان يقال قال نملة وقالت نملة وما استدل به ابو حنيفة يفيد الظن لا التحقيق (قوله وقدرات جند سليمان) اى من ثلاثة اميال بدليل قوله الآتي وقد سمعه من ثلاثة اميال (قوله يا أيها النمل الخ) اشتمل هذا القول على احد عشر نوعا من البلاغة اولها النداء بيا ثانيها لفظ اى ثالثها

(واوتينا من كل شيء) تؤتاه الانبياء والملوك (ان هذا) المؤتى (لهو الفضل المبين) البين الظاهر (وحشر) جمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) في مسيره له (فهم يوزعون) يجمعون ثم يساقون (حتى اذا أتوا على وادي النمل) هو بالطائف او بالشام نمله صغار او كبار (قالت نملة) ملكة النمل وقدرات جند سليمان (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم

التنبيه رابعها التسمية بقولها النمل خامسها الامر بقولها ادخلوا سادسها التنصيص بقولها مساكنكم سابعها التحذير بقولها لا يحطمنكم ثامنها التخصيص بقولها سليمان تاسعها التعميم بقولها وجنوده عاشرها الاشارة بقولها وهم حادى عشرها العذر بقولها لا يشعرون وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين وهى من جملة الحيوانات العشرة التى تدخل الجنة وهى براق رسول الله صلى الله عليه وهدهد بلقيس ونملة سليمان وعجل ابراهيم وكبش ولده وبقرة بنى اسرائيل وكلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح وحوت يونس روى أن سليمان قال لها لم حذرت النمل أخفت من ظلمى أما علمت أنى نبى عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة أما سمعت قولى وهم لا يشعرون مع أنى لم أرد حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشية ان يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن فى الدنيا ويشتغلن بالنظر الى ملكك عن التسبيح والذكر فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة الى قومها فقالت هل عندكم من شئ نهديه الى نبى الله قالوا وما قدر ما نهدى له والله ما عندنا الا نبقة واحدة فقالت حسنة ائتونى بها فاتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والانس والعلماء والانبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها فى فيه وانشأت تقول

الم ترنا نهدى الى الله ما له * وان كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره * لا قصر البحر عنه يوما وساحله
ولكننا نهدى الى من نحبه * فيرضى بها عنا ويشكر فاعله
وما ذاك الا من كريم فعاله * والا فما فى ملكنا ما يشاكله

فقال لها بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة اشكر خلق الله واكثر خلق الله والنمل حيوان معروف شديد الاحساس والشم حتى انه يشم الشئ من بعيد ويدخر قوته ومن شدة ادراكه انه يفلق الحبة فلقتين خوفا من الانبات ويفلق حبة الكزبرة اربع فلق لانها اذا فلقت فلقتين نبتت ويأكل فى عامه نصف ما جمع ويستبقى باقيه عدة (قوله لا يحطمنكم) فيه وجهان احدهما انه نهى والثانى انه جواب الامر (قوله وهم لا يشعرون) جملة حالية (قوله فتبسم ضاحكا) مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور فتبسم وكان سبب ضحكه شيئين احدهما ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم من قولها وهم لا يشعرون الثانى سروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراك سمعه ما قالته النملة (قوله ابتداء الخ) اى فالتبسم انفتاح الفم من غير صوت والضحك انفتاحه مع صوت خفيف والقهقهة انفتاحه مع صوت قوى وهى لا تكون من الانبياء (قوله فى هذا السير) اى فى خصوص سيره على وادى النمل وكان هو وجنوده فى غير هذا المكان راكبين على البساط وتسير بهم الريح (قوله وعلى والدى) انما ذكر نعمة والديه تكثيرا للنعمة ايزادا فى الشكر عليها (قوله فى عبادك الصالحين) على حذف مضاف اى فى جملة عبادك او فى بمعنى مع والمراد الكاملون فى الصلاح لان الصلاح مقول بالتشكيك فما من مقام الا وفوقه اعلى منه والكامل يقبل الكمال (قوله وتفقد الطير) شروع فى القصة الثالثة والمعنى نظر فى الطير فلم ير الهدهد وكان سبب سؤاله عن الهدهد انه كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى فى الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر فى الارض ثم تجئ الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء فى ساعة يسيرة قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له ان الصبى يضع له فخا ويحثو عليه التراب فيجئ الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع فى عنقه فقال ابن عباس اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر قيل ولم يكن له فى مسيره الا هدهد واحد (قوله فتستخرجه الشياطين) اى بان تسلخ وجه

لا يحطمنكم) يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) نزل النمل منزلة العقلاء فى الخطاب بخطابهم (فتبسم) سليمان ابتداء (ضاحكا) انتهاء (من قولها) وقد سمعه من ثلاثة اميال حملته اليه الريح فحبس جنده حين اشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة فى هذا السير (وقال رب اوزعنى) الهمنى (ان اشكر نعمتك التى انعمت) بها (على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) الانبياء والاولياء (وتفقد الطير) ليرى الهدهد الذى يرى الماء تحت الارض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان اليه للصلاة لم يره

الارض عن الماء كما تساخ الشاة (قوله مالى لا أرى الهدهد) استفهام استخبار (قوله ام كان من الغائبين) ام منقطعة تفسر بل والهمزة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال مالى لا ارى الهدهد ثم احتاط فظهر له انه غائب فاضرب عن ذلك وهو اضراب انتقالى (قوله لاعذبنه عذابا شديدا) الحلف على احد الاولين بتقدير عدم الثالث فاو بين الكلمتين الاوليين للتخيير وفى الثالث للترديد بينه وبينهما فهى فى الاخير بمعنى الا (قوله بنتف ريشه) هذا احد اقوال فى معنى التعذيب وقيل هو ان يحشره مع غير ابناء جنسه وقيل هو ان يطلى بالقطران ويوضع فى الشمس (قوله بنون مشددة الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله بسلطان مبين) اى حجة ظاهرة على غيبته والسبب فى غيبة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله ان يقيم أى من غير صلاة بالكعبة كراهة فى الاصنام ولم يكن مامورا بتكسيرها فاندفع التعارض بين ماهنا وما تقدم وكان ينحر فى كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى صفته كذا وكذا ويعطى النصر على جميع من عاداه وتبلغ هيبته مسافة شهر القريب والبعيد عنده فى الحق سواء لا تاخذه فى الله لومة لائم قالوا فبأى دين يدين يا نبى الله قال بدين الله الحنيفية فطوبى لمن ادركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبى الله قال مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلى ويتغدى فلما نزل قال الهدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء ينظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من اين اقبلت قال اقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن اين انت قال عفيرانا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها اربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك اربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر قائدا مع كل قائد اثنا عشر الف مقاتل فهل انت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة اذا احتاج الماء قال الهدهد اليمانى ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه نزل على غير ماء فسال عن الماء الجن والانس فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادرى اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا الآية ثم دعا بالعقاب وهو اشد الطير طيرانا فقال له على بالهدهد الساعة فارتفع العقاب فى الهواء حتى نظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده وعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال بحق الذى قواك واقدرك على الامارحمتنى ولم تتعرض لى بسوء فتركه العقاب وقال ولك ثكلتك امك ان نبى الله قد حلف ان يعذبك أو يذبحك فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير وقالا له ويلك اين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبى الله واخبره بما قال سليمان فقال الهدهد او ماستثنى

(فقال مالى لا ارى الهدهد) أى أعرض لى مامنعنى من رؤيته (أم كان من الغائبين) فلم اره لغيبته فلما تحققها قال (لاعذبنه عذابا) تعذيبا (شديدا) بنتف ريشه وذنبه ورميه فى الشمس فلا يمتنع من الهوام (اولاذبحنه) بقطع حلقومه (اولياتينى) بنون مشددة مكسورة اومفتوحة يليها نون مكسورة (بسلطان مبين) ببرهان بين ظاهر على عذره

(فمكث) بضم الكاف وفتحها (غير بعيد) اى يسيرا من الزمان وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وارخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وساله عما لقى فى غيبته (فقال احطت بما لم تحط به) اى اطلعت على ما لم تطلع عليه (وجئتك من سبا) بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف (بنبإ) خبر (يقين انى وجدت امرأة تملكهم) اى هى ملكة لهم اسمها بلقيس (وأوتيت من كل شيء) يحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة (ولها عرش) سرير (عظيم) طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد عليه سبعة ابواب على كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل) طريق الحق (فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله) اى ان يسجدوا له فزيدت لا وادغم فيها نون ان كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والجملة فى محل مفعول يهتدون باسقاط الى (الذى يخرج الخبء) مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات (فى السموات والارض ويعلم ما يخفون) فى قلوبهم (وما يعلنون) بالسنتهم الارض

نبي الله فقالوا بلى انه قال اوليأتينى بسلطان مبين فقال نجوت اذا وكانت غيبته من الزوال ولم يرجع الا بعد العصر فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان عليه الصلاة والسلام فلما دانا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل فلما سمع سليمان عليه الصلاة والسلام ذلك ارتعد وعفا عنه ثم ساله ما الذى ابطاك عنى فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به الى آخره (قوله فمكث) اى الهدهد (قوله بضم الكاف وفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان والاول من باب قرب والثانى من باب نصر (قوله اى يسيرا من الزمان) اى وهو من الزوال الى العصر (قوله فعفا عنه) اى من اول الامر قبل ان يذكر العذر (قوله وساله عما لقى فى غيبته) قدره اشارة الى ان قوله فقال احطت الخ مفرع على محذوف (قوله فقال احطت بما لم تحط به) اى علمت ما لم تعلمه أنت ولا جنودك وفى هذا تنبيه على ان الله تعالى ارى سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهى ثلاث مراحل (قوله بالصرف وتركه) اى فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظرا الى انه اسم رجل وتركه نظرا الى انه اسم القبيلة للعلمية والتانيث (قوله اسمها بلقيس) بالكسر بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هى آخرهم وكان الملك يملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لى وأبى ان يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن قيل فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها (قوله وأوتيت من كل شيء) عطف على قوله تملكهم لانه بمعنى ملكتهم قال ابن عباس كان يخدمها ثلثمائة امرأة (قوله يحتاج اليه الملوك) اشار بذلك الى ان قوله من كل شيء عام اريد به الخصوص (قوله ولها عرش عظيم) اى تجلس عليه ووصفه بالعظم بالنسبة الى ملوك الدنيا واما وصف عرش الله بالعظم فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض وما بينهما فحصل الفرق (قوله طوله ثمانون ذراعا الخ) وقيل طوله ثمانون وعرضه كذلك وارتفاعه فى الهواء كذلك (قوله عليه سبعة ابواب) صوابه ابيات بدليل قوله على كل بيت باب مغلق (قوله يسجدون للشمس) اى فهم مجوس (قوله فهم لا يهتدون ان لا يسجدوا الله الخ) ذكر ذلك ردا على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من فى السموات والارض عالم بجميع المعلومات (قوله أى ان يسجدوا له) اشار بذلك الى انه على هذه القراءة تكون ان ناصبة ولا زائدة ويسجدوا فعل مضارع منصوب بان وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل وعليها فلا يجوز الوقف على يهتدون لانه من تتمته كانه قال فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا الخ وقرأ الكسائى بتخفيف ألا وتوجيهها ان يقال ان لا للافتتاح ويا حرف تنبيه واسجدوا فعل امر لكن سقطت الف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا ووصلت الياء بسين اسجدوا فاتحدت القراءتان لفظا وخطا وهناك وجه آخر فى هذه القراءة وهو ان يا حرف نداء والمنادى محذوف والتقدير الا ياهؤلاء وهو ضعيف لئلا يؤدى الى حذف كثير من غير ما يدل على المحذوف (قوله من المطر والنبات) لف ونشر مرتب فالمطر هو المخبوء فى السموات والنبات هو المخبوء فى

(الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) استئناف حملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن فى مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم (قال) سليمان للهدهد (سننظر اصدقت) فيما اخبرتنا به (أم كنت من الكاذبين) اى من هذا النوع فهو ابلغ من أم كذبت فيه ثم دلهم

الارض (قوله لا اله الا هو رب العرش العظيم) اعلم ان ماذكره الهدهد من قوله الذى يخرج الخبء الى هنا انما هو بيان لحقيقة عقيدته وعلومه التى اقتبسها من سليمان وليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به وانما ذكر الهدهد ذلك ليغرى سليمان على قتالهم وليبين انه لم يكن عنده ميل لهم بل انما غرضه وصف ملكها (قوله وبينهما بون) اى فضل ومزية (قوله قال سننظر) هذه الجملة مستانفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره فماذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر (قوله فهو أبلغ من أم كذبت) اى لانه يفيد انه ان كان كاذبا فى هذه الحادثة كان معدودا من الكاذبين ومحسوبا منهم والكذب له عادة وليست فلتة يعفى عنه فيها لان الكذب على الانبياء أمره عظيم (قوله من عبد الله) خص هذا الوصف لانه أشرف الاوصاف وقدم اسمه على البسملة لانها كانت فى ذلك الوقت كافرة فخاف ان تستخف باسم الله فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى (قوله السلام على من اتبع الهدى) اى امان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال (قوله فلا تعلوا على) اى لا تتكبروا (قوله مسلمين) اى منقادين لدين الله وفى هذا الخطاب اشعار بانه رسول من عند الله يدعوهم الى دين الله وليس مطلق سلطان والا لقال وائتونى طائعين (قوله ثم طبعه بالمسك) اى جعل عليه قطعة مسك كالشمع (قوله فالقه اليهم) اما بسكون الهاء او كسرها من غير اشباع او باشباع ثلاث قراآت سبعيات (قوله ماذا يرجعون) ان جعل انظر بمعنى انتظر فماذا بمعنى الذى ويرجعون صلته والعائد محذوف ويكون ما مفعول يرجعون والمعنى انتظر الذى يرجعونه وان جعل بمعنى تامل وتفكر كانت ما استفهامية وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها والعائد محذوف والتقدير أى شئ الذى يرجعونه والموصول هو خبر ما الاستفهامية أو ماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون تقديره اى شئ يرجعون (قوله من الجواب) بيان لما (قوله وأتاها وحولها جندها الخ) وقيل أتاها فوجدها نائمة وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فالقى الكتاب على نحرها وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما انبطات الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها (قوله فلما رأته ارتعدت) اى حين وجدت الكتاب مختوما ارتعدت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى ارسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت اشراف قومها (قوله بقلبها واوا مكسورة) المناسب ان يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء او قلبها واوا الخ فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله انى ألقى الى الخ) لم تذكر صورة الكتاب بل اقتصرت على ما فيه الفائدة لشدة معرفتها وبلاغة لفظها (قوله كريم) اى مكرم معظم (قوله مختوم) اى لان الكتاب المختوم يشعر بالاعتناء بالمرسل اليه لما ورد من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به (قوله انه من سليمان) جملة مستانفة وقعت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا مضمونه (قوله قالت يا أيها الملا) اى الاشراف سموا بذلك لانهم يملؤن العين بما بهم وكانوا ثلثمائة واثنى عشر لكل واحد منهم عشرة آلاف من الاتباع (قوله ما كنت قاطعة أمرا) اى ان عادتى معكم لا أفصل أمرا حتى أشاوركم (قوله نحن أولوا قوة الخ) استفيد من ذلك انهم أشاروا عليها بالقتال أولا ثم ردوا الامر اليها (قوله نطعك) مجزوم فى جواب الامر (قوله قالت ان الملوك الخ) اى فلم ترض بالحرب الذى أشاروا عليها به بل اختارت الصلح وبينت سببه (قوله اذا دخلوا قرية) اى عنوة

على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على وائتونى مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم) اى بلقيس وقومها (ثم تول) انصرف (عنهم) وقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب فاخذه وأتاها وحولها جندها والقاه فى حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفا ثم وقفت على ما فيه ثم (قالت) لاشراف قومها (يا أيها الملا انى) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة (القى الى كتاب كريم) مختوم (انه من سليمان وانه) اى مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على وائتونى مسلمين قالت يا أيها الملا أفتونى) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا اى اشيروا على

(فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا) قاضيته (حتى تشهدون) تحضرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا باس شديد) اى أصحاب شدة فى الحرب (والامر اليك فانظرى ماذا تامرينا) نا نطعك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) بالتخريب (وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) اى مرسلوا الكتاب (وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة

(قوله ثم يرجع المرسلون) اى منتظرة رجوع الرسل وعودهم الى (قوله ان كان ملكا قبلها) اى وقاتلناه (قوله او نبيا لم يقبلها) اى واتبعناه لانها كانت لبيبة عاقلة تعرف سياسة الامور (قوله ألفا بالسوية) اى خمسمائة ذكر وخمسمائة انثى (قوله فامران تضرب لبنات الذهب والفضة) أى كما يضرب الطين (قوله وان تبسط من موضعه) اى توضع فى الارض كالبلاط (قوله الى تسعة فراسخ) اى وهو مسيرة يوم وثمن يوم (قوله وان يبنوا) أى الجن (قوله عن يمين الميدان وشماله) أى وقصد بذلك اظهار الباس والشدة *وحاصل تفصيل تلك القصة ان بلقيس عمدت الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى ايديهم اساور الذهب وفى اعناقهم اطواق الذهب وفى آذانهم اقرطة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر واغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود وعمدت الى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحقة قبل ان تفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا وادخل فى الخرز خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى ان يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي فتفهم قوله وردا لجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ بان يفرش فيه لبن الذهب والفضة وان يجعلوا قدر تلك اللبنات التى معهم وان يعملوا حول الميدان حائطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال سليمان أى دواب البر والبحر احسن فقالوا يا نبي الله رأينا فى بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة واعراف ونواص قال على بها فاتوه بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى على يمينه وعلى شماله وأمر الجن والانس والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دانا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ووضعوا ما معهم من الهدايا وقيل ان سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك من طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبنات فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن فى ذلك الموضع ولما نظروا الى الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم وكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدى سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم بما لقى حسنا وسالهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا به واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة فاتى بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام فاخبره بما فيها فقال لهم ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة فقال الرسول صدقت فانقب الدرة وأدخل الخيط فى الجزعة فقال سليمان من لى بثقبها وسال الانس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال الشياطين فقالوا ترسل الى

(قوله ثم يرجع المرسلون) من قبول الهدية اوردها ان كان ملكا قبلها او نبيا لم يقبلها فارسلت خدما ذكورا واناثا ألفا بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب فاسرع الهدهد الى سليمان يخبره الخبر فامر ان تضرب لبنات الذهب والفضة وان تبسط من موضعه الى تسعة فراسخ ميدانا وان يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة وان يؤتى باحسن دواب البر والبحر مع اولاد الجن عن يمين الميدان وشماله (فلما جاء) الرسول بالهدية ومعه اتباعه (سليمان

قال أتمدونني بمال فما آتاني الله) من النبوة والملك (خير مما آتاكم) من الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لتخركم بزخارف الدنيا (ارجع اليهم) بما أتيت به من الهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل) طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) من بلدهم سبا سميت باسم قبيلتهم (أذلة وهم صاغرون) اى ان لم يأتوني مسلمين فلما رجع اليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة ابواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور واغلقت الابواب وجعلت عليها حرسا وتجهزت الى المسير الى سليمان لتنظر ما يامرها به فارتحلت في اثني عشر الف قيل مع كل قيل الوف كثيرة الى ان قربت منه على فرسخ شعر بها (قال يا ايها الملاء ايكم) في الهمزتين ما تقدم (يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين) منقادين طائعين فلي اخذه قبل ذلك لا بعده (قال عفريت من الجن) هو القوى الشديد (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) الذى تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة الى نصف النهار (واني عليه لقوى) اى على حمله (امين) اى على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان اريد اسرع من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) المنزل

الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لها لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فاخذت الدودة خيطا في فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت يكون رزقي في الفواكه فقال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تاخذ الماء بيدها وتضرب بها الاخرى وتغسل وجهها والغلام ياخذ الماء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله فلما جاء سليمان الخ (قوله قال أتمدونني الخ) استفهام انكاري وتوبيخ أي لا ينبغي لكم ذلك (قوله وهم صاغرون) حال ثانية مؤكدة للاولى (قوله أي ان لم يأتوني مسلمين) أفاد بذلك أن يمين سليمان معلق على عدم اتيانهم مسلمين (قوله داخل سبعة أبواب) صوابه أبيات وتقدم انه داخل سبعة أبيات فيكون حينئذ في داخل أربعة عشر بيتا (قوله حرسا) بفتحتين جمع حارس (قوله قيل) بفتح القاف أي ملك سمي بذلك لانه ينفذ ما يقول (قوله الى أن قربت منه) أي من سليمان (قوله شعر بها) أي علم وذلك أنه خرج يوما فجلس على سريره فسمع وهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان (قوله قال يا أيها الملأ) الخطاب لكل من عنده من الجن والانس وغيرهما (قوله ما تقدم) أي من التحقيق أو قلب الثانية واوا (قوله أيكم يا تيني بعرشها) أي وكان سليمان اذ ذاك في بيت المقدس وعرشها في سبا وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين (قوله فلي أخذه قبل ذلك) أي قبل اتيانهم مسلمين لانهم حربيون حينئذ (قوله لا بعده) أي لان اسلامهم يعصم مالهم وهذا بحسب الظاهر وأما باطن الامر فقصده أن يبهر عقلها بالامور المستغربة لتزيد ايمانا (قوله عفريت) بكسر العين وقرئ شذوذا بفتحها (قوله وهو القوى) أي وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان اسمه ذكوان وقيل صخر (قوله انا آتيك به) يحتمل أنه فعل مضارع أصله أأتي بهمزتين أبدلت الثانية الفا ويحتمل أنه اسم فاعل كضارب وقائم (قوله من مقامك) أي مجلسك (قوله أسرع من ذلك) أي لان المقصود الاتيان به قبل أن تقدم هي والحال أن بين قدومها مسيرة ساعة ونصف ومجلسه من الغداة الى نصف النهار (قوله علم من الكتاب) أي وهو التوراة (قوله وهو آصف بن برخيا) بالمد والقصر وكان وزير سليمان وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تعالى وقيل الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل وقيل الخضر وقيل ملك آخر وقيل سليمان نفسه وعلى هذا فالخطاب في قوله أنا آتيك للعفريت وما مشى عليه المفسر هو المشهور (قوله كان صديقا) أي مبالغا في الصدق مع الله ومع عباده (قوله طرفك) هو بالسكون البصر (قوله قال) أي آصف وقوله له أي لسليمان (قوله دعا بالاسم الاعظم) قيل كان الدعاء الذي دعا به ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحي ياقيوم وقيل يا لهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها (قوله بان جرى تحت الارض) أي بحمل الملائكة له لامر الله لهم بذلك (قوله أي ساكنا) أي غير متحرك كانه وضع من قبل بزمن متسع وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول والا كان واجب الحذف لان الظرف يكون مستقرا وعلى

وهو آصف بن برخيا كان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) اذا نظرت به الى شئ ما قال له انظر الى السماء فنظر اليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعا بين يديه ففي نظره الى السماء دعا آصف بالاسم الاعظم أن يأتي الله به فحصل بان جرى تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان (فلما رآه مستقرا) أي ساكنا (عنده قال هذا) أي الاتيان لي به

(كريم) بالافضال على من يكفرها (قال نكروا لها عرشها) اى غيروه الى حال تنكره اذا راته (ننظر أنهتدي) الى معرفته (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفة ما يغير عليهم قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له ان فيه شيئا فغيروه بزيادة أو نقص اوغير ذلك (فلما جاءت قيل) لها (أهكذا عرشك) اى امثل هذا عرشك (قالت كانه هو) اى فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها اذ لم يقل أهذا عرشك ولو قيل هذا قالت نعم قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلما (واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وصدها) عن عبادة الله (ما كانت تعبد من دون الله) اى غيره (انها كانت من قوم كافرين قيل لها) ايضا (ادخلي الصرح) هو سطح من زجاج ابيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له ان ساقتيها وقدميها كقدمي الحمار (فلما راته حسبته لجة) من الماء (وكشفت عن ساقيها) لتخوضه وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فراى ساقيها وقدميها حسانا (قال) لها (انه صرح ممرد) مملس (من قوارير) اى زجاج ودعاها الى الاسلام (قالت رب اني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (واسلمت) كائنة (مع سليمان لله رب العالمين) واراد تزوجها فكره شعر

ماذكره المفسر فالظرف لغو عامله خاص مذكور فتدبر (قوله من فضل ربي) اى احسانه الى (قوله وادخال الف الخ) اى فالقراآت اربع سبعيات وبقيت خامسة وهي ادخال الف بين المحققين (قوله لان ثواب شكره له) اى لان الشكر سبب في زيادة النعم قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (قوله بالافضال على من يكفرها) اى فلا يقطع نعمه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قوله قال نكروا لها عرشها) معطوف في المعنى على قوله قال هذا من فضل ربي وكلاهما مرتب على قوله فلما رآه مستقرا عنده (قوله الى حالة تنكره اذا رأته) اى فالتنكير ابهام الشيء بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه النكرة والمعرفة في اصطلاح النحويين (قوله ننظر) هو جواب الامر (قوله قصد بذلك الخ) اشار بذلك الى حكمة التغيير (قوله لما قيل له ان فيه شيئا) اى نقصا والقائل له ماذكر الجن وقالوا ايضا ان رجليها كرجلي حمار وقالوا ايضا ان في ساقيها شعرا لانهم ظنوا انه يتزوجها فكرهوا ذلك لئلا تفشي له اسرار الجن ولئلا يأتي له منها اولاد فيخلفوه في استخدام الجن فيدوم عليهم الذل (قوله قيل لها) القائل لها سليمان أو مأموره (قوله أهكذا عرشك) الهمزة للاستفهام والهاء للتنبيه والكاف حرف جر وذا اسم اشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر وفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناء بالتنبيه وكان مقتضاه ان يقال أكهذا عرشك (قوله اى أمثل هذا) اشار بذلك الى ان الكاف اسم بمعنى مثل وقولهم لا يفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بشيء من حروف الجر الا بالكاف معناه ولو صورة وان كانت في المعنى اسما بمعنى مثل (قوله وشبهت عليهم الخ) اى فاتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان والمشاكلة الاتيان بمثل الكلام السابق وان لم يتحد الكلامان كقوله تعالى ومكروا ومكر الله (قوله قال سليمان) اى تحدثا بنعمة الله (قوله وأوتينا العلم من قبلها) اى العلم بالله وصفاته من قبل ان تؤتى هي العلم بما ذكر وكنا مسلمين من قبل ان تسلم فنحن اسبق منها علما واسلاما (قوله وصدها) اى منعها وقوله ما كانت فاعل صد والمعنى منعها عن عبادة الله الذي كانت تعبده من دون الله وهو الشمس (قوله انها كانت من قوم كافرين) بكسر ان في قراءة العامة استئناف وقرئ شذوذا بفتحها على اسقاط حرف التعليل (قوله قيل لها ايضا) اى كما قيل نكروا لها عرشها (قوله هو سطح) وقيل الصرح القصر أو صحن الدار (قوله من زجاج ابيض) اى وهو المسمى بالبلور (قوله اصطنعه سليمان) اى امر الشياطين به فحفروا حفيرة كالصهريج واجروا فيها الماء ووضعوا فيها سمكا وضفدعا وغيرهما من حيوانات البحر وجعلوا سقفها زجاجا شفافا فصار الماء ومافيه يرى من هذ الزجاج فمن لم يكن عالما به يظن انه ماء مكشوف يخاض فيه مع انه ليس كذلك (قوله لما قيل له) القائل ذلك الجن (قوله فلما رأته) اى ابصرته (قوله وكشفت عن ساقيها) اى على عادة من اراد خوض الماء قيل لما رأت اللجة فزعت وظنت انه قصد بها الغرق فلما لم يكن لها بد من امتثال الامر سلمت وكشفت عن ساقيها (قوله لتخوضه) اى لاجل ان تصل الى سليمان (قوله فرأى ساقيها الخ) اى فلما علم ذلك صرف بصره عنها (قوله ممرد) صفة اولى لصرح وقوله من قوارير صفة ثانية جمع قارورة (قوله مملس) ومنه الامرد للملاسة وجهه اى نعومته لعدم الشعر به (قوله بعبادة غيرك) اى وهو الشمس (قوله مع سليمان) حال من التاء في اسلمت كما اشار لذلك بقوله كائنة والمعنى اسلمت حالة كوني مصاحبة له في الدين ولا يصح ان يكون متعلقا باسلمت لانه يوهم انها متحدة معه في الاسلام في زمن واحد (قوله

(قوله فعملت له الشياطين النورة) اى بعد ان سال الانس عما يزيل الشعر فقالوا له يحلق بالموسي فقالت لم يمس الحديد جسمي فكره سليمان الموسي وقال انها تقطع ساقيها فسال الجن فقالوا لا ندري فسال الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ (قوله فتزوجها) اى وولدت منه ولدا وسمته داود ومات في حياة أبيه وبقيت معه الى ان مات وهذا احد قولين وقيل انها لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله قالت ان كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان وحال الحول ولم يعلم الجن موته فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا (قوله واقرها على ملكها) اى وامر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها في الارتفاع والحسن (قوله ويقيم عندها ثلاثة ايام) اى وكان يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (قوله روى انه ملك) اى اعطى الملك (قوله فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه) اى فما سواه يفنى وهو الباقي بلا زوال قال العارف

ما آدم في الكون وما ابليس * ما ملك سليمان وما بلقيس
الكل اشارة وانت المعنى * يا من هو للقلوب مغناطيس

فالاكوان جميعها اشارات دالة على المقصود بالذات وهو الله الواحد القهار (قوله ولقد ارسلنا الى ثمود) شروع في القصة الرابعة من هذه السورة وثمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبي القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث وتسمى عادا الثانية واما عاد الاولى فهم قوم هود (قوله اخاهم صالحا) اى في النسب لانه من اولاد ثمود الذي هو ابو القبيلة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله اى بان اعبدوا الله) اشار بذلك الى ان ان مصدرية وحرف الجر محذوف ويصح ان تكون مفسرة لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله وحدوه) اى اعتقدوا انه واحد في ذاته وصفاته وافعاله لا شريك له في شيء منها (قوله فاذا هم) اذا فجائية والمعنى ففاجاوا ارساله تفرقهم واختصامهم فآمن فريق وكفر فريق وتقدم حكاية اختصام الفريقين في سورة الاعراف في قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم الخ (قوله فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق مراعاة لمعناه (قوله من حين ارساله) اى وبعد ظهور المعجزات (قوله لم تستعجلون بالسيئة) أي لاى شيء تستعجلون العذاب وتطلبونه لانفسكم ولا تطلبون الرحمة ويصح ان يراد بالسيئة والحسنة اسباب العذاب واسباب الرحمة والمعنى لم يؤخرون الايمان الذي هو سبب في الرحمة وتقدمون الكفر الذي هو سبب العذاب (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله من الشرك) اى بان تتركوا الشرك وتؤمنوا (قوله لعلكم ترحمون) الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق لانه صادر من قادر عالم بالعواقب لا يخلف وعده (قوله ادغمت التاء في الطاء) اى بعد قلبها طاء (قوله واجتلبت همزة الوصل) أي للتوصل للنطق بالساكن (قوله اى تشاءمنا) أي أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة (قوله حيث قحطوا المطر) اى حبس عنهم (قوله قال طائركم عند الله) اى جزاء عملكم من عند الله عاملكم به فالشؤم وصفكم لا وصفي وسمي طائرا لانه يأتي الظالم فجأة وسرعة

ساقيها فعملت له الشياطين النورة فازالته بها فتزوجها واحبها واقرها على ملكها وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان روى انه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه (ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم) من القبيلة (صالحا ان) اى بان (اعبدوا الله) وحدوه (فاذا هم فريقان يختصمون) في الدين فريق مؤمنون من حين ارساله اليهم وفريق كافرون (قال) للمكذبين (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) اى بالعذاب قبل الرحمة حيث قالتم ان كان ما اتيتنا به حقا فائتنا بالعذاب (لولا) هلا (تستغفرون الله) من الشرك (لعلكم ترحمون) فلا تعذبون (قالوا اطيرنا) اصله تطيرنا ادغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل اى تشاءمنا (بك وبمن معك) اى المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا (قال طائركم) شؤمكم (عند الله) اتاكم به (بل انتم قوم

كنزول الطائر (قوله تفتنون) اتى بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة فيقال مثلا نحن قوم نقرأ ويقرؤن (قوله تختبرون بالخير والشر) اى لتعلموا أن ما أصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فبكسبت ايديكم (قوله مدينة ثمود) اى وهى الحجر وتقدم انه واد بين الشام والمدينة (قوله تسعة رهط) الرهط مادون العشرة من الرجال والنفر مادون السبعة الى الثلاثة (قوله أى رجال) دفع بذلك ما يقال ان تمييز التسعة جمع مجرور فكيف يؤتى به مفردا فاجاب بانه وان كان مفردا فى اللفظ فهو جمع فى المعنى وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح ان مولودا يولد فى شهرهم هذا يكون عقر الناقة على يديه فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر ان يقتل ابنه فعاش ذلك الولد ونبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة حزنوا على قتل اولادهم فسول لهم الشيطان ان يجتمعوا فى غار فاذا جاء الليل خرجوا الى صالح وقتلوه وتقدم انهم اجتمعوا فى الغار فارادوا ان يخرجوا منه فسقط عليهم الغار فقتلهم وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف وقيل انهم جاؤا ليلا لقتله شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالاحجار كما أفاده المفسر (قوله اى احلفوا) اشار بذلك الى ان قوله تقاسموا فعل أمر أى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا (قوله بالنون) اى مع فتح التاء وقوله والتاء كان المناسب ان يقول بالتاء لان ضم التاء لا يكون الا على قراءة التاء فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى من آمن به) وسيأتى انهم اربعة آلاف (قوله بالنون) اى مع فتح اللام وقوله والتاء اى فقراءة النون هنا مع قراءة النون فى الذى قبله وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط (قوله اى ولى دمه) اى دم من قتل من صالح ومن معه (قوله مهلك اهله) اى اهل ولى الدم الذى يقوم عند موت صالح واقارب المؤمنين به (قوله بضم الميم) اى مع فتح اللام وقوله وفتحها اى مع فتح اللام وكسرها فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله اى اهلاكهم) راجع للضم لانه من الرباعى (قوله واهلاكهم) راجع للفتح بوجهيه لانه من الثلاثى (قوله وانا لصادقون) اى ونحلف انا لصادقون أو المعنى والحال انا لصادقون فيما قلنا (قوله ومكروا مكرا) اى ارادوا اخفاء ما بيتوا عليه من قتل صالح وأهله (قوله ومكرنا مكرا) اى اهلكناهم من حيث لا يشعرون وهو من باب المشاكلة نظير قول الشاعر

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

والا فحقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى لانه التحيل على الغدر وهو من صفات العاجز والعجز على الله محال (قوله فانظر) اى تامل وتفكر (قوله انا دمرناهم) بكسر ان على الاستئناف وفتحها على انه خبر لمحذوف اى وهى تدميرنا اياهم والقراءتان سبعيتان (قوله او برمى الملائكة) اوللتنويع اى ان عذابهم نوعان موزعان عليهم رمى الحجارة على التسعة بسبب تبييتهم على قتل صالح واهله والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة ولو قال المفسر اهلكناهم برمى الملائكة الحجارة وقومهم اجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح (قوله فتلك بيوتهم) مبتدأ وخبر اى ديارهم (قوله بظلمهم) اشار بذلك الى ان ما مصدرية والباء سببية (قوله ان فى ذلك) اى المذكور من اهلاكهم (قوله وانجينا الذين آمنوا) اى من الهلاك فخرج بهم الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسميت تلك البلد بذلك ثم بنى الاربعة آلاف مدينة يقال لها حاضوراء (قوله وكانوا يتقون) اى يداومون على اتقاء الشرك بان لم يرتدوا (قوله و يبدل منه) اى بدل اشتمال والمراد ذكر القول لا ذكر وقته (قوله لقومه) اى من حيث ارساله اليهم وافامته عندهم والا فهو فى الاصل من أرض بابل

منها قرضهم الدنانير والدراهم (ولا يصلحون) بالطاعة (قالوا) اى قال بعضهم لبعض (تقاسموا) اى احلفوا (بالله لنبيتنه) بالنون والتاء وضم التاء الثانية (واهله) اى من آمن به اى نقتلهم ليلا (ثم لنقولن) بالنون والتاء وضم اللام الثانية (لوليه) اى ولى دمه (ماشهدنا) حضرنا (مهلك اهله) بضم الميم وفتحها اى اهلاكهم أو هلاكهم فلا ندرى من قتلهم (وانا لصادقون ومكروا) فى ذلك (مكرا ومكرنا مكرا) اى جازيناهم بتعجيل عقوبتهم (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم) اهلكناهم (وقومهم اجمعين) بصيحة جبريل أو برمى الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم (فتلك بيوتهم خاوية) اى خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الاشارة (بما ظلموا) بظلمهم اى كفرهم (ان فى ذلك لآية) لعبرة (لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح وهم اربعة آلاف (وكانوا يتقون) الشرك (ولوطا) منصوب باذكر مقدرا قبله و يبدل منه (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) اى اللواط (وانتم تبصرون) أى

بابل فلما قدم مع عمه ابراهيم الى الشام نزل ابراهيم بفلسطين ونزل لوط بسذوم (قوله يبصر بعضكم بعضا) أشار بذلك الى ان المراد الابصار بالعين وقيل المراد إبصار القلب ويكون المعنى وتعلمون أنها قبيحة (قوله وادخال ألف بينهما) اى وتركه فالقرا آت أربع سبعيات (قوله لتاتون الرجال شهوة من دون النساء) أشار بذلك الى أنهم أساؤا من الطرفين فى الفعل والترك وقوله شهوة مفعول لاجله (قوله عاقبة فعلكم) أى وهى العذاب الذى نزل بهم (قوله فما كان جواب قومه) خبر كان مقدم وقوله الا أن قالوا اسمها مؤخر (قوله آل لوط) المراد هو وأهله وهم بناته وزوجته المؤمنة (قوله من قريتكم) الاضافة للجنس لانه تقدم ان قراهم كانت خمسة وأعظمها سذوم (قوله يتطهرون) اى يتنزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء (قوله فانجيناه وأهله) اى فخرج لوط باهله من أرضهم وطوى الله له الارض حتى نجا ووصل الى ابراهيم (قوله الباقين فى العذاب) اى الذى حل بهم وهو ان جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها قيل كان فيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) اى على من كان فى ذلك الوقت خارجا عن المدائن لسفر أو غيره (قوله هو حجارة السجيل) اى الطين المحرق (قوله مطرهم) هو المخصوص بالذم (قوله قل الحمد لله) لما تم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين شكرا له على نصرة أهل الحق والايمان وقطع دابر اهل الكفر والطغيان وتمهيدا لما يذكر من أدلة التوحيد التى أقامها ردا على المشركين والسر فى ذلك انصات العاقل وأصغاؤه ليدخل فى زمرة من سلم الله عليهم (قوله وسلام) اى أمان (قوله الذين اصطفى) قيل هم الانبياء والرسل وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو هذه الامة وقيل كل مؤمن من مبدا الدنيا الى منتهاها ومعنى اصطفى اختارهم أزلا لخدمته وطاعته فى الدنيا ولجنته ونعيمه فى الآخرة فالاصل اصطفاء الله للعبد فلولا اصطفاؤه له ما وفق العبد لخدمة ربه ومن هذا قولهم لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) ظاهر المفسر ان القرا آت أربع وهو سبق قلم والصواب ان هنا قراءتين فقط تسهيل الثانية مقصورة وابدالها ألفا ممدودة مدا لازما وتقدم ان هذين الوجهين يجريان فى خمسة مواضع فى القرآن غير هذا اثنان فى الانعام آلذكرين فى الموضعين وثلاثة فى يونس آلله أذن لكم آلآن فى الموضعين (قوله خير) خبر لفظ الجلالة وهو اما اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار او صفة لا تفضيل فيها والكلام على حذف مضاف والتقدير أتوحيد الله خير لمن عبده أم الاصنام خير لمن عبدها فهو تهكم بالمشركين لانهم اختاروا عبادة الاصنام على عبادة الله والاختيار للشئ لا يكون الا لخير ومنفعة ولا خير فى عبادتها وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول بل الله خير واتقى وأجل وأكرم (قوله أم ما يشركون) أم هذه متصلة عاطفة على لفظ الجلالة لوجود المعادل وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآتية فهى منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام الانكارى (قوله بالياء والتاء) أى فيها قراءتان سبعيتان (قوله اى أهل مكة) تفسير للواو فى يشركون (قوله اى الآلهة) تفسير لما والمعنى أم الآلهة التى يشركونها به خير لعابديها (قوله أمن خلق السموات والارض) القراءة السبعية بادغام احدى الميمين فى الاخرى وأم منقطعة ومن خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره خير أم ما يشركون وقرئ شذوذا بتخفيف الميم فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام (قوله فيه الالتفات) اى وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل اشارة الى ان الله تعالى هو المنبت للاشجار والزرع لا غيره وخلقها مختلفة الالوان والطعوم مع كونها تسقى بماء واحد (قوله وهو البستان المحوط) اى المجعول عليه حائط لعزته (قوله ذات بهجة) صفة لحدائق وأفرد لكونه جمع كثرة لما لا يعقل (قوله ما كان لكم) اى لا ينبغى لا لكم

يبصر بعضكم بعضا انهماكا فى المعصية (أئنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) عاقبة فعلكم (فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط) أهله (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) من أدبار الرجال (فانجيناه وأهله الا امرأته قدرناها) جعلناها بتقديرنا (من الغابرين) الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) هو حجارة السجيل اهلكتهم (فساء) بئس (مطر المنذرين) بالعذاب مطرهم (قل) يا محمد (الحمد لله) على هلاك كفار الامم الخالية (وسلام على عباده الذين اصطفى) هم (آلله) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه (خير) لمن يعبده (امما يشركون) بالتاء والياء اى اهل مكة به اى الآلهة خير لعابديها (امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا) فيه التفات من الغيبة الى التكلم (به حدائق) جمع حديقة وهو البستان المحوط (ذات بهجة) حسن (ما كان لكم

ان تنبتوا شجرها) لعدم قدرتكم عليه (أإله) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين فى مواضعه السبعة (مع الله) اعانة على ذلك اى ليس معه اله (بل هم قوم يعدلون) يشركون بالله غيره (أمن جعل الارض قرارا) لا تميد باهلها (وجعل خلالها) فيما بينها (أنهارا وجعل لها رواسي) جبالا اثبت بها الارض (وجعل بين البحرين حاجزا) بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) توحيده (أمن يجيب

المضطر) المكروب الذى مسه الضر (اذا دعاه ويكشف السوء) عنه وعن غيره (ويجعلكم خلفاء الارض) الاضافة بمعنى فى اى يخلف كل قرن القرن الذى قبله (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) يتعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه ادغام التاء فى الذال وما زائدة لتقليل القليل (امن يهديكم) يرشدكم الى مقاصدكم (فى ظلمات البر والبحر) وبالنجوم ليلا وبعلامات الارض نهارا (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) اى قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) به غيره (امن يبدأ الخلق) فى الارحام من نطفة (ثم يعيده) بعد الموت وان لم يعترفوا بالاعادة لقيام البراهين عليها (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أإله مع الله) اى لا يفعل شيأ مما ذكر الا الله ولا اله معه (قل) يا محمد (هاتوا برهانكم) حجتكم ان كنتم صادقين) ان معى الها فعل شيأ مما ذكر

عاجزون عن اخراج النبات وان كنتم قادرين على السقى والغرس ظاهرا (قوله ان تنبتوا شجرها) أى فضلا عن ثمارها وأشكالها (قوله وادخال الف بينهما) اى وتركه فالقراآت أربع سبعيات (قوله فى مواضعه السبعة) أى مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة وهى لفظ أإله خمس مرات وائذا وائنا (قوله اى ليس معه اله) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى وكذا يقال فيما بعده (قوله بل هم قوم يعدلون) اضراب انتقالى من تبكيتهم الى بيان سوء حالهم (قوله أم من جعل الارض قرارا) اى مستقرا للانسان والدواب لا تتحرك بما على ظهرها (قوله فيما بينها) اشار بذلك الى ان قوله خلالها ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق ويصح ان تكون بمعنى صير وخلالها مفعول ثان (قوله حاجزا) اى معنويا غير مشاهد (قوله بل اكثرهم لا يعلمون) اى وكفرهم تقليدى والا قل يعلم الادلة وكفرهم عناد (قوله المضطر) هو اسم مفعول وهذه الطاء اصلها تاء الافتعال قلبت طاء لوقوعها اثر حرف الاطباق وهو الضاد (قوله اذا دعاه) اشار بذلك الى ان اجابة المضطر متوقفة على دعائه فلا ينبغى لمن كان مضطرا ترك الدعاء بل يدعو والله يجيبه على حسب ما اراد سبحانه وتعالى لان الله اراف على العبد من نفسه فالعاقل اذا دعا الله يسلم فى الاجابة لمراد الله (قوله الاضافة بمعنى فى) اى فالمعنى يجعلكم خلفاء فى الارض (قوله وفيه ادغام التاء فى الذال) اى بعد قلبها ذالا فذالا وهذا على كل من القراءتين (قوله وما زائدة لتقليل القليل) اى فالمراد تاكيد القلة (قوله وبعلامات الارض) اى كالجبال (قوله اى قدام المطر) اى امامه (قوله وان لم يعترفوا بالاعادة) اشار بذلك الى سؤال وارد حاصله كيف يقال لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده مع انهم منكرون للاعادة واشار الى جوابه بقوله لقيام البراهين عليها وايضاحه ان يقال انهم معترفون بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة ظاهرة قوية وحينئذ فصاروا كانهم لم يبق لهم عذر فى انكار الاعادة بل ذلك محض جحود (قوله قل هاتوا برهانكم) أمره صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم اثر قيام الادلة على انه لا يستحق العبادة غيره (قوله ان معى الها) الاوضح ان يقول ان مع الله الها لان النبى مامور بهذا القول وهو لا يقول لهم ان كنتم صادقين ان معى الها (قوله وسالوه) أى المشركون (قوله من فى السموات والارض) من قاعل يعلم والجار والمجرور صلتها والغيب مفعول به والا أداة استثناء ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله يعلمه والتقدير لا يعلم الذى ثبت فى السموات كالملائكة والارض كالانس الغيب لكن الله هو والذى يعلمه (قوله من الملائكة والناس) بيان لمن فى السموات والارض على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله لكن الله الخ) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع ولا يصح جعله متصلا لايهامه أن الله من جملة من فى السموات والارض وهو محال (قوله وقت يبعثون) تفسير لايان والمناسب تفسيرها بمتى لان ايان ظرف متضمن معنى همزة الاستفهام ومتى كذلك بخلاف لفظ وقت (قوله بمعنى هل) أى التى للاستفهام الانكارى (قوله اى بلغ ولحق) راجع للقراءة الاولى وقوله او تتابع راجع للثانية والمعنى هل بلغ علمهم بالآخرة او تتابع علمهم الآخرة حتى سالوا عن وقت مجئ الساعة ليس عندهم علم بذلك بل ولا اثبات حتى يسالوا عن وقت الساعة

* وسالوه عن وقت قيام الساعة فنزل (قل لا يعلم من فى السموات فسؤالهم

والارض) من الملائكة والناس (الغيب) اى ما غاب عنهم (الا) لكن (الله) يعلمه (وما يشعرون) اى كفار مكة كغيرهم (ايان) وقت (يبعثون بل) بمعنى هل (أدرك) بوزن أكرم فى قراءة وفى أخرى ادارك بتشديد الدال واصله تدارك ابدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال واجتلبت همزة الوصل اى بلغ ولحق او تتابع وتلاحق (علمهم فى الآخرة) اى بها حتى سالوا عن وقت مجيئها ليس الامر كذلك (بل هم

فى شك منها بل هم منها عمون) من عمى القلب وهو ابلغ مما قبله والاصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الميم بعد حذف كسرتها (وقال الذين كفروا) ايضا فى انكار البعث (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من القبور (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان) ما (هذا الا اساطير الاولين) جمع اسطورة بالضم أى ماسطر من الكذب (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بانكارهم وهى هلاكهم بالعذاب (ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (١٦٩) أى لا تهتم بمكرهم عليك فانا ناصروك عليهم (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب (ان كنتم صادقين) فيه (قل عسى ان يكون ردف) قرب (لكم بعض الذى تستعجلون) فحصل لهم القتل ببدر وباقى العذاب يأتيهم بعد الموت (وان ربك لذو فضل على الناس) ومنه تاخير العذاب عن الكفار (ولكن اكثرهم لا يشكرون) فالكفار لا يشكرون تاخير العذاب لانكارهم وقوعه (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) تخفيه (وما يعلنون) بالسنتهم (وما من غائبة فى السماء والارض) الهاء للمبالغة اى شئ فى غاية الخفاء على الناس (الا فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) الموجودين فى زمان نبينا (اكثر الذى هم فيه يختلفون) أى ببيان ماذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو اخذوا به واسلموا (وانه لهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) من العذاب (ان ربك يقضى بينهم) كغيرهم يوم القيامة (بحكمه) أى عدله (وهو العزيز) الغالب (العليم) بما يحكم به فلا يمكن احد ان يخالفه كما خالف الكفار فى الدنيا انبياءه (فتوكل على الله) ثق به (انك على الحق المبين) أى الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ثم ضرب امثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعمى فقال (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان) ما (تسمع) سماع افهام وقبول (الا من يؤمن بآياتنا) القرآن (فهم مسلمون) مخلصون بتوحيد الله

فسؤالهم محض تعنت وعناد (قوله فى شك منها) اى الآخرة (قوله بل هم منها عمون) أى عندهم جزم بعدمها لعدم ادراكهم دلائلها (قوله بعد حذف كسرتها) اى وسقطت الياء لوقوعها ساكنة اثر ضمة (قوله ايضا) اى كما قالوا ما تقدم (قوله أئذا كنا ترابا) كان فعل ماض ناقص ونا اسمها وترابا خبرها وآباؤنا معطوف على اسم كان وسوغه الفصل بخبرها (قوله لقد وعدنا هذا) وعد فعل ماض ونا نائب الفاعل مفعول اول وهذا مفعول ثان ونحن تاكيد لنا وآباؤنا عطف على المفعول الاول وسوغه الفصل بالمفعول الثانى والضمير المنفصل والمعنى لقد وعدنا نحمد بالبعث كما وعد من قبله آباءنا به فلو كان حقا لحصل (قوله قل سيروا فى الارض) امر تهديد لهم اشارة الى انهم ان لم يرجعوا نزل بهم ما نزل بمن قبلهم (قوله فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) اى لتعتبروا بهم فتنزجروا عن قبائحكم (قوله بانكارهم) اى المجرمين (قوله بالعذاب) اى الدنيوى لانه هو المشاهد آثاره (قوله ولا تحزن عليهم) اى لا تغتم على عدم ايمانهم فيما مضى ولا تخف من مكرهم فى المستقبل فالحزن غم لما مضى والخوف غم لما يستقبل (قوله ولا تكن) بثبوت النون هنا وهو الاصل وقد حذفت من هذا المضارع فى القرآن فى عشرين موضعا تسعة مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنان بالنون وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم قال ابن مالك

ومن مضارع لكان منجزم * تحذف نون وهو حذف ما التزم

(قوله فى ضيق) بفتح الضاد وكسرها قراءتان سبعيتان أى حرج (قوله ان كنتم صادقين) خطاب للنبى ومن معه من المؤمنين (قوله قل عسى الخ) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق (قوله القتل ببدر) اى وغيره وهذا هو العذاب المعجل (قوله وباقى العذاب الخ) اى وهو العذاب المؤجل (قوله ومنه) اى الفضل (قوله ليعلم ما تكن صدورهم) اى فالتاء خبر ليس لخفاء حالهم عليه (قوله الهاء للمبالغة) اى كراوية وعلامة وسماها هاء باعتبار الوقف ولو قال التاء لكان اسهل وقيل انها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية ونظيرها الذبيحة والنطيحة فى انها اسماء غير صفات (قوله ومكنون علمه) الواو بمعنى او لانه تفسير ثان فتسميته كتابا على سبيل الاستعارة التصريحية حيث شبه بالكتاب كالسجل الذى يضبط الحوادث ويحصيها ولا يشذ عنه شئ منها (قوله أكثر الذى هم فيه يختلفون) اى فقد نص بالتصريح على الاكثر فلا ينافى قوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ ومن جملته اختلافهم فى شان المسيح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة فوقع بينهم التباغض حتى لعن بعضهم بعضا (قوله اى عدله) دفع بذلك ما يقال ان القضاء مرادف للحكم فينحل المعنى يقضى بقضائه أو يحكم بحكمه فاجاب بان المراد بالحكم العدل (قوله فلا يمكن احدا مخالفته الخ) تفريع على الاكثر فلا ينافى قوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ ومن جملته اختلافهم فى شان المسيح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة فوقع بينهم التباغض حتى لعن بعضهم بعضا (قوله اى عدله) دفع بذلك ما يقال ان القضاء مرادف للحكم فينحل المعنى يقضى بقضائه أو يحكم بحكمه فاجاب بان المراد بالحكم العدل (قوله فلا يمكن احدا مخالفته الخ) تفريع على كونه عزيزا عليما اى فاذا ثبتت له هذه الاوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الامور اليه والثقة به (قوله انك على الحق المبين) علة للتوكل وكذا قوله انك لا تسمع الموتى (قوله بينها وبين الياء) اى فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء والقراءتان سبعيتان (قوله مدبرين) اى معرضين (قوله بهادى العمى) ضمنه معنى الصرف فعداه بعن (قوله الا من يؤمن بآياتنا) اى من سبق فى علم الله أنه يكون مؤمنا ومن

هنا قولهم لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله واذا وقع القول) اى قرب وقوعه وانما عبر بالماضى لحصوله فى علم الله لان الماضى والحال والاستقبال فى علم الله واحد لاحاطته بها والمراد بالقول مواعيد القرآن بالفضائح والخزى والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار (قوله حق العذاب) تفسير لوقع والمعنى قرب نزوله بهم (قوله أخرجنا لهم دابة من الارض) اى وهى الجساسة وردفى الحديث ان طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وعن أبى هريرة رضى الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن على رضى الله عنه انها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الا ثلثها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينما الناس فى أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد وقيل تخرج من الصفا لما روى بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم اى تتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتضرب المؤمن فى مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضئ بها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من اهل الجنة وأنت يا فلان من اهل النار وروى ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها واختلف ايضا فى تعيين هذه الدابة فقيل هى فصيل ناقة صالح وهو أصح الاقوال فانه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله عز وجل وقيل غير ذلك (قوله تقول لهم) تفسير لتكلمهم (قوله عنا) متعلق بمحذوف اى حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عنا بان تقول قال الله ان الناس الخ (قوله اى كفار مكة) المناسب حمل الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار (قوله وعلى قراءة فتح همزة ان تقدر الباء) اى للتعدية او للسببية واما على قراءة الكسر فهو مستانف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل والقراءتان سبعيتان (قوله ينقطع الامر بالمعروف الخ) اى لعدم افادة ذلك لانه فى ذلك الوقت تظهر المؤمن والكافر عيانا بوسم الدابة فمن وسمته بالكفر لا يمكن تغييره فحينئذ لا ينفع أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ووجد فى بعض النسخ ولا يبقى منيب ولا تائب ولا يؤمن كافر اى لا يوجد فى هذا الوقت من ينوب الى الله اى يرجع اليه ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولا ايمان كافر (قوله و يوم نحشر) اى الحشر الخاص بهم للعذاب بعد انقضاض الحشر العام لجميع الخلق قوله من كل أمة) من تبعيضية وقوله ممن يكذب بيانية للفوج (قوله فوجا) الفوج فى الاصل الجماعة المارة المسرعة ثم اطلق على الجماعة مطلقا (قوله رؤساؤهم) اى كابى جهل وابى بن خلف وفرعون وقارون والنمرود وغيرهم من رؤساء الضلال فكل رؤساء زمن نحشرهم على حدة (قوله يرد آخرهم الى اولهم) المناسب ان يقول يرد اولهم على آخرهم اى يحبس اولهم و يوقف حتى يأتى آخرهم و يجتمعون ثم يساقون (قوله أكذبتم بآياتى) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمعنى

(واذا وقع القول عليهم) حق العذاب ان ينزل بهم فى جملة الكفار (أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم) اى تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا (ان الناس) اى كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة ان تقدر الباء بعد تكلمهم (كانوا بآياتنا لا يوقنون) اى لا يؤمنون بالقرآن لانشتمل على البعث والحساب والعقاب و بخروجها ينقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (و) اذكر (يوم نحشر من كل أمة فوجا) جماعة (ممن يكذب بآياتنا) وهم رؤساؤهم المتبوعون (فهم يوزعون) اى يجمعون يرد آخرهم الى اولهم ثم يساقون (حتى اذا جاؤا) مكان الحساب (قال) تعالى لهم (أكذبتم) أنبيائى (بآياتى

أنكرتموها وجحدتموها (قوله ولم تحيطوا بها علما) الجملة حالية مؤكدة للانكار والتوبيخ والمعنى أنكرتموها من غير فهم لها وتاملها فهم مؤاخذون بالجهل والكفر (قوله أم ماذا) أم منقطعة بمعنى بل وما اسم استفهام أدغمت ميم أم فى ما فقوله فيه ادغام ما الاستفهامية أى الادغام فيها (قوله حق العذاب) أى نزل بهم وهو كبهم فى النار (قوله فهم لا ينطقون) أى بحجة واعتذار (قوله ألم يروا) أى يعلموا (قوله انا جعلنا الليل) أى مظلما بدلالة قوله والنهار مبصرا عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله والنهار مبصرا بدلالة قوله ليسكنوا فيه عليه ففى الآية احتباك (قوله بمعنى يبصر فيه) أى فالاسناد مجازى من الاسناد الى الزمان (قوله ليتصرفوا فيه) اى بالسعى فى مصالحهم (قوله ان فى ذلك) اى الجعل المذكور (قوله دلالات على قدرته تعالى) اى من حيث اختلاف الليل والنهار بالنور والظلمة (قوله ويوم ينفخ فى الصور) معطوف على قوله ويوم نحشر من كل امة فوجا (قوله النفخة الاولى) اى وتسمى نفخة الصعق ونفخة الفزع نعبر عنها هنا بالفزع وفى سورة الزمر بالصعق قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الخ فعند حصولها يموت كل حى ماعدا ما استثنى واما النفخة الثانية فعندها يحيا كل من كان ميتا فالنفخة اثنان وبينهما اربعون سنة وقيل انها ثلاث نفخة الزلزلة وذلك حين تسير الجبال وترتج الارض باهلها ونفخة الموت ونفخة الاحياء والقول الاول هو المشهور والصحيح فى الصور انه قرن من نور خلقه الله واعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والارض ويسمى بالبوق فى لغة اليمن (قوله من اسرافيل) اى وهو احد الرؤساء الاربعة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (قوله من فى السموات ومن فى الارض) اى من كل من كان حيا فى ذلك الوقت (قوله اى خافوا الخوف المفضى الى الموت) اى استمر بهم الخوف الى ان ماتوا به (قوله والتعبير بالماضى الخ) جواب عما يقال ان الفزع مستقبل فلم عبر بالماضى فاجاب بانه لتحققه نزل منزلة الواقع لان الماضى والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحد لتعلق العلم به (قوله اى جبريل الخ) اى فهؤلاء الاربعة لا يموتون عند النفخة الاولى بخلاف باقى الملائكة وانما يموتون بين النفختين ويحيون قبل الثانية (قوله وعن ابن عباس هم الشهداء) وقيل هم حملة العرش وقيل اهل الجنة من الحور العين والولدان وخزنة الجنة والنار وقيل موسى وقيل جميع الانبياء (قوله اذهم احياء) اى حياة برزخية لا تزول ولا تحول ولكن ليست كحياة الدنيا (قوله اى كلهم) اى المخلوقات من صعق ومن لم يصعق (قوله بصيغة الفعل) اى الماضى فيقرا بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة (قوله واسم الفاعل) اى فيقرا بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو واصله آتون له حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) اى اذلاء لهيبة الله تعالى فيشمل الطائع والعاصى وليس المراد ذل المعاصى والمعنى ان اسرافيل حين ينفخ فى الصور النفخة الثانية التى بها يكون احياء الخلق ياتى كل انسان ذليلا لهيبة الله تعالى (قوله وترى الجبال) عطف على قوله ينفخ (قوله وقت النفخة) اى الثانية لان تبديل الارض وتسيير الجبال وتسوية الارض انما يكون بعد النفخة الثانية كما يشهد به قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا الآية وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الآية (قوله لعظمها) اى وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت مرة واحدة لا تكاد تبصر حركتها (قوله المطر) الصواب ابقاء اللفظ على ظاهره لان تفسير السحاب بالمطر لم يقله احد ولعل الباء سقطت من قلم المصنف والاصل مر السحاب بالمطر (قوله حتى تقع) اى الجبال على

ولم تحيطوا) من جهة تكذيبكم (بها علما) فيه ادغام ما الاستفهامية (ذا) موصول اى ما الذى (كنتم تعملون) عما امرتم به (ووقع القول) حق العذاب (عليهم بما ظلموا) اى اشركوا (فهم لا ينطقون) اذ لا حجة لهم (الم يروا أنا جعلنا) خلقنا (الليل ليسكنوا فيه) كغيرهم (والنهار مبصرا) بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه (ان فى ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها فى الايمان بخلاف الكافرين (ويوم ينفخ فى الصور) القرن النفخة الاولى من اسرافيل (ففزع من فى السموات ومن فى الارض) أى خافوا الخوف المفضى الى الموت كما فى آية أخرى فصعق اوالتعبير فيه بالماضى لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) أى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وعن ابن عباس هم الشهداء اذ هم احياء عند ربهم يرزقون (وكل) تنوينه عوض عن المضاف اليه اى وكلهم بعد احيائهم يوم القيامة (أتوه) بصيغة الفعل واسم الفاعل (داخرين) صاغرين والتعبير فى الاتيان بالماضى لتحقق وقوعه (وترى الجبال) تبصرها وقت النفخة (تحسبها) تظنها (جامدة) واقفة مكانها لعظمها (وهى تمر مر السحاب) المطر اذا ضربته الريح اى تسيرسيره حتى تقع على الارض فتستوى بها

منبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا (صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله اضيف الى فاعله بعد حذف عامله اى صنع الله ذلك صنعا (الذى اتقن) احكم (كل شئ) صنعه (انه خبير بما يفعلون) بالياء والتاء اى اعداؤه من المعصية واولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) اى لا اله الا الله (فله خير) ثواب (منها) اى بسببها وليس للتفضيل اذ لا فعل خير منها وفى آية اخرى عشر امثالها (وهم) اى الجاؤن بها (من فزع يومئذ) بالاضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منونا وفتح الميم (آمنون ومن جاء بالسيئة) اى الشرك (فكبت وجوههم فى النار) بان وليتها وذكرت الوجوه لانها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب اولى ويقال لهم تبكيتا (هل) اى ما (تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون) من الشرك والمعاصى قل لهم (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة) اى مكة (الذى حرمها) اى جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم انسان ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها وذلك من النعم على قريش اهلها فى رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة فى جميع بلاد العرب (وله) تعالى (كل شئ) فهو رب وخالقه ومالكه (وامرت ان اكون من المسلمين) لله بتوحيده (وان اتلو القرآن) عليكم تلاوة الدعوة الى الايمان (فمن اهتدى) له (فانما يهتدى لنفسه) اى لاجلها فان ثواب اهتدائه له (ومن ضل) عن الايمان واخطا طريق الهدى (فقل) له (انما انا من المنذرين) المخوفين فليس على ايضا الا التبليغ وهذا قبل الامر بالقتال (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) فاراهم الله يوم بدر القتل والسبى وضرب الملائكة وجوههم وادبارهم وعجلهم الله الى النار (وما ربك بغافل عما يعملون) بالياء والتاء واتى بهم لهم لوقتهم

﴿سورة القصص﴾ مكية الا ان الذى فرض الآية

الارض (قوله مبسوسة) اى مفتتة كالرمل السائل (قوله كالعهن) اى الصوف المنفوش (قوله مؤكد لمضمون الجملة قبله) اى لان ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك انما هو من صنع الله لا غيره (قوله الذى اتقن كل شئ) اى وضعه فى محله على أكمل حالاته (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى لا اله الا الله) انما حمله على هذا التفسير ذكر المقابل لان الكب فى النار ليس بمطلق سيئة بل انما يكون بالكفر وهو يقابل الايمان وحينئذ فال فى الحسنة للعهد اى الحسنة المعهودة وهى كلمة التوحيد وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البر (قوله فله خير منها) اى وهو الخلود فى الجنة (قوله اى بسببها) أشار بذلك الى ان من للسببية وتصح ان تكون للتعليل اى من أجل مجيئه بها (قوله وليس للتفضيل) اى ليس خير أفعل تفضيل لانه ليس عبادة أفضل من لا اله الا الله ويؤيد ما قاله المفسر ما روى عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب أما من يكون له شئ خير من الايمان فلا لانه لا شئ خير من لا اله الا الله (قوله بالاضافة) اى اضافة فزع لليوم (قوله وكسر الميم) اى للاعراب وقوله وفتحها اى فتحة بناء وهى قراءة ثانية فى الاضافة وقوله وفزع منونا معطوف على قوله بالاضافة فتكون القراآت ثلاثا سبعيات فكان الاوضح ان يعبر بواو بدل الواو فى الاخير (قوله آمنون) اى لا يصيبهم منه شئ والمراد بالفزع هنا الخوف من العذاب وبالفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة فى ذلك اليوم فلا تنافى بين اثباته فيما تقدم ونفيه هنا (قوله فكبت وجوههم) اى القوا عليها فى النار (قوله ويقال لهم) اى وقت كبهم على وجوههم فى النار والقائل لهم خزنتها (قوله اى ما تجزون الخ) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله قل لهم انما أمرت الخ) أمر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم ما ذكر بعد بيان ما يحصل فى المعاد اشارة الى ان عبادة الله هى المقصودة بالذات له آمنوا أو كفروا فيتسبب عن ذلك اهتمامهم بامر أنفسهم ورجوعهم عما يوجب نقصانهم (قوله الذى حرمها) صفة للرب ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة لان اسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه واسناد التحريم لابراهيم باعتبار اخباره بذلك واظهاره (قوله ولا يختلى خلاها) اى لا يقطع حشيشها الرطب (قوله وأمرت ان اكون من المسلمين) أى أثبت على ما كنت عليه (قوله وان اتلو القرآن) أى اواظب عليه لتكشف لى حقائقه ورقائقه لان علوم القرآن كثيرة فبتكرار التلاوة ازداد علوما ومعارف وفى هذه الآية أشعار بان تلاوة القرآن أعظم العبادات قدرا عند الله (قوله فمن اهتدى له) اى للايمان (قوله فقل انما انا من المنذرين) هو جواب الشرط والرابط محذوف قدره المفسر بقوله له (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اى فهو منسوخ (قوله وقل الحمد لله) اى على ما أعطانى من النعم العظيمة التى اجلها النبوة التى بها ارشاد الخلق لصلاحهم (قوله سيريكم آياته) اى فى الدنيا (قوله وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم) اى وجوه الذين قتلوا وادبارهم (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الاولى هو وعيد محض وعلى الثانية فيه وعد للطائعين ووعيد للعاصين

﴿سورة القصص﴾

سميت بذلك لاشتمالها على الحكايات والاخبار المروية عن الله لان القصص مصدر بمعنى الاخبار وتسمى

(طسم) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) اى هذه الآيات (آيات الكتاب) الاضافة بمعنى من (المبين) المظهر الحق من الباطل

ايضا سورة موسي (قوله نزلت بالجحفة) اى حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا مهاجرا في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل بالجحفة عرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فنزلت تلك الآية تسلية وتبشيرا له بانه يرجع الى مكان عوده وهو مكة احسن مرجع ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافر وقيل المعاد الموت وقيل الآخرة وكل صحيح وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية لانها لم تنزل قبل الهجرة ولم تنزل بعد استقرارها بل نزلت بالطريق (قوله الى قوله لا نبتغي الجاهلين) اى وهو اربع آيات (قوله اى هذه الآيات) اى آيات هذه السورة والاشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى (قوله نتلوا عليك) مفعوله محذوف اى شيئا وقوله من نبا صفة لذلك المحذوف ويصح ان تكون من اسم بمعنى بعض هي المفعول أو زائدة على مذهب الاخفش ونبا هو المفعول (قوله بالحق) حال اما من فاعل نتلوا او من مفعوله والمعنى حال كوننا ملتبسين بالصدق أو كون الخبر ملتبسا بالصدق (قوله لاجلهم) اشار بذلك الى ان اللام للتعليل اى ان المقصود بالذكر المؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (قوله ان فرعون) كلام مستانف بيان للنبا (قوله تعظم) اى تكبر وافتخر (قوله وجعل اهلها شيعا) اى اصنافا ففعل الصنائع الشريفة والامارة للقبط وجعل الصنائع الخسيسة لبني اسرائيل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (قوله يذبح ابناءهم) بدل اشتمال من قوله يستضعف الخ وذلك ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وذبحوا ابناءهم بامر فرعون قيل انه ذبح سبعين الفا الى ان انجاهم الله على يد موسي عليه السلام (قوله انه كان من المفسدين) اى الراسخين في الفساد (قوله بالقتل وغيره) اى كدعوى الالوهية (قوله ونريد ان نمن) اى نتفضل عليهم بانجائهم من باسه (قوله يقتدى بهم) اى بعدان كانوا اذلاء مسخرين (قوله ونمكن لهم في الارض) اى نملكهم مصر والشام يتصرفون فيها كيف يشاؤن (قوله ونرى فرعون) اى نبصره وفرعون وما عطف عليه مفعول اول وما كانوا يحذرون مفعول ثان (قوله وفي قراءة) اى وعليها فلها مفعول واحد فقط وهو قوله ما كانوا يحذرون وعلى هذه فتجب امالة الراء امالة محضة (قوله ورفع الاسماء الثلاثة) اى على الفاعلية (قوله منهم) اى المستضعفين (قوله يخافون من المولود الخ) اى وقد حصل ما خافوه حين اتتهم معجزات موسي عليه السلام وحين ادركهم الغرق (قوله وحى الهام أو منام) هذان قولان للمفسرين وقيل كان بملك تمثل لها واعترض بانها ليست بنبية واجيب بان الممنوع نزول الملائكة على غير الانبياء بالشرائع واما بغيرها فجائز كنزول الملك على البار بامه التي قدمت قصته في البقرة (قوله الى ام موسي) اى واسمها يوحانذ بضم الياء وكسر النون وبالذال المعجمة وقيل لوخابذت هاند ابن لاوى بن يعقوب وقد اشتملت هذه الآية على امرين وهما ارضعيه والقيه ونهيين وهما لا تخافي ولا تحزني وخبرين وبشارتين وهما انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فهما خبران تضمنا بشارتين (قوله ان ارضعيه) يصح ان تكون مفسرة او مصدرية (قوله فاذا خفت عليه) اى من الذبح (قوله ولا تخافي غرقه) دفع بذلك التناقض بين اثبات الخوف ونفيه فالمثبت هو خوف الذبح والمنفي هو خوف الغرق (قوله انا رادوه اليك) اى لتامنين عليه وهو علة للنهي عن الخوف والحزن (قوله فوضعته في تابوت) اى وكان طوله خمسة اشبار

(نتلوا) نقص (عليك من نبا) خبر (موسى وفرعون بالحق) الصدق (لقوم يؤمنون) لاجلهم لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا) تعظم (في الارض) ارض مصر (وجعل اهلها شيعا) فرقا في خدمته (يستضعف طائفة منهم) هم بنو اسرائيل (يذبح ابناءهم) المولودين (ويستحيي نساءهم) يستبقيهن احياء لقول بعض الكهنة له ان مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب زوال ملكك (انه كان من المفسدين) بالقتل وغيره (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير (ونجعلهم الوارثين) لملك فرعون (ونمكن لهم في الارض) ارض مصر والشام (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) وفي قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الاسماء الثلاثة (منهم ما كانوا يحذرون) يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه (واوحينا) وحي الهام او منام (الى ام موسى) وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير اخته (ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم) النحر اى النيل (ولا تخافي) غرقه (ولا تحزني) فراقه (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) فارضعته ثلاثة اشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت

وعرضه كذلك وجعلت المفتاح فى التابوت (قوله مطلى بالقار) اى الزفت (قوله ممهد) اى مفروش له فيه ففرشت فيه قطنا محلوجا (قوله وأغلقته) اى وقيرت رأسه وحاصله ان أم موسي لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسي ومصاحبة لها فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فقالت قد نزل بى ما نزل فليسعفنى حبك اياى اليوم فعالجتها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور بين عينى موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت القابلة لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتنى الا ومرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شئ مثل حبه فاحفظى ابنك فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجؤا على بابها ليدخلوا على أم موسي فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسي بخرقة والقته فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور وراوا أم موسي ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل عليك القابلة فقالت هى مصافية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجعت لها عقلها فقالت لاخت موسي فاين الصبي فقالت لا أدرى فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاحتملته ثم ان ام موسى لما رأت إلحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها وقذف الله فى نفسها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت فى النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت لى ابن أخبؤه فى التابوت وكرهت الكذب ولم تقل اخشي عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر أم موسي فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الامناء ما يقول فاعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم فاخذ لسانه و بصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيا فضربوه واخرجوه فبقى حيران فجعل الله عليه ان رد لسانه و بصره أن لا يدل عليه وان يكون معه و يحفظه حيث ما كانوا وعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه و بصره فخر لله ساجدا وقال يارب دلنى على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فآمن به وصدقه وقيل لما حملت أم موسى به كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبلها احد من خلق الله وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد ان يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى ولد فيها بعث فرعون القوابل اليهن فتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها وكانت القوابل لا يتعرضن لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولا رقيب لها ولا قابلة ولم يطلع عليها احدا لا اخته مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم وهو البحر ليلا وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع له الاطباء والسحرة فنظروا فى امرها فقالوا أيها الملك لا نبرأها الا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل وكان معه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ فى البحر قد تعلق بشجرة ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا

مطلى بالقار من داخل
ممهد له فيه وأغلقته والقته
فى بحر النيل ليلا

لم يره غيرها فما لجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فالقى الله محبته في قلب آسية واحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت في الحال باذن الله تعالى فقبلته وضمته الى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمى به في البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسي ان ينفعنا اي فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت آسية لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقيل لآسية سميه فقالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لان موه والماء وشاهو الشجر فاصل موسى بالمهملة موشي بالمعجمة (قوله فالتقطه آل فرعون) عطف على ما قدره المفسر بقوله فارضعته الخ (قوله صبيحة الليل) أي وكان يوم الاثنين (قوله وفتح) أي فتحته آسية بعد ان عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا (قوله في عاقبة الامر) اشار بذلك الى ان اللام للعاقبة والصيرورة لا للعلة لان علة التقاطهم ان يكون حبا وابنا ففي الآية استعارة تبعية في متعلق معنى الحرف بقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية في المحبة والتبني بجامع مطلق الترتب الاعم من الطرفين فالترتب الثاني متعلق معنى اللام فقد راستعارة الترتب الكلي المشبه به بالترتب الكلي المشبه فسرى التشبيه لمعنى اللام الذي هو الترتب مع الجزئي فاستعير لفظ اللام واستعمل في الترتب الجزئي والعداوة والحزن قرينة افاده الهوى (قوله وفي قراءة الخ) أي وهي سبعية أيضا (قوله من حزنه) هو من باب ضرب ونصر (قوله فعوقبوا على يديه) اي انه تربى على ايديهم فهوا بلغ في اذلالهم (قوله وقالت امرأت فرعون) اي وهي آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل من بنات الانبياء من بني اسرائيل من سبط موسى عليه السلام وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الولد اكبر من ابن سنة وانت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت له انه أتى من ارض أخرى وليس هو من بني اسرائيل (قوله هو قرت عين) اشار المفسر الى انه خبر لمحذوف (قوله عسى ان ينفعنا الخ) أي لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجابة والبركة (قوله فاطاعوها) أي على عادة أمراء مصر من كونهم يطيعون النساء فيما يقلنه (قوله وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون (قوله واصبح فؤاد أم موسى) يصح ان يبقى أصبح على ظاهره ان ثبت انها القته ليلا او يجعل بمعنى صار ان كانت القته نهارا (قوله فارغا مما سواه) أي من التفكر في غيره لما ورد انه أتاها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ابنك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله فاغرقتيه في البحر فحزنت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحي به اليها (قوله لتبدي به) ضمنه معنى تصرح فعداه بالباء ويصح ان يبقى على ظاهره وتكون الباء زائدة أي تظهره (قوله لولا ان ربطنا على قلبها) جوابها محذوف اي لا بدت به كما أشار له المفسر (قوله بوعد الله) أي المدلول عليه بقوله فاردوه اليك الخ (قوله لاخته) اي شقيقته (قوله مريم) هو احد أعوان وقيل اسمها كلثمة وقيل كلثوم (قوله عن جنب) حال اما من الفاعل أو من الضمير المجرور بالباء أي ابصرته مستخفية كائنة عن جنب وبصرته بعيد منها (قوله اختلاسا) اي اختفاء (قوله وانها ترقبه) اي تنظره (قوله وحرمنا عليه) اي على موسى (قوله من قبل) هو ظرف مبني على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه (قوله أي منعناه) اشار بذلك

ابهامه لبنا (ليكون لهم) في عاقبة الامر (عدوا) يقتل رجالهم (وحزنا) يستعبد نساءهم وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كاحزنه (ان فرعون وهامان) وزيره (وجنودهما كانوا خاطئين) من الخطيئة اي عاصين فعوقبوا على يديه (وقالت امرأت فرعون) وقدم مع اعوانه بقتله هو (قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسي ان ينفعنا او نتخذه ولدا) فاطاعوها (وهم لا يشعرون) بعاقبة امرهم معه (واصبح فؤاد ام موسى) لما سمعت بالتقاطه (فارغا) مما سواه (ان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي انها (كادت لتبدي به) اي بانها ابنها (لولا ان ربطنا على قلبها) بالصبر اي سكناه (لتكون من المؤمنين) المصدقين بوعد الله وجواب لولا دل عليه ما قبلها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اي اتبعي اثره حتى تعلمي خبره (فبصرت به) ابصرته (عن جنب) من مكان بعيد اختلاسا (وهم لا يشعرون) انها اخته

وانها ترقبه (وحرمنا عليه المراضع من قبل) اي قبل رده الى أمه اي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير امه فلم يقبل ثدي واحدة

من المراضع المحضرة له (فقالت) اخته (هل ادلكم على اهل بيت) لمارات حنوهم عليه (يكفلونه لكم) بالارضاع وغيره (وهم له ناصحون) وفسرت ضميره بالملك جوابا لهم فاجيبت فجاءت بامه فقبل ثديها واجابتهم عن قبوله بانها طيبة الريح طيبة اللبن فاذن لها فى ارضاعه فى بيتها فرجعت به كما قال تعالى (فرددناه الى امه كى تقر عينها) بلقائه (ولا تحزن) حينئذ (ولتعلم ان وعدالله) برده اليها (ولكن اكثرهم) اى الناس (لا يعلمون) بهذا الوعد ولا بان هذه اخته وهذه امه فمكث عندها الى ان فطمته واجرى عليها اجرتها لكل

يوم دينار واخذتها لانها مال حربى فاتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه فى سورة الشعراء الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (ولما بلغ اشده) وهو ثلاثون سنة او ثلاث (واستوى) اى بلغ اربعين سنة (آتيناه حكما) حكمة (وعلما) فقها فى الدين قبل ان يبعث نبيا (وكذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين) لانفسهم (ودخل) موسى (المدينة) مدينة فرعون وهى منف بعد ان غاب عنه مدة (على حين غفلة من أهلها) وقت القيلولة (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) اى اسرائيلى (وهذا من عدوه) اى قبطى يسخر الاسرائيلى ليحمل حطبا الى مطبخ فرعون (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) فقال له موسى خل سبيله فقيل انه قال لموسى لقد هممت ان احمله عليك (فوكزه موسي)

الى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع لان الصبي ليس من أهل التكليف (قوله من المراضع المحضرة) أى التى أحضرها فرعون (قوله وهم له ناصحون) أى مخلصون فى العمل من شوائب الفساد (قوله حنوهم عليه) أى عطفهم وميلهم اليه (قوله وغيره) أى كالتربية واصلاح الحال (قوله فقبل ثديها) أى بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدى مرضعة أصلا قيل ان هامان لما سمع قولها وهم له ناصحون قال انها لتعرفه وأهله فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله فقالت انما أردت وهم له أى للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتى بمن يكفله فاتت بام موسي وهو على يد فرعون يبكى طالبا للرضاع وهو يعلله شفقة عليه فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبي الا قبلنى فدفعه اليها وقال لها أقيمى عندنا الارضاعه فقالت لا أقدر على فراق بيتى فان رضيتم أرضعته فى بيتى والا فلا حاجة لى فيه وأظهرت الزهد فيه نفيا للتهمة عنها فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها من يومها ولم يبق أحد من آل فرعون الا أهدى اليها وأتحفها بالذهب والجواهر (قوله كى تقر عينها) أى تبرد وتسكن من الم الفراق (قوله ولا تحزن) عطف على تقر منصوب بان مضمرة بعد كى (قوله فمكث عندها الى أن فطمته) أى وهو سنتان (قوله وأخذتها لانها مال حربى) جواب عما يقال كيف جازلها أن تاخذ أجرة منه على ارضاع ولدها (قوله أو ثلاث) أولتنويع الخلاف (قوله أى بلغ أربعين سنة) المناسب أن يقول أى كمل عقله وانتهى شبابه لان موسي أقام فى مصر ثلاثين سنة ثم ذهب الى مدين وأقام فيها عشر سنين ووقعة قتل القبطى كانت قبل ذهابه لمدين فهى السبب فيه (قوله كما جزيناه) اى مثل ذلك الذى فعلنا بموسي وأمه نجزى المحسنين على احسانهم (قوله منف) بضم فسكون ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث او العجمة وهى من اعمال مصر وقيل هى قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين الشمس وقيل هى مصر (قوله وقت القيلولة) وقيل بين المغرب والعشاء وسبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب مراكبه ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسي غائبا فلما قدم قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسي فى أثره فادركه المقيل فى أرض منف فدخلها وليس فى طرقها احد (قوله وهذا من عدوه) اى وكان طباخا لفرعون واسمه فليثون أراد ان يسخر الاسرائيلى لحمل الحطب (قوله فاستغاثه) اى طلب غوثه ونصره (قوله ان احمله) اى الحطب (قوله فوكزه موسي) اى دفعه بجمع كفه وأما اللكز فهو الضرب باطراف الاصابع (قوله بجمع كفه) اى بكفه مجموعة فهو من اضافة الصفة للموصوف (قوله فقضى عليه) اى أوقع عليه القضاء وهو الموت (قوله ولم يكن قصد قتله) جواب عما يقال كيف تجرأ على قتل القبطى وحاصل ايضاح الجواب ان قتله كان خطأ وقد يقال قتله من باب دفع الصائل وهو واجب والاستغفار من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله قال هذا من عمل الشيطان) نسبته للشيطان من حيث انه لم يؤمر بقتل القبطى وظهر له ان قتله خلاف الاولى لما يترتب عليه من الفتن والشيطان تفرحه الفتن (قوله انى ظلمت نفسي) الحق ان هذا تواضع منه وحسنات الابرار

سيآت

اى ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فقضى عليه) اى قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه فى الرمل (قال هذا) أى قتله (من عمل الشيطان) المهيج غضبي (انه عدو) لابن آدم (مضل) له (مبين) بين الاضلال (قال) نادما (رب انى ظلمت نفسي) بقتله (فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم) اى المتصف بهما أزلا وأبدا (قال رب بما انعمت)

بحق انعامك (علي) بالمغفرة اعصمني (فلن اكون ظهيرا) عونا (للمجرمين) الكافرين بعد هذه ان عصمتني (فاصبح في المدينة خائفا يترقب) ينتظر ما يناله من جهة القتيل (فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) يستغيث به على قبطي آخر (قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية لما فعلته امس واليوم (فلما ان) زائدة (اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما) لموسي (١٧٧) والمستغيث به (قال) المستغيث ظانا انه يبطش به لما قال له (يا موسي اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان) ما (تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين) فسمع القبطي ذلك فعلم ان القاتل موسى فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون الذباحين بقتل موسي فاخذوا في الطريق اليه (وجاء رجل) هو مؤمن آل فرعون (من اقصى المدينة) آخرها (يسعى) يسرع في مشيه من طريق اقرب من طريقهم (قال يا موسى ان الملأ) من قوم فرعون (يأتمرون بك) يتشاورون فيك (ليقتلوك فاخرج) من المدينة (اني لك من الناصحين) في الامر بالخروج (فخرج منها خائفا يترقب) لحوق طالب او غوث الله اياه (قال رب نجني من القوم الظالمين) قوم فرعون (ولما توجه) قصد بوجهه (تلقاء مدين) جهتها وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية ايام من مصر سميت بمدين بن ابراهيم ولم يكن يعرف طريقها

سيئات المقربين (قوله بحق انعامك علي) اشار بهذا الى ان ما مصدرية والكلام على حذف مضاف واشار بقوله اعصمني الى ان الباء متعلقة بمقدر هو هذا وقوله فلن اكون جواب شرط قدره بقوله ان عصمتني واراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جماعته وتكثير سواده (قوله فاذا الذي) اذا فجائية والذي مبتدأ نعت لمحذوف أي فاذا الاسرائيلي الذي واستنصره صلته ويستصرخه خبر المبتدأ (قوله على قبطي آخر) اي يريد ان يستخدمه والاستصراخ الاستغاثة وسميت بذلك لان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث (قوله قال له موسى) قال ابن عباس ان القبط قالوا لفرعون ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي فقال للاسرائيلي انك لغوي مبين (قوله لما فعلته امس واليوم) اي حيث قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه (قوله فلما ان اراد ان يبطش الخ) وذلك ان موسي اخذته الغيرة والرقة على الاسرائيلي فمد يده ليبطش بالقبطي فظن الاسرائيلي انه يريد ان يبطش به هو لما رأى من غضبه وسمع من قوله انك لغوي مبين فقال مه يا موسي أتريد الخ (قوله جبارا في الارض) الجبار هو الذي يقتل ويضرب ويتعاظم ولا ينظر في العواقب (قوله من المصلحين) اي بين الناس (قوله هو مؤمن من آل فرعون) هو ابن عم فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو الذي ذكر في قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون (قوله يسعى) صفة لرجل او حال منه لوجود المخصص قبله (قوله يتشاورون فيك) اي يأمر بعضهم بعضا بقتلك (قوله أو غوث الله اياه) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال رب نجني الخ) اي خلصني منهم واحفظني من لحوقهم (قوله ولما توجه تلقاء مدين) اي بالهام من الله لعلمه بان ارض مدين لا تسلط لفرعون عليها وان بينه وبين اهل مدين قرابة لكونهم من ذرية ابراهيم وهو كذلك (قوله ابن ابراهيم) اي الخليل عليه السلام وله ولد آخر اسمه مدين فاولاده اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وانما لم يصرح في القرآن بمدين ومدان لانهما لم يكونا نبيين (قوله ولم يكن يعرف طريقها) وخرج بلا زاد ولا رفيق ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رئيت خضرته في باطنه من خارج وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه وهو اول ابتلاء من الله لموسى (قوله سواء السبيل) من اضافة الصفة للموصوف اي السبيل السوي (قوله اي الطريق الوسط) اي وكان لها ثلاث طرق فاخذ موسي يمشي في الوسطى وجاء الطلاب في اثره فساروا في الاخريين ولم يعرفوا محله (قوله ملكا) اي وكان راكبا على فرس قيل هو جبريل (قوله بيده عنزة) هي فوق العصا ودون الرمح في طرفها حربة كحربة الرمح (قوله بئر فيها) اشار بذلك الى انه اطلق الحال واراد المحل فاطلق الماء واريد البئر (قوله اي وصل اليها) اشار بذلك الى ان المراد بالورود هنا الوصول لان الورود يطلق على الدخول في الشيء وعلى الاطلاع على الشيء والوصول اليه ومنه قوله تعالى وان منكم الا واردها على مشهور التفاسير (قوله جماعة) اي كثيرة (قوله يسقون) الجملة حال من فاعل وجد لانها بمعنى لقي فتنصب مفعولا واحدا (قوله مواشيهم) هو معمول

(قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل) اي قصد الطريق اي الطريق الوسط اليها فارسل الله له ملكا بيده عنزة فانطلق به اليها (ولما ورد ماء مدين) بئر فيها اي وصل اليها (وجد عليه امة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) اي سواهم (امراتين تذودان) تمنعان اغنامهما عن الماء (قال) موسي لهما (ما خطبكما) اي ما شانكما لا تسقيان (قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء)

جمع راع اى يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقى وفى قراءة يصدر من الرباعى اى يصرفوا مواشيهم عن الماء (وأبونا شيخ كبير) لا يقدران يسقى (فسقى لهما) من بئر أخرى بقربهما رفع حجرا عنها لا يرفعه الا عشرة أنفس (ثم تولى) انصرف (الى الظل) لسمرة من شدة حر الشمس وهو جائع (فقال رب لما أنزلت الى من خير) طعام (فقير) محتاج فرجعتا الى أبيهما فى زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فاخبرتاه بمن سقى لهما فقال لاحداهما أدعيه لى قال تعالى (فجاءته احدهما تمشي على استحياء) اى واضعة كم درعها على وجهها حياء منه (قالت ان ابى (١٧٨) يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا) فاجابها منكرا فى نفسه اخذ الاجرة كانها قصدت المكافأة ان كان ممن يريدها فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق ففعلت الى ان جاء اباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له اجلس فتعش قال أخاف ان يكون عوضا مما سقيت لهما وانا اهل بيت لا نطلب على عمل خيرا عوضا قال لا عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فاكل وأخبره بحاله قال تعالى (فلما جاءه وقص عليه القصص) مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطى وقصدهم قتله وخوفه من فرعون (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) اذ لا سلطان لفرعون على مدين (قالت احداهما) وهى المرسلة الكبرى او الصغرى (يا ابت استاجره) اتخذه اجيرا يرعى غنمنا اى بدلنا

يسوقون وقد حذف فى هذه الآية معمول يسقون وتذادان ولا نسقى لان المقصود الفعل لا المفعول (قوله جمع راع) اى على غير قياس وقياسه بضم الراء كقاض وقضاة (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله وأبونا شيخ كبير) اى فهذا وجه مباشرتنا للسقى بانفسنا قال الاجهورى فى شرح خطبة الشيخ خليل (تتمة) عاش شعيب نبى الله ثلاثة آلاف سنة ذكره الشيخ زروق وفى رواية وكان فى غنمه اثنا عشر ألف كلب وفى رواية انه عاش ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة اه ملخصا من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للاجهورى (قوله لا يقدران يسقى) اى فيرسلنا اضطرارا (قوله فسقى لهما) اى سقى أغنامهما لاجلهما (قوله الا عشرة أنفس) وقيل سبعة وقيل ثلاثون وقيل أربعون وقيل مائة (قوله لسمرة) بضم الميم وهى شجرة عظيمة من شجر الطلح وهى التى أمر صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالنزول والصلاة عندها (قوله انى لما أنزلت الى) ان حرف توكيد والياء اسمها ولما أنزلت متعلق بفقير وهو خبر ان وأنزلت بمعنى تنزل والمعنى انى فقير ومحتاج لما تنزله الى من أى شئ كان قليلا او كثيرا (قوله أدعيه لى) أى اطلبيه ليحضر عندى (قوله فجاءته الخ) عطف على ماقدره المفسر بقوله فرجعتا الخ (قوله تمشى) حال من فاعل جاء وقوله على استحياء حال من الضمير فى تمشى والاستحياء هو الحياء بالمد وهو حالة تعترى الشخص تحمله على تجنب الرذائل (قوله كم درعها) اى قميصها (قوله منكرا فى نفسه أخذ الاجرة) اى فلم يكن قصده بالاجابة أخذ الاجرة بل للتبرك بابيها (قوله وهو شعيب) هذا هو الصحيح وقيل هو يثرون ابن أخى شعيب وكان شعيب قد مات وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب وشعيب هو ابن مبعون بن عنقا ش بن مدين بن ابراهيم عليه السلام (قوله وهى المرسلة) اى وهى التى تزوجها موسى عليه السلام (قوله ان خير من استأجرت) تعليل للامر بالاستئجار (قوله فسألها عنهما) اى بان قال لها وما أعلمك قوته وأمانته (قوله وزيادة) اى على ماذكرته من القوة والامانة وقد يقال ان هذا من جملة الامانة فلا زيادة (قوله صوب رأسه) اى خفضه (قوله فرغب فى نكاحه) اى رغب شعيب فى انكاحه ابنته (قوله هاتين) استفيد منه انه كان له غيرهما قيل كان له سبع بنات (قوله على ان تاجرنى) حال من الفاعل او المفعول ومفعول تاجرنى محذوف والمعنى تاجرنى نفسك وقوله ثمانى حجج ظرف له (قوله فمن عندك التمام) قدره اشارة الى ان قوله فمن عندك خبر لمحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلا لا الزاما (قوله للتبرك) اى فالاستثناء للتبرك والتفويض الى توفيقه تعالى لا للتعليق لان صلاحه محقق (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ و بينى و بينك خبره والمعنى ذلك الذى وقع منك وعاهدتنى عليه ثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا ويصح ان يكون ذلك مفعولا لمحذوف اى قبلت ذلك وقوله بينى و بينك الخ حال من اسم الاشارة والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كائنا بينى و بينك لم يكن علينا شهيد الا الله (قوله أيما الاجلين) اى شرطية وجوابها فلا عدوان على وما زائدة كما قال المفسر

(ان خير من استأجرت القوى الامين) اى استأجره لقوته وامانته فسألها عنهما فاخبرته بما (قوله تقدم من رفعه حجر البئر ومن قوله لها امشى خلفى وزيادة انها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه فرغب فى انكاحه (قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين) وهى الكبرى او الصغرى (على ان تاجرنى) تكون أجيرا لى فى رعى غنمى (ثمانى حجج) اى سنين (فان أتممت عشرا) اى رعى عشر سنين (فمن عندك) التمام (وما أريد ان أشق عليك) باشتراط العشر (ستجدنى ان شاء الله) للتبرك (من الصالحين) الوافين بالعهد (قال) موسى (ذلك) الذى قلته (بينى و بينك أيما الاجلين)

(قوله الثمان اوالعشر) بالنصب تفسيرلاى (قوله فتم العقد) اى عقد النكاح والاجارة ان قلت ان الذى وقع من شعيب وعد والنكاح لا يكون الا بصيغة ابرام وايضا لم يبين المنكوحة وايضا الصداق ليست ثمرته عائدة عليها اجيب بجوابين الاول ان هذا كان فى شرعه جائزا الثانى ان يمكن تنزيله على شرعنا بانه قصد بالوعد انشاء الصيغة وقد وقع من موسى القبول بقوله ذلك وبانه يمكن انه بين المنكوحة باشارة مثلا وبان الغنم يمكن ان يكون بعضها مملوكا لها فثمرة الرعى عائدة عليها (قوله فوقع فى يدها عصا آدم) قيل انه اودعها ملك فى صورة رجل عند شعيب فامر ابنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة عنده فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما أول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها فرفعها موسى عليه السلام فكانت له (قوله من آس الجنة) اى وتوارثها الانبياء بعد آدم فصارت منه الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت لشعيب وكان لا ياخذها غير نبى الا اكلته (قوله وهو المظنون به) اى وان لم يصرح القرآن به لكمال مروءته فالمعول عليه انه وفى العشر (قوله باهله) اى زوجته وولده وخادمه (قوله نحو مصر) اى لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه وردا نه لما عزم على السير قال لزوجته اطلبى من ابيك ان يعطينا بعض الغنم فطلبت من ابيها ذلك فقال لكما كل ماولدت هذا العام على غير شبهها من كل ابلق وبلقاء فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم ففعل ذلك فما اخطات واحدة الا وضعت حملها ما بين اباق وبقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله الى موسى وابنته فوفى له بشرطه واعطاه الاغنام (قوله من جانب الطور) اى الايمن دليل مايأتى (قوله عن الطريق) أى لنستدل عليها (قوله بتثليث الجيم) اى وكلها سبعية فالكسر قراءة الجمهور والضم قراءة حمزة والفتح قراءة عاصم (قوله قطعة وشعلة) اى عود غليظ كان فى راسه نارا ولا وقيل هو ما فى راسه نار فقوله من النار وصف مخصص على الاول وكاشف على الثانى (قوله والطاء بدل من تاء الافتعال) اى فاصله تصطلون وقعت التاء بعد احد حروف الاطباق فقلبت طاء (قوله بكسر اللام) اى من باب رضي وقوله وفتحها اى من باب رمى (قوله نودى من شاطئ الوادى الخ) قيل ان موسى لما رأى النار مشتعلة فى الشجرة الخضراء علم ان ذلك لا يقدر عليه الا الله فلما نودى علم ان الله هو المتكلم بذلك النداء (قوله الايمن) صفة للشاطئ اولانه من اليمن وهو البركة او اليمين مقابل اليسار والمعنى الشاطئ الذى يلى يمين موسى (قوله فى البقعة) متعلق بنودى (قوله المباركة لموسى) اى لانه فى ذلك المحل حصلت له البركة التامة فتلك الليلة اسعد ليالى كليلة الاسراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من الشجرة) حال من الضمير فى نودى والتقدير نودى موسى والحال انه كائن فى جهة الشجرة وليس المراد انه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط بل المحققون على انه سمع الكلام بجميع اجزائه بلا حرف ولا صوت من جميع جهاته كما يكون لنا فى الآخرة عند رؤية ذاته بلا كيف ولا انحصار (قوله بدل) اى بدل اشتمال (قوله أو عوسج) اى شوك (قوله مفسرة) اى لانه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله لا مخففة) اى لعدم افادتها المعنى المقصود (قوله انى انا الله رب العالمين) هكذا قال هنا وفى سورة طه انى ربك وقال فى النمل نودى ان بورك من فى النار ومن حولها ولا تنافى بل الكل قاله الله له (قوله وان الق) عطف على قوله ان يا موسى (قوله من سرعة حركتها) اى فهو وجه شبهها بالجان وقوله فى الآية الاخرى فاذا هى ثعبان مبين اى فى عظم الجثة فتحصل انها باعتبار الجثة كالثعبان العظيم وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة (قوله ولى مدبرا) اى باعتبار الطبع البشرى حين رآها بهذه

انا وانت (وكيل) حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك وامر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الانبياء عنده فوقع فى يدها عصا آدم من آس الجنة فاخذها موسى بعلم شعيب (فلما قضى موسى الاجل) أى رعيه وهو ثمان او عشر سنين وهو المظنون به (وسار باهله) زوجته باذن ابيها نحو مصر (آنس) ابصر من بعيد (من جانب الطور) اسم جبل (نارا قال لاهله امكثوا) هنا (انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) عن الطريق وكان قد اخطاها (اوجذوة) بتثليث الجيم قطعة وشعلة (من النار لعلكم تصطلون) تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها (فلما اتاها نودى من شاطئ) جانب (الوادى الايمن) لموسى (فى البقعة المباركة) لموسى لسماعه كلام الله فيها (من الشجرة) بدل من شاطئ باعادة الجار لتباينها فيه وهى شجرة عناب أو عليق أو عوسج (ان) مفسرة لا مخففة (ياموسى انى انا الله رب العالمين وان الق عصاك) فالقاها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كانها جان) وهى الحية الصغيرة من سرعة حركتها (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) اى يرجع فنودى (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك) ادخل (يدك) اليمنى بمعنى الكف (فى جيبك) هو طوق القميص وأخرجها (تخرج) خلاف ما كانت عليه

من الادمة (بيضاء من غير سوء) أى برص فادخلها واخرجها تضئ كشعاع الشمس تغشى البصر (واضمم اليك جناحك من الرهب)
بفتح الحرفين وسكون الثانى مع فتح الاول (١٨٠) وضمه أى الخوف الحاصل من اضاءة اليد بان تدخلها فى جيبك فتعود الى حالتها

الصفة وردانها لم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها حتى ان موسى سمع صريرأسنانها وقعقعة الشجر
والصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا (قوله من الادمة) اى الحمرة (قوله تغشى البصر) أى تغطيه (قوله
واضمم اليك جناحك) جعل الجناح هنا مضموما وفى آية طه مضموما اليه حيث قال واضمم يدك الى
جناحك لان المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه اليد اليسرى وكل من اليدين جناح
(قوله من الرهب) متعلق باضمم (قوله بفتح الحرفين الخ) اى فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله بان
تدخلها) اى تدخل اليد اليمنى التى حصل فيها البياض فى جيبك فتعود لحالتها الاولى فيزول عنك الخوف
والفزع الذى حصل لك (قوله كالجناح للطائر) اى لان الطائر اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمان
ضمهما اليه (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان فالمشددة تثنية ذلك بلام البعد
والمخفف تثنية ذاك فالتشديد عوض عن اللام فى المفرد (قوله وانما ذكر المشار به الخ) جواب عما يقال
ان العصا واليد مؤنثتان فكان اللائق الاشارة اليهما بتان فاجاب بانه روعى الخبر (قوله مرسلان) اشار
بذلك الى ان قوله من ربك متعلق بمحذوف صفة لبرهانان (قوله وملائه) أى جماعته (قوله لسانا) اى
كلاما (قوله ردا) حال من ضمير أرسله (قوله بفتح الدال) اى مع التنوين وهى سبعية ايضا (قوله
يصدقنى) اى يقوينى فى الصدق عند الخصم بتوضيح الحجج والبراهين (قوله جواب الدعاء) اى
الذى هو قوله فارسله معى لان طلب الادنى من الاعلى دعاء (قوله ان يكذبون) اى بسبب العقدة التى
كانت فيه بسبب الجمرة التى وضعها وهو صغير فى فيه (قوله نقويك) اى نشد العضد كناية عن التقوية من
اطلاق السبب وارادة المسبب لان شد العضد يستلزم شد اليد وشد اليد مستلزم للقوة (قوله بسوء) متعلق
بيصلون وقوله بآياتنا متعلق بمحذوف قدره بقوله اذهبا بدليل الآية الاخرى اذهبا الى فرعون وجمعهما
فى ضمير واحد مع ان هرون لم يكن حاضرا مجلس المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر لان الله ارسل
جبريل الى هرون بالرسالة وهو بمصر فى ذلك الوقت فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة وهرون
سمعه بواسطة جبريل (قوله فلما جاءهم موسى بآياتنا) المراد بها العصا واليد وجمعهما لان كل واحدة
اشتملت على آيات متعددة وتقدم ذلك فى سورة طه (قوله قالوا) اى فرعون وقومه (قوله مختلق) اى
مخترع من قبل نفسه (قوله وما سمعنا بهذا الخ) هذا محض عناد وكذب اذهم يعرفون ان قبله الرسل كابراهيم
واسحق ويعقوب وغيرهم (قوله بواو وبدونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو يكون تابعا لما قبله
وعلى حذفها يكون الكلام مستانفا فى جواب سؤال (قوله اى عالم) أشار بذلك الى انه لا مفاضلة فى
اوصاف الله تعالى لان التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه فلا تفاضل بين صفاته مع
بعضها ولا مع صفات خلقه (قوله عطف على من قبلها) أى فهى فى محل جر والعلم مسلط عليها (قوله
بالفوقانية والتحتانية) اى فهما قراءتان سبعيتان فله خبر تكون مقدم وعاقبة اسمها مؤخر على كلا الوجهين
وذكر الفعل على قراءة التحتانية للفصل ولانه مجازى التانيث (قوله اى العاقبة المحمودة الخ) اشار بذلك
الى ان المراد بالدار الدار الآخرة وان الاضافة على معنى فى ويصح ان المراد بالدار دار الدنيا والمراد بالعاقبة
المحمودة الجنة اذ العاقبة قسمان مذمومة ومحمودة فالجنة عاقبة محمودة والنار عاقبة مذمومة (قوله وهو انا فى
الشقين) تفسير للموصول كان قال ان لم تشهدوا لى بالصدق وبان العاقبة المحمودة لى فالله عالم بانى جئت بالهدى
وبان العاقبة المحمودة لى (قوله انه لا يفلح الظالمون) تعليل لقوله ربى اعلم الخ (قوله وقال فرعون الخ) اى

الاولى وعبر عنها بالجناح لانها للانسان كالجناح للطائر (فذانك) بالتشديد والتخفيف اى العصا واليد وهما مؤنثان وانما ذكر المشار به اليهما المبتدا لتذكير خبره (برهانان) مرسلان (من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا) هو القبطى السابق (فاخاف ان يقتلون) به (واخى هرون هو افصح منى لسانا) أبين (فارسله معى ردأ) معينا وفى قراءة بفتح الدال بلا همزة (يصدقنى) بالجزم جواب الدعاء وفى قراءة بالرفع وجملته صفة ردأ (انى اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك) نقويك (باخيك ونجعل لكما سلطانا) غلبة (فلا يصلون اليكما) بسوء اذهبا (بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون) لهم (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات حال (قالوا ماهذا الا سحر مفترى) مختلق (وما سمعنا بهذا) كائنا (فى) ايام (آبائنا الاولين وقال) بواو وبدونها (موسى ربى اعلم) اى عالم (بمن جاء بالهدى من عنده) الضمير للرب (ومن) عطف على من قبلها (تكون) بالفوقانية والتحتانية (له عاقبة الدار) اى العاقبة المحمودة بعد
فى الدار الآخرة اى وهو انا فى الشقين فانا محق فيما جئت به (انه لا يفلح الظالمون) الكافرون (وقال فرعون يا ايها الملأ

ماعلمت لكم من الهٍ غيري فاوقد لي ياهامان على الطين) فاطبخ لي الآجر (فاجعل لي صرحا) قصرا عاليا (لعلي اطلع الى الهٍ موسى) انظر اليه واقف عليه (واني لاظنه من الكاذبين) في ادعائه الها آخر وانه رسوله (واستكبر هو وجنوده في الارض) ارض مصر

بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون) بالبناء للفاعل والمفعول (فاخذناه وجنوده فنبذناهم) طرحناهم (في اليم) البحر المالح فغرقوا (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم) في الدنيا (أئمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء رؤساء في الشرك (يدعون الى النار) بدعائهم الى الشرك (ويوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) خزيا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المبعدين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما اهلكنا القرون الاولى) قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (بصائر للناس) حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب اي انوارا للقلوب (وهدى) من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) يتعظون بما فيه من المواعظ (وما كنت) يا محمد (بجانب) الجبل او الوادي او المكان (الغربي) من موسى حين المناجاة (اذ قضينا) اوحينا (الى موسى الامر) بالرسالة الى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) لذلك فتعلمه فتخبر به (ولكنا انشانا قرونا) امما بعد موسى (فتطاول عليهم العمر) اي طالت اعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي (وما كنت ثاويا) مقيما (في اهل مدين) كشعيب (تتلو عليهم آياتنا) تقرأ عليهم اخبار موسى (ولكنا كنا مرسلين) اليك رسولا

بعد ان شاهدا يمان السحرة وما وقع منهم (قوله ماعلمت لكم من الهٍ غيري) أي ليس لي علم بوجود الهٍ غيري وليس مراده بالهية نفسه كونه خالقا للسموات والارض وما فيهما اذ لا يشك عاقل في ان الله هو الخالق لكل شيء وكان اعتقاده ان العالم العلوي اثر في العالم السفلي فلا حاجة للصانع (قوله على الطين) اي بعد اتخاذه لبنا قيل انه اول من اتخذ الآجر وبنى به وهو الذي علم صنعته لهامان ولما امر وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء فطبخ الآجر والجص ونشر الخشب وسبك المسامير فبنوه ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء احد من الخلق فلما فرغوا ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فضرب بها نحو السماء فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد قتلت الهٍ موسى وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف وقطعة وقعت في البحر وقطعة وقعت في المغرب ولم يبق احد عمل في الصرح عملا الا هلك (قوله لعلي أطلع) كانه من قبحه توهم ان الهٍ موسى في السماء يمكن الرقي اليه (قوله وانه رسوله) اي أن موسى رسول الاله (قوله واستكبر) أي تكبر (قوله في الارض) اي ارض مصر (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فيهما قراءتان سبعيتان (قوله فاخذناه) اي عقب تكبره وعناده (قوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر به المشركين فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم (قوله وابدال الثانية ياء) اي فيهما قراءتان سبعيتان لكن قراءة الابدال من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية (قوله بدعائهم الى الشرك) أي المؤدي للنار (قوله ويوم القيامة هم من المقبوحين) اي المطرودين او الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسوادا الوجه (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) اخبار من الله لقريش بامتنانه على بني اسرائيل حين اهلك الامم الماضية لما عاندوا وكذبوا رسلهم وصاروا في زمن فترة بانزال التوراة ليتعبدوا بها والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الامة المحمدية والمعنى كما انزل على موسى التوراة وقومه في فترة وجهل انزل على محمد القرآن وقومه في فترة وجهل ليهتدوا به (قوله وعاد وثمود) عطف على قوم نوح ولم ينونه لانه علم على القبيلة وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث (قوله وغيرهم) اي كفرعون (قوله حال من الكتاب) اي اما على حذف مضاف اي ذا بصائر او مبالغة على حد ما قيل في زيد عدل وكذا يقال في قوله هدى ورحمة (قوله اي انوارا للقلوب) اي تبصر به القلوب كما ان انسان العين تبصر به العين (قوله لعلهم يتذكرون) اي فالعاقل اذا علم ان كتاب الله من اوصافه انه منور للقلوب وهاد من الضلالة ورحمة لمن صدق به بادر الى امتثال اوامره واجتناب نواهيه ولا يرضى لنفسه بالتواني والكسل والعناد (قوله وما كنت بجانب الغربي الخ) المقصود من ذلك اقامة الحجة على من كذبه صلى الله عليه وسلم يعني كيف تكذبونه بعد اتيانه بتفاصيل ما حصل للامم السابقة وانبيائهم والحال انكم تعلمون انه لم يكن حاضرا ذلك ولا مشاهدا له (قوله وما كنت من الشاهدين) ان قلت ان هذا معلوم نفيه من قوله وما كنت بجانب الغربي فما ثمرة ذكره عقبه اجيب بانه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك ولذلك قال ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته ما شاهدت ما وقع فيه (قوله بعد موسى) اي لان انبياء بني اسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذا الكفل كانوا بعده وسمي (قوله واندرست العلوم) اي فكيف ياتيك الخبر من غير

وحى (قوله وأوحينا اليك خبر موسى وغيره) اى ليكون معجزة لك وتذكيرا لقومك (قوله وما كنت ثاويا) ان قلت ان قصة مدين متقدمة على قصة الارسال فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها أجيب بان المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب اشارة الى ان اى واحدة تكفى فى اثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه (قوله مقيما) اى اقامة طويلة تشعر بمعرفتك قصتهم (قوله فى أهل مدين) متعلق بثاويا (قوله ولكنا كنا مرسلين) اى وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار تتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها (قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) اى كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربى اذ ارسل الله موسى الى فرعون فكذلك لم تحضر جانب الطور اذ نادينا موسى لما اتى المقيات مع السبعين لاخذ التوراة وبين الارسال وايتاء التوراة نحو ثلاثين سنة وهذا بالنظر للعالم الجسمانى لاقامة الحجة على الخصم واما بالنظر للعالم الروحانى فهو حاضر رسالة كل رسول وما وقع له من لدن آدم الى ان ظهر بجسمه الشريف ولكن لا يخاطب به أهل العناد (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) اى لوجودهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى ستمائة سنة (قوله ولولا ان تصيبهم الخ) لولا حرف امتناع لوجود وان وما بعدها فى تاويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا تقديره موجود كما قال المفسر (قوله فيقولوا) عطف على تصيبهم والفاء للسببية (قوله وجواب لولا) اى الاولى وأما الثانية فهى تحضيضية (قوله اولولا قولهم الخ) اى فالمعنى الاول فيه انتفاء الجواب وهو عدم الارسال بثبوت ضده وهو الارسال لوجود السبب والمسبب معا والمعنى الثانى لوجود المسبب الناشئ عن السبب فتدبر (قوله لما ارسلناك اليهم رسولا) اى فالحامل على ذلك تعللهم بهذا القول فالمعنى امتنع عدم ارسالنا لك لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ربنا لولا ارسلت الخ ان قلت ان الآية تقتضى وجود اصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور والواقع انهم حين نزول تلك الآيات لم يصابوا ولم يقولوا اجيب بان الآية على سبيل الفرض والتقدير فالمعنى لولا اصابة المصائب لهم واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير لما ارسلناك اليهم فهو بمعنى قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الآية (قوله قالوا) اى تعنتا (قوله او الكتاب جملة) اشار بذلك الى قول آخر فى تفسير المثل (قوله من قبل) اى قبل ظهورك (قوله ساحران) خبر لمحذوف اى هما (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله تعاونا) اى بتصديق كل منهما الآخر وذلك ان كفار مكة بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود بالمدينة فى عيدلهم فسالوهم عن شانه عليه السلام فقالوا انا نجده فى التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ماذكر (قوله والكتابين) الواو بمعنى او (قوله قل فائتوا بكتاب الخ) اى اذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين فائتوا بكتاب من عند الله واضح فى هداية الخلق فان اتيتم به اتبعته وهذا تنزل للخصم زيادة فى اقامة الحجة عليهم (قوله اتبعه) مجزوم فى جواب شرط مقدر تقديره ان اتيتم به اتبعه (قوله فان لم يستجيبوا لك) اى لم يفعلوا ما امرتهم به (قوله انما يتبعون اهواءهم) اى ليس لهم مستند الا اتباع هواهم الفاسد (قوله لا اضل منه) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله ولقد وصلنا) العامة على تشديد الصاد وهو ماخوذ اما من وصل الشئ بالشئ بمعنى جعله تابعا له لان القرآن تابع بعضه بعضا قال تعالى ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق

لهم (فائتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما) من الكتابين (ان كنتم صادقين) فى قولكم (فان لم يستجيبوا لك) واحسن دعاءك بالاتيان بكتاب (فاعلم انما يتبعون اهواءهم) فى كفرهم (ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) اى لا اضل منه (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الكافرين (ولقد وصلنا) بينا (لهم القول) القرآن (لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون

وأوحينا اليك خبر موسى وغيره (وما كنت ثاويا) مقيما (فى اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا) خبرا تعرف قصتهم فتخبر بها (ولكنا كنا مرسلين) لك واليك باخبار المتقدمين (وما كنت بجانب الطور) الجبل (اذ) حين (نادينا) موسى ان خذ الكتاب بقوة (ولكن) ارسلناك (رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) وهم اهل مكة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (ولولا ان تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت ايديهم) من الكفر وغيره (فيقولوا ربنا لولا) هلا (ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك) المرسل بها (ونكون من المؤمنين) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ والمعنى لولا الاصابة المسبب منها قولهم اولولا قولهم المسبب عنها اى لعاجلناهم بالعقوبة ولما ارسلنا اليهم رسولا (فلما جاءهم الحق) محمد (من عندنا قالوا لولا) هلا (اوتى مثل ما اوتى موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما او الكتاب جملة واحدة قال تعالى (او لم يكفروا بما اوتى موسى من قبل) حيث (قالوا) فيه وفى محمد (ساحران) وفى قراءة سحران اى القرآن والتوراة (تظاهرا) تعاونا (وقالوا انا بكل) من النبيين والكتابين (كافرون قل)

وأحسن تفسيرا أو من وصل الحبل جعله أوصالا أى أنواعا لان القرآن أنواع كالوعد والوعيد والقصص والعبر والمواعظ (قوله الذين آتيناهم الكتاب) الاسم الموصول مبتدأ وآتيناهم صلته وهم مبتدأ ثان وبه متعلق بيؤمنون و يؤمنون خبر الثانى وهو وخبره خبر الاول (قوله أيضا) اى كما آمنوا بكتابهم (قوله نزلت فى جماعة اسلموا من اليهود الخ) قال ابن عباس نزلت فى ثمانين من أهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقيل انها نزلت فى اربعين رجلا قدموا مع جعفر ابن أبى طالب من الحبشة آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما راوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يارسول الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين (قوله انا كنا من قبله مسلمين) اى فاسلامنا ليس بمتجدد بل هو موافق لما عندنا لان فى كتبهم صفة النبي ونعته فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا ولم يبدلوا الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا فى صفاته واحواله فلما وجدوها مطابقة لما عندهم أظهروا ما كان عندهم من الاسلام (قوله بصبرهم) اشار بذلك الى ان ما مصدرية وقوله على العمل بهما اى اوعلى اذى المشركين ومن عاداهم من اهل دينهم (قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة) اى يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم الحاصل لهم من اعدائهم بالحسنة اى الكلمة الطيبة الجميلة او المعنى اذا وقعت منهم معصية اتبعوها بطاعة كالتوبة (قوله واذا سمعوا اللغو الخ) وذلك ان المشركين كانوا يسبونه ؤمنى اهل الكتاب ويقولون تبا لكم اعرضتم عن دينكم وتركتموه فيعرضون عنهم ويقولون لنا اعمالنا ولكم اعمالكم (قوله سلام متاركة) اى اعراض وفراق لا سلام تحية (قوله لا نصحبهم) الاوضح ان يقول لا نطلب صحبتهم (قوله ونزل فى حرصه الخ) وذلك انه لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بنى ابيك غضاضة بعدى لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ثم انشد

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكنى سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وبنى عبد مناف ثم مات فاتى على ابنه للنبي صلى الله عليه وسلم وقال له عمك الضال قد مات فقال له اذهب فواره وما تقدم من انه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح وقيل انه احيي واسلم ثم مات ونقل هذا القول عن بعض الصوفية (قوله انك لا تهدى من احببت) اى لا تقدر على هدايته ان قلت ان بين هذه الآية وآية وانك لتهدى الى صراط مستقيم تناف اجيب بان المنفى هنا خلق الاهتداء والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم (قوله ولكن الله يهدى من يشاء) اى فسلم امرك لله فانه اعلم باهل السعادة واهل الشقاوة ولا يبالى باحد (قوله اى قومه) اى وهم بعض اهل مكة كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له انا نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب ان يتخطفونا من ارضنا (قوله الهدى) اى وهو دين الاسلام (قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا) اى نجعل مكانهم حرما ذا أمن وعدى بنفسه لانه بمعنى جعل يدل عليه الآية الاخرى وهى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا (قوله يامنون فيه) اشار بذلك الا ان فى الكلام مجازا عقليا (قوله تجبي) اى يحمل ويساق (قوله بالفوقانية والتحتانية) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثمرات كل شيء) مجاز عن الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء قال بعض العارفين من يتعلق ببيت الله

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى القرآن (هم به يؤمنون) ايضا نزلت فى جماعة اسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام (واذا يتلى عليهم) القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) موحدين (اولئك يؤتون اجرهم مرتين) بايمانهم بالكتابين (بما صبروا) بصبرهم على العمل بهما (ويدرؤون) يدفعون (بالحسنة السيئة) منهم (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (واذا سمعوا اللغو) الشتم والاذى من الكفار (اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم) سلام متاركة اى سلمتم منا من الشتم وغيره (لا نبتغى الجاهلين) لا نصحبهم * ونزل فى حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه ابى طالب (انك لا تهدى من أحببت) هدايته (ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم) اى عالم (بالمهتدين وقالوا) اى قومه (ان نتبع الهدى معك) (نتخطف من ارضنا) اى ننتزع منها بسرعة قال تعالى (اولم نمكن لهم حرما آمنا)

يامنون فيه من الاغارة والقتل الواقعين فى بعض العرب عام بعض (تجبى) بالفوقانية والتحتانية (اليه ثمرات كل شيء)

الحرام ويسعى اليه فهو من خيار الخلق لقوله فى الآية يجبى اليه ثمرات كل شئ (قوله من كل اوب) اى ناحية وطريق وجهة (قوله رزقا) اما بمعنى مرزوقا فيكون منصوبا على الحال من ثمرات او باق على مصدريته فيكون مفعولا مطلقا مؤكدا لمعنى يجبى اى نرزقهم رزقا (قوله ان ما نقوله حق) قدره اشارة الى ان مفعول يعلمون محذوف (قوله وكم اهلكنا من قرية) رد بذلك على الكفار وبين لهم ان العبارة بالعكس وان خوف التخطف يكون بالكفر لا بالايمان وانهم ما داموا مصرين على كفرهم يحل بهم وبال بطرهم كما حصل لمن قبلهم (قوله بطرت معيشتها) اى كفرت نعمة ربها فى زمن معيشتها اى حياتها (قوله فتلك مساكنهم) اى خربة بسبب ظلمهم والاشارة الى قوم لوط وصالح وشعيب وهود فان السفار تمر على تلك المساكن وتنزل بها فى بعض الاوقات (قوله للمارة يوما او بعضه) اى لان المارفى الطريق اذا نزل للاستراحة انما يستمر فى الغالب يوما او بعضه (قوله وما كان ربك مهلك القرى الخ) بيان للحكمة الالهية التى سبقت بها مشيئته تعالى والمعنى ما ثبت فى حكمه ان يهلك قرية قبل الانذار (قوله اى اعظمها) اى وهى المدن بالنسبة لما حوليها فجرت عادة الله ان يبعث الرسول من اهل المدائن لانهم اعقل وافطن ويتبعهم غيرهم ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم مبعوثا لجميع الخلق كانت بلده افضل البلاد على الاطلاق وقبيلته اشرف القبائل على الاطلاق (قوله يتلوا عليهم آياتنا) اى لقطع الحجج والمعاذير (قوله الا واهلها ظالمون) استثناء من عموم الاحوال كانه قال ما كنا نهلكهم فى حال من الاحوال الا فى حال كونهم ظالمين (قوله وما اوتيتم من شئ الخ) ما اسم موصول مبتدا واوتيتم صلته ومن شئ بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبره وقرن بالفاء لما فى المبتدا من معنى العموم ويصح ان تكون ما شرطية وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبر مبتدا محذوف والجملة جواب الشرط (قوله ثم يفنى) اى يذهب بفنائكم فجميع ما فى الدنيا عرض زائل يذهب بذهاب اهله ولا يبقى الا جزاؤه فحلال الدنيا حساب وحرامها عقاب (قوله وهو ثوابه) اى ثواب الاعمال التى قصد بها وجهه سبحانه وتعالى (قوله خير وأبقى) اى دائم بدوام الله (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التدبر فى أحوالكم فلا تعقلون فمن آثر الفانى على الباقى فلا عقل عنده لما فى الحديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ولله در الامام الشافعى حيث قال

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

وليس المراد من ذلك ترك الدنيا رأسا والخروج عنها بالمرة بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه وانما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه لتكون مزرعة لآخرته لما فى الحديث نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح فالمضر شغل القلب والنية السوء (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ان الباقى خير من الفانى) قدره اشارة الى ان مفعول يعقلون محذوف واستفيد منه ان أعقل الناس المشتغلون بطاعة الله الذين اختاروا الباقى على الفانى ومن هنا قال الامام الشافعى رضى الله عنه من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف الى المشتغلين بطاعة الله تعالى (قوله أفمن وعدناه الخ) من مبتدا وجملة وعدناه صلتها وقوله كمن وعدناه الخ خبر المبتدا أو المعنى أيستوى من وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه بمن انهمك فى طلب الفانى حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب فهو نظير قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

من كل اوب (رزقا) لهم (من لدنا) اى عندنا (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان ما نقوله حق (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها) اى عيشتها واريد بالقرية اهلها (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا) للمارة يوما او بعضه (وكنا نحن الوارثين) منهم (وما كان ربك مهلك القرى) بظلم منها (حتى يبعث فى امها) اى أعظمها (رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) بتكذيب الرسل (وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) اى تتمتعون وتتزينون به ايام حياتكم ثم يفنى (وما عند الله) اى ثوابه (خير وابقى افلا تعقلون) بالتاء والياء ان الباقى خير من الفانى (افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه)

(قوله مصيبه) أى مدركه لا محالة لان وعده لا يتخلف (قوله متاع الحياة الدنيا) أى المشوب بالاكدار (قوله الاول) اى وهو من وعدناه والثانى وهو من متعناه (قوله اى لا تساوى بينهما) أشار بذلك ان الى الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله ويوم يناديهم) أى المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب او النداء من الله لهم والمنفى فى آية ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلام الرضا والرحمة فلا ينافى انه يكلمهم كلام غضب وسخط (قوله فيقول أين شركائى) تفسير للنداء (قوله تزعمونهم شركائى) أشار بذلك الى ان مفعولى تزعمون محذوفان (قوله قال الذين حق عليهم القول) كلام مستانف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا وجواب هذا السؤال انه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والاتباع فقال الاتباع انهم اضلونا وقال الرؤساء ربنا هؤلاء الخ فهو بمعنى قوله تعالى وبرزوا لله جميعا الخ وبمعنى واذ يتحاجون فى النار الخ (قوله حق عليهم القول) أى ثبت وتحقق وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين (قوله وهم رؤساء الضلال) أى الذين اطاعوهم فى كل ما امروهم به ونهوهم عنه (قوله ربنا هؤلاء الذين اغوينا الخ) اسم الاشارة مبتدأ والموصول نعته وأغوينا صلته والعائد محذوف قدره المفسر واغويناهم خبره وصح الاخبار به لتقييده بقوله كما غوينا ففيه زيادة فائدة على الصلة والمعنى تسببنا لهم فى الغى فقبلوا منا ولم يتبعوا الرسل وما انزل عليهم من الكتب التى فيها المواعظ والاوامر والنواهى فلم نخيرهم عن انفسنا بل اخترنا لهم ما اخترناه لانفسنا فاتبعونا بهواهم (قوله تبرأنا اليك منهم) هذا تقرير لما قبله (قوله وقدم المفعول) اى وهو قوله ايانا (قوله وقيل ادعوا شركاءكم) اى استغيثوا بآلهتكم التى عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم وهذا القول للتهكم والتبكيت لهم (قوله ورأوا العذاب) اى نازلا بهم (قوله ما رأوه) هو جواب لو (قوله ويوم يناديهم) معطوف على ما قبله فتحصل انهم يسئلون عن اشراكهم وجوابهم للرسل (قوله فعميت عليهم الانباء) أى خفيت عليهم فلم يهتدوا لجواب فيه راحة لهم أو الكلام على القلب والاصل فعموا عن الانباء اى ضلوا وتحيروا فى ذلك فلم يهتدوا الى جواب به نجاتهم (قوله فهم لا يتساءلون عنه) اى عن الخبر المنجى لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ (قوله فاما من تاب الخ) اى رجع عن كفره فى حال الحياة (قوله فعسى ان يكون من المفلحين) الترجى فى القرآن بمنزله التحقق لانه وعد كريم ومن شانه لا يخلف وعده (قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار) سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فنزلت هذه الآية ردا عليه واختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية على اقوال كثيرة فقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء منهم لطاعته وقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء لنبوته وقيل يخلق ما يشاء محمدا او يختار الانصار لدينه وقيل يخلق ما يشاء محمدا ويختار ما يشاء اصحابه وأمته لما روى ان الله اختار اصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من اصحابى أربعة يعنى أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابى وفى اصحابى كلهم خير واختار امتى على سائر الامم واختار لى من امتى اربعة قرون اه فقد اختار محمدا على سائر المخلوقات واختار أمته على سائر الامم فكما هو افضل الخلق على الاطلاق امته افضل الامم على الاطلاق (قوله ما كان لهم الخيرة) بالتحريك والاسكان معناهما واحد وهو الاختيار وما نافية وكان فعل ناقص والجار والمجرور خبرها مقدم والخيرة اسمها مؤخر والجملة مستانفة فالوقف على يختار والمعنى ليس للخلق جميعا الاختيار فى شئ لا ظاهرا ولا باطنا بل الخيرة لله تعالى فى افعاله لما فى الحديث القدسى يا عبدى انت تريد وانا اريد ولا يكون الا ما اريد فان سلمت لى ما أريد

والثانى الكافر اى لا تساوى بينهما (و) اذكر (يوم يناديهم) الله (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) هم شركائى (قال الذين حق عليهم القول) بدخول النار وهم رؤساء الضلالة (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) هم مبتدأ وصفة (اغويناهم) خبره فغووا (كما غوينا) لم نكرههم على الغى (تبرأنا اليك) منهم (ما كانوا ايانا يعبدون) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة (وقيل ادعوا شركاءكم) اى الاصنام الذين كنتم تزعمون انهم شركاء الله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) دعاءهم (ورأوا) هم (العذاب) ابصروه (لو انهم كانوا يهتدون) فى الدنيا لما رأوه فى الآخرة (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) اليكم (فعميت عليهم الانباء) الاخبار المنجية فى الجواب (يومئذ) اى لم يجدوا خبرا لهم فيه نجاة (فهم لا يتساءلون) عنه فيسكتون (فاما من تاب) من الشرك (وآمن) صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) ادى الفرائض (فعسى ان يكون من المفلحين) الناجين بوعد الله

(وربك يخلق ما يشاء ويختار) ما يشاء (ما كان لهم) للمشركين (الخيرة) الاختيار فى شئ

اعطيتك ماتريدوان لم تسلم لى ماأريد اتعبتك فيماتريدولا يكون الاماأريدوانما خص المفسر المشركين بذلك مراعاة لسبب النزول ويصح ان تكون مامصدرية وما بعدها مؤول بمصدر والمعنى ويختار اختيارهم فيه ويصح ان تكون موصولة والعائد محذوف والتقدير ويختار الذى لهم فيه الاختيار وحينئذ فلا يصح الوقف على يختار والاول اظهر فالواجب على الانسان ان يعتقد انه لا تاثير لشئ من الكائنات فى شئ ابدا وانما الذى يظهر على ايدى الخلق اسباب عادية يمكن تخلفها (قوله سبحان الله) اى تنزيها له عما لا يليق به (قوله من الكفر وغيره) اى كالايمان فيجازى الكافر بالخلود فى النار والمؤمن بالخلود فى الجنة (قوله له الحمد فى الاولى والآخرة) اى هو مستحق للثناء بالجميل فى الدنيا والجنة لانه لا معطى للنعم فيهما الا هو سبحانه وتعالى فالمؤمنون يحمدونه فى الجنة بقولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن كما حمدوه فى الدنيا لكن الحمد فى الدنيا مكلفون به واما فى الآخرة فهو تلذذ لانقطاع التكليف بالموت قال العلماء لا ينبغى لاحد ان يقدم على امر من امور الدنيا والآخرة حتى يسال الله تعالى الخيرة فى ذلك وذلك بان يصلى ركعتين صلاة الاستخارة يقرأ فى الركعة الاولى بعد أم القرآن ورب يخلق ما يشاء ويختار الآية وفى الثانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم الآية ثم يدعو بالدعاء الوارد فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ومعاشي وعاقبة امرى أو قال فى عاجل امرى وآجله فاقدره لى ويسره لى وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى فى دينى ومعاشي وعاقبة امرى او قال فى عاجل امرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به قال ويسمى حاجته وروى عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر لى ما يسبق الى قلبك واعمله فان الخير فيه انتهى فان لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين فليقرأ قل يا أيها الكافرون والاخلاص فان لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقرأ اللهم خر لى واخترلى كما روى عن عائشة عن ابى بكر رضي الله عنهما * واعلم ان هذه الكيفية هى الواردة فى الحديث الصحيح واما الاستخارة بالمنام او بالمصحف او السبحة فليس وارد اعن النبى صلى الله عليه وسلم ولذا كرهه العلماء وقالوا انه نوع من الطيرة (قوله قل أرأيتم ان جعل الله الخ) أرأيتم وجعل تنازعا فى الليل اعمل الثانى واضمر فى الاول وحذف وهو مفعوله الاول ومفعوله الثانى جملة الاستفهام بعده وان حرف شرط وجعل فعل الشرط والله فاعله والليل مفعول اول وسرمدا مفعول ثان وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا تفعلون وتقدم الكلام على نظيرتها فى الانعام (قوله سرمدا) من السرد وهو المتابعة والاطراد (قوله دائما) اى بان يسكن الشمس تحت الارض (قوله الى يوم القيامة) متعلق بجعل (قوله من اله غير الله بزعمكم) دفع بذلك ما يقال ان المقام لهل لانها لطلب التصديق لا من التى لطلب التعيين لانه يوهم وجود آلهة غيره تعالى فاجاب بانه مجاراة للمشركين فى زعمهم وجود آلهة معه (قوله سماع تفهم) اى تدبر و اعتبار لان مجرد الابصار لا يفيد (قوله ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) اى بان يسكن الشمس فى وسط السماء (قوله ومن رحمته) اى تفضله واحسانه (قوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الخ) اى لان المرء فى الدنيا لا بد وان يحصل له التعب ليحصل ما يحتاج اليه فى معاشه فجعل الله له محل تكسب وهو النهار

(سبحان الله وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم (وربك يعلم ما تكن صدورهم) تسر قلوبهم من الكفر وغيره (وما يعلنون) بالسنتهم من ذلك (وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى) الدنيا (والآخرة) الجنة (وله الحكم) القضاء النافذ فى كل شئ (واليه ترجعون) بالنشور (قل) لاهل مكة (أرأيتم) اى اخبرونى (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما (الى يوم القيامة من اله غير الله) بزعمكم (يأتيكم بضياء) نهار تطلبون فيه المعيشة (افلا تسمعون) ذلك سماع تفهم فترجعون عن الاشراك (قل) لهم (أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله) بزعمكم (يأتيكم بليل تسكنون) تستريحون (فيه) من التعب (افلا تبصرون) ما أنتم عليه من الخطا فى الاشراك فترجعون عنه (ومن رحمته) تعالى (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) فى الليل

(ولتبتغوا من فضله) فى النهار بالكسب (ولعلكم تشكرون النعمة فيهما (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) ذكرتانيا ليبنى عليه (ونزعنا) اخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا (فقلنا) لهم (هاتوا برهانكم) على ماقلتم من الاشراك (فعلموا ان الحق) فى الالهية (لله) لا يشاركه فيه احد (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) فى الدنيا من ان معه شريكا تعالى عن ذلك (ان قارون كان من قوم موسى) ابن عمه وابن خالته وآمن به (فبغى عليهم) بالكبر والعلو وكثرة المال (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء) تثقل (بالعصبة) الجماعة (اولى) اصحاب (القوة) اى تثقلهم فالباء للتعدية وعدتهم قيل سبعون وقيل اربعون وقيل عشرة وقيل غير ذلك اذكر (اذ قال له قومه) المؤمنون من بنى اسرائيل (لا تفرح) بكثرة المال فرح بطر (ان الله لا يحب الفرحين) بذلك (وابتغ) اطلب (فيما آتاك الله) من المال (الدار الآخرة) بان تنفقه فى طاعة الله (ولا تنس) تترك نصيبك من الدنيا اى ان تعمل فيها للآخرة (واحسن) للناس بالصدقة (كما احسن الله اليك ولا تبغ) تطلب (الفساد فى الارض) بعمل المعاصى (ان الله لا يحب المفسدين) بمعنى انه

وحل راحة وسكون ليستريح من ذلك التعب وهو الليل (قوله ولتبتغوا من فضله) استفيد من الآية مدح السعى فى طلب الرزق لما ورد الكاسب حبيب الله (قوله ذكرتانيا ليبنى عليه ونزعنا الخ) اى واشارة الى ان الشرك امره عظيم لاشئ أجلب منه لغضب الله كما ان التوحيد عظيم لاشئ اجلب منه لرضا الله (قوله يشهد عليهم بما قالوا) أى وأمة محمد يشهدون للانبياء بالتبليغ وعلى الامم بالتكذيب (قوله ان الحق لله) اى التوحيد لله خاصة لا لغيره (قوله من ان معه شريكا) بيان لما (قوله ان قارون كان من قوم موسى) هو اسم اعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (قوله ابن عمه) اى واسم ذلك العم يصهر بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة ابن قاهث بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة ويصهر ابو قارون وعمران ابو موسى أخوان ولدا قاهث بن ولاى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقيل ان قارون عم موسى (قوله وآمن به) اى وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته وهرون على امامته (قوله بالكبر) اى احتقار ما سواه ومن جملة تكبره ان زاد فى ثيابه شبرا ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة وكان يسمى المنور لحسن صورته (قوله من الكنوز) سميت كنوزا لما قيل انه وجد كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقيل لامتناعه من أداء الزكاة (قوله ما ان مفاتحه الخ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف وان حرف توكيد ونصب ومفاتحه اسمها وجملة لتنوء خبرها والجملة صلة الموصول والتقدير وآتيناه من الكنوز الشئ الذى مفاتحه تثقل العصبة اولى القوة وكانت مفاتحه اولا من حديد فلما كثرت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر وقيل من جلود الابل كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه على اربعين وقيل على ستين بغلا (قوله لتنوء بالعصبة) الباء للتعدية والمعنى لتثقل المفاتح العصبة (قوله فرح بطر) اى لانه هو المذموم واما الفرح بالدنيا من حيث انها تعينه على أمور الآخرة كقضاء الدين والصدقة واطعام الجائع وغير ذلك فلا باس به (قوله بان تنفقه فى طاعة الله) اى كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك (قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا) اى بان تصرف عمرك فى مرضاة ربك ولا تدع نفسك من غير خير فتصير يوم القيامة مفلسا لما فى الحديث اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وقيل المراد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز قال الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداء تدرج فيهما وحنوط

(قوله واحسن للناس بالصدقة) المناسب حمله على العموم ويكون تفسيرا لقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا وقوله كما احسن الله اليك الكاف للتشبيه وما مصدرية والمعنى واحسن احسانا كاحسان الله اليك أو للتعليل (قوله قال انما اوتيته على علم عندى) جواب لما قاله من الجمل الخمس كانه ينكر محض الفضل والمعنى انما اوتيته حال كونى متصفا بالعلم الذى عندى فاعطانى الله تلك الاموال لكونى مستحقا لها لفضلى وعلمى (قوله وكان اعلم بنى اسرائيل بالتوراة) وقيل العلم الذى فضل به هو علم الكيمياء فان موسى علمه ثلثه ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف ما عندهما الى ما عنده فكان ياخذ من الرصاص فيجعله فضة ومن النحاس فيجعله ذهبا فكثر بذلك ماله وتكبر وعلى هذا فقوله على علم عندى المراد به علم الكيمياء ويكون المعنى اكتسبته بعلمى الذى عندى لا من فضل الله كما تقولون (قوله أولم يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أيدعى

بما قبلهم (قال انما اوتيته) اى المال (على علم عندى) اى فى مقابلته وكان اعلم بنى اسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى (أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون) الامم (من هو اشد منه قوة واكثر جمعا) * ٢ (قوله تدرج) يقرأ بتسكين الجيم للوزن

ولم يعلم أن الله الخ والاستفهام للتوبيخ والمعنى أنه اذا أراد اهلاكهم لم ينفعه ذلك (قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسالهم الله عن ذنوبهم اذا أراد عقابهم ان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى فوربك لنسالنهم أجمعين عما كانوا يعملون أجيب بان السؤال قسمان سؤال استعتاب وسؤال توبيخ وتقريع فالمنفى سؤال الاستعتاب الذى يعقبه العفو والغفران كسؤال المسلم العاصي والمثبت سؤال التوبيخ الذى لا يعقبه الا النار (قوله فخرج على قومه) عطف على قوله انما أوتيته على علم وما بينهما اعتراض وكان خروجه يوم السبت وقوله باتباعه قيل كانوا أربعة آلاف وقيل تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئى فيه المعصفرات وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الاحمر وكانت بغلته شهباء بياضها اكثر من سوادها سرجها من ذهب وكان على سرجها الارجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء (قوله قال الذين يريدون الحياة الدنيا) أى وكانوا مؤمنين غيرانهم محجوبون (قوله كلمة زجر) أى وهى منصوبة بمقدر أى الزمكم الله ويلكم والاصل فى الويل الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع (قوله مما أوتى قارون فى الدنيا) أى لان الثواب منافعه عظيمة (قوله ولا يلقاها) أى يوفق للعمل بها (قوله على الطاعة وعن المعصية) أى وعلى الرضا باحكامه تعالى (قوله فخسفنا به وبداره الارض) قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى واعتزل باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون اليه ويروحون ويطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار واحد وعن كل ألف درهم على درهم وعن كل ألف شاة على شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شئ فاطعتموه وهو يريد أن ياخذ أموالكم قالوا بنو اسرائيل أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم أن تاتونا بفلانة الزانية فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون الف دينار وألف درهم وقيل جعل لها طشتا من ذهب وقيل قال لها قارون أموالك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى الى موسى فقال له ان بنى اسرائيل ينتظرون خروجك لتامرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم فى براح من الارض فقام فيهم فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت قال قارون وان كنت انت قال وان كنت أنا قال قارون فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية قال موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسالها بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت فى نفسها أحدث توبة أفضل من أن أوذى رسول الله فقالت لا والله ولكن جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكى وقال اللهم ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه انى أمرت الارض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا

للمال اى وهو عالم بذلك ويهلكهم الله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب (فخرج) قارون (على قومه فى زينته) باتباعه الكثيرين ركبانا متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) للتنبيه (ليت لنا مثل ما أوتى قارون) فى الدنيا (انه لذو حظ) نصيب (عظيم) واف فيها (وقال) لهم (الذين أوتوا العلم) بما وعد الله فى الآخرة (ويلكم) كلمة زجر (ثواب الله) فى الآخرة بالجنة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون فى الدنيا (ولا يلقاها) اى الجنة المثاب بها (الا الصابرون) على الطاعة وعن المعصية (فخسفنا به) بقارون (وبداره الارض فما كان له

فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم الارض باقدامهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الارض الى اوساطهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحا به فى كل ذلك يتضرعون الى موسى و يناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده سبعين مرة وموسى فى ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم قال قتادة خسفت به فهو يتجلجل فى الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وفى الخبر اذا وصل قارون الى قرار الارض السابعة نفخ اسرافيل فى الصور واصبحت بنو اسرائيل يتحدثون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه واموالة الارض قال بعضهم مقتضى هذا الحديث ان الارض لا تاكل جسمه فيمكن ان يلفزو يقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون (قوله من فئة) من زائدة وفئة اسم كان ان كانت ناقصة والجار والمجرور خبرها أو فاعل بها ان كانت تامة (قوله من المنتصرين) اى الممتنعين بانفسهم (قوله اى من قريب) أشار بذلك الى ان المراد بالامس الوقت الماضي القريب لا اليوم الذى قبل يومك (قوله و يكان الله الخ) و يكان فيها خمسة مذاهب الاول ان وى كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب والكاف للتعليل وان ومادخلت عليه مجرور بها اى اعجب لان الله يبسط الرزق الخ فالوقف على وى وهو قراءة الكسائى الثانى ان كان للتشبيه غيرانه ذهب معناه منها وصارت لليقين وحينئذ فالوقف على وى كالذى قبله الثالث ان ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وان معمولة لمحذوف اى اعلم ان الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على ويك وهو قراءة أبى عمر و الرابع ان اصلها ويلك حذفت اللام وحينئذ فالوقف على الكاف أيضا الخامس ان ويكان كلها كلمة بسيطة ومعناها ألم تران الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على النون (قوله لولا ان من الله علينا) اى بالايمان والرحمة (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله و يكانه) تاكيد لما قبله و يجرى فيها مايجرى فى التى قبلها (قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا) مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة فان فرعون وقارون تكبرا وتجبرا واختارا العلو فآل أمرهما للخسران والوبال والدمار وموسى وهرون اختارا التواضع فآل أمرهما للعز الدائم الذى لا يزول ولا يحول (قوله اى الجنة) اى وما فيها من النعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم وسماع كلامه القديم (قوله لا يريدون علوا) التعبير بالارادة أبلغ فى النفى لانه نفى للفعل وزيادة (قوله نجعلها) اى نصيرها (قوله بالبغى) اى الظلم والكبر كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما (قوله بعمل المعاصى) اى كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الامور التى تخالف أوامره تعالى (قوله للمتقين) اظهر فى مقام الاضمار اظهارا لشانهم ومدحا لهم بنسبتهم للتقوى وتسجيلا على ضدهم (قوله من جاء بالحسنة) تقدم انه ان اريد بالحسنة لا اله الا الله فالمراد بالخير الجنة ومن للتعليل وليس فى الصيغة تفضيل وان أريد بها مطلق طاعة فالمراد بالخير منها عشر امثالها كما جاء مفسرا به فى الآية الاخرى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقول المفسر ثواب بسببها الخ اشارة للمعنى الثانى (قوله وهو عشر أمثالها) هذا أقل المضاعفة وتضاعف لسبعين ولسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء وهذا فى الحسنة التى فعلها بنفسه اوفعلت من أجله كالقراءة والذكر اذا فعل واهدى ثوابه للميت مثلا واما الحسنة التى تؤخذ فى نظير الظلامة فلا تضاعف بل تؤخذ الحسنة للمظلوم واما المضاعفة فتكتب للظالم لانها محض فضل من الله تعالى ليس للعبد فيه فعل والمضاعفة مخصوصة بهذه الامة وأما غيرهم فلا مضاعفة له (قوله فلا يجزى الذين عملوا السيآت الخ)

من فئة ينصرونه من دون الله) اى غيره بان يمنعوا عنه الهلاك (وما كان من المنتصرين) منه (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) أى من قريب (يقولون ويكان الله يبسط) يوسع (الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يضيق على من يشاء ووى اسم فعل بمعنى أعجب اى انا والكاف بمعنى اللام (لولا ان من الله علينا لخسف بنا) بالبناء للفاعل والمفعول (وكانه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله كقارون (تلك الدار الآخرة) اى الجنة (نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) بالبغى (ولا فسادا) بعمل المعاصي (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) عقاب الله بعمل الطاعات (من جاء بالحسنة فله خير منها) ثواب بسببها وهو عشر أمثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا) جزاء (ما كانوا يعملون)

اظهر فى مقام الاضمار تسجيلا وتقبيحا على فاعل السيئات لينزجر عن فعلها (قوله اى مثله) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله انزله) اى أوفرضه بمعنى أوجب عليك تبليغه للعباد والتمسك به (قوله الى مكة وكان اشتاقها) تقدم ان سبب نزول هذه الآية انه صلى الله عليه وسلم لما اذن له فى الهجرة الى المدينة وخرج من الغار مع ابى بكر ليلا سار فى غير الطريق فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابيه فنزل عليه جبريل وقال له أتشتاق الى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل ان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد يعنى الى مكة ظاهرا عليهم وسميت البلد معادا لان شان الانسان ان ينصرف من بلده ويعود اليها وتقدم ان هذه الآية ينبغى قراءتها للمسافر تفاؤلا بعوده لوطنه ولا يقال ان الآية قيلت للنبى صلى الله عليه وسلم فكيف تقال لغيره لانه يقال ان القرآن نزل للتعبد والاقتداء به فكانه قال كما صدقت وعد نبيك فاصدق وعدى (قوله جوابا لقول كفار مكة له الخ) اى كما قالت بنو اسرائيل لموسى مثل ذلك فرد الله عليهم بقوله وقال موسى ربى اعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار (قوله واعلم بمعنى عالم) انما احتيج الى تحويله لتعديته للمفعول بنفسه والا فكان مقتضى الظاهر تعديته بمن (قوله وما كنت ترجوا) اى قبل مجئ الرسالة اليك (قوله ان يلقى اليك الكتاب) اى فانزاله عليك ليس عن ميعاد ولا تطلب منك ومن هنا قال العلماء ان النبوة ليست مكتسبة لاحد قال فى الجوهرة

ولم تكن نبوة مكتسبه * ولو رقى فى الخير اعلى عقبه

الخ (قوله لكن القى اليك الخ) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع (قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين) الخطاب له والمراد غيره لاستحالة ذلك عليه (قوله حذفت نون الرفع للجازم) اى وهو لا الناهية (قوله لالتقائها مع النون الساكنة) اى ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة وما مشى عليه المفسر فى تصريف الفعل انما يأتى على دور وهو تاكيد الفعل الخالى عن الطلب فالاولى ان يقول واصله يصدونك دخل الجازم فحذف النون ثم اكد فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ووجود الضمة دليلا عليها (قوله بعد اذ انزلت اليك) اى بعد وقت انزالها عليك (قوله اى لا ترجع اليهم) اى لا تركن الى اقوالهم (قوله ولا تكونن من المشركين) الخطاب له والمراد غيره (قوله ولم يؤثر الجازم فى الفعل) اى لفظا وان كان مؤثرا محلا (قوله لبنائه) اى بسبب مباشرة نون التوكيد له بخلاف قوله ولا يصدنك فتاثر بالجازم وان كان مؤكدا بالنون لعدم مباشرتها للفعل فانه فصل بينهما بواو الجماعة قال ابن مالك

* واعربوا مضارعا ان عريا * من نون توكيد مباشر (قوله تعبد) اشار بذلك الى ان المراد بالدعاء العبادة وحينئذ فليس فى الآية دليل على ما زعمه الخوارج من ان الطلب من الغير حيا أو ميتا شرك فانه جهل مركب لان سؤال الغير من حيث اجراء الله النفع أو الضر على يده قد يكون واجبا لانه من التمسك بالاسباب ولا ينكر الا سبات الا جحود أو جهول (قوله كل شئ هالك الا وجهه) اى كل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك وجائز عليه لان وجوده ليس ذاتيا له قال بعض العارفين

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال
من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا * شيئا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * فى الحال والماضى والاستقبال

اى مثله (ان الذى فرض عليك القرآن) انزله (لرادك الى معاد) الى مكة وكان قد اشتاقها (قل ربى اعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين) نزل جوابا لقول كفار مكة له انك فى ضلال اى فهو الجاهل بالهدى وهم فى الضلال واعلم بمعنى عالم (وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب) القرآن (الا) لكن القى اليك (رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا) معينا (للكافرين) على دينهم الذى دعوك اليه (ولا يصدنك) اصله يصدوننك حذفت نون الرفع للجازم والواو الفاعل لالتقائها مع النون الساكنة (عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك) اى لا ترجع اليهم فى ذلك (وادع) الناس (الى ربك) بتوحيده وعبادته (ولا تكونن من المشركين) باعانتهم ولم يؤثر الجازم فى الفعل لبنائه (ولا تدع) تعبد (مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه)

وقيل المراد بالهلاك الانعدام بالفعل و يستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطى فى قوله

ثمانية حكم البقاء يعمها * من الخلق والباقون فى حيز العدم
هى العرش والكرسي ونار وجنة * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهو معنى قول صاحب الجوهرة وكل شئ هالك قد خصصوا * عمومه فاطلب لما قد لخصوا ولا مفهوم لما عده السيوطى بل منها أجساد الانبياء والشهداء ومن فى حكمهم والحور والولدان (قوله الا اياه) أشار بذلك الى ان المراد بالوجه الذات و يصح ان المراد به ما عمل لاجله سبحانه وتعالى فان ثوابه باق (قوله واليه ترجعون) اى فى جميع أحوالكم

﴿سورة العنكبوت مكية﴾

مبتدأ وخبر وفى بعض النسخ سورة العنكبوت وهى تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدا والخبر بالجملة الحالية وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم ان أسماء السور توقيفى وقوله مكية أى كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكية الا عشر آيات من أولها الى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فانها مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لانه من المتشابه الذى يفوض علمه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستفهام يصح ان يكون للتقرير وحينئذ فيكون المعنى يجب على الناس ان يعترفوا بانهم لا يتركون سدى بل يمتحنون و يبتلون لان الدنيا دار بلاء وامتحان أو التوبيخ وعليه فالمعنى لا يليق منهم هذا الحسبان اى الظن والتخمين بل الواجب عليهم علمهم بانهم لا يتركون وحسب فعل ماض والناس فاعله وأن وما دخلت عليه فى تاويل مصدر سدت مسد مفعولى حسب وان يقولوا علة للحسبان وقوله وهم لا يفتنون الجملة حالية مقيدة لقوله أحسب الناس و يكون المعنى أحسب الناس ان يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين اومن أجل نطقهم بالشهادتين بل لا بد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين لينميز الراسخ من غيره (قوله بما يتبين به حقيقة ايمانهم) اى من المشاق كالهجرة والجهاد وأنواع المصائب فى الانفس والاموال (قوله نزل فى جماعة) اى كعمار بن ياسر وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة والمقصود من الآية تسلية هؤلاء وتعليم من يأتى بعدهم (قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم الخ) اما حال من الناس وحينئذ فالمعنى أحسبوا ذلك والحال انهم علموا أن ذلك ليس سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا أو من فاعل يفتنون والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الامم السابقة روى البخارى عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين و يمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم كنتم تستعجلون (قوله الذين صدقوا الخ) عبر فى جانب الصدق بالفعل الماضى وفى جانب الكذب باسم الفاعل اشارة الى ان الكاذبين وصفهم مستمر لم يظهر منهم الا ما كان مخبأ وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم وتجدد لهم الصدق فناسبه التعبير بالفعل (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال ان علم الله لا تجدد فيه والجواب ان المراد ليظهر متعلق علم الله للناس بيان الصادق من الكاذب (قوله أم حسب الذين الخ) انتقال من توبيخ الى توبيخ فالاول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الايمان من غير مشقة ولا تعب والثانى أشد منه وهو توبيخهم على ظنهم أنهم يفوتون عذاب الله و يفرون منه مع دوامهم على

الا اياه (له الحكم) القضاء النافذ (واليه ترجعون) بالنشور من قبوركم

﴿سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) الله اعلم بمراده به (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا) اى بقولهم (آمنا وهم لا يفتنون) يختبرون بما يتبين به حقيقة ايمانهم نزل فى جماعة آمنوا فآذاهم المشركون (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا) فى ايمانهم علم مشاهدة (وليعلمن الكاذبين) فيه (ام حسب الذين يعلمون السيئات) الشرك والمعاصى (ان يسبقونا) يفوتونا فلا ننتقم منهم (ساء) بئس (ما)

الكفر (قوله الذى يحكمونه الخ) أشار بذلك الى أن ما اسم موصول فاعل ساء ويحكمون صلته والعائد محذوف والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله حكمهم هذا و يصح أن تكون ما نميزا والفاعل ضمير مفسر بما قال ابن مالك

وما نميز وقيل فاعل * فى نحو نعم ما يقول الفاضل

(قوله من كان يرجوا لقاء الله) أى يعتقد و يجزم بانه يلاقى الله فيرجو رحمته ويخاف عقابه وهذا التفسير أنم مما قاله المفسر لان المؤمن المصدق بلقاء الله لا بد له من الرجاء والخوف مما و يؤيد ما قلناه جواب الشرط الذى قدره بقوله فليستعد له أى يتهيا و يستحضر للرحمة والنجاة من العذاب (قوله فان أجل الله لآت) ليس هذا هو جواب الشرط والا لزم أن من لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتيا له بل الجواب ما قدره المفسر (قوله بافعالهم) أى وعقائدهم (قوله جهاد حرب) أى وهو الجهاد الاصغر وقوله او نفس اى وهو الجهاد الاكبر وذلك لان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم والنفس اخته ولا تغيب عن الانسان ابدا وهى خفية تظهر المحبة لصاحبها بخلاف العدو من الكفار وايضا اذا قتله الكافر مات شهيدا واما اذا قتلته نفسه فاما عاص او كافر فلا شك ان جهاد النفس اكبر من جهاد الكفار ولذا ورد فى الحديث انه قال بعد رجوعه من الجهاد رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يارسول الله واى جهاد اكبر من هذا قال جهاد النفس والشيطان (قوله فانما يجاهد لنفسه) اى فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فالفضل له فى توفيقكم لعبادته فالحصر اضافى فلا ينافى انه ينتفع غيره بجهاده كما ينتفع الآباء بصلاح الاولاد فالمقصود نفى النفع عن الله لاستحالته عليه (قوله ان الله لغنى عن العالمين) اى فلا يصل له منهم نفع ولا ضر لما فى الحديث القدسي يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيا يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيا (قوله والذين آمنوا الخ) مبتدأ خبره الجملة القسمية وهذا وعد حسن للمتصفين بالايمان (قوله لنكفرن عنهم سيئاتهم) اى لا نؤاخذهم بها وهذا ظاهر فى غير المعصومين واما المعصومون فلا سيئات لهم فما معنى تكفيرها أجيب بان الكلام على الفرض والتقدير بمعنى انه لو وجدت منهم سيئات تكفرا والمراد بالسيئات خلاف الاولى على حسب مقامهم ومن هنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله بمعنى حسن) اى فاسم التفضيل ليس على بابه لانه يوهم انهم يجازون على الاحسن لا على الحسن وقد يقال المراد بالاحسن الثواب الواقع فى مقابلة الاعمال الصالحة فالمعنى عليه حينئذ نضاعف لهم الثواب فى نظير اعمالهم الصالحة فتامل (قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا) سبب نزولها هى وآية لقمان والاحقاف ان سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين الى الاسلام لما أسلم آلت أمه حمنة بنت أبى سفيان أن لا تاكل ولا تشرب ولا تستظل بسقف حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد فابى سعد ان يطيعها فصبرت ثلاثة ايام لا تاكل ولا تشرب ولا تستظل حتى غشى عليها فاتاها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم فان شئت فكلى وان شئت فلا تاكلى فلما رأت ذلك أكلت فنزلت الآية بالوصية عليها وانما أمر الله الاولاد ببر والديهم دون العكس لان الاولاد جبلوا على القسوة وعدم طاعة الوالدين فكلفهم الله بما يخالف طبعهم والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالاولاد فوكلهم الله لما جبلوا عليه (قوله اى ايصاء ذا حسن) اشار بذلك الى ان حسنا صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف و يصح ان يبقى على مصدريته مبالغة على حد زيد عدل (قوله بان يبرهما) اى يحسن اليهما واوجه البر كثيرة جدا منها لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما فى غير معاصى الله وغير ذلك (قوله وان جاهداك لتشرك بى)

الذى (يحكمونه) حكمهم هذا (من كان يرجوا) يخاف (لقاء الله فان اجل الله) به (لآت) فليستعد له (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بافعالهم (ومن جاهد) جهاد حرب او نفس (فانما يجاهد لنفسه) فان منفعة جهاده له لا لله (ان الله لغنى عن العالمين) الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) بعمل الصالحات (ولنجزينهم احسن) بمعنى حسن ونصبه بنزع الخافض الباء (الذى كانوا يعملون) وهو الصالحات (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) اى ايصاء ذا حسن بان يبرهما (وان جاهداك لتشرك بى

مالیس لك به) باشراكه (علم) موافقة للواقع فلامفهوم له (فلاتطعهما) فی الاشراك (الی مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) فاجازیكم به (والذین آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فی الصالحین) الانبیاء والاولیاء بان نحشرهم معهم (ومن الناس من یقول آمنا بالله فاذا اوذی فی الله جعل فتنة الناس) أی اذاهم له (كعذاب الله) فی الخوف منه فیطیعهم فینافق (ولئن) لام قسم (جاء نصر) للمؤمنین (من ربك) فغنموا (لیقولن) حذف منه نون الرفع لتوالی النونات والواو ضمیر الجمع لالتقاء الساكنین (انا كنا معكم) فی الایمان فاشركونا فی الغنیمة قال تعالی (اولیس الله باعلم) ای بعالم (بما فی صدور العالمین) قلوبهم من الایمان والنفاق بلی (ولیعلمن الله الذین آمنوا) بقلوبهم (ولیعلمن المنافقین) فیجازی الفریقین واللام فی العلمین لام قسم (وقال الذین كفروا للذین آمنوا اتبعوا سبیلنا) دیننا (ولنحمل خطایاكم) فی اتباعنا ان كانت والامر بمعنی الخبر قال تعالی (وماهم بحاملین من خطایاهم من شیء انهم لكاذبون) فی ذلك (ولیحملن اثقالهم) اوزارهم (واثقالا مع اثقالهم) بقولهم للمؤمنین اتبعوا سبیلنا واضلالهم مقلدیهم (ولیسئلن یوم القیامة عما كانوا یفترون)

اتی هنا باللام وفی لقمان بعلی حیث قال وان جاهداك علی ان تشرك بی لان ماهنا موافق لما قبله فی قوله ومن جاهد فانما یجاهد لنفسه ومافی لقمان ضمن جاهداك معنی حملاك (قوله مالیس لك به علم) مامفعول تشرك أی الهاً لاعلم لك به (قوله موافقة للواقع) علة لمحذوف تقدیره ذكر هذا القید موافقة للواقع ای ان الواقع ان الاله واحد فلیس اله لك به علم واله لاعلم لك به وأما الاصنام فاشراكها مع الله فی العبادة هزؤ وسخافة عقل اذلو تامل الكافر ادنی تامل ماعلم الها غیر الله ولاظنه ولاتوهمه (قوله الی مرجعكم) فیه وعد حسن لمن بر والدیه واتبع الهدی ووعید لمن عق والدیه واتبع سبیل الردی (قوله بما كنتم تعملون) ای بالصالح والسیء فیترتب علی كل جزاؤه (قوله والذین آمنوا الخ) الذین اسم موصول مبتدأ وآمنوا صلته وقوله لندخلنهم الی الخ خبره (قوله بان نحشرهم معهم) أی یوم القیامة بل ویجتمعون بهم فی البرزخ فاذا مات المؤمن الصالح اجتمعت روحه بمن احب من الانبیاء والاولیاء حتی تقوم القیامة فحینئذ یكون مرافقا لهم فی الدرجات العالیة قال تعالی ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سیئاتكم وندخلكم مدخلا كریما (قوله ومن الناس من یقول آمنا بالله الخ) لما بین حال المؤمنین والكافرین فیما تقدم بین هنا حال المنافقین وهم من اظهروا الاسلام واخفوا الكفر ومن الناس خبر مقدم ومن یقول مبتدأ مؤخر وقوله آمنا بالله الخ مقول القول (قوله فاذا أوذی فی الله) أی آذاه الكفار علی اظهار الایمان (قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أی لم یصبر علی الاذی بل ترك الدین الحق والتشبیه من حیث ان عذاب الله مانع للمؤمنین من الكفر فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعا لهم من الایمان وكان یمكنهم الصبر علی الاذی الی حد الاكراه وتكون قلوبهم مطمئنة بالایمان (قوله فیطیعهم) أی ظاهرا وباطنا وأما المكره فقد اطاع ظاهرا لاباطنا والمؤاخذة مرجعها للقلب (قوله والواو الخ) عطف علی نون الرفع مسلط علیه قوله حذف منه (قوله لالتقاء الساكنین) أی ولوجود الضمة دلیلا علیها (قوله انا كنا معكم فی الایمان) أی وان الذی وقع منا انما هو علی سبیل الاكراه (قوله أی بعالم) أشار بذلك الی أن التفضیل فی صفات الله واسمائه لیس مرادا (قوله ولیعلمن الله الذین آمنوا الخ) أی لیظهر متعلق علمه للناس فیفتضح المنافق ویظهر شرف المؤمن الخالص (قوله ان كانت) أی علی فرض حصولها والا فهم لیسوا مسلمین ان فی اتباعهم خطایا (قوله والامر بمعنی الخبر) أی فالمعنی لیكن منكم الاتباع ومنا الحمل (قوله واثقالا مع اثقالهم) أی لان الدال علی الشر كفاعله من غیر أن ینقص من وزر الاتباع شیء (قوله عما كانوا یفترون) ای یختلقون من الاباطیل التی من جملتها قولهم اتبعوا سبیلنا الخ (قوله ولقد ارسلنا نوحا الخ) لما قدم سبحانه وتعالی تكالیف هذه الامة وبین أن من أطاع فله الجنة ومن عصی فله النار بین هنا ان هذه التكالیف لیست مختصة بهذه الامة بل من قبلهم كانوا كذلك وتقدم ان نوحا اسمه عبد الغفار وقیل یشكر وكان یسمی السكن لان الناس بعد آدم سكنوا الیه فهو ابوهم ولقب بنوح لكثرة نوحه علی قومه وقیل علی خطیئته لماروی انه مر بكلب فقال فی نفسه ما اقبحه فاوحی الله الیه أعبتنی أم أعبت الكلب اخلق أنت أحسن منه ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادریس بن برد بن اهلیل بن قینان بن نوش ابن شیث بن آدم علیه السلام (قوله وعمره أربعون سنة او اكثر) تقدم انه اختلف فی الاكثر فقیل بعث علی رأس خمسین وقیل مائتین وخمسین وقیل مائة سنة وقیل غیر ذلك (قوله فلبث فیهم الف سنة الخ) الحكمة

یكذبون علی الله سؤال توبیخ واللام فی العلمین لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع (ولقد ارسلنا نوحا الی قومه) وعمره اربعون سنة او اكثر (فلبث فیهم الف سنة الا خمسین عاما) یدعوهم الی توحید الله (فكذبوه فاخذهم الطوفان) أی الماء الكثیر

طاف بهم وعلاهم فغرقوا (وهم ظالمون) مشركون (فانجيناه) اى نوحا (وأصحاب السفينة) اى الذين كانوا معه فيها (وجعلناها آية) عبرة (للعالمين) لمن بعدهم من الناس ان عصوا رسلهم وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس (و) اذكر (ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) خافوا عقابه (١٩٤) (ذلكم خير لكم) مما أنتم عليه من عبادة الاصنام (ان كنتم تعلمون) الخير من غيره (انما تعبدون من دون الله) اى غيره (أوثانا وتخلقون افكا) تقولون كذبا ان الاوثان شركاء لله (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يقدرون ان يرزقوكم (فابتغوا عند الله الرزق) اطلبوه منه (واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا) اى تكذبونى يا أهل مكة (فقد كذب امم من قبلكم) من قبلى (وما على الرسول الا البلاغ المبين) الا بلاغ البين فى هاتين القصتين تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وقال تعالى فى قومه (اولم يروا) بالياء والتاء ينظروا (كيف يبدئ الله الخلق) هو بضم أوله وقرئ بفتحه من بدأ وأبدأ بمعنى اى يخلقهم ابتداء (ثم) هو (يعيده) الخلق كما بدأهم (ان ذلك) المذكور من الخلق الاول والثانى (على الله يسير) فكيف ينكرون الثانى (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) لمن كان قبلكم وأمهاتهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) مدا وقصرا مع سكون الشين (ان الله على كل شيء قدير) ومنه البدء والاعادة (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (واليه تقلبون) ترددون (وما أنتم بمعجزين) ربكم عن ادراككم (فى الارض ولا فى السماء) لو كنتم فيها اى لا تفوتونه (وما لكم من دون الله) اى غيره (من ولى) يمنعكم منه (ولا نصير) ينصركم من عذابه (والذين كفروا بآيات الله ولقائه) اى القرآن والبعث

فى ذكر لبثه هذه المدة تسليته صلى الله عليه وسلم على عدم دخول الكفار فى الاسلام فكان الله يقول لنبيه لا تحزن فان نوحا لبث هذا العدد الكثير ولم يؤمن من قومه الا القليل فصبر وما ضجر فانت أولى بالصبر لقلة مدة مكثك وكثرة من آمن من قومك والحكمة فى المغايرة بين العام والسنة التفنن وخص لفظ العام بالخمسين اشارة الى ان نوحا لما غرقوا استراح وبقى فى زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة (قوله طاف بهم وعلاهم) اى احاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل اربعين ذراعا (قوله الذين كانوا معه فيها) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين أمرأة وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم وقيل غير ذلك (قوله ستين أو أكثر) قيل عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة (قوله وابراهيم) قرأ العامة بالنصب عطف على نوحا أو معمول لمحذوف كما درج عليه المفسر حيث قدر اذكر وقرئ شذوذا بالرفع على انه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين ابراهيم (قوله اعبدوا الله) اى امتثلوا ما يامركم به على لسان نبيكم (قوله واتقوه) اى اجتنبوا نواهيه (قوله ذلكم) اى ما ذكر من العبادة والتقوى (قوله خير لكم مما أنتم عليه الخ) اى فى زعمكم ان فيه خيرا والاحسن ان يقال ذلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجلة (قوله الخير) اى وهو عبادة الله وقوله من غيره اى وهو عبادة غيره (قوله أوثانا) جمع وثن وهو ما يصنع من حجر وغيره ليتخذ معبودا (قوله وتخلقون افكا) اى تختلقونه وتخترعونه (قوله لا يملكون لكم رزقا) اى لا يستطيعون ذلك لعجزهم وعدم قدرتهم عليه (قوله فاطلبوه منه) اى ولا تطلبوه من غيره لانه تكفل لكل دابة برزقها قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها (قوله واعبدوه واشكروا له) اى لان بالشكر تزداد النعم قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (قوله اليه ترجعون) اى ترددون فيثيب الطائع ويعذب العاصى (قوله وان تكذبوا) شرط حذف جوابه تقديره فلا يضرنى تكذيبكم وانما تضرون أنفسكم وقوله فقد كذب امم من قبلكم دليل الجواب ومن هنا قوله فما كان جواب قومه جمل معترضة بين كلام ابراهيم وجواب قومه له اشارة الى ان المقصود بالخطاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من قبلى) من اسم موصول مفعول كذب والمعنى فلم يضر الرسل تكذيب قومهم لهم (قوله فى هاتين القصتين) اى قصة نوح وابراهيم (قوله وقد قال تعالى) اى ردا على منكرى البعث (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كيف يبدئ الله الخلق) لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر وهذه الاصول الثلاثة يجب الايمان بها ولا ينفك بعضها عن بعض (قوله وقرئ بفتحه) اى شذوذا (قوله من بدأ وابدأ) اف ونشر مشوش (قوله ثم هو يعيده) قدر الضمير اشارة الى ان الجملة ليست معطوفة على ما قبلها بل هى مستانفة (قوله قل سيروا فى الارض) أمر من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بان يقول لمنكرى البعث ماذكر ليشاهدوا كيف انشأ الله جميع الكائنات ومن قدر على انشائها بدأ يقدر على اعادتها (قوله مع سكون الشين) راجع للقصر والقراءتان سبعيتان (قوله يعذب من يشاء) اى فى الدنيا والآخرة وقوله ويرحم من يشاء اى فيهما فلا يسال عما يفعل (قوله لو كنتم فيها) اشار بذلك الى ان المراد بالارض والسماء حقيقتهما ويصح ان يراد بهما جهة السفل والعلو (قوله اى القرآن والبعث)

(اولئك يئسوا من رحمتى) اى جنتى (واولئك لهم عذاب اليم) ثم قال تعالى فى قصة ابراهيم (فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه اوحرقوه فانجاه الله من النار) التى قذفوه فيها بان جعلها عليه بردا وسلاما (ان فى ذلك) اى انجائه منها (لآيات) هى عدم تاثيرها فيه مع عظمها واحمادها وانشاء روض مكانها فى زمن يسير (لقوم يؤمنون) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لانهم المنتفعون بها (وقال) ابراهيم (انما اتخذتم من دون الله أوثانا) تعبدونها وما مصدرية (مودة بينكم) خبر ان وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة المعنى توادد تم على عبادتها (فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ القادة من الاتباع (ويلعن بعضكم بعضا) يلعن الاتباع القادة (وماواكم) مصيركم جميعا (النار وما لكم من ناصرين) مانعين منها (فآمن له) صدق بابراهيم (لوط) وهو ابن أخيه هاران (وقال) ابراهيم (انى مهاجر) من قومى (الى ربى) أى الى حيث أمرنى ربى وهجر قومه وهاجر من سواد العراق الى الشام (انه هو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ووهبنا له) بعد اسمعيل (اسحق و يعقوب) بعد اسحق (وجعلنا فى ذريته النبوة) فكل الانبياء بعد ابراهيم من ذريته (والكتاب) يعنى الكتب اى التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وآتيناه اجره فى الدنيا) وهو الثناء الحسن فى كل اهل الاديان

لف ونشر مرتب فالاول راجع للآيات والثانى راجع للقاء (قوله أولئك يئسوا من رحمتى) أى يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه الخ) أى لم يكن جواب قوم ابراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وترك ماهم عليه من عبادة الاوثان جزاء لما صدر منه من النصيحة الا ذلك فان النفس الخبيثة أبت أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم لان الشان ان الآمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار والذى يتولى ذلك الصغار وانما أجابوا بذلك عنادا بعد ظهور الحجة منه (قوله أوحرقوه) أتى هنا بالتردد واقتصر فى الانبياء على أحد الامرين وهو الذى فعلوه اشارة الى ان ماهنا حكاية عن أصل تشاورهم وما فى الانبياء عن عزمهم وتصميمهم على ما فعلوه (قوله فانجاه الله من النار) فى الكلام حذف والتقدير فقذفوه فى النار فانجاه الله الخ والى هذا أشار المفسر بقوله التى قذفوه فيها (قوله هى) أى الآيات (قوله واحمادها) أى سكون لهبها مع بقاء جمرها وأما الاحماد فهو طفء النار بالمرة (قوله فى زمن يسير) أى مقدار طرفة عين (قوله لانهم المنتفعون) علة لمحذوف والتقدير خصوصا بالذكر لانهم الخ (قوله وقال ابراهيم) عطف على قوله فانجاه الله من النار (قوله انما اتخذتم من دون الله أوثانا) ان حرف توكيد ونصب وما مصدرية واتخذتم صلتها مسبوكة بمصدر اسم ان وأوثانا مفعول أول والمفعول الثانى محذوف قدره المفسر بقوله تعبدونها ومودة خبر ان ومن دون الله حال من أوثانا وهذا على قراءة الرفع وقوله وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة أى سواء قرئ بتنوين مودة ونصب بينكم أو بعدم التنوين وخفض بينكم واتخذ اما متعد لواحد أو لاثنين والثانى هو قوله من دون الله ويصح أن تكون ما اسما موصولا واتخذتم صلته والعائد محذوف والتقدير ان الذى اتخذتموه من دون الله أوثانا تعبدونها لاجل المودة بينكم ونقل عن عاصم انه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم وخرجت على اضافة مودة للظرف وبنى لاضافته لغير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح اذا جعل بينكم فاعلا فتحصل أن القراآت أربع الرفع مع جر بين وفتحها والنصب مع جر بين وفتحها وكلها سبعى (قوله المعنى) أى الحاصل من تلك القراآت (قوله يتبرأ القادة) اى ينكرونهم و يقولون لهم لا نعرفكم (قوله صدق بابراهيم) اى بنبوته وان كان مؤمنا قبل ذلك و يجب الوقف على لوط لان قوله وقال انى مهاجر من كلام ابراهيم فلو وصل لتوهم انه من كلام لوط (قوله اى الى حيث امرنى ربى) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر اللفظ اثبات الجهة له سبحانه وتعالى (قوله وهاجر من سواد العراق) اى فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن اخيه ثم انتقل منها فنزل بفلسطين ونزل لوط بسذوم وكان عمر ابراهيم اذ ذاك خمسا وسبعين سنة (قوله ووهبنا له) اى بعد هجرته (قوله بعد اسمعيل) اى باربع عشرة سنة (قوله فى ذريته) اى ابراهيم (قوله فكل الانبياء بعد ابراهيم من ذريته) اى لانحصار الانبياء فى اسمعيل واسحق ومدين جد شعيب (قوله وهو الثناء الحسن فى كل اهل الاديان) اى جميع اهل الاديان يحبونه و يذكرونه بخير و ينتمون اليه (قوله لمن الصالحين) اى الكاملين فى الصلاح (قوله ولوطا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله لقومه) اى اهل سذوم وتوابعها (قوله وادخال الف بينهما) اى وعدمه فالقراآت اربع سبعيات (قوله الانس والجن) اى من عبد آدم الى قوم لوط (قوله بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم) قيل انهم كانوا يجلسون فى

(وانه فى الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلا (و) اذكر (لوطا اذ قال لقومه انكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين فى الموضعين (لتاتون الفاحشة) اى ادبار الرجال (ما سبقكم بها من احد من العالمين) الانس والجن (انكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس المرور بكم (وتاتون فى ناديكم) اى متحدثكم (المنكر)

فعل الفاحشة بعضكم ببعض (فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى استقباح ذلك وان العذاب نازل بفاعليه (قال رب انصرنى) بتحقيق قولى فى انزال العذاب (على القوم المفسدين) العاصين بانيان الرجال فاستجاب الله دعاءه (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) (١٩٦) باسحق و يعقوب بعده (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) اى قرية لوط (ان أهلها كانوا ظالمين) كافرين (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا قالوا) اى الرسل (نحن أعلم بمن فيها لننجينه) بالتخفيف والتشديد (واهله الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب (ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) حزن بسببهم (وضاق بهم ذرعا) صدرا لانهم حسان الوجوه فى صورة أضياف فخاف عليهم قومه فاعلموه أنهم رسل ربه (وقالو لا تخف ولا تحزن انا منجوك) بالتشديد والتخفيف (وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) ونصب أهلك عطف على محل الكاف (انا منزلون) بالتخفيف والتشديد (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما) بالفعل الذى (كانوا يفسقون) به اى بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) ظاهرة هى آثار خرابها (لقوم يعقلون) يتدبرون (و) أرسلنا (الى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أخشوه هو

مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فيهم أصابه كان أولى به فياخذ ما معه وينكحه و يغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (قوله فعل الفاحشة) اى والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح (قوله الا ان قالوا ائتنا الخ) اى على سبيل الاستهزاء (قوله باتيان الرجال) اى وفعل بقية الفواحش (قوله فاستجاب الله دعاءه) اى فامر الملائكة باهلاكهم وارسلهم مبشرين ومنذرين فبشروا ابراهيم بالذرية الطيبة وانذروا قوم لوط بالعذاب (قوله باسحق و يعقوب) أى و بهلاك قوم لوط (قوله قال ان فيها لوطا) هذا بعض المجادلة التى تقدمت فى قوله يجادلنا فى قوم لوط حيث قال لهم اتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا الى ان قال أفرأيتم ان كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الباقين فى العذاب) اى الذين لم يخلصوا منه لان الدال على الشر كفاعله وهى قد دلت القوم على أضياف لوط فصارت واحدة منهم بسبب ذلك (قوله ولما ان جاءت) ان زائدة للتوكيد (قوله حزن بسببهم) أشار بذلك الى ان الباء فى بهم سببية (قوله ذرعا) تمييز محول عن الفاعل اى ضاق ذرعه وقوله صدرا تفسير لحاصل المعنى والا فالذرع معناه الطاقة والقوة (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على محل الكاف) اى وهو النصب على انها مفعول منجو (قوله عذابا) قيل هو حجارة وقيل نار وقيل خسف وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء (قوله هى آثار خرابها) وقيل هى الحجارة التى أهلكوا بها ابقاها الله عزوجل حتى أدركتها اوائل هذه الامة وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجه الارض (قوله لقوم يعقلون) متعلق بتركنا او ببينة وخصهم لانهم المنتفعون بالاتعاظ بها (قوله والى مدين) متعلق بمحذوف معطوف على أرسلنا فى قصة نوح (قوله أخاهم شعيبا) اى لانه من ذرية مدين بن ابراهيم الذى هو أبو القبيلة فكما هو منسوب لمدين هم كذلك (قوله اعبدوا الله) اى وحده (قوله وارجوا اليوم) يصح ان يبقى الرجاء على معناه و يكون المعنى ارجوا رحمة الله فى اليوم الآخر و يصح ان يكون بمعنى خافوا والمعنى خافوا عقاب الله فى اليوم الآخر واليه يشير المفسر بقوله اخشوه (قوله من عثى بكسر المثلثة) اى من باب تعب و يصح ان يكون من باب قال (قوله فكذبوه) ان قلت مقتضى الظاهر ان يقال فلم يمتثلوا أوامره لان التكذيب انما يكون فى الاخبار أجيب بان ما ذكره من الامر والنهى متضمن للخبر كانه قيل الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فاجتنبوه فالتكذيب راجع الى الاخبار (قوله فاخذتهم الرجفة) اى الزلزلة التى نشات من صيحة جبريل عليهم وتقدم فى هود فاخذتهم الصيحة ولا منافاة بين الموضعين فان سبب الرجفة الصيحة والرجفة سبب فى هلاكهم فتارة يضاف الاخذ للسبب وتارة لسبب السبب (قوله بالصرف وتركه) راجع لثمود فقط وقوله بمعنى الحى والقبيلة لف ونشر مرتب فكونه بمعنى الحى يكون اسم جنس لم توجد فيه العلمية التى هى احدى علتى منع الصرف وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبى القبيلة فقد وجدت فيه العلتان (قوله اهلاكهم) أشار بذلك الى ان فاعل تبين ضمير عائد على الاهلاك (قوله بالحجر) راجع لثمود وهو واد بين الشام والمدينة وقوله واليمن راجع لعاد

يوم القيامة (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة افسد (فكذبوه فاخذتهم الرجفة) الزلزلة (قو) الشديدة (فاصبحوا فى دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (و) أهلكنا (عادا وثمودا) بالصرف وتركه بمعنى الحى والقبيلة وقد (تبين لكم) اهلاكهم (من مساكنهم) بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصى (فصدهم عن السبيل) سبيل الحق

(وكانوا مستبصرين) ذوى بصائر (و) اهلكنا (قارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم) من قبل (موسى بالبينات) الحجج الظاهرات (فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) فائتين عذابنا (فكلا) من المذكورين

(قوله وكانوا مستبصرين) أى بواسطة الرسل فلم يكن لهم عذر فى ذلك لان الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة (قوله ذوى بصائر) أى عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا تكبرا وعنادا (قوله وقارون) قدمه على فرعون لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى (قوله وهامان) هو وزير فرعون (قوله فاستكبروا) أى تكبروا عن عبادة الله (قوله بذنبه) الباء سببية أى بسبب ذنبه (قوله وما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم فى رعيته وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لا يكون ظالما لانه الخالق المتصرف فى ملكه على ما يريد (قوله يرجون نفعها) هذا هو وجه الشبه اى فمثل الذين اتخذوا من دون الله اصناما يعبدونها فى اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها كمثل العنكبوت فى اتخاذها بيتا لا يغنى عنها فى حر ولا برد ولا مطر ولا أذى وحمل المفسر الاولياء على الاصنام مخرج للاولياء بمعنى المتولين فى خدمة ربهم فان اتخاذهم بمعنى التبرك بهم والالتجاء لهم والتعلق باذيالهم مامور به وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم خلافا لمن جهل وعاند وزعم ان التبرك بهم شرك (قوله كمثل العنكبوت) هو حيوان معروف له ثمانية أرجل وستة أعين يقال انه اقنع الحيوانات جعل الله رزقه احرص الحيوان وهو الذباب والبق ونونه اصلية والواو والتاء زائدتان بدليل قولهم فى الجمع عناكب وفى التصغير عنيكب (قوله وان اوهن البيوت) الجملة حالية (قوله كذلك الاصنام لا تنفع عابديها) اى فمن التجا لغير الله فلا ينفعه شئ ومن التجا لله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف ومن هنا وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار حين نزل الغار بالعنكبوت وبيض الحمام مع كونهما أضعف الاشياء (قوله ماعبدوها) قدره اشارة الى ان جواب لو محذوف (قوله بمعنى الذى) اشار بذلك الى ان ما اسم موصول وجملة يدعون صلتها والموصول وصلته مسمول ليعلم (قوله اى يفهمها) اى يفهم صحتها وفائدتها (قوله الا العالمون) خصهم لانهم المنتفعون بذلك وأما الكافرون فيزدادون طغيانا وعتوا (قوله محقا) اشار بذلك الى ان الباء فى بالحق للملابسة والجار والمجرور حال (قوله خصوا بالذكر) جواب عما يقال ان فى خلق السموات والارض آية لكل عاقل (قوله اتل ما أوحى اليك) أى ما اوحاه الله اليك بنزول جبريل به والمعنى تقرب الى الله بتلاوته وترداده أنت وأمتك لان فيه محاسن الآداب ومكارم الاخلاق (قوله من الكتاب) بيان لما (قوله واقم الصلاة) اى دم على اقامتها باركانها وشروطها وآدابها فانها عماد الدين من اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين والخطاب للنبى والمراد هو وأمته بدليل مدحهم فى آية ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور الآية (قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) اى المواظبة عليها تكون سببا فى تطهيره من الفحشاء والمنكر اذا استوفيت شروطها وآدابها لان الواجب حين الاقبال على الصلاة التطهر من الحدث الحسى والمعنوى وتجديد التوبة فاذا وقف بين يدى الله وخشع وتذكر انه واقف بين يدى مولاه وانه مطلع عليه يراه فحينئذ يظهر على جوارحه هيئتها وقوله مادام المرء فيها هذا احد قولين والقول الصحيح انها تنهى عنها فى سائر الاوقات لما روى ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه فوصف للنبى صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله وروى عن بعض السلف انه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم فى ذلك فقال انى واقف بين يدى الله تعالى وحق لى هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك وأما من كانت صلاته بخلاف ذلك بان كانت لا خشوع فيها ولا تذكر فيها

(اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) ريحا عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (ومنهم من اخذته الصيحة) كثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) فيعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) أى أصناما يرجون نفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تاوى اليه (وان اوهن) أضعف (البيوت لبيت العنكبوت) لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاصنام لا تنفع عابديها (لو كانوا يعلمون) ذلك ما عبدوها (ان الله يعلم ما) بمعنى الذى (يدعون) يعبدون بالياء والتاء (من دونه) غيره (من شئ وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (وتلك الامثال) فى القرآن (نضربها) نجعلها (للناس وما يعلمها) اى يفهمها (الا العالمون) المتدبرون (خلق الله السموات والارض بالحق)

اى محقا (ان فى ذلك لآية) دلالة على قدرته تعالى (للمؤمنين) خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها فى الايمان بخلاف الكافرين (اتل ما اوحى اليك من الكتاب) القرآن (واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) شرعا اى من شانها ذلك مادام المرء فيها

لا تكون سببا فى نهيه عن الفحشاء والمنكر بل يستمر على ما هو عليه من البعد لما ورد من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا (قوله ولذكر الله) اى بسائر انواعه اكبر اى أفضل الطاعات على الاطلاق لما روى عن ابى الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخير اعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يارسول الله ومن الغازى فى سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويخضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة فالذكر افضل الاعمال وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ولذا ورد عن الجنيد انه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه فيلقنهم الذكر ويامرهم بالاكثار منه فتنور قلوبهم (قوله والله يعلم ما تصنعون) اى من خير وشر فيجازيكم عليه (قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى احسن) اى لا تدعوهم الى دين الله الا بالكلام اللين والمعروف والاحسان لعلهم يهتدون وقوله الا الذين ظلموا أى فادعوهم الى دين الله بالاغلاظ والشدة وقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهذه الآية بمعنى قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وعلى هذا التقرير فالآية محكمة وهو التحقيق (قوله بان جاروا الخ) اشار بذلك الى ان المراد بالظلم الامتناع مما يلزمهم شرعا فلا يقال ان الكل ظالمون لانهم كفار (قوله او يعطوا الجزية) اى يلتزموا باعطائها (قوله وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم) اى لما روى انه كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم الآية وفى رواية وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم ومحل ذلك مالم يتعرضوا لامور توجب نقض عهدهم كان يظهروا ان شرعهم غير منسوخ وان نبينا غير صادق فيما جاء به وغير ذلك فحينئذ نقاتلهم ومحله ايضا مالم يخبرونا بخبر موافق لما فى كتابنا والا فيجب تصديقهم من حيث ان الله اخبرنا به (قوله فالذين آتيناهم الكتاب) اى نفعناهم به بان اعطيناهم نهره وظهرت ثمرته عليهم هم الذين يؤمنون به والا فجميع علمائهم اوتوا الكتاب ولم يسلم منهم الا القليل ويصح ان يكون المراد فريق من اهل الكتاب الخ (قوله ومايجحد بآياتنا) اى ينكرها بعد معرفتها (قوله اى اليهود) لا مفهوم له بل النصارى والمشركون كذلك فالمناسب ان يقول الا الكافرون كاليهود (قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) شروع فى اثبات الدليل على ان القرآن من عند الله وانه معجز للبشر كان الله يقول لاهل الكتاب انتم لا عذر لكم فى انكار القرآن ولا فى تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لان من جملة صفاته فى كتبهم انه امى لا يقرأ ولا يكتب ووجد بهذه الصفة فلو فرض انه كان يكتب أو يقرأ لحصل لهم الشك فى نبوته وفى القرآن لوجوده على خلاف الصفة التى فى كتبهم (قوله من كتاب) مفعول تتلوا ومن زائدة (قوله اى لو كنت قارئا كاتبا) لف ونشر مرتب (قوله لليهود) لا مفهوم له (قوله بل هو آيات بينات) اضراب عما تقدم من الارتياب (قوله اى المؤمنين يحفظونه) اى لفظا ومعنى لما ورد وجعلت من أمتك اقواما قلوبهم اناجيلهم أى كالاناجيل والمعنى ان القرآن محفوظ فى صدورهم وثابت فيها كما كان كتاب النصارى ثابتا فى أناجيلهم

(ولذكر الله اكبر) من غيره المجادلة التى (هى احسن) كالدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه (الا الذين ظلموا منهم) بان حاربوا وابوا ان يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية (وقولوا) لمن قبل الاقرار بالجزية اذا اخبروكم بشىء مما فى كتبهم (آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم فى ذلك (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون (وكذلك انزلنا اليك الكتاب) القرآن كما انزلنا اليهم التوراة وغيرها (فالذين آتيناهم الكتاب) التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يؤمنون به) بالقرآن (ومن هؤلاء) اى اهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا) بعد ظهورها (الا الكافرون) اى اليهود وظهر لهم ان القرآن حق والجائى به محق وجحدوا ذلك (وما كنت تتلوا من قبله) اى القرآن (من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا) اى لو كنت قارئا كاتبا (لارتاب) شك (المبطلون) اليهود فيك وقالوا الذى فى التوراة انه امى لا يقرأ ولا يكتب (بل هو) اى القرآن الذى جئت به (آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم) اى المؤمنين يحفظونه (قوله

(ومايجحد بآياتنا الا الظالمون) اى اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم (وقالوا) اى كفار مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) اى محمد (آية من ربه) وفى قراءة آيات كناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى (قل) لهم (انما الايات عند الله) ينزلها كيف يشاء (وانما انا نذير مبين) مظهر انذارى بالنار لأهل المعصية (اولم يكفهم) فيما طلبوا (انا انزلنا عليك الكتاب) القرآن (يتلى عليهم) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ماذكر من الآيات (ان فى ذلك) الكتاب (لرحمة وذكرى) عظة (لقوم يؤمنون (١٩٩) قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا)

(قوله ومايجحد بآياتنا) اى القرآن (قوله اليهود) تقدم مافيه (قوله وفى قراءة آيات) اى وهما سبعيتان (قوله ينزلها كيف يشاء) اى على مايريد ولا دخل لاحد فى ذلك لان المعجزة امر خارق للعادة يأتى بفضل الله (قوله أولم يكفهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه التقدير اجهلوا ولم يكفهم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله انا انزلنا) ان ومادخلت عليه فى تاويل مصدر فاعل يكف والتقدير أولم يكفهم انزالنا (قوله مستمرة لا انقضاء لها) اخذ ذلك من قوله يتلى عليهم (قوله بخلاف ماذكر من الآيات) اى فانقضت بموت الرسل (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانهم هم المنتفعون بذلك (قوله ومنه حالى وحالكم) اى من جملة مافى السموات والارض (قوله والذين آمنوا بالباطل) اى خضعوا له وعبدوه (قوله حيث اشتروا الكفر بالايمان) اى اخذوا الكفر وتركوا الايمان (قوله ولولا اجل مسمى له) اى للعذاب (قوله وليأتينهم بغتة) اى كوقعة بدر فانها اتتهم على حين غفلة (قوله وهم لا يشعرون) اى لا يظنون ان العذاب يأتيهم اصلا (قوله ويستعجلونك بالعذاب) تعجب من قلة فطنتهم ومن تعنتهم والمعنى كيف يستعجلون العذاب والحال ان جهنم محيطة بهم يوم القيامة لا مفر لهم منها (قوله يوم يغشاهم العذاب) ظرف لقوله محيطة والمعنى على الاستقبال اى ستحيط بهم فى ذلك اليوم (قوله من فوقهم ومن تحت ارجلهم) تفسير للاحاطة وهو بمعنى قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش (قوله اى نامر بالقول) انما اوله بهذا بين ماهنا وبين قوله فى الاخرى لا يكلمهم الله يوم القيامة (قوله اى جزاءه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله ياعبادى الذين آمنوا) خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من اظهار الاسلام فى مكة كما قال المفسر والاضافة لتشريف المضاف (قوله فاياى فاعبدون) اياى منصوب بفعل محذوف دل عليه المذكور (قوله كانوا فى ضيق الخ) اى فوسع الله لهم الامر والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فمن تعسرت عليه العبادة فى بلده فعليه ان يهاجر منها لبلد تتيسر له فيها لقوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون فالمهم العبادة فى اى مكان تيسر ولا يعول على مكان فى الدنيا لانها دار ممر لا مقر والمار فى طريق لا يعول على مسكن ولا قرار فى طريقه (قوله كل نفس ذائقة الموت) اى لا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت فان كل نفس ذائقة الموت فالحكمة فى تحويفهم من الموت كون مفارقة الاوطان تهون عليهم فان من ايقن بالموت هان عليه كل شىء فى الدنيا (قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما ذكر احوال الكفار وما آل اليه امرهم أتبعه بذكر احوال المؤمنين وما آل اليه امرهم (قوله وفى قراءة بالمثلثة) اى الساكنة بعد النون وبعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة وغرفا على هذه القراءة اما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر أو مفعول به بتضمين ثوى معنى نزل فيتعدى لاثنين (قوله تجرى من تحتها) اى الغرف (قوله مقدرين الخلود فيها) اشار بذلك الى ان قوله خالدين فيها حال مقدرة اى انهم حين الدخول يقدرون الخلود لانه اتم فى النعيم لسماعهم النداء من قبل الله يا أهل الجنة خلود بلا موت (قوله هذا الاجر) اشار بذلك الى ان المخصوص بالمدح محذوف وقوله الذين صبروا نعت للعاملين أو خبر لمحذوف كما قال المفسر (قوله لاظهار الدين) متعلق بالهجرة (قوله وكاين من دابة الخ تحمل رزقها)

(قوله بصدقى (يعلم ما فى السموات والارض) ومنه حالى وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (اولئك هم الخاسرون) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى) له (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون) بوقت اتيانه (يستعجلونك بالعذاب) فى الدنيا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول) فيه بالنون اى نامر بالقول وبالياء اى يقول الموكل بالعذاب (ذوقوا ما كنتم تعملون) اى جزاءه فلا تفوتونا (ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون) فى اى ارض تيسرت فيها العبادة بان تهاجروا اليها من ارض لم تتيسر فيها * نزل فى ضعفاء مسلمى مكة كانوا فى ضيق من اظهار الاسلام بها (كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون) بالتاء والياء بعد البعث (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) ننزلهم وفى قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء الاقامة وتعديته الى غرفا بحذف فى (من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين) مقدرين الخلود فيها (نعم اجر العاملين) هذا الاجر هم (الذين صبروا) اى على اذى المشركين والهجرة لاظهار الدين (وعلى ربهم يتوكلون) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون (وكاين) كم (من دابة لا تحمل رزقها) اضعفها

(الله يرزقها واياكم) ايها المهاجرون وان لم يكن معكم زاد ولا نفقة (وهو السميع) لاقوالكم (العليم) بضمائركم (ولئن) لام قسم (سالتهم) اى الكفار (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون) يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك (الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء من عباده)

امتحانا (و يقدر) يضيق (له) بعد البسط اى لمن يشاء ابتلاء (ان الله بكل شئ عليم) ومنه محل البسط والتضييق (ولئن) لام قسم (سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله) فكيف يشركون به (قل) لهم (الحمد لله) على ثبوت الحجة عليكم (بل اكثرهم لا يعقلون) تناقضهم فى ذلك (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) واما القرب فمن اعمال الآخرة اظهر ثمرتها فيها (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) بمعنى الحياة (لو كانوا يعلمون) ذلك ما آثروا الدنيا عليها (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) اى الدعاء اى لا يدعون معه غيره لانهم فى شدة لا يكشفها الا هو (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) به (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وفى قراءة بسكون اللام امر تهديد (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك (أولم يروا) يعلموا (انا جعلنا) بلدهم مكة (حرما آمنا و يتخطف الناس من حولهم) قتلا وسبيا دونهم (أفبالباطل)

سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها و يسقينا وقوله لا تحمل رزقها أى لا تدخره لغد كالبهائم والطير قال سفيان بن عيينة ليس شئ من الخلق يخبأ الا الانسان والفارة والنملة (قوله الله يرزقها واياكم) اى فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوى فى امر الرزق بل ذلك بتقديره وسبحانه وتعالى قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين فينبغى للانسان ان يفوض امر الرزق له تعالى ولا ينافى هذا اخذه فى الاسباب لان الله تعالى اوجد الاشياء عند أسبابها لا بها فالاسباب لا تنكر ومن انكرها فقد ضل وخسر (قوله ولئن سالتهم) أى كفار مكة (قوله من خلق السموات والارض الخ) اتى فى جانب السموات والارض بالخلق وفى جانب الشمس والقمر بالتسخير اشارة الى ان الحكمة فى خلقهما التسخير الذى ينشأ عنه الليل والنهار اللذان بهما قوام العالم بخلاف السموات والارض فالنفع فى مجرد خلقهما (قوله فانى يؤفكون) الاستفهام للتوبيخ (قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له) أى فلا تركن لغيره فليس مالكا لضر ولا نفع (قوله فاحيى به) اى النبات الناشئ عن الماء (قوله من بعد موتها) اى جدبها وقحط اهلها (قوله فكيف يشركون به) اى بعد اقرارهم (قوله بل أكثرهم لا يعقلون) أى والا قل يعقل ومن عقل منهم اهتدى وآمن (قوله وما هذه الحياة الدنيا) أشار بذلك الى ان الدنيا حقيرة لا تزن جناح بعوضة فينبغى للعاقل التجافى عنها و ياخذ منها بقدر ما يوصله للآخرة قال بعض العارفين

تامل فى الوجود بعين فكر * ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى * و يبقى وجه ربك ذو الجلال

(قوله الا لهو ولعب) اللهو الاشتغال بما فيه نفع عاجل واللعب الاشتغال بما لا نفع فيه اصلا (قوله وأما القرب) اى كالتوحيد والذكر والعبادة (قوله بمعنى الحياة) أى الدائمة الخالدة التى لا زوال فيها (قوله ما آثروا الدنيا عليها) جواب لو أى ما قدموا الذة الدنيا على الآخرة (قوله فاذا ركبوا فى الفلك الخ) اى وذلك أن الكفار كانوا اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب ودعوا الله مخلصين حالة الكرب (قوله اذا هم يشركون) جواب لما والمعنى عادوا الى شركهم لاجل كفرهم بما أعطاهم الله وتلذذهم باعراض الدنيا فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين (قوله ليكفروا) اللام لام العاقبة والصيرورة وقوله وليتمتعوا عطف عليه (قوله وفى قراءة بسكون اللام) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله امر تهديد) أى فى الفعلين بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله فسوف يعلمون فالحاصل انه اذا سكنت اللام فى الثانى تعين كونها للامر فى الفعلين وان لم تسكن كانت فى الفعلين للعاقبة والصيرورة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أعموا ولم يروا الخ (قوله و يتخطف الناس) الجملة حالية على تقدير المبتدا اى وهم يتخطف الخ (قوله اى لا احد) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) قال المفسرون ان هذه الآية نزلت قبل الامر بالجهاد لكونها مكية وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس

الصنم (يؤمنون و بنعمت الله يكفرون) باشراكهم (ومن) اى لا احد (اظلم ممن افترى على الله كذبا) بان اشرك به (او كذب بالحق) النبى او الكتاب (لما جاءه أليس فى جهنم مثوى) ماوى (للكافرين) اى فيها ذلك وهو منهم (والذين جاهدوا فينا) فى حقنا

To: www.al-mostafa.com

النفس قال الحسن الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وقيل الذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا ما في الحديث من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم (قوله لنهدينهم سبلنا) أي طرق الوصول الى مرضاتنا فالطريق هي العمل بالاحكام الشرعية وثمرتها الحقيقة وهي العلوم والمعارف المشار اليها بقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (قوله لمع المحسنين) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لاظهار شرفهم بوصف الاحسان والمعنى وان الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة فهي معية خاصة واليها الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث

﴿ سورة الروم ﴾

مبتدأ وستون خبر اول ومكية خبر ثان وظاهر المفسر ان كلها مكي وقيل الا قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الآية (قوله الله اعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا اصح التفاسير (قوله غلبت الروم) الروم اسم قبيلة سميت باسم جدها وهو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وسمي عيصو لانه كان مع يعقوب في بطن فعند خروجهما تزاحما واراد كل ان يخرج قبل الآخر فقال عيصو ليعقوب ان لم اخرج قبلك والا خرجت من جنبها فتاخر يعقوب شفقة منه فلهذا كان ابا الانبياء وعيصو ابا الجبارين وسبب نزول هذه الآية انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يدون أن تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريزان وبعث قيصر جيشا وامر عليهم رجلا يدعى بخنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي وقال كذبت فقال له الصديق أنت أكذب ياعدو الله فقال اجعل أجلا أناحبك اي اقامرك واراهنك عليه فراهنه على عشر قلائص منه وعشر قلائص من الآخر فقال ابي ان ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك وان ظهر فارس على الروم غرمت لي ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماهكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فخرج ابو بكر فلقي أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا قال فتعال أزايدك في الخطر واماددك في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين فقال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن الخلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال لا والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم اياها حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فاخذا بو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به الى النبي صلى

لنهدينهم سبلنا) اي طرق السير الينا (وان الله لمع المحسنين) المؤمنين بالنصر والعون

﴿سورة الروم مكية وهي ستون او تسع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله اعلم بمراده بذلك (غلبت الروم)

وهم اهل كتاب غلبتها فارس وليسوا اهل كتاب بل يعبدون الاوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم (فى ادنى الارض) اى اقرب ارض الروم الى فارس بالجزيرة التى فيها الجيشان والبادى بالغزو الفرس (وهم) اى الروم (من بعد غلبهم) اضيف المصدر الى المفعول اى غلبت فارس اياهم (سيغلبون) فارس (فى بضع سنين) هو ما بين الثلاث الى التسع او العشر فالتقى الجيشان فى السنة السابعة من الالتقاء الاول (٢٠٢) وغلبت الروم فارس (لله الامر من قبل ومن بعد) اى من قبل غلب الروم

ومن بعده المعنى ان غلبة فارس اولا وغلبة الروم ثانيا بامر الله اى ارادته (ويومئذ) اى يوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) اياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (ينصر من يشاء وهو العزيز) الغالب (الرحيم) بالمؤمنين (وعد الله) مصدر بدل من اللفظ بفعله والاصل وعدهم الله النصر (لا يخلف الله وعده) به (ولكن اكثر الناس) اى كفار مكة (لا يعلمون) وعده تعالى بنصرهم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) اى معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك (وهم عن الآخرة هم غافلون) اعادة هم تاكيد (اولم يتفكروا فى انفسهم) ليرجعوا عن غفلتهم (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى) لذلك تفنى عندا نتهائه و بعده البعث

الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به (قوله وهم أهل كتاب) أى نصارى فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه وقوله وليسوا أهل الكتاب أى بل هم مجوس فنصرهم علامة على نصر كفار مكة فكل حزب بما لديهم فرحون (قوله بل يعبدون الاوثان) أى التى من جملتها النار (قوله وقالوا للمسلمين الخ) هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة (قوله أقرب أرض الروم) أى فادنى أفعل تفضيل وأل عوض عن المضاف اليه (قوله بالجزيرة) المراد بها ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب (قوله وهم) مبتدأ وجملة سيغلبون خبره (قوله فى بضع سنين) متعلق بيغلبون وهو على حذف مضاف أى فى انتهاء بضع سنين وأبهم البضع لادخال الرعب والخوف عليهم فى كل وقت (قوله فالتقى الجيشان فى السنة السابعة من الالتقاء الاول) أى يوم بدر ان كانت الواقعة الاولى قبل الهجرة بخمس سنين أو يوم الحديبية ان كانت الاولى قبل الهجرة بسنة والمراد بالجيشين جيش كسرى وجيش قيصر ملك الروم فاقبل فى خمسمائة الف رومى الى الفرس وغلبوهم ومات كسرى ملك الفرس (قوله لله الامر) أى لا لغيره (قوله من قبل ومن بعد) القراءة المشهورة ببناء قبل وبعد على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه (قوله أى من قبل غلب الروم) أى من قبل كونهم غالبين وقوله ومن بعده أى من بعد كونهم مغلوبين (قوله المعنى أن غلبة فارس الخ) جواب عما يقال ما فائدة قوله غلبهم بعد قوله غلبت الروم وحاصل الجواب أن فائدته اظهار ان ذلك بامر الله لان شان من غلب بعد كونه مغلوبا ان يكون ضعيفا فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أولا (قوله أى يوم تغلب الروم) أشار بذلك الى ان تنوين يومئذ عوض عن جملة (قوله يفرح المؤمنون بنصر الله) اى فاستبشر المؤمنون بنصر الروم على فارس وعلموا ان الغلبة لهم على كفار مكة (قوله يوم بدر) هذا احد قولين وهو مبنى على ان الواقعة الاولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل يوم الحديبية بناء على ان الاولى قبل الهجرة بسنة (قوله مصدر) اى مؤكد لمضمون الجملة التى تقدمت وعامله محذوف اى وعدهم الله وعدا (قوله به) اى النصر (قوله لا يعلمون) اى لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم (قوله يعلمون) اى الاكثر (قوله ظاهرا من الحياة الدنيا) اى واما باطنا منها وهو كونها مجازا الى الآخرة يتزود فيها بالاعمال الصالحة فليس لهم به علم (قوله اعاده) اى لفظهم (قوله اولم يتفكروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اعموا ولم يتفكروا (قوله الا بالحق) اى بالحكمة لا عبثا (قوله تفنى عندا نتهائه) اى تنعدم السموات والارض وما بينهما عندا نقضاء ذلك الاجل (قوله بلقاء ربهم) متعلق بكافرون واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها فى غير محلها وهو خبر ان (قوله اولم يسيروا فى الارض) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اقعدوا ولم يسيروا والاستفهام للتوبيخ والجملة معطوفة على جملة اولم يتفكروا عطف سبب على مسبب لان السير سبب للتفكر (قوله واثاروا الارض) بالقصر لامة القراء وقرئ شذوذا واثاروا بالف بعد الهمزة (قوله اكثر مما عمروها) نعت لمصدر محذوف اى عمارة اكثر من عمارتهم (قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات) اى فلم يدعنوا لها بل كذبوا

(وان كثيرا من الناس) اى كفار مكة (بلقاء ربهم لكافرون) اى لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم وهى اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (كانوا أشد منهم قوة) كعاد وثمود (واثاروا الارض) بحرثوها وقلبوها للزرع والغرس (وعمروها اكثر مما عمروها) اى كفار مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الظاهرات

(فما كان الله ليظلمهم) باهلاكهم بغير جرم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بتكذيبهم رسلهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى) تانيث الاسوا الاقبح خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب عاقبة والمراد بها جهنم واساءتهم (ان) اى بان (كذبوا بآيات الله) القرآن (وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤا الخلق) أى ينشئ خلق الناس (ثم يعيده) أى خلقهم بعد موتهم (ثم اليه ترجعون) بالتاء والياء (و يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكت المشركون لانقطاع حجتهم (ولم يكن) اى لا يكون (لهم من شركائهم) ممن أشركوهم بالله وهم الاصنام ليشفعوا لهم (شفعاء وكانوا) اى يكونون (بشركائهم كافرين) اى متبرئين منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ) تاكيد (يتفرقون) أى المؤمنون والكافرون (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) جنة (يحبرون) يسرون (واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) القرآن (ولقاء الآخرة) البعث وغيره (فاولئك فى العذاب محضرون فسبحان الله) اى سبحوا الله بمعنى صلوا (حين تمسون) اى تدخلون فى المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء (وحين تصبحون) تدخلون فى الصباح وفيه صلاة الصبح (وله الحمد فى السموات والارض) اعتراض ومعناه يحمده اهلهما

كذبوا بها (قوله وما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم جبار بل معاملة ملك عدل رحيم وعلى فرض أخذهم من غير جرم لا يكون ظالما اذ لا مشارك له فى خلقه ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه ما لا يلزمه (قوله ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى) بيان لعاقبة امرهم اثر بيان حالهم فى الدنيا (قوله خبر كان على رفع عاقبة) اى وعاقبة اسمها وهى مضافة للموصول وأساؤا صلته والسوآى صفة لموصوف محذوف أى الجزاءة السوآى وهى جهنم خبر كان وقوله واسم كان على نصب عاقبة أى فالسوآى اسم كان مؤخر وعاقبة خبر كان مقدم وعلى كل فقوله ان كذبوا خبر لمحذوف تقديره واساءتهم أن كذبوا فهى جملة مستانفة بيان لصلة الموصول فيصح الوقف على السوأى وهذا ما اختاره المفسر من اوجه شتى وهو انورها وذكر الفعل لان اسم كان على كل مجازى التانيث (قوله والمراد بها) أى السوآى (قوله اى بان كذبوا) أشار بذلك الى ان الكلام على تقدير الباء وهى للسببية (قوله الله يبدؤا الخلق) عبر بالمضارع اشارة الى ان البدء متجدد شيا فشيا مادامت الدنيا (قوله اى ينشئ خلق الناس) أى يظهرهم من العدم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله و يوم تقوم الساعة) أى وهو يوم الاعادة (قوله يسكت المشركون) أى عن جواب يدفع عنهم العذاب (قوله اى لا يكون) أشار بذلك الى ان الماضى بمعنى المضارع لان المنفى بلم ماضى المعنى (قوله بشركائهم) متعلق بكافرين (قوله تاكيد) أى لفظى (قوله اى المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله اولا الله يبدؤا الخلق ثم يعيده (قوله فهم فى روضة) الروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة (قوله يحبرون) أى يكرمون و ينعمون بما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين روى ان فى الجنة اشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا (قوله واما الذين كفروا) مقابل قوله فاما الذين آمنوا (قوله وغيره) أى كالجنة والنار (قوله محضرون) اى حاضرون (قوله فسبحان الله الخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما ذكر اولا انه يبدؤ الخلق و يعيده وان الخلق يكونون فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير ذكر هنا انه منزه عن النقائص اشارة الى ان تسبيحه وتحميده وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب (قوله بمعنى صلوا) انما فسر التسبيح بالصلاة لان التنزيه يكون باللسان والجنان والاركان ولا شئ أجمع لذلك كله من الصلاة (قوله اى تدخلون فى المساء) أشار بذلك الى ان تمسون وتصبحون فعلان تامان (قوله وفيه صلاتان الخ) أشار بذلك الى ان هذه الآية جمعت الصلوات الخمس وخصها بالذكر دون سائر العبادات لانها عماد الدين من اقامها فقد اقام الدين (قوله اعتراض) أى بين المعطوف والمعطوف عليه والحكمة فى ذلك الاشارة الى ان التوفيق للعباد نعمة ينبغى ان يحمد عليها (قوله وكذلك تخرجون) أى فالقادر على اخراج الحى من الميت وعكسه واحياء الارض قادر على احياء الخلق بعد موتهم ففى ذلك رد على منكرى البعث (قوله للفاعل والمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومن آياته ان خلقكم من تراب) شروع فى ذكر جملة من الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى وذكر لفظ من آيات ست مرات تنتهى عند قوله اذا أنتم تخرجون وابتدأها بذكر خلق الانسان ثم بخلق العالم علويا وسفليا اشارة الى ان الانسان هو المنتفع بها والحكمة فى ذكر تلك الآيات

(وعشيا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وحين تظهرون) تدخلون فى الظهيرة وفيه صلاة الظهر (يخرج الحى من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت) النطفة والبيضة (من الحى ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) أى يبسها (وكذلك) الاخراج (تخرجون) من القبور بالبناء للفاعل والمفعول (ومن آياته) تعالى الدالة على قدرته (ان خلقكم من تراب)

لم يهتد بها من اراد الله هدايته وتقوم الحجة على من لم يهتد (قوله اى اصلكم آدم) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف و يصح ان يبقى الكلام على ظاهره لان النطفة ناشئة من الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم اذا أنتم بشر) عبر بثم اشارة الى تراخى أطواره لكونه أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر اطواره وأتى بعدها باذا الفجائية اشارة الى انه لم يفصل بين تلك الاطوار و بين البشرية فاصل وان كان الكثير الاتيان بها بعد الفاء (قوله أزواجا) اى زوجات (قوله من ضلع آدم) اى الايسر القصير وهو نائم فلما استيقظ ورآها مال اليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها فقال وما مهرها فقيل له ان تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وسائر النساء) اى باقيهن (قوله مودة ورحمة) قيل المراد بالمودة الجماع والرحمة الولد وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة فاذا تخلف هذا الامر بان لم توجد بينهما محبة ولا مودة فالمناسب المفارقة (قوله ان فى ذلك) اى فياذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم (قوله لقوم يتفكرون) اى يتاملون فى تلك الاشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الايمان سيما اذا تامل فى خلق الله اياه من نطفة ثم جعله بشرا سويا ثم جعل له زوجة من جنسه ولم تكن جنية ولا بهيمة واسكن بينهما المحبة والشفقة فاذا أراد جماعها زين له وجعل بينهما اللذة فاذا نزلت النطفة منه جعلها راحة له وخلق منها بشرا سويا وغير ذلك من انواع التفكرات فاذا تامل الانسان فى ذلك كان سببا فى زيادة معارفه وادبه مع ربه ولذا قال بعض العارفين لذة الجماع ربما كانت من ابواب الوصول الى الله تعالى ومنه ماروى حبب الىّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة (قوله ومن آياته خلق السموات والارض) اى انشاؤهما من العدم الى الوجود (قوله اى لغاتكم) اى بان خلق فيكم علما ضروريا تفهمون به لغاتكم ولغات بعضكم على اختلافها (قوله والوانكم) أى فجعلكم الوانا مختلفة منكم الابيض والاسود والمتوسط وغاير بين اشكالكم حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما يختلفان فى شئ من ذلك وان كانا فى غاية التشابه وانما قرن هذا بخلق السموات والارض وان كان من جملة خلق الانسان اشارة الى انه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع (قوله بفتح اللام وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى ذوى العقول وأولى العلم) أى وهم أهل المعرفة الذين لا تحجبهم المصنوعات عن صانعها بل يشهدون الصانع فى المصنوعات قال العارف

وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد

(قوله منامكم بالليل والنهار) قيل فى الآية تقديم وتاخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار حذف حرف الجر لاتصاله بالليل والاحسن أن يبقى على حاله والنوم بالنهار من جملة النعم لا سيما فى اوقات القيلولة فى البلاد الحارة (قوله بارادته) أى فلا قدرة لاحد على اجتلابه (قوله راحة لكم) اى من آثار التعب الحاصل لكم (قوله لقوم يسمعون) غاير بين رؤس الآى تفننا فان اهل العقل هم اهل الفكر والسمع (قوله ومن آياته يريكم البرق) الجار والمجرور خبر مقدم ويريكم مؤول بمصدر مبتدا مؤخر وحذفت أن من الفعل لدلالة ما قبله وما بعده عليه وهكذا يقال فيما تقدم وما ياتى (قوله ان تقوم السماء والارض) أى تثبت وتستقر (قوله من غير عمد) بفتحتين اسم جمع لعمود وقيل جمع له أو ضمتين جمع عمود كرسل ورسول (قوله من الارض) متعلق بدعاكم (قوله فى الصور) أى نفخة البعث فتخرج منه الارواح الى أجسادها لان فيه طاقات بعدد الارواح فتجتمع فيه ثم تخرج

اى اصلكم آدم (ثم اذا أنتم بشر) من دم ولحم (تنتشرون) فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا) خلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لتسكنوا اليها) وتالفوها (وجعل بينكم) جميعا (مودة ورحمة أن فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يتفكرون) فى صنع الله تعالى (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم) اى لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما (والوانكم) من بياض وسواد وغيرهما وانتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة (ان فى ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (للعالمين) بفتح اللام وكسرها أى ذوى العقول واولى العلم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) بارادته راحة لكم (وابتغاؤكم) بالنهار (من فضله) أى تصرفكم فى طلب المعيشة بارادته (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم) أى اراءتكم (البرق خوفا) للمسافر من الصواعق (وطمعا) للمقيم فى المطر (وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها) اى يبسها بان تنبت (ان فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) بارادته من غير عمد (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) بان ينفخ اسرافيل فى الصور للبعث من القبور

تخرج بالنفخة دفعة واحدة فلا تخطئ روح جسدها (قوله اذا انتم تخرجون) عبر فى ابتداء خلق الانسان بثم حيث قال ثم اذا أنتم بشر تنتشرون وتركها فى هنا لانه من ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخى لكونه على أطوار مختلفة بخلاف الاعادة فلا تدريج فيها بل تحصل دفعة واحدة (قوله مطيعون) اى لافعاله طاعة انقياد لا طاعة عبادة وقيل المعنى قائمون للحساب وقيل مقرون بالعبودية اما باللسان او الحال (قوله وهو أهون عليه) الضمير عائد على الاعادة المفهومة من قوله يعيد وذكر الضمير مراعاة للخبر (قوله بالنظر الى ما عند المخاطبين) اى فهو مبنى على ما يقتضيه عقولهم لان من اعاد منهم شيا كان أهون عليه وأسهل من انشائه وهو جواب عما يقال ان افعال الله كلها متساوية بالنسبة الى قدرته تعالى وأجيب أيضا بان اسم التفضيل ليس على بابه فاهون بمعنى هين (قوله اى الصفة العليا) أشار بذلك الى ان المثل بمعنى الصفة والاعلى بمعنى العليا اى المرتفعة المنزهة عن كل نقص (قوله وهى انه لا اله الا الله) اى فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولوازمها من كل كمال والتنزيه عن كل نقص (قوله ضرب لكم مثلا) اى صفة وشكلا تقيسون عليه (قوله كائنا من انفسكم) اشار بذلك الى ان من ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لمثلا (قوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء الخ) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم وشركاء مبتدا مؤخر ومن زائدة ومما ملكت ايمانكم حال من شركاء لكونه نعت نكرة قدم عليها ومن تبعيضية فتحصل ان من الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة زائدة (قوله فيما رزقناكم) اى ملكناكم وأشار بذلك الى ان الرزق حقيقة لله تعالى وايضاح هذا المثل ان يقال اذا لم يصح ان تكون مما ليكم شركاء فيما بايديكم من رزق الله فلا يصح بالاولى جعل بعض مما ليك الله شركاء نيا هو له حقيقة (قوله فانتم فيه سواء) اى مستوون معهم فى التصرف على حكم عادة الشركاء (قوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم) من جملة المنفى فهو مرتب عليه فالمراد نفى الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم كخوف انفسكم والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الاوصاف الثلاثة من اجل كونهم مما ليك لكم فكيف تثبتون تلك الاوصاف لبعض مما ليك الله (قوله بمعنى النفى) اى فهو استفهام انكارى (قوله لقوم يعقلون) اى فهذا المثل انما ينفع العاقل الذى يتدبر الامور (قوله بل اتبع الذين ظلموا الخ) اضراب عما ذكر اولا اشارة الى انهم لا حجة لهم فى الاشراك ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم (قوله لا هادى له) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله فاقم وجهك) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم والمراد باقامة الوجه بذل الهمة ظاهرا وباطنا فى الدين (قوله انت ومن تبعك) اشار بذلك الى ان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته (قوله فطرت الله) منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله الزموها وهى ترسم بالتاء المجرورة وليس فى القرآن غيرها وقوله وهى دينه اى دين الاسلام وعلى هذا فالخلق جميعا مجبولون على توحيد يوم الست بربكم ولذا قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه وهذا غير ما سبق فى علم الله واما هو فلم ان قوما يكفرون وقوما يؤمنون فمن سبق فى علم الله ايمانه فقد استمر على فطرته الاصلية ومن سبق فى علم الله كفره فقد رجع عن فطرته وان كان سبق منه التوحيد وحينئذ يكون معنى الآية الزم انت ومن تبعك الفطرة التى فطرك ربك عليها وهى التوحيد وهذا احد اقوال ثلاثة فى معنى الفطرة وقيل المراد بها الخلقة الاصلية التى ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة والى ما يصيرون اليه عند البلوغ فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره الى الضلالة وان عمل باعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره الى الهدى وان عمل باعمال اهل الضلالة وقيل انها الخلقة والطبيعة التى فى نفس الطفل يكون بها مهيأ

ملكا وخلقا وعبيدا (كل له قانتون) مطيعون وهو الذى يبدأ الخلق) للناس (ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو أهون عليه) من البدء بالنظر الى ما عند المخاطبين من ان اعادة الشيء اسهل من ابتدائه والا فهما عند الله تعالى سواء فى السهولة (وله المثل الاعلى فى السموات والارض) اى الصفة العليا وهى انه لا اله الا الله (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى خلقه (ضرب) جعل (لكم) ايها المشركون (مثلا) كائنا (من انفسكم) وهو (هل لكم مما ملكت ايمانكم) اى من مما ليككم (من شركاء) لكم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم) وهم (فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم) اى انتم لكم من الاحرار والاستفهام بمعنى النفى المعنى ليس مما ليككم شركاء لكم الى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض مما ليك الله شركاء له (كذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعقلون) يتدبرون (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك

(اهواءهم بغير علم فمن يهدى من اضل الله) اى لا هادى له (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (فاقم) يا محمد (وجهك للدين حنيفا) مائلا اليه اى اخلص دينك لله انت ومن تبعك (فطرت الله) خلقته (التى فطر الناس عليها) وهى دينه اى الزموها (لا تبديل لخلق الله) لدينه

اى لا تبدلوه بان تشركوا (ذلك الدين القيم) المستقيم توحيد الله (ولكن اكثر الناس) اى كفار مكة (لا يعلمون) توحيد الله (منيبين) راجعين (اليه) تعالى فيما امر به ونهى عنه حال من فاعل اقم وما اريد به اى اقيموا (واتقوه) خافوه (واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين) بدل باعادة الجار (فرقوا دينهم) باختلافهم فيما يعبدونه (وكانوا شيعا) فرقا فى ذلك (كل حزب) منهم

لمعرفة ربه ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب كما خلق اسماعهم وابصارهم قابلة للمسموعات والمبصرات فما دامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الاسلام ولا يحجبها عنه الا وساوس الشياطين بعد البلوغ ولذا كان كل من مات من بنى آدم قبل بلوغه فى الجنة وان كان من اولاد المشركين وهذا القول قريب من معنى القول الاول (قوله اى لا تبدلوه) اشار بذلك الى ان قوله لا تبديل لخلق الله خبر والمراد منه الامر (قوله توحيد الله) تفسير لقوله ذلك (قوله يعلمون توحيد الله) اى بل جهلوا ذلك فعبدوا غير الله (قوله حال من فاعل أقم) اى وما بينهما اعتراض (قوله وما اريد به) اى بالخطاب فانه اريد به محمد ومن تبعه (قوله اى اقيموا) اشار بذلك الى ان قوله واتقوه عطف على محذوف ماخوذ من الحال قبله (قوله كل حزب بما لديهم فرحون) اى فاهل السعادة فرحون بسعادتهم واهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان لظنهم انهم على حق (قوله وفى قراءة فارقوا) اى وهى سبعية ايضا (قوله واذا مس الناس) اذا شرطية وجوابها قوله دعوا ربهم وقوله اى كفار مكة خص ذلك بهم لانه سبب النزول والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اذا فريق) اذا فجائية قائمة مقام الفاء فهى رابطة للشرط (قوله اريد به التهديد) اى فاللام لام الامر للتوبيخ والتقريع على حد اعملوا ما شئتم (قوله عاقبة تمتعكم) قدره اشارة الى ان مفعول تعلمون محذوف (قوله فيه التفات عن الغيبة) اى الى الخطاب لاجل المبالغة فى زجرهم (قوله بمعنى همزة الانكار) اى فهى منقطعة تفسر تارة بالهمزة وحدها وتارة بالهمزة وبل (قوله فهو يتكلم) داخل فى حيز النفى (قوله اى يامرهم بالاشراك) اشار بذلك الى ان ما مصدرية والاحسن ان يجعلها موصولة اى بالامر الذى كانوا يشركون بسببه (قوله فرح بطر) اى عجب وكبر فيصرفونها فيما يغضبه تعالى ولو فرحوا بها فرح سرور لصرفوها فيما يرضيه (قوله يقنطون) بفتح النون وكسرها سبعيتان (قوله ومن شان المؤمن) اى من خصلته وهيئته (قوله ويرجون به عند الشدة) اى لانه يشهد انه لا كاشف لها غيره ولا رحيم سواه (قوله امتحانا) اى اختبارا لينظر أيشكر أم يطغى (قوله ابتلاء) اى فينظر هل يصبر ويرضى أم يضجر ويسكو (قوله فآت ذا القربى حقه) هذه الآية فى صدقة التطوع لا فى الزكاة الواجبة لان السورة مكية والزكاة فرضت فى السنة الثانية من الهجرة بالمدينة (قوله القرابة) اخذ ابو حنيفة من الآية ان النفقة على الارحام عموما واجبة على القادر وعند مالك والشافعى النفقة على الاصول والفروع واجبة وما عدا ذلك مندوب (قوله وامة النبى الخ) اشار بذلك الى ان الامر وان كان للنبى فالمراد هو وامته (قوله وأولئك هم المفلحون) اى الظافرون بمقصودهم (قوله وما أوتيتم) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان (قوله بان تعطى شيئا الخ) اشار بذلك الى ان هذه الآية نزلت فى هبة الثواب وهى ان يريد الرجل بهديته اكثر منها وهى مكروهة فى حقنا واما فى حقه صلى الله عليه وسلم فمحرمة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر والحكم فيها اذا وقعت انه اذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع وان لم يشترط عليه فلا يلزمه الا دفع قيمتها ان كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له لا ممن تحوغنى لفقير (قوله فسمى) اى المعطى وهو الهدية (قوله باسم المطلوب)

(بما لديهم) عندهم (فرحون) مسرورون وفى قراءة فارقوا اى تركوا دينهم الذى امروا به (واذا مس الناس) اى كفار مكة (ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين) راجعين (اليه) دون غيره (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) بالمطر (اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) اريد به التهديد (فتمتعوا فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم فية التفات عن الغيبة (ام) بمعنى همزة الانكار (انزلنا عليهم سلطانا) حجة وكتابا (فهو يتكلم) تكلم دلالة (بما كانوا به يشركون) اى يامرهم بالاشراك (واذا اذقنا الناس) كفار مكة وغيرهم (رحمة) نعمة (فرحوا بها) فرح بطر (وان تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون) ييأسون من الرحمة ومن شان المؤمن ان يشكر عند النعمة ويرجو به عند الشدة (أولم يروا) يعلموا (ان الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بها (فآت ذا القربى) القرابة (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) المسافر من الصدقة وامة النبى تبع له فى ذلك (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) اى ثوابه بما يعملون (واولئك هم المفلحون) الفائزون (وما اوتيتم من ربوا) بان يعطى شيئا هبة أو هدية ليطلب اكثر منه فسمى باسم المطلوب من الزيادة فى المعاملة

(ليربوفى موال الناس) المعطين اى يزيد (فلا يربو) يزكو (عند الله) اى لا ثواب فيه للمعطين (وما آتيتم من زكوة) صدقة (تريدون) بها (وجه الله فاولئك هم المضعفون) ثوابهم بما أرادوه فيه التفات عن الخطاب (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم) ممن اشركتم بالله (من يفعل من ذلكم من شئ) لا (سبحانه وتعالى عما يشركون) به (ظهر الفساد فى البر) اى القفار بقحط المطر وقلة النبات (والبحر) اى البلاد التى على الانهار بقلة مائها (بما كسبت أيدى الناس) من المعاصى (ليذيقهم) بالياء والنون (بعض الذى عملوا) اى عقوبته (لعلهم يرجعون) يتوبون (قل) لكفار مكة (سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) فاهلكوا باشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية (فاقم وجهك للدين القيم) دين الاسلام (من قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله) هو يوم القيامة (يومئذ يصدعون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار (من كفر فعليه كفره) وبال كفره وهو النار (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يوطئون منازلهم فى الجنة (ليجزى) متعلق بيصدعون (الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) يثيبهم (انه لا يحب الكافرين) اى يعاقبهم (ومن آياته) تعالى (ان يرسل الرياح مبشرات) بمعنى التبشير بالمطر

اى الذى ياخذ من المهدى اليه مقابلة ما أعطاه (قوله فى أموال الناس) اى فى تحصيلها (قوله المعطين) اى الآخذين للهبة والهدية (قوله اى لا ثواب فيه للمعطين) اى الدافعين لما ذكر قالاول اسم مفعول والثانى اسم فاعل (قوله صدقة) اى صدقة تطوع وعبر عنها بالزكاة اشارة الى أنها مطهرة للاموال والابدان والاخلاق (قوله هم المضعفون) اى الذين تضاعف لهم الحسنات (قوله فيه التفات عن الخطاب) اى تعظيما لحالهم او قصد للعموم كانه قيل من فعل ذلك فاولئك هم المضعفون (قوله الله الذى خلقكم) جملة من مبتدا وخبر وهى تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين (قوله هل من شركائكم الخ) خبر مقدم ومن للتبعيض ومن يفعل مبتدا مؤخر وقوله من ذلكم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من شئ لكونه نعت نكرة تقدم عليها ومن شئ مفعول يفعل ومن زائدة والتقدير من الذى يفعل شيا من ذلكم من شركائكم واسم الاشارة يعود على ما ذكر من الامور الاربعة وهى الخلق والرزق والاماتة والاحياء (قوله لا) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى (قوله سبحانه وتعالى) هذا نتيجة ما قبله اى فاذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله ولا شريك له فى شئ منها فالواجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص (قوله اى القفار) بكسر القاف جمع قفر وهى الارض التى لا ماء بها ولا نبات واما القفار بفتح القاف فهو الخبز الذى لا أدم معه (قوله بقحط المطر) اى منعه من النزول (قوله اى البلاد التى على الانهار) وقيل ان قلة المطر كما تؤثر فى البر تؤثر فى البحر فتخلو أجواف الاصداف وتمتنع دواب البحر (قوله بما كسبت) الباء سببية وما مصدرية اى بسبب كسبهم (قوله من المعاصى) اى ومبدؤها قتل قابيل هابيل لان الارض كانت قبل ذلك نضرة مثمرة لا يأتى ابن آدم شجرة الا وجد عليها الثمر وكان البحر عذبا وكان الاسد لا يصول على الغنم ونحوها فلما قتله اقشعرت الارض ونبت الشوك فى الاشجار وصار ماء البحر ملحا وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض (قوله ليذيقهم بعض الذين عملوا) اللام للعاقبة والصيرورة متعلق بقوله ظهر الفساد الخ وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبر وتجبر وكفر والا فالمصائب للصالحين رفع درجات ولعصاة المؤمنين تكفير سيآت (قوله اى عقوبته) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبل) اى وهى الدمار والهلاك ان لم يتوبوا وكذلك يحل بكفار مكة ان لم يتوبوا قال تعالى كذلك نجزى القوم الظالمين (قوله أقم وجهك للدين القيم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته والمعنى ابذل همتك فى دين الاسلام واشتغل به ولا تحزن عليهم (قوله من قبل أن يأتى يوم لا مرد له) اى واما بعد مجيئه فلا ينفع العامل عمله بل كل انسان يلقى جزاء ما عمله قبل ذلك قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله من الله) متعلق بيأتى (قوله يومئذ يصدعون) التنوين عوض عن جملة اى يوم اذا يأتى هذا اليوم (قوله فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد) اى فاصله يتصدعون أبدلت التاء صادا وأدغمت فى الصاد (قوله يتفرقون بعد الحساب) اى عند سماع قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله وبال كفره) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله يوطئون منازلهم) اى ولا عمال الصالحة فى الدنيا بها تهيئ المنازل فى الجنة (قوله متعلق بيصدعون) اى والتقدير يتفرقون ليجزى الذين آمنوا من فضله والذين كفروا بعدله (قوله الرياح) اى الشمال والصبا والجنوب ودبها رياح الرحمة واما الدبور فهى ريح العذاب يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا

(وليذيقكم) بها (من رحمته) المطر والخصب (ولتجرى الفلك) السفن بها (بامره) بارادته (ولتبتغوا) تطلبوا (من فضله) الرزق بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) هذه النعم يا اهل مكة فتوحدونه (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم اليهم فكذبوهم (فانتقمنا من الذين اجرموا) اهلكنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) على الكافرين باهلاكهم وانجاء المؤمنين (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) تزعجه (فيبسطه في السماء كيف يشاء) من قلة وكثرة

(ويجعله كسفا) بفتح السين وسكونها قطعا متفرقة (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) اى وسطه (فاذا اصاب به) بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) يفرحون بالمطر (وان) وقد (كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله) تاكيد (لمبلسين) آيسين من انزاله (فانظر الى آثار) وفى قراءة آثار (رحمت الله) اى نعمته بالمطر (كيف يحيي الارض بعد موتها) أى يبسها بان تنبت (ان ذلك) المحيي الارض (لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن) لام قسم (ارسلنا ريحا) مضرة على نبات (فرأوه مصفرا لظلوا) صاروا جواب القسم (من بعده) أى بعد اصفراره (يكفرون) يجحدون النعمة بالمطر (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها و بين الياء (ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان) ما (تسمع) سماع افهام وقبول (الا من يؤمن بآياتنا) القرآن (فهم مسلمون) مخلصون بتوحيد الله (الله الذى خلقكم من ضعف) ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف) آخر وهو ضعف الطفولة (قوة) اى قوة الشباب (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) ضعف الكبر وشيب الهرم والضعف في الثلاثة بضم اوله وفتحه (يخلق ما يشاء) من الضعف والقوة والشباب والشيبة (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء (و يوم تقوم الساعة يقسم) يحلف (المجرمون) الكافرون (ما لبثوا) مكثوا في القبور (غير ساعة) قال تعالى (كذلك كانوا يؤفكون)

تجعلها ريحا (قوله وليذيقكم) عطف على مبشرات كانه قال لتبشركم وليذيقكم (قوله من رحمته) من تبعيضية أى بعض رحمته (قوله يا اهل مكة) خصهم لانهم سبب نزول الآية والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا) هذه الآيات معترضة بين الآيات المفصلة والمفصلة لان قوله الله الذى يرسل الرياح تفصيل لقوله ومن آياته أن يرسل الرياح وحكمة ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتانيسه حيث وعده بنصر المؤمنين عموما (قوله فانتقمنا من الذين أجرموا) عطف على محذوف قدره بقوله فكذبوهم (قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين) كان فعل ناقص ونصرا اسمها مؤخرا وحقا خبرها مقدم وعلينا متعلق بحقا او بمحذوف صفة وهذا وعد حسن من الله للمؤمنين بنصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف (قوله الله الذى يرسل الرياح) مبتدأ وخبر وهو تفصيل لما اجمل أولا كما تقدم التنبيه عليه (قوله تزعجه) اى تهبجه وتحركه (قوله فيبسطه في السماء) اى ينشره في جهتها متصلا بعضه ببعض (قوله بفتح السين وسكونها) اى فهما قراءتان سبعيتان فالمفتوح جمع كسفة والمسكن مخفف المفتوح فقوله قطعا تفسير للوجهين (قوله اذا هم يستبشرون) اذا فجائية والمعنى فاجاهم الفرح (قوله وان كانوا) فسر ان بقد تبعا لغيره قالوا وللحال وقد للتحقيق و بعضهم جعلها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والجملة خبرها بدليل اللام في لمبلسين فانها اللام الفارقة وكل صحيح (قوله تاكيد) أى اشارة الى انه اتاهم الفرج بعد تمادى يأسهم (قوله فانظر الى اثر رحمة الله) اى ما ينشأ عن المطر من خضرة الاشجار وأثمارها و بهجتها و نضارتها (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله مضرة) أى وهى ريح الدبور (قوله فرأوه مصفرا) اى بعد خضرته (قوله جواب القسم) اى وقد سد مسد جواب الشرط للقاعدة المعلومة من انه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتاخر منهما (قوله يجحدون النعمة) اى فشانهم يفرحون عند الخصب فاذا جاءتهم مصيبة في زرعهم جحدوا سابق نعمة الله عليهم (قوله فانك لا تسمع الموتى) تعليل لمحذوف والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم فهم موتى صم عمى وانت لا تسمع من كان كذلك (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) اى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الا من يؤمن بآياتنا) اى يصدق بها (قوله من ضعف) اى اصل ضعيف (قوله ماء مهين) أى حقير ضعيف قليل (قوله وشيبة) اى وهو بياض الشعر الاسود و يحصل اوله غالبا في السنة الثالثة والاربعين وهو أول سن الكهولة والاخذ في النقص بعد الخمسين لثلاث وستين فيزيد وهو اول سن الشيخوخة فيزيد الضعف في الجسم والعقل الى آخر العمر وهذا في غير اهل التقوى والصلاح واما هم فيزيد عقلهم لآخر عمرهم (قوله بضم اوله وفتحه) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله تقوم الساعة) اى تحصل وتوجد والمراد بها القيامة سميت بذلك لحصولها في آخر ساعة من ساعات الدنيا (قوله الكافرون) اى المنكرون للبعث (قوله مكثوا في القبور) انما استقلوا تلك المدة لان عذاب القبر خفيف بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار وقيل المراد مكثوا في الدنيا فاستقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة

يصرفون عن الحق البعث كما صرفوا عن الحق الصدق فى مدة اللبث (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) من الملائكة وغيرهم (لقد لبثتم فى كتاب الله) فيما كتبه فى سابق علمه (الى يوم البعث فهذا يوم البعث) الذى انكرتموه (ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقوعه (فيومئذ لا ينفع) بالياء والتاء (الذين ظلموا معذرتهم) فى انكارهم له (ولا هم يستعتبون) (٢٠٩) لا يطلب منهم العتبى اى الرجوع الى ما يرضى الله (ولقد ضربنا) جعلنا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) تنبيها لهم (ولئن) لام قسم (جئتهم) يا محمد (بآية) مثل العصا واليد لموسى (ليقولن

(قوله يصرفون عن الصدق) اى الاقرار والاعتراف به فى الدنيا (قوله وقال الذين أوتوا العلم) اى ردا عليهم وتكذيبا لهم (قوله وغيرهم) أى كالانبياء والمؤمنين (قوله انكرتموه) أى فى الدنيا (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جمل محذوفة أى يوم اذ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين ورد عليهم الملائكة وغيرهم وبينوا كذبهم لا تنفع الخ (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله معذرتهم) اى اعتذارهم (قوله العتبى) كالرجعى وزنا ومعنى والمعنى لا يجابون لما طلبوه من الرجوع الى الدنيا (قوله من كل مثل) من للتبعيض اى بعض كل صفة لاجل ارشادهم (قوله ولئن جئتهم بآية) اى مما اقترحوا (قوله حذف منه نون الرفع الخ) هذا سبق قلم من المفسر فالصواب ان يقول هو فعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والذين فاعله لان اللام مفتوحة باتفاق القراء (قوله منهم) حال من الكافرين (قوله فاصبر) اى اذا علمت حالهم وانهم لا يؤمنون لوجود الطبع على قلوبهم فاصبر الخ (قوله ان وعد الله حق) تعليل للامر بالصبر (قوله والطيش) عطف مرادف على الخفة (قوله اى لا تتركنه) اى لا تترك الصبر بسبب تكذيبهم وايذائهم

﴿سورة لقمان مكية﴾

مبتدأ وخبر سميت بذلك لذكر قصة لقمان فيها (قوله الا ولو ان ما فى الارض الخ) هذا أحد أقوال ثلاثة وقيل مكية كلها وقيل الا ثلاث آيات من قوله ولو أن ما فى الارض الى خبير وهذا القول الثالث للبيضاوى (قوله أى هذه الآيات) اى آيات السورة واشير اليها باشارة البعيد لعلو رتبتها ورفعة قدرها عند الله وان كانت قريبة من الاذهان (قوله ذى الحكمة) أى المشتمل على الحكمة وهى العلم النافع ويصح ان يراد بالحكيم المحكم أى المتقن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويصح ان يراد الحكيم قائله حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو الضمير المجرور فبانقلابه مرفوعا استكن فى الصفة المشبهة (قوله بالرفع) أى لحمزة على انه خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله وفى قراءة العامة) أى وهم السبعة ماعدا حمزة (قوله حالا من الآيات) أى حال كون كل منهما حالا (قوله من معنى الاشارة) أى كانه قال اشير الى تلك الآيات حال كونها هدى ورحمة (قوله الذين يقيمون الصلاة) اى يؤدونها باركانها وآدابها (قوله ويؤتون الزكاة) اى يعطونها لمستحقيها (قوله وهم بالآخرة هم يوقنون) اى يؤمنون بلقاء الله والبعث (قوله الفائزون) أى بما اعد لهم من النعيم المقيم (قوله ومن الناس من يشترى الخ) شروع فى ذكر مقابل الفريق الاول على حكم عادته تعالى فى كتابه والجار والمجرور خبر مقدم والاسم الموصول مبتدأ مؤخر واعلم ان من لفظها مفرد ومعناها جمع فروعى لفظها فى جميع الضمائر الآتية وروعى معناها فى أولئك لهم عذاب مهين (قوله لهو الحديث) اما من اضافة الصفة للموصوف اى الحديث اللهو أى المشغل عما يعنى او الاضافة على معنى من واليه يشير المفسر بقوله أى ما يلهى منه (قوله بفتح الياء) اى ليستمر على الضلال وقوله وضمها اى ليوقع غيره فى الضلال فهو ضال مضل والقراءتان سبعيتان (قوله طريق الاسلام) اى الامور الموصلة للاسلام فالمراد الكل ما يشغل عن عبادة الله وذكره من الاضاحيك والخرافات والمغانى والمزامير وغيرها من الامور الباطلة (قوله بغير علم) حال من فاعل يشترى اى حالة كونه

(آيات الكتاب) القرآن (الحكيم) ذى الحكمة والاضافة بمعنى من هو (هدى ورحمة) بالرفع (للمحسنين) وفى قراءة العامة بالنصب حالا من الايات العامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة (الذين يقيمون الصلاة) بيان للمحسنين (ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) هم الثانى تاكيد (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) اى ما يلهى منه عما يعنى (ليضل) بفتح الياء وضمها (عن سبيل الله) طريق الاسلام (بغير علم

ر يتخذها)بالنصب عطفا على يضل و بالرفع عطفا على يشترى (هزؤا) مهزوأ بها (أولئك لهم عذاب مهين) ذو اهانة (واذا تتلى عليه آياتنا) اى القرآن (ولى مستكبرا) متكبرا (كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا) صمما وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولى او

الثانية بيان للاولى (فبشره) اعلمه (بعذاب اليم) مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحرث كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب اخبار الاعاجم و يحدث بها اهل مكة و يقول ان محمدا يحدثكم احاديث عاد وثمود وانا احدثكم احاديث فارس والروم فيستملحون حديثه و يتركون استماع القرآن (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها) حال مقدرة اى مقدرا خلودهم فيها اذا دخلوها (وعد الله حقا) اى وعدهم الله ذلك وحققه حقا (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ فيمتعه من انجاز وعده ووعيده (الحكيم) الذى لا يضع شيأ الا فى محله (خلق السموات بغير عمد ترونها) أى العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بان لا عمد اصلا (والقى فى الارض رواسي) جبالا مرتفعة (ان) لا (تميد) تتحرك (بكم و بث فيها من كل دابة وانزلنا) فيه التفات عن الغيبة (من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم) صنف حسن (هذا خلق الله) اى مخلوقه (فاروني) اخبروني يا اهل مكة (ماذا خلق الذين من دونه) غيره اى آلهتكم حتى اشركتموها به تعالى وما استفهام انكار مبتدأ وذا بمعنى الذى بصلته خبره واروني معلق عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين (بل) للانتقال (الظالمون فى ضلال مبين) بين باشراكهم وانتم منهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة)

جاهل القلب وان كان عليم اللسان (قوله و يتخذها) أى الآيات (قوله بالنصب الخ) اى والقراءتان سبعيتان (قوله مهزوأ بها) أى لحاكاته لها بالخرافات (قوله أعلمه) أشار بذلك الى ان المراد بالبشارة مطلق الاعلام بالخير وان لم يكون فيه بشارة ودفع بذلك ما يقال ان الاخبار بالعذاب الاليم ليس بشارة بل هو نذارة وقوله وذكر البشارة الخ جواب آخر فكان المناسب ان يذكره باو (قوله النضر بن الحرث) اى ابن كلدة كان صديقا لقريش (قوله فيستملحون حديثه) اى يعدونه مليحا فيصغون له (قوله أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به (قوله جنات النعيم) المراد بها جميع الجنان لا خصوص المسماة بهذا الاسم (قوله اى مقدرا خلودهم) اى فهم عند دخولهم يقدرون الخلود لسماعهم النداء من قبل الله يا أهل الجنة خلود بلا موت (قوله وعد الله حقا) مصدران مؤكدان لمضمون الجملة الاولى والعامل مختلف والتقدير وعدذلك وعدا وحققه حقا (قوله الذى لا يغلبه شئ) أى لا يقهره احد (قوله خلق السموات الخ) هذا دليل على انه عزيز حكيم لا يمنعه أحد عن انجاز وعده ووعيده (قوله اى العمد) أشار بذلك الى ان جملة ترونها صفة لعمد (قوله جمع عماد) اى كاهب جمع اهاب (قوله الاسطوانة) بضم الهمزة وهى السارية (قوله وهو صادق الخ) اى لان السالبة تصدق بنفى الموضوع وهو المراد هنا و يصح ان يراد الشق الثانى وهو ان يكون لها عمد لا ترى وهى قدرة الله تعالى (قوله رواسى) أى ثوابت (قوله جبالا مرتفعة) قال ابن عباس هى سبعة عشر جبلا منها ق وأبو قبيس والجودى ولبنان وطور سينين (قوله ان تميد بكم) قدر المفسر لام التعليل ولا النافية اشارة الى ان حكمة تثبيت الارض بالجبال عدم تحركها باهلها (قوله وبث فيها) أى نشر وقوله من كل دابة من زائدة (قوله فيه التفات) أى من الغيبة الى التكلم زيادة فى التبكيت والزام الحجة (قوله هذا خلق الله) أى ماذكر من السموات والارض وما فيهما (قوله استفهام انكار) وتوبيخ وتقريع (قوله معلق عن العمل) اى فى اللفظ واما فى المحل فهو عامل النصب (قوله سد مسد المفعولين) ظاهره ان ارونى تنصب ثلاثة مفاعيل الياء وجملة الاستفهام التى سدت مسد الثانى والثالث وهذا غير ماذكروه من ان ارى ان كانت بمعنى اخبر فانها تتعدى لمفعولين الاول مفرد صريح والثانى جملة الاستفهام فالمناسب للمفسر ان يقول سدت مسد الثانى (قوله للانتقال) أى من تبكيتهم الى الاخبار بتقبيح الظالمين عموما (قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة) اختلف فى لقمان فقيل اسم اعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقيل عربى ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون واختلف فيه أيضا فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر فعلى هذا هو ابن ابن أخى ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل كان ابن أخت ايوب وقيل كان ابن خالته يقال انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة والشعبي فقالا بنبوته وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما فى وسط النهار فنودى يا لقمان هل لك ان نجعلك خليفة فى الارض فتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة فانى اعلم ان الله تعالى ان فعل بى ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال ان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ان عدل نجا وان اخطأ الطريق اخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر

يختار الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى بها داود بعده فقبلها وكان لقمان يوازر داود لحكمته وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعى قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك مالا يعنينى (قوله منها العلم والديانة) أى فالحكمة هى العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والامانة وقيل هى نور فى القلب يدرك به الاشياء كما تدرك بالبصر (قوله وحكمه كثيرة) قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم (قوله وقال فى ذلك) أى فى شان الاعتذار عن ترك الفتيا (قوله وقلنا له أن اشكر الخ) أشار بذلك الى أن أن زائدة وجملة اشكر مقول القول والانسب أن أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله على ما أعطاك من الحكمة) أى فهى نعمة يجب الشكر عليها بصرفها فى مصارفها (قوله ومن يشكر الخ) تعليل للامر بالشكر (قوله محمود فى صنعه) أى فهو حقيق بان يحمد من دون المخلوقات (قوله واذ قال لقمان لابنه) أى واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أنعم قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما قيل وضع لقمان جرابا من خردل الى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة ويخرج خردلة خردلة فنفذ الخردل فقال يا بنى وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر فتفطر ابنه ومات (قوله وهو يعظه) الجملة حالية (قوله يا بنى) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله اشفاق) أى محبة (قوله فرجع اليه) أى الى دين أبيه وهو الاسلام وقال له أيضا يا بنى اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتك الربح من غير بضاعة يا بنى أحضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا يا بنى لا تكن أعجز من هذا الديك الذى يصوت بالاسحار وأنت نائم على فراشك يا بنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة يا بنى لا ترغب فى ود الجاهل فيرى انك ترضى عمله يا بنى اتق الله ولا تر الناس انك تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر يا بنى ما ندمت على الصمت قط فان الكلام اذا كان من فضة كان السكوت من ذهب يا بنى اعتزل الشر كيما يعتزلك فان الشر للشر خلق يا بنى عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى يحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه ونقل الصخور من مواضعها أيسر من افهام من لا يفهم يا بنى لا ترسل رسولك جاهلا فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك يا بنى لا تنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا يا بنى يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم يا بنى اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجالس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك وان تك غبيا يعلموك وان يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصبك معهم يا بنى لا تجلس فى المجلس الذى لا يذكر فيه الله عز وجل فانك ان تكن عالما لا ينفعك علمك وان تك غبيا يزيدوك غبا وان يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم يا بنى لا يأكل طعامك الا الاتقياء وشاور فى أمرك العلماء يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بها وشراعها التوكل على الله لعلك أن تنجو يا بنى انى حملت الجندل والحديد فلم أحمل شيأ أثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر يا بنى ان الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك يا بنى لا تتعلم مالا تعلم حتى تعمل بما تعلم يا بنى اذا أردت أن تؤاخى رجلا فاغضبه قبل ذلك فان انصفك عند غضبه والا فاحذره يا بنى انك منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت اليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل يا بنى عود لسانك أن يقول اللهم اغفر لى فان لله ساعات لا ترد يا بنى اياك والدين فانه ذل النهار وهم الليل يا بنى

منها العلم والديانة والاصابة فى القول وحكمه كثيرة ماثورة كان يفتى قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال فى ذلك الا اكتفى اذا كفيت وقيل له اى الناس شر قال الذى لا يبالى ان رآه الناس مسيئا (أن) اى وقلنا له أن (اشكر لله) على ما أعطاك من الحكمة (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان ثواب شكره له (ومن كفر) النعمة (فان الله غنى) عن خلقه (حميد) محمود فى صنعه (و) اذكر (اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى) تصغير اشفاق (لا تشرك بالله ان الشرك) بالله (لظلم عظيم) فرجع اليه وأسلم

ارج الله رجاء لا يجرئك على معصيته وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته الى غير ذلك من المواعظ المأثورة عنه عليه السلام (قوله ووصينا الانسان الخ) هاتان الآيتان نزلتا فى شان سعد بن أبى وقاص كما تقدم فهما معترضتان بين كلامى لقمان والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فال فى الانسان للجنس (قوله ان يبرهما) اى يحسن اليهما (قوله فوهنت) قدر الفعل اشارة الى ان وهنا مفعول مطلق والاحسن جعله حالا من أمه أى ذات وهن (قوله على وهن) صفة لوهنا أى ضعفا كائنا على ضعف والمراد التوالى لا خصوص وهنين بدليل قول المفسر أى ضعفت للحمل الخ (قوله اى فطامه) اى ترك رضاعه (قوله فى عامين) اى فى انقضائهما (قوله ان اشكرلى) ان يحتمل أنها مفسرة لجملة وصينا أو مصدرية (قوله أى المرجع) اى فاجازى المحسن على احسانه والمسيء على اساءته (قوله موافقة للواقع) أى فلا مفهوم له وهو جواب عما يقال ان الشريك مستحيل على الله تعالى فربما يتوهم وجود شريك له به علم (قوله وصاحبهما فى الدنيا) أى أمورها التى لا تتعلق بالدين (قوله أى بالمعروف) أشار بذلك الى انه منصوب بنزع الخافض (قوله واتبع سبيل من اناب الى) قيل ان الخطاب للمكلفين عموما ويراد بمن أناب النبى وأصحابه ومن على قدمهم وقيل الخطاب لسعد بن ابى وقاص والمراد بمن اناب أبو بكر الصديق رضي الله عنه وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم جاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهؤلاء سابقون للاسلام بارشاد ابى بكر رضي الله عنه (قوله فاجازيكم عليه) اى على العمل الحسن والسيء (قوله وجملة الوصية) اى وهى قوله ووصينا الانسان الخ وقوله وما بعدها اى وهو قوله وان جاهداك الخ وقوله اعتراض اى بين كلامى لقمان (قوله يا بنى انها ان تك مثقال حبة الخ) رجوع لذكر وصايا لقمان لولده وسبب تلك المقالة انه قال له ولده يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى احد كيف يعلمها الله فقال له تلك المقالة وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه اذ هو مسلم لا يعتقد ان الله تخفى عليه خافية وانما مقصوده الانتقال من العلم بالدليل الى المعرفة والمشاهدة ولذا مات من استيلاء الهيبة على قلبه (قوله من خردل) هو حب الكبر وهو اصغر حب والمراد اصغر شيء بدليل ضرب المثل بالذرة فى الآية (قوله فى صخرة) قيل المراد بها التى تحت الارضين السبع وهى التى يكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها لما قيل خلق الله الارض على حوت والحوت فى الماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على الصخرة وهى التى ذكرها لقمان فليست فى السماء ولا فى الارض (قوله اى فى اخفى مكان من ذلك) اى من الصخرة والسموات والارض فاخفى الصخرة باطنها واخفى السموات اعلاها واخفى الارض اسفلها (قوله يات بها الله) جواب الشرط (قوله ان الله لطيف) اى عالم بخفيات الامور (قوله خبير) اى عالم ببواطن الاشياء كظواهرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فاشتقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها فمات مسلما شهيدا رضي الله عنه (قوله يا بنى اقم الصلاة) اى بشروطها واركانها وآدابها لكونها عماد الدين ومناجاة الله تعالى (قوله وامر بالمعروف) اى بكل ما عرف شرعا لان الدال على الخير كفاعله (قوله وانه عن المنكر) اى باليد او اللسان او القلب على حسب الطاقة فان لم يفد فالهجر اولى بالمعروف (قوله بسبب الامر والنهى) المناسب حمله على العموم فالصبر على المصائب سواء كانت من الخلق او الخالق امره عظيم لان الكل فى الحقيقة من الله والمراد بالصبر التسليم لاحكام الله والرجوع اليه قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قوله التى يعزم عليها لوجوبها) اى تحتمها على المكلفين فلا ترخيص فى تركها (قوله ولا تصعر خدك للناس)

(ووصينا الانسان بوالديه) امرنا ان يبرهما (حملته امه) فوهنت (وهنا على وهن) اى ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة (وفصاله) اى فطامة (فى عامين) وقلنا له (ان اشكرلى ولوالديك الى المصير) اى المرجع (وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم) موافقة للواقع (فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) اى بالمعروف البر والصلة (واتبع سبيل) طريق (من اناب) رجع (الى) بالطاعة (ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) فاجازيكم عليه وجملة الوصية وما بعدها اعتراض (يا بنى انها) اى الخصلة السيئة (ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض) اى فى اخفى مكان من ذلك (يات بها الله) فيحاسب عليها (ان الله لطيف) باستخراجها (خبير) بمكانها (يا بنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) بسبب الامر والنهى (ان ذلك) المذكور (من عزم الامور) اى معزوماتها التى يعزم عليها لوجوبها (ولا تصعر)

الصعر

الصعر بفتحتين فى الاصل داء يصيب البعير يلوى عنقه ثم استعمل فى ميل العنق وانقلاب الوجه الى احد الشدقين لاجل الفخر على الناس والمراد لا تتكبر فتحتقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك اذا كلموك (قوله وفى قراءة تصاعر) اى وهما سبعيتان ومعناهما واحد (قوله اى خيلاء) اى عجبا وتكبرا قال تعالى انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (قوله فخورا على الناس) اى لظنه ان نعمة الله اسبغت عليه لاستحقاقه اياها فتكبر بها على الناس (قوله واقصد فى مشيك) لما أمره أولا بحسن الباطن امره ثانيا بحسن الظاهر ليجمع له فى وصيته بين كمال الظاهر والباطن (قوله بين الدبيب) اى وهو ضعف المشى جدا قال الشاعر

زعمتنى شيخا ولست بشيخ * انما الشيخ من يدب دبيبا

(قوله والاسراع) اى وهو قوة المشى وهى مذمومة لما ورد سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن ان قلت ورد فى الحديث كنا نجهد انفسنا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتضى انه كان يسرع فى مشيه أجيب بانه صلى الله عليه وسلم فى نفسه مشية متوسطة وبالنسبة للصحابة هو اعلى مشيا منهم لما فى الحديث المتقدم وهو غير مكترث كان الارض تطوى له (قوله من صوتك) يحتمل ان من تبعيضية أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف اى شيا من صوتك (قوله لصوت الحمير) اى هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة فان كل حيوان يصيح من ثقل أو تعب او غير ذلك والحمار يصيح لغير سبب وصياح كل شئ تسبيح الله تعالى الا الحمار ان قلت ان دق النحاس بالحديد أشد صوتا من الحمير أجيب بان الصوت الشديد لحاجة يتحمله العقلاء بخلاف الصوت الخالى عن الثمرة والفائدة وهو صوت الحمار (قوله أوله زفير) اى صوت قوى وقوله وآخره شهيق اى صوت ضعيف وهما صفة صوت اهل النار (قوله ألم تروا أن الله سخر لكم الخ) رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم (قوله يا مخاطبين) القياس بالواو لانه منادى مفرد وهو مبنى على ما يرفع به الا أن يقال انه نكرة غير مقصودة فهو منصوب (قوله نعمه) اما بالجمع فظاهرة و باطنة حالان أو الافراد بتاء التانيث نكرة فهما نعتان لها وهما قراءتان سبعيتان (قوله هى حسن الصورة الخ) وقيل الظاهرة نعمة الدنيا والباطنة نعمة العقبى وقيل الظاهرة ما ترى بالابصار كالمال والجاه والجمال فى الناس والباطنة ما يجده الانسان فى نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى وكل صحيح (قوله وتسوية الاعضاء) اى تناسبها (قوله ومن الناس) نزلت فى النضر بن الحرث وابى بن خلف ومن حذا حذوهم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله وصفاته من غير علم (قوله بغير علم) اى بل بالجهل وعدم المعرفة (قوله ولا هدى) اى من رسول جاءهم به (قوله ولا كتاب منير) اى نير واضح الدلالة (قوله واذا قيل لهم) الجمع باعتبار المعنى (قوله أيتبعونه) اشار بذلك الى أن الشرط للحال والتقدير أيتبعونه والحال ان الشيطان يدعوهم الى العذاب وحينئذ فلا جواب للو (قوله يدعوهم الى عذاب السعير) اى يدعو آباءهم لان مدار انكار الاتباع كون الرؤساء تابعين للشيطان (قوله لا) اى لا يليق منهم ذلك (قوله اى يقبل على طاعته) اشار بذلك الى ان المراد بالوجه الذات والمعنى من يبذل ذاته فى طاعة ربه والحال انه موحد فقد استمسك الخ وهذا هو حقيقة الشكر فلا قبال على الله ظاهرا و باطنا موجب للامن من عذاب الله ومن زوال تلك النعمة وهذه الآية معنى قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون (قوله موحد) انما فسره بذلك ليشمل الاسلام فى حق العامة وهو التوحيد والا فالاحسان الكامل ان تعبد الله كانك تراه (قوله بالطرف الاوثق) اى الموصل الى الله بلا انقطاع فقده مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله بمن اراد ان يرقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق حبل فهو تشبيه تمثيلى بذكر طرفى

وفى قراءة تصاعر (خدك للناس) لا تمل وجهك عنهم تكبرا (ولا تمش فى الارض مرحا) اى خيلاء (ان الله لا يحب كل مختال) متبختر فى مشيه (فخور) على الناس (واقصد فى مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعليك السكينة والوقار (واغضض) اخفض (من صوتك ان انكر الاصوات) أقبحها (لصوت الحمير) اوله زفير وآخره شهيق (ألم تروا) تعلموا يا مخاطبين (ان الله سخر لكم ما فى السموات) من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها (وما فى الارض) من الثمار والانهار والدواب (واسبغ) اوسع وأتم (عليكم نعمه ظاهرة) هى حسن الصورة وتسوية الاعضاء وغير ذلك (وباطنة) هى المعرفة وغيرها (ومن الناس) اى اهل مكة (من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى) من رسول (ولا كتاب منير) انزله الله بل بالتقليد (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال تعالى (أ) يتبعونه (ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) اى موجبا له (ومن يسلم وجهه الى الله) اى يقبل على طاعته (وهو محسن) موحد (فقد استمسك بالعروة الوثقى) بالطرف الاوثق الذى لا يخاف انقطاعه (والى الله عاقبة الامور)

مرجعها (ومن كفر فلا يحزنك) يا محمد (كفره) لا تهتم بكفره (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) اى بما فيها كغيره فنجازيه عليه (نمتعهم) فى الدنيا (قليلا) أيام حياتهم (ثم نضطرهم) فى الآخرة (الى عذاب غليظ) وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصا (ولئن) لام قسم (سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) حذف منه نون الرفع لتوالى الامثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين (قل الحمد لله) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بل أكثرهم لا يعلمون) وجوب ذلك عليهم (لله ما فى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا فلا يستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود فى صنعه (ولو ان ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر) عطف على اسم ان (يمده من بعده سبعة أبحر) مداد (ما نفدت كلمات الله) المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد ولا باكثر من ذلك لان معلوماته تعالى غير متناهية (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج شئ عن علمه وحكمته (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) خلقا وبعثا لانه بكلمة كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله شئ عن شئ (ألم تر) تعلم يا مخاطبا (ان الله يولج) يدخل (الليل فى النهار و يولج النهار) يدخله فى (الليل) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وسخر الشمس والقمر كل) منهما (يجرى) فى فلكه (الى أجل مسمى) هو يوم القيامة (وان الله بما تعملون خبير ذلك) المذكور (بان الله هو الحق) الثابت (وانما يدعون) بالياء والتاء يعبدون (من دونه الباطل) الزائل (وان الله هو العلى) على خلقه بالقهر (الكبير) العظيم

التشبيه (قوله مرجعها) اى فيجازى عليها (قوله ومن كفر الخ) هذا مقابل الفريق الاول (قوله فلا يحزنك كفره) بفتح الياء وضم الزاى و بضم الياء وكسر الزاى قراءتان سبعيتان اى فتسل ولا تغتم على ذلك (قوله فننبئهم بما عملوا) اى نخبرهم باعمالهم التى عملوها فى الدنيا (قوله ثم نضطرهم) أتى بثم اشارة الى ان العذاب الغليظ انما يكون لهم فى الآخرة لا فى الدنيا كما ان المؤمن اذا نعم فى الدنيا بانواع النعم فليس ذلك جزاء لاعماله الصالحة (قوله لا يجدون عنها محيصا) اى ملجا (قوله ليقولن الله) الجملة جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة ولفظ الجلالة مرفوع اما على انه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله بدليل آية خلقهن العزيز العليم أو خبر لمحذوف تقديره الخالق لهن (قوله و واو الضمير) اى لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد و بقيت الضمة دليلا عليها (قوله بل أكثرهم لا يعلمون وجوب عليهم) اى بل يعتقدون ان الاشراك يقرب الى الله مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده (قوله لله ما فى السموات والارض) هذا نتيجة ما قبله اى فحيث ثبت انه الخالق لها تحقق انه المالك لها (قوله المحمود فى صنعه) اى المتصف بالكمالات أزلا وأبدا الذى يستحق الحمد غيره (قوله ولو ان ما فى الارض) ان حرف توكيد ونصب وما اسم موصول فى محل نصب اسمها وجملة الجار والمجرور مع متعلقه صلة الموصول ومن شجرة بيان لما وتوحيد شجرة اشارة الى استغراق الافراد كانه قال لو ان كل شجرة تجعل أقلاما الخ وقوله أقلام خبر أن (قوله والبحر) اى المحيط لان الحقيقة اذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل (قوله عطف على اسم ان) أشار بذلك الى توجيه قراءة النصب وترك توجيه قراءة الرفع وتوجيهها أن يقال اما عطف على جملة ان واسمها وخبرها لان موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف والتقدير لو ثبت ان ما فى الارض الخ أو مبتدأ خبره يمده والجملة حالية (قوله مداد) خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد وهو جملة مستانفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره ما تجعل تلك الابحر فاجاب بقوله مداد يدل على ذلك قوله فى الآية الاخرى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الخ (قوله كلمات الله) اى مدلولات كلامه النفسى القديم القائم بذاته تعالى بدليل قوله المعبر بها فان مدلول الكلام القديم هو ما أحاط به العلم القديم واما الكلام المنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية فهو دال على بعض مدلول الكلام القديم فلذلك كان له مبدأ وغاية (قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) سبب نزولها ان أبى ابن خلف وجماعة قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلقنا أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تقول انا نبعث خلقا جديدا جميعا فى ساعة واحدة فنزلت والمعنى ان الله لا يصعب عليه شئ بل خلق العالم و بعثه برمته كخلق نفس واحدة و بعثها (قوله خلقا و بعثا) لف ونشر مرتب (قوله يا مخاطبا) نصبه لكونه قصد انه نكرة غير مقصودة (قوله بما نقص) اى بالجزء الذى نقص من الاجر وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار زائدة على الاثنى عشر فتارة يزيدها الليل وتارة يزيدها النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج وعبر فى الاول بالمضارع لان الايلاج متجدد بخلاف التسخير (قوله الى أجل مسمى) عبر هنا بالى وفى فاطر والزمر باللام تفننا لان اللام والى للانتهاء (قوله ذلك المذكور) اى من الآيات الكريمة وهو مبتدأ خبره قوله بان الله هو الحق (قوله الثابت) اى الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أى

(الم تران الفلك) السفن (تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكم) ياخاطبين بذلك (من آياته ان فى ذلك لآيات) عبرا (لكل صبار)

أى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله الم تران الفلك الخ) هذا دليل آخر على اثبات الالوهية لله وحده (قوله بنعمت الله) اى احسانه (قوله اى علا الكفار) اى احاط بهم فعلا فعل ماض لا حرف جر (قوله اى لا يدعون معه غيره) اى كالاصنام لانهم فى ذلك الوقت فى غاية الشدة والهول فلا يجدون ملجأ لكشف ما نزل بهم غيره تعالى (قوله متوسط بين الكفر والايمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفى بما عاهد الله عليه من التوحيد ليكون موافقا لسبب النزول فانها نزلت فى عكرمة بن ابى جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن انجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يدى فى يده فسكن الريح فرجع عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه (قوله ومنهم باق على كفره) اى وهو المشار اليه بقوله وما يجحد باياتنا الخ (قوله غدار) اى لانه نقض العهد ورجع الى ما كان عليه (قوله اتقوا ربكم) اى امتثلوا اوامره واجتنبوا نواهيه (قوله لا يجزى والد عن ولده الخ) كل من الجملتين نعت ليوما والمعنى ان يوم القيامة يقول كل انسان نفسى نفسى لا املك غيرها ولا يهتم بقريب ولا بعيد وهذه الآية مخصوصة بالكفار واما المسلمون فينتفعون من بعضهم فالاولاد تنفع الآباء والآباء تنفع الاولاد قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم واما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنتها انا لا اغنى عنك من الله شيئا فهو تحذير لها من الكفر الذى به تنقطع الانساب (قوله ولا مولود) مبتدا وهو مبتدا ثان وجاز خبر الثانى وهو وخبره خبر الاول أو معطوف على والد (فى حلمه وامهاله) اشار بذلك ان الباء سببية والكلام على حذف مضاف والاصل ولا يغرنكم بسبب حلم الله وامهاله الغرور (قوله ان الله عنده علم الساعة الخ) نزلت لما قال الحرث بن عمرو للنبى صلى الله عليه وسلم متى الساعة وأنا قد القيت الحب فى الارض فمتى السماء تمطر وامرأتى حامل فهل حملها ذكر أم انثى واى شئ اعمله غدا ولقد علمت باى ارض ولدت فباى ارض اموت (قوله متى تقوم) اى وقت قيامها (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله بوقت يعلمه) اى وفى اى مكان ينزله (قوله وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) اى من حيث ذاتها واما باعلام الله للعبد فلا مانع منه كالانبياء وبعض الاولياء قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال العلماء وكذا ولى فلا مانع من كون الله يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات فتكون معجزة للنبى وكرامة للولى ولذلك قال العلماء الحق انه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى اطلعه على تلك الخمس ولكنه امر بكتمها والحكمة فى كونه تعالى اضاف العلم الى نفسه فى الثلاثة الاول ونفى العلم عن العباد فى الاخيرتين منها مع ان الخمسة سواء فى اختصاص الله تعالى بعلمها ونفى علم العباد بها ان الثلاثة الاول امرها عظيم لا يتوهم فى الخلق علمها بخلاف الاخيرتين فهما من صفات العباد فربما يتوهمون علمهما فاذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علمهم بغيرهما اولى (قوله باى ارض تموت) لم قل باى وقت تموت فيه لان انتقال الانسان من مكان الى آخر فى وسعه واختياره فتوهم عدم مكان موته اقرب بخلاف الزمان ففيه تنبيه على انتفاء علم الاقرب ليفهم منه علم الابعد بالاولى (قوله ان الله عليم خبير) اشار بذلك الى ان علمه تعالى ليس مختصا بهذه الاشياء المتقدمة بل هو عليم بواطن الاشياء كظواهرها

﴿سورة السجدة﴾

اى التى ذكر فيها السجدة (قوله مكية) ظاهره ان جميعها مكى وقال غيره الا ثلاث آيات وقيل

عن معاصى الله (شكور) لنعمته (واذا غشيهم) اى علا الكفار (موج كالظلل) كالجبال التى تظل من تحتها (دعوا الله مخلصين له الدين) اى الدعاء بان ينجيهم اى لا يدعون معه غيره (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) متوسط بين الكفر والايمان ومنهم على كفره (وما يجحد باياتنا) ومنها الانجاء من الموج (الا كل ختار) غدار (كفور) لنعم الله تعالى (يا أيها الناس) اى اهل مكة (اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى) يغنى (والد عن ولده) فيه شيئا (ولا مولود هو جاز عن والده) فيه (شيئا ان وعد الله حق) بالبعث (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) عن الاسلام (ولا يغرنكم بالله) فى حلمه وامهاله (الغرور) الشيطان (ان الله عنده علم الساعة) متى تقوم (وينزل) بالتخفيف والتشديد (الغيث) بوقت يعلمه (ويعلم ما فى الارحام) أذكر ام انثى ولا يعلم احدا من الثلاثة غير الله تعالى (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير او شر (ويعلمه الله تعالى (وما تدرى نفس باى ارض تموت) ويعلمه الله تعالى (ان الله عليم) بكل شئ (خبير) بباطنه كظاهره روى البخارى عن ابن عمر حديث مفاتح الغيب خمسة ان الله عنده علم الساعة الى آخر السورة ﴿سورة السجدة مكية ثلاثون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله اعلم بمراده به

الاخمس آيات اولها قوله تنجافى جنوبهم وآخرها قوله الذى كنتم به تكذبون وورد فى فضلها احاديث منها ما فى الصحيح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب السجدة وهل اتى على الانسان حين من الدهر وقد اخذ بهذا الحديث الامام الشافعى رضي الله عنه ولم يأخذ به مالك لعدم استمرار العمل عليه ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وتسمى ايضا المنجية لانها احد المنجيات السبع وهى هذه السورة ويس والدخان والواقعة وهل اتى والملك والبروج ولما ورد عن خالد بن معدان انه قال اقرؤا المنجية وهى الم تنزيل فانه بلغنى ان رجلا كان يقرؤها ما يقرأ شيا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتى فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة (قوله تنزيل الكتاب) أى نزوله ومجيئه (قوله من رب العالمين) اى لفظا ومعنى (قوله خبر ثان) هذا احسن الاعاريب فى هذا الموضع ويصح ان يكون حالا من ضمير الخبر (قوله ام يقولون افتراه) ام منقطعة تفسر ببل والهمزة عند البصريين والمفسر قدرها ببل فقط وهو غير مناسب بدليل قوله لا فانه اشارة الى ان الاستفهام انكارى مع انه لم يذكر الهمزة ولعلها سقطت من قلم ناسخ المبيضة (قوله بل هو الحق) اضراب انتقالى من نفى الافتراء عنه الى اثبات حقيته ويصح ان يكون ابطاليا لقولهم كانه قيل ليس هو كما قالوا بل هو الحق وقولهم كل ما فى القرآن من الاضراب انتقالى يحمل على غير هذا والمعنى ان القرآن محصور فى الحق لا يخرج عنه لغيره واستفيد الحصر من الجملة المعرفة الطرفين (قوله لتنذر قوما) هو فعل ينصب مفعولين الاول قوما والثانى محذوف قدره المفسر بقوله به وقدره غيره العقاب (قوله ما اتاهم من نذير من قبلك) جعل المفسر الجملة منفية صفة لقوما واختلف فى القوم فقيل المراد بهم العرب لانهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم وقيل المراد بهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام فيشمل بنى آدم برمتهم (قوله لعلهم يهتدون) الترجى بالنسبة له صلى الله عليه وسلم والمعنى لتنذر قوما راجيا لاهتدائهم لا آيسا منه (قوله الله الذى خلق السموات والارض) مبتدأ وخبر وهو شروع فى ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله اولها الاحد وآخرها الجمعة) أى على سبيل التوزيع فخلق الارض أولا فى الاحد والاثنين وخلق ما فيها فى الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات فى الخميس والجمعة وفى ذلك اشكال وهو ان الايام لم تكن معروفة اذ ذاك فضلا عن تسميتها لعدم وجود الشمس والافلاك التى بها تعرف الايام وأجيب بان المراد فى مقدار ستة ايام كائنة فى علمه تعالى بحيث تكون عند ظهورها لنا اولها الاحد وآخرها الجمعة ومقتضى هذا انها كايام الدنيا وبه قال الحسن وقال ابن عباس والضحاك اليوم منها مقداره الف سنة (قوله سرير الملك) اى ومنه قال نكروا لها عرشها والمراد به هنا الجسم النورانى المحيط بالعالم كله (قوله استواء يليق به) هذا اشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمتشابه ويفوضون علمه لله تعالى وهو اسلم ولذا سلكه المفسر وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء والقهر اذ هو احد معنيى الاستواء ومنه قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وتقدم الكلام فى هذا غير مرة (قوله ما لكم من دونه من ولى) هذا نتيجة ما قبله اى فحيث ثبت انه الخالق للسموات والارض وما بينهما وهو المالك للعرش وما حوى فلا ولى ولا شفيع غيره (قوله يا كفار مكة) خصهم لانهم سبب نزول الآية والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اسم ما) اشار بذلك الى ان ما حجازية وولى اسمها ومؤخر ومن دونه خبر ما مقدم وفيه ان شرط إعمالها الترتيب وهو مفقود هنا الا ان يقال انه مشى على

(تنزيل الكتاب) القرآن مبتدا (لاريب) شك (فيه) خبر اول (من رب العالمين) خبر ثان (ام) بل (يقولون افتراه) محالا (بل هو الحق من ربك لتنذر) به (قوما ما) نافية (اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) بانذارك (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام) اولها الاحد وآخرها الجمعة (ثم استوى على العرش) وهو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (ما لكم) يا كفار مكة (من دونه) اى غيره (من ولى) اسم ما بزيادة من اى ناصر (ولا شفيع) يدفع عذابه عنكم

قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه فى عملها والاحسن جعلها تميمية ومن دونه خبر مقدم وولى مبتدأ مؤخر لان القرآن لا ينبغى حمله على ضعيف (قوله افلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أغفلتم فلا تتذكرون (قوله يدبر الامر) أى الشان والحال والمعنى يتصرف فى الخلق على طبق علمه وارادته وهو القضاء والقدر المشار اليهما بقول الاجهورى

ارادة الله مع التعلق * فى ازل قضاؤه فحقق
والقدر الايجاد للاشيا على * وجه معين اراده علا
وبعضهم قد قال معنى الاول * العلم مع تعلق فى الازل
والقدر الايجاد للامور * على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى كل يوم هو فى شان فالتصريف الذى يظهر فى الخلق من حيث وجوده على طبق العلم والارادة قدر ومن حيث تعلق علم الله وارادته به قضاء فكل شئ بقضاء وقدر (قوله من السماء الى الارض) قال ابن عباس معناه ينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحى مع جبريل وروى انه يدبر امر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل صلوات الله عليهم اجمعين فاما جبريل فموكل بالارياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والماء واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان مادون العرش موضع التفصيل قال تعالى ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل الآيات ومادون السموات موضع التصريف (قوله مدة الدنيا) أى وهى كما ورد سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الالف السادس ومدة أمته تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة كما ذكره السيوطى فى الكشف عن مجاوزة هذه الامة الالف وهذا احد اقوال تقدمت (قوله يرجع الامر والتدبير اليه) أى ينتقل التصريف الظاهرى من ايدى العبيد يوم القيامة ويكون لله وحده ظاهرا وباطنا قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (قوله لشدة اهواله الخ) هذا اشارة لوجه الجمع بين الآيتين اى فالمراد من ذكر الالف وذكر الخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد المذكور بخصوصه وجمع أيضا بان موقف القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف فهذه الآيات بينت احد المواقف وآية سال بينت المواقف كلها وهذا هو الاقرب وجمع أيضا بان العذاب مختلف فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة ثم ينقل الى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة (قوله من صلاة مكتوبة) صادق بصلاة الصبح فهو فى حق المؤمن قصير جدا (قوله ذلك) مبتدأ وعالم خبر اول والعزيز خبر ثان والرحيم خبر ثالث والذى احسن خبر رابع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على انهما بدلان من الهاء فى اليه وقرئ أيضا بجر عالم وما بعده وخرجت على جعل اسم الاشارة فاعلا ليعرج وعالم وما بعده بدل من الضمير فى اليه (قوله الذى احسن) اى احكم واتقن (قوله صفة) اى لكل أو لشئ (قوله وبسكونها) اى وهما قراءتان سبعيتان (قوله بدل اشتمال) اى من كل شئ (قوله ذريته) سميت نسلا لانها تنسل اى تنفصل (قوله أى خلق آدم) اشار بذلك الى ان الضمير فى سواه عائد على آدم ويصح ان يكون عائدا على النسل ويكون المعنى سوى اعضاءه فى الرحم وصورها بعد ان كان يشبه الجماد حيث كان نطفة ثم علقة ثم مضغة (قوله من روحه) الاضافة للتشريف (قوله اى الذرية) فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والنكتة ان الخطاب انما يكون مع الحى فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه (قوله وقالوا أئذا ضللنا) حكاية لبعض قبائحهم واباطيلهم وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وقرئ شذوذا بكسر

(افلا تتذكرون) هذا فتؤمنون (يدبر الامر من السماء الى الارض) مدة الدنيا (ثم يعرج) يرجع الامر والتدبير (اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) فى الدنيا وفى سورة سال خمسين الف سنة وهو يوم القيامة لشدة اهواله بالنسبة الى الكافر واما المؤمن فيكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا كما جاء فى الحديث (ذلك) الخالق المدبر (عالم الغيب والشهادة) اى ما غاب عن الخلق وما حضر (العزيز) المنيع فى ملكه (الرحيم) باهل طاعته (الذى احسن كل شئ) بفتح اللام فعلا ماضيا صفة وبسكونها بدل اشتمال (و بدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلالة) علقة (من ماء مهين) ضعيف هى النطفة (ثم سواه) اى خلق آدم (ونفخ فيه من روحه) أى جعله حيا حساسا بعد ان كان جمادا (وجعل لكم) اى لذريته (السمع) بمعنى الاسماع (والابصار والافئدة) القلوب (قليلا ما تشكرون) ما زائدة مؤكدة للقلة (وقالوا) اى منكرو البعث (ائذا ضللنا فى الارض) غبنا فيها بان صرنا ترابا مختلطا بترابها (ائنا لفى خلق جديد) استفهام انكار بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية

واد خال الف بينهما على الوجهين فى الموضعين قال تعالى (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث (كافرون قل) لهم (يتوفاكم

اللام وبضم الضاد وكسر اللام مشددة (قوله وادخال الف بينهما) اى وتركه فتكون القرا آت أربعا سبعيات (قوله فى الموضعين) اى وهما ائذا ضللنا أئنا (قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون) انتقال من جحدهم البعث الى جحدهم لقاء الله بالمرة (قوله قل لهم) اى للكفار وخصهم بالذكر لوجود التشنيع بعد ذلك (قوله يتوفاكم ملك الموت) أسند التوفى فى هذه الآية لملك الموت وفى آية الانعام للرسل وفى الزمر لله تعالى ولا منافاة بينها فاهنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلقوم ومافى الانعام محمول على معالجة اعوان عزرائيل لمن امر بقبض روحه فان المباشر لاخراجها من الظفر الى الحلقوم اعوانه ومافى الزمر محمول على الحقيقة فان المتوفى حقيقة هو الله تعالى روى ان الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد فياخذ منها من شاء اخذه من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وروى ان خطوته ما بين المشرق والمغرق وروى انه جعلت له الارض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء وقيل انه على معراج بين السماء والارض وقيل ان له حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى اجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن ينزل بك عسكر الموت (قوله فيجازيكم باعمالكم) اى عليها من خير وشر (قوله ولو ترى) الخطاب لكل احد ممن يصلح له (قوله ناسكوا رؤسهم) اى خافضوها (قوله وسمعنا منك تصديق الرسل) اى فيما اخبرونا به من الوعد والوعيد (قوله انا موقنون الآن) اى آمنا فى الحال ويحتمل ان المعنى لم يقع منا الشرك كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين (قوله لرأيت امرا فظيعا) اى شنيعا عجيبا (قوله هداها) اى ايمانها والمعنى لو اردنا خلق كل نفس على الايمان والطاعة لفعلنا ذلك (قوله ولكن حق القول منى) اى ثبت وتقرر وعيدى (قوله من الجنة) قدمهم لان دخول الجن النار اكثر من الانس (قوله اى بتركهم الايمان) اشار بذلك الى ان المراد بالنسيان الترك (قوله وذوقوا عذاب الخلد) كرره لبيان مفعول ذوقوا الاول (قوله بما كنتم تعملون) اى بسبب عملكم (قوله انما يؤمن بآياتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على بقاء من كفر على كفره كان الله يقول لنبيه لا تحزن فان اهل الايمان مجبولون على الاتعاظ بالقرآن واهل الكفر مجبولون على عدم الاتعاظ به فالخلق فريقان فى علم الله (قوله القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية بانه يقتضي مدح كل من سمع القرآن واتعظ به ويسجد لله وان لم يكن له موضع سجود واجيب بان السنة بينت مواضع السجود فى القرآن فمدح المتعظين بالقرآن فى كل آية الساجدين فى مواضع السجود (قوله خروا سجدا) اى على وجوههم تعظيما لآياته وامتثالا لامره وخص السجود بالذكر لانه غاية الذل والخضوع وهو لا يكون الا لله وفعله لغيره كفر ولانه روح الصلاة واعظم اركانها ولانه يقرب العبد من الله تعالى لما فى الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله ملتبسين بحمد ربهم) اى جمعوا فى سجودهم بين التنزيه والحمد فالتنزيه حاصل بوضع الاعضاء على الارض وبقولهم سبحان الله والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد ويطلب فيه ايضا الدعا ومما ورد فيما يقال فى سجدات القرآن اللهم اكتب لى بها اجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام (قوله وهم لا يستكبرون) اى لا يتكبرون ولا يانفون (قوله تتجافى جنوبهم) اسند التجافى للجنوب لان الواعظ الذى يكون سببا فى القيام للصلاة ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب فالانسان اذا كان مشغولا بربه سلط عليه واعظ فى قلبه يقلقه فيكون قليل النوم والهجوع قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فاذا اضطجع قصد بذلك التقوى على القيام والخدمة وبالجملة فتكون جميع

ملك الموت الذى وكل بكم) اى بقبض ارواحكم (ثم الى ربكم ترجعون) احياء فيجازيكم باعمالكم (ولو ترى اذ المجرمون) الكافرون (ناكسوا رؤسهم عند ربهم) مطاطؤها حياء يقولون (ربنا ابصرنا) ما انكرنا من البعث (وسمعنا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا) فيها (انا موقنون) الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو رايت امرا فظيعا قال تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فتهتدى بالايمان والطاعة باختيارها منها (ولكن حق القول منى) وهو (لاملان جهنم من الجنة) الجن (والناس اجمعين) وتقول لهم الخزنة اذا دخلوها (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم لقاء يومكم هذا) اى بتركهم الايمان به (انا نسيناكم) تركناكم فى العذاب (وذوقوا عذاب الخلد) الدائم (بما كنتم تعملون) من الكفر والتكذيب (انما يؤمن بآياتنا) القرآن (الذين اذا ذكروا) وعظوا (بها خروا سجدا وسبحوا) ملتبسين (بحمد ربهم) اى قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) عن الايمان والطاعة (تتجافى جنوبهم) ترتفع (عن المضاجع) مواضع الاضطجاع بفرشها

افاله

لصلاتهم بالليل تهجدا (يدعون ربهم خوفا) من عقابه (وطمعا) فى رحمته (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (فلا تعلم نفس ما أخفى) خبىء (لهم من قرة أعين) ما تقر به أعينهم وفى قراءة بسكون الياء مضارع (جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) اى المؤمنون والفاسقون (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا) هو ما يعد للضيف (بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا) بالكفر والتكذيب (فمأواهم النار كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا بالقتل والاسر والجدب سنين والامراض (دون) قبل (العذاب الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) اى من بقى منهم (يرجعون) الى الايمان (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) القرآن (ثم أعرض عنها) اى لا احد أظلم منه (انا من المجرمين) اى المشركين (منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن فى مرية) شك (من لقائه) وقد التقيا ليلة الاسراء (وجعلناه) اى موسى او الكتاب (هدى) هاديا (لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء قادة (يهتدون) الناس (بأمرنا لما صبروا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم (وكانوا بآياتنا) الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (يوقنون) وفى قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (ان ربك هو يفصل

أفعاله دائرة بين الواجب والمندوب (قوله لصلاتهم بالليل) أى لما فيها من نور القلب ورضا الرب لما فى الحديث مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت ان خيار أمتى لا ينامون (قوله فلا تعلم نفس) أى لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهم والمعنى لا تعلم ذلك تفصيلا والا فنحن نعلمه اجمالا كالاشجار والانهار والغرف والحور والولدان وغير ذلك لان عطاء الجنة لا تحيط به العقول ففى الحديث لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها (قوله من قرة أعين) اى سرورها وفرحها فلا يلتفتون لغيره (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله مضارع) اى والفاعل مستتر تقديره أنا ففى الحديث أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله جزاء) مفعول مطلق أو مفعول لاجله (قوله أفمن كان مؤمنا الخ) سبب نزولها أنه كان بين على بن أبى طالب وعقبة ابن أبى معيط تنازع فقال الوليد بن عقبة لعلى اسكت فانك صبى وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال على اسكت فانك فاسق وهذه الآية بمعنى قوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله كمن كان فاسقا) اى كافرا (قوله لا يستوون) اى فى المآل وقدراعى المعنى فجمع لان المراد الفريق فى كل وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يتعمد الوقف على قوله فاسقا ويبتدئ بقوله لا يستوون (قوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تفصيل لما أجمل أولا (قوله نزلا) اى مهيأة ومعدة لاكرامهم كما تهيأ التحف للضيف النازل بالكرام (قوله بما كانوا يعملون) اى بسبب كونهم يعملون الصالحات (قوله وأما الذين فسقوا) لم يقل وعملوا السيئات اشارة الى ان مجرد الكفر كاف فى الخلود فى النار فلا التفات الى الاعمال معه وأما العمل الصالح فله مع الايمان تأثير فلذا قرنه به (قوله فمأواهم النار) اى مسكنهم ومنزلهم (قوله كلما أرادوا الخ) بيان لكون النار مأواهم روى ان النار تضربهم فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لهبها فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا (قوله وقيل لهم) عطف على أعيدوا والقائل لهم الخزنة (قوله الذى كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وعبر هنا بالتذكير نظرا للمضاف وهو العذاب وفى سبأ بالتانيث نظرا للمضاف اليه وهو النار (قوله والجدب سنين) اى بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب (قوله اى من بقى منهم) اى بعد القحط وبعد يوم بدر والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق وقد تحقق ذلك عند الفتح (قوله ومن أظلم الخ) هذا بيان اجمالى لحال المكذب اثر بيانه تفصيلا (قوله ثم أعرض عنها) اى ترك الايمان بها (قوله اى لا أحد الخ) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) الحكمة فى ذكر موسى قربه من النبى ووجود من كان على دينه لتقوم الحجة عليهم (قوله وقد التقيا ليلة الاسراء) أى فى الارض عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره وفى السماء السادسة كما ورد بذلك الحديث وفى كلامه اشارة الى ان الضمير فى لقائه عائد على موسى والمصدر مضاف لمفعوله اى من لقائك موسى ليلة الاسراء وهو أقوى الاحتمالات فى هذا الموضع (قوله وجعلنا منهم أئمة) اى وهم الانبياء الذين كانوا فى بنى اسرائيل أو أتباع الانبياء (قوله وابدال الثانية ياء) تقدم انها سبعية لكن من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية (قوله لما صبروا) اى تحملوا المشاق فالصبر عواقبه خير كما قيل

الصبر كالصبر مر فى مذاقته * لكن عواقبه أحلى من العسل

والمعنى جعلنا منهم أئمة حين صبروا (قوله وكانوا) عطف على صبروا (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية

بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين (أولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم) اى يتبين لكفار مكة اهلاكنا كثيرا (من القرون) الامم بكفرهم (يمشون) حال من ضمير لهم (فى مساكنهم) فى اسفارهم الى الشام وغيرها فيعتبروا (ان فى ذلك لآيات) دلالات على قدرتنا (أفلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) اليابسة التى لا نبات فيها (فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون) هذا فيعلمون أنا نقدر على اعادتهم (ويقولون) للمؤمنين (متى هذا الفتح) بيننا وبينكم (ان كنتم صادقين قل يوم الفتح) بانزال العذاب بهم (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) يمهلون لتوبة أو معذرة (فاعرض عنهم وانتظر) انزال العذاب بهم (انهم منتظرون) بك حادث موت او قتل فيستريحون منك وهذا قبل الامر بقتالهم

﴿سورة الاحزاب مدنية ثلاث وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله) دم على تقواه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يخالف شرعك (ان الله كان عليما) بما يكون قبل كونه (حكيما) فيما يخلقه (واتبع ما يوحى اليك من ربك) اى القرآن (ان الله كان بما تعملون خبيرا) وفى قراءة بالفوقانية (وتوكل على الله) فى امرك (وكفى بالله وكيلا) حافظا لك وامته

ايضا وخرجت على جعل اللام للتعليل وما مصدرية اى جعلناهم ائمة لاجل صبرهم (قوله بينهم) اى المؤمنين والمشركين أو بين الانبياء وأممهم (قوله اولم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اعفلوا ولم يتبين لهم الخ (قوله من القرون) من بيانية لكم ومن قبلهم حال من القرون (قوله ان فى ذلك) اى المذكور من كثرة اهلاك الامم الخالية (قوله اليابسة التى لا نبات فيها) اى التى قطع وازيل بالمرة فالجرز معناه القطع سميت الارض اليابسة بذلك لقطع النبات منها وقيل المراد بالجرز موضع باليمن (قوله تاكل منه انعامهم وانفسهم) قدم الانعام لان اكلها مقدم لكونها تاكله قبل ان يثمر (قوله ويقولون متى هذا الفتح) سبب نزولها ان المسلمين كانوا يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوهم يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح (قوله قل يوم الفتح) المراد به يوم القيامة لانه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين (قوله لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) اى لان الايمان المقبول هو الذى يكون فى الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها (قوله ولاهم ينظرون) اى يؤخرون وقوله او معذرة اى اعتذار (قوله فاعرض عنهم) اى اتركهم ولا تتعرض لهم (قوله وهذا قبل الامر بقتالهم) اى فهو منسوخ بآية الجهاد ويحتمل ان الآية محكمة ومعنى فاعرض عنهم اى اقبل عذر من أسلم منهم واترك ما هو عليه وقد وقع منه ذلك فقد عفا عن وحشي حين اسلم بعد قتله حمزة عمه صلى الله عليه وسلم وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح

﴿سورة الاحزاب﴾

اى التى ذكر فيها قصة الاحزاب وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من اصحابه والتشنيع على المنافقين وذمهم وكانت هذه السورة قدر سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فاتى الله منها ما هو بايدينا ورفع الزائدة خلافا للروافض حيث كانوا زعموا ان تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة فاكلها الداجن (قوله مدنية) اى باجماع (قوله يا أيها النبي) لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الانبياء حيث قال يا موسى يا عيسى يا داود لكونه صلى الله عليه وسلم افضل الخلق على الاطلاق فخاطبه بما يشعر بالتعظيم والاجلال حيث قال يا أيها النبي يا أيها الرسول وان ذكر اسمه صريحا اردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال محمد رسول الله وما محمد الا رسول الى غير ذلك (قوله اى دم على تقواه) دفع بذلك ما يقال ان فى الآية تحصيل الحاصل وسبب نزول هذه الآية ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور عمرو بن سفيان السلمى قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابى رأس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابى سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا فى قتلهم فقال انى اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى امنة الله وغضبه فامر النبي عمر أن يخرجهم من المدينة (قوله ان الله كان عليما حكيما) تعليل للامر والنهى (قوله ان الله كان بما يعملون خبيرا) الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتانية وضمير النبي وامته على قراءة الفوقانية وهما قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) اى اعتمد عليه وفوض امورك اليه (قوله وكفى بالله وكيلا)

الباء

الباء زائدة فى فاعل كفى ووكيلا حال (قوله تبع له فى ذلك) أى فيما ذكر من قوله اتق الله الى هنا (قوله من قلبين فى جوفه) أى لان القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده لانه يؤدى للتناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل قوى الجسد وغير أصل له (قوله ردا على من قال الخ) أى وهو أبو معمر جميل بن معمر الفهرى كان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء الا من أجل أن له قلبين وكان هو يقول لى قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه بيده والاخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا فقال ما بال احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا أنهما فى رجلى فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده (قوله بهمزة وياء وبلا ياء) أى فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التى قال ابن مالك * باللات واللاء التى قد جمعا * (قوله بلا ألف قبل الهاء) أى فاصله تتظهرون بتاءين سكنت الثانية وقلبت ظاء وأدغمت فى الظاء (قوله وبها والتاء الثانية فى الاصل مدغمة فى الظاء) أى فهما قراءتان سبعيتان وبقى قراءتان سبعيتان أيضا وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاءين حذفت احداهما وضم التاء وكسر الهاء مع تخفيف الظاء أيضا مضارع ظاهر وهذه القراآت واردة فى قد سمع أيضا غير فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء لان المضارع هنا لك مبدوء بالياء فلا تتاتى فيه وفى الماضى ثلاث لغات تظهر كتكلم وتظاهر كتقاتل وظاهر كقاتل (قوله بقول الواحد مثلا لزوجته الخ) أى وضابطه أن يشبه زوجته كلا أو بعضا بظهر مؤبدة التحريم (قوله امهاتكم) مفعول ثان لجعل (قوله بشرطه) أى وهو العزم على العود فان لم يعزم على العود فلا تجب عليه الكفارة ما لم يمسها والا تحتمت عليه ولو طلقها بعد ذلك (قوله وماجعل أدعياءكم) نزلت فى حق زيد بن حارثة وهو كما روى كان من سبايا الشام فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبى صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فاقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه فى فدائه فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم خيراه فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا انه ابنى يرثنى وارثه وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضى ذلك عمه وابوه وانصرفا فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فمكثت معه مدة ثم اخبر الله نبيه انه زوجه زينب فلما طلقها زيد تزوجها رسول الله فتكلم المنافقون وقالوا تزوج محمد حليلة ابنه وهو يحرمها فنزلت هذه الآية ردا عليهم وستاتى هذه القصة فى اثناء السورة (قوله جمع دعى) اى بمعنى مدعو واصله دعيو اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء (قوله اى اليهود) تفسير للكاف فى افواهكم (قوله ادعوهم لآبائهم) روى ان عمر بن الخطاب قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لآبائهم (قوله هو اقسط) اى دعاؤهم لآبائهم ابلغ فى العدل والصدق (قوله فاخوانكم فى الدين) اى فادعوهم بمادة الاخوة بان تقول له يا اخى مثلا (قوله بنو عمكم) تفسير للموالى فانه يطلق على معان من جملتها ابن العم والمعنى اذا لم تعرفوا نسب شخص واردتم خطابه فقولوا له يا ابن عمى مثلا (قوله وليس عليكم جناح) اى اثم (قوله ولكن ما تعمدت) اى ولكن الجناح فيما تعمدته قلوبكم (قوله النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) اى انه صلى الله عليه وسلم احق بكل مؤمن من نفسه كان فى زمنه اولا فطاعة النبى مقدمة على طاعة النفس فى كل شئ من امور الدين والدنيا لانها طاعة لله قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واذا كان اولى بهم من انفسهم فهو اولى بمالهم واولادهم وازواجهم من انفسهم بالاولى فحقه صلى الله عليه وسلم على امته اعظم من حق

من عقل محمد (وماجعل ازواجكم اللائى) بهمزة وياء وبلا ياء (تظهرون) بلا الف قبل الهاء وبها والتاء الثانية فى الاصل مدغمة فى الظاء (منهن) بقول الواحد مثلا لزوجته انت على كظهر امى (امهاتكم) اى كالامهات فى تحريمها بذلك العدد فى الجاهلية طلاقا وانما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر فى سورة المجادلة (وماجعل ادعياءكم) جمع دعى وهو من يدعى لغير ابيه ابناله (ابناءكم) حقيقة (ذلكم قولكم بافواهكم) اى اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش التى كانت امراة زيد بن حارثة الذى تبناه النبى صلى الله عليه وسلم قالوا تزوج محمد امراة ابنه فاكذبهم الله تعالى فى ذلك (والله يقول الحق) فى ذلك (وهو يهدى السبيل) سبيل الحق لكن (ادعوهم لآبائهم هو اقسط) اعدل (عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم) بنو عمكم (وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به) فى ذلك (ولكن) فى (ما تعمدت قلوبكم) فيه وهو بعد النهى (وكان الله غفورا) لما كان من قولكم قبل النهى (رحيما) بكم فى ذلك (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم)

السيد على عبده وهذه الآية أعظم دليل على انه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت للخلق (قوله فيما دعاهم اليه) أى من أمور الدين او الدنيا او الآخرة فاذا طلب النبي شيا من امر الدنيا او الدين وطلبت النفس خلافه فالحق فى الطاعة للنبي وحينئذ فلا يعاتى من النبي الغصب ولا السرقة ولكن من كمال اخلاقه انه كان يتداين من اليهود ويشترى الشئ بالثمن وانما جعله الله اولى بالمؤمنين لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيا عن هوى نفسه بل عن وحى فجميع افعاله واقواله عن ربه (قوله وازواجه أمهاتهم) أى من عقد عليهن سواء دخل بهن أولا مات عنهن او طلقهن وسراريه اللاتى تمتع بهن كذلك (قوله فى حرمة نكاحهن عليهم) أى والتعظيم والاحترام والبر لا فى غير ذلك من النظر والخلوة فانهن فى ذلك كالاجانب (قوله واولوا الارحام) مبتدا و بعضهم بدل او مبتدا ثان وأولى خبر (قوله فى الارث) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والتقدير الاقارب اولى بارث بعضهم من ان يرثهم المؤمنون والمهاجرون الاجانب (قوله اى من الارث بالايمان والهجرة) اشار بذلك الى ان قوله من المؤمنين متعلق باولى يعنى ان الاقارب اولى بارث بعضهم من الارث بسبب الايمان والهجرة الذى كان فى صدر الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخى بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض (قوله الا ان تفعلوا) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن (قوله الى اوليائكم) اى من توالونه من الاجانب (قوله بوصية) اى فلما نسخ الارث بالايمان والهجرة توصل الى نفع الاجانب بالوصية وهى خارجة من ثلث المال (قوله مسطورا) أى مكتوبا (قوله واذ اخذنا) ظرف لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله وهى اصغر النمل) اى فكل اربعين منها اصغر من جناح بعوضة (قوله بان يعبدوا الله) أى يوحدوه وهو تفسير للميثاق (قوله ويدعوا الى عبادته) اى يبلغوا شرائعه للخلق فعهد الانبياء ليس كعهد مطلق الخلق (قوله من عطف الخاص على العام) أى والنكتة كونهم اولى العزم ومشاهير الرسل وقدمه صلى الله عليه وسلم لمزيد شرفه وتعظيمه (قوله بما حملوه) أى وهو عبادة الله والدعاء اليها (قوله وهو اليمين) اى الحلف بالله على ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته فالميثاق الثانى غير الاول لان الاول ايصاء على التوحيد والدعوى اليه من غير يمين والثانى مغلظ باليمين والشئ مع غيره غيره فى نفسه (قوله ليسال الصادقين) متعلق باخذنا وفى الكلام التفات من التكلم للغيبة كما اشار له المفسر بقوله ثم اخذ الميثاق والمراد بالصادقين الرسل (قوله تبكيتا للكافرين) اى تقبيحا عليهم أى فالحكمة فى سؤال الرسل عن صدقهم وهو تبليغهم ما امروا به مع علمه تعالى انهم صادقون التقبيح على الكفار يوم القيامة (قوله هو عطف على اخذنا) ويصح ان يكون فى الكلام احتباك وهو الحذف من الثانى نظير ما اثبت فى الاول والتقدير ليسئل الصادقين عن صدقهم فاعد لهم نعيما مقيما ويسئل الكافرين عما اجابوا به رسلهم واعد لهم عذابا اليما (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) هذا شروع فى ذكر قصة غزوة الاحزاب وكانت فى شوال سنة اربع وقيل خمس وسببها انه لما وقع اجلاء بنى النضير من اماكنهم سار منهم جمع من اكابرهم منهم حيي بن اخطب وكنانة ابن الربيع وابو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير الى ان قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقال ابو سفيان مرحبا واهلا واحب الناس الينا من اعاننا على عداوة محمد ثم قالت قريش لاولئك اليهود يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول فاخبرونا أنحن على الحق ام محمد ففالوا بل انتم على الحق فانزل الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لحرب محمد ثم خرج اولئك اليهود حتى جاؤا غطفان

فيما دعاهم اليه ودعتهم انفسهم الى خلافه (وازواجه امهاتهم) فى حرمة نكاحهن عليهم (واولوا الارحام) ذوو القرابات (بعضهم اولى ببعض) فى الارث (فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) اى من الارث بالايمان والهجرة الذى كان اول الاسلام فنسخ (الا) لكن (ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا) بوصية فجائز (كان ذلك) اى نسخ الارث بالايمان والهجرة بارث ذوى الارحام (فى الكتاب مسطورا) واريد بالكتاب فى الموضعين اللوح المحفوظ (و) اذكر (اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) حين اخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهى اصغر النمل (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) بان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) شديدا بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم اخذ الميثاق (ليسال) الله (الصادقين عن صدقهم) فى تبليغ الرسالة تبكيتا للكافرين بهم (واعد) تعالى (للكافرين) بهم (عذابا اليما) مؤلما هو عطف على اخذنا (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك وخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة
ابن حصن ولما تهيا الكل للخروج اتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى اخبروا بما اجتمعوا
عليه فشرع فى حفر الخندق باشارة سلمان الفارسي فقال له يارسول الله انا كنا بفارس اذا حاصرونا
خندقنا علينا فعمل فيه النبي والمسلمون حتى احكموه وكان النبي يقطع لكل عشرة اربعين ذراعا ومكثوا
فى حفره ستة ايام وقيل خمسة عشر وقيل اربعة وعشرين وقيل شهرا قال عمرو بن عوف كنت انا
وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى اربعين ذراعا فحفرنا واذا ببطن الخندق
صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره
بخبر هذه الصخرة فاتى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة
بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان تجاوز
خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق وأخذ المعول من سلمان وضربها
به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها يعنى المدينة حتى كان مصباحا فى جوف بيت
مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثانية فبرق منها برق مثل الاول
فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثالثة فكسرها فبرق منها برق مثل
الاول وأخذ بيد سلمان ورقى فقال بابى انت وأمى يارسول الله لقد رأيت شيأ ما رأيت مثله قط فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال اراًيتم ما يقول سلمان قالوا نعم قال ضربت ضربتى
الاولى فبرق البرق الذى رأيتم فاضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب واخبرنى
جبريل ان أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فبرق لى الذى رأيتم اضاءت لى منها قصور قيصر من
أرض الروم كانها انياب الكلاب واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذى
رأيتم اضاءت لى منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة عليها فابشروا
فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبر انه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون
الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزل قوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش
والقبائل وجملتهم اثنا عشر الفا فنزلوا حول المدينة والخندق بينهم وبين المسلمين فلما رأته قريش قالوا
هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا
ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينهم وبين القوم
وخرج عدو الله حيي بن اخطب رئيس بنى النضير حتى اتى كعب بن اسد القرظى سيد بنى قريظة
فلما سمع كعب حييا اغلق دونه حصنه فاستاذن عليه فابى ان يفتح له وقال له ويحك يا حيي انك امرؤ
ميشوم انى عاهدت محمدا فلست بناقض فانى لم أر منه الا وفاء وصدقا فلم يزل حيي به ويقول له جئتك بعز
الدهر حتى فتح له ونقض عهد رسول الله فلما انتهى الخبر الى رسول الله بعث لهم سعد بن معاذ سيد
الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة فوجدوهم قد نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فشاتموهم وقالوا لهم لا عهد بيننا وبينكم ورجعوا أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر أبشروا يا معشر المسلمين فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا
فى ذلك الحصار خمسة عشر يوما وقيل اربعة وعشرين يوما فاشتد على المسلمين الخوف ثم ان نعيم بن
مسعود الاشجعى من غطفان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انى اسلمت وان قومى لم

يعلموا اياسلامى فرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى و بينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤ الحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره وان رأوا نهزة وغنيمة أصابوا وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم و بين هذا الرجل ولا طاقة لكم عليه ان خلا بكم فلا تقاتلوه مع القوم حتى تاخذوا رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى لا يتاخروا قالوا لقد أشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا فقد بلغنى أمر رأيت حقا على أن أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك منا ان ناخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيهكم فنضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم أن نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا و بينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع الذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز معكم محمدا فانا نخشى ان ضرمتكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انتهزوا الى بلادهم وخلوا بينكم و بين الرجل فى بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا وهى ريح الصبا فى ليلة شديدة البرد والظلمة فقلعت بيوتهم وقطعت اطنابهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى الرجل على الارض وارسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل بل نفثت فى قلوبهم الرعب ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فياتينا بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا احد ثم صلى هو يامن الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا احد من شدة الخوف والجوع والبرد ثم قال يا حذيفة فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته فاخذ بيدى ومسح رأسى ووجهى ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تاتينى بخبرهم ولا تحدثن شيا حتى ترجع الى ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمى ثم انطلقت امشى نحوهم كانما امشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد ارسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا

قوله ولسنا مع الذى نقاتل معكم هكذا فى النسخ والذى فى الزرقانى على المواهب ولسنا مع ذلك بمقاتلين معكم

اذ جاءتكم جنود) من الكفار متحزبون ايام حفر الخندق (فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) من الملائكة (وكان الله بما تعملون) بالتاء من حفر الخندق وبالياء من تحزب المشركين (بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم) من اعلى الوادى واسفله من المشرق والمغرب (واذ زاغت الابصار) مالت عن كل شئ الى عدوها من كل جانب (وبلغت القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهى منتهى الحلقوم من شدة الخوف (وتظنون بالله الظنونا) المختلفة بالنصر والياس (هنالك ابتلى المؤمنون) اختبروا ليتبين المخلص من غيره (وزلزلوا) حركوا (زلزالا شديدا) من شدة الفزع (و) اذكر (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) بالنصر (الا غرورا) باطلا (واذ قالت طائفة منهم) اى المنافقين (يا اهل يثرب) هى ارض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل (لا مقام لكم) بضم الميم وفتحها أى لا اقامة ولا مكانة (فارجعوا) الى منازلكم من المدينة وكانوا خرجوا مع النبى صلى الله وعليه وسلم الى سلع جبل خارج المدينة للقتال (ويستاذن فريق منهم النبى) فى الرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة يخشى عليها قال تعالى (وما هى بعورة ان)

نارا ولا بناء وأبو سفيان قاعد يصطلى فاخذت سهما فوضعته فى كبد قوسى فاردت ان ارميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمى فى كنانتى فلما رأى ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل منكم يد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسى فقلت من انت فقال سبحان الله أما تعرفنى انا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام فقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانى أمشى فى حمام فاتيته وهو قائم يصلى فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت انيابه فى سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عنى الدفا فاتانى النبى صلى الله عليه وسلم فانامنى عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وألصق صدرى ببطن قدميه فلم أزل نائما حتى اصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان (قوله اذ جاءتكم) بدل من نعمة والعامل اذكروا (قوله متحزبون) أى مجتمعون وتقدم انهم كانوا اثنى عشر ألفا وكان المسلمون اذ ذاك ثلاثة آلاف والمنافقون من جملتهم (قوله ريحا) أى وهى الصبا التى تهب من المشرق ولم تتجاوزهم (قوله ملائكة) اى وكانوا ألفا ولم يقاتلوا وانما ألقوا الرعب فى قلوبهم (قوله وبالياء) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم (قوله من اعلى الوادى) اى وهم اسد وغطفان (قوله واسفله) اى وهم قريش وكنانة (قوله من المشرق والمغرب) لف ونشر مرتب (قوله من كل جانب) اى المحيط من كل جانب (قوله وهى منتهى الحلقوم) اى من اسفله (قوله الظنونا) بالف بعد النون وصلا ووقفا وبدونها فى الحالين وباثباتها وقفا وحذفها وصلا ثلاث قراآت سبعيات وتجرى فى قوله أيضا السبيلا والرسولا فى آخر السورة (قوله بالنصر) أى من المؤمنين وقوله والياس اى من المنافقين وبعض الضعفاء (قوله هنالك) ظرف مكان اى فى ذلك المكان وهو الخندق (قوله زلزالا) بكسر الزاى فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بفتح الزاى وهما لغتان فى مصدر الفعل المضعف اذا جاء على فعلال كصلصال وقلقال (قوله واذ يقول المنافقون الخ) القائل معتب بن بشير وقال أيضا يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا وخوفا ما هذا الا وعد غرور (قوله واذ قالت طائفة منهم) القائل هو أوس بن قيظى بكسر الظاء المعجمة من رؤساء المنافقين (قوله هى أرض المدينة) اى فسميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها قديما وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تسميتها بذلك وسماها طيبة وطابة وقبة الاسلام ودار الهجرة (قوله وزن الفعل) اى فهى على وزن يضرب (قوله بضم الميم وفتحها) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا مكانة) اى تمكن فهو بمعنى الاقامة (قوله جبل خارج المدينة) اى بينها وبين الخندق فجعل المسلمون ظهورهم اليه ويجوههم للعدو (قوله ويستاذن) عطف على قالت طائفة وعبر بالمضارع استحضارا للصورة (قوله يخشى عليها) اى من السراق لكونها قصيرة البناء (قوله قال تعالى) أى تكذيبا لهم (قوله ولو دخلت عليهم) اى دخلها الاحزاب (قوله الشرك) اى ومقاتلة المسلمين (قوله بالمد والقصر) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله اى اعطوها وفعلوها) لف ونشر مرتب (قوله وما تلبثوا بها الا يسيرا) اى ما أقاموا بالمدينة بعد نقض العهد واظهار الكفر وقتال المسلمين الا زمنا

ما (يريدون الا فرارا) من القتال (ولو دخلت) أى المدينة (عليهم من اقطارها) نواحيها (ثم سئلوا) اى سألهم الداخلون (الفتنة) الشرك (لآتوها) بالمد والقصر أى اعطوها وفعلوها (وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله

من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا) عن الوفاء به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا) ان فررتم (لا تمتعون) في
الدنيا بعد فراركم (الا قليلا) بقية آجالكم (قل من ذا الذي يعصمكم) يجيركم (من الله ان اراد بكم سوأ) ملاً

وهزيمة (أو) يصيبكم بسوء ان (اراد) الله (بكم رحمة) خيرا (ولا يجدون لهم من دون الله) اى غيره (وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين) المثبطين (منكم والقائلين لاخوانهم هلم) تعالوا (الينا ولا يأتون البأس) القتال (الا قليلا) رياء وسمعة (اشحة عليكم) بالمعاونة جمع شحيح وهو حال من ضمير يأتون (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي) كنظر أو كدوران الذي (يغشى عليه من الموت) أي سكراته (فاذ ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) أذوكم أو ضربوكم (بالسنة حداد (أشحة على الخير) أي الغنيمة يطلبونها (أولئك لم يؤمنوا) حقيقة (فاحبط) الله اعمالهم وكان ذلك الاحباط (على الله يسيرا) بارادته (يحسبون الاحزاب) من الكفار (لم يذهبوا) الى مكة لخوفهم منهم (وان يات الاحزاب) كرة أخرى (يودوا) يتمنوا (لو أنهم بادون في الاعراب) اى كائنون

قليلا ويهلكون فالعزة لله ورسوله والمسلمين فالمعنى لو دخل الكفار المدينة وارتد هؤلاء المنافقون وقاتلوكم مع الكفار لاخذ الله بايديكم سريعا بقطع دابرهم فلا تخشوا منهم داخل المدينة أو خارجها (قوله من قبل) اى قبل غزوة الخندق (قوله لا يولون الادبار) اى بل يثبتون على القتال حتى يموتوا شهداء (قوله مسؤلا عن الوفاء به) أى مسؤلا صاحبه هل وفى به أم لا (قوله أن فررتم من الموت أو القتل) اى لانه مصيبكم لا محالة (قوله واذا لا تمتعون الا قليلا) اى وان نفعكم الفرار وتمتعتم بالحياة لم يكن ذلك التمتع الا زمنا قليلا (قوله وأرادبكم رحمة) قدره المفسر عاملا يناسبه وهو قوله او يصيبكم بسوء لانه لا يصلح لتسلط العامل السابق وهو يعصمكم على حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله المثبطين) اى المكسلين غيرهم عن القتال فى سبيل الله وهم المنافقون (قوله والقائلين) عطف على المعوقين وقوله لاخوانهم اى فى الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالقائلين اليهود من بنى قريظة (قوله هلم الينا) اسم فعل ويلزم صيغة واحدة للواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وهذه لغة اهل الحجاز وعند تميم هو فعل امر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتانيث ومقتضى عبارة المفسر انه لازم حيث فسره بتعالوا ويصح جعله متعديا بمعنى قربوا ومفعوله محذوف والتقدير انفسكم الينا (قوله رياء وسمعة) اى لان شان من يكسل غيره عن الحرب لا يفعله الا قليلا لغرض خبيث (قوله اشحة عليكم) اى مانعين للخير عنكم (قوله جمع شحيح) هذا هو المسموع فيه وقياسه أفعلاء كخليل واخلاء والشح البخل (قوله رايتهم ينظرون اليك الخ) هذا وصف لهم بالجبن لان شان الجبان الخائف ينظر يمينا وشمالا شاخصا ببصره (قوله كنظر او كدوران) اشار بذلك الى ان قوله كالذى يغشى عليه نعت لمصدر محذوف من ينظرون أو من تدور (قوله كالذى يغشى عليه من الموت) اى لانه يشخص ببصره ويذهب عقله (قوله سلقوكم) الساق بسط العضو ومده للقهر كان يدا أو لسانا ففى الآية استعارة بالكناية حين شبه اللسان بالسيف وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب فاثباته تخييل والحداد ترشيح (قوله اشحة على الخير) أى مانعين له فلا نفع فى انفسهم ولا فى مالهم (قوله لم يؤمنوا حقيقة) اى بقلوبهم وان اسلموا ظاهرا (قوله فاحبط الله اعمالهم) اى اظهر بطلانها (قوله يحسبون) اى المنافقون اشدة جبنهم (قوله الاحزاب) اى قريشا وغطفان واليهود (قوله لو انهم بادون فى الاعراب) اى ساكنون فى البادية خارج المدينة ليكونوا فى بعد عن الاحزاب (قوله يسئلون عن انبائكم) يصح ان يكون حالا من الواو فى بادون أو جملة مستانفة والمعنى يسئلون كل قادم من جانب المدينة عما جرى بينكم وبين الكفار قائلين فيما بينهم ان غلب المسلمون قاسمناهم فى الغنيمة وان غلب الكفار فنحن معهم (قوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) هذه الآية وما بعدها الى قوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من تمام قصة الاحزاب وفيها عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والمنافقين (قوله بكسر الهمزة وضمها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اقتداء) اشار بذلك الى ان الاسوة اسم بمعنى المصدر وهو الائتساء يقال ائتسى فلان بفلان اى اقتدى به (قوله فى القتال) لا مفهوم له بل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واجب فى الاقوال والافعال والاحوال لانه لا ينطق ولا يفعل عن هوى بل جميع افعاله واقواله واحواله عن ربه ولذا قال العارف

وخصك بالهدى فى كل أمر * فلست تشاء الا ما يشاء

فى البادية (يسئلون عن انبائكم) اخباركم مع الكفار (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة (ما قاتلوا الا قليلا) وانما رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة) بكسر الهمزة وضمها (حسنة) اقتداء به فى القتال والثبات فى مواطنه

وانما خص القتال بالذكر لانه معرض السيف (قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) اى فالمتصف بهذه الاوصاف ثبتت له الاسوة الحسنة فى رسول الله واما من لم يكن متصفا بتلك الاوصاف فليس كذلك (قوله وذكر الله كثيرا) اى بلسانه اوجنانه أوماهو أعم (قوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب) اى ابصروهم محدقين حول المدينة (قوله قالوا هذا ماوعدنا الله) اى بقوله أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وقوله ورسوله اى بقوله ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال أو عشر والعاقبة لكم عليهم (قوله وصدق الله ورسوله) اى ظهر صدق خبر الله ورسوله فى الوعد بالنصر فاستبشروا بالنصر قبل حصوله وأظهر فى محل الاضمار زيادة فى تعظيم اسم الله ولانه لو اضمر لجمع بين اسم الله واسم رسوله فى ضمير واحد مع ان النبي صلى الله عليه وسلم عاب على من قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله (قوله وما زادهم ذلك) اى الوعد والصدق (قوله من المؤمنين رجال صدقوا الخ) هم جماعة من الصحابة نذروا انهم اذا أدركوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا (قوله فمنهم من قضى نحبه) اى وفى نذره بموته فى القتال يقال نحب ينحب من باب قتل نذر ومن باب ضرب بكى (قوله ومنهم من ينتظر ذلك) اى قضاء النحب بالموت فى سبيل الله (قوله بخلاف حال المنافقين) اى فقد بدلوا وغيروا فكان الواحد منهم اذا أراد القتال انما يقاتل خوفا على نفسه وماله لا طمعا فى رضا الله (قوله ليجزى الله الصادقين) متعلق بمحذوف تقديره خلق المؤمنين والمنافقين وفرق بين نياتهم ليجزى الله الخ (قوله بان بميتهم على نفاقهم) اشار بذلك الى ان مفعول شاء محذوف ودفع بذلك مايقال ان عذابهم متحتم فكيف علق على المشيئة فالتعليق بحسب علمنا واما فى علم الله فالامر محتم اما بالسعادة أو الشقاوة وسيظهر ذلك للعباد (قوله بغيظهم) الجملة حالية اى ملتبسين بالغيظ (قوله لم ينالوا خيرا) حال ثانية (قوله وكفى الله المؤمنين القتال) اى لم يحصل بينهم اختلاط فى الحرب بل انما كان بينهم ضرب بالسهام والخندق بينهم (قوله بالريح) اى فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم (قوله والملائكة) اى بالقاء الرعب فى قلوبهم وتقدم بسط ذلك فى القصة (قوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب الخ) شروع فى ذكر قصة بنى قريظة وذكرت عقب الاحزاب لكون بنى قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه قال العلماء بالسير لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليلة التى انصرف فيها الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف هو والمؤمنون الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من استبرق راكبا على بغلة بيضاء عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه الايمن فقال يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ماوضعت الملائكة السلاح منذ ثلاثين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم فقال ان الله يامرك بالسير الى بنى قريظة فانهض اليهم فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت ابوابهم وتركتهم فى زلزال والقيت الرعب فى قلوبهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى ان من كان مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتنزلون على حكمى فابوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس فرضوا به فحكمه فيهم فقال سعد انى احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء فقال صلى

(لمن) بدل من لكم (كان يرجوا الله) يخافه (واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) بخلاف من ليس كذلك (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) من الكفار (قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله) من الابتلاء والنصر (وصدق الله ورسوله) فى الوعد (وما زادهم) ذلك (الا ايمانا) تصديقا بوعد الله (وتسليما) لامره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم (فمنهم من قضى نحبه) مات او قتل فى سبيل الله (ومنهم من ينتظر) ذلك (وما بدلوا تبديلا) فى العهد وهم بخلاف حال المنافقين (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء) بان يميتهم على نفاقهم (او يتوب عليهم ان الله كان غفورا) لمن تاب (رحيما) به (ورد الله الذين كفروا) اى الاحزاب (بغيظهم لم ينالوا خيرا) مرادهم من الظفر بالمؤمنين (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على ايجاد مايريده (عزيزا) غالبا على امره (وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب) اى قريظة (من صياصيهم) حصونهم جمع صيصية

الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم خرج الى سوق المدينة الذي هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقا ثم بعث اليهم فاتى بهم اليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير وكعب بن أسد رئيس بني قريظة وكانوا ستمائة أو سبعمائة فامر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق فلما فرغ من قتلهم وانقضى شانهم توفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الاحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم (قوله وهو ما يتحصن به) أي سواء كان من الحصون أو لا حتى الشوكة والقرن وباب الدار ونحو ذلك تسمى صيصية (قوله فريقا تقتلون) بيان لما فعل بهم (قوله وهم المقاتلة) أي وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة (قوله أي الذراري) أي وكانوا سبعمائة وقيل وخمسين (قوله بعد) أي الآن وعبر بالماضي لتحقق الحصول (قوله وهي خيبر) أي وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك الى يوم القيامة (قوله أخذت بعد قريظة) أي بسنتين أو ثلاث على الخلاف المتقدم في قريظة هل هي في الرابعة أو الخامسة وخيبر كانت في السابعة في أول المحرم وهي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل فاقبل عليها صبيحة النهار وفي تلك الليلة لم يصح لهم ديك ولم يتحركوا وكان فيها عشرة آلاف مقاتل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وحاصرها وبنى هناك مسجدا صلى به طول مقامه عندها وقطع من نخلها أربعمائة نخلة وسبى أهلها وأصاب من سبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بني النضير وكانت وقعت في سهم دحية الكلبي فتنازع بعض الصحابة في شان ذلك فاخذها رسول الله وأرضاه وكانت من سبط هرون أخي موسى فاسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها (قوله يا أيها النبي قل لازواجك) اختلف المفسرون في هذا التخيير هل كان تفويضا في الطلاق اليهن فيقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة واكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويضا في الطلاق وانما خيرهن على انهن ان اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن وذهب قوم الى انه كان تفويضا وانهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقا فلا يحتاج لانشاء صيغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهن تسع) اى وهن اللاتي مات عنهن وقد جمعهن بعض العلماء بقوله

توفي رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست نظمهن مهذب

فعائشة هي بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب من بني النضير وهند هي ام سلمة بنت ابي امية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث الخزاعية المصطلقية ورملة هي ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب وسودة هي بنت زمعة (قوله ان كنتن تردن الحياة الدنيا) اى التنعم فيها (قوله وزينتها) اى زخارفها روي ان أبا بكر جاء ليستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم قال فاذنت لابي بكر فدخل ثم جاء عمر فاستاذن فاذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لاقولن شيا اضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها

وهو ما يتحصن به (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف (فريقا تقتلون) منهم وهم المقاتلة (وتاسرون فريقا) منهم اى الذراري (واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها) بعد وهي خيبر اخذت بعد قريظة (وكان الله على كل شئ قديرا يا ايها النبي قل لازواجك) وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده (ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها

كلاهما

كلاهما يقول تسالن رسول الله ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ما ليس عنده ثم اعتزلن شهرا ثم نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعائشة فقال يا عائشة انى اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلى فيه حتى تستشيرى ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله استشير ابوى بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وكلهن قان كما قالت عائشة فشكر لهن ذلك فانزل الله لا يحل لك النساء من بعد ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له و بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء (قوله فتعالين) فعل امر مبنى على السكون ونون النسوة فاعل (قوله أمتعكن) جواب الشرط وما بينهما اعتراض و يصح ان يكون مجزوما فى جواب الامر والجواب فتعالين (قوله أطلقكن من غير ضرار) اى من غير تعب ولا مشقة (قوله فاخترن الآخرة على الدنيا) اى ودمن على ذلك فكن زاهدات فى الدنيا حتى وردان عائشة دخل عليها ثمانون الف درهم من بيت المال فامرت جاريتها بتفرقتها ففرقتها فى مجلس واحد فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئا تفطر به وكانت صائمة فلم تجد منها شيئا (قوله يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة الخ) هذه الآيات خطاب من الله لازواج النبي اظهارا لفضلهن وعظم قدرهن عند الله تعالى لان العتاب والتشديد فى الخطاب مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهن ضجيعاته فى الجنة فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله خلافا لمن شذ وزعم ان حب النبي والقرب منه والتعلق به شرك (قوله بفاحشة) قيل المراد بها الزنا والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل لحدت حدين لعظم قدرها كالحرة بالنسبة للامة وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي بل جميع نساء الانبياء مصونات من الزنا ولذا قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما خانت امراة نوح ولوط فى الايمان والطاعة وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق وقيل الفاحشة اذا وردت معرفة فهى الزنا واللواط وان وردت منكرة فهى سائر المعاصي وان وردت منعوتة كما هنا فهى حقوق الزوج وسوء عشرته وقيل المراد بها جميع المعاصى وهو الاظهر وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد لئن اشركت ليحبطن عملك و لا فنساء النبي مطهرات مصونات من الفواحش (قوله بفتح الياء وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى يبنت الخ) لف ونشر مرتب (قوله وفى قراءة يضعف) اى و الثلاث سبعيات (قوله العذاب) اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة (قوله اى مثليه) اى فضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله (قوله وكان ذلك على الله يسيرا) اى سهلا فلا يبالى الله باحد وان عظمت رتبته فليس امر الله كامر الخلق يترك تعذيب الاعزة حيث اذنبوا الكثرة أوليائهم واعوانهم بل المكرم عند الله هو التقى (قوله وتعمل صالحا) اى تدم عليه وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء ومراعاة لفظها على قراءة الياء (قوله مرتين) اى مرة على الصاعة والتقوى ومرة اخرى على خدمة رسول الله الخدمة الباطنية التى لا تتيسر من غيرهن (قوله يا نساء النبي لستن كاحد من النساء) تقدم ان حكمة التشديد عليهن شدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن فلا يليق منهن التوغل فى الشهوات وتطلب زينة الدنيا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لست من الدنيا وليست الدنيا منى والمقربون منه كذلك والمعنى ليست الواحدة منكن كواحدة من آحاد النساء فالتفاضل فى الافراد (قوله ان اتقيتن) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه كما يشير له المفسر بقوله فانكن اعظم والمعنى ان اتقيتن الله فلا يقاس بكل واحدة منكن واحدة من سائر النساء (قوله فلا تخضعن) كلام مستانف مفرع على التقوى (قوله بالقول) اى بان تتكلمن بكلام

فتعالين امتعكن) اى متعة الطلاق (و اسرحكن سراحا جميلا) اطلقكن من غير ضرار (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة) اى الجنة (فان الله اعد للمحسنات منكن) بارادة الآخرة (اجرا عظيما) اى الجنة فاخترن الآخرة على الدنيا (يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة) بفتح الياء وكسرها اى بينت أو هى بينة (يضاعف) وفى قراءة يضعف بالتشديد وفى اخرى يضعف بالنون معه ونصب العذاب (لها العذاب ضعفين) ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه (وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت) يطع (منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين) اى مثلى ثواب غيرهن من النساء وفى قراءة بالتحتية فى تعمل و نؤتها (واعتدنا لها رزقا كريما) فى الجنة زيادة (يا نساء النبي لستن كاحد) كجماعة (من النساء ان اتقيتن) الله فانكن اعظم فلا تخضعن بالقول) للرجال

رقبق يميل قلوب الرجال اليكن اذلا يليق منكن ذلك لكونكن اعظم النساء (قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض) فى ذلك احتراس عما يقال انهن أمهات المؤمنين والانسان لا يطمع فى أمه فاجاب بان الذى يقع منه الطمع انما هو المنافق لان شهوته حاصلة معه وهو منزوع الخشية والخوف من الله ولكن نهين عموما سدا للذريعة (قوله قولا معروفا) أى حسنا فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لا ريبة فيه (قوله بكسر القاف وفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من القرار) اى الثبات بيان لمعنى القراءتين (قوله واصله اقررن بكسر الراء) اى من باب ضرب وقوله وفتحها أى من باب علم فماضى الاول مفتوح والامر منه مكسور والثانى بالعكس (قوله نقلت حركة الراء) اى الاولى وحركتها اما كسرة على الاول او فتحة على الثانى (قوله مع همزة الوصل) اى للاستغناء عنها بتحريك القاف والمعنى اثبتن فى بيوتكن ولا تخرجن الا لضرورة (قوله تبرج الجاهلية الاولى) اختلف فى زمنها فقيل هى ما قبل بعثة ابراهيم وقيل ما بين آدم ونوح وقيل ما بين نوح وادريس وقيل ما بين نوح وابرهيم وقيل ما بين موسى وعيسى وقيل ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هى ما قبل الاسلام مطلقا وعليه اقتصر المفسر وجعلها أولى بالنسبة الى ما كن عليه وليس المعنى ان ثم جاهلية أخرى (قوله من اظهار محاسنهن للرجال) اى فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير مخيط الجانبين وكانت النساء يظهرون ما يقبح اظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها فينفرد خلها بما فوق الازار وينفرد زوجها بما دون الازار الى أسفل وربما سال أحدهما صاحبه البدل (قوله والاظهار بعد الاسلام الخ) جواب عما يقال ان اظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الاسلام فلا حاجة لذكر الجاهلية الاولى فاجاب بانه تقدم النهى عنه فى قوله ولا يبدين زينتهن الخ (قوله وأقمن الصلاة) اى بشروطها وآدابها (قوله وآتين الزكاة) اى لمستحقيها (قوله واطعن الله ورسوله) اى فى جميع الاوامر والنواهى فلا تليق منكن المخالفة فيما أمر الله ورسوله به (قوله الرجس) اى الذنب المدنس لعرضكن (قوله اهل البيت) منصوب على انه منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر (قوله اى نساء النبى) قصره عليهن لمراعاة السياق والا فقد قيل الآية عامة فى أهل بيت سكنه وهن أزواجه وأهل بيت نسبه وهن ذريته (قوله ويطهركم تطهيرا) أكده اشارة الى الزيادة فى التطهير بسبب التكاليف فالعبادة والتقوى سبب للطهارة وهى الخلوص من دنس المعاصى فمن ادعى الطهارة مع ارتكابه المعاصى فهو ضال كذاب (قوله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن) اى لتذكرن به انفسكن او غيركن وفيه تذكير لهن بهذه النعمة العظيمة حيث جعلهن من اهل بيت النبوة وشاهدن نزول الوحى وكل ذلك موجب للزوم التقوى (قوله من آيات الله) بيان لما (قوله لطيفا) اى عالما بخفيات الامور (قوله خبيرا) اى مطلعا على كل شئ (قوله ان المسلمين والمسلمات الخ) سبب نزولها ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن ان الله ذكر الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فسالت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرة السؤال له فقالت يا رسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال فى كتابه ولا يذكر النساء فنخشى ان لا يكون فيهن خير فنزلت جبرا لخاطرهن (قوله والمؤمنين والمؤمنات) انما عطف وصفهما بالايمان على وصفهما بالاسلام وان كانا متحدين شرعا نظرا الى أنهما مختلفان مفهوما اذ الاسلام التلفظ بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم والايمان الاذعان القلبى بشرط النطق باللسان ويكفى فى العطف ادنى تغاير (قوله والحافظات) حذف المفعول لدلالة ما قبله عليه والتقدير والحافظات فروجهن (قوله والذاكرين الله كثيرا) اى باى ذكر كان من تسبيح او تهليل او تحميد او صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والكثرة مختلفة باختلاف

يبوتكن) من القرار وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت يقرت حركة الراء الى القاف وحذفت مع همزة الوصل (ولا تبرجن) بترك احدى التاءين من اصله (تبرج الجاهلية الاولى) اى ما قبل الاسلام من اظهار النساء محاسنهن للرجال والاظهار بعد الاسلام مذكور فى آية ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الاثم يا (اهل البيت) اى نساء النبى صلى الله عليه وسلم (ويطهركم) منه (تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) السنة (ان الله كان لطيفا) باوليائه (خبيرا) بجميع خلقه (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات) المطيعات (والصادقين والصادقات) فى الايمان (والصابرين والصابرات) على الطاعات (والخاشعين) المتواضعين (والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة) للعاصى (واجرا عظيما) على الطاعات الاشخاص

الاشخاص فالكثرة فى حق العامة أقلها ثلثمائة وفى حق المريد بن اثنى عشر العا وفى حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم ومنه قول العارف ابن العارض

ولو خطرت لى فى سوالك ارادة * على خاطرى يوما حكمت بردتى

(قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) اى لا ينبغى ولا يصلح ولا يليق وهذا اللفظ يستعمل تارة فى الخطر والمنع كما هنا وتارة فى الامتناع عقلا كما فى قوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وتارة فى الامتناع شرعا كقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا (قوله اذا قضى الله ورسوله امرا) ذكر اسم الله للتعظيم واشارة الى ان قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لا ينطق عن الهوى واذا يصح ان تكون ظرفا معمولا لما تعلق به خبر كان والتقدير وما كان مستقرا لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله امرا كون الخيرة لهم ويصح ان تكون شرطية وجوابها محذوف دل عليه ما قبله (قوله ان تكون) اسم كان مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم (قوله بالتاء والياء) أى فيهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة والياء نظرا الى ان الخيرة مجازى التانيث او للفصل بين العامل والمعمول (قوله الخيرة) بفتح الياء وقرئ شذوذا باسكانها ومعناها واحد وهو الاختيار (قوله أى الاختيار) اشار بذلك الى ان الخيرة مصدر (قوله من امرهم) حال من الخيرة (قوله واخته زينب) اى بنت جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خطبها النبى وعنى لزيد) اى بعد ان كان زوجه اولا ام ايمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن كانت لعبد الله ابى النبى صلى الله عليه وسلم فاعتقها وقيل اعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم خمسة اشهر وقيل سنة وولدت لزيد اسامة وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس (قوله فكرهها ذلك) اى كون الخطبة لزيد وقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا بنت عمتك فلا ارضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وزيد اسود (قوله ثم رضيا الآية) أى حين نزلت الآية توبيخا لهما (قوله ومن يعص الله ورسوله الخ) هذا من تمام ما نزل فى شانهما فكان المناسب للمفسر تاخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية (قوله فقد ضل) اى اخطا طريق الصواب (قوله فزوجها النبى لزيد) اى واعطاها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (قوله ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على ان معنى قوله تعالى تخفى فى نفسك ما الله مبديه هو حبها الذى درج عليه المفسر تبعا لغيره وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لا سيما مجانبا به الشريف وايضا يعد ان النبى يخفى عليه حالها مع كونها بنت عمته وفى حجره (قوله فقال امسك عليك زوجك) أى لا تفارقها (قوله منصوب باذكر) أى فهو معمول لمحذوف (قوله اشتراه رسول الله) فيه تسمح بل السكر فى السير اخذ بجاشترته بار بعمائة درهم ثم وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الشراء صورى والا فهو كان حرا لانه ما يمكن الرق بالسبى مشروعا لكونهم أهل فترة وهم ناجون ليس فيهم حربى والعلماء عرفوا لرق بانه عجز حكمى سببه الكفر روى ان عمه لقيه يوما بمكة فعرفه وضمه الى صدره وقال له لمن انت قال لمحمد بن عبد الله فوقفوا هذا ابننا فرده علينا فقال اعرضوا عليه فان اختاركم فخذوه فمضى الى زيد وخيره فقال يا رسول الله ما اختار عليك احدا فاخذ به عمه وقال يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك قال نعم هى احب الى من ان اكون عندكم فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من محبتها) بيان لما ابداه وهذا النوع من الود لا تقدم انه ينزه عنه رسول الله والصواب ان يقول ان الذى اخفاه فى نفسه هو ما اخبره الله به من انه سيصير احدى زوجاته بعد طلاق زيد لها لما روى عن على بن الحسين رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحى الله اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج الله اياها فلما شكا النبى خلق زينب وانها

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان تكون) بالتاء والياء (لهم الخيرة) أى الاختيار (من امرهم) خلاف امر الله ورسوله نزلت فى عبد الله بن جحش واخته زينب خطبها النبى صلى الله عليه وسلم وعنى لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما انهما قبل ان النبى صلى الله عليه وسلم خطبها لنفسه ثم رضيا للآية (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بينا فزوجها النبى صلى الله عليه وسلم لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع فى نفسه حبها وفى نفس زيد كراهتها ثم قال للنبى صلى الله عليه وسلم اريد فراقها فقال امسك عليك زوجك كما قال تعالى (واذ) منصوب باذكر (تقول للذى انعم الله عليه) بالاسلام (وانعمت عليه) بالاعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبى الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمل اليه واعتقه وتبناه (امسك عليك زوجك واتق الله) فى امر طلاقها (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) مظهره من محبتها وان لو فارقها زيد تزوجتها (وتخشى الناس) ان يقولوا تزوج زوجة ابنه (والله احق ان تخشاه) فى كل شئ

لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له رسول الله على جهة الادب والوصية اتق الله فى قولك وامسك عليك زوجك وهذا هو الذى أخفى فى نفسه وخشى رسول الله ان يلحقه قول الناس فى أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنيه فعاتبه الله على الكتم لاجل هذا العذر والحكمة فى تزوج رسول الله بزينب ابطال حكم التبنى والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبنى من حيث أن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته وولد التبنى لا يحرم (قوله وتزوجها) هكذا فى بعض النسخ بصيغة الامر وفى نسخة ويزوجكها فعل مضارع (قوله فلما قضى زيد منها وطرا) أى بان لم يبق له فيها ارب وطلقها وانقضت عدتها وفى ذكر اسمه صريحا دون غيره من الصحابة جبر وتانيس له وعوض من الهجر بابوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان اسمه قرآنا يتلى فى الدنيا والآخرة على ألسنة البشر والملائكة وزاد فى الآية أن قال واذ تقول للذى أنعم الله عليه أى بالايمان فدل على أنه من اهل الجنة فعلم ذلك قبل موته فهذه فضيلة أخرى (قوله فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن) أى ولا عقد ولا صداق وهذا من خصوصياته التى لم يشاركه فيها احد بالاجماع وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهى اول من مات بعده من زوجاته ماتت بعده بعشر سنين ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وكانت تفتخر على ازواج النبي وتقول زوجكن اهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات وكانت تقول للنبي جدى وجدك واحد وليس من نسائك من هى كذلك غيرى وقد أكحينك الله والسفير فى ذلك جبريل (قوله واشبع المسلمين خبزا ولحما) اى فذبح شاة وأطعم الناس خبزا ولحما حتى تركوه ولم يولم النبي على أحد من نسائه كما أولم على زينب (قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج الخ) أى فهو دليل على أن هذا الامر ليس مخصوصا به صلى الله عليه وسلم (قوله وكان أمر الله مفعولا) اى موجودا لا محالة (قوله من حرج) أى اثم (قوله فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية وفى هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم كثرة النساء (قوله توسعة لهم فى النكاح) اى فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان ولده سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية (قوله قدرا مقدورا) هو من التاكيد كظل ظليل وليل أليل (قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) اى ابوة حقيقية فلا ينافى انه أبوهم من حيث انه شفيق عليهم وناصح لهم يجب عليهم تعظيمه وتوقيره (قوله ولكن رسول الله) العامة على تخفيف لكن ونصب رسول على انه خبر لكان المحذوفة وقرئ شذوذا بتشديد لكن ورسول اسمها وخبرها محذوف تقديره أب من غير وراثة اذ لم يعش له ولد ذكر وقرئ أيضا بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر أى هو أو بالعكس ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من نفى الابوة عنه ان حقه ليس أكيدا فافاد ان حقه آكد من حق الاب الحقيقى بوصف الرسالة (قوله فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا) النفى فى الحقيقة متوجه للوصف اى كون ابنه رجلا وكونه نبيا بعده والا فقد كان له من الذكور اولاد ثلاث ابراهيم والقاسم والطيب ولكنهم ماتوا قبل البلوغ فلم يبلغوا مبلغ الرجال فكونه خاتم النبيين يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له وأورد عليه بمنع الملازمة اذ كثير من الانبياء وجد لهم أولاد بالغون وليسوا بانبياء وأجيب بان الملازمة ليست عقلية بل على مقتضى الحكمة الالهية وهى ان الله اكرم بعض الرسل بجعل اولادهم انبياء كالخليل ونبينا اكرمهم وأفضلهم فلو عاش اولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء لجمعه المزايا المتفرقة فى غيره فتدبر (قوله واذا نزل السيد عيسى الخ) جواب عما يقال كيف قال تعالى وخاتم النبيين وعيسى ينزل بعده وهو نبي ولا يرد على هذا وضع الجزية وعدم قبول غير الاسلام ونحو ذلك مما جاء فى الاحاديث مما يخالف

وتزوجها ولا عليك من قول الناس ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة (زوجناكها) فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن وأشبع المسلمين خبزا ولحما (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله) مقضيه (مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض) أحل (الله له سنة الله) اى كسنة الله فنصب بنزع الخافض (فى الذين خلوا من قبل) من الانبياء ان لا حرج عليهم فى ذلك توسعة لهم فى النكاح (وكان أمر الله) فعله قدرا مقدورا) مقضيا (الذين) نعت للذين قبله (يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله) فلا يخشون مقالة الناس فيما احل الله لهم (وكفى بالله حسيبا) حافظا لاعمال خلقه ومحاسبتهم (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) فليس أبا زيد أى والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب (ولكن) كان (رسول الله وخاتم النبيين) فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا وفى قراءة بفتح التاء كآلة الختم اى به ختموا (وكان الله بكل شئ عليما) منه بان لا نبي بعده واذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته

شرعا لان ذلك شرع بيناعند نزول عيسي عليه الصلاة والسلام (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) في هذا اشارة الى تشريف المؤمنين عموما حيث ناداهم وامرهم بذكره وتسبيحه وصلى عليهم هو وملائكته وافاض عليهم الانوار وحياهم والمقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكرهم قال تعالى اذكروني اذكركم وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك تنزه الله عن ان يصل له من عباده نفع او ضر قال تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم فذكرنا لانفسنا لانه لا غنى لنا عن ربنا طرفة عين واذا كان كذلك فلا تليق الغفلة عنه أبدا بل المطلوب ذكره دائما وابدا واعلم ان الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده الا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فلم يجعل له حدا ولم يعذر احدا في تركه الا من كان مغلوبا على عقله ولذا أمرهم به في جميع الاحوال قال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ففيه اشارة الى ان الذكر أمره عظيم وفضله جسيم (قوله وسبحوه بكرة واصيلا) خص التسبيح بالذكر وان كان داخلا فيه لكونه أعلى مراتبه وحكمة تخصيص التسبيح بهذين الوقتين لكونهما أشرف الاوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما (قوله هو الذي يصلي عليكم) استئناف في معنى التعليل للامر بالذكر والتسبيح (قوله وملائكته) عطف على الضمير المستتر في يصلي والفاصل موجود (قوله اي يستغفرون لكم) أي يطلبون لكم من الله المغفرة قال تعالى ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآيات (قوله ليديم اخراجه اياكم) جواب عما يقال ان اخراجه اياهم من الظلمات حاصل بمجرد الايمان وايضاح الجواب ان المراد دوام هذا الاخراج لان الغفلة عن الخالق اذا دامت ربما اخرجت العبد من النور والعياذ بالله (قوله من الظلمات الى النور) جمع الاول لتعدد انواع الكفر وافرد الثاني لان الايمان شيء واحد لا تعدد فيه فمن ادعى الايمان وأثبت التعدد والمخالفة فهو ضال مضل خارج عن السنة والجماعة (قوله وكان بالمؤمنين رحيما) أي يقبل القليل من اعمالهم ويعفو عن الكثير من ذنوبهم حيث أخلصوا في ايمانهم (قوله تحيتهم منه تعالى) اي التحية الصادرة منه تعالى زيادة في الاعتناء بهم وتعظيما لقدرهم (قوله يوم يلقونه) اختلف في وقت اللقي فقيل عند الموت وقيل عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة (قوله بلسان الملائكة) أي لما ورد اذا جاءه ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول له ربك يقرئك السلام وفي الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم قال تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما (قوله هو الجنة) أي وما فيها من النعيم المقيم (قوله على من ارسلت اليهم) أي لتترقب احوالهم وتكون مشاهدا لما صدر منهم من الاعمال الحسنة والقبيحة فالاعمال تعرض عليه حيا وميتا ويصح ان يكون المراد شاهدا يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين فهو مقبول لدعوى لا يحتاج في دعواه الى شهادة أحد فيشهد للانبياء بالتبليغ وعلى الامم اما بالتصديق او التكذيب (قوله بامره) دفع بذلك ما يقال ان الاذن حاصل بقوله ارسلناك فاجاب بان المراد بالاذن الامر والحكمة في الاذن تسهيل الامر وتيسيره لان الدخول في الشيء من غير اذن متعذر فاذا حصل الاذن سهل وتيسر ومن هنا اخذ الاشياخ استعمال الاجازة للمريدين فمن اجازه أشياخه بشيء من العلم والارشاد فقد سهلت له الطرق وتيسرت ومن لم تحصل له الاجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق (قوله وسراجا منيرا) يحتمل ان المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر ويحتمل ان المراد به المصباح وحينئذ فيقال انما شبهه بالسراج ولم يشبهه بالشمس مع ان نورها اتم

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا) اول النهار وآخره (هو الذي يصلي عليكم) اي يرحمكم (وملائكته) اي يستغفرون لكم (ليخرجكم) ليديم اخراجه اياكم (من الظلمات) أي الكفر (الى النور) أي الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم) منه تعالى (يوم يلقونه سلام) بلسان الملائكة (واعد لهم اجرا كريما) هو الجنة (يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا) على من ارسلت اليهم (ومبشرا) من صدقك بالجنة (ونذيرا) منذرا من كذبك بالنار (وداعيا الى الله) الى طاعته (باذنه) بامره (وسراجا منيرا) اي مثله في الاهتداء به

لان السراج يسهل اقتباس الانوار منه وهو صلى الله عليه وسلم تقتبس منه الانوار الحسية والمعنوية (قوله وبشر المؤمنين) أى حيث كنت متصفا بالصفات الخمسة فبشر المؤمنين (قوله ولا تطع الكافرين) أى لا تدار الكفار ولا تلين لهم جانبك فى أمر الدين بل اثبت على ما أوحى اليك وبلغه ولا تكتم منه شيا (قوله ودع أذاهم) اما من اضافة المصدر لفاعله أى أذيتهم اياك فلا تقابلهم جزاء على ما صدر منهم أو لمفعوله أى اترك أذيتك لهم فى نظير كفرهم واصفح عنهم واصبر ولا تعاجلهم بالعقوبة وهذا منسوخ بآية القتال (قوله وتوكل على الله) أى ثق به فى أمورك واعتمد عليه يكفك أمور الدين والدنيا (قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة فى الفاعل أى ان الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة وفى الآية اشارة الى أن التوكل أمره عظيم فاذا عجز الانسان عن أمر فعليه بالتوكل على الله والتفويض اليه فان الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة (قوله اذا نكحتم المؤمنات) المراد بالنكاح العقد بدليل قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وذكر المؤمنات خرج مخرج الغالب اذ الكتابيات كذلك وانما خص المؤمنات بالذكر اشارة الى أن الاولى للمؤمن أن ينكح المؤمنات وأما نكاح الكتابيات فمكروه أو خلاف الاولى (قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى ولو طال زمن العقد (قوله وفى قراءة) أى وهما سبعيتان (قوله أى تجامعوهن) تفسير لكل من القراءتين (قوله تعتدونها) اما من العدد أو من الاعتداد أى تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم عد الدراهم فاعتدها أى استوفى عددها (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك فالمطلقة قبل الدخول ان سمى لها صداق فلا متعة لها ولا عدة عليها وان لم يسم لها صداق بان نكحت تفويضا فلا عدة عليها ولها المتعة اما وجوبا كما هو عند الشافعى أو ندبا كما هو عند مالك (قوله خلوا سبيلهن) أى اتركوهن (قوله من غير اضرار) أى بان تمسكوهن تعنتا حتى يفتدين منكم أو تؤذوهن وتتكلموا فى اعراضهن (قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك الخ) اختلف المفسرون فى المراد بهذه الآية فقيل المعنى أن الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها الخ فعلى هذا تكون هذه الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليه بقوله لا تحل لك النساء من بعد فهذه الآية وان كانت متقدمة فى التلاوة فهى متاخرة فى النزول عن الآية المنسوخة بها كآية الوفاة فى البقرة وقيل المراد أحللنا لك ازواجك الكائنات عندك لانهن اخترنك على الدنيا ويؤيده قول ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج من أى النساء شاء وكان يشق على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء الا من سمى سر نساؤه بذلك والقول الاول اصح (قوله اللاتى آتيت أجورهن) بيان لما كان يفعله من مكارم الاخلاق والا فالله احل له أن يتزوج بلا مهر (قوله مما أفاء الله عليك) بيان لما ملكت يمينك وهذا القيد خرج مخرج الغالب بل الملك بالشراء كذلك (قوله كصفية) هى بنت حيى بن أخطب من نسل هرون أخى موسى وتقدم انها كانت سبي خيبر اذ النبي صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبى فى أخذ جارية فاخذها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم اعطيته سيدة بنى قريظة والنضير وهى لا تصلح الا لك فخشي عليهم الفتنة فاعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فى فقالت نعم يا رسول الله انى كنت اتمنى ذلك فى الشرك وكان بعينها خضرة فسالها عنها فقالت انها كانت نائمة وراس زوجها ملكهم فى حجرها فرات قمرا وقع فى حجرها فلما استيقظ اخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب ماتت فى رمضان سنة خمسين ودفنت فى البقيع (قوله وجويرية) اى وهى بنت الحرث الخزاعية وكانت وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصارى فكاتبها فجاءت تسال النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك الى ما هو خير من ذلك اؤدى عنك كتابتك

(وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) هو الجنة (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يخالف شريعتك (ودع) اترك (اذاهم) لا تجازهم عليه الى ان تؤمر فيهم بامر (وتوكل على الله) فهو كافيك (وكفى بالله وكيلا) مفوضا اليه (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن) وفى قراءة تماسوهن اى تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) تحصونها بالاقراء وغيرها (فمتعوهن) اعطوهن ما يستمتعن به اى ان لم يسم لهن اصدقة والا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعى (وسرحوهن سراحا جميلا) خلوا سبيلهن من غير اضرار (يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن) مهورهن (وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك) من الكفار بالسبي كصفية وجويرية

واتزوجك فقالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما بايديهم من قومها وقالوا اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت اعظم فى قومها بركة منها اعتق بسببها مائة اهل بيت من بنى المصطلق وقسم لها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بنت عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين (قوله وبنات عمك وبنات عماتك) أى نساء قريش المنسوبات لابيك وقوله وبنات خالك وبنات خالاتك أى نساء بنى زهرة المنسوبات لامك وحكمة افراد العم والخال دون العمة والخالة ان العم والخال يعمان اذا أضيفا لكونهما مفردين خاليين من تاء الوحدة والعمة والخالة لا يعمان لوجود التاء (قوله بخلاف من لم يهاجرن) اى فلا يحللن له وهذا الحكم كان قبل الفتح حين كانت الهجرة شرطا فى الاسلام فلما نسخ حكم الهجرة نسخ هذا الحكم (قوله وامرأة مؤمنة) معطوف على مفعول احللنا أى واما غير المؤمنة فلا تحل له وظاهر الآية ان النكاح ينعقد فى حقه صلى الله عليه وسلم بالهبة وحينئذ فيكون من خصوصياته والنساء اللاتى وهبن أنفسهن اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم راجع لما انه يحرم على النبى تزوج الحرة الكتابية لما فى الحديث سالت ربى ان لا أزوج الا من كان معى فى الجنة فاعطانى ولقوله تعالى وازواجه امهاتهم ولا يليق ان تكون المشركة أم المؤمنين ويحرم عليه أيضا نكاح الامة ولو مسلمة لان نكاحها مشروط بامرين خوف العنت وعدم وجود مهر الحرة وكلا الامرين مفقود منه صلى الله عليه وسلم وأما تسريه بالامة الكتابية ففيه خلاف (قوله ان وهبت نفسها للنبي) أظهر فى محل الاضمار تشريفا لهذا الوصف وأظهار العظمة قدره عنده (قوله ان اراد النبى ان يستنكحها) هذا الشرط قيد فى الشرط الاول فان هبتها نفسها لا توجب حلها الا اذا اراد نكاحها بان يحصل منه القبول بعد الهبة او يسالها فى ذلك قبل الهبة فتدبر (قوله خالصة) مصدر معمول لمحذوف أى خلصت لك خالصة ومجئ المصدر على هذا الوزن كثير كالعاقبة والعافية والكاذبة (قوله من غير صداق) اى ومن غير ولى وشهود (قوله وغيره) اى كهبة (قوله بخلاف المجوسية الخ) اى فلا تحل لنا لكها الا اذا استسلمها وذلك كجوارى السودان والحبشة والمغرب لانهن يجبرن على الاسلام ولذا لا يجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر فى الفقه (قوله وان تستبر أقبل الوطء) اى كتابية كانت او مجوسية (قوله متعلق بما قبل ذلك) اى وهو قوله انا احللنا لك والمعنى احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك والمهور لك لئلا يكون عليك ضيق (قوله لما يعسر التحرز عنه) اى لهولهم اذا ضاق الامر اتسع (قوله ترجى من تشاء منهن الخ) اتفق المفسرون على ان المقصود من هذه الآية التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاشرته لنسائه واختلفوا فى تاويلها واصح ما قيل فيها التوسعة على رسول صلى الله عليه وسلم فى ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت اغار على النبي صلى الله عليه وسلم على اللاتى وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول اوتهب المرأة نفسها للرجل فلما أنزل الله عز وجل ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت قالت قلت والله ما ارى ربك الا يسارع فى هواك وقيل ان ذلك فى الواهبات انفسهن وحينئذ فيكون المعنى تاخذ من شئت منهن وتترك من شئت وقيل ان ذلك فى الطلاق فالمعنى لك طلاق من شئت منهن وامساك من شئت وعلى كل حال فالآية معناها التوسعة عليه فى امر النساء (قوله والياء بدله) اى بدل الهمزة وحينئذ فهو مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل (قوله عن نوبتها) اى من القسم (قوله ومن ابتغيت الخ) اى التى طلبت ردها الى فراشك بعد ان عزلتها واسقطتها من القسمة فلا جناح عليك (قوله بعد ان كان القسم واجبا عليه) هذا احد قولين وقيل كان مخيرا من اول الامر ولم يكن واجبا عليه ابتداء

(وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) بخلاف من لم يهاجرن (وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها) يطلب نكاحها بغير صداق (خالصة لك من دون المؤمنين) النكاح بلفظ الهبة من غير صداق (قد علمنا ما فرضنا عليهم) اى المؤمنين (فى ازواجهم) من الاحكام بان لا يزيدوا على اربع نسوة ولا يتزوجوا الا بولى وشهود ومهر (و) فى (ما ملكت ايمانهم) من الاماء بشراء وغيره بان تكون الامة ممن تحل لنا لكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وان تستبرا قبل الوطء (لكيلا) متعلق بما قبل ذلك (يكون عليك حرج) ضيق فى النكاح (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) بالتوسعة فى ذلك (ترجى) بالهمزة والياء بدله تؤخر (من تشاء منهن) اى ازواجك عن نوبتها (وتؤوى) تضم (اليك من تشاء) منهن فتاتيها (ومن ابتغيت) طلبت (ممن عزلت) من القسمة (فلا جناح عليك) فى طلبها وضمها اليك خير فى ذلك بعد ان كان القسم واجبا عليه

(قوله ذلك ادنى ان تقر أعينهن) هذا اشارة الى حكمة تخييره فى القسم وعدم وجوبه عليه والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع انه عدل لان التخيير اقرب الى سكون اعينهن وعدم حزنهن واقرب الى رضاهن بما حصل لهن لانهن اذا علمن ان الله لم يوجب على النبي شيا من القسم وحصل منه القسم سررن بذلك وقنعن به (قوله تاكيد للفاعل) أى فهو بالرفع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بالنصب توكيدا للمفعول (قوله والله يعلم ما فى قلوبكم) خطاب للنبي على جهة التعظيم ويحتمل ان يراد العموم (قوله والميل الى بعضهن) اى بالطبع فكان يميل الى بعضهن أكثر وكان يقول اللهم ان هذا حظى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك وأتفق العلماء على انه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن فى القسمة حتى مات غير سودة رضي الله عنها فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها (قوله حليما عن عقابهم) اى يعلم العيب ويستره فينبغى للانسان ان لا يفرط فى حقوقه لان انتقام الحليم وغضبه امر عظيم لما فى الحديث اتقوا غيظ الحليم ففى الآية ترغيب وترهيب (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد التسع) اى بعد اجتماعهن فى عصمتك فهن بمنزلة الاربع لا حاد الامة فقد قصر الله نبيه عليهن جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله وهن التسع اللاتى توفى عنهن وهن عائشة بنت ابى بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت ابى سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابى أمية وصفية بنت حيي وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث المصطلقية وقيل المراد بعد التخيير (قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج) البدل فى الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى وأريدك والمراد هنا نهيه عن المفارقة والابدال باى وجه (قوله من ازواج) من زائدة فى المفعول (قوله ولو اعجبك حسنهن) حال من فاعل تبدل (قوله الا ما ملكت يمينك) استثناء متصل من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع لاخراجه من الازواج (قوله وقد ملك بعدهن مارية) اى القبطية اهداها له المقوقس ملك القبط وهم اهل مصر والاسكندرية وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعث له حاطب بن ابى بلتعة بكتاب يدعوه فيه الى الاسلام صورته * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية فلما جاء حاطب بالكتاب الى المقوقس وجده فى الاسكندرية فدفعه اليه فقرأه ثم جعله فى حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية ثم كتب جوابه فى كتاب صورته * بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وعلمت ان نبيا قد بقى وما كنت اظن الا انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك اى فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم اى وهما مارية وسيرين وعشرين ثوبا من قباطى مصر وطيبا وعودا وندا ومسكا مع الف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير وبغلة للركوب وأهدى اليه جارية اخرى زيادة على الجاريتين وخصيا يقال له مابور وبغلة هى دلدل وكانت شهباء وفرسا وهو المرزاز فانه سال حاطبا ما الذى يحب صاحبك من الخيل فقال له الاشقر وقد تركت عنده فرسا يقال لها المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فاسرج وألجم وهو فرسه الميمون واهدى اليه عسلا من عسل بنها قرية من قرى مصر فاعجب به صلى الله عليه وسلم وقال ان كان هذا عسلكم فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة (قوله وولدت له ابراهيم) أى فى ذى الحجة سنة ثمان وعاش ستين يوما وقيل سنة وعشرة اشهر وقوله

(ذلك) التخيير (أدنى) أقرب الى (ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن) ماذكر المخير فيه (كلهن) تاكيد للفاعل فى يرضين (والله يعلم ما فى قلوبكم) من امر النساء والميل الى بعضهن وانما خيرناك فيهن تيسيرا عليك فى كل ما اردت (وكان الله عليما) بخلقه (حليما) عن عقابهم (لا تحل) بالتاء والياء (لك النساء من بعد) بعد التسع اللاتى اخترنك (ولا أن تبدل) بترك احدى التاءين فى الاصل (بهن من ازواج) بان تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت (ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك) من الاماء فتحل لك وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية وولدت له ابراهيم ومات فى حياته (وكان الله على كل شئ رقيبا) حفيظا

(يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم) فى الدخول بالدعاء (الى طعام) فتدخلوا (غير ناظرين) منتظرين (اناه) نضجه مصدر انى يانى (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا) تمكثوا (مستانسين لحديث) من بعضكم لبعض (ان ذلكم) المكث (كان يؤذى النبي فيستحيى منكم) ان يخرجكم (والله لا يستحيى من الحق) أن يخرجكم اى لا يترك بيانه وقرئ يستحيى بياء واحدة (واذا سألتموهن) اى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم (متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب) ستر (ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر المريبة (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) بشئ (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله) ذنبا (عظيما ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شئ) فيجازيكم عليه

وماتت فى حياته اى ولم يصل عليه بنفسه بل امرهم فصلوا عليه (قوله يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الخ) هذه الآية نزلت فى شان وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن انس ابن مالك قال كنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل فى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشي النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم رجعت حتى اذا بلغ حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بينى و بينه الستر وانزل الحجاب (قوله الا ان يؤذن لكم) اى الا بسبب الاذن لكم (قوله الى طعام) متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كما قاله المفسر (قوله فتدخلوا غير ناظرين اناه) هذا التقدير غير مناسب لانه يقتضي ان الدخول مع الاذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام مع انه يجوز فالمناسب حذف هذا التقدير اراد هذه الآية نزلت فى قوم كانوا يدخلون من غير اذن و ينتظرون نضج الطعام فنهاهم الله عن كل من الامرين والحاصل ان اسباب النزول فى هذه الآيات تعددت منها ان قوما كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوى وينتظرون نضج الطعام ومنها ان قوما كانوا يدخلون باذن و يتخلفون بعد ما طعموا مستانسين لحديث ومنها مؤاكلة الاجانب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور زوجاته فنزلت آية الحجاب ونهى عن ذلك كله وهذه آيات الحجاب لخصوص امهات المؤمنين واما لعموم الامة فقد تقدمت فى سورة النور تامل (قوله مصدر أنى يانى) اى من باب رمى رميا قياس مصدره أنى لكن لم يسمع وانما المسموع انى بالكسر والقصر (قوله فاذا طعمتم) اى اكلتم الطعام (قوله فانتشروا) اى اذهبوا حيث شئتم فى الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب (قوله ولا تمكثوا مستانسين) اشار بذلك الى ان مستانسين حال من محذوف وذلك المحذوف معطوف على انتشروا (قوله كان يؤذى النبي) اى لتضييقه عليه (قوله فيستحيي منكم) اى من اخراجكم (قوله والله لا يستحيي من الحق) المراد بالحق اخراجكم من منزله واطلق الاستحياء فى حق الله وارتدلازمه وهو ترك البيان (قوله بياء واحدة) اى قراءة شاذة فى الثانى (قوله فاسئلوهن من وراء حجاب) روى ان عمر قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم عائشة وهى تاكل معهم فكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (قوله ذلكم) اى ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث وسؤال المتاع من وراء الحجاب (قوله من الخواطر المريبة) اى النافى وابعد لدفع الريبة والتهمة وهو يدل على انه لا ينبغى لاحد ان يثق بنفسه فى الخلوة مع من لا تحل له فان مجانبة ذلك احسن لحاله واحصن لنفسه (قوله وما كان لكم) اى ما صح وما استقام لكم وقوله ان تؤذوا هو اسم كان ولكم خبرها وان تنكحوا عطف على اسم كان نزلت هذه الآية فى رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله قال فى سره اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة ثم ندم هذا الرجل ومشي على رجليه وحمل على عشرة افراس فى سبيل الله واعتق رقبة فكفر الله عنه (قوله من بعده) اى بعد وفاته أو فراقه ولو قبل الدخول بها لان كل من عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يابد تحريمها على امته وامامؤه فلا يحرم على غيره الا بمسه لهن (قوله ان ذلكم) اى ما ذكر من ايذائه ونكاح زواجه من بعده (قوله ان تبدوا شيئا) اى تظهروه على السنتكم وقوله أو تخفوه اى فى صدوركم وقوله فيجازيكم

عليه جواب الشرط وقوله فان الله كان بكل شيء عليما تعليل للجواب وهو بمعنى قوله تعالى ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله (قوله لا جناح عليهن في آبائهن الخ) هذا في المعنى مستثنى من قوله واذا سألتموهن متاعا الآية روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبناؤهن يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت هذه الآية وقوله في آبائهن أي أصولهن وان علون وقوله ولا أبنائهن المراد فروعهن وان سفلوا (قوله ولا نسائهن) الاضافة من حيث المشاركة في الوصف وهو الاسلام فقول المفسر اى المؤمنات تفسير للمضاف ومفهومه ان النساء الكافرات لا يجوز لهن النظر لازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو كذلك ولا مفهوم لازواج النبي بل جميع النساء المسلمات كذلك فلا يحل للمسلمة ان تبدى شيا منها للكافرة لئلا تصفها لزوجها الكافر (قوله واتقين الله) عطف على محذوف والتقدير امتثلن ما أمرتن به واتقين الله وحكمة تخصيص الحجاب هنا بامهات المؤمنين وان تقدم في سورة النور عموما دفع توهم ان أزواج النبي كالامهات من كل وجه فاذ هنا أنهن كالامهات في التعظيم والتوقير لا في الخلوة والنظر فانهن كالاجانب بل هن أشد فذكرهن حجابا مخصوصا فلا يقال انه مكرر مع ما تقدم في النور (قوله لا يخفى عليه شيء) اى من الطاعات والمعاصي الظاهرة والخفية (قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الخ) هذه الآية فيها أعظم دليل على انه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الاطلاق اذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين (قوله وملائكته) بالنصب معطوف على اسم ان وقوله يصلون خبر عن الملائكة وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره ان الله يصلي وملائكته يصلون وهذا هو الاتم لتغاير الصلاتين والمراد بالملائكة جميعهم والصلاة من الملائكة الدعاء للنبي بما يليق به وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم وحينئذ فقد وسعت رحمة الله كل شيء تبعا لرحمة الله فصار بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات (قوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اى ادعوا له بما يليق به وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي تشريفهم بذلك حيث اقتدوا بالله في مطلق الصلاة واظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق لانه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم وحق على من وصل له نعمة من شخص ان يكافئه فصلاة جميع الخلق عليه مكافاة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه ان قلت ان صلاتهم طلب من الله أن يصلي عليه وهو مصل عليه مطلقا طلبوا أو لا أجيب بان الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافاته صلى الله عليه وسلم طلبوا من القادر المالك ان يكافئه ولا شك ان الصلاة الواصلة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله لا تقف عند حد فكلما طلبت من الله زادت على نبيه فهي دائمة بدوام الله (قوله وسلموا تسليما) ان قلت خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة أجيب بان هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذي النبي والاذية انما هي من البشر فناسب التخصيص بهم لان في السلام سلامة من الآفات وأكد السلام دون الصلاة لانها لما اسندت لله وملائكته كانت غنية عن التاكيد * واعلم ان العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا في تعيين الواجب فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة وعند الشافعي تجب في التشهد الاخير من كل فرض وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة وقيل تجب عند ذكره وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد وبالجملة فالصلاة على النبي امرها عظيم وفضلها جسيم وهي من أفضل

(لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) اى المؤمنات (ولا ملكت أيمانهن) من الاماء والعبيد ان يروهن ويكلموهن من غير حجاب (واتقين الله) فيما أمرتن به (ان الله كان على كل شيء شهيدا) لا يخفى عليه شيء (ان الله وملائكته يصلون على النبي) محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

أى قولوا اللهم صل على محمد وسلم (ان الذين يؤذون الله ورسوله) وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله (لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) أبعدهم (وأعد لهم عذابا مهينا) ذا اهانة وهو النار (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا

الطاعات وأجل القربات حتى قال بعض العارفين انها توصل الى الله تعالى من غير شيخ لان الشيخ والسند فيها صاحبها لانها تعرض عليه ويصلى على المصلى بخلاف غيرها من الاذكار فلا بد فيها من الشيخ العارف والا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها (قوله اى قولوا اللهم صل على محمد وسلم) اى اجمعوا بين الصلاة والسلام وصيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى وأفضلها ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب فمن تمسك باى صيغة منها حصل له الخير العظيم (قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله) الايذاء فى حق الله معناه تعدى حدوده وفى حق الرسول ظاهر (قوله وهم الكفار) اى اليهود والنصارى والمشركون (قوله لعنهم الله فى الدنيا) اي حجبهم عن الطاعة والتوحيد وقوله والآخرة اى بتخليدهم فى العذاب الدائم (قوله ابعدهم) اى عن رحمته (قوله ذا اهانة) اى هوان واستخفاف (قوله والذين يؤذون المؤمنين الخ) قيل نزلت فى على بن أبى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت فى شان عائشة رضى الله عنها وقيل نزلت فى شان المنافقين الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يطلبون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فان سكتت المرأة اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها وفى هذه الآية زجر لمن يسيء الظن بالمؤمنين والمؤمنات ويتكلم فيهم من غير علم وهى بمعنى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم (قوله يا أيها النبي قل لأزواجك الخ) سبب نزولها ان المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالاذية يريدون منهن الزنا ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زى الكل واحد تخرج الحرة والامة والحرة فى درع وخمار فشكون ذلك لازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله يدنين) اى يرخين ويغطين (قوله التى تشتمل بها) اى تتغطى وتستتر بها المرأة من فوق الدرع والخمار (قوله فلا يغطين وجوههن) اى فكن لا يغطين وجوههن وهذا فيما مضى واما الآن فالواجب على الحرة والامة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة (قوله لما سلف منهن من ترك الستر) وردان عمر بن الخطاب مر بجارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال لها أتتشبهين بالحرائر يا لكاع التى القناع (قوله لئن لم ينته المنافقون) اى كعبد الله بن ابى وأصحابه (قوله والذين فى قلوبهم مرض) اى فجوروهم الزناة وهم من جملة المنافقين (قوله والمرجفون فى المدينة) اى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو (قوله لنسلطنك عليهم) اى فنخرجهم من مجاسك وتقتلهم وقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانه لما نزلت سورة براءة جمعهم وصعد على المنبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد (قوله ملعونين) حال من محذوف قدره المفسر بقوله ثم يخرجون (قوله اى الحكم فيهم هذا) اى الاخذ والقتل (قوله على جهة الامر به اى ان الآية خبر بمعنى الامر (قوله اى سن الله ذلك) أشار بذلك الى ان سنة مصدر مؤكد وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اى فلا تحزن على وجود المنافقين فى قومك فانه سنة قديمة كما كان فى قوم موسى منهم موسى السامرى واتباعه وقارون وأتباعه (قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا) اى تغييرا ونسخا لكونها بنيت على أساس متين فليست مثل الاحكام التى تتبدل وتنسخ (قوله يسئلك الناس) اى على سبيل الاستهزاء والسخرية لانهم ينكرونها واعلم ان السائل للنبي عن الساعة اهل مكة واليهود فسؤال أهل مكة استهزاء وسؤال اليهود اما تحان لان الله أخفى علمها فى التوراة فان اجابهم بالتعيين ثبت

يرمونهم بغير ما عملوا (فقد احتملوا بهتانا) تحملوا كذبا (واثما مبينا) بينا (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهى الملاءة التى تشتمل بها المرأة اى يرخين بعضها على الوجوه اذا خرجن لحاجتهن الا عينا واحدة (ذلك أدنى) اقرب الى (ان يعرفن) بانهن حرائر (فلا يؤذين) بالتعرض لهن بخلاف الاماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون يتعرضون لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من ترك الستر (رحيما) بهن اذ سترهن (لئن) لام قسم (لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) بالزنا (والمرجفون فى المدينة) المؤمنين بقولهم قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك) يساكنونك (فيها الا قليلا) ثم يخرجون

(ملعونين) مبعدين عن الرحمة (اينما ثقفوا) وجدوا (اخذوا وقتلوا تقتيلا) اى الحكم فيهم هذا على جهة الامر به (سنة الله) اى سن الله ذلك (فى الذين خلوا من قبل) من الامم الماضية فى منافقيهم المرجفين المؤمنين (ولن تجد لسنة الله تبديلا) منه (يسئلك الناس) اى اهل مكة

(عن الساعة) متى تكون (قل انما علمها عند الله وما يدريك) يعلمك بها اى انت لا تعلمها (لعل الساعة تكون) توجد (قريبا ان الله لعن الكافرين) أبعدهم (واعد لهم سعيرا) نارا شديدة يدخلونها (خالدين) مقدرا خلودهم (فيها ابدا لا يجدون وليا) يحفظهم عنها (ولا نصيرا) يدفعها عنهم (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا) للتنبيه (ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا) أى الاتباع منهم (ربنا انا اطعنا سادتنا) وفى قراءة ساداتنا جمع الجمع (وكبراءنا فاضلونا السبيلا) طريق الهدى (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) اى مثلى عذابنا (والعنهم) عذبهم (لعنا كثيرا) عدده وفى قراءة بالموحدة اى عظيما (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا) مع نبيكم (كالذين آذوا موسى) بقولهم مثلا ما يمنعه ان يغتسل معنا الا انه آدر (فبرأه الله مما قالوا) بان وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر الحجر بثوبه حتى وقف بين ملا من بنى اسرائيل فادركه موسى فاخذ ثوبه فاستتر به فرواه لا ادرة به وهى نفخة فى الخصية (وكان عند الله وجيها) ذا جاه ومما أوذى به نبينا صلى الله عليه وسلم انه قسم قسما فقال رجل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى فغضب النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال يرحم الله موسى لقد أوذى باكثر من هذا فصبر رواه البخارى (يا ايها الذين آمنوا على

عندهم كذبه وان أجابهم بقوله علمها عند ربى مثلا ثبتت نبوته وصدقه فقول المفسر اى اهل مكة أى واليهود (قوله عن الساعة) اى عن اصل ثبوتها وعن وقت قيامها (قوله قل انما علمها عند الله) أى لم يطلع عليها أحد وهذا انما هو وقت السؤال والا فلم يخرج نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى اطلعه الله على جميع المغيبات ومن جملتها الساعة لكن أمر بكتم ذلك (قوله وما يدريك) ما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والاستفهام انكارى (قوله لعل الساعة تكون قريبا) لعل حرف ترج ونصب والساعة اسمها وجملة تكون خبرها وقريبا حال وتكون تامة ولذا فسرها بتوجد والمعنى قل أترجى وجود الساعة عن قريب فكل منهما جملة مستقلة لما ورد ان الدنيا سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الالف السابع فلم يبق من الدنيا الا القليل (قوله ابعدهم) اى عن رحمته (قوله مقدرا خلودهم) اشار بذلك الى ان قوله خالدين حال مقدرة (قوله فيها) أى فى السعير وأنثه مراعاة لمعناه (قوله ابدا) تاكيد لما استفيد من قوله خالدين (قوله يوم تقلب) اما ظرف لخالدين او ليقولون مقدم عليه والمعنى تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار (قوله يقولون يا ليتنا) كلام مستانف واقع فى جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا صنعوا عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا الخ (قوله وأطعنا الرسولا) بالف بعد اللام ودونها هنا وفى قوله السبيلا قراءتان سبعيتان وتقدم التنبيه على ذلك (قوله ساداتنا) جمع اما لسيد او لسائد على غير قياس (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله جمع الجمع) أى جمع تصحيح بالالف والتاء لسادة الذى مفرده اما سيد او سائد (قوله اى مثلى عذابنا) اى لانهم ضلوا واضلوا (قوله وفى قراءة بالموحدة) اى وهما سبعيتان (قوله ما يمنعه ان يغتسل معنا الخ) اى لما روى ان بنى اسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظروا اليه فاخذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان به ندبا أى اثر استة او سبعة من ضرب موسى (قوله فبرأه الله) اى اظهر براءته لهم (قوله وهى نفخة فى الخصية) اى بسبب انصباب مادة او ريح غليظ فيها (قوله وكان عند الله وجيها) المراد عندية مكانة وقدر لا مكان (قوله فغضب النبى من ذلك) اى وقال كما فى رواية ان لم أعدل من يعدل خسرت وندمت ان لم أعدل (قوله قولا سديدا) المراد قولا فيه رضا الله بان يكون مما يعنى الانسان فدخل فى ذلك جميع الطاعات القولية وهذا التفسير اتم من غيره (قوله يتقبلها) اى يثيبكم عليها (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) اى يمحها من الصحف او يسترها عن الملائكة (قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) اختلف فى المراد بالامانة فاحسن ما قيل فيها انها التكاليف الشرعية وقيل انها قواعد الدين الخمس وقيل هى الودائع وقيل الفرج وقيل غير ذلك روى ان الله تعالى قال للسموات والارض والجبال اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله لئلا يقمن بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها (قوله من الثواب) بيان لما اى عرضناها مع الثواب والعقاب

اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) صوابا (يصلح لكم أعمالكم) يتقبلها (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) نال غاية مطلوبه (انا عرضنا الامانة) الصلوات وغيرها مما فى فعلها من الثواب وتركها من العقاب (على السموات والارض والجبال)

على السموات الخ (قوله بان خلق فيها فهما) اى حتى عقلت الخطاب وقوله ونطقا اى حتى ردت الجواب (قوله فابين ان يحملنها) اى استصغارا وخوفا من عدم الوفاء بها فليس إباؤهن كاباء ابليس من السجود لآدم لان السجود كان فرضا والامانة كانت عرضا واباؤه استكبارا واباؤهن استصغارا (قوله واشفقن منها) اى خفن من عدم القيام بها وعدم ادائها (قوله وحملها الانسان) عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الانسان فحملها (قوله بعد عرضها عليه) روى ان الله عز وجل قال لآدم انى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فحملها آدم فقال بين اذنى وعاتقى قال الله تعالى اما اذا تحملت فساعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى مالا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لجامين وغلافا فاذا خشيت فاغلق عليه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر (قوله انه كان ظلوما لنفسه) اى حيث حملها مالا تطيقه وقوله جهولا به اى بما حمله قيل جهولا بقدر به لانه لا يعلم قدره غيره وهذا يناسب تفسير الانسان بآدم وعود الضمير عليه وان اريد بالضمير ما يشمله واولاده فيكون فى الكلام استخدام فيقال فى الانبياء والصالحين منهم كذلك وفى غيرهم الظلم والجهل من حيث خيانته فى الامانة ومجاوزته حد الشرع (قوله ليعذب الله المنافقين) اللام للعاقبة والصيرورة على حد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (قوله وكان الله غفورا للمؤمنين) اى حيث عفا عما سلف منهم (قوله رحيما بهم) اى حيث اثابهم واكرمهم بانواع الكرامات وحكمة اخبار الامة بما حصل من تحمل آدم الامانة ليكونوا على أهبة ويعرفوا انهم متحملون امرا عظيما لم تقدر على حمله الارض والسموات والجبال وقيل فى حق المعصوم انه كان ظلوما جهولا

﴿ سورة سبا ﴾

بالصرف وتركه كما سيأتى سميت بذلك لذكر قصة سبا فيها من باب تسمية الشئ باسم بعضه (قوله حمد تعالى) من باب فهم (قوله المراد به) بالجر نعت للاسم الاشارة (قوله الثناء بمضمونه) اى انشاء الثناء بمضمونه وهو الوصف بالجميل وليس المراد انشاء المضمون لان اتصافه بالجميل ازلى ثابت له سبحانه وتعالى وانما تعبدنا الله تعالى بتجديد حمد موافق للحمد الازلى، هذا يؤيد قول بعض العلماء ان أل فى الحمد عهدية لان الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه ازلا وامرهم ان يحمدوه بحمد موافق لحمده فتحصل ان الوصف بالجميل ثابت لله ازلا وانشاء الثناء به حادث فقول الله تعالى الحمد لله اللفظ والتلفظ حادثان دالان على معنى قديم وهو اتصاف الله بالجميل ان قلت الحمد مدح ومدح النفس مذموم بين الخلق فما وجه ذلك اجيب بان اوصاف الرب لا تقاس على اوصاف العبيد ألا ترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء فانها نقص فى الخلق كمال فى الخالق وبهذا انهدم قول المعتزلة ان كل ما حسنه العقل يوصف به الرب وكل ما قبحه العقل ينزه عنه وبنوا على ذلك امورا فاسدة منها وجوب الصلاح والاصلح وغير ذلك (قوله ملكا وخلقا) اى ان كل ما فى السموات وما فى الارض مملوك ومخلوق له سبحانه وتعالى (قوله وله الحمد فى الآخرة) اى فى نظير النعم التى تعطى لاهل الايمان فالحمد فى الآخرة مخصوص بمن آمن واما الكفار فليسوا من اهله (قوله كالدنيا) اشار بذلك الى ان فى الآية اكتفاء (قوله يحمده اولياؤه) المراد بهم المؤمنون (قوله اذا دخلوا الجنة) اى فيقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده (قوله وهو الحكيم الخبير) اى فلا اعتراض عليه فى فعل من

بان خلق فيها فهما ونطقا (فابين ان يحملنها واشفقن) خفن (منها وحملها الانسان) آدم بعد عرضها عليه (انه كان ظلوما) لنفسه بما حمله (جهولا) به (ليعذب الله) اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم (المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) المضيعين الامانة (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) المؤدين الامانة (وكان الله غفورا) للمؤمنين (رحيما) بهم

﴿ سورة سبا مكية الا ويرى الذين اوتوا العلم الآية وهى اربع أو خمس وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) حمد تعالى نفسه بذلك والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل لله تعالى (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا (وله الحمد فى الآخرة) كالدنيا يحمده اولياؤه اذا دخلوا الجنة (وهو الحكيم) فى فعله (الخبير) بخلقه

يصعد (فيها) من عمل وغيره (وهو الرحيم) باوليائه (الغفور) لهم (وقال الذين كفروا لاتاتينا الساعة) القيامة (قل) لهم (بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب) بالجر صفة والرفع خبر مبتدا وعلام بالجر (لايعزب) يغيب (عنه مثقال) وزن (ذرة) اصغر نملة (في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (ليجزي) فيها (الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم) حسن في الجنة (والذين سعوا في) ابطال (آياتنا) القرآن (معجزين) وفي قراءة هنا وفيما ياتي معاجزين اي مقدرين عجزنا اومسابقين لنا فيفوتونا لظنهم ان لا بعث ولا عقاب (اولئك لهم عذاب من رجز) سيء العذاب (اليم) مؤلم بالجر والرفع صفة لرجز وعذاب (ويرى) يعلم (الذين اوتوا العلم) مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه (الذي انزل اليك من ربك) اي القرآن (هو) فصل (الحق ويهدي الى صراط) طريق (العزيز الحميد) اي الله ذي العزة المحمودة (وقال الذين كفروا) اي قال بعضهم على جهة التعجيب لبعض (هل ندلكم على رجل) هو محمد (ينبئكم) يخبركم (انكم اذا مزقتم) قطعتم (كل ممزق) تبعثون

الافعال (قوله يعلم مايلج في الارض) تفصيل لبعض معلوماته التي تعلق بها مصالح الدين والدنيا (قوله كماء وغيره) أي كالكنوز والاموات (قوله كنبات وغيره) أي كالكنوز والاموات اذا أخرجت من القبور (قوله من رزق وغيره) أي كالبركات والملائكة والصواعق (قوله ومايعرج فيها) ضمن العروج معنى الاستقرار فعداه بفي دون الى (قوله من عمل وغيره) اى كالملائكة فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك (قوله الغفور لهم) اى اذا عصوه اوفرطوا في بعض حقوقه وفي ذلك اشارة الى ان رحمة الله وغفرانه مختصان بمن يدخل الجنة وهذا في الآخرة واما في الدنيا فرحمته وسعت كل شيء (قوله لاتاتينا الساعة) أراد الكفار بضمير التكلم جميع الخلق لاخصوص انفسهم وأرادوا أيضا بنفي اتيانها نفي وجودها لا عدم حضورها مع كونها موجودة في نفس الامر (قوله قل بلى) رد اكلامهم لان كلامهم نفي فاجيب بالنفي ونفي النفي اثبات (قوله وربي) أتى بالقسم تاكيدا للرد وقوله عالم الغيب تقوية للتاكيد والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف الاهتمام بشان المقسم عليه (قوله بالجر الخ) اى فالقراآت الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل ووجه واحد في صيغة المبالغة (قوله لايعزب) ضم الزاي في قراءة الجمهور وكسرها في قراءة الكسائي (قوله ولا اصغر من ذلك الخ) قرأ العامة بضم الراء في اصغر واكبر على أنه مبتدأ وخبره قوله الا في كتاب مبين وقرئ بفتح الراء على ان لا نافية للجنس واصغر اسمها وقوله الا في كتاب مبين خبرها والمعنى على كل من القراءتين واحد وهو ان كل ما كان ومايكون وما هو كائن من سائر المخلوقات ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به واثباتها في اللوح لالاحتياج تنزه الله عنه ان قلت اى حاجة الى ذكر الاكبر بعد الاصغر اذ هو مفهوم بالاولى أجيب بانه لرفع توهم ان اثبات الاصغر خوف توهم النسيان وأما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فافاد ان كلا مرسوم في اللوح المحفوظ لالاحتياج (قوله ليجزي الذين آمنوا الخ) علة لقوله لتاتينكم كانه قال لتاتينكم لاجل جزاء المؤمنين والكافرين واللام للعاقبة والصيرورة (قوله حسن في الجنة) اى محمود العاقبة واعظمه رؤية الله تعالى (قوله والذين سعوا) عطف على قوله الذين آمنوا وما بينهما اعتراض سيق لبيان جزاء المؤمنين وهذا أحسن من جعله مبتدأ خبره أولئك لهم عذاب الخ (قوله في ابطال آياتنا) اى بالطعن فيها ونسبتها الى الاكاذيب (قوله وفي قراءة) اى وهي سبعية أيضا (قوله مقدرين عجزنا الخ) لف ونشر مرتب والمعنى مؤملين انهم يعجزون رسولنا بسبب سعيهم في ابطال القرآن (قوله أومسابقين لنا) اى مغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن ظانين ان مغالبتهم تمنع عنهم العذاب وذلك ان القرآن يثبت البعث والعذاب لمن كفر فيطعنون فيه ويريدون ابطاله لظنهم ان ذلك الابطال ينفعهم فيفروا من البعث والعذاب لاعتقادهم بطلانه (قوله لظنهم ان لا بعث الخ) علة لقوله سعوا (قوله بالجر والرفع) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله ويرى) اما بالرفع بضمة مقدرة على الاستئناف أو بالنصب على انه معطوف على يجزي فقول المفسر يعلم صحح قراءته بالوجهين والذين فاعل والذي انزل مفعول اول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان وقوله ويهدي اما عطف على الحق من باب عطف الفعل على الاسم الخالص كانه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك الحق وهاديا اومستانف اوحال بتقدير وهو يهدي (قوله مؤمنو اهل الكتاب) هذا احد اقوال وقيل المراد بهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل جميع المسلمين (قوله العزيز) اى عديم النظير والشبيه والمثيل او من عز بمعنى قهر وغلب (قوله الحميد) فعيل بمعنى مفعول اى محمود في ذاته وصفاته وافعاله (قوله هو محمد) نكروه تجاهلا وسخرية كانهم لم يعرفوا منه الا انه رجل مع انه عندهم اشهر من الشمس في رابعة النهار (قوله اذا مزقتم) يتعين ان عامل الظرف محذوف تقديره تبعثون

تبعثون وتحشرون اذا مزقتم الخ يدل عليه قوله انكم لفي خلق جديد ولا يصح ان يكون عاملة ينبئكم لان الاخبار لم يقع في ذلك الوقت ولا قوله مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وعبارة المفسر غير وافية بالمراد فلو قال يخبركم انكم تبعثون اذا مزقتم لوفى بالمقصود (قوله بمعنى تمزيق) اشار بذلك الى ان ممزق اسم مصدر لان كل ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزمانه ومكانه على زنة اسم المفعول (قوله انكم لفي خلق جديد) اى تنشؤن خلقا جديدا بعد تمزيق اجسامكم (قوله افترى على الله كذبا) يحتمل ان يكون من تمام قول الكافرين هل ندلكم الخ و يحتمل ان يكون من كلام السامع جوابا للقائل (قوله واستغنى بها) اى بهمزة الاستفهام لانها كافية في التوصل للنطق بالساكن (قوله في ذلك) اى الاخبار بالبعث (قوله جنون) اى خبل في عقله (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان هذا انشاء كلام من الله ردا عليهم وما تقدم وان كان كلامه الا انه حكاية عنهم (قوله في العذاب) اى في الآخرة وذكره اشارة الى انه متحتم الوقوع فنزل المتوقع منزلة الواقع وقدمه على الضلال وان كان الضلال حاصلا لهم بالفعل لان التسلية بحصول العذاب لهم اتم من الاخبار بكونهم في الضلال (قوله أفلم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقرير اعموا فلم يروا الخ (قوله الى ما بين ايديهم) المراد به ما ينظر له من غير التفات وقوله وما خلفهم المراد به ما ينظر له بالتفات فالمراد جميع الجهات (قوله من السماء والارض) بيان لما والمعنى افلم يتفكروا في احوال السماء والارض فيستدلوا على باهر قدرتي تعالى وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الآية (قوله ان نشا) هذا تحذير للكفار كانه قيل لم يبق من اسباب وقوع العذاب بكم الا تعلق مشيئتنا به (قوله نخسف بهم الارض) اى كما خسفنا ها بقارون (قوله او نسقط عليهم كسفا) اى كما اسقطنا ها على اصحاب الايكة (قوله بسكون السين وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما جمع كسفة فقول المفسر قطعة المناسب قطعا (قوله في الافعال الثلاثة) اى نشا ونخسف ونسقط (قوله ان في ذلك المرئي) اى من السماء والارض (قوله ولقد آتينا) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا (قوله وكتابا) اى وهو الزبور (قوله وقلنا) قدره اشارة الى أن قوله يا جبال مقول لقول محذوف معطوف على قوله آتينا فهو زيادة على الفضل (قوله أوبي) بفتح الهمزة وتشديد الواو امر من التاويب وهو الترجيع وهو قراءة العامة وقرئ شذوذا أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من آب بمعنى رجع اى ارجعي وعودي معه في التسبيح كلما سبح فكان داود اذا سبح اجابته الجبال وعطفت عليه الطير من فوقه وقيل كان اذا أدركه فتور اسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له (قوله عطفا على محل الجبال) اى لان محله نصب لكونه منادى مفردا أو مفعولا معه وقرئ بالرفع عطف على لفظ الجبال تشبيها للحركة البنائية بالحركة الاعرابية قال ابن مالك

وان يكن مصحوب أل ما نسقا * ففيه وجهان ورفع ينتقى

(قوله والنا له الحديد) سبب ذلك ان الله تعالى ارسل له ملكا في صورة رجل فسأله داود عن حال نفسه فقال له ما تقول في داود فقال نعم هو لولا خصلة فيه فقال داود ما هي قال انه يأكل و يطعم عياله من بيت المال فسأل داود ربه ان يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع فهو اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح قيل كان يعمل كل يوم درعا و يبيعها باربعة آلاف درهم وينفق ويتصدق منها فلذا قال صلى الله عليه وسلم كان داود لا يأكل الا من عمل يده (قوله فكان في يده كالعجين) اى من غير نار ولا آلة (قوله دروعا كوامل) اشار بذلك الى ان سابغات صفة لموصوف محذوف (قوله وقدر في سابغات دروعا كوامل يجرها لابسها على الارض (وقدر في السرد) اى نسيج الدروع قيل لما نعها سردا اى اجعله

بمعنى تمزيق (انكم لفي خلق جديد افترى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (على الله كذبا) في ذلك (ام به جنة) جنون تخيل به ذلك قال تعالى (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) المشتملة على البعث والعذاب (في العذاب) فيها (والضلال البعيد) من الحق في الدنيا (افلم يروا) ينظروا (الى ما بين ايديهم وما خلفهم) ما فوقهم وما تحتهم (من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا) بسكون السين وفتحها قطعة (من السماء) وفي قراءة في الافعال الثلاثة بالياء (ان في ذلك) المرئي (لآية لكل عبد منيب) راجع الى ر به تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء (ولقد آتينا داود منا فضلا) نبوة وكتابا وقلنا (يا جبال اوبي) رجعي (معه) بالتسبيح (والطير) بالنصب عطفا على محل الجبال اى ودعوناها تسبح معه (والنا له الحديد) فكان في يده كالعجين وقلنا (ان اعمل) منه

السرد) اختلف فى معنى الآية فقيل اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهمك فيه بل اشتغل بعبادة ربك وقيل قدر المسامير فى حلق الدروع لا غلاظا ولا دقاقا وردذلك بانه لم يكن فى حلقها مسامير لعدم الحاجة اليها بسبب إلانة الحديد وحينئذ فالاظهر ماقاله المفسر من ان السرد الدروع والتقدير اجعل كل حلقة مساوية لاختها ضيقة لا ينفذ منها السهم فى الغلظ لا تفيل الكسر ولا تثقل حاملها والكل نسبة واحدة (قوله بحيث تناسب حلقه) بفتحتين او بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون او بفتحتين (قوله اى آل داود) تفسير للواو فى اعملوا (قوله صالحا) اى عملا صالحا ولا تتكلوا على عز أبيكم وجاهه (قوله فاجازيكم عليه) اى ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله ولسليمان الريح) الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله سخرنا بدليل التصريح به فى قوله تعالى يسخر له الريح تجرى بامره (قوله بتقدير تسخير) اى فالجار والمجرور خبر مقدم والريح مبتدأ مؤخر على حذف مضاف والاصل وتسخير الريح كائن لسليمان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (قوله غدوها شهر) مبتدأ وخبر والمعنى سيرها من الغداة الى الزوال مسيرة شهر للسائر الجيد ومن الزوال للغروب مسيرة شهر عن الحسن كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل فى اصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وتقدم ان الريح كانت تحمل البساط بجيوشه لاى جهة توجه اليها فاذا صفت تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله واسلنا له عين القطر) اى جعلنا النحاس فى معدنه جاريا كالعين النابعة من الارض وكانت تلك العين باليمن (قوله فاجريت ثلاثة ايام) قيل مرة واحدة وقيل كان يسيل فى كل شهر ثلاثة ايام (قوله وعمل الناس الخ) مبتدأ وخبره قوله مما اعطى سليمان اى صنع الناس للنحاس واذابته بالنار من آثار كرامة سليمان لانه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها (قوله من يعمل بين يديه) يصح ان يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله ويصح ان يكون مفعولا لمحذوف تقديره سخرنا من الجن من يعمل ومن على كل حال واقعة على فريق (قوله بطاعته) اى بطاعة سليمان (قوله بما يضر به ملك الخ) اى فقد وكل الله ملكا بالجن المسخرين لسليمان وجعل فى يده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته (قوله ابنية مرتفعة) اى مساجد وغيرها وسميت بذلك لان صاحبها يحارب فيها غيره لحمايتها وقيل المراد بالمحاريب خصوص المساجد والاقرب ماقاله المفسر وليس المراد بها الطاقات التى تقف فيها الائمة فى المساجد اذهى حادثة فى المساجد بعد زمن النبى صلى الله عليه وسلم وسميت بالمحاريب تشبيها لها بالابنية المرتفعة لانها رفيعة القدر ولذا خصوها بالائمة (قوله وتماثيل) قال بعضهم انها صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء كانت تصور فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان اولئك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة اى ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا فى العبادة (قوله ولم يكن اتخاذ الصور حراما الخ) جواب عما يقال ان اتخاذ الصور حرام فكيف يليق اتخاذها من سليمان واعلم ان اتخاذ الصور اولا كان لمقصد حسن فلما ساء المقصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله حرم الله اتخاذها على العباد (قوله وهى حوض كبير) اى وسمى جابية لان الماء يجبى فيه اى يجمع (قوله آل داود) المراد سليمان واهل بيته (قوله شكرا) مفعول لاجله اى اعملوا لاجل الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التى لا تضاهى وهذا أعظم المقاصد وهو العمل لاجل شكر الله على نعمه فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم حيث اوجدهم من العدم وجعل لهم السمع والبصر والافئدة والعافية وغير ذلك من انواع النعم التى

بحيث تتناسب حلقه (واعملوا) اى آل داود معه (صالحا انى بما تعملون بصير) فاجازيكم به (و) سخرنا (لسليمان الريح) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (غدوها) سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال (شهر ورواحها) سيرها من الزوال الى الغروب (شهر) أى مسيرته (وأسلنا) أذبنا (له عين القطر) اى النحاس فاجريت ثلاثة ايام بلياليهن كجرى الماء وعمل الناس الى اليوم مما اعطى سليمان (ومن الجن من يعمل) بين يديه باذن) بامر (ربه ومن يزغ) يعدل (منهم عن امرنا) له بطاعته (نذقه من عذاب السعير) النار فى الآخرة وقيل فى الدنيا بان يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه (يعملون له مايشاء من محاريب) أبنية مرتفعة يصعد اليها بدرج (وتماثيل) جمع تمثال وهو كل شئ مثلته بشئ أى صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما فى شريعته (وجفان) جمع جفنة (كالجوابى) جمع جابية وهى حوض كبير يجتمع على الجفنة الف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد اليها بالسلالم وقلنا (اعملوا) يا (آل داود) بطاعة الله (شكرا) له على ما آتاكم لا تحصى

لا تحصى (قوله وقليل من عبادى الشكور) أى لكون هذا المقصد عزيزا لم يوفق له الا القليل من الناس وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم اما لاجل طلب الدنيا أو خوفا من النار وطمعا فى الجنة ﴿فائدة﴾ من جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس وذلك أن داود ابتدأ بناءه فى موضع فسطاط موسى التى كان ينزل فيها فرفعه قدر قامة فاوحى الله اليه لم يكن تمامه على يديك بل على يد ابن لك اسمه سليمان فلما قضى على داود واستخلف سليمان وأحب اتمامه جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فارسل بعضهم فى تحصيل الرخام وبعضهم فى تحصيل البلور من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح فلما فرغ منها ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الجواهر والبواقيت والدر الصافى من أماكنها ومنهم من ياتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه فاتى من ذلك بشىء كثير ثم أحضر الصناع لنحت تلك الاحجار واصلاح تلك الجواهر وثقب تلك اليواقيت واللآلىء فبناه بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وجعل عمده من البلور الصافى وسقفه بانواع الجواهر وبسط أرضه بالعنبر فلم يكن على وجه الارض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه فكان يضيء فى الظلمة كالقمر ليلة البدر ثم نزل على هذا البناء حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمه وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى ملكه بالعراق حين بطرت بنو اسرائيل النعم وقتلوا زكريا ويحيى وكان ابتداء بيت المقدس فى السنة الرابعة من ملك سليمان وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد فراغه منه اثنى عشر الف ثور ومائة وعشرين الف شاة واتخذ اليوم الذى فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه الى الله تعالى بالدعاء وقال اللهم أنت وهبت لى هذا السلطان وقويتنى على بناء هذا المسجد اللهم فاوزعنى شكرك على ما أنعمت على وتوفنى على ملتك ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى اللهم انى أسالك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة الا غفرت له وتبت عليه ولا خائف الا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا أغنيته والخامسة أن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه الا من أراد الحادا أو ظلما يارب العالمين وروى أن سليمان لما بنى بيت المقدس سال الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال الله تعالى ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاوتيه وسال الله حين فرغ من بنائه أن لا ياتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه اذا علمت ذلك فبيت المقدس تم بناؤه وهو حى وهو الصحيح (قوله فلما قضينا عليه الموت الخ) روى أن سليمان كان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما أعلمه الله بوقت موته قال اللهم أخف على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما فى غد ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلى واتكا على عصاه على كرسيه فمات فكان الجن ينظرون اليه ويحسبون انه حى ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لتكرره منه قبل ذلك فالحكمة فى اخفاء موته ظهور أن الجن لا يعلمون الغيب لا تتميم بناء بيت المقدس كما قيل فان الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل (قوله حتى اكلت الارضة عصاه) فلما اكلتها أحبها الجن وشكروا لها فهم يأتونها بالماء والطين فى خروق الخشب وقالوا لها لو كنت تاكلين الطعام والشراب لاتيناك بهما (قوله بصدر ارضت الخشبة) اى اكلت فمعنى دابة الارض دابة الاكل وهذا أحد وجهين والوجه الآخر أن المراد بالارض المعروفة ونسبت لها لخروجها منها (قوله بالهمز) أى الساكن أو المفتوح فتكون القراآت ثلاثا سبعيات (قوله الشاق لهم) اللام بمعنى على وفى نسخة له أى لسليمان (قوله لظنهم حياته) علة لقوله ما لبثوا (قوله وعلم كونه الخ) اما البناء

(وقليل من عبادى الشكور) العامل بطاعتى شكرا لنعمتى (فلما قضينا عليه) على سليمان (الموت) أى مات ومكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا (ما دلهم على موته الا دابة الارض) مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول اكلتها الارضة (تاكل منسأته) بالهمز وتركه بالف عصاه لانها ينسأ يطرد ويزجر بها (فلما خر) ميتا (تبينت الجن) انكشف لهم (أن) مخففة أى أنهم (لو كانوا يعلمون الغيب) ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان (ما لبثوا فى العذاب المهين) العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الارضة من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا

المفعول او مصدر مبتدأ خبره قوله بحساب الخ فتحصل ان الجن ارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات من منذ سنة (قوله لقد كان لسبا) اللام موطئة لقسم محذوف اى والله لقد كان الخ ولسبا خبر كان مقدم وآية اسمها مؤخر وفي مساكنهم حال (قوله بالصرف وعدمه) اى وفي عدم الصرف قراءتان فتح الهمزة وسكونها فالقراآت ثلاث (قوله سميت باسم جدلهم) اى وهو سبا بن يشجب بجيم مضمومة ابن يعرب بن قحطان روى ان رجلا قال يارسول الله وما سبا أرض أو امرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرا من العرب فتيامن منهم ستة اى سكنوا اليمن وتشاءم منهم اربعة اى سكنوا الشام فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يارسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة والمقصود من تلك القصة اتعاظ هذه الامة المحمدية ليعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم والا يحل بهم ما حل بمن قبلهم (قوله في مساكنهم) بالجمع كمساجد والافراد إما بكسر الكاف او فتحها ففيه ثلاث قراآت سبعيات (قوله باليمن) اى وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام (قوله دالة على قدرة الله) اى فاذا تامل العاقل فيها استدل على باهر قدرته وانه الخالق لجميع المخلوقات (قوله بدل) اى من آية التي هي اسم كان وصح ابدال المثنى من المفرد لانه في قوة المتعدد وذلك ان الجنتين لما كانتا متماثلين وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله من غير انضمام غيرها لها صح جعلهما آية واحدة نظير قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية (قوله عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين وقيل عن يمين الذاهب وشماله (قوله وقيل لهم) اى على لسان انبيائهم لانه بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمه وهذا الامر للاذن والاباحة (قوله واشكروا له) اى اصرفوا نعمه في مصارفها (قوله ارض سبا الخ) اشار بذلك الى ان قوله بلدة طيبة خبر لمحذوف هو كلام مستانف (قوله ليس بها سباخ) جمع سبخة وهي الارض ذات الملح (قوله ولا بعوضة) البعوض البق وقوله ولا برغوث بضم الباء (قوله فيموت) اى القمل ومثله باقي الهوام (قوله ورب غفور) اى يستر ذنوبكم (قوله فاعرضوا عن شكره) اى عن امره واتباع رسله لما روي انه ارسل لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا له فليحبس عنا هذه النعم ان استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحمار كان له ولد فمات فرفع رأسه الى السماء وبزق وكفر فلا يمر بارضه احد الا دعاه للكفر فان اجابه والا قتله (قوله وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره) اى فكان واديهم أرضا متسعة بين جبال شامخة وبنت بلقيس سدا حول ذلك الوادي بالصخر والقار وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وصار ماء السيول يتساقط من الجبال خلف السد من كل جهة فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الاوسط ثم من الادنى على حسب علو الماء وهبوطه فالعرم هو هذا السد وقيل العرم اسم للغار الذي نقب السد لما ورد انهم كانوا يزعمون انهم يجدون في كهانتهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين صخرتين الا ربطوا الى جانبها هرة فلما جاء ما اراده الله بهم اقبلت فارة حمراء الى بعض تلك الهررة فثاورتها حتى استأخرت عن الجحر ثم وثبت فدخلت في الفرجة التي عندها ونقبت السد حتى اوهنته للسيل وهم لا يدرون فلما جاء السيل دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد وفاض الماء على اموالهم فاغرقها ودفن بيوتهم (قوله جنتين) تسميتها بذلك تهكم بهم لمشاكلة الاول (قوله مفرد على الاصل) اى لان اصلها ذوية تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصار ذوات ثم حذفت الواو تخفيفا ففي تثنيته وجهان اعتبار الاصل واعتبار

(لقد كان لسبا) بالصرف وعدمه قبيلة سميت باسم جدلهم من العرب (في مساكنهم) باليمن (آية) دالة على قدرة الله تعالى (جنتان) بدل (عن يمين وشمال) عن يمين واديهم وشماله وقيل لهم (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) على ما رزقكم من النعمة في ارض سبا (بلدة طيبة) ليس بها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها (و) الله (رب غفور فاعرضوا) عن شكره وكفروا (فارسلنا عليهم سيل العرم) جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته اى سيل واديهم الممسك بما ذكر فاغرق جنتيهم وأموالهم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي) تثنية ذوات مفرد على الاصل

(أكل خمط) مر بشح باضافة أكل بمعنى ما كول وتركها و بعطف عليه (وأثل وشيء من سدر قليل ذلك) التبديل (جزيناهم بما كفروا) بكفرهم (وهل يجازى الا الكفور) بالياء والنون مع كسر الزاى ونصب الكفور) أى ما يناقش الا هو (وجعلنا بينهم)

العارض فالاول ذواتان والثانى ذاتان (قوله مر بشح) قيل هو شجر الاراك وقيل كل شجر له شوك (قوله باضافة أكل) اى بضم الكاف لاغير وقوله وتركها أى بضم الكاف وسكونها فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله و يعطف عليه) اى على أكل (قوله من سدر قليل) الصحيح ان السدر وهو النبق نوعان نوع يؤكل ثمره و ينتفع بورقه ونوع له ثمر غض لا يؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو المسمى بالضال وهو المراد هنا (قوله ذلك) مفعول ثان لجزيناهم مقدم عليه (قوله بكفرهم) أشار بذلك الى ان ما مصدرية (قوله بالياء والنون) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله اى ما يناقش الا هو) أشار بذلك الى ان الحصر منصب على المناقشة والشدة فى الحساب والمؤاخذة بكل الذنوب والا فمطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل (قوله وجعلنا بينهم) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة (قوله قرى ظاهرة) قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام (قوله وقدرنا فيها السير) اى جعلنا السير بين قراهم و بين القرى المباركة سيرا مقدرا من منزل الى منزل ومن قرية الى قرية (قوله ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء) اى فكانوا يسيرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر فى أماكن لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقى الرجل قاتل أبيه لا يحركه (قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أى لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة تمنوا طول السفر والتعب فى المعايش نظير قول بنى اسرائيل ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض الآية وكتمنى اهل مكة العذاب بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله مفازة) جمع مفازة وهو الموضع المهلك. اخوذ من فوز بالتشديد اذا مات وقيل من فاز اذا نجا وسلم سمى بذلك تفاؤلا بالسلامة (قوله أحاديث) اى يتحدث باخبارهم (قوله فرقناهم فى البلاد) اى لضيق عيشهم وخراب أماكنهم وهى سنة باقية فى كل من بطر النعمة وظلم فقد أفاد الله فى تلك الآيات انه أصابهم بنعمتين وابتلاهم بنقمتين (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله ظنه اى وسبب ظنه إمارؤيته انهما كهم فى الشهوات أو قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها أو وسوسته لآدم فى الجنة فاخرج منها فظن ضعف أولاده بالنسبة له وان كان لم تؤثر وسوسته لآدم (قوله فصدق بالتخفيف فى ظنه) أشار بذلك الى ان قوله ظنه على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض والمعنى صار فيما ظنه أولا من اغوائهم على يقين وقوله أو صدق بالتشديد الخ أى فظنه مفعول لصدق والمعنى حقق ظنه و وجده صادقا (قوله بمعنى لكن) أشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار و يصح ان يكون متصلا لان محض المؤمنين يذنب و يتبع ابليس فى بعض المعاصى و يكون قوله الا فريقا من المؤمنين المراد بهم من لم يتبعه أصلا والاقرب الاول لان المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين (قوله تسليطا منا) اى فالشيطان سبب فى الاغواء لاحاق الاغواء فمن أراد الله حفظه منع الشيطان عنه ومن أراد الله اغواءه سلط عليه الشيطان والكل فعل الله تعالى (قوله علم ظهور) اى فالمعنى ليظهر متعلق علمنا فاللام للعاقبة لا للتعليل ومعنى الآية ما كان له عليهم ايجاد اضلال بل خالق الهدى والضلال هو نحن وانما سبقت حكمتنا بتسليطه ليتميز بين عبادنا من خلقنا فيه الكفر ومن خلقنا فيه الايمان فاتباعه وعدمه علامة على ما تعلق به علمه تعالى فتدبر (قوله رقيب) اى فهو تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع (قوله قل ادعوا) بكسر اللام على أصل

بين سبا وهم باليمن (وبين القرى التى باركنا فيها) بالماء والشجر وهى قرى الشام التى يسيرون اليها للتجارة (قرى ظاهرة) متواصلة من اليمن الى الشام (وقدرنا فيها السير) بحيث يقيلون فى واحدة و يبيتون فى أخرى الى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء أى وقلنا (سيروا فيها ليالى وأياما آمنين) لا تخافون فى ليل ولا فى نهار (فقالوا ربنا بعد) وفى قراءة باعد (بين أسفارنا) الى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وظلموا أنفسهم) بالكفر (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم فى ذلك (ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم فى البلاد كل التفرق (ان فى ذلك) المذكور (لآيات) عبرا (لكل صبار) عن المعاصى اشكور) على النعم (ولقد صدق) بالتخفيف والتشديد (عليهم) اى الكفار منهم سبا (ابليس ظنه) انهم باغوائه يتبعونه (فاتبعوه) فصدق بالتخفيف فى ظنه او صدق بالتشديد ظنه اى وجده صادقا (الا) بمعنى لكن (فريقا من المؤمنين) للبيان اى هم المؤمنون لم يتبعوه (وما كان له عليهم من سلطان) تسليطا منا (الا لنعلم) علم ظهور (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) فنجازى كلا منهما (وربك على كل شيء حفيظ) رقيب (قل) يا محمد لكفار مكة (ادعوا (الذين زعمتم)

التخلص و بالضم اتباعا لقراءتان سبعيتان (قوله اى زعمتموهم آلهة) أى فالمفعولان محذوفان الاول لطوله بصلته والثانى لقيام صفته أعنى قوله من دون الله مقامه (قوله لينفعوكم) متعلق بادعوا اى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم فى سنى الجوع و يجلبوا لكم سعة العيش (قوله مثقال ذرة) اى لا يملكون أمرا من الامور فى العالم وذكر السموات والارض للتعميم عرفا (قوله معين) اى على خلق شيء بل الله تعالى المنفرد بالايجاد والاعدام (قوله ولا تنفع الشفاعة عنده) أى ان الشفاعة لا تكون من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام الا ان يأذن الله للملائكة والانبياء فى الشفاعة لغير الكفار وأما الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وأما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم (قوله ردا لقولهم الخ) اى حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وايضاحه ان الشفاعة لا تكون ولا تحصل الا بالاذن والرضا وهم قد ارتكبوا ما يقتضي الغضب وهو الكفر فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضي للغضب وعدم الاذن فى الشفاعة ان هذا الزعم باطل (قوله الا لمن اذن له) يصح وقوعه بين على الشافعين والمعنى الا لشافع أذن له فى الشفاعة و يصح وقوعها على المشفوع لهم والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمشفوع اذن ان يشفع له فاللام على كل حال متعلقة باذن والضمير عائد على الموصول وفيه الوجهان (قوله بفتح الهمزة) اى والضمير عائد على الله تعالى لذكره اولا وقوله وضمها أى بالبناء للمفعول والآذن هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله حتى اذا فزع) غاية فى محذوف تقديره يتربصون و يتوقفون مدة من الزمان فزعين حتى اذا فزع الى آخره والتضعيف للسلب كالهمزة كما شارله بقوله كشف عنها الفزع والمعنى حتى اذا ازيل الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى الاذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضا (قوله بالبناء للفاعل) اى والفاعل ضمير يعود على الله وقوله والمفعول اى والجار والمجرور نائب الفاعل والقراءتان سبعيتان (قوله استبشارا) اى لزوال الكرب والحزن عن القلوب واختلف هل هذا الامر فى الآخرة أو الدنيا فقيل فى الآخرة و يؤيده ما فى سورة النبا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وعلى هذا فيكون فى الكلام حذف والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة الا لمن اذن له ففزع ما ورد على القلوب من المهابة حتى اذا ذهب الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضا وقيل فى الدنيا و يؤيده ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى اذا اراد ان يوحى بامر وتكلم بالوحى اخذت السموات والارض منه رجفة اى رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل فيكلمه الله تعالى و يقول له من وحيه ما اراد ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلى الكبير قال فيقولون كلهم كما قال جبريل فينتهى جبريل بالوحى حيث امر الله تعالى وعن ابن عباس قال كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحى وكان اذا نزل الوحى سمع له صوت كامرار السلسلة على الصفوان فلا ينزل على اهل سماء الا صعقوا فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير ثم يقول يكون فى هذا العام كذا و يكون كذا فتسمعه الجن فتخبر ون الكهنة والكهنة تخبر الناس فيجدونه كذلك فلما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم دحروا ومنعوا بالشهب فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة حتى اسرعوا فى اموالهم فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من فى السماء اما ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر والليل والنهار فقال ابليس

اى زعمتموهم آلهة (من دون الله) أى غيره لينفعوكم بزعمكم قال تعالى فيهم (لا يملكون مثقال) وزن (ذرة) من خير او شر (فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك) شركة (وماله) تعالى (منهم) من الآلهة (من ظهير) معين (ولا تنفع الشفاعة عنده) تعالى ردا لقولهم ان آلهتهم تشفع عنده (الا لمن اذن) بفتح الهمزة وضمها (له) فيها (حتى اذا فزع) بالبناء للفاعل و للمفعول (عن قلوبهم) كشف عنها الفزع بالاذن فيها (قالوا) قال بعضهم لبعض استبشارا (ماذا قال ربكم) فيها (قالوا)

لقد حدث في الارض اليوم حدث فائتوني من كل تربة أرض فاتوه بها فلما شم تربة مكة قال من ههنا جاء الحدث فانصتوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث فتحصل ان الفزع على القول بانه في الآخرة يكون من جميع الخلق وعلى القول بانه في الدنيا يكون من الملائكة خاصة والآية محتملة للامرين والعموم أولى لان الكفار زعموا ان آلهتهم تنفعهم في الدنيا والآخرة فرد الله عليهم بهذه الآية الشاملة للامرين فتدبر (قوله القول الحق) اشار بذلك الى ان الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول (قوله وهو العلي الكبير) هذا من تمام كلام الشفعاء اعترافا بعظمة الله وكبريائه (قوله قل من يرزقكم الخ) هذا السؤال تبكيت للمشركين واشارة الى ان آلهتهم لا تملك لهم ضرا ولا نفعا وهذه الآية بمعنى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله فسيقولون الله (قوله لعلى هدى أو في ضلال مبين) غاير بين الحرفين اشارة الى ان المؤمنين مستعلون على الهدى كراكب الجواد يسير به حيث شاء والكفار محبوسون في الضلال كالمنغمس في الظلمات الذي لا يبصر شيئا (قوله في الابهام) خبر مقدم وتلطف مبتدأ مؤخر وداع صفة لتلطف (قوله لا تسئلون عما أجرمنا الخ) فيه تلطف بهم وتواضع حيث اسند الاجرام لانفسهم والعمل للمخاطبين (قوله يوم القيامة) اى في الموقف (قوله أعلمونى) اشار بذلك الى ان ارى علمية فتتعدى الى ثلاثة مفاعيل أولها ياء المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء ويصح ان تكون بصرية فتتعدى الى مفعولين الاول المتكلم والثاني للموصول وشركاء حال من عائد الموصول والقصد من ذلك تبكيتهم واظهار خطئهم بعد اقامة الحجة عليهم (قوله بل هو) الضمير اما عائد على الله أو ضمير الشان وما بعده مبتدأ وخبر والجملة خبره (قوله الا كافة) الحصر اضافي جيء به للرد على المشركين الذين يعتقدون ان رسالته غير عامة لجميع بني آدم (قوله حال من الناس) تبع فيه ابن عطية واعترضه الزمخشري بان تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ بمنزلة تقدم المجرور على الجار ورد بان الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلق به واذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها فتقديمها على صاحبها وحده أجوز لتقدم عاملها وهو أرسلناوهذا احد اوجه في الآية ويصح جعل كافة حالا من الكاف في ارسلناك والتاء للمبالغة كهي في علامة وراوية والمعنى الاجامعا للناس في التبليغ لا يخرج عن تبليغك احد فكافة اسم فاعل من كف بمعنى جمع او مصدر كالعاقبة والعافية اما مبالغة او على حذف مضاف اى ذا كافه للناس او صفة لمصدر محذوف تقديره الا ارسالة كافة اى محيطة بهم وشاملة لهم فلا يخرج منها احد والاوجه الثلاثة على انه حال من الكاف وهي متقاربة فتحصل ان هذه الآية دلت على انه مرسل لجميع الانس بشيرا ونذيرا وأما ارساله لغيرهم فماخوذ من آيات أخر منها وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لكن ارساله للانس والجن ارسال تكليف وللملائكة قيل ارسال تكليف وقيل تشريف وللحيوانات العاقلة والجمادات ارسال تشريف (قوله لا يعلمون ذلك) اى ما ذكر من عموم رسالته وكونه بشيرا ونذيرا (قوله ويقولون) اى على سبيل الاستهزاء والسخرية (قوله ان كنتم) الخطاب للنبي والمؤمنين (قوله لا يستاخرون عنه) اى ان اردتم التاخر وقوله ولا تستقدمون اى ان اردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم * ان قلت ان الجواب ليس مطابقا للسؤال لان السؤال عن طلب تعيين الوقت والجواب يقتضي انهم منكرون للوقت من أصله وأجيب بان الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم لان سؤالهم وان كان على صورة الاستفهام عن الوقت الا أن مرادهم الانكار والتعنت والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم (قوله وقال

القول (الحق) اى قد أذن فيها (وهو العلي) فوق خلقه بالقهر (الكبير) العظيم (قل من يرزقكم من السموات) المطر (والارض) النبات (قل الله) ان لم يقولوه لا جواب غيره (وانا واياكم) اى احد الفريقين (لعلى هدى أو في ضلال مبين) بين في الابهام تلطف بهم داع الى الايمان اذا وفقوا له (قل لا تسئلون عما أجرمنا) اذ نبينا (ولا نسئل عما تعملون) لانا بريؤن منكم (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم (العليم) بما يحكم به (قل ارونى) أعلمونى (الذين الحقتم به شركاء) في العبادة (كلا) ردع لهم عن اعتقاد شريك له (بل هو الله العزيز) الغالب على امره (الحكيم) في تدبيره لخلقه فلا يكون له شريك في ملكه (وما ارسلناك الا كافة) حال من الناس قدم للاهتمام (للناس بشيرا) مبشرا للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) منذرا للكافرين بالعذاب (ولكن اكثر الناس) اى كفار مكة (لا يعلمون) ذلك (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب (ان كنتم صادقين) فيه (قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) عليه وهو يوم القيامة

(وقال الذين كفروا) من اهل مكة (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) اى تقدمه كالتوراة والانجيل الدالين على البعث لانكارهم له قال تعالى فيهم (ولو ترى) يا محمد (اذ الظالمون) الكافرون (موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا) الاتباع (للذين استكبروا) الرؤساء (لولا انتم) صددتمونا عن الايمان (لكنا مؤمنين) بالنبي (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم) لا (بل كنتم مجرمين) فى انفسكم (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) اى مكر فيهما منكم بنا (اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا) شركاء (واسروا) اى الفريقان (الندامة) على ترك الايمان به (لما رأوا العذاب) اى اخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير (وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا) فى النار (هل) ما (يجزون الا) جزاء (ما كانوا يعملون) فى الدنيا (وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) رؤساؤها المتنعمون (انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا) ممن آمن (ومانحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (ولكن اكثر الناس) اى كفار مكة الخ (لا يعلمون) ذلك (وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) قربى اى تقريبا (الا) لكن (من آمن وعمل صالحا

الذين كفروا لن نؤمن الخ) سبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم ان صفة محمد فى كتبنا فلما سألوهم ووافق ما قال أهل الكتاب قال المشركون لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه (قوله الدالين على البعث) أى وعلى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم يكفرون بها أيضا (قوله قال تعالى فيهم) أى فى بيان أحوالهم فى الآخرة (قوله ولو ترى) مفعول ترى وجواب لو محذوف ان والتقدير ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم حال كونهم يرجع بعضهم الى بعض القول لرأيت أمرا فظيعا (قوله اذ الظالمون) اذ ظرف لترى بمعنى وقت (قوله موقوفون) أى محبوسون فى الموقف للحساب (قوله عند ربهم) العندية للمكانة والعظمة لا المكان (قوله يرجع بعضهم) حال من ضمير موقوفون والقول منصوب بيرجع (قوله يقول الذين استضعفوا) تفسير لقوله يرجع فالجملة لا محل لها من الاعراب (قوله لولا أنتم) ما بعد لولا مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله صددتمونا الخ وقوله لكنا مؤمنين جواب لولا (قوله قال الذين استكبروا) أى جوابا للمستضعفين (قوله أنحن صددناكم) أى منعناكم (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى (قوله وقال الذين استضعفوا) ترك العاطف فيما سبق لانه مر أولا كلامهم فاتى بالجواب مستانفا من غير عاطف ثم أتى بكلام آخر للمستضعفين معطوفا على كلامهم الاول (قوله بل مكر الليل والنهار) ردوا بطال الكلام المستكبرين ومكر فاعل بفعل محذوف أى صدنا مكركم بنا فى الليل والنهار فحذف المضاف اليه وأقيم الظرف مقامه على الاتساع والاسناد مجازى (قوله اذ تامروننا) ظرف المكر أى مكركم وقت أمركم لنا الخ (قوله وأسروا الندامة) جملة حالية أو مستانفة (قوله أى أخفاها كل عن رفيقه) أى فكل أخفى الندم على فعله فى الدنيا من الكفر والمعاصى مخافة أن يعيره الآخر (قوله وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) أى زيادة على تعذيبهم بالنار (قوله وما أرسلنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله الا قال مترفوها) حال من قرية وان كانت نكرة لوقوعها فى سياق النفى فتعم فقد وجد المسوغ (قوله بما أرسلتم به) متعلق بكافرون قدم للاهتمام ورعاية للفواصل (قوله وقالوا نحن اكثر أموالا وأولادا) أى فلو لم يكن راضيا بما نحن عليه لما أعطانا الاموال والاولاد فى الدنيا واذا كان كذلك فلا يعذبنا فى الآخرة (قوله ومانحن بمعذبين) أى لانه لما اكرمنا فى الدنيا فلا يهيننا فى الآخرة على فرض وجودها (قوله قل ان ربى يبسط الرزق الخ) أى فبسط الرزق وضيقه فى الدنيا ليس دليلا على رضا الله فقد يبسط الرزق للكافر ويضيقه على المؤمن الخالص وقد يكون بالعكس وانما هو تابع للقسمة الازلية قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات (قوله لا يعلمون ذلك) أى فيظنون أن بسط الرزق وتضييقه تابع لرضا الله وغضبه (قوله وما أموالكم الخ) كلام مستانف سيق لتقرير ما سبق وتحقيقه (قوله بالتى تقربكم) صفة للاموال والاولاد لان جمع التكسير للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة ويصح أن تكون التى صفة لموصوف محذوف تقديره بالاحوال التى (قوله قربى) أشار بذلك الى أن زلفى مصدر من معنى الفعل (قوله لكن من آمن) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار ويصح أن يكون متصلا والخطاب الاول عام كانه قيل وما الاموال والاولاد تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى انفق امواله فى سبيل الله وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح فاولئك

اخ (قوله فاولئك) مبتدأ ولهم خبر مقدم وجزاء مبتدا مؤخر والجملة خبر أولئك وهو استئناف لبيان جزاء اعمالهم (قوله جزاء الضعف) من اضافة الموصوف لصفته اى الجزاء المضاعف (قوله مثلا) اى أو الحسنة بسبعين او بسبعمائة او اكثر (قوله وغيره) اى من سائر المكاره فلا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله مقدرين عجزنا) اى معتقدين اننا عاجزون فلا نقدر عليهم (قوله قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء اخ) اختلف فى هذه الآية فقيل مكررة مع التى قبلها للتاكيد وقيل مغايرة لها فالاولى محمولة على اشخاص متعددين وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وقتين فوقت البسط غير وقت القبض وهو الاحتمال الاول فى المفسر أو الاولى محمولة على الكفار وهذه فى حق المؤمنين وكل صحيح (قوله ابتلاء) علة لقوله و يقدر له اى يختبر هل يصبر اولا (قوله وما انفقتم من شئ) اى على انفسكم وعيالكم او تصدقتم به (قوله فهو يخلفه) اى بالمال او بالقناعة التى هى كنز لا ينفد او بالثواب فى الآخرة وفى الحديث ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا و يقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا و يؤيد هذا الحديث قوله تعالى فاما من اعطى واتقى الآيات واتى بهذه الآية عقب التى قبلها اشارة الى ان الانفاق لا يضيق الرزق بل ربما كان سببا فى توسعته فالحيلة فى توسعة الرزق الانفاق فى وجوه الخير والثقة بالله والتوكل عليه (قوله وهو خير الرازقين) اى احسنهم واجلهم لكونه خالق السبب والمسبب (قوله يقال كل انسان اخ) اى لغة ودفع بذلك ما قيل ان الرازق فى الحقيقة واحد وهو الله فاجاب بان الجمع باعتبار الصورة فالله خالق الرزق والعبد متسببون فيه ان قلت اى مشاركة بين المفضل و المفضل عليه اجيب بان الرازق يطلق على الموصل للرزق والخالق له والرب يوصف بالامرين والعبد يوصف بالايصال فقط تخيرية الله من حيث انه خالق وموصل فلم ار العبد يقال له رازق بهذا ولا يقال له رزاق لانه من السماء المختصة به تعالى (قوله يرزق عائلته) اى عياله وعيال الرجل من يعولهم واحده عيل كجيد (قوله وابدال الاولى ياء) هذا سبق قلم من المفسر اذ لم يقرأ بهذه احد من القراء واما تحقيقهما واسقاط الاولى فقراءة ابن سميقع وبقى ثلاث قراآت سبعيات تحقيق الاولى وتسهيل الثانية وعكسه وابدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الاولى فتكون الجملة خمسا (قوله كانوا يعبدون) خطاب للملائكة وتقريع للكفار وذلك كقوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله مع كون الله تعالى عالما بان الملائكة وعيسى بريؤن من ذلك (قوله انت ولينا من دونهم) اى انت الذى نواليك ونتقرب اليك بالعبادة فلم يكن لنا دخل فى عبادتهم لنا (قوله اى يطيعونهم) اى فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم وقيل كانوا يتمثلون لهم و يخيلون اليهم انهم الملائكة كما وقع لجماعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن و يزعمون ان الجن تراءى لهم وانهم ملائكة وانهم بنات الله (قوله اكثرهم بهم مؤمنون) ان قلت حيث اثبت اولا انهم كانوا يعبدون الجن لزم منه ان جميعهم مؤمنون بهم فكيف قال اكثرهم اجيب بان قول الملائكة اكثرهم من باب الاحتياط تحرزا عن ادعاء الاحاطة بهم كانهم قالوا ان الذين رأيناهم واطلعنا على اموالهم كانوا يعبدون الجن ولعل فى الوجود من لم يطلع عليه من الكفار واجيب ايضا بان العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والظاهر عنوان الباطن غالبا فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على اعمالهم وقالوا اكثرهم بهم مؤمنون لعدم اطلاعهم على ما فى القلوب (قوله اى بعض المعبودين) اى وهم الملائكة وقوله لبعض العابدين اى وهم الكفار (قوله ونقول) عطف على لا يملك (قوله واذا تتلى عليهم آياتنا) اى دلائل توحيدنا (قوله الا افك) اى

فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) اى جزاء العمل الحسنة مثلا بعشر فاكثر (وهم فى الغرفات) من الجنة (آمنون) من الموت وغيره وفى قراءة الغرفة بمعنى الجمع (والذين يسعون فى آياتنا) القرآن بالابطال (معجزين) لنا مقدرين عجزنا وانهم يفوتوننا) أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء من عباده) امتحانا (و يقدر) يضيقه (له) بعد البسط اولمن يشاء ابتلاء (وما انفقتم من شئ) فى الخير (فهو يخلفه وهو خير الرازقين) يقال كل انسان يرزق عائلته اى من رزق الله (و) اذكر (يوم يحشرهم جميعا) اى المشركين (ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم) بتحقيق الهمزتين وابدال الاولى ياء واسقاطها (كانوا يعبدون قالوا سبحانك) تنزيها لك عن الشريك (انت ولينا من دونهم) اى لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا (بل) للانتقال (كانوا يعبدون الجن) الشياطين اى يطيعون فى عبادتهم ايانا (اكثرهم بهم مؤمنون) مصدقون فيما يقولون لهم قال تعالى (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض) اى بعض المعبودين لبعض العابدين (نفعا) شفاعة (ولا ضرا) تعذيبا (ونقول للذين ظلموا) كفروا (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (بينات) واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ماهذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) من الاصنام (وقالوا ماهذا) اى القرآن (الا افك) كذب (مفترى) على الله

كذب غير مطابق للواقع ومع كونه كذلك هو مفترى اى مختلق من حيث نسبته الى الله فقوله مفترى تاسيس لا تاكيد (قوله وقال الذين كفروا) التصريح بالفاعل انكار عظيم وتعجيب بليغ (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم (قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها) اى فالمعنى لا عذر لهم فى عدم تصديقك بخلاف أهل الكتاب فان لهم كتابا ودينا ويحتجون بان نبيهم حذرهم من ترك دينه وان كان عذرا باطلا وحجة واهية (قوله وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) اى نبي يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله (قوله معشار ما آتيناهم) قيل المعشار لغة فى العشر وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزأ من الف وهو الاظهر لان المراد به المبالغة فى التقليل (قوله من القوة الخ) اى ومع ذلك فلم ينفعهم شئ من ذلك فى دفع الهلاك عنهم (قوله فكذبوا رسلى) عطف على قوله وكذب الذين من قبلهم عطف مسبب على سبب (قوله فكيف كان نكير) عطف على محذوف تقديره فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم (قوله واقع موقعه) اى فهو فى غاية العدل وعدم الجور والظلم (قوله قل انما أعظكم) أى آمركم وأوصيكم وقوله بواحدة صفة لمصوف محذوف تقديره بخصلة واحدة (قوله ان تقوموا) ان ومادخلت عليه فى تاويل مصدر خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هى وليس المراد بالقيام حقيقته وهو الانتصاب على القدمين بل المراد صرف الهمة والاشتغال والتفكر فى أمر محمد وماجاء به لان اول واجب على المكلف النظر المؤدى للمعرفة (قوله مثنى وفرادى) حالان من فاعل تقوموا وانما أمرهم بذلك لان الجماعة ربما يكون فى اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكر بسبب الاغراض والتعصب واما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكره واما الواحد فيفكر فى نفسه ويقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جربنا عليه كذبا قط وقد علموا ان محمدا ما به جنون بل علموه ارجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطلبوا منه آية على صدقه واذا جاء بها تبين انه صادق فيما جاء به واذا كان كذلك فالواجب اتباعه وتصديقه (قوله فتعلموا) أشار بذلك الى ان نتيجة التفكر العلم ومعمول التفكر محذوف والتقدير فتتفكروا فى أحوال محمد فتنتج لكم العلم بان ما بصاحبكم جنون ولا نقص (قوله ما بصاحبكم) اضافه لهم اشارة الى انه كان مشهورا بينهم وحاله معروف عندهم فكانوا يدعونه بالصادق الامين فاذا تفكروا وقاسوا حاله بعد النبوة على حاله قبلها فيفيدهم العلم بكمال أوصافه (قوله ان هو) اى المحدث عنه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بين يدى عذاب شديد) اى هو مقدمة عذاب لكم فى الدنيا والآخرة ان لم تؤمنوا وتصدقوه فيما جاء به فيخبركم به قبل وقوعه (قوله قل ما سالتكم من اجر) يحتمل ان ما شرطية مفعول لسالتكم ومن أجر بيان لما وقوله فهو لكم جواب الشرط ويحتمل انها موصولة مبتدأ وقوله فهو لكم خبرها وقرن الخبر بالفاء لما فى الموصول من العموم وعلى كل فيحتمل ان المعنى ما أسالكم أجرا البتة فيكون كقولك لمن لم يعطك شيا أصلا ان اعطيتنى شيا فخذه ويؤيده قوله ان اجرى الا على الله وقول المفسر اى لا أسالكم عليه أجرا ويحتمل ان المعنى لم أسالكم شيا يعود نفعه على فهو كقوله تعالى قل لا أسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى وقوله قل ما أسالكم عليه من أجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا (قوله قل ان ربى) اى مالكى وسيدى (قوله يقذف بالحق) مفعول يقذف محذوف تقديره يقذف الباطل بالحق ويؤيده قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل اى ندفع الباطل بالحق ونصرفه به ويصح ان تكون الباء للملابسة والمفعول محذوف ايضا والتقدير يقذف الوحى الى انبيائه ملتبسا بالحق او ضمن يقذف معنى يقضى ويحكم والاقرب الاول لان خبر ما فسرته بالوارد (قوله علام الغيوب) خبر ثان لان أو خبر مبتدا

(وقال الذين كفروا للحق) القرآن (لما جاءهم ان) ما (هذا الا سحر مبين) بين قال تعالى (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير) فمن أين كذبوك (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا) اى هؤلاء (معشار ما آتيناهم) من القوة وطول العمر وكثرة المال (فكذبوا رسلى) اليهم (فكيف كان نكير) انكارى عليهم بالعقوبة والاهلاك اى هو واقع موقعه (قل انما أعظكم بواحدة) هى (ان تقوموا لله) اى لاجله (مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) واحدا واحدا (ثم تتفكروا) فتعلموا (ما بصاحبكم) محمد (من جنة) جنون (ان) ما (هو الا نذير لكم بين يدى) اى قبل (عذاب شديد) فى الآخرة ان عصيتموه (قل) لهم (ما سالتكم) على الانذار والتبليغ (من أجر فهو لكم) اى لا أسالكم عليه أجرا (ان اجرى) ما ثوابى (الا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى (قل ان ربى يقذف بالحق) يلقيه الى أنبيائه (علام الغيوب)

محذوف (قوله ماغاب عن خلقه) أى فتسميته غيبا بالنسبة للخلق والا فالكل شهادة عنده تعالى (قوله قل جاء الحق) أفاد بذلك ان الوعد منجز ومتحقق بالفعل فليس مجرد وعد (قوله وما يبدئ الباطل وما يعيد) اى لم يبق له بداية ولا اعادة اى نهاية فهو كناية عن ذهابه بالمرة وهذا بمعنى قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان قلت ان السورة مكية والكفر فى ذلك الوقت كان له شوكة قوية والاسلام كان ضعيفا فكيف قال قل جاء الحق الخ أجيب بانه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع فعبر عنه بالماضي كقوله أتى امر الله (قوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي) سبب نزولها ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم تركت دين آبائك فضللت والمعنى قل لهم يا محمد ان حصل لى ضلال كما زعمتم فان وبال ضلالى على نفسى لا يضر غيرى وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب وقرئ شذوذا بكسر اللام من باب علم (قوله وان اهتديت الخ) اى لان الاهتداء لا يكون الا بهدايته وتوفيقه (قوله فبما يوحى الى ربى) اى بسبب ايحاء ربى الى أو بسبب الذى يوحيه الى فما مصدرية أو موصولة والمعنى فهدايى بفضل الله تعالى فحاصل المعنى المراد انه ان كان بى ضلال فمن نفسى لنفسى وان كان بى هدى فمن فضل الله الوحى الى على حد قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك (قوله انه سميع) أى يسمع كل ما خفى وما ظهر وقوله قريب اى قرب مكانة لا مكان (قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت) يحتمل ان مفعول ترى محذوف تقديره ولو ترى حالهم وقت فزعهم ويحتمل ان اذ مفعول ترى اى ولو ترى وقت فزعهم واسناد الرؤية للوقت مجاز وحقه ان يسند لهم وقوله عند البعث احد اقوال فى وقت الفزع وقيل فى الدنيا يوم بدر حين ضربت اعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا الفرار الى التوبة وقيل نزلت فى ثمانين ألفا يأتون فى آخر الزمان يغزون الكعبة ليخربوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب (قوله لرأيت امرا عظيما) أشار بذلك الى ان جواب لو محذوف (قوله فلا فوت) اى لا مخلص ولا مهرب (قوله اى القبور) اى وهى قريبة من مساكنهم فى الدنيا أو المعنى قبضت ارواحهم فى اماكنها فلم يمكنهم الفرار وقيل أخذوا من مكان قريب وهى القبور لجهنم فيخرجون من قبورهم لها (قوله وقالوا آمنا به) اى قالوا ذلك وقت حصول الفزع وهو وقت نزول العذاب بهم (قوله وأنى لهم) اى كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطلوبهم وهم فى الآخرة مع ان ذلك لا يحصل ولا يكون الا فى الدنيا وهى بعيدة من الآخرة فالماضي بعيدا ذلا يعود والمستقبل قريب لانه آت وكل آت قريب (قوله التناوش) اى الرجوع الى الدنيا للايمان وقبول التوبة (قوله بالواو وبالهمزة) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد كفروا الخ) الجملة حالية اى يستبعد تناولهم الايمان فى الآخرة والحال انهم كفروا فى الدنيا (قوله ويقذفون بالغيب) أى يتكلمون فى الرسول بالمطاعن والنقص من جانب بعيد من امره وهو الشبه التى اقترحوها فى جانب الرسول ويتكلمون فى العذاب ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم من حيث انهم لم يعلموا ذلك فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد فهو بعيد عن رتبة العلم (قوله غيبة بعيدة) اى عن الصدق (قوله وحيل بينهم) اى فى الآخرة (قوله اى قبوله) أى بحيث يخلصهم فى الآخرة (قوله باشياعهم) جمع شيع وشيع جمع شيعة فالاشياع جمع الجمع وهم قوم الرجل وانصاره واتباعه والمراد بهم هنا أشباههم فى الكفر كما قال المفسر (قوله من قبل) صفة للاشياع (قوله اى قبلهم) اى الذين كانوا سابقين عليهم فى الزمان لا فى العذاب فان زمن عذابهم فى القيامة متحد (قوله موقع فى الريبة لهم) اى فهو من ارابه اذا اوقعه فى الريبة وهى الشك فهو كقولهم عجب عجيب وشعر شاعر من باب التاكيد (قوله ولم يعتدوا بدلائله) حال من الواو فى آمنوا اى آمنوا به فى الآخرة والحال انهم لم يعتدوا فى الدنيا بدلائله

ماغاب من خلقه فى السموات والارض (قل جاء الحق) الاسلام (وما يبدئ الباطل) الكفر (وما يعيد) أى لم يبق له أثر (قل ان ضللت) عن الحق (فانما اضل على نفسى) اى اثم ضلالى عليها (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) من القرآن والحكمة (انه سميع) للدعاء (قريب ولو ترى) يا محمد (اذ فزعوا) عند البعث لرأيت امرا عظيما فلا فوت) لهم منا اى لا يفوتوننا (واخذوا من مكان قريب) اى القبور (وقالوا آمنا به) بمحمد او القرآن (وانى لهم التناوش) بالواو وبالهمزة بدلها اى تناول الايمان (من مكان بعيد) عن محله اذ هم فى الآخرة ومحله الدنيا (وقد كفروا به من قبل) فى الدنيا (ويقذفون) يرمون (بالغيب من مكان بعيد) اى بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا فى النبى ساحر شاعر كاهن وفى القرآن سحر شعر كهانة (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من الايمان اى قبوله (كما فعل باشياعهم) اشباههم فى الكفر (من قبل) اى قبلهم (انهم كانوا فى شك مريب) موقع فى الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله فى الدنيا

﴿سورة فاطر مكية﴾

أى وتسمى سورة الملائكة أيضا (قوله حمد تعالى نفسه) أى تعظيما لنفسه وتعليما لخلقه كيفية الثناء عليه قال فى الحمد الصادر منه تعالى يحتمل ان تكون للاستغراق او للجنس ولا يصح ان تكون عهدية لانه لم يكن ثم شئ معهود غير الحاصل بهذه الجملة واما فى كلام العباد فالاولى ان تكون عهدية والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه (قوله كما بين فى أول سورة سبا) اى حيث قال هناك حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل واعلم ان السور المفتتحة بالحمد اربع الانعام والكهف وسبا وفاطر وحكمة افتتاحها بذلك ان فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التى احتوت عليها الفاتحة (قوله على غير مثال سبق) اى وان كان لها مادة وهو النور المحمدى فالمنفى المثال السابق فقط (قوله جاعل الملائكة) نعت ثان للفظ الجلالة وجاعل وان كان بمعنى المضى الا انه للاستمرار فباعتبار دلالته على المضى تكون اضافته محضة فيصلح لوصف المعرفة به وباعتبار دلالته على الحال والاستقبال يصلح للعمل فى رسلا (قوله الى الانبياء) أى بالوحى وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم وعبارة البيضاوى اوضح من هذه واولى ونصها جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصالحة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (قوله اولى اجنحة) يصح ان يكون صفة لرسلا وهو وان كان صحيحا من جهة اللفظ لتوافقهما تنكيرا الا انه يوهم ان الاجنحة لخصوص الرسل مع انها لكل الملائكة فالاحسن جعله صفة اوحالا من الملائكة نظرا لال الجنسية (قوله مثنى) بدل من اجنحة مجرور بفتحة مقدرة نيابة عن الكسرة المقدرة لانه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية والعدل لكونه معدولا عن اثنين اثنين (قوله وثلاث ورباع) ان قلت فى أى محل يكون الجناح الثالث لدى الثلاثة قلت لعله يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة (قوله يزيد فى الخلق) جملة مستانفة سبقت لبيان باهر قدرته تعالى (قوله فى الملائكة) أى فى صورهم فقد قال الزمخشرى رأيت فى بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناح يلقون بهما اجسادهم وجناحان للطيران يطيرون بهما فى الامر من امور الله وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى وفى الحديث رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح تناثر من رأسه الدر والياقوت وروى انه سأل جبريل ان يتراءى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال انى أحب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة فاتاه جبريل فى صورته فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر الف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين اى يتصاغر الازمان لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير (قوله وغيرها) اى من جميع الخلق كطول القامة واعتدال الصورة وتمام الاعضاء وقوة البطش وحسن الصوت والشعر والخط وغير ذلك من الكمالات التى اعطاها الله لخلقه (قوله ان الله على كل شئ قدير) كالتعليل لما قبله (قوله ما يفتح الله) ما اما شرطية ويفتح فعل الشرط وقوله فلا ممسك لها جواب الشرط او موصولة مبتدا ويفتح صلتها وقوله فلا ممسك لها خبر المبتدا وقرن بالفاء لما فى المبتدا من العموم وقوله من رحمة بيان لما (قوله كرزق) اى دنيوى او اخروى وعبر فى جانب الرحمة بالفتح اشارة الى انها شئ عزيز نفيس شانه ان يوضع فى خزائن واتى بها منكرة لتعم كل رحمة دنيوية واخروية (قوله فلا ممسك لها) انث مراعاة لمعنى ما وهو الرحمة

﴿سورة فاطر مكية﴾
وهى خمس اوست واربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) حمد تعالى نفسه بذلك كما بين فى اول سبا (فاطر السموات والارض) خالقهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) الى الانبياء (اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع) يزيد فى الخلق) فى الملائكة وغيرها (مايشاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله للناس من رحمة) كرزق ومطر (فلا ممسك لها

وما يمسك) من ذلك (فلا مرسل له من بعده) اى بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) فى فعله (يا أيها الناس) اى اهل مكة (اذكروا نعمت الله عليكم) باسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم (هل من خالق) من زائدة وخالق مبتدأ (غير الله) بالرفع والجر نعت لخالق لفظا ومحلا وخبر المبتدا (يرزقكم من السماء) المطر (و) من (الارض) النبات والاستفهام للتقرير اى لا خالق رازق غيره (لا اله الا هو فانى تؤفكون) من أين تصرفون عن توحيده مع اقراركم بانه الخالق الرازق (وان يكذبوك) يا محمد فى مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب (فقد كذبت رسل من قبلك) فى ذلك فاصبر كما صبروا (والى الله ترجع الامور) فى الآخرة فيجازى المكذبين وينصر المرسلين (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث وغيره (حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا) عن الايمان بذلك (ولا يغرنكم بالله) فى حلمه وامهاله (الغرور) الشيطان (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) بطاعة الله ولا تطيعوه (انما يدعوا حزبه) أتباعه فى الكفر (ليكونوا من أصحاب السعير) النار الشديدة (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير) هذا بيان ما لموافقى الشيطان ومالمخالفيه * ونزل فى ابى جهل وغيره (افمن زين له سوء عمله)

(قوله وما يمسك) يصح ان يبقى على عمومه فالتذكير فى قوله ظاهر ويصح أن يكون قد حذف من الثانى لدلالة الاول عليه والتذكير مراعاة للفظ وقد أشار المفسر لهذا الثانى بقوله من ذلك يعنى من الرحمة (قوله اى أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزل والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اذكروا نعمت الله عليكم) اى اشكروه على تلك النعم التى أسداها اليكم (قوله باسكانكم الخ) أشار بذلك الى ان النعمة بمعنى الانعام ويصح أن تكون بمعنى المنعم به (قوله وخالق مبتدا) اى مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله بالجر والرفع) اى فهما قراءتان سبعيتان وقوله لفظا ومحلا لف ونشر مرتب وفى بعض النسخ بتقديم الرفع فيكون لفا ونشرا مشوشا وقرئ شذوذا بالنصب على الاستثناء (قوله والاستفهام للتقرير) اى والتوبيخ (قوله اى لا خالق رازق غيره) هذا حل معنى لا حل اعراب والا لقال لا خالق غيره رازق لكم (قوله لا اله الا هو) كلام مستانف لتقرير النفى المتقدم (قوله فانى تؤفكون) من الافك بالفتح وهو الصرف وبابه ضرب ومنه قوله تعالى قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا واما الافك بالكسر فهو الكذب (قوله من أين تصرفون عن توحيده) اى كيف تعبدون غيره مع انه ليس فى ذلك الغير وصف يقتضى عبادته من دون الله (قوله وان يكذبوك) اى يدوموا على تكذيبك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فاصبر كما صبروا) قدره اشارة الى ان جواب الشرط محذوف والمعنى فتاس بمن قبلك ولا تحزن (قوله فيجازى المكذبين) اى بادخالهم النار وقوله وينصر المرسلين أى بقبول شفاعتهم وادخالهم دار الكرامة (قوله وغيره) اى كالحساب والعقاب (قوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا) المراد نهيهم عن الاغترار بها والمعنى فلا تغتروا بالدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (قوله فى حلمه) اى بسببه والمعنى لا تجعلوا حلمه وامهاله سببا فى اتباعكم الشيطان (قوله الغرور) هو بالفتح فى قراءة العامة كالصبور والشكور وقرئ شذوذا بضمها اما جمع عار كعاذ وقعود أو مصدر كالجلوس (قوله ان الشيطان لكم عدو) اى عظيم فان عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم (قوله فاتخذوه عدوا) أى فكونوا منه على حذر فى جميع أحوالكم ولا تامنوا له فى السر والعلانية ولا تقبلوا منه صرفا ولا عدلا قال البوصيرى

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما * فانت تعرف كيد الخصم والحكم

(قوله انما يدعو حزبه الخ) بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته (قوله هذا) اى قوله الذين كفروا الى آخره والمعنى من كفر من اول الزمان الى آخره فله العذاب الشديد ومن آمن من أول الزمان الى آخره فله المغفرة والاجر الكبير (قوله ونزل فى أبى جهل وغيره) أى من مشركى مكة كالعاص بن وائل والاسود بن المطلب وعقبة بن أبى معيط واضرابهم ويؤيد هذا القول آيات منها ليس سلبك هذا هم ومنها ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ومنها فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وغير ذلك ففى هذه الآيات تسلية له صلى الله عليه وسلم على كفر قومه وقيل هذه الآية نزلت فى الخوارج الذين يحرفون تاويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن فى نظائرهم وهم فرقة بارض الحجاز يقال لهم الوهابية يحسبون أنهم على شئ ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون نسأل الله الكريم ان يقطع دابرهم وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وقيل نزلت فى الشيطان حيث زين له أنه العابد التقى وآدم العاصى فخالف ربه لاعتقاده أنه على شئ (قوله أفمن زين له سوء عمله) اى زين له الشيطان ونفسه الامارة عمله السيئ

فهو من اضافة الصفة للموصوف (قوله بالتمويه) اى التحسين ظاهرا بان غلب وهمه على عقله فرأى الحق باطلا والباطل حقا وأما من هداه الله فقد رأى الحق حقا فاتبعه ورأى الباطل باطلا فاجتنبه (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى (قوله دل عليه) اى على تقدير الخبر والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء الخ عليه وفى هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون ان العبد يخلق افعال نفسه فلو كان كذلك ما اسند الاضلال والهدى لله تعالى (قوله فلا تذهب نفسك عليهم) عامة القراء على فتح التاء والهاء ورفع نفس على الفاعلية ويكون المعنى لا تتعاط أسباب ذلك وقرئ شذوذا بضم التاء وكسر الهاء ونفسك مفعول به ويكون المعنى لا تهلكها على عدم ايمانهم (قوله حسرات) مفعول لاجله جمع حسرة وهى شدة التلهف على الشئ الفائت (قوله فيجازيهم عليه) اى ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله وفى قراءة الريح) اى وهى سبعية ايضا (قوله لحكاية الحال الماضية) أى استحضارا لتلك الصورة العجيبة التى تدل على كمال قدرته تعالى (قوله أى تزعجه) اى تحركه وتثيره (قوله فيه التفات عن الغيبة) اى الكائنة فى قوله والله الذى ارسل (قوله الى بلد ميت) البلد يذكر ويؤنث يطلق على القطعة من الارض عامرة أو خالية (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لانبات بها) اى فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى وبالحياة وجودهما (قوله من البلد) من بيانية (قوله كذلك النشور) أى كمثل احياء الارض بالنبات احياء الاموات ووجه الشبه ان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضاء تقبل الحياة اللائقة بها فان البلد الميت تساق اليها المياه فتحيا بها والاجساد تساق اليها الارواح فتحيا بها (قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) من شرطية مبتدأ وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فليطعه وقوله فلله العزة تعليل للجواب واختلف فى هذه الآية فقيل المراد من كان يريد ان يسأل عن العزة لمن هى فقل له لله العزة جميعا وقيل المراد من اراد العزة لنفسه فليطلبها من الله فان العزة له لا لغيره وطلبها يكون بطاعته والالتجاء اليه والوقوف على بابه لما ورد فى الحديث من أراد عز الدارين فليطع العزيز ومن طلب العزة من غيره تعالى كسى من وصفه وهو الذل لان وصف العبد الذل ووصف الله العز فمن التجا الى الله كساه الله من وصفه ومن التجا الى العبد كساه الله من وصف ذلك العبد لما ورد من استعز بقوم اورثه الله ذلهم وقال الشاعر

واذا تذللت الرقاب تواضعا * منا اليك فعزها فى ذلها

(قوله يعلمه) أشار بذلك الى ان فى الكلام مجازا فالصعود مجاز عن العلم كما يقال ارتفع الامر الى القاضى يعنى علمه وعبر عنه بالصعود اشارة لقبوله لان موضع الثواب فوق وموضع العذاب اسفل وقيل المعنى يصعد الى سمائه وقيل يحمل الكتاب الذى كتب فيه طاعة العبد الى السماء (قوله ونحوها) اى من الاذكار والتسبيح وقراءة القرآن (قوله والعمل الصالح) اى كالصلاة والصوم وغير ذلك من الطاعات (قوله والذين يمكرون) بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح (قوله المكرات) قدره اشارة الى ان السيئات صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليمكرون لان مكر لازم لا ينصب المفعول والمكر الحيلة والخديعة (قوله فى دار الندوة) أى وهى التى بناها قصى بن كلاب للتحدث والمشاورة (قوله كما ذكر فى الانفال) اى فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآيات وقد فصلت هناك (قوله ومكر اولئك) اتى باسم الاشارة البعيد اشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبغى والفساد (قوله هو يبور) هو مبتدأ ثان ويبور خبره والجملة خبر الاول ويصح ان يكون ضمير فصل لا محل له من الاعراب وقولهم ان الفصل

بالتمويه (فرآه حسنا) من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا دل عليه (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم) على المزين لهم (حسرات) باغتمامك ان لا يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه (والله الذى ارسل الرياح) وفى قراءة الريح (فتثير سحابا) المضارع لحكاية الحال الماضية اى تزعجه (فسقناه) فيه التفات عن الغيبة (الى بلد ميت) بالتشديد والتخفيف لانبات بها (فاحيينا به الارض) من البلد (بعد موتها) يبسها اى انبتنا به الزرع والكلأ (كذلك النشور) اى البعث والاحياء (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) اى فى الدنيا والآخرة فلا تنال منه الا بطاعته فليطعه (اليه يصعد الكلم الطيب) يعلمه وهو لا اله الا الله ونحوها (والعمل الصالح يرفعه) يقبله (والذين يمكرون) المكرات (السيئات) بالنبى فى دار الندوة من تقييده او قتله او اخراجه كما ذكر فى الانفال (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) يهلك (والله خلقكم من تراب)

لا يقع قبل الخبر اذا كان فعلا مردودا ويجوز ذلك (قوله بخلق أبيكم آدم منه) ويصح ان يراد خلقكم من تراب بواسطة ان النطفة من الغذاء وهو من التراب (قوله أزواجا) اى اصنافا (قوله من انثى) من زائدة فى الفاعل (قوله حال) اى من انثى (قوله وما يعمر من معمر) بفتح الميم فى قراءة العامة قال ابن عباس ما يعمر من معمر الا كتب عمره كم هو سنة وكم هو شهرا وكم هو يوما وكم هو ساعة ثم يكتب فى كتاب آخر نقص من عمره يوم نقص شهر نقص سنة حتى يستوفى أجله فما مضى من اجله فهو النقصان وما يستقبله فهو الذى يعمره وهذا هو الاحسن وقيل ان الله كتب عمر الانسان مائة سنة ان اطاع وتسعين ان عصى فايهما بلغ فهو كتاب وهذا مثل قوله عليه السلام من احب ان يبسط له فى رزقه وينسأ له فى اثره أى يؤخر فى عمره فليصل رحمه اى انه يكتب فى اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فان وصل رحمه زيد فى عمره كذا سنة فبين ذلك فى موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه فمن اطلع على الاول دون الثانى ظن أنه زيادة او نقصان (قوله أو معمر آخر) أى على حد عندى درهم ونصفه أى فالمعنى ما يزاد فى عمر شخص بان يكون اجله طويلا ولا ينقص من عمر آخر بان يكون عمره قصيرا الا فى كتاب (قوله ان ذلك) أى كتابته الاعمار والآجال (قوله على الله يسير) أى سهل غير متعذر (قوله وما يستوى البحران) هذا مثل للمؤمن والكافر وقوله شديد العذوبة اى يكسر وهيج العطش وقوله سائغ أى يسهل الحرارة (قوله شربه) انما فسر الشراب بالشرب لان الشراب هو المشروب فيلزم اضافة الشئ لنفسه (قوله اجاج) اى يحرق الحلق بملوحته (قوله ومن كل تاكلون الخ) يحتمل انه استطراد لبيان صفة البحرين وما فيهما من المنافع والمثل قد تم بما قبله وهو الاظهر وقيل هو من تمام التمثيل يعنى انهما وان اشتركا فى بعض الاوصاف لا يستويان فى جميعها كالبحرين فانهما وان اشتركا فى بعض المنافع لا يستويان فى جميعها (قوله هو السمك) المراد به حيوانات البحر كلها فيجوز اكلها (قوله وقيل منهما) أى ووجهه ان فى البحر الملح عيونا عذبة تمتزج بالملح فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كاصابع الكف وقيل هو صغار اللؤلؤ (قوله لتبتغوا) متعلق بمواخر (قوله بالتجارة) اى وغيرها كالغزو والحج (قوله على ذلك) أى على ما اسداه اليكم من تلك النعم (قوله يولج الليل فى النهار) أى فيطول النهار حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها أربع عشرة ساعة كايام الصيف وقوله ويولج النهار فى الليل اى فيطول الليل حتى يكون من الغروب للطلوع اربع عشرة ساعة كايام الشتاء فالدائر بين الليل والنهار اربع ساعات تارة تكون فى الليل وتارة تكون فى النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) معطوف على يولج معبر بالمضارع فى جانب الليل والنهار لان ايلاج أحدهما فى الآخر يتجدد كل عام واما الشمس والقمر فتسخيرهما من يوم خلقهما الله فلا تجدد فيه وانما التجدد فى آثارهما فلذا عبر فى جانبهما بالماضي (قوله والذين تدعون من دونه الخ) هذا من جملة الادلة على انفراده تعالى بالالوهية (قوله لفافة النواة) بكسر اللام وهى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة واعلم ان فى النواة أربعة اشياء يضرب بها المثل فى القلة الفتيل وهو ما فى شق النواة والقطمير وهو اللفافة والنقير وهو ما فى ظهرها والثفروق وهو ما بين القمع والنواة (قوله ما أجابوكم) اى بجلب نفع ولا دفع ضر (قوله باشراككم اياهم) اشار بذلك الى ان المصدر مضاف للفاعل (قوله اى يتبرؤن منكم) اى يقولهم ما كانوا ايانا يعبدون (قوله ولا ينبئك مثل خبير) اى لا يخبرك احد مثلى لانى عالم بالاشياء وغيرى لا يعلمها وهذا الخطاب يحتمل ان يكون عاما غير مختص باحد ويحتمل ان يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم (قوله يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله) انما خاطب الناس بذلك وان كان كل ما سوى الله فقيرا لان الناس هم الذين يدعون الغنى وينسبونه لانفسهم والمعنى يا ايها الناس انتم اشد الخلق افتقارا واحتياجا الى الله فى انفسكم وعياله لكم واموالكم وفيما

بخلق ابيكم آدم منه (ثم من نطفة) اى منى بخلق ذريته منها (ثم جعلكم ازواجا) ذكورا واناثا (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) حال اى معلومة له (وما يعمر من معمر) اى ما يزاد فى عمر طويل العمر (ولا ينقص من عمره) اى ذلك المعمر او معمر آخر (الا فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) هين (وما يستوى البحران هذا عذب فرات) شديد العذوبة (سائغ شرابه) شربه (وهذا ملح اجاج) شديد الملوحة (ومن كل) منهما (تاكلون لحما طريا) هو السمك (وتستخرجون) من الملح وقيل منهما (حلية تلبسونها) هى اللؤلؤ والمرجان (وترى) تبصر (الفلك) السفن (فيه) فى كل منهما (مواخر) تمخر الماء اى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا) تطلبوا (من فضله) تعالى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ذلك (يولج) يدخل الله (الليل فى النهار) فيزيد (ويولج النهار) يدخله (فى الليل) فيزيد (وسخر الشمس والقمر كل) منهما (يجرى) فى فلكه (لاجل مسمى) يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون) تعبدون (من دونه) اى غيره وهم الاصنام (ما يملكون من قطمير) لفافة النواة (ان تدعوهم لا

يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا) فرضا (ما استجابوا لكم) ما اجابوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) باشراككم اياهم مع الله اى يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياهم (ولا ينبئك) باحوال الدارين (مثل خبير) عالم وهو الله تعالى (يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله)

يعرض لكم من سائر الامور فلا غنى لكم عنه طرفة عين ولا اقل من ذلك ومن هنا قول الصديق رضي الله عنه من عرف نفسه عرف ربه اى من عرف نفسه بالفقر والذل والعجز والمسكنة عرف ربه بالغنى والعز والقدرة والكمال (قوله بكل حال) اى فى حالة الفقر والغنى والضعف والقوة والذل والعز فالعبد مفتقر لربه فى اى حالة كان بها ذلك العبد (قوله الحميد) انما ذكره بعد الغنى لدفع توهم ان غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا فافاد انه كما انه غنى هو منعم جواد محمود على انعامه لكونه يعطى النوال قبل السؤال للبر والفاجر (قوله ان يشا يذهبكم) هذا بيان لغناه المطلق يعنى ان اذهابكم ليس متوقفا على شيء الا على مشيئته فابقاؤكم من محض فضله (قوله بخلق جديد) اى بعالم آخر غير ما تعرفونه (قوله شديد) اى متعذرا ومتعسر (قوله وازرة) فاعل تزر وهو صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله نفس والمعنى لا تحمل نفس وازرة وزر نفس اخرى واما غير الوازرة فتحمل وزر الوازرة بمعنى تشفع لها فى غفرانه لا بمعنى انه ينتقل من الوازرة لغيرها ان قلت ما الجمع بين هذه الآية و بين قوله تعالى وليحملن اثقالهم الآية اجيب بان تلك الآية محمولة على من ضل وتسبب فى الضلال لغيره فعليه وزر ضلاله ووزر تسببه لان تسببه من فعله فلم يحمل الا أثقال نفسه فرجع الامر الى ان الانسان لا يحمل وزر غيره اصلا بل كل نفس بما كسبت رهينة (قوله وان تدع مثقلة الى حملها) اى وان تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا الى حملها وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس وبالفتح ما كان فى البطن او على رأس شجرة (قوله لا يحمل منه شيء) العامة على قراءة يحمل مبنيا للمفعول وشيء نائب الفاعل وقرئ شذوذا تحمل بفتح التاء وكسر الميم مسندا الى ضمير النفس المحذوفة وشيا مفعول تحمل (قوله ولو كان ذا قربى) العامة على قراءة ذا بالنصب خبر كان واسمها ضمير يعود على المدعو كما قدره المفسر وقرئ شذوذا بالرفع على ان كان تامة والمعنى وان تدع نفس مذنبة نفسا اخرى الى حمل شيء من ذنبها لا يحمل منه شيء ولو كانت تلك النفس الاخرى قريبة للداعية كابنها أو أبيها لما ورد ان الاب والام الابن فيقولان له يا بنى احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لا أستطيع حسبي ما على (قوله فى الشقين) اى الحمل القهرى والاختيارى (قوله حكم من الله تعالى) اى وهو لا يخلو عن حكمة عظيمة (قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم) انما اداة حصر والمعنى ان انذارك مقصور على الذين يخشون ربهم وقوله بالغيب حال من فاعل يخشون اى يخشونه حال كونهم غائبين عنه فالغيبة وصف العبيد لا وصف الرب فان وصف الرب القرب قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ووصف العبيد الغيبة والحجاب فالعبد محجوب عن ربهم بصفات جلاله و يصح ان يكون حالا من المفعول اى يخشونه والحال انه غائب عنهم اى محتجب بجلاله فلا يرونه والى هذا أشار المفسر بقوله ومارأوه فعدم رؤية الله تعالى انما هو من تحجبه بصفات الجلال فاذا تجلى بالجمال رأته الابصار وذلك يحصل فى الآخرة لاهل الايمان وقد حصل فى الدنيا لسيد الخلق على الاطلاق وقد يتجلى بالجمال للقلوب فى الدنيا فتراه وهى الجنة المعجلة لاهل الله المقربين (قوله لانهم المنتفعون بالانذار) جواب عما يقال كيف قصر الانذار على أهل الخشية مع انه لجميع المكلفين فاجاب بان وجه قصره عليهم انتفاعهم به فكانه قال انما ينفع انذارك اهل الخشية (قوله اداموها) اى واظبوا عليها باركانها وشروطها وآدابها وفى نسخة أدوها (قوله وغيره) اى كالمعاصي (قوله فصلاحه مختص به) اى فهو قاصر عليه لا يتعداه فيجزى بالعمل فى الآخرة اى الخير والشر (قوله وما يستوى الاعمى والبصير الخ) هذا مثل ضرب به الله للمؤمن والكافر وافاد أولا الفرق بين ذاتيهما وثانيا بين وصفيهما وثالثا بين داريهما فى الآخرة واما قوله وما يستوى الاحياء الخ فهو مثل آخر على ابلغ وجه لان الاعمى ربما يكون فيه بعض نفع بخلاف الميت (قوله ولا الظلمات ولا النور) جمع الظلمات باعتبار انواع الكفر فان انواعه كثيرة بخلاف

بكل حال (والله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود فى صنعه بهم (ان يشا يذهبكم و يات بخلق جديد) بدلكم (وما ذلك على الله بعزيز) شديد (ولا تزر) نفس (وازرة) آثمة اى لا تحمل (وزر) نفس (اخرى وان تدع) نفس (مثقلة) بالوزر (الى حملها) منه احد ليحمل بعضه (لا يحمل منه شيء ولو كان) المدعو (اذا قربى) قرابة كالاب والابن وعدم الحمل فى الشقين حكم من الله تعالى (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافونه وما رأوه لانهم المنتفعون بالانذار (واقاموا الصلاة) اداموها (ومن تزكى) تطهر من الشرك وغيره (فانما يتزكى لنفسه) فصلاحه مختص به (والى الله المصير) المرجع فيجزى بالعمل فى الآخرة (وما يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (ولا الظلمات) الكفر (ولا النور) الايمان (ولا الظل

ولا الحرور) الجنة والنار (ومايستوى الاحياء ولا الاموات) المؤمنون والكفار وزيادة لا فى الثلاثة تاكيد (ان الله يسمع من يشاء) هدايته فيجيبه بالايمان (ومانت بمسمع من فى القبور) اى الكفار شبههم بالموتى فيجيبون (ان)ما (انت الا نذير) منذر لهم (انا ارسلناك بالحق) بالهدى (بشيرا) من اجاب اليه (ونذيرا) من لم يجب اليه (وان)ما(من امة الا خلا) سلف (فيها نذير) نبى ينذرها (وان يكذبوك) اى اهل مكة (فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات (وبالزبر) كصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) هو التوراة والانجيل فاصبر كما صبروا (ثم اخذت الذين كفروا) بتكذيبهم فكيف كان نكير) انكارى عليهم بالعقوبة والاهلاك اى هو واقع موقعه (الم تر) تعلم (ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا) فيه التفات عن الغيبة (به ثمرات مختلفا الوانها) كاخضر واحمر واصفر وغيرها (ومن الجبال جدد) جمع جدة طريق فى الجبل وغيره (بيض وحمر) وصفر (مختلف الوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) عطف على جدد اى صخور شديدة السواد يقال كثيرا اسود غربيب وقليلا غربيب اسود (ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك)

الايمان فهو نوع واحد (قوله ولا الحرور) هى الريح الحارة خلاف السموم فالحرور تكون بالنهار والسموم بالليل وقيل الحرور والسموم بالليل والنهار (قوله وزيادة لا فى الثلاثة) أى فى الجمل الثلاث التى أولها ولا الظلمات ولا النور وثانيها ولا الظل ولا الحرور وثالثها وما يستوى الاحياء ولا الاموات وانما زيدت للتاكيد فى الجميع لان نفى المساواة معلوم من ما النافية (قوله ان الله يسمع من يشاء) من هنا الى قوله نكير تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله شبههم بالموتى) أى فى عدم التاثر بدعوته (قوله ان أنت الا نذير) أى فليس عليك الا التبليغ والهدى بيد الله يؤتيه من يشاء (قوله بالحق) حال من الكاف بدليل قول المفسر بالهدى كانه قال أرسلناك حال كونك هاديا (قوله وان من أمة) أى تعلمها وقوله نبى ينذرها أى يخوفها من عقاب الله وتنقضى شريعته بموته فما بين الرسولين من اهل الفترة وهم ناجون من أهل الجنة وان غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله بنص قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وأما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحى وامرئ القيس وحاتم الطائى فقيل ان ذلك لحكمة يعلمها الله لا لكفرهم والتحقيق أنه خبر آحاد وهو لا يعارض النص القطعى وتقدم الكلام فى ذلك عند قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قوله وبالزبر) اسم لكل ما يكتب (قوله كصحف ابراهيم) اى وهى ثلاثون وكصحف موسى قبل التوراة وهى عشرة وكصحف شيث وهى ستون فجملة الصحف مائة تضم لها الكتب الاربعة فجملة الكتب السماوية مائة وأربعة (قوله فاصبر كما صبروا) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف (قوله أى هو واقع موقعه) أشار بذلك الى أن الاستفهام تقريرى (قوله ألم تر) خطاب لكل من تاتى منه الرؤية وهو كلام مستانف سيق لبيان باهر قدرته تعالى وكمال حكمته (قوله فيه التفات) أى وحكمته أن المنة فى الاخراج أبلغ من انزال الماء ولما فى الاخراج من الصنع البديع الدال على كمال القدرة الالهية (قوله ثمرات مختلفا الوانها) أى فى اصل اللون كالاخضر والاصفر والاحمر وفى شدة اللون الواحد وضعفه (قوله ومن الجبال جدد) قرأ العامة بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهى الطريق وقرئ شذوذا بضم الجيم والدال جمع جديدة وبفتحهما (قوله مختلفا الوانها) مختلف صفة لجدد والوانها فاعل به أو مختلف خبر مقدم والوانها مبتدأ مؤخر والجملة صفة لجدد (قوله وغرابيب سود) الغربيب تاكيد للاسود كالقانى تاكيد للاحمر وانما قدمه عليه للمبالغة (قوله يقال كثيرا) أى بتقديم الموصوف على الصفة وهذا هو الاصل وقوله وقليلا أى بتقديم الصفة على الموصوف وهذا خلاف الاصل ويرتكب للمبالغة (قوله ومن الناس) خبر مقدم وقوله مختلف الوانه صفة لموصوف محذوف هو المبتدا اى صنف مختلف الوانه من الناس وقوله كذلك صفة لمصدر محذوف اى اختلافا كذلك (قوله انما يخشى الله من عباده العلماء) اى ان خشية الله شرطها العلم والمعرفة به فمن اشتدت معرفته لربه كان اخشاهم له ولذا ورد فى الحديث انا اخشاكم لله واتقاكم له وقرئ شذوذا برفع الجلالة ونصب العلماء والمعنى انما يعظم الله من العباد العلماء وانما كان كذلك لكونهم اعرف الناس بربهم واتقاهم له فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى فان الله اخبر أنه يعظمهم ويجلهم (قوله ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية كانه قيل يجب على كل انسان ان يخشى الله تعالى لانه عزيز قاهر لما سواه غفور للمذنبين (قوله ان الذين يتلون كتاب الله) اى يقرؤنه على طهارة اولا عن ظهر قلب اوفى المصحف وفضل الله واسع (قوله زكاة او غيرها)

كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) بخلاف الجهال ككفار مكة (ان الله عزيز) فى ملكه (غفور) لذنوب عباده المؤمنين (ان الذين يتلون) يقرؤن (كتاب الله وأقاموا الصلاة) ادوموها (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) زكاة او غيرها

لف ونشر مشوش وهو تحضيض على الانفاق كيفما تيسر (قوله يرجون تجارة) خبر ان اى يرجون ثواب تجارة (قوله ليوفيهم اجورهم) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله شكور) أى يثيبهم على طاعتهم (قوله من الكتاب) من لبيان الجنس او للتبعيض (قوله هو الحق) هو اما ضمير فصل أو مبتدا والحق خبر والجملة خبر الذى ومصدقا حال مؤكدة (قوله عالم بالبواطن والظواهر لف) ونشر مرتب (قوله ثم اورثنا) اتى بثم اشارة لبعد رتبتهم عن رتبة غيرهم من الامة (قوله أعطينا) اشار بذلك الى ان المراد بالتوريث الاعطاء ووجه تسميته ميراثا ان الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب وكذلك اعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب (قوله من عبادنا) بيان للمصطفين (قوله وهم امتك) أى امة الاجابة سواء حفظوه كلا أو بعضا اولا وقيل المراد باعطاء الكتاب حفظه بل الاهتداء بهديه والاقتداء به (قوله فمنهم ظالم لنفسه الخ) أى من غلبت سيئاته على حسناته والمقتصد من غلبت حسناته على سيئاته والسابق من لا تقع منه سيئة أصلا ولذا ورد فى الحديث فى تفسير هذه الآية سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقيل الظالم هو راجح السيآت والمقتصد هو الذى تساوت سيئاته وحسناته والسابق هو الذى رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذى ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقدم الظالم على من بعده ليقوى رجاؤه فى ربه ولئلا يعجب الطائع بعمله فيهلك وهذا على حد ما قيل فى قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (قوله باذن الله) متعلق بقوله سابق وانما خص مع ان الكل باذن الله تنبيها على عزة هذه المرتبة فاعرفه (قوله يدخلونها الخ) اتى بضمير جماعة الذكور فى تلك الآيات تغليبا للمذكر على المؤنث والا فلا خصوصية للذكور (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مرصع بالذهب) تقدم انه أحد قولين وقيل انهم يحلون فيها اسورة من ذهب واسورة من فضة واسورة من لؤلؤ (قوله وقالوا) عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله جميعه) اى كخوف الامراض والفقر والموت وزوال النعم وغير ذلك من آفات الدنيا وهمومها (قوله الذى احلنا) أى ادخلنا واسكننا (قوله دار المقامة) مفعول ثان لاحلنا والمراد بها الجنة التى تقدم ذكرها (قوله لا يمسنا فيها نصب) حال من ضمير احلنا البارز (قوله تعب) اى فلا نوم فى الجنة لعدم التعب بها (قوله اعياء من التعب) أى فاذا اشتهى الشخص من اهل الجنة ان يسير وينظر ويتمتع بجميع ما اعطاه الله من الحور والغرف والقصور فى اقل زمن فعل ولا يحصل له اعياء ولا مشقة وبالجملة فاحوال الجنة لا تقاس على احوال الدنيا وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الامة المحمدية (قوله وذكر الثانى) جواب عما يقال ما الفائدة فى نفى اللغوب مع ان انتفاءه يعلم من انتفاء النصب لان انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب (قوله والذين كفروا الخ) هذا مقابل قوله ان الذين يتلون كتاب الله على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه اذا ذكر اوصاف المؤمنين اعقبه بذكر اوصاف الكفار (قوله لا يقضى عليهم) اى لا يحكم عليهم بالموت وقوله فيموتوا مسبب عن قوله لا يقضى وهو منتف ايضا لانه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب ان قلت ان فى هذه الآية دليلا على ان اهل النار لا يموتون وفى آية اخرى لا يموت فيها ولا يحيا فيقتضى ان اهل النار لهم حالة بين الحالتين معا نعم واسطة اجيب بان المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب ولا يحيون حياة طيبة (قوله ولا يخفف عنهم من عذابها) أى بحيث ينقطع عنهم زمنا ما وبهذا اندفع ما قيل ان بعض اهل النار يخفف عنه كابى طالب وابى لهب لما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تشفع فى ابى طالب فنقل فى ضحضاح من نار ينتعل بنعلين يغلى منهما دماغه وورد ان ابا لهب يسقى فى نقرة ابهامه ماء كل ليلة اثنين لعتقه جاريته ثويبة حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم فتحصل ان المراد بعدم التخفيف عدم انقطاعه عنهم وان كان يحصل لبعضهم بعض

(شكور) لطاعتهم (والذى اوحينا اليك من الكتاب) القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) تقدمه من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر (ثم اورثنا) اعطينا (الكتاب) القرآن (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم امتك (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به أغلب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات) يضم الى العمل التعليم والارشاد الى العمل (باذن الله) ارادته (ذلك) أى ايراثهم الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) اقامة (يدخلونها) الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول خبر جنات المبتدا (يحلون) خبر ثان (فيها من) بعض (اساور من ذهب ولؤلؤ) مرصع بالذهب (ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) جميعه (ان ربنا لغفور) فى الذنوب (شكور) للطاعات (الذى احلنا دار المقامة) اى الاقامة (من فضله لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) اعياء من التعب لعدم التكليف فيها وذكر الثانى التابع للاول للتصريح بنفيه (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) بالموت (فيموتوا) يستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) طرفة عين (كذلك) كما جزينا هم (نجزى كل كفور) كافر

بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاى ونصب كل (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون بشدة وعويل يقولون (ربنا اخرجنا)

تخفيف فيه (قوله بالياء) اى المضمومة مع فتح الزاى ورفع كل وقوله والنون المفتوحة اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله يصطرخون فيها) اى يصيحون فيها (قوله وعويل) العويل رفع الصوت بالبكاء (قوله يقولون) قدره اشارة الى ان قوله ربنا أخرجنا الخ مقول لقول محذوف معطوف على قوله يصطرخون (قوله منها) قدره هنا لدلالة الآية الاخرى عليه (قوله صالحا) صفة لموصوف محذوف تقديره عملا صالحا (قوله فيقال لهم) اى على سبيل التوبيخ والتبكيت (قوله أولم نعمركم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتستذرون وتقولون ربنا أخرجنا الخ ولم نؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمرا يتمكن فيه من يريد التذكر من التذكر والتفكر (قوله ما يتذكر) ما نكرة موصوفة بمعنى وقت ولذا قدره المفسر (قوله وجاءكم النذير) عطف على معنى الجملة الاستفهامية كانه قال قروا بانا عمرناكم وجاءكم النذير (قوله الرسول) اى رسول كان لان هذا الكلام مع عموم الكفار من أول الزمان لآخره (قوله فذوقوا) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فما أجبتم فاندفع ما يقال ان ظاهر الآية ربما يوهم انا اذاقتهم العذاب مرتبة على مجيء الرسول مع انه ليس كذلك (قوله من نصير) من زائدة ونصير مبتدا خبره الجار والمجرور قبله (قوله غيب السموات والارض) اى ما غاب عنا فيهما (قوله انه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله كانه قيل اذا علم ما خفى فى الصدور كان اعلم غيرها من باب اولى وقوله بالنظر الى حال الناس جواب عما يقال علم الله لا تفاوت فيه بل جميع الاشياء مستوية فى علمه لا فرق بين ما خفى منها على الخلق وما ظهر لهم فاجاب بما ذكر اى ان الاولوية من حيث عادة الناس الجارية ان من علم الخفى يعلم الظاهر بالاولى (قوله هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) اى رعاة مسؤلين عن رعاياكم من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم فكل انسان خليفة فى الارض وهو راع وكل راع مسؤل عن رعيته (قوله جمع خليفة) كذا فى بعض النسخ بالتاء وفى بعض النسخ بلا تاء والاولى اولى لان خليف جمعه خلفاء واما خليفة فجمعه خلائف (قوله اى وبال كفره) اى فلا يضر الا نفسه (قوله ولا يزيد الكافرين الخ) بيان لوبال كفرهم وعاقبته (قوله قل أرأيتم الخ) رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد ان كانت بلا همز وبالهمز كما هنا تتعدى لمفعولين الاول قوله شركاءكم والثانى قوله ماذا خلقوا من الارض على سبيل التنازع لان كلا من أرأيتم وأرونى طالب ماذا خلقوا من الارض على أنه مفعول له (قوله شركاءكم) اضافهم لهم من حيث انهم جعلوهم شركاء او من حيث انهم شركوهم فى اموالهم فانهم كانوا يعينون شيا من اموالهم لآلهتهم وينفقونه على خدمتها ويذبحون عندها (قوله ماذا خلقوا من الارض) اى اى شيء خلقوه من الامور التى فى الارض كالحيوانات والنباتات والاشجار وغير ذلك (قوله ام لهم شرك) ام فى الموضعين منقطعة تفسر ببل والهمزة (قوله آتيناهم) اى الشركاء (قوله على بينة) بالافراد والجمع قراءتان سبعيتان (قوله لا شيء من ذلك) جواب الاستفهام فى الجمل الثلاث وهو انكارى (قوله بل ان يعد الظالمون) لما ذكر نفى الحجج اضرب عنه بذكر الامر الحامل للرؤساء على الشرك واضلال الاتباع وهو قولهم لهم انهم شفعاء عند الله (قوله بعضهم) بدل من الظالمون (قوله بقولهم) اى الرؤساء للاتباع (قوله اى يمنعهما من الزوال) اشار بذلك الى ان الامساك بمعنى المنع وقوله ان نزولا ان ومادخلت عليه فى تاويل مصدر مفعول نان على اسقاط من (قوله ولئن زالتا) اجتمع قسم وشرط فقوله ان امسكهما جواب الاول وحذف جواب الثانى على القاعدة المعروفة (قوله من احد) من زائدة فى الفاعل وقوله من بعده من ابتدائية والتقدير ما أمسكهما احد مبتدا وناشئا من غيره (قوله انه كان حليما غفورا) تعليل لقوله ان الله

منها (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) فيقال لهم (اولم نعمركم ما) وقتا (يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) الرسول فما اجبتم (فذوقوا فما للظالمين) الكافرين (من نصير) يدفع العذاب عنهم (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب فعلمه بغيره اولى بالنظر الى حال الناس (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) جمع خليفة اى يخلف بعضكم بعضا (فمن كفر) منكم (فعليه كفره) اى وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) غضبا (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) للآخرة (قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) اى غيره وهم الاصنام الذين زعمتم انهم شركاء الله تعالى (ارونى) اخبرونى (ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك) شركة مع الله (فى) خلق (السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة) حجة (منه) بان لهم معى شركة (لا شيء من ذلك (بل ان) ما (يعد الظالمون) الكافرون

(بعضهم بعضا الا غرورا) باطلا بقولهم الاصنام تشفع لهم (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) اى يمنعهما من الزوال (ولئن) لام قسم (زالتا ان) ما (امسكهما) يمسكهما (من احد من بعده) اى سواه (انه كان حليما غفورا) فى تاخير عقاب الكفار (واقسموا)

والنصارى وغيرهم اى اى واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضا اذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) مجيئه (الا نفورا) تباعدا عن الهدى (استكبارا فى الارض) عن الايمان مفعول له (ومكر) العمل (السيء) من الشرك وغيره (ولا يحيق) يحيط (المكر السيء الا باهله) وهو الماكر ووصف المكر بالسيء اصل واضافته اليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذرا من الاضافة الى الصفة (فهل ينظرون) ينتظرون (الا سنت الاولين) سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) اى لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول الى غير مستحقه (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة) فاهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم (وما كان الله ليعجزه من شيء) يسبقه ويفوته (فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما) اى بالاشياء كلها (قديرا) عليها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصى (ما ترك على ظهرها) اى الارض (من دابة)

يمسك السموات والارض أى قاسما كيما حاصل بحلمه وغفرانه والا فكانتا جديرتين بان تزولا كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه الآية فحلم الله تعالى من أكبر النعم على العباد اذ لولاه لما بقى شيء من العالم فقول العامة حلم الله يفتت الكبود اساءة أدب (قوله أى كفار مكة) اى قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم واقسموا بالله تعالى لئن جاءهم نبي ينذرهم ليكونن اهدى من احدى الامم (قوله جهد ايمانهم) الجهد بالفتح بلوغ الغاية فى الاجتهاد وأما بالضم فهو الطاقة وانما كان الحلف بالله غاية ايمانهم لانهم كانوا يحلفون بآبائهم واصنامهم فاذا اراد والتاكيد والتشديد حلفوا بالله (قوله ليكونن) هذه حكاية لكلامهم بالمعنى والا فلفظه لنكونن الخ (قوله من احدى الامم) المراد من احدى الاحد الدائر فالمعنى من كل الامم فقول المفسر اى اى واحدة منها الاوضح ان يقول اى كل واحدة منها (قوله ما زادهم الا نفورا) جواب لما وفيه اشعار بان فيهم اصل النفور لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد اسمعيل (قوله مفعول له) اى لاجل الاستكبار و يصح ان يكون بدلا من نفور أو حالا من ضمير زادهم اي حال كونهم مستكبرين (قوله ووصف المكر بالسيء) أى فى قوله ولا يحيق المكر السيء وقوله اصل اى جاء على الاصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف (قوله واضافته اليه قبل) اى فى قوله ومكر السيء (قوله استعمال آخر) أى جاء على خلاف الاصل حيث أضيف فيه الموصوف للصفة (قوله قدر فيه مضاف) اى مضاف اليه وقوله حذرا من الاضافة الى الصفة اى من اضافة المكر الذى هو الموصوف الى السيء الذى هو الصفة فيجعل المكر مضافا للمحذوف والسيء صفة لذلك المحذوف وتلك الاضافة من اضافة العام للخاص لان المكر يشمل الاعتقاد والعمل فاضافته للعمل تخصيص له (قوله فهل ينظرون الا سنت الاولين) اى فلا ينتظرون الا تعذيبهم كمن قبلهم (قوله سنت الله فيهم) اشار بذلك الى ان قوله سنت الاولين مصدر مضاف لمفعوله وسياتى اضافته لفاعله فى قوله لسنت الله (قوله فلن تجد) الفاء للتعليل كانه قيل لا ينتظرون الا تعذيبهم كمن قبلهم لانك ايها العاقل لن تجد الخ (قوله أى لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول الى غير مستحقه) اشار بذلك الى ان المراد بالتبديل تغيير العذاب بغيره والتحويل نقله لغير مستحقه وجمع بينهما للتهديد والتقريع (قوله أولم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير اتركوا السفر ولم يسيروا وهو استشهاد على ان سنة الله لا تبديل لها ولا تحويل والاستفهام انكارى بمعنى النفى ونفى النفى اثبات والمعنى بل ساروا فى الارض ومروا على ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم فنظروا آثار ديارهم (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى على اى حالة كانت ليعلموا انهم ما اخذوا الا بتكذيب رسلهم فيخافوا ان يفعل بهم مثل ذلك (قوله وكانوا اشد منهم قوة) اى اطول أعمارا والجملة حالية أو معطوفة على قوله من قبلهم (قوله وما كان الله ليعجزه الخ) تقرير لما فهم من استئصال الامم السابقة (قوله انه كان عليما قديرا) تعليل لما قبله (قوله بما كسبوا) الباء سببية وما مصدرية أو موصولة أى بسبب كسبهم او الذى كسبوه (قوله من المعاصي) بيان لما (قوله ما ترك على ظهرها من دابة) أى من جميع ما دب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها وذلك بان يمسك عنها ماء السماء مثلا فينقطع عنهم النبات فيموتون جوعا فالظالم لظلمه وغير الظالم بشؤم الظالم وعبر بالظهر تشبيها للارض بالدابة من حيث التمكن عليها و يعبر تارة بوجه الارض من حيث ان ظاهرها كالوجه للحيوان وغيره كالبطن وهو الباطن منها فتحصل

انه يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهرها فهو من قبيل اطلاق الضدين على شيء واحد (قوله نسمة) من التنسم وهو التنفس اى ذى روح (قوله فيجازيهم باعمالهم) أشار بذلك الى ان جواب الشرط محذوف وقوله فان الله الخ تعليل له

﴿ سورة يس مكية ﴾

اى كلها وقوله أو الا قوله واذا قيل الخ قول ثان وقوله أو مدنية اى كلها وهو قول ثالث وورد فى فضل سورة يس أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم اقرؤا يس على موتاكم ومنها ما من ميت يقرأ عليه يس الا هون الله عليه ومنها من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له فى تلك الليلة ومنها ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات ومنها ان فى القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها الا وهى سورة يس تدعى فى التوراة المعمة قيل يارسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى ايضا الدافعة والقاضية قيل يارسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة ومنها من قرأ يس حين يصبح أعطى يسر يومه حتى يمسي ومن قرأها فى صدر ليلته أعطى يسر ليلته حتى يصبح ومنها عن أبى جعفر من وجد فى قلبه قسوة فليكتب سورة يس فى جام أى اناء بزعفران ثم يشر به ومنها من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفورا له ومنها من دخل المقبرة فقرأ سورة يس خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم وكان له بعدد من فيها حسنات ومنها عن يحيى بن أبى كثير بلغنى ان من قرأ سورة يس ليلا لم يزل فى فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل فى فرح حتى يمسى وقد حدثنى بهذا من جربها ومنها ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن عشر مرات وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ سورة يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان ومنها يس لما قرئت له وحكمة اختيار الصالحين فى استعمالها التكرار كاربع أو سبع أو احد وأربعين او غير ذلك شدة الحجاب والغفلة على القلب فبا لتكرار تصفو مرآته وترق طبيعته وان كان الفضل المذكور لا يتوقف على تكرار كما يشهد له هذه الاحاديث (قوله يس) القراء السبعة على تسكين النون بادغامها فى الواو بعدها او باظهارها وقرئ شذوذا بضم النون وفتحها وكسرها فالاول خبر لمبتدا محذوف اى هذه ومنع من الصرف للعلمية والتانيث والثانى اما على البناء على الفتح تخفيفا كاين وكيف او مفعول به لفعل محذوف تقديره اتل او مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف والثالث مبنى على الكسر على اصل التخلص من التقاء الساكنين (قوله الله أعلم بمراده به) هذا أحد اقوال فى تفسير الحروف المقطعة كحم وطس وتقدم ان هذا القول أسلم وقيل معناه يا انسان وأصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل هو اسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اسم للقرآن (قوله والقرآن الحكيم) كلام مستانف لا محل له من الاعراب وهو قسم وجوابه قوله انك لمن المرسلين (قوله المحكم) اى المتقن الذى هو فى أعلى طبقات البلاغة (قوله متعلق بما قبله) اى بالمرسلين ويصح ان يكون خبرا ثانيا لان كانه قيل انك لمن المرسلين انك على صراط مستقيم (قوله اى طريق الانبياء قبلك) اى

نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) اى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم باثابة المؤمنين وعقاب الكافرين

﴿سورة يس مكية او الا قوله واذا قيل لهم انفقوا الآية اومدنية ثنتان وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يس) الله اعلم بمراده به (والقرآن الحكيم) المحكم بعجيب النظم وبديع المعانى (انك) يامحمد (لمن المرسلين على) متعلق بما قبله (صراط مستقيم) اى طريق الانبياء قبلك التوحيد والهدى والتاكيد بالقسم

وقولهم ان شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسخ لجميع الشرائع فهو باعتبار الفروع وأما الاصول فالكل مستوون فيها ولا يتعلق بها نسخ قال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الآية وقال تعالى فبهداهم اقتده (قوله وغيره) اى ان واللام والجملة الاسمية (قوله خبر مبتدا مقدر) هذا احد وجهين فى الآية والآخر النصب على انه مفعول لمحذوف اى امدح اومفعول مطلق لنزل والقراءتان سبعيتان (قوله لتنذر قوما) أى العرب وغيرهم (قوله فى زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب مابين اسمعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبالنسبة لغيرهم مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله فهم غافلون) مرتب على نفى الانذار وقوله أى القوم تفسير للضمير ويصح ان يكون الضمير راجعا للفريقين هم وآباؤهم (قوله لقد حق القول) اى وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين (قوله على أكثرهم) اى اكثر المكلفين فى كل زمن فالاقل متحتم ايمانه والاكثر متحتم كفره وتقدم لنا فى سورة الانعام ان الاقل واحد من ألف (قوله فهم لا يؤمنون) تفريع على ماقبله واشار بذلك الى ان الايمان والكفر بتقدير الله فمن طبعه على احدهما فلا يستطيع التحول عنه وانما الامر بالايمان باعتبار التكليف الظاهرى والنوع الاختيارى ومن هنا قول بعض العارفين

الكل تقدير مولانا وتاسيسه * فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك اذا زادت وساويسه * ابليس لما طغى من كان ابليسه

(قوله انا جعلنا فى اعناقهم أغلالا) قيل نزلت فى أبى جهل بن هشام وصاحبيه المخزومين وذلك ان اباجهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بحجر فلما رآه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما أوماليه رجعت يداه الى عنقه والتصق الحجر بيديه فلما عاد الى اصحابه اخبرهم بما رأى فقال الرجل الثانى وهو الوليد بن المغيرة انا ارضخ رأسه فاتاه وهو يصلى على حالته ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ماشانك قال شانى عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبيه مارأيت قط فحلا اعظم منه حال بينى وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لاكلنى فانزل الله تعالى تلك الآية وفيها اشارة الى مايحصل لهم فى جهنم من السلاسل والاغلال وعمى ابصارهم وفيها ايضا استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى امتناعهم من الهدى والايمان بحال من غلت يده فى عنقه وعمى بصره بجامع ان كلا ممنوع من الوصول الى المقصود فتحصل ان الآية دالة على الامور الثلاثة سبب النزول ومايحصل لهم فى الآخرة وتمثيل لمنعهم من الهدى (قوله بان تضم اليها الايدى) جعل المفسر هذا توطئة لارجاع الضمير للايدى فى قوله فهى الى الاذقان كانه قال الايدى وان لم يتقدم لها ذكر صراحة فهى مذكورة ضمنا فى قوله الاغلال لان الغل يدل عليها (قوله مجموعة) قدره اشارة الى ان قوله الى الاذقان متعلق بمحذوف ولو قدره مرفوعة لكان أظهر وذلك ان اليد ترفع تحت الذقن ويلبس الغل فى العنق فتضم اليد اليها تحت الذقن فحينئذ لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتا (قوله وهذا تمثيل) اى استعارة تمثيلية للمعنى المذكور وفيه اشارة الى سبب النزول والى مايحصل لهم فى الآخرة كما علمت (قوله بفتح السين وضمها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فاغشيناهم) هو بالغين المعجمة فى قراءة العامة اى غطينا أبصارهم وقرئ شذوذا بالعين المهملة من العشا وهو عدم الابصار ليلا والمعنى أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الاعشي (قوله تمثيل) اى استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى سد طرق الايمان عليهم ومنعهم منه بحال من سدت عليه الطرق وأخذ بصره بجامع ان كلا لا يهتدى لمقصوده

وغيره رد لقول الكفار له لست مرسلا (تنزيل العزيز) فى ملكه (الرحيم) بخلقه خبر مبتدا مقدر أى القرآن (لتنذر) به (قوما) متعلق بتنزيل (ما انذر آباؤهم) اى لم ينذروا فى زمن الفترة (فهم) أى القوم (غافلون) عن الايمان والرشد (لقد حق القول) وجب (على أكثرهم) بالعذاب (فهم لا يؤمنون) اى الاكثر (انا جعلنا فى اعناقهم أغلالا) بان تضم اليها الايدى لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهى) اى الايدى مجموعة (الى الاذقان) جمع ذقن وهى مجتمع اللحيين (فهم مقمحون) رافعوا رؤسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد انهم لا يذعنون للايمان ولا يخفضون رؤسهم له (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين وضمها فى الموضعين (فاغشيناهم فهم لا يبصرون) تمثيل أيضا لسد طرق الايمان عليهم

(قوله

(قوله وسواء عليهم أأنذرتهم الخ) هذا نتيجة ماقبله وقوله لا يؤمنون بيان للاستواء والمعنى انذارك وعدمه سواء فى عدم ايمانهم وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتهما (قوله بتحقيق الهمزتين) اى مع ادخال الف بينهما وتركه فالقراآت خمس لا أربع كما توهمه عبارته فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال فيه قراءة واحدة وهى سبعيات (قوله ينفع انذارك) جواب عما يقال ان ظاهر الآية يقتضي ان رسالته صلى الله عليه وسلم غير عامة بل هى لقوم مخصوصين وهم من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب ويخالف قوله سابقا لتنذر قوما الخ فاجاب المفسر عن ذلك بان محط الحصر الانذار النافع فلا ينافى وجود غيره لمن لم ينتفع به (قوله بالغيب) يصح ان يكون حالا من الفاعل او المفعول وتقدم نظيره (قوله فبشره بمغفرة الخ) تفريع على ماقبله اشارة لبيان عاقبة أمرهم (قوله انا نحن نحيي الموتى) اى نبعثهم فى الآخرة للمجازاة على اعمالهم (قوله ونكتب ماقدموا) ان قلت ان الكتابة متقدمة قبل الاحياء اذهى فى الدنيا والاحياء يكون فى الآخرة أجيب بانه قدم الاحياء اعتناء بشانه اذلولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة (قوله فى اللوح المحفوظ) المناسب ان يقول فى صحف الملائكة لان الكتابة التى تكون فى حياة العباد انما هى فى صحف الملائكة وأما اللوح فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق (قوله ماسنوا به بعدهم) اى من خير كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو نخل غرسوه أو وقف حبسوه أو غير ذلك أو شر كمكس رتبوه او ضلالة أحدثوها أو غير ذلك لما فى الحديث من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجرها ومثل أجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من وزرهم شيء (قوله نصبه بفعل يفسره الخ) اى فهو من باب الاشتغال (قوله واضرب لهم مثلا) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ان يضرب لقومه مثلا لعلهم يتعظون فيؤمنون (قوله أصحاب مفعول ثان) الاوضح ان يجعله مفعولا أول (قوله انطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة وهى مدينة بارض الروم ذات سور عظيم من صخر وهى بين خمسة جبال دورها اثنا عشر ميلا وحاصل تلك القصة ان عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية اسم أحدهما صادق والثانى مصدوق فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرىء الاكمه والابرص باذن الله تعالى وذلك كرامة لهما ومعجزة لنبيهما لانه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته قال الشيخ ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله فاتى بهما فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخا فدعا بهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة من لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال وهل لنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذى أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فاخذوهما وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ووضعوهما فى السجن فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفى على أثرهما ليبصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فانى أرى ايها الملك ان تدعوهما حتى نطلع على ماعندهما فدعاهما الملك فقال شمعون من ارسلكما الى ههنا قالا الله

(وسواء عليهم أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه (ام لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر) ينفع انذارك (من اتبع الذكر) القرآن (وخشي الرحمن بالغيب) خافه ولم يره (فبشره بمغفرة واجر كريم) هو الجنة (انا نحن نحيي الموتى) للبعث (ونكتب) فى اللوح المحفوظ (ماقدموا) فى حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه (وآثارهم) ماسنوا به بعدهم (وكل شيء) نصبه بفعل يفسره (احصيناه) ضبطناه (فى امام مبين) كتاب بين هو اللوح المحفوظ (واضرب) اجعل (لهم مثلا) مفعول اول (اصحاب) مفعول ثان (القرية) انطاكية (اذ جاءها)

الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فاز الا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سالت آلهتك حتى يضعوا مثل هذا كان لك الشرف ولآلهتك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة أيام وكنت مشركا فادخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين وأشار بيده الى صاحبيه وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن عيسى روح الله وكلمته فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون أن قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال وأنه رسول عيسى ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم ويذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين (قوله الى آخره) أى آخر القصة وهو قوله الا كانوا به يستهزؤن (قوله المرسلون) جمع باعتبار الثالث (قوله أى رسل عيسى) هذا هو المشهور وقيل انهم رسل من الله من غير واسطة عيسى ارسلوا الى أصحاب هذه القرية (قوله بدل من اذ الاولى) أى بدل مفصل من مجمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا انا اليكم مرسلون) أكدوا كلامهم بان لتقدم الانكار بتكذيب الاثنين وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحادهما لتهم (قوله قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا) أى فلا مزية لكم علينا (قوله جار مجرى القسم) أى فيؤكد به كالقسم ويجاب كما يجاب به القسم (قوله لزيادة الانكار) أى حيث تعدد ثلاث مرات (قوله وهى ابراء الاكمه) أى الاعمى (قوله قالوا انا تطيرنا بكم) التطير التفاؤل سمى بذلك لانهم كانوا يتفاءلون بالطير اذا أرادوا سفرا أو غيره فان ذهب ميمنة قالوا خيرا وان ذهب ميسرة قالوا شرا (قوله لانقطاع المطر عنا بسببكم) قيل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم (قوله لام قسم) أى وقد حنثوا فيه لان الله أهلكهم قبل أن يفعلوا بهم ما حلفوا عليه (قوله بكفركم) الباء سببية أى طائركم حاصل معكم بسبب كفركم وعنادكم (قوله وادخال الف) أى وتركه فالقراآت أربع سبعيات (قوله وجواب الشرط محذوف) أى على القاعدة وهى أنه اذا اجتمع استفهام وشرط أتى بجواب الاستفهام وحذف جواب الشرط وهو مذهب سيبويه وعند يونس بالعكس (قوله وهو محل الاستفهام) أى هو المستفهم عنه والمعنى لا ينبغى ولا يليق بكم التطاير والكفر حيث وعظتم بل آمنوا وانقادوا (قوله بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم أى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فشؤمكم لذلك (قوله متجاوزون الحد بشرككم) أى بعد ظهور المعجزات وهذا الخطاب لمن بقى على الكفر منهم وهم الذين رجموا حبيبا النجار واهلكهم الله كما يأتى (قوله وجاء من أقصى المدينة) هى انطاكية المعبر عنها اولا بالقرية وعبر عنها بالمدينة اشارة الى عظمها وكبرها (قوله هو حبيب النجار) اى ابن اسرائيل كان يصنع لهم الاصنام وهو ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل وجوده كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما

الى آخره بدل اشتمال من اصحاب القرية (المرسلون) اى رسل عيسى (اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) الى آخره بدل من اذ الاولى (فعززنا) بالتخفيف والتشديد قوينا الاثنين (بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان) ما (أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم) جار مجرى القسم وزيد التاكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الانكار فى (انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين) التبليغ البين الظاهر بالادلة الواضحة وهى ابراء الاكمه والابرص والمريض واحياء الميت (قالوا انا تطيرنا) تشاءمنا (بكم) لانقطاع المطر عنا بسببكم (لئن) لام قسم (لم تنتهوا لنرجمنكم) بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب اليم) مؤلم (قالوا طائركم) شؤمكم (معكم) بكفركم (ائن) همزة استفهام دخلت على ان الشرطية وفى همزتها التحقيق والتسهيل وادخال الف بينها بوجهيها وبين الاخرى (ذكرتم) وعظتم وخوفتم وجواب الشرط محذوف اى تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بل انتم قوم مسرفون) متجاوزون الحد بشرككم (وجاء من اقصى المدينة رجل) هو حبيب النجار

وفى الحقيقة كل نبي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره بمصداق قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الآية وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وأما غيره من الانبياء فلم يؤمن به أحد الا بعد ظهوره (قوله كان قد آمن بالرسل) اى رسل عيسى وسبب ايمانه ما تقدم من شفاء ولده المريض وقيل انه هو كان مجذوما وعبد الاصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف فلما دعاه الرسل الى عبادة الله قال لهم هل من آية قالوا له ندعو ربنا القادر يفرج عنك ما بك فقال ان هذا عجيب قد عبدت هذه الاصنام سبعين سنة فلم تستطع تفريجه فهل يستطيع ربكم تفريجه فى غداة واحدة قالوا نعم ربنا على كل شيء قدير فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن (قوله يشتد عدوا) اى يسرع فى مشيته حرصا على نصح قومه والدفع عن الرسل (قوله تاكيد للاول) اى تاكيد لفظى فلفظ اتبعوا الثانى تاكيد للفظ اتبعوا الاول من توكيد الفعل بالفعل (قوله من لا يسئلكم أجرا) بدل من المرسلين والمعنى اتبعوا الصادقين المخلصين الذين لم يريدوا منكم العرض الفانى اذ لو كانوا غير مخلصين لطلبوا منكم المال وانازعوكم على الرياسة (قوله وهم مهتدون) الجملة حالية وهو تعريض لهم بالاتباع أى فاهتدوا أنتم تبعا لهم (قوله انت على دينهم) فيه حذف همزة الاستفهام (قوله ومالى لا أعبد الذى فطرنى) تلطف فى ارشادهم وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم والاحسن ان فى الآية احتباكا حيث حذف من الاول نظير ما اثبته فى الآخر والاصل ومالى لا اعبد الذى فطرنى وفطركم واليه ترجعون وارجع (قوله الموجود مقتضيها) أى وهو كون الله فطره وخلقه (قوله فى الهمزتين منه ما تقدم) أى من القراآت الاربع وتقدم انها خمسة التحقيق وتسهيل الثانية بالف ودونها وابدال الثانية الفا وهى سبعيات (قوله وهو استفهام بمعنى النفى) أى وهو انكارى (قوله من دونه) يصح ان يكون مفعولا ثانيا مقدما لاتخذوا على انها متعدية لاثنين وآلهة مفعول اول مؤخر ويصح ان يكون حالا من آلهة أو متعلقا باتخذوا على انها متعدية لواحد (قوله لا تغن عنهم شفاعتهم) أى لا تنفعنى شفاعتهم فهو من الغناء بالفتح وهو النفع ومنه قول البوصيرى * فان من الى اليتيم عنا غناء * (قوله صفة آلهة) أى جملة ان يردن الرحمن الخ فهى فى محل نصب والاوضح ان تكون مستانفة سيقت لتعليل النفى المذكور لان جعلها صفة يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك (قوله ان عبدت غير الله) اشار بذلك الى أن التنوين عوض عن جملة (قوله فى ضلال مبين) اى لثبوت الادلة على بطلان ذلك (قوله فاسمعون) بكسر النون فى قراءة العامة وهى نون الوقاية حذفت بعدها ياء الاضافة وقرئ شذوذا بفتحها ولا وجه له فى العربية لان فعل الامر مبنى على حذف النون (قوله أى اسمعوا قولى) أى ما قلته لكم وهو اتبعوا المرسلين الخ (قوله فرجموه فمات) أى وهو يقول اللهم اهد قومى وقيل حرقوه وجعلوه فى سور المدينة وقبره فى سور انطاكية وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت روحه الا فى الجنة وفى رواية انهم قتلوا معه الرسل الثلاثة ووضعوهم فى بئر وهو الرس (قوله وقيل له عند موته) هذا احد اقوال ثلاثة اقتصر المفسر على اثنين منها والثالث ان هذا القول كناية عن البشرى بانه يدخل الجنة (قوله وقيل دخلها حيا) اى فحين هموا بقتله رفعه الله من بينهم وادخله الجنة حيا اكراما له كما وقع لعيسى انه رفع الى السماء (قوله قال ياليت قومى) اى وهم الذين نصحهم أولا فقد نصحهم حيا وميتا (قوله بغفرانه) اشار بذلك الى ان ما مصدرية ويصح ان تكون موصولة والعائد محذوف أى بالذى غفره لى ويصح ان تكون استفهامية اى بأى شيء غفر لى اى بامر عظيم وهو توحيدى وصدعى بالحق (قوله وما انزلنا على قومه الخ) هذا تحقير لهم وتصغير لشانهم والمعنى لم نحتج فى اهلاكهم الى ارسال

كان قد آمن بالرسل ومنزله باقصى البلد (يسعى) يشتد عدوا لما سمع بتكذيب القوم الرسل (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا) تاكيد للاول (من لا يسئلكم اجرا) على رسالته (وهم مهتدون) فقيل له انت على دينهم فقال (ومالى لا اعبد الذى فطرنى) خلقنى اى لا مانع لى من عبادته الموجود مقتضيها وانتم كذلك (واليه ترجعون) بعد الموت فيجازيكم بكفركم (أاتخذ) فى الهمزتين منه ما تقدم فى الانذرتهم وهو استفهام بمعنى النفى (من دونه) اى غيره (آلهة) اصناما (ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم) التى زعمتموها (شيا ولا ينقذون) صفة آلهة (انى اذا) اى ان عبدت غير الله (لفى ضلال مبين) بين (انى آمنت بربكم فاسمعون) اى اسمعوا قولى فرجموه فمات (قيل) له عند موته (ادخل الجنة) وقيل دخلها حيا (قال يا) حرف تنبيه (ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) بغفرانه (وجعلنى من المكرمين وما) نافية (انزلنا على قومه) اى حبيب (من بعده)

جنود من الملائكة بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلا وقوله وما كنا منزلين اى لم يكن شأننا وعادتنا ارسال جنود لاهلاك احد من الامم قبلهم بل اذا اردنا اهلاكا عاما يكون بغير الملائكة كصيحة اورجفة أو غيرذلك * ان قلت ان الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه * اجيب بان انزالهم تكرمة للنبى واصحابه لا للاهلاك العام وقيل نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله بعدموته) اى أو بعدرفعه حيا على القول الآخر (قوله لاهلاك احد) اى من الامم السابقة (قوله صاح بهم جبريل) أى صاح عليهم (قوله ميتون) اى فشبهوا بالنار الخامدة لانقطاع النفع فى كل (قوله ياحسرة على العباد) يحتمل ان يكون من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين والمراد بالعباد جميع الكفار قال للجنس وقيل المراد بالعباد نفس الرسل وعلى بمعنى من والقائل ذلك الكفار والتقدير ياحسرة علينا من مخالفة العباد والاوجه الاول الذى مشى عليه المفسر (قوله الا كانوا به يستهزؤن) الجملة حالية من مفعول ياتيهم (قوله مسوق الخ) اى فهو استئناف واقع فى جواب سؤال مقدر كانه قيل ماوجه التحسر عليهم فقيل مايأتيهم الخ (قوله لبيان سببها) اى بواسطة فان الاستهزاء سبب لاهلاكهم وهو سبب للحسرة (قوله لاشتماله) اى دلالته (قوله ألم يروا الخ) رأى علمية وكم خبرية مفعول لاهلكنا مقدم وقبلهم ظرف لاهلكنا ومن القرون بيان لكم (قوله والاستفهام للتقرير) اى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما بعد النفى (قوله معمولة لما بعدها) اى وليست معمولة ليروا لان كم الخبرية لها الصدارة فلا يعمل ماقبلها فيها (قوله معلقة ماقبلها عن العمل) ان قلت ان كم الخبرية لا تعلق وانما التعليق للاستفهامية قال ابن مالك

وان ولالام ابتداء أوقسم * كذا والاستفهام ذاله انحتم

اجيب بان الخبرية اجريت مجرى الاستفهامية فى التعليق (قوله والمعنى انا اهلكنا) أى وقد علموا ذلك (قوله بدل مما قبله) اى بدل اشتمال لان اهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم او بدل كل من كل بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل كان اهلاكهم عين رجوعهم (قوله برعاية المعنى المذكور) اى وهو قوله انا اهلكنا الخ والمعنى قد علموا اهلاكنا كثيرا من القرون السابقة المشتمل على عدم عودهم الى هؤلاء الباقين وهم اهل مكة فينبغى ان يعتبروا بهم (قوله نافية) اى ولما بالتشديد بمعنى الا وقوله أو مخففة أى مهملة ولما بالتخفيف واللام فارقة (قوله ومازائدة) للتاكيد فقد اغنت عن الحصر المستفاد من قراءة التشديد فتحصل ان من شددلما اجعلها بمعنى الا وان نافية وهذا باتفاق البصريين والكوفيين ومن خفف لما فالبصريون على أن ان مخففة واللام فارقة ومازائدة وجوز الكوفيون جعل لما بمعنى الا وان نافية والقراءتان سبعيتان (قوله أى كل الخلائق) اشار بذلك الى ان التنوين عوض عن المضاف اليه (قوله اى مجموعون) دفع بذلك مايتوهم من ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع فاجاب بان كل اشير بها الاستغراق الافراد وجميع اشير بها الاجتماع الكل فى مكان واحد للحشر (قوله وآية لهم) اى علامة ظاهرة ودالة على الاحياء بعد الموت (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مبتدأ) أخره بعد قوله احييناها اشارة الى انه صفة للارض والصفة مع الموصوف كالشئ الواحد (قوله وجعلنا) عطف على احييناها (قوله من نخيل) هو والنخل بمعنى واحد لكن النخل اسم جمع واحده نخلة يؤنث عند اهل الحجاز ويذكر عند تميم ونجد والنخيل مؤنثة بلا خلاف اذا علمت ذلك فقول المفسر فيما ياتى من النخيل وغيره ليس بجيد بل المناسب

(الا صيحة واحدة) صاح بهم جبريل (فاذا هم خامدون) ساكنون ميتون (ياحسرة على العباد) هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فاهلكوا وهى شدة التالم ونداؤها مجاز اى هذا اوانك فاحضرى (ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدى الى اهلاكهم المسبب عنه الحسرة (ألم يروا) اى اهل مكة القائلون للنبى لست مرسلا والاستفهام للتقرير اى علموا (كم) خبرية بمعنى كثير معمولة لما بعدها معلقة ماقبلها عن العمل والمعنى انا (اهلكنا قبلهم) كثيرا (من القرون) الامم (انهم) اى المهلكين (اليهم) أى المكيين (لا يرجعون) افلا يعتبرون بهم وانهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور (وان) نافية او مخففة (كل) اى كل الخلائق مبتدأ (لما) بالتشديد بمعنى الا او بالتخفيف فاللام فارقة ومازائدة (جميع) خبر المبتدا اى مجموعون (لدينا) عندنا فى الموقف بعد بعثهم (محضرون) للحساب خبر ثان (وآية لهم) على البعث خبر مقدم (الارض الميتة) بالتشديد والتخفيف (احييناها) بالماء مبتدأ (واخرجنا منها حبا) كالحنطة (فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل واعناب وغيرها)

وغيرها (قوله وفجرنا) بالتشديد فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالتخفيف (قوله اى بعضها) أشار بذلك الى ان من تبعيضية و يصح ان تكون زائدة (قوله بفتحتين وبضمتين) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى ثمر المذكور) دفع بذلك ما يقال ان الضمير عائد على شيئين فحقه التثنية فاجاب بانه أفرد باعتبار ماذكر (قوله اى لم تعمل الثمر) أشار بذلك الى ان ما نافية والمعنى انه ليس لهم ايجاد شئ بل الفاعل والمنبت هو الله تعالى كما قال فى الآية الاخرى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها و يصح ان تكون موصولة اى ومن الذى عملته أيديهم أو نكرة موصوفة أو مصدرية اى ومن عمل أيديهم واثبات العمل للايدى من حيث الكسب (قوله أفلا يشكرون) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها اى بحيث لا يصرفونها فى مصارفها (قوله أنعمه) جمع نعمة بالكسر ونعماء بالمد والفتح (قوله سبحان الذى خلق الازواج) أى تنزه فى ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به (قوله الاصناف كلها) اى فكل زوج صنف لانه مختلف فى الالوان والطعوم والاشكال والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها (قوله مما تنبت الارض) بيان للازواج وكذا ما بعده فتحصل ان هذه الامور الثلاثة لا يخرج عنها شئ من أصناف المخلوقات (قوله الغريبة) اى كائنة فى السموات والتى تحت الارضين وكل ما لم يكن مشاهدا العادة (قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ذكر الله تعالى فى هذه الآية ما يتضمن علم الميقات الذى تجب معرفته وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير رضي الله عنه مقدمة لطيفة فى هذا الشان كافية من اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى * وحاصلها بحروفها فائدة أسماء الشهور القبطية توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير برمهات برموده بشنس بؤنه أبيب مسرى أسماء البروج ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت حمل ثور جوزاء سرطان أسد سنبله ولا يدخل توت الذى هو أول السنة القبطية الا بعد خمسة أيام اوستة بعد مسرى وتسمى أيام النسئ وفصول السنة اربعة فصل الخريف وفصل الشتاء وفصل الربيع وفصل الصيف واول فصل الخريف انتقال الشمس الى برج الميزان وذلك فى نصف توت وفى تلك الليلة يستوى الليل والنهار ثم كل ليلة يزيد الليل نصف درجة ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة الى نصف بابه تنتقل الشمس الى برج العقرب فيزيد الليل كل ليلة ثلث درجة الى نصف هاتور تنتقل الشمس الى برج القوس فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمس درج فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين فيصير الليل من غروب الشمس الى طلوعها اربع عشرة ساعة فيصلى الفجر على ثنتى عشرة ساعة وست درج ومن طلوعه الى الشمس اربع وعشرون درجة وذلك فى آخر يوم من فصل الخريف منتصف كيهك ثم تنتقل الشمس الى برج الجدى وهو اول فصل الشتاء فياخذ الليل فى النقص والنهار فى الزيادة فيزيد النهار كل يوم سدس درجة ثلاثين يوما بخمس درج الى نصف طوبة فتنتقل الشمس الى برج الدلو فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة الى نصف امشير فتنتقل الى برج الحوت فتسميها العامة بالشمس الصغيرة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة الى نصف برمهات فتنتقل الشمس الى برج الحمل و يسميها العامة بالشمس الكبيرة وهو اول فصل الربيع وفيه الاعتدال الربيعى يستوى الليل فى تلك الليلة والنهار ويزيد النهار كل يوم نصف درجة كما فى برج الحوت الذى قبله الى منتصف برموده فتنتقل الشمس الى برج الثور فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة الى منتصف بشنس فتنتقل الشمس للجوزاء ويزيد النهار كل يوم سدس درجة بخمسة الى نصف بؤنه فتنتقل الى برج السرطان وهو اول فصل الصيف و به ينتهى طول النهار فيكون النهار من طلوع الشمس الى غروبها أربع عشرة ساعة و ينتهى قصر الليل فيكون من الغروب الى طلوع الشمس عشرة

وفجرنا فيها من العيون) اى بعضها (ليأكلوا من ثمره) بفتحتين و بضمتين اى ثمر المذكور من النخيل وغيره (وما عملته أيديهم) اى لم تعمل الثمر (أفلا يشكرون) أنعمه تعالى عليهم (سبحان الذى خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) من الحبوب وغيرها (ومن أنفسهم) من الذكور والاناث (ومما لا يعلمون) من المخلوقات العجيبة الغريبة (وآية لهم) على القدرة العظيمة (الليل

وحصة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمس درج ومنه للشمس خمس وعشرون درجة ثم ينقص النهار ويأخذ الليل فى الزيادة فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة الى خامس عشر ابيب فتنتقل الشمس الى برج الاسد فيزيد كل يوم ثلث درجة الى نصف مسرى فتنتقل الى السنبلة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة الى نصف توت اول السنة فقد علمت ان الدرج الذى يأخذها النهار من الليل والليل من النهار ستون درجة باربع ساعات وان الاعتدال يكون فى السنة مرتين مرة فى نصف توت الذى هو اول السنة القبطية وهو اول فصل الخريف والمرة الثانية فى نصف برمهات اول فصل الربيع وان مبدأ زيادة النهار من الفصل الذى قبله وهو فصل الشتاء ثلاثين يوما بالاسداس ثم ثلاثين بالاثلاث ثم ثلاثين بالانصاف لاول فصل الربيع فيحصل الاعتدال ثم ثلاثين بالانصاف ايضا الى نصف برموده ودخول الشمس فى الثور فمدة زيادة الانصاف ستون من نصف امشير ودخول الشمس فى الحوت الى نصف برموده ثم ثلاثين بالاثلاث الى نصف بشنس ودخول الشمس فى الجوزاء ثم ثلاثين بالاسداس الى نصف بؤنه ودخول الشمس فى السرطان فيأخذ الليل فى الزيادة بالاسداس ثلاثين ليلة الى نصف ابيب ودخولها فى الاسد ثم ثلاثين بالاثلاث الى نصف مسرى ثم بالانصاف الى نصف توت ثم بالانصاف ايضا الى نصف بابه ثم بالاثلاث الى نصفها تورث ثم بالاسداس الى نصف كيهك ثم يعود النهار على الليل فسبحان الله المقدر للامور القادر على كل شيء العليم الحكيم اه (قوله وآية) خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر كما تقدم نظيره (قوله نسلخ الخ) بيان لكيفية كونه آية (قوله نفصل منه النهار) اى نزيله عنه لكونه كالساتر له فاذا زال الساتر ظهر الاصل فالليل اصل متقدم فى الوجود والنهار طارئ عليه بدليل قوله فاذا هم مظلمون وهذا لا ينافى مايأتى فى قوله ولا الليل سابق النهار لان معناه لا يأتى الليل قبل وقته المقدر له بان يأتى فى وقت الظهر مثلا وهذا غير ما هنا فتحصل ان معنى السلخ الفصل والازالة وليس المراد به الكشف والا لقال فاذا هم مبصرون لانه يصير المعنى وآية لهم الليل نكشف ونظهر منه النهار (قوله داخلون فى الظلام) اى فيقال اظلم القوم اذا دخلوا فى الظلام واصبحوا اذا دخلوا فى الصباح (قوله من جملة الآية) اى فهو عطف مفردات على قوله الارض وقوله او آية اخرى اى فيكون عطف جمل (قوله لمستقر لها) اى مكان تستقر فيه وهو مكانها تحت العرش فتسجد فيه كل ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند ظهور النهار يؤذن لها فى ان تطلع من مطلعها فاذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من المغرب وهذا هو الصحيح عند اهل السنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس اتدرى اين ذهبت الشمس قال الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقيل ان الشمس فى الليل تسير وتشرق على عالم آخر من اهل الارض وان كنا لا نعرفه وهذا قول الحكماء ويؤيده ماقاله الفقهاء ان الاوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحى فقد يكون المغرب عندنا عصرا عند آخرين وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط واختلف فى العشاء حينئذ فقالت الحنفية بسقوطها وقالت الشافعية ووافقهم المالكية يقدر لهم باقرب البلاد اليهم ويصلونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم وتسمى اداء ولا حرمة عليهم فى ذلك وعلى ماقالته الحكماء فاختلف فى مستقر الشمس فقيل هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل مستقرها هو سيرها فى منازلها حتى تنتهى الى

نسلخ) نفصل (منه النهار فاذا هم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى) الى آخره من جملة الآية لهم او آية اخرى والقمر كذلك (لمستقر لها) اى اليه لا تتجاوزه (ذلك) اى جريها (تقدير العزيز) فى ملكه (العليم) بخلقه

(والقمر) بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده (قدرناه) من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان

مستقرها التى لا تجاوزه ثم ترجع الى اول منازلها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء (قوله والقمر) اختلف فيه هل لكل شهر قمر جديد أو هو قمر واحد لكل شهر فقال الرملى من أئمة الشافعية ان لكل شهر قمرا جديدا ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غالب الاحاديث انه متحد (قوله بالرفع) أى على انه مبتدأ خبره قدرناه (قوله والنصب يفسره ما بعده) اى فهو من باب الاشتغال (قوله من حيث سيره) أشار بذلك الى ان قوله منازل ظرف لقوله قدرناه والتقدير قدرنا سيره فى منازل ويصح جعله حالا على حذف مضاف والتقدير ذا منازل (قوله اى كعود الشمار يخ) جمع شمراخ وهو عيدان العنقود الذى عليه الرطب (قوله اذا عتق) من باب ظرف وقعد (قوله فانه يدق ويتقوس ويصغر) اى فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء (قوله لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر) اى بحيث تاتى فى وسط الليل لان ذلك يخل بتلوين النبات ونفع الحيوان ويفسد النظام ولم يقل سبحانه وتعالى ولا القمر يدرك الشمس لان سير القمر أسرع لانه يقطع الفلك فى شهر والشمس لا تقطع فلكها الا فى سنة فالشمس قطعا لا تدرك القمر والقمر قد يدرك الشمس فى سيرها ولكن لا سلطنة له (قوله ولا الليل سابق النهار) اى لا ياتى الليل فى اثناء النهار قبل ان ينقضى كان ياتى فى وقت الظهر مثلا (قوله وكل فى فلك يسبحون) قال ابن عباس يدورون فى فلكة كفلكة المغزل (قوله والنجوم) أى المدلول عليها بذكر الشمس والقمر (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى حيث عبر عنهم بضمير جمع الذكور والذى سوغ ذلك وصفهم بالسباحة التى هى من اوصاف العقلاء (قوله وآية لهم) خبر مقدم وأنا حملنا فى تاويل مصدر مبتدأ مؤخرا اى حملنا ذريتهم فى الفلك آية دالة على باهر قدرتنا (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله اى آباءهم الاصول) اشار بذلك الى ان لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الاصول لانه من الذرء وهو الخلق فاندفع ما يقال ان الذى حمل فى سفينة نوح اصول اهل مكة لا فروعهم وهذا اوضح ما قررت به هذه الآية (قوله المملوء) اى لان نوحا جعله ثلاث طبقات السفلى وضع فيها السباع والهوام والوسطى جعل فيها الدواب والانعام والعليا وضع فيها الآدميين والطير (قوله وخلقنا لهم من مثله) هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله والمعنى جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا ونعمة للخلق وعلمناهم صنعة السفينة فعملوا سفنا كبارا وصغارا لينتفعوا بها (قوله من مثله) من امازائدة او تبعيضية وعلى كل فمدخولها حال من قوله ما يركبون (قوله وهو ما عملوه) هذا احد اقوال ثلاثة فى تفسير المثل والثانى انه خصوص الابل والثالث انه مطلق الدواب التى تركب (قوله بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال عادة الله تعالى اضافة صفة العبيد لانفسهم وان كان هو الخالق لها حقيقة فلم اضافها لنفسه فاجاب بان التعليم والهداية لما كانا منه اضاف الخلق له لان سفينة نوح التى هى اصل السفن كانت بمحض تعليم الله والهامه له (قوله مع ايجاد السفن) اى ومع ركوبهم لها (قوله فلا صريخ لهم) الصريخ بمعنى الصارخ يطلق على المستغيث وعلى المغيث فهو من تسمية الاضداد والمراد الثانى (قوله الا رحمة منا) الا اداة استثناء ورحمة مفعول لاجله وهو استثناء مفرغ من عموم الاحوال والمعنى لا ننجيهم لشىء من الاشياء الا لاجل رحمتنا بهم وتمتيعهم الا مد الذى سبق فى علمنا (قوله كغيركم) اى وهم المؤمنون (قوله من عذاب الآخرة) اشار بذلك الى ان لفظ الخلف كما يطلق على ما مضى يطلق على ما ياتى فهو من تسمية الاضداد وسمى ما ياتى خلفا لغيبته عنا (قوله اعرضوا) قدره اشارة الى ان جواب الشرط محذوف دل عليه قوله وما تاتيهم من آية الخ (قوله من آية) من زائدة وقوله من آيات ربهم من تبعيضية (قوله الا كانوا الخ) الجملة حالية (قوله واذا قيل لهم أنفقوا الخ)

وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وليلة ان كان تسعة وعشرين يوما (حتى عاد) فى آخر منازله فى رأى العين (كالعرجون القديم) اى كعود الشمار يخ اذا عتق فانه يرق ويتقوس ويصغر (لا الشمس ينبغى) يسهل و يصح (لها ان تدرك القمر) فتجتمع معه فى الليل (ولا الليل سابق النهار) فلا ياتى قبل انقضائه (وكل) تنوينه عوض عن المضاف اليه من الشمس والقمر والنجوم (فى فلك) مستدير (يسبحون) يسيرون نزلوا منزلة العقلاء (وآية لهم) على قدرتنا (انا حملنا ذريتهم) وفى قراءة ذرياتهم اى آباءهم الاصول (فى الفلك) اى سفينة نوح (المشحون) المملوء (وخلقنا لهم من مثله) اى مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (ما يركبون) فيه (وان نشا نغرقهم) مع ايجاد السفن (فلا صريخ) مغيث (لهم ولا هم ينقذون) ينجون (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) اى لا ينجيهم الا رحمتنا لهم وتمتيعنا اياهم بلذاتهم الى انقضاء اجلهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم) من عذاب الدنيا (كغيركم (وما خلفكم) من عذاب الآخرة (لعلكم ترحمون) اعرضوا (وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل) اى قال فقراء الصحابة (لهم انفقوا) علينا (مما رزقكم الله) من الاموال

اشار بذلك الى انهم كما تركوا حقوق الخالق تركوا حقوق الخلق وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة كالعاص بن وائل السهمي وغيره كان اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى مني بك قد منعك الله افاطعمك انا وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون لا نعطي من حرمه الله ولم يعلموا ان الفقراء يحملون زاد الاغنياء للآخرة ولولا الفقراء ما انتفع الغني بغناه (قوله قال الذين كفروا) اى بالصانع اى ينكرون وجوده وهم فرقة من جبابرة مكة (قوله من لو يشاء الله اطعمه) مفعول انطعم وقوله اطعمه جواب لو (قوله في معتقدكم) اى ايها الفقراء المؤمنون لا في معتقد الكفار الاغنياء فانهم ينكرون الصانع كما علمت (قوله في قولكم لنا ذلك) اشار بذلك الى ان هذا من كلام الكفار للمؤمنين ويؤيده ما روى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه ابو جهل فقال يا أبا بكر أتزعم ان الله قادر على اطعام هؤلاء قال نعم قال فما باله لم يطعمهم قال ابتلى قوما بالفقر وقوما بالغنى وأمر الفقراء بالصوم والاغنياء بالاعطاء فقال ابو جهل والله يا أبا بكر ان انت الا في ضلال اتزعم ان الله قادر على اطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم انت وقيل انه من كلام المؤمنين للكفار وقيل من كلام الله تعالى ردا عليهم (قوله موقع عظيم) اى وهو التبكيت والتقبيح عليهم (قوله ويقولون متى هذا الوعد) رجوع للكلام مع الكفار المعترفين بوجوده تعالى (قوله اى ماينتظرون) هذا جار على لاول كلامهم لان شان من يسأل عن الشيء ان يكون معترفا بوجوده والا فهم جازمون بعدمها (قوله الاولى) اى وهي التي يموت عندها من كان موجودا على وجه الارض (قوله نقلت حركة التاء الى الخاء) اى بتمامها او بعضها فهما قراءتان (قوله وادغمت) اى بعد قلبها صادا وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بتحريك الخاء ٣ وقوله وفي قراءة الخ تلخص من كلامه ان القراآت هنا ثلاث وبقي رابعة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة وعلى هذه القراءة فحركة الخاء ليست حركة نقل وانما هي لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالتقت ساكنة مع الخاء فحركت الخاء بالكسر على اصل التخلص من التقاء الساكنين وكل تلك القراآت سبعية (قوله أي وهم في غفلة عنها) اشار بهذا الى ان المراد من الاختصام لازمه وهو الغفلة التي ينشأ عنها الاختصام وغيره وفي الحديث لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري (قوله اى يخصم بعضهم بعضا) بيان لحاصل المعنى والمفعول محذوف على القراءة الاخيرة (قوله اى ان يوصوا) اى على اولادهم واموالهم (قوله ولا الى اهلهم يرجعون) معطوف على يستطيعون (قوله وبين النفختين اربعون سنة) هذا هو الصحيح وقيل اربعون يوما وقيل غير ذلك (قوله اى المقبورون) اى من شانه ان يقبر وقبر كل ميت بحسبه فيشمل من اكلته السباع ونحوه (قوله من الاجداث) جمع جدث كفرس وافراس وقرئ شذوذا الاجداف بالفاء وهي لغة في الاجداث (قوله يخرجون بسرعة) اى يسرعون في مشيهم قهرا لا اختيارا (قوله اى الكفار) اى لا كل الخلائق اذ المؤمنون يفرحون بالقيامة ليذهبوا للنعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم (قوله للتنبيه) دفع بذلك ما يقال ان النداء مختص بالعقلاء فكيف ينادى الويل وهو لا يعقل فاجاب بان يا للتنبيه والمعنى تنبهوا فان الويل قد حضر (قوله ويلنا) قرأ العامة باضافته الى ضمير المتكلم ومعه غيره دون تاء تانيث وقرئ شذوذا يا ويلتنا بتاء التانيث وياويلتى بابدال الياء الفا وعلى

(قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم (انطعم من لو يشاء الله اطعمه) في معتقدكم هذا (ان) ما (انتم) في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (الا في ضلال مبين) بين والتصريح بكفرهم موقع عظيم (ويقولون متى هذا الوعد) بالبعث (ان كنتم صادقين) فيه قال تعالى (ما ينظرون) اى ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) وهي نفخة اسرافيل الاولى (تاخذهم وهم يخصمون) بالتشديد اصله يختصمون نقلت حركة التاء الى الخاء وادغمت في الصاد اى وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع واكل وشرب وغير ذلك وفي قراءة يخصمون كيضربون اى يخصم بعضهم بعضا (فلا يستطيعون توصية) اى ان يوصوا (ولا الى اهلهم يرجعون) من اسواقهم واشغالهم بل يموتون فيها (ونفخ في الصور) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين اربعون سنة (فاذا هم) اى المقبورون (من الاجداث) القبور (الى ربهم ينسلون) يخرجون بسرعة (قالوا) اى الكفار منهم (يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا وهو مصدر

٣ (قوله وحذفت همزة الوصل الخ) هذا انما هو في الماضي الذي هو اختصم راجع حاشية العلامة الجمل

قراءة الافراد يكون حكاية عن مقالة كل واحد (قوله لا فعل له من لفظه) أى بل من معناه وهو هلك (قوله من بعثنا) قرأ العامة بفتح ميم من على انها استفهامية مبتدأ وجملة بعثنا خبره وقرئ شذوذا بكسر الميم على انها حرف جر وبعثنا مصدر مجرور بمن والجار والمجرور متعلق بو يلنا وقوله من مرقدنا متعلق بالبعث والمرقد يصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان أى من رقادنا أو من مكان رقادنا (قوله لانهم كانوا بين النفختين نائمين) أى حين يرفع الله عنهم العذاب فيرقدون قبيل النفخة الثانية فيذوقون طعم النوم فاذا بعثوا وعاينوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل (قوله ما وعد الرحمن الخ) مفعول وعد وصدق محذوف والتقدير ما وعدنا به الرحمن وصدقنا فيه المرسلون (قوله أقروا الخ) أشار بذلك الى أن هذه الجملة من كلام الكفار فهى فى محل نصب مقول القول كأنهم لما سألوا فلم يجابوا أجابوا أنفسهم (قوله وقيل يقال لهم ذلك) أى من جانب المؤمنين أو الملائكة أو الله تعالى وانما عدلوا عن جواب سؤالهم لان الباعث لهم معلوم وانما لهم السؤال عن البعث (قوله ان كانت) أى النفخة الثانية (قوله الا صيحة واحدة) أى وهى قول اسرافيل ايتها العظام النخرة والاوصال المتقطعة والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة ان الله يامركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فاذا هم جميع لدينا محضرون) أى مجموعون فى موقف الحساب (قوله فاليوم لا تظلم نفس شيا) هذا حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب (قوله ان أصحاب الجنة الخ) جرت عادة الله سبحانه وتعالى فى كتابه اذا ذكر أحوال أهل النار اتبعه بذكر أحوال أهل الجنة (قوله فى شغل) أبهمه ونكره اشارة الى تعظيمه ورفعة شانه والمراد به ما هم فيه من أنواع الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية كالتفكه بالاكل والشرب والسماع وضرب الاوتار والتزاور وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته (قوله بسكون الغين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كافتضاض الابكار) أى لما روى أن أهل الجنة كلما أرادوا القرب من نسائهم وجدوهن أبكارا فيفتضونهن من غير قذر ولا ألم (قوله فاكهون) من الفكاهة بفتح الفاء وهى التنعم والتلذذ (قوله هم وأزواجهم) هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكههم (قوله جمع ظلة) أى كقباب جمع قبة وزنا ومعنى (قوله أو ظل) أى كشعاب جمع شعب (قوله أى لا تصيبهم الشمس) أى لعدم وجودها (قوله فى الحجلة) بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها وهى قبة تعلق على السرير وتزين به العروس (قوله أو الفرش فيها) أى فى الحجلة فالاريكة فيها قولان قيل هى السرير الكائن فى الحجلة أو الفرش الكائن فيها (قوله متعلق على) أى قوله على الارائك فتحصل أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه وفى ظلال خبر أول ومتكؤن خبر ثان وعلى الارائك متعلق بمتكؤن قدم عليه رعاية للفاصلة (قوله لهم فيها فاكهة) أى من كل نوع من أنواع الفواكه لا مقطوع ولا ممنوع قال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة (قوله ولهم ما يدعون) أصله يدعيون بوزن يفتعلون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى ما قبلها فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما ثم أبدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال والمعنى يعطى أهل الجنة جميع ما يتمنونه ويشتهونه حالا من غير بطء (قوله سلام مبتدأ الخ) هذا أحسن الاعاريب وقيل انه بدل من قوله ما يدعون أو صفة لما أو خبر لمبتدا محذوف (قوله اى بالقول) اشار بذلك الى ان قولا منصوب بنزع الخافض ويصح ان يكون مصدرا مؤكدا المضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدا والخبر (قوله اى يقول لهم سلام عليكم) أشار بذلك الى ان الجملة معمولة لمحذوف والمعنى ان الله تعالى يتجلى لاهل الجنة ويقرؤهم السلام لما فى الحديث بينما اهل الجنة فى نعيم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عزوجل قد اشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون

لا فعل له من لفظه (من بعثنا من مرقدنا) لانهم كانوا بين النفختين نائمين فيعذبوا (هذا) اى البعث (ما) اى الذى (وعد) به الرحمن وصدق) فيه (المرسلون) اقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل يقال لهم ذلك (ان) ما (كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا) عندنا (محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل) بسكون الغين وضمها عما فيه اهل النار مما يلتذون به كافتضاض الابكار لا شغل يتعبون فيه لان الجنة لا نصب فيها (فاكهون) ناعمون خبر ثان لان والاول فى شغل (هم) مبتدا (وازواجهم فى ظلال) جمع ظلة او ظل خبر اى لا تصيبهم الشمس (على الارائك) جمع اريكة وهو السرير فى الحجلة او الفرش فيها (متكئون) خبر ثان متعلق على (لهم فيها فاكهة ولهم) فيها (ما يدعون) يتمنون (سلام) مبتدا (قولا) اى بالقول خبره (من رب رحيم) بهم اى يقول لهم سلام عليكم

(و) يقول (امتازوا اليوم ايها المجرمون) اى انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم (الم اعهد اليكم) آمركم (يا بنى آدم) على لسان رسلى (أن لا تعبدوا الشيطان) لا تطيعوه (انه لكم عدو مبين) بين العداوة (وان اعبدونى) وحدونى واطيعونى (هذا صراط)

طريق (مستقيم ولقد اضل منكم جبلا) خلقا جمع جبيل كقديم وفى قراءة بضم الباء (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) عداوته واضلاله اوما حل بهم من العذاب فتؤمنون ويقال لهم فى الآخرة (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم) اى الكفار لقولهم والله ربنا ما كنا مشركين (وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم) وغيرها (بما كانوا يكسبون) فكل عضو ينطق بما صدر منه (ولو نشاء لطمسنا على اعينهم) لاعميناها طمسا (فاستبقوا) ابتدروا (الصراط) الطريق ذاهبين كعادتهم (فانى) فكيف (يبصرون) حينئذ أى لا يبصرون (ولو نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير اوحجارة (على مكانتهم) وفى قراءة مكاناتهم جمع مكانة بمعنى مكان اى فى منازلهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) اى لم يقدروا على ذهاب ولا مجئ (ومن نعمره) باطالة اجله

اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم (قوله ويقول امتازوا الخ) أشار بذلك الى ان هذه الجملة معمولة لمحذوف أيضا (قوله عند اختلاطهم به) أى حين يسار بهم الى الجنة لما ورد فى الحديث ما معناه اذا كان يوم القيامة ينادى مناد كل أمة تتبع معبودها فتبقى هذه الامة وفيها منافقوها يقولون لا نذهب حتى ننظر معبودنا فيظهر لهم عن يمين العرش ملك لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم فى نقرة ابهامه لوسعهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يأتى عن يسار العرش فيقول مثل ذلك فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يتجلى الله تعالى لهم فيخرون سجدا فيريد المنافقون ان يسجدوا فيصير ظهرهم طبقا فلا يستطيعون السجود فعند ذلك يقال وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله ألم اعهد اليكم) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمراد بالعهد ما كلفهم الله به على ألسنة رسله من الاوامر والنواهى (قوله آمركم) اى وانهاكم ففيه اكتفاء (قوله ان لا تعبدوا الشيطان) ان تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية والفعل مجزوم بها (قوله انه لكم عدو مبين) تعليل لوجوب الانتهاء (قوله ولقد أضل منكم) تأكيد للتعليل (قوله جبلا) بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام (قوله وفى قراءة بضم الباء) اى مع ضم الجيم وتى قراءة ثالثة سبعية أيضا وهى بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل (قوله هذه جهنم) هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم والمقصود منه زيادة التبكيت والتقريع (قوله اصلوها) أى ذوقوا حرارتها (قوله بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم (قوله اليوم نختم على افواههم) أى ختما يمنعها عن الكلام النافع فلا ينافى قوله تعالى فى الآية الاخرى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وهذا مرتبط بقوله اصلوها اليوم روى انهم حين يقال لهم ذلك يجحدون ما صدر عنهم فى الدنيا ويتخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون انهم ما كانوا مشركين ويقولون لا نجيز علينا شاهدا الا من انفسنا فيختم على افواههم ويقال لاركانهم انطقوا فتنطق بما صدر منهم وحكمة اسناد الختم لنفسه والشهادة للايدى والارجل دفع توهم ان نطقها جبرا والمجبور غير مقبول الشهادة فافادك ان نطقها اختيارى (قوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الخ) مفعول المشيئة محذوف اى لو نشاء طمسها لفعلنا وقوله فاستبقوا الصراط اى ارادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين فى حوائجهم وهو عطف على قوله طمسنا وقوله فانى يبصرون استفهام انكارى مرتب على ما قبله اى فلا يبصرونه (قوله ولو نشاء لمسخناهم الخ) يقال فيها ما قيل فيما قبلها والمسخ تغيير الصور وعلى بمعنى فى والمقصود من هاتين الآيتين تسليته صلى الله عليه وسلم وتوبيخ الكفار واعلامهم بان الله قادر على اذهاب ما بهم من النعم فى الدنيا وانهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى قل أرأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم الآية (قوله ومن نعمره) اى من يكون فى سابق علمنا طويل العمر (قوله وفى قراءة بالتشديد) أى وهما قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد والمعنى نقلبه فلا يزال يتزايد ضعفه وتنقص قواه عكس ما كان عليه اول امره (قوله اى خلقه) اى خلق جسده وقواه (قوله ضعيفا) مقابل قوته وقوله وهرما مقابل وشبابه فهو لف ونشر مرتب وهذا فى غير الانبياء عليهم السلام وامامهم فلا يتريهم الضعف فى العقل والبدن وان طال عمرهم جدا واستعاذته صلى الله عليه وسلم من الرد لارذل العمر تعليم لامته ويلحق بالانبياء العلماء العاملون فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر بل يكونون على احسن ما كانوا عليه (قوله افلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير أتركوا التفكر فلا يعقلون (قوله وفى قراءة)

(ننكسه) وفى قراءة بالتشديد من التنكيس (فى الخلق) اى خلقه اى فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفا وهرما (افلا يعقلون) ان القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفى قراءة بالتاء

(وما علمناه) اى النبي (الشعر) رد لقولهم ان ما اتى به من القرآن شعر (وما ينبغي) يسهل (له) الشعر (ان هو) ليس الذي أتى به (الا ذكر) عظة (وقرآن مبين) مظهر للاحكام وغيرها (لينذر) بالياء والتاء به (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به

اى وهى سبعية أيضا (قوله وما علمناه الشعر) هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن التهم فيما أوحاه الله اليه اذ لو كان للعقل فيه بعض اتهام لبطل الاحتجاج به (قوله رد لقولهم ان ما اتى به من القرآن شعر) أى وحينئذ فيصير المعنى ليس القرآن بشعر لان الشعر كلام مزخرف موزون مقفى قصدا مبنى على خيالات وأوهام واهية وأين ذلك من القرآن العزيز الذى تنزه عن مماثلة كلام البشر (قوله وما ينبغي له) أى لا يصح ولا يليق منه لان الشعر شانه الاكاذيب وهى عليه مستحيلة ولذا قيل اعذب أكذبه فتحصل ان النبي لا ينبغي له الشعر ولا يليق منه ان قلت انه تمثل بقول ٣ ابن رواحة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وأنشا من نفسه قوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت قلت أحسن ما أجيب به ان انشاده بيت ابن رواحة وانشاء البيتين المتقدمين لم يكن عن قصد وانما وافق وزن الشعر كما فى بعض الآيات القرآنية فليس كل من قال قولا موزونا الا يقصد به الشعر شاعرا وانما وافق وزن الشعر (قوله لينذر) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهم المؤمنون) اى وخصوا بالذكر لانهم هم المنتفعون به (قوله وهم كالميتين) أخذ هذا من المقابلة فى قوله من كان حيا (قوله والاستفهام للتقرير) اى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله والواو الداخلة عليها للعطف) هذه العبارة تحتمل التقريرين السابقين فى نظير هذه الآية وهما ان الهمزة اما مقدمة من تاخير لان لها الصدارة والواو عاطفة على قوله فيما تقدم ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أو داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا (قوله انا خلقنا لهم) اللام للحكمة أى حكمة خلقنا ذلك انتفاعهم (قوله فى جملة الناس) أشار بذلك الى ان هذه النعم ليست مقصورة عليهم بل لهم ولغيرهم (قوله مما عملت ايدينا) هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى وهذا كقول الانسان كتبته بيدى مثلا بمعنى انى انفردت به ولم يشاركنى فيه غيرى فهو كناية عرفية (قوله أنعاما) خصها بالذكر لان منافعها أكثر من غيرها (قوله ضابطون) اى قاهرون مذللون والاحسن ان يفسر قوله مالكون بالملك الشرعى اى يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية ليكون قوله وذللناها لهم تاسيسا لنعمة أخرى لا تتميما لما قبله (قوله كاصوافها) اى وجلودها ونسلها وغير ذلك (قوله اوموضعه) اى وهو الضروع (قوله اى ما فعلوا ذلك) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى وان قوله واتخذوا الخ عطف على محذوف (قوله يعبدونها) تفسير للاتخاذ (قوله لعلهم ينصرون) الجملة حالية والمعنى حال كونهم راجين النصرة منهم (قوله نزلوا منزلة العقلاء) اى لمشاكلة عبادتهم فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور (قوله وهم لهم جند الخ) هم مبتدا وجند خبر أول ولهم متعلق بجند ومحضرون خبر ثان (قوله اى آلهتهم من الاصنام) هذا احد وجهين والآخر انه عائد على الكفار والمعنى يقومون بمصالحها فهم لها بمنزلة الجند وهى لا تستطيع ان تنصرهم (قوله محضرون فى النار) اى ليعذبوا بهم (قوله فلا يحزنك قولهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن من قولهم بل اتركه ولا تلتفت له (قوله انا نعلم الخ) تعليل للنهى قبله (قوله فيجازيهم عليه) اى على ما صدر منهم سرا وعلانية خيرا وشرا (قوله أو لم ير الانسان) فى الهمزة التقريران السابقان وهما كونها مقدمة من تاخير او عاطفة على محذوف والتقدير اعمى ولم ير (قوله وهو العاصى بن وائل) وقيل نزلت

وهم المؤمنون (ويحق القول) بالعذاب (على الكافرين) وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به (أو لم يروا) يعلموا والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (انا خلقنا لهم) فى جملة الناس (مما عملت ايدينا) اى عملناه بلا شريك ولا معين (أنعاما) هى الابل والبقر والغنم (فهم لها مالكون) ضابطون (وذللناها) سخرناها (لهم فمنها ركوبهم) مركوبهم (ومنها يأكلون ولهم فيها منافع) كاصوافها وأوبارها واشعارها (ومشارب) من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب او موضعه (أفلا يشكرون) المنعم عليهم بها فيؤمنون اى ما فعلوا ذلك (واتخذوا من دون الله) اى غيره (آلهة) اصناما يعبدونها (لعلهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم (لا يستطيعون) اى آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء (نصرهم وهم) اى آلهتهم من الاصنام (لهم جند) بزعمهم نصرهم (محضرون) فى النار معهم (فلا يحزنك

قولهم) لك لست مرسلا وغير ذلك (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه (أو لم ير الانسان) يعلم وهو العاصي بن وائل

٣ قوله ابن رواحة صوابه طرفة العبدى كما فى الخطيب اه

(انا خلقناه من نطفة) منى الى ان صيرناه شديدا قويا (فاذا هو خصيم) شديد الخصومة لنا (مبين) بينها في نفي البعث (وضرب لنا مثلا)
في ذلك (ونسي خلقه) من المني وهو اغرب من مثله (قال من يحيي العظام وهي رميم) اى بالية ولم يقل بالتاء لانه اسم لا صفة

وروى انه اخذ عظما رميما ففتته وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أترى يحيي الله هذا بعد ما بلى ورم فقال صلى الله عليه وسلم نعم و يدخلك النار (قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) مجملا ومفصلا قبل خلقه و بعد خلقه (الذي جعل لكم) في جملة الناس (من الشجر الاخضر) المرخ والعفار او كل شجر الا العناب (نارا فاذا انتم منه توقدون) تقدحون وهذا دال على القدرة على البعث فانه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفيء النار ولا النار تحرق الخشب (او ليس الذي خلق السموات والارض) مع عظمهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) أي الاناسي في الصغر (بلى) اى هو قادر على ذلك اجاب نفسه (وهو الخلاق) الكثير الخلق (العليم) بكل شيء (انما امره) شانه (اذا ارادشيا) اى خلق شيء (ان يقول له كن فيكون) اى فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على يقول

في أبي بن خلف الجمحي ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله انا خلقناه من نطفة) اى قذرة خسيسة والمقصود التعجب من جهله حيث تصدى لمخاصمة العزيز الجبار ولم يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة (قوله فاذا هو خصيم مبين) عطف على جملة النفي (قوله في نفي البعث) متعلق بخصيم (قوله وضرب لنا مثلا) اى أورد كلاما عجيبا في الغرابة كالمثل حيث قاس قدرتنا على قدرة الخلق (قوله ونسي خلقه) أي ذهل عنه وهذا عطف على ضرب داخل في حيز الانكار واضافة خلق للضمير من اضافة المصدر لمفعوله أي خلق الله اياه (قوله قال من يحيي العظام الخ) بيان لضرب المثل (قوله ولم يقل بالتاء الخ) اشار بذلك الى سؤال حاصله ان فعيلا بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بالتاء فكان مقتضى القاعدة ان يقال رميمة فاجاب المفسر بان محل ذلك اذا لم تغلب عليه الاسمية فاذا صار اسما بالغلبة كما هنا بلى من العظام فلا تلحقه التاء في مؤنثه (قوله فقال صلى الله عليه وسلم نعم و يدخلك النار) أخذ من هذا انه مقطوع بكفره وخلوده في النار وزيادة ذلك في الجواب لانه متعنت لا مستفهم وجزاء المتعنت المنكر ان يجاب بما يكره و بضد ما يترقب و يسمى عند علماء البلاغة الاسلوب الحكيم (قوله الذي انشاها) أي اوجدها من العدم (قوله وهو بكل خلق علم) اى بكيفية خلقها و باجزاء الاشخاص تفصيلا (قوله الذي جعل لكم الخ) بدل من الموصول قبله (قوله في جملة الناس) اشار بذلك الى انه ليس مخصوصا بالكفار بل لجميع الخلق (قوله المرخ) بفتح الميم وسكون الراء و بالخاء المعجمة شجر سريع القدح وقوله والعفار بفتح العين المهملة بعدها فاء مفتوحة فالف فراء وكيفية ايقاد النار منهما ان يجعل العفار كالزند يضرب به على المرخ وقيل يؤخذ منهما غصنان خضراوان و يسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله (قوله أو كل شجر) أي وقد شوهد في بعضه كالبرسيم اذا وضع بعضه على بعض وهو أخضر مدة فانه يحرق نفسه وما حوله (قوله الا العناب) اى ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين (قوله والخشب) بفتحتين أو ضمتين او ضم فسكون (قوله او ليس الذي) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره اليس الذي انشاها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض بقادر (قوله اى الاناسي) تفسير للضمير (قوله بلى) جواب تقرير النفي وهو صادر منه تعالى اشارة الى تعيينه قالوه اولا (قوله وهو الخلاق العليم) عطف على مقدر تقديره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم (قوله ان يقول له كن) في الكلام استعارة تمثيلية وتقريرها ان يقال شبه سرعة تاثير قدرته ونفاذها فيما يريده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور به من غير امتناع ولا توقف وحينئذ فمعنى ان يقول له كن ان تتعلق به قدرته تعلقا تنجيزيا (قوله فسبحان الذي الخ) اى تنزيها عما لا يليق به (قوله واليه ترجعون) قرأ العامة ببنائه للمفعول وقرئ شذوذا ببنائه للفاعل

﴿تتمة﴾ تقدم في فضل يس انها قلب القرآن ووجه ذلك انها اشتملت على الوحدانية والرسالة والحشر والايمان بذلك متعلق بالقلب فلذلك سميت قلبا ومن هنا امر بقراءتها عند المحتضر وعلى الميت ليكون القلب قد اقبل على الله تعالى ورجع عما سواه فيقر أعنده ما يزداد به قوة و يقينا

﴿سورة والصافات مكية﴾

اى بالاجماع وسميت باسم اول كلمة منها من باب تسمية الشيء باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله والصافات الخ) الواو حرف قسم وجر والصافات مقسم به مجرور وما بعده عطف عليه

(فسبحان الذي بيده ملكوت) ملك زيدت الواو والتاء للمبالغة أي القدرة على (كل شيء واليه ترجعون) ترددون في الآخرة ﴿سورة والصافات مكية مائة واثنتان وثمانون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا) وقوله

وقوله ان الهكم لواحد جواب القسم وهو المقسم عليه والمعنى وحق الصافات وحق الزاجرات وحق التاليات وانما خص ماذكر لعظم قدرها عنده ولا يعكر عليه ماورد من النهى عن الحلف بغير الله لان النهى للمخلوق حذرا من تعظيم غير الله واما هو سبحانه وتعالى فيقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم كقوله والشمس والليل والضحى والنجم وغير ذلك (قوله الملائكة تصف نفوسها الخ) اشار بذلك الى ان المفعول محذوف ان قلت ان التاء فى الصافات وما بعدها للتانيث والملائكة منزهون عن الاتصاف بالانوثة كالمذكورة اجيب بانها للتانيث اللفظى والمنزهون عنه التانيث المعنوى وقوله الملائكة هو احد اقوال فى تفسير الصافات وقيل المراد المجاهدون أو المصلون اوالطير تصف اجنحتها (قوله فى العبادة) اى فى مقاماتها المعلومة (قوله واجنحتها فى الهواء) اى ومعنى صفها بسطها (قوله تنتظر ماتؤمر به) اى من صعود وهبوط (قوله فالزاجرات زجرا) الفاء للترتيب باعتبار الوجود الخارجى لان مبدأ الصلاة الاصطفاف ثم يعقبه زجر النفس ثم يعقبه التلاوة وهكذا ويحتمل انها للترتيب فى المنازل ثم هو اما باعتبار الترقى فالصافات ذوات فضل فالزاجرات افضل فالتاليات اكثر فضلا او باعتبار التدلى فالصافات اعلى ثم الزاجرات ثم التاليات وكل صحيح (قوله الملائكة تزجر السحاب) وقيل المراد بهم العلماء تزجر العصاة (قوله مصدر من معنى التاليات) ويصح ان يكون مفعولا للتاليات والمراد بالذكر القرآن وغيره من تسبيح وتحميد والمراد بهم هنا كل ذاكر من ملائكة وغيرهم (قوله ان الهكم لواحد) ان قلت ماحكمة ذكر القسم هنا لانه ان كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له لانهم مصدقون ولو من غير قسم وان كان المقصود الكفار فلا حاجة له ايضا لانهم غير مصدقين على كل حال اجيب بان المقصود منه تاكيد الادلة التى تقدم تفصيلها فى سورة يس ليزداد الذين آمنوا ايمانا ويزداد الكافر طردا وبعدا (قوله رب السموات والارض) اما بدل من واحد او خبر ثان او خبر لمحذوف (قوله اى والمغارب) اشار بذلك الى ان فى الآية اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر وانما اقتصر على المشارق لان نفعه اعم من الغروب ان قلت انه تعالى جمع المشارق هنا وحذف مقابله وجمعهما فى سال وثناهما فى الرحمن وافردهما فى المزمل فما وجه الجمع بين هذه الآيات اجيب بان الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغرب لان الشمس لها فى السنة ثلاثمائة وستون مشرقا وثلاثمائة وستون مغربا فتشرق كل يوم من مشرق منها وتغرب كل يوم فى مقابله من تلك المغارب والتثنية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما والافراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها وخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع اولها (قوله السماء الدنيا) اى القربى من الارض (قوله بزينة الكواكب) اختلف العلماء هل الكواكب فى سماء الدنيا او ثوابت فى العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا لان السموات شفافة لا تحجب ماوراءها (قوله بضوئها) اى نورها ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقوله او بها اى ان ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا فان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب مشرفة على سطح ازرق وجدها فى غاية الزينة (قوله المبينة بالكواكب) اى فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب تكون الكواكب عطفا عليها وبقى قراءة ثالثة سبعية وهى تنوين زينة ونصب الكواكب على انه مفعول لمحذوف تقديره اعنى الكواكب (قوله بفعل مقدر) اى معطوف على زينا (قوله من كل شيطان مارد) وكانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام منعوا من السموات كلها فما منهم احد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئه ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل

الملائكة تصف نفوسها فى العبادة اواجنحتها فى الهواء تنتظر ماتؤمر به (فالزاجرات زجرا) الملائكة تزجر السحاب اى تسوقه (فالتاليات) اى قراء القرآن يتلونه (ذكرا) مصدر من معنى التاليات (ان الهكم) يا اهل مكة (لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) اى والمغارب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) اى بضوئها او بها والاضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب (وحفظا) منصوب بفعل مقدر اى حفظناها بالشهب (من كل) متعلق بالمقدر (شيطان مارد) عات خارج عن الطاعة (لا يسمعون) اى الشياطين

مستانف وسماعهم مستانف وسماعهم هو فى المعنى المحفوظ عنه (الى الملأ الاعلى) الملائكة فى السماء وعدى السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء وفى قراءة بتشديد الميم والسين اصله يتسمعون ادغمت التاء فى السين (ويقذفون) اى الشياطين بالشهب (من كل جانب) من آفاق السماء (دحورا) مصدر دحره اى طرده وابعده وهو مفعول له (ولهم) فى الآخرة (عذاب واصب) دائم (الا من خطف الخطفة) مصدر اى المرة والاستثناء من ضمير يسمعون اى لا يسمع الا الشيطان الذى سمع الكلمة من الملائكة فاخذها بسرعة (فاتبعه) كوكب مضيء (شهاب) كوكب مضيء (ثاقب) يثقبه او يحرقه او يخبله (فاستفتهم) استخبر كفار مكة تقريرا او توبيخا (اهم اشد خلقا ام من خلقنا) من الملائكة والسموات والارضين وما فيهما وفى الاتيان بمن تغليب العقلاء (انا خلقناهم) اى اصلهم آدم (من طين لازب) لازم يلصق باليد اى المعنى ان خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بانكار النبي والقرآن المؤدى الى هلاكهم اليسير (بل) للانتقال من غرض الى آخر وهو الاخبار بحاله وحالهم (عجبت) بفتح التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اى من تكذيبهم اياك (و) هم (يسخرون) من تعجبك (واذا ذكروا) وعظوا بالقرآن (لا يذكرون) لا يتعظون (واذا رأوا آية) كانشاق القمر والعكس (يستسخرون) يستهزؤن بها (وقالوا) فيها (ان) ما (هذا الا سحر مبين) بين وقالوا منكرين البعث (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون) بفتح الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (او آباؤنا الاولون) بسكون الواو وعطفا او

الناس فى البرارى (قوله مستانف) أى لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعتريهم من العذاب (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية ايضا (قوله ادغمت التاء فى السين) أى بعد قلبها سينا واسكانها (قوله من آفاق السماء) أى نواحيها وجهاتها (قوله والاستثناء من ضمير يسمعون) أى ومن فى محل رفع بدل من الواو أو فى محل نصب على الاستثناء والاستثناء على كل متصل ويجوز ان تكون من شرطية وجوابها فاتبعه او موصولة مبتدأ وخبرها فاتبعه وهو استثناء منقطع كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر (قوله فاتبعه شهاب ثاقب) أن قلت تقدم ان الكواكب ثابتة فى السماء او فى العرش زينة ومقتضى كونها رجوما للشياطين انها تنفصل وتنزل فكيف الجمع بين ذلك أجيب بانه ليس المراد ان الشياطين يرجمون بذات الكواكب بل تنفصل منها شهب تنزل على الشياطين والكواكب باقية بحالها ان قلت ان الشياطين خلقوا من النار فكيف يحترقون أجيب بان الاقوى يحرق الاضعف كالحديد يقطع بعضه ان قلت اذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب فكيف يعود مرة أخرى اجيب بانه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته كراكب البحر فانه يشاهد الغرق المرة بعد المرة ويعود طمعا فى السلامة (قوله يثقبه) أى بحيث يموت من ثقبه وقوله او يحرقه أى ويموت أيضا وأو فى كلام المفسر للتنويع وهو لا ينافى وصف الشهاب بالثاقب لان معنى الثاقب المضيء أى الذى يثقب الظلام خلافا لما يوهمه المفسر (قوله او يخبله) الخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والبله ويطلق أيضا على من فسدت أعضاؤه (قوله فاستفتهم الخ) المقصود من هذا الكلام الرد على منكرى البعث حيث ادعوا انه مستحيل وحاصل الرد ان يقال لهم ان استحالته التى تدعونها اما لعدم المادة وهو مردود بان غاية الامر تصيير الاجزاء ترابا وهو قادر على ان ينزل عليه ماء فيصير طينا وقد خلق أباهم آدم من طين او لعدم القدرة وهو مردود بان القادر على هذه الاشياء العظام من السموات والارض وغيرها قادر على اعادتهم ثانيا وقدرته ذاتية لا تتغير فهذه الآية نظير قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها الخ (قوله أهم أشد خلقا) أى أقوى خلقة وأصعب وأشق ايجادا (قوله ام من خلقنا) قرأ العامة بتشديد الميم وقرئ شذوذا بتخفيفها وهو استفهام ثان ومن مبتدا خبره محذوف دل عليه ما قبله اى اشد خلقا (قوله لازب) من باب دخل وقوله يلصق باليد اى انه لضعفه لا قوام له بنفسه (قوله المعنى ان خلقهم الخ) التفت المفسر الى انه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذى منه انكار البعث (قوله بل عجبت) اضراب عن الامر بالاستفتاء كانه قال لا تستفتهم فانهم جاهلون معاندون لا منفعة فى استفتائهم بل انظر الى حالك وحالهم والمقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله بفتح التاء) اى وبضمها قراءتان سبعيتان وعلى الضم فالمتعجب الله تعالى ومعناه فى حقه الغضب والمؤاخذة على حد ومكروا ومكر الله والمعنى يجازيهم على تكذيبهم اياك وقد يطلق التعجب فى حق الله تعالى على الرضا والمحبة كما فى الحديث عجب ربك من شاب ليس له صبوة (قوله وهم يسخرون من تعجبك) اى اومن تعجبي اى غضبي عليهم ومجازاتى لهم على كفرهم (قوله لا يتعظون) اى لقيام الغفلة بهم (قوله أئذا متنا الخ) اصل الكلام انبعث اذا متنا وكنا ترابا وعظاما قدموا الظرف وكرروا الهمزة واخروا العامل وعدلوا به الى الجملة الاسمية لقصد الدوام والاستمرار اشعارا بانهم مبالغون فى الانكار (قوله وادخال الف بينهما) اى وتركه فالقراآت اربع فى كل موضع وبقى قراءتان سبعيتان ايضا الاولى بالفين والثانية بواحدة

و بفتحها والهمزة للاستفهام والعطف بالواو والمعطوف عليه محل ان واسمها او الضمير في لمبعوثون والفاصل همزة الاستفهام (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هي) ضمير مبهم يفسر (زجرة) اى صيحة (واحدة) فاذاهم) اى الخلائق أحياء

والعكس و بسط تلك القراآت يعلم من كتبها (قوله و بفتحها) اى والقراءتان سبعيتان هنا وفى الواقعة وتقدم فى الاعراف او أمن أهل القرى (قوله للاستفهام) اى الانكارى (قوله أو الضمير فى لمبعوثون) أى على القراءة الثانية فيكون مبعوثون عاملا فيه أيضا ان قلت ان ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ماقبلها فكان الاولى ان يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباؤنا يبعثون أجيب بانها مؤكدة للاولى لامقصودة بالاستقبال فالعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد (قوله والفاصل) اى بين المعطوف عليه وهو ضمير الرفع المستتر و بين المعطوف وهو آباؤنا فتحصل انه على قراءة سكون الواو يتعين العطف على محل ان واسمها لا غير وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه و يجوز كونه معطوفا على الضمير المستتر فى لمبعوثون و يكفى الفصل بهمزة الاستفهام على حد قول ابن مالك أو فاصل ما (قوله وأنتم داخرون) الجملة حالية والعامل فيها معنى نعم كانه قيل تبعثون والحال انكم صاغرون لخروجهم من قبورهم حاملين أوزارهم على ظهورهم (قوله فانما هى زجرة الخ) هذه الجملة جواب شرط مقدر او تعليل لنهى مقدر تقديره اذا كان الامر كذلك فانما هى الخ أولا تستصعبوه فانما هى الخ (قوله اى صيحة واحدة) اى وهى النفخة الثانية (قوله فاذاهم ينظرون) اى ينتظرون (قوله لا فعل له من لفظه) اى بل من معناه وهو هلك (قوله وتقول لهم الملائكة) أشار بذلك الى ان الوقف تم عند قوله ياو يلنا وما بعده كلام مستقبل وهذا أحد احتمالات و يحتمل انه من كلام بعضهم لبعض و يحتمل انه من كلام الله تعالى تبكيتا لهم و يحتمل انه من كلام المؤمنين لهم (قوله احشروا الذين ظلموا) اى من مقامهم الى الموقف او من الموقف الى النار (قوله قرناءهم من الشياطين) هذا أحد أقوال وقيل المراد بازواجهم نساؤهم اللاتى على دينهم وقيل أشباههم واخلاؤهم من الانس لان زوج الشئ يطلق على مقارنه ومجانسه فيقال لمجموع فردتى الخف زوج ولاحداهما زوج (قوله من الاوثان) اى كالاصنام والشمس والقمر (قوله انهم مسؤلون) بكسر الهمزة فى قراءة العامة على الاستئناف وفيه معنى التعليل وقرئ بفتحها على حذف لام العلة والمعنى قفوهم لاجل سؤال الله اياهم (قوله عن جميع أقوالهم وافعالهم) اى لما فى الحديث لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به (قوله و يقال لهم) اى والقائل خزنة جهنم (قوله كحالكم فى الدنيا) تشبيه فى المنفى (قوله و يقال عنهم) اى فى شانهم على سبيل التوبيخ (قوله وأقبل بعضهم) اى بعض الكفار يوم القيامة وهذا بمعنى ماتقدم فى سورة سبا فى قوله ولو ترى اذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول (قوله يتلاومون و يتخاصمون) اى يلوم بعضهم بعضا و يخاصم بعضهم بعضا كما قال تعالى فى شانهم كلما دخلت امة لعنت اختها بخلاف تساؤل المؤمنين فى الجنة فهو شكر وتحدث بنعم الله عليهم (قوله عن اليمين (يطلق على الحلف والجارحة المعلومة والقوة والدين والخير والآية محتملة لتلك المعانى والمفسر اختار الاول وعليه فعن بمعنى من والمعنى كنتم تاتوننا من الجهة التى كنا نامنكم منها فتلك الجهة مصورة بحلفكم انكم على الحق الخ (قوله المعنى أنكم ضللتمونا) هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات لا على ماقاله المفسر فقط (قوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين الخ) أجابوا باجوبة خمسة آخرها فاغوينا كم انا كنا غاوين والمعنى انكم لم تتصفوا بالايمان فى حال من الاحوال (قوله ان لو كنتم مؤمنين) اى ان لو اتصفتم بالايمان (قوله فرجعتم عن الايمان الينا) اى باضلالنا واغوائنا كانهم قالوا لهم ان من آمن

(ينظرون) مايفعل بهم (وقالوا) اى الكفار (يا) للتنبيه (و يلنا) هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة (هذا يوم الدين) اى الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) بين الخلائق (الذى كنتم به تكذبون) ويقال للملائكة (أحشروا الذين ظلموا) أنفسهم بالشرك (وأزواجهم) قرناءهم من الشياطين (وما كانوا يعبدون من دون الله) اى غيره من الاوثان (فاهدوهم) دلوهم وسوقوهم (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم عند الصراط (انهم مسؤلون) عن جميع اقوالهم وافعالهم و يقال لهم توبيخا (مالكم لا تناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا كحالكم فى الدنيا و يقال عنهم (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون اذلاء (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يتلاومون و يتخاصمون (قالوا) اى الاتباع منهم للمتبوعين (انكم كنتم تاتوننا عن اليمين) عن الجهة التى كنا نامنكم منها لحلفكم انكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى

انكم أضللتمونا (قالوا) اى المتبوعون لهم (بل لم تكونوا مؤمنين) وانما يصدق الاضلال منا ان لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الايمان الينا (وما كان لنا عليكم من سلطان) قوة وقدرة نقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) ضالين مثلنا (فحق) وجب (علينا) جميعا

لا يطيعنا لثبات الايمان فى قلبه فلو حصل منكم الايمان لما اطعتمونا (قوله قول ربنا) اى وعيده ومقول القول محذوف قدره بقوله لاملان جهنم الخ (قوله انا لذائقون) اخبار منهم عن جميع الرؤساء والاتباع باذاقة العذاب (قوله فاغوينا كم) اى تسببنا لكم فى الغواية من غير اكراه فلا ينافى ماقبله (قوله انا كنا غاوين) اى فاحببنا لكم ماقام بانفسنا لان من كان متصفا بصفة شنيعة يحب ان يتصف بها غيره لتهون المصيبة عليه (قوله يوم القيامة) اى حين التحاور والتخاصم (قوله كما يفعل بهؤلاء) اى عبدة الاصنام وقوله غير هؤلاء اى كالنصارى واليهود (قوله انهم كانوا الخ) اى عبدة الاصنام وسبب ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ابى طالب عند موته وقريش مجتمعون عنده فقال قولوا لااله الا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم فابوا وانفوا من ذلك وقالوا ائنا لتاركوا آلهتنا الخ (قوله يستكبرون) اى يتكبرون عن قولها وعلى من يدعوهم اليها (قوله فى همزتيه ماتقدم) اى من التحقيق فيهما وتسهيل الثانية بالف ودونها فالقرا آت اربع (قوله لتاركوا آلهتنا) من اضافة اسم الفاعل لمفعوله اى لتاركون آلهتنا والمعنى لتاركون عبادتها (قوله بل جاء بالحق الخ) رد عليهم بان ماجاء به من التوحيد حق موافق فيه المرسلين قبله (قوله فيه التفات) اى من الغيبة الى الخطاب زيادة فى التقبيح عليهم (قوله الا ماكنتم تعملون) اى فالشر يكون جزاؤه بقدره بخلاف الخير فجزاؤه باضعاف مضاعفة (قوله استثناء منقطع) اى من الواو فى تجزون (قوله أولئك) اى عباد الله المخلصين (قوله الى آخره) اى وهو قوله كانهن بيض مكنون (قوله لهم رزق معلوم) اى اوقاته وصفاته فلا ينافى آية يرزقون فيها بغير حساب فان المراد غير معلوم المقدار (قوله بدل) اى كل من كل لان جميع مايؤكل فى الجنة انما هو على سبيل التفكه والتلذذ فلا فرق بين الرزق والفواكه (قوله لا لحفظ صحة) المناسب ان يقول لا لحفظ بنية (قوله بخلق اجسادهم للابد) اى فهم يدومون بدوام الله لا يفنون ابدا (قوله وهم مكرمون) اى معظمون مبجلون بالتحية والكلام اللين (قوله فى جنات النعيم) اما متعلق بمكرمون اوخبر ثان اوحال (قوله على سرر) قال ابن عباس على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير مابين صنعاء الى الجابية ومابين عدن الى ايلياء (قوله متقابلين) اى تواصلا وتحابا وقيل الاسرة تدور كيف شاؤا فلا يرى احد قفا احد (قوله يطاف عليهم) اى والطائف الولدان كما فى آية يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس (قوله هو الاناء بشرابه) اى فان لم يكن فيه شراب فانه يسمى قدحا ويطلق الكاس على الخمر نفسه من باب تسمية الشئ باسم محله (قوله من معين) اى ظاهر للعيون اوخارج من العيون فعلى الاول اسم مفعول كمبيع وعلى الثانى اسم فاعل من عان بمعنى نبع ووصف به خمر الجنة لانه يجرى كالماء النابع (قوله بيضاء) اما صفة لكاس اوللخمر (قوله لذة) اما صفة مشبهة كصعب وسهل فتكون مشتقة فالوصف بها ظاهر أو مصدر فالوصف بها مبالغة اوعلى حذف مضاف اى ذات لذة (قوله مايغتال عقولهم) اى يفسدها وقيل الغول صداع فى الرأس وعليه فيكون مابعده تاسيسا (قوله ولاهم عنها ينزفون) عن سببية اى ولاهم ينزفون بسببها (قوله بفتح الزاى) اى مع ضم الياء فهو مبنى للمفعول وقوله وكسرها اى مع ضم الياء ايضا فهو مبنى للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتح والكسر وبالفتح والضم (قوله من نزف الشارب الخ) اى فهو ماخوذ من الثلاثى

(قول ربنا) بالعذاب اى قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين (انا) جميعا (لذائقون) العذاب بذلك القول ونشاعنه قولهم (فاغوينا كم) المعلل بقولهم (انا كنا غاوين) قال تعالى (فانهم يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) اى لاشتراكهم فى الغواية (انا كذلك) كما نفعل بهؤلاء (نفعل بالمجرمين) غيرهؤلاء اى نعذبهم التابع منهم والمتبوع (انهم) اى هؤلاء بقرينة مابعده (كانوا اذا قيل لهم لااله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا) فى همزتيه ماتقدم (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) اى لاجل قول محمد قال تعالى (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) الحائين به وهو ان لااله الا الله (انكم) فيه التفات (لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين) اى المؤمنين استثناء منقطع اى ذكر جزاؤهم فى قوله (أولئك) الخ (لهم) فى الجنة (رزق معلوم) بكرة وعشيا (فواكه) بدل او بيان للرزق وهو مايؤكل تلذذا لا لحفظ صحة لان اهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق اجسادهم للابد (وهم مكرمون) بثواب الله سبحانه وتعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) لايرى بعضهم قفا بعض (يطاف عليهم) على كل منهم (بكأس) هو الاناء بشرابه (من معين) من خمر يجرى على وجه الارض كانها الماء (بيضاء) اشد بياضا من اللبن (لذة) لذيذة (للشاربين) بخلاف او خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب (لا فيها غول) مايغتال عقولهم (ولاهم عنها ينزفون) بفتح الزاى وكسرها من نزف الشارب وانزف اى يسكرون بخلاف خمر الدنيا (وعندهم قاصرات الطرف) حابسات الاعين على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لحسنهم عندهن

(عين) ضخام الاعين حسانها (كانهن) فى اللون (بيض) للنعام (مكنون) مستور بريشه لا يصل اليه غبار ولونه وهو البياض فى صفرة احسن الوان النساء (فاقبل بعضهم) بعض اهل الجنة (على بعض يتساءلون) عما مر بهم فى الدنيا (قال قائل منهم انى كان لى قرين) صاحب ينكر البعث (يقول) لى تبكيتا (أئنك لمن المصدقين) بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا) فى الهمزتين فى الثلاثة مواضع ماتقدم (لمدينون) مجزيون ومحاسبون انكر ذلك ايضا (قال) ذلك القائل لاخوانه (هل انتم مطلعون) معى الى النار لننظر حاله فيقولون لا (فاطلع) ذلك القائل من بعض كوى الجنة (فرآه) اى رأى قرينه (فى سواء الجحيم) اى وسط النار (قال) له تشميتا (تالله ان) مخففة من الثقيلة (كدت) قاربت (لتردين) لتهلكنى باغوائك (ولولا نعمة ربى) على بالايمان (لكنت من المحضرين) معك فى النار وتقول اهل الجنة (افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) اى التى فى الدنيا (ومانحن بمعذبين) هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تابيد الحياة وعدم التعذيب (ان هذا) الذى ذكر لاهل الجنة (لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) قيل يقال لهم ذلك وقيل هم يقولونه (اذلك) المذكور لهم (خير نزلا) وهو مايعد

أو الرباعى والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعى فتدبر (قوله عين) جمع عيناء وهى الواسعة العين اتساعا غير مفرط بل مع الحسن والجمال (قوله كانهن بيض مكنون) شبههن هنا ببيض النعام وفى سورة الواقعة باللؤلؤ المكنون لصفائه وكون بياضه مشوبا ببعض صفرة مع لمعان لان هذه الاوصاف جمال أهل الجنة (قوله عما مر بهم فى الدنيا) أى من الفضائل والمعارف وما عملوه فى الدنيا (قوله قال قائل منهم) أى من أهل الجنة لاخوانه فى الجنة وهذا من جملة مايتحدثون به (قوله تبكيتا) أى توبيخا على عدم انكار البعث (قوله ماتقدم) أى من القراآت الاربع وهى تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بادخال الف وتركه (قوله مجزيون) أى فهو من الدين بمعنى الجزاء (قوله أنكر ذلك) أى الجزاء والحساب وقوله أيضا أى كما انكر البعث (قوله لاخوانه) أى من أهل الجنة (قوله من بعض كوى الجنة) بضم الكاف مع القصر وبكسرها مع القصر والمدجمع كوة بفتح الكاف وضمها أى طبقاتها (قوله تشميتا) أى فرحا بمصيبته لان الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة ويصح أن تكون نافية واللام بمعنى الا وعلى كل فهى جواب القسم (قوله أفما نحن بميتين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين الخ (قوله الا موتتنا الاولى) الا أداة حصر وموتتنا منصوب على المصدر والعامل فيه قوله ميتين ويكون استثناء مفرغا وهو بمعنى قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى (قوله هو استفهام تلذذ) أى فهو من كلام بعضهم لبعض وقيل من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت ويقال يا أهل الجنة خلود بلاموت ويا أهل النار خلود بلاموت (قوله من تابيد الحياة الخ) الف ونشر مرتب (قوله الذى ذكر لاهل الجنة) أى من قوله أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله لمثل هذا) أى لا للحظوظ الدنيوية الفانية التى تزول ولا تبقى (قوله فليعمل العاملون) أى ليجتهد المجتهدون فى الاعمال الصالحة فان جزاءها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان كذلك فلو افنى الانسان عمره فى خدمة ربه ولم يشتغل بشئ سواها لكان ذلك قليلا بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم جعلنا الله من اهله بمنه وكرمه (قوله قيل يقال لهم ذلك) اى ماذكر من الجملتين من قبل الله تعالى وقوله وقيل هم يقولونه اى يقول بعضهم لبعض ويبعد كلا من الاحتمالين قوله فليعمل العاملون فان العمل والترغيب فيه انما يكون فى الدنيا فالاولى انه جملة مستانفة من كلام الله تعالى ترغيبا للمكلفين فى عمل الطاعات (قوله اذلك) معمول لمحذوف تقديره قل يامحمد لقومك على سبيل التوبيخ والتبكيت اذلك خير الخ (قوله المذكور لهم) اى لاهل الجنة من قوله اولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله نزلا) تمييز لخير وقوله ام شجرة الزقوم ام حرف عطف وشجرة الزقوم معطوف على اسم الاشارة وهو مبتدا حذف خبره لدلالة ماقبله عليه والتقدير ام شجرة الزقوم خير نزلا والتعبير بخير ونزلا تهكم بهم وللمشاكلة (قوله من ضيف وغيره) الضيف من ياتى بدعوة وغيره من ياتى زائرا للمحبة والالفة وربما كان اعز من الضيف (قوله ام شجرة الزقوم) من التزقم وهو البلع بشدة واكراه الاشياء الكريهة سميت بذلك لان اهل النار يكرهون على الاكل منها وهى شجرة مسمومة متى مست جسدا حد تورمت وهى خبيثة مرة كريهة الطعم (قوله وهى من أخبث الشجر) أى وهى صغيرة الورق منتنة (قوله انا جعلناها بذلك) اى بسبب اخبار الله تعالى بذلك (قوله فتنة للظالمين) أى امتحانا واختبارا هل يصدقون ام لا (قوله اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته) أى ولم يعلموا أن القادر لا يعجزه شئ

للنازل من ضيف وغيره (ام شجرة الزقوم) المعدة لاهل النار وهى من اخبث الشجر المربتها الله فى الجحيم كما سياتى (انا جعلناها) بذلك (فتنة للظالمين) اى الكافرين من اهل مكة اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته انا شجرة

تخرج فى اصل الجحيم) اى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) المشبه بطلع النخل (كانه رؤس الشياطين) اى الحيات القبيحة المنظر (فانهم) اى الكفار (لآكلون منها) مع قبحها لشدة جوعهم (فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا

(قوله تخرج فى اصل الجحيم) اى تنبت فى اسفلها (قوله الى دركاتها) اى منازلها وذلك نظير شجرة طوبى لاهل الجنة فان اصلها فى عليين ومامن بيت فى الجنة الا وفيه غصن منها (قوله طلعها) الطلع فى الاصل اسم لثمر النخل اول بروزه فتسميته طلعا تهكم بهم (قوله اى الحياة القبيحة المنظر) اى ووجه الشبه الشناعة والسم فى كل ومامشي عليه المفسر احد اقوال ثلاثة وقيل شبه طلعها برؤس الشياطين حقيقة ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل لكن يرد عليه انه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين وأجيب بان الشيطان وان كان غير معلوم فى الخارج فهو معروف فى الاذهان والخيالات كالغول فانه مرسوم فى خيال كل احد بصورة قبيحة وقيل الشياطين شجر فى البادية معروف للمخاطبين (قوله لشدة جوعهم) اى ولقهرهم على الاكل منها زيادة فى عذابهم (قوله ثم ان لهم عليها) اى على ما يأكلونه منها اذا شبعوا وغلبهم العطش (قوله لشوبا) بفتح الشين فى قراءة العامة مصدر على اصله وقرئ شذوذا بضم الشين اسم بمعنى المشوب (قوله يفيد انهم يخرجون منها) هذا احد قولين والآخر وهو قول الجمهور انهم لا يخرجون اصلا لقوله تعالى وماهم بخارجين منها وحينئذ فالمعنى انه ينوع عذابهم وهم فى النار فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم وتارة بشرب الحميم وتارة بالزمهرير وغير ذلك من انواع العذاب فاذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغ امنه يردون الى الاشتغال بعذاب غيره والحال انهم فى النار لا يخرجون منها ويمكن التوفيق بين القولين بان يحمل القول بانه خارجها على انه فى محل خارج عن المحل الذى يعذبون فيه وليس المراد انه خارج النار بالكلية لمعارضته صريح النص فيخرجون الى ذلك المحل للاكل والشرب ثم يردون الى محل العذاب الذى كانوا فيه اولا (قوله انهم الفوا آباءهم) هذا تعليل لاستحقاقهم العذاب والمعنى ان سبب استحقاقهم للعذاب تقليد آبائهم فى الضلال من غير شيء يتمسكون به سوى التقليد (قوله يهرعون) اى من غير تامل ولا تدبر (قوله ولقد ضل قبلهم الخ) اللام فيه وفيما بعده موطئة لقسم محذوف وكل من الجملتين سيق لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فانظر) خطاب للنبي اولكل من يتاتى منه النظر (قوله الا عباد الله) استثناء منقطع لان ماقبله وعيد وهم لم يدخلوا فيه (قوله لاخلاصهم فى العبادة) اى على قراءة كسر اللام (قوله على قراءة فتح اللام) اى والقراءتان سبعيتان (قوله ولقد نادانا نوح) شروع فى تفصيل ما اجمله فى قوله ولقد ارسلنا فيهم منذرين وقد ذكر فى هذه السورة سبع قصص قصة نوح وقصة ابراهيم وقصة الذبيح وقصة موسى وهرون وقصة الياس وقصة لوط وقصة يونس وذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتحذير لمن كفر من امته (قوله رب انى مغلوب) اى مقهور وقوله فانتصر اى انتقم منهم (قوله فلنعم المجيبون) اللام للتعظيم وقوله نحن هو المخصوص بالمدح (قوله واهله) اى من آمن به ومنهم زوجته المؤمنة واولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله فالناس كلهم من نسله) هذا هو المعتمد وقيل كان لغير ولد نوح ايضا نسل (قوله سام الخ) الثلاثة يمنع الصرف للعلمية والعجمة وفارس كذلك للعلمية والتانيث لانه علم على قبيلة (قوله والخزر) بفتح الخاء والزاى بعدهما راء مهملة هكذا فى النسخ الصحيحة وهو الصواب وفى بعض النسخ والخزرج وهو تحريف فاحش لان الخزرج من جملة العرب والخزر صنف من الترك صغار الاعين يعرفون الآن بالططر (قوله وماهنالك) اى وهم قوم عند ياجوج وماجوج اذا طلعت عليهم الشمس دخلوا فى اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل هم قوم عراة يفرش بعضهم احدى اذنية ويلتحف بالاخرى (قوله ثناء حسنا) قدره اشارة الى ان مفعول تركنا محذوف

من حميم) اى ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبا له (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) يفيد انهم يخرجون منها لشرب الحميم وانه خارجها (انهم الفوا) وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) يزعجون الى اتباعهم فيسرعون اليه (ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين) من الامم الماضية (ولقد ارسلنا فيهم منذرين) من الرسل مخوفين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الكافرين اى عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) اى المؤمنين فانهم نجوا من العذاب لاخلاصهم فى العبادة اولان الله اخلصهم لها على قراءة فتح اللام (ولقد نادانا نوح) بقوله رب انى مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) له نحن اى دعانا على قومه فاهلكناهم بالغرق (ونجيناه واهله من الكرب العظيم) اى الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) فالناس كلهم من نسله عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وهو ابو العرب وفارس والروم وحام وهو ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج وماجوج وماهنالك (وتركنا) ابقينا (عليه) ثناء حسنا (فى الآخرين) من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام) منا (على نوح

وقوله

وقوله سلام على نوح كلام مستقل انشاء ثناء من الله تعالى على نوح فالاول ثناء الخلق والثانى ثناء الخالق وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يمسي سلام على نوح فى العالمين لم تلدغه عقرب (قوله فى العالمين) متعلق بما تعلق به الجار قبله والمراد بالعالمين الملائكة والثقلان (قوله انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من الكرامة فى اجابة دعائه وابقاء ذريته وذكره الجميل وتسليم الله عليه فى العالمين أى فهذا الجزاء سنتنا فى كل من اتصف بالاحسان كنوح (قوله انه من عبادنا المؤمنين) علة لكونه محسنا وفيه اجلال لشان الايمان واظهار لفضله وترغيب فى تحصيله والثبات عليه والازدياد منه (قوله ثم اغرقنا الآخرين) معطوف على نجيناه واهله فالترتيب حقيقى لان نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين فتدبر (قوله وان من شيعته الخ) عطف على قوله ولقد نادانا نوح عطف قصة على قصة (قوله أى ممن تبعه الخ) اى فالشيعة الاتباع والحزب (قوله فى اصل الدين) اى وان اختلفت فروع شرائعهما فالاتباع فى اصول الدين وهو التوحيد لا فى الفروع كالصلاة مثلا (قوله وان طال الزمان الخ) الجملة حالية والمعنى انه من اتباعه على عهده والحال ان الزمان طال بينهما فطول المدة لم ينسه العهد (قوله وهو ألفان الخ) هذا أحد قولين والآخر أن بينهما الف سنة ومائة واثنين واربعين سنة (قوله وكان بينهما هود وصالح) أى وكان قبل نوح ثلاثة ادريس وشيث وآدم فجملة من قبل ابراهيم من الانبياء ستة (قوله اذ جاء ربه الخ) بمعنى مجيئه توجهه بقلبه مخلصا لربه وفى الكلام استعارة تبعية تقريرها ان تقول شبه اقباله على ربه مخلصا له قلبه بمجيئه بتحفة جميلة والجامع بينهما طلب الفوز بالرضا واشتق من المجيء جاء بمعنى أقبل بقلبه (قوله اى تابعه وقت مجيئه) اشار بذلك الى ان الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله شيعته ويصح جعله متعلقا بشيعته لما فيها من معنى المشايعة لكن فيه انه يلزم عليه الفصل بينه وبين معموله باجنبي وهو قوله لابراهيم وأيضا يلزم عليه عمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها وأجيب بانه يتوسع فى الظروف مالا يتوسع فى غيرها (قوله من الشك وغيره) اى من الآفات والعلائق التى تشغل القلب عن شهود الرب تعالى (قوله لابيه وقومه) تقدم الخلاف فى كونه أباه حقيقة او عمه وانما عبر بالاب لان العم اب والمراد بقومه النمرود وجماعته (قوله فى همزتيه ما تقدم) أى وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بالف بينهما وتركها (قوله وافكا مفعول له) اى وقدم على المفعول به لاجل التقبيح عليهم بانهم على افك وباطل (قوله اى اتعبدون غير الله) كان عليه ان يزيد قوله لاجل الافك ليوفى بالمفعول لاجله (قوله اذ عبدتم غيره) اى وقت عبادتكم غيره (قوله انه يتركهم بلا عقاب) معمول للظن والمعنى أى سبب حملكم على ظنكم انه تعالى يتركهم بلا عقاب حين عبدتم غيره واشار بقوله لا الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى اى ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن المذكور واذا انتفى السبب انتفى المسبب بالاولى (قوله وكانوا نجامين) ذكر هذا توطئة لقوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم (قوله فخرجوا الى عيدهم) اى وكانوا فى قرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز (قوله زعموا التبرك عليه) اى انها تنزل عليه البركة (قوله فنظر نظرة فى النجوم) اى فى علم النجوم متفكرا فى امر يعذرونه بسببه فيتركونه (قوله اى ساسقم) جواب عما يقال كيف قال انى سقيم والحال انه لم يكن سقيما وأجيب ايضا بان المعنى سقيم القلب من عبادتكم مالا يضر ولا ينفع وقد اشار بقوله انى سقيم الى سقم مخصوص وهو الطاعون وكان الطاعون اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون منه العدوى فتفرقوا عن ابراهيم خوفا منها فهربوا الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام (قوله وهى الاصنام) اى وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من حجر وبعضها من خشب وبعضها

فى العالمين انا كذلك) كما جزيناهم (نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين) كفار قومه (وان من شيعته) اى ممن تبعه فى اصل الدين (لابراهيم) وان طال الزمان بينهما وهو الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما هود وصالح (اذ جاء) اى تابعه وقت مجيئه (ربه بقلب سليم) من الشك وغيره (اذ قال) فى هذه الحالة المستمرة له (لابيه وقومه) موبخا (ماذا) ما الذى (تعبدون أئفكا) فى همزتيه ما تقدم (آلهة دون الله تريدون) وافكا مفعول له وآلهة مفعول به لتريدون والافك اسوأ الكذب اى اتعبدون غير الله (فما ظنكم برب العالمين) اذ عبدتم غيره انه يتركهم بلا عقاب لا وكانوا نجامين فخرجوا الى عيدهم وتركوا طعامهم عند اصنامهم زعموا التبرك عليه فاذا رجعوا اكلوه وقالوا للسيد ابراهيم اخرج معنا (فنظر نظرة فى النجوم) ايهاما لهم انه يعتمد عليها ليعتمدوه (فقال انى سقيم) عليل اى ساسقم (فتولوا عنه) الى عيدهم (مدبرين فراغ) مال فى خفية (الى آلهتهم) وهى الاصنام

من ذهب و بعضها من فضة و بعضها من نحاس و بعضها من حديد و بعضها من رصاص وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر وكان في عينيه ياقوتتان تتقدان نورا (قوله وعندها الطعام) الجملة حالية (قوله فقال استهزاء بهم) ان قلت اى فائدة فى خطاب مالا يعقل أجيب بانه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها اوغيرهم (قوله فراغ عليهم) اى مال فى خفية من قولهم راغ الثعلب روغانا ترددوأخذ الشئ خفية (قوله بالقوة) اى القدرة (قوله فاقبلوا اليه) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فبلغ قومه الخ (قوله يزفون) بكسر الزاى مع فتح الياء او ضمها قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا نحن نعبدها الخ) اى بعد ان سالوه وأجابهم فلما تحققوا انه هو الذى كسرها قالوا نحن نعبدها الخ وقد تقدم بسط ذلك فى الانبياء (قوله موبخا) اى على ماوقع منهم حيث يأتون للخشب مثلا فيصنعون منه صورة و يتخذونها الهامع انها قبل ذلك لم تكن معبودة لهم ولا تضر ولا تنفع (قوله وما مصدرية الخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه و بقى اثنان كونها استفهامية والمعنى وأى شئ تعملونه وكونها نافية والمعنى ليس العمل فى الحقيقة لكم وانما هو لله تعالى (قوله بنيانا) قيل بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار ثم تحيروا فى كيفية رميه فلهمهم ابليس المنجنيق فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها فصارت عليه بردا وسلاما (قوله واضرموه بالنار) اى اوقدوه بها (قوله النار الشديدة) اى فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيما من الجحمة وهى شدة التاجج (قوله المقهورين) اى بابطال كيدهم حيث جعلت عليه بردا وسلاما (قوله وقال انى ذاهب الخ) عطف على محذوف قدره بقوله فخرج الخ والمعنى انه لما خرج من النار سالما ولم يهتد من قومه احد هاجر هو ولوط ابن أخيه وسارة زوجته الى ارض الشام وهو أول من هاجر من الخلق فى طاعة الله وقوله الى ربى اى الى عبادة ربى وطاعته (قوله سيهدين) اى الى ما فيه صلاح دينى و بلوغ مطالبى (قوله الى حيث أمرنى ربى) أى الى مكان أمرنى الخ وهذا متعلق بكل من ذاهب و يهدين (قوله فلما وصل الى الارض المقدسة) قدره توطئة لقوله رب هب لى الخ (قوله من الصالحين) اى بعض الصالحين يكون خليفة لى و يرث حالى (قوله فبشرناه) مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاؤا له فى صورة أضياف فبشروه بالغلام ثم انتقلوا من قريته وهى فلسطين الى قرية لوط وهى سدوم لاهلاك قومه كما تقدم ذلك فى سورة هود و يأتى فى الذاريات (قوله فلما بلغ معه السعى) أشار المفسر الى ان قوله معه ظرف متعلق بالسعى وفيه انه يلزم عليه تقدم صلة المصدر المؤول من ان والفعل عليه وهو لا يجوز وأجيب بانه يغتفر فى الظروف مالا يغتفر فى غيرها و يصح جعله متعلقا بمحذوف على سبيل البيان كان قائلا قال مع من بلغ السعى فقيل بلغ معه ولا يصح جعله متعلقا ببلغ ولا حالا من ضميره لانه يوهم اقترانهما فى بلوغ السعى لان المصاحبة تقتضى المشاركة مع ان المقصود وصف الصغير بذلك فقط (قوله قال يا بنى) جواب لما والحكمة فى ذلك ان ابراهيم اتخذه الله تعالى خليلا والخلة هى صفاء المودة ومن شانها عدم مشاركة الغير مع الخليل وكان قد سال ربه الولد فلما وهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب لتظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها حيث امتثل امر ربه وقدم محبته على محبة ولده (قوله اى رأيت) أشار بذلك الى ان الرؤيا وقعت بالفعل لما روى انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما أصبح فكر فى نفسه انه من الله فلما أمسى رأى مثل ذلك فى الليلة الثانية ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فقال له يا بنى الخ ولذلك سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر لانه فى اليوم الاول

وعندها الطعام (فقال) استهزاء (الا تاكلون) فلم ينطقوا فقال (ما لكم لا تنطقون) فلم يجب (فراغ عليهم ضربا باليمين) بالقوة فكسرها فبلغ قومه فمن رآه (فاقبلوا اليه يزفون) اى يسرعون المشى فقالوا له نحن نعبدها وأنت تكسرها (قال) لهم موبخا (اتعبدون ما تنحتون) من الحجارة وغيرها اصناما (والله خلقكم وما تعملون) من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة (قالوا) بينهم (ابنوا له بنيانا) فاملؤه حطبا وأضرموه بالنار فاذا التهب (فالقوه فى الجحيم) النار الشديدة (فاراد وا به كيدا) بالقائه فى النار لتهلكه (فجعلناهم الاسفلين) المقهورين فخرج من النار سالما (وقال انى ذاهب الى ربى) مهاجرا اليه من دار الكفر (سيهدين) الى حيث أمرنى ربى بالمصير اليه وهو الشام فلما وصل الى الارض المقدسة قال (رب هب لى) ولدا (من الصالحين فبشرناه بغلام حليم) اى ذى حلم كثير (فلما بلغ معه السعى) اى ان يسعى معه و يعينه قيل بلغ سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة (قال يا بنى انى ارى) اى رأيت (فى المنام

تروى وفى الثانى عرف وفى الثالث نحر (قوله أنى اذبحك) اى افعل الذبح أو أومر به احتمالان ويشير للاول قوله قد صدقت الرؤيا وللثانى قوله افعل ما تؤمر (قوله ماذا ترى) يصح ان تكون ماذا مركبة وحينئذ فهى منصوبة بترى وما بعدها فى محل نصب بانظر لانها معلقة له ويصح ان تكون ما استفهامية وذا موصولة فتكون ماذا مبتدا وخبرا وقوله ترى بفتحتين من الرأى وفى قراءة سبعية ترى بالضم والكسر والمفعول محذوف اى ترينى اياه من صبرك واحتمالك وقرئ شذوذا بضم فتح اى ما يخيل لك (قوله شاوره ليانس الخ) اى وليعلم صبره وعزيمته على طاعة الله (قوله قال يا ابت) اى بفتح التاء وكسرها قراءتان سبعيتان (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) اى فهى فى محل جر كما كانت الياء فى محل جر (قوله افعل ما تؤمر) قال ابن اسحق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بنى خذ هذا الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا بابنه فى الشعب أخبره بما أمر الله به فقال يا أبت افعل ما تؤمر (قوله ان شاء الله) أتى بها تبركا واشارة الى انه لا حول عن المعصية الا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة الا بمعونة الله (قوله فلما أسلما) اى الوالد والولد (قوله وتله للجبين) اى صرعه ورماه على شقه فوق التل الذى هو المكان المرتفع قال ابن عباس لما فعل ذلك قال الابن يا ابت اشدد رباطى كى لا أضطرب واكفف ثيابك حتى لا يتنضح عليها من دمى شئ فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون أهون على واذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت ان تردد قميصى عليها فافعل فانه عسى ان يكون أسلى لها عنى فقال ابراهيم نعم العون انت يا بنى على امر الله ففعل ابراهيم ما أمر به ابنه ثم أقبل عليه وهو يبكى والابن يبكى فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيا فاشتدها بالحجر مرتين أو ثلاثا كل ذلك لا تستطيع ان تقطع شيا فمنعت بقدرة الله تعالى وقيل ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ فى القدرة الالهية وهو منع الحديد عن اللحم فعند ذلك قال الابن يا ابت كبنى لوجهى على جبينى فانك اذا نظرت فى وجهى رحمتنى فادركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله وأنا أنظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ذلك ابراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت فنودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الخ (قوله بمنى) يذكر ويؤنث ويصرف ويمنع من الصرف باعتبار المكان والبقعة (قوله وأمر السكين) هذا احد قولين مشهورين وهو ما تقدم عن ابن عباس والآخر انه لم يمر السكين بل لما أضجعه وأراد أن يمر السكين جاءه النداء وبالاول استدل اهل السنة على ان الامور العادية لا تؤثر شيا لا بنفسها ولا بقوة اودعها الله فيها وانما المؤثر هو الله تعالى فتخلف القطع فى ولد ابراهيم وتخلف الاحراق فى ابراهيم (قوله فجملة ناديناه جواب لما الخ) هذا احد اوجه ثلاثة والثانى انه محذوف تقديره ظهر صبرهما اجزلنا لهما الاجر والثالث ان قوله وتله للجبين بزيادة الواو (قوله بافراج الشدة) المناسب ان يقول بتفريج الشدة او يمرجها لان الفعل فرج بالتخفيف والتشديد فمصدره اما التفريج او الفرج (قوله وفديناه) عطف على قوله وناديناه (قوله قولان) اى وهما مبنيان على قولين آخرين هل اسمعيل اكبر او اسحق فمن قال بالاول قال ان الذبيح اسمعيل ومن قال بالثانى قال ان الذبيح اسحق واعلم ان كلا من القولين قال به جماعة من الصحابة والتابعين لكن القول بان الذبيح اسحاق أقوى فى النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين حتى قال سعيد بن جبير اراى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المحر بمنى فلما صرف الله عنه الذبح امره ان يذبح به الكبش فذبحه وسار الى الشام مسيرة شهر فى روحة واحدة وطويت له الارض والجبال وبقى قول ثالث وهو الوقف عن الجزم باحد القولين وتفويض علم ذلك الى الله تعالى

انى اذبحك) ورؤيا الانبياء حق وافعالهم بامر الله تعالى (فانظر ماذا ترى) من الراى شاوره ليانس بالذبح وينقاد للامر به (قال يا ابت) التاء عوض عن ياء الاضافة (افعل ما تؤمر) به (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين على ذلك (فلما اسلما) خضعا وانقادا لامر الله تعالى (وتله للجبين) صرعه عليه ولكل انسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى وامر السكين على حلقه فلم تعمل شيا بمانع من القدرة الالهية (وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) بما اتيت به مما امكنك من امر الذبح اى يكفيك ذلك فجملة ناديناه جواب لما بزيادة الواو (انا كذلك) كما جزيناك (نجزى المحسنين) لانفسهم بامتثال الامر بافراج الشدة عنهم (ان هذا) الذبح المامور به (لهو البلاء المبين) اى الاختبار الظاهر (وفديناه) اى المامور بذبحه وهو اسمعيل او اسحق قولان (بذبح)

(قوله كبش عظيم) وقيل انه كان تيسا جبليا اهبط عليه من ثبير (قوله وهو الذى قربه هابيل) اى ووصفه بالعظم لكونه تقبل مرتين (قوله فذبحه السيدا براهيم) أى وبقى قرناه معلقين على الكعبة الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير وما بقى من الكبش أكلته السباع والطيور لان النار لا تؤثر فيما هو من الجنة (قوله مكبرا) روى انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فصار سنة (قوله استدل بذلك الخ) أى وهو مذهب الشافعى وقال مالك وابو حنيفة لا دليل فيها لان اسحق وقعت البشارة به مرتين مرة بوجوده ومرة بنبوته فمعنى قوله وبشرناه باسحق نبيا بشرناه بنبوة اسحق بعد البشارة بوجوده (قوله من الصالحين) اما صفة لنبيا او حال من ضميره (قوله ومن ذريتهما) خبر مقدم وقوله محسن الخ مبتدأ مؤخر وفيه اشارة الى ان النسب لا مدخل له فى الهدى ولا فى الضلال (قوله ولقد مننا) معطوف على ما قبله عطف قصة على قصة واللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا لقد انعمنا الخ وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم وقوله بالنبوة أى المصاحبة للرسالة لانهما كانا رسولين ولا مفهوم للنبوة بل اعطاهما الله تعالى نعما جمة دينية ودنيوية وانما خصهما لانها اشرف النعم (قوله بنى اسرائيل) اى اولاد يعقوب (قوله اى استعباد فرعون اياهم) وسبب استيلائه عليهم ان أصولهم قدموا مصر مع ابيهم يعقوب ليوسف حين كان ملكا فاستمروا بها فلما ظهر فرعون وتكبر استعبد ذريتهم وجعلهم خدما للقبط (قوله ونصرناهم) الضمير عائد على موسى وهرون وقومهما (قوله فكانوا هم الغالبين) يصح ان يكون هم ضمير فصل او بدلا من الواو فى كانوا والاول اظهر (قوله وغيرها) اى كالقصص والمواعظ (قوله وهديناهما الصراط المستقيم) أى وصلناهما للدين الحق (قوله سلام) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله منا وقوله على موسى وهرون متعلق بسلام والمسوغ للابتداء بالنكرة قصد التعظيم وعملها فى الجار المجرور بعدها (قوله كما جزيناهما) أى بما تقدم من الانجاء والنصر وايتاء الكتاب وابقاء الثناء (قوله نجزى المحسنين) فى مثل هذه الآيات ترغيب للمؤمنين واشعار بان كل مؤمن قابل لكل خير وصالح له (قوله انهما من عبادنا المؤمنين) اى الكاملين فى الايمان البالغين الغاية فيه (قوله وان الياس) معطوف على ما قبله عطف قصة على قصة (قوله بالهمز اوله وتركه) اى بناء على انها همزة قطع او وصل قراءتان سبعيتان وسبب جواز الامرين انه اسم اعجمى استعملته العرب فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل (قوله لمن المرسلين) خبران (قوله قيل هو ابن اخى هرون الخ) الصحيح انه من ذرية هرون لقول محمد بن اسحق هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران والياس ابن عم اليسع (قوله وقيل غيره) من جملة ذلك انه قيل هو ادريس وقيل هو اليسع (قوله ارسل الى قوم ببعلبك) حاصل قصته كما قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبى صلى الله عليه وسلم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل بتجديد ما نسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بنى اسرائيل وان سبطا منهم حصل فى قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه ارحب وكان قد اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه وكان اسمه بعلا وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم ابناءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها

بكبش (عظيم) من الجنة هو الذى قربه هابيل جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيدا براهيم مكبرا (وتركنا) ابقينا (عليه فى الآخرين ثناء حسنا (سلام) منا (على ابراهيم كذلك) كما جزيناه نجزى (المحسنين) لانفسهم (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق) استدل بذلك على ان الذبيح غيره (نبيا) حال مقدرة اى يوجد مقدرا نبوته (من الصالحين وباركنا عليه) بتكثير ذريته (وعلى اسحق) ولده بجعلنا اكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) بين الكفر (ولقد مننا على موسى وهرون) بالنبوة ونجيناهما وقومهما) بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) اى استعباد فرعون اياهم (ونصرناهم) على القبط (فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ البيان فيما اتى به من الحدود والاحكام وغيرها وهو التوراة (وهدينا هما الصراط) الطريق (المستقيم وتركنا) ابقينا (عليهما فى الآخرين) ثناء حسنا (سلام) منا (على موسى وهرون انا كذلك) كما جزيناهما (نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس) بالهمز اوله وتركه (لمن المرسلين) قيل هو ابن اخى هرون اخى موسى وقيل غيره ارسل الى قوم ببعلبك ونواحيها (اذ) منصوب باذكر مقدرا (قال لقومه

عنه و يبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره و يسدده و يرشده ثم ان الملك ارتد واشتد غضبه على الياس وقال يا الياس ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوى الى الشعاب والكهوف فبقى سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسئم الكون فى الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذى امر به اذا قبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا ونبا الله تعالى اليسع و بعثه رسولا الى بنى اسرائيل وأوحى الله اليه وأيده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع وقد أعطى الله الياس معجزات جمة منها تسخير الجبال له والاسود وغيرها واعطاه الله قوة سبعين نبيا وكان على صفة موسى فى الغضب والقوة روى ان الياس والخضر يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس و يحضران موسم الحج كل عام و يفترقان عن اربع كلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير الا الله بسم الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله بسم الله ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله بسم الله ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله وقيل فى الرواية غير ذلك والياس موكل بالفيافى والقفار والخضر موكل بالبحار ولا يموتان الا فى آخر الزمان حين يرفع القرآن وعن انس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا عند فج الناقة فسمعت صوتا يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض ابيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما رآنى قال أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال فارجع اليه فاقرأه السلام وقل له هذا أخوك الياس يريدان يلقاك فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فجاء يمشى وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبى وتاخرت انا فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة ودعوانى فاكلت معهما واذا فيها كأة ورمان وحوت وكرسف فلما أكلت قمت فتنحيت فجاءت سحابة فحملته وانا انظر الى بياض ثيابه فيها تهوى قبل السماء انتهى (قوله الا تتقون الله) اى تمتثلون اوامره وتجتنبون نواهيه (قوله و به سمى البلد) اى ثانيا وأما اولا فاسمها بك فقط فلما عبد بعل سميت بعلبك (قوله مضافا الى بك) اى مضموما اليه والا فالتركيب مزجى لا اضافى (قوله وتذرون) عطف على تدعون فهو داخل فى حيز الانكار (قوله احسن الخالقين) اى المصورين لانه سبحانه وتعالى يصور الصورة و يلبسها الروح وغيره يصور من غير روح (قوله برفع الثلاثة الخ) اى والقراءتان سبعيتان (قوله فانهم لمحضرون) اشار بذلك الى ان الاستثناء من الواو فى لمحضرون كانه قال فكذبوه فانهم لمحضرون الا الذين تابوا من تكذيبهم واخلصوا فانهم غير محضرين (قوله قيل هو الياس المتقدم) اى وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة وهى

الا تتقون) الله (اتدعون بعلا) اسم صنم لهم من ذهب وبه سمى البلد ايضا مضافا الى بك اى اتعبدونه (وتذرون) تتركون (احسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) برفع الثلاثة على اضمار هو و بنصبها على البدل من احسن (فكذبوه فانهم لمحضرون) فى النار (الا عباد الله المخلصين) اى المؤمنين منهم فانهم نجوا منها (وتركنا عليه فى الآخرين) ثناء حسنا (سلام) منا (على الياسين) قيل هو الياس المتقدم ذكره

وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليبا كقولهم للسهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة آل ياسين بالمد اى اهله المراد به الياس ايضا (انا كذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين) اذكر (اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين) اى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) اهلكنا (الآخرين) كفار قومه (وانكم لتمرون عليهم) على آثارهم ومنازلهم فى اسفاركم (مصبحين) اى وقت الصباح يعنى بالنهار (وبالليل افلا تعقلون) يا اهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به (وان يونس لمن المرسلين اذ ابق) هرب (الى الفلك المشحون) السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى وعدهم به فركب السفينة فوقفت فى لجة البحر فقال الملاحون هنا عند آبق من سيده تظهره القرعة (فساهم) قارع اهل السفينة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة فالقوه فى البحر (فالتقمه الحوت) ابتلعه (وهو مليم) اى آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا اذن من ربه (فلولا انه كان من المسبحين) الذاكرين بقوله كثيرا فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) اصار بطن الحوت قبره الى يوم القيامة (فنبذناه) القيناه من بطن الحوت (بالعراء) بوجه الارض اى بالساحل من يومه او بعد ثلاثة او سبعة ايام او عشرين أو أربعين يوما (وهو سقيم) عليل كالفرخ المعط (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) وهى القرع تظله بساق على خلاف العادة فى القرع معجزة له وكانت تأتيه وعلة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوى (وارسلناه) بعد ذلك

لغة ثانية فيه (قوله وقيل هو الخ) أى وعليه فهو مجرور بالياء لكونه جمع مذكر سالما (قوله المراد به الياس أيضا) أى فاطلق الاول وأراد به ما يشمله وقومه المؤمنين به فتحصل أن فى الآية ثلاث عبارات الياس فى أولها والياسين وآل ياسين فى آخرها وكلها سبعية (قوله وان لوطا لمن المرسلين) عطف على ما قبله أيضا عطف قصة على قصة (قوله اذ كر اذ نجيناه الخ) قدر المفسر اذكر اشارة الى أن الظرف متعلق بمحذوف ولم يجعله متعلقا بقوله المرسلين لانه يوهم انه قبل النجاة لم يكن رسولا مع أنه رسول قبل النجاة وبعدها (قوله وأهله) المراد بهم بنتاه (قوله الا عجوزا) هى امرأته (قوله أى وقت الصباح) بيان لمعناه فى الاصل وقوله يعنى بالنهار بيان للمراد منه وقوله وبالليل عطف على مصبحين وهو حال أخرى (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير اتشاهدون ذلك فلا تعقلون (قوله وان يونس لمن المرسلين) هو ابن متى وهو ابن العجوز التى نزل عليها الياس فاستخفى عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبي يرضع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ثم ان الياس اذن له فى السياحة فلحق بالجبال ومات يونس ابن المراة فخرجت فى اثر الياس تطوف وراءه فى الجبال حتى وجدته فسالته ان يدعو الله لها لعله يحيي لها ولدها فجاء الياس الى الصبي بعد اربعة عشر يوما مضت من موته فنوضا وصلى ودعا الله فاحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة الياس عليه السلام وارسل الله يونس الى اهل نينوى من ارض الموصل وكانوا يعبدون الاصنام (قوله اذ ابق) ظرف لمحذوف تقديره اذكر كما تقدم نظيره وقوله ابق بابه فتح والاباق فى الاصل الهروب من السيد واطلاقه على هروب يونس استعارة تصريحية فشبه خروجه بغير اذن ربه باباق العبد من سيده (قوله حين غاضب قومه) المفاعلة على بابها لانهم غاضبوه بعدم الانقياد له والايمان به وهو غضب عليهم (قوله فركب السفينة) اى أى باجتهاد منه لظنه انه ان بقى بينهم قتلوه لانهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب فركوب السفينة ليس معصية لربه لا صغيرة ولا كبيرة ومؤاخذته بحبسه فى بطن الحوت على مخالفته الاولى فان الاولى له انتظار الاذن من الله تعالى هذا هو الصواب فى تحقيق المقام وهناك أقوال أخر اعتقادها يضر فى العقيدة والعياذ بالله تعالى (قوله فوقفت) أى من غير سبب وقوله فى لجة البحر المراد به الدجلة (قوله فقال الملاحون الخ) اى وكان من عادتهم ان السفينة اذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر (قوله قارع أهل السفينة) اى غالبهم قيل مرة واحدة وقيل ثلاثا (قوله فالقوه فى البحر) قدره اشارة الى ان قوله فالتقمه الحوت مرتب على محذوف (قوله اى آت بما يلام عليه) اى أو المعنى وهو مليم نفسه (قوله بقوله كثيرا) استفيدت الكثرة من جعله من المسبحين (قوله قبره) اى بان يموت فيبقى فى بطنه ميتا وقيل بان يبقى على حياته (قوله فنبذناه) اى امرنا الحوت بنبذه فنبذه (قوله بالعراء) اى الارض المتسعة التى لا نبات بها (قوله من يومه) اى فالتقمه ضحى ونبذه عشية وما ذكره المفسر خمسة أقوال الاول للشعبي والثانى لمقاتل والثالث لعطاء والرابع للضحاك والخامس للسدى (قوله المعط) بضم الميم الاولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء مهملة ايضا اى المنتوف الشعر (قوله وهى القرع) خص بذلك لانه بارد الظل لين الملمس كبير الورق لا يعلوه الذباب وما ذكره المفسر أحد اقوال فى تفسير اليقطين وقيل كانت شجرة التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره (قوله وعلة) اما بفتح

بفتح الواو والعين أو بكسر الواو وسكون العين هي الغزالة (قوله كقبله) جواب عما يوهم انه قبل خروجه لم يكن مرسلا (قوله بنينوى) بكسر النون الاولى وياء ساكنة ونون مضمومة وألف مقصورة بعد الواو (قوله او يزيدون) جعل المفسر أو للاضراب بمعنى بل ويصح ان تكون للشك بالنسبة للمخاطبين اى ان الرائي يشك عند رؤيتهم او للابهام بمعنى ان الله أبهم أمرهم او الاباحة او التخيير بمعنى ان الناظر يباح له او يخير بين ان يخبرهم بكذا أو كذا (قوله عند معاينة العذاب) اى عند حضور أماراته ولذا نفعهم ايمانهم وأما مثل فرعون فلم يؤمن الا بعد حصول العذاب بالفعل وأيضا قوم يونس اخلصوا في ايمانهم وفرعون لم يخلص وانما ايمانه عند الغرغرة لدفع الشدة ولو ردوا لعادوا (قوله بما لهم) بفتح اللام اى بالذي ثبت لهم من النعم وتقدم بسط قصة يونس في سورة يونس فراجعها ان شئت (قوله فاستفهم) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت ما تقدم للامم من شركهم ومخالفتهم لانبيائهم فاستفهتم اى اطلب من اهل مكة الخبر لاجل توبيخهم واقامة الحجة عليهم (قوله توبيخا لهم) اى فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والافادة بل هو على سبيل التقريع والتوبيخ لهم (قوله ألربك البنات ولهم البنون) اى ألهذه القسمة الجائرة وجه فانهم كفروا من وجهين الاول نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو والثاني كونه خصوص الانثى فانهم لا يرضون بنسبتها الى نفسهم بل اما ان يمسكوها على الهوان او يدفنوها حية فكيف يرضونها لله عز وجل ويخصون بالبنين (قوله فيختصون بالاسنى) اى الاشرف وهو الذكور وفي نسخة بالابناء (قوله أم خلقنا الملائكة اناثا) ام منقطعة تفسر بل والهمزة فهو اضراب عما زعموا وردعليهم وهذا بمعنى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم الآية (قوله وهم شاهدون) الجملة حالية اى والحال انهم معاينون لخلقهم (قوله الا انهم من افكهم) استئناف لبيان ابطال ما هم عليه كانه قيل ليس لهم مستند الا الكذب الصريح والافتراء القبيح (قوله وانهم لكاذبون فيه) اى في قولهم الملائكة بنات الله (قوله واستغنى بها) اى بهمزة الاستفهام في التوصل للنطق بالساكن والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله ما لكم كيف تحكمون) اى اى شيء ثبت واستقر لكم من حكمكم بهذا الحكم الجائر حيث تثبتون أخس الجنسين في زعمكم لله سبحانه وتعالى (قوله بادغام التاء في الذال) اى أو بتاء واحدة من غير ادغام قراءتان سبعيتان (قوله ام لكم سلطان مبين) انتقال من توبيخهم الى الزامهم الحجة بما لا وجود له ولا يقدرون على اثباته (قوله التوراة) الصواب اسقاطه لان الخطاب مع المشركين والتوراة ليست لهم (قوله وجعلوا بينه) التفات من الخطاب للغيبة اشارة الى انهم بعيدون من رحمة الله وليسوا أهلا لخطابه (قوله لاجتنابهم عن الابصار) اى استتارهم عنها (قوله ولقد علمت الجنة) هذا زيادة في تبكيتهم وتكذيبهم كانه قيل هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله اعلم بحالكم وما يؤول اليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم على سبيل التأييد (قوله سبحان الخ) هذا من كلام الملائكة تنزيه لله تعالى عما وصفه به المشركون بعد تكذيبهم لهم فكانه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون بقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به لكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم برآء من هذا الوصف وقوله فانكم وما تعبدون تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن اغوائهم (قوله استثناء منقطع) أي من الواو في يصفون وهو في قوة الاستدراك رفع به ما يتوهم ثبوته أو نفيه كانه قال تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه لانهم لا يصفونه تعالى الا بالكمالات (قوله أي على معبودكم) اشار بذلك الى ان الضمير في عليه عائد على ما وعلى هذا فالواو

توبيخا لهم (الربك البنات) بزعمهم ان الملائكة بنات الله (ولهم البنون) فيختصون بالاسنى (ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) خلقنا فيقولون ذلك (الا انهم من افكهم) كذبهم (ليقولون ولد الله) بقولهم الملائكة بنات الله (وانهم لكاذبون) فيه (اصطفى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت اى اختار (البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (افلا تذكرون) بادغام التاء في الذال انه سبحانه وتعالى منزه عن الولد (أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) التوراة فارونى ذلك فيه (ان كنتم صادقين) في قولكم ذلك (وجعلوا) أي المشركون (بينه) تعالى (و بين الجنة) أي الملائكة لاجتنابهم عن الابصار (نسبا) بقولهم انها بنات الله (ولقد علمت الجنة انهم) اى قائلي ذلك (لمحضرون) للنار يعذبون فيها (سبحان الله)

تنزيها له (عما يصفون) بان لله ولدا (الا عباد الله المخلصين) اى المؤمنين استثناء منقطع اى فانهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء (فانكم وما تعبدون) من الاصنام (ما انتم عليه) اى على معبودكم وعليه متعلق بقوله

للمعية ومامفعول معه سادة مسد خبران (قوله بفاتنين) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله احدا والمعنى انكم مع معبودكم لستم بمفسدين احدا الا من سبقت له الشقاوة فى علم الله (قوله الا من هو صال الجحيم) استثناء من المفعول الذى قدره المفسر وصال مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين فهو معتل كقاض (قوله فى علم الله تعالى) اى من علم الله انه من اهل الجحيم فانه يميل الى الكفر واهله (قوله ومامنا الا له مقام معلوم) هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم والمعنى ليس منا احدا لا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة وامتثال مايامرنا الله تعالى به قال ابن عباس مافى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى ويسبح قيل ان هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتاخر جبريل فقال النبى صلى الله عليه وسلم اهنا تفارقنى فقال جبريل ما استطيع ان اتقدم عن مكانى هذا وانزل الله تعالى حكاية عن الملائكة ومامنا الا له مقام معلوم الآيات وفى الحديث مافى السموات موضع قدم الا عليه ملك ساجدا وقائم (قوله احد) قدره اشارة الى ان فى الآية حذف الموصوف وابقاء صفته وهو مبتدا والخبر جملة قوله الا له مقام معلوم والتقدير ما أحد منا الا له مقام معلوم (قوله اقدامنا فى الصلاة) اشار بذلك الى ان المفعول محذوف (قوله مخففة من الثقيلة) اى واللام فارقة والمعنى ان قريشا كانت تقول قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم لو ان لنا كتابا مثل كتاب الاولين لاخلصنا العبادة لله تعالى وهذا نظير قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم (قوله فكفروا به) الفاء للفصيحة مرتب على ماقبله (قوله فسوف يعلمون) اى فى الدنيا والآخرة والتعبير بسوف تهديد لهم كقولك لمن تريد ضربه مثلا سوف ترى ماتوعد به وانت شارع فيه فسوف للوعيد لا للتبعيد (قوله ولقد سبقت كلمتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم وانما صدرت هذه الجملة بالقسم لتاكيد الاعتناء بتحقيق مضمونها (قوله كلمتنا بالنصر) انما سمى الوعد بالنصر كلمة مع انه كلمات لكون معنى الكل واحدا (قوله وهى لاغلبن انا ورسلى) اى فيكون قوله انهم لهم المنصورون جملة مستانفة وقوله اوهى قوله انهم الخ اى وعليه فيكون بدلا من كلمتنا او تفسيرا لها (قوله وان جندنا) الجند فى الاصل الانصار والاعوان والمراد منها انصار دين الله وهم المؤمنون كما قال المفسر (قوله وان لم ينتصر بعض منهم الخ) دفع بهذا مايقال قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين فى بعض الازمان فاجاب بان النصر اما فى الآخرة للجميع او فى الدنيا للبعض فالمؤمنون منصورون على كل حال واجيب ايضا بان الانبياء الماذون لهم فى القتال لا بد لهم من النصر فى الدنيا ولا تقع لهم هزيمة ابدا وانما ان وقع للكفار بعض غلبة كما فى احد فهو لحكم عظيمة ولا تبيت على المؤمنين بل ينصرون عليهم بصريح قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية واما غيرهم فتارة ينصرون فى الدنيا وتارة لا وانما ينصرون فى الآخرة (قوله تؤمر فيه بقتالهم) اى فكانوا مامورا بالتبليغ والصبر ثم لما كان فى السنة الثانية من الهجرة امر صلى الله عليه وسلم بالجهاد وغزواته سبع وعشرون غزوة قاتل فى ثمان منها بنفسه بدر واحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف (قوله وابصرهم اذا نزل بهم العذاب) اى من القتل والاسر والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك قريب كانه واقع مشاهد (قوله عاقبة كفرهم) اى من نزول العذاب بساحتهم (قوله تهديد لهم) اى فليس الاستفهام على حقيقته بل المقصود تهديدهم (قوله تكتفى بذكر الساحة) اى تستغنى على سبيل الكفاية فالمعنى فاذا انزل بهم العذاب فشبه العذاب بجيش هجم عليهم فاناخ بفنائهم بغتة وهم فى ديارهم ففى ضمير العذاب استعارة بالكناية والنزول تخييل (قوله بئس صباحا) اشار بهذا الى ان الفاعل ضمير والتمييز محذوف والمذكور مخصوص والاوضح

(بفاتنين) اى احدا (الا من هو صال الجحيم) فى علم الله تعالى قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم (ومامنا) معشر الملائكة احد (الا له مقام معلوم) فى السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزه (وانا لنحن الصافون) أقدامنا فى الصلاة (وانا لنحن المسبحون) المنزهون الله عما لا يليق به (وان) مخففة من الثقيلة (كانوا) اى كفار مكة (ليقولون لو ان عندنا ذكرا) كتابا (من الاولين) اى من كتب الامم الماضية (لكنا عباد الله المخلصين) العبادة له قال تعالى (فكفروا به) اى بالكتاب الذى جاءهم وهو القرآن الاشرف من تلك الكتب (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا) بالنصر (لعبادنا المرسلين) وهى لاغلبن انا ورسلى اوهى قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا) اى المؤمنين (لهم الغالبون) الكفار بالحجة والنصرة عليهم فى الدنيا وان لم ينتصر بعض منهم فى الدنيا ففى الآخرة (فتول عنهم) اى اعرض عن كفار مكة (حتى حين) تؤمر فيه بقتالهم (وابصرهم) اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء متى نزول هذا العذاب قال تعالى تهديدا لهم (افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم) بفنائهم قال الفراء العرب تكتفى بذكر الساحة عن القوم (فساء) بئس صباحا (صباح المنذرين) ماقاله

ماقاله غيره من أن المذكور هو الفاعل والمخصوص محذوف وعليه فالتقدير بئس صباح المنذرين صباحهم (قوله فيه اقامة الظاهر مقام المضمر) أى فى التعبير بالمنذرين وكان مقتضى الظاهر ان يقال صباحهم (قوله سبحان ربك الخ) الغرض من هذا تعليم المؤمنين ان يقولوه ولا يغفلوا عنه لما روى عن على كرم الله وجهه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الخ وعن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول فى آخر صلاته اوحين ينصرف سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (قوله رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذى العزة وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه و يترتب على كل من القولين مسئلة اليمين فعلى الاول ينعقد بها اليمين لانها من صفات الله تعالى وعلى الثانى لا ينعقد لانها من صفات المخلوق (قوله وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم

﴿سورة ص﴾

اى و يقال لها سورة داود (قوله مكية) أى كلها (قوله او ثمان) او لحكاية الخلاف (قوله الله اعلم بمراده به) تقدم غير مرة ان هذا القول اسلم لان تفويض الامر المتشابه لعلم الله تعالى هو غاية الادب واعلم ان فى لفظ ص قراآت خمسة السبعة على السكون لاغير والباقى شاذ وهو الضم والفتح من غير تنوين والكسر بتنوين و بدونه فالضم على انه خبر لمحذوف على انه اسم للسورة اى هذه ص ومنع من الصرف للعلمية والتانيث والفتح اما على أنه مفعول لمحذوف تقديره اقرأ ونحوه أو مبنى على الفتح كاين وكيف والاول اقرب والكسر لغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين و بالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف وصرف بالنظر الى اللفظ (قوله اى البيان) اى لما يحتاج اليه فى امر الدين وقوله او الشرف أى ان من آمن به كان شريفا فى الدنيا والآخرة قال تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اى شرفكم وايضا القرآن شريف فى ذاته من حيث اشتماله على المواعظ والاحكام وغيرها فهو شريف فى نفسه مشرف لغيره وقيل المراد بالذكر ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده وقيل المراد به الموعظة وقيل غير ذلك (قوله وجواب هذا القسم محذوف الخ) هذا احد اقوال وهو احسنها وقيل تقديره انك لمن المرسلين كما فى يس وقيل هو قوله كم اهلكنا وفيه حذف اللام والاصل لكم اهلكنا وانما حذفت لطول الكلام نظير حذفها فى قوله قد افلح من زكاها بعد قوله والشمس وقيل غير ذلك (قوله بل الذين كفروا) اضراب وانتقال من قصة الى قصة (قوله من اهل مكة) خصهم بالذكر لانهم سبب النزول والا فالمراد كل كافر (قوله اى كثيرا) اشار بذلك الى ان كم خبرية بمعنى كثيرا مفعول اهلكنا ومن قرن تمييزها (قوله ولات حين) اختلفت المصاحف فى رسم التاء فبعضهم رسمها مفصولة و بعضهم رسمها متصلة بحين و ينبنى على هذا الاختلاف الوقف فبعضهم يقف على التاء و بعضهم على لا ومن يقف على التاء اختلفوا فجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة اتباعا لمرسوم الخط الشريف والاقل منهم يقف بالهاء وهذا الوقف للاختبار لا انه من جملة الاوقاف الجائزة (قوله مناص) المناص يطلق على المنجى والمفر والتقدم والتاخر وكل هذا يناسب المقام (قوله اى ليس الحين الخ) اشار بذلك الى مذهب الخليل وسيبويه فى لات من حيث انها تعمل عمل ليس وان اسمها محذوف وهو وخبرها لفظ الحين والى ذلك اشار ابن مالك بقوله

وما للات فى سوى حين عمل * وحذف ذى الرفع فشا والعكس قل

(قوله والتاء زائدة) اى لتاكيد النفى (قوله من فاعل نادوا) اى وهو الواو (قوله وما اعتبر) معطوف

فيه اقامة الظاهر مقام المضمر (وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون) كررتا كيدا لتهديدهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (سبحان ربك رب العزة) الغلبة (عما يصفون) بان له ولدا (وسلام على المرسلين) المبلغين عن الله التوحيد والشرائع (والحمد لله رب العالمين) على نصرهم وهلاك الكافرين

﴿سورة ص مكية ست او ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ص) الله اعلم بمراده به (والقرآن ذى الذكر) اى البيان او الشرف وجواب هذا القسم محذوف اى ما الامر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة (بل الذين كفروا) من اهل مكة (فى عزة) حمية وتكبر عن الايمان (وشقاق) خلاف وعداوة للنبى صلى الله عليه وسلم (كم) اى كثيرا (اهلكنا من قبلهم من قرن) اى امة من الامم الماضية (فنادوا) حين نزول العذاب بهم (ولات حين مناص) اى ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا اى استغاثوا والحال ان لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة

كيف يسع الخلق كلهم اله واحد (ان هذا لشئ عجاب) اى عجيب (وانطلق الملا منهم) من مجلس اجتماعهم عند ابى طالب وسماعهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله (ان امشوا) اى يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) اثبتوا على عبادتها (ان هذا) المذكور من التوحيد (لشئ يراد) منا (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) اى ملة عيسى (ان) ما (هذا الا اختلاق) كذب (أأنزل) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين وتركه (عليه) على محمد (الذكر) القرآن (من بيننا) وليس باكبرنا ولا اشرفنا اى لم ينزل عليه قال تعالى (بل هم فى شك من ذكرى) وحيي اى القرآن حيث كذبوا الجائى به (بل لما) لم (يذوقوا عذاب) ولو ذاقوه لصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ (ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز) الغالب (الوهاب) من النبوة وغيرها فيعطوها من شاؤا (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) ان زعموا ذلك (فليرتقوا فى الاسباب) الموصلة الى السماء ثلاث فيأتون بالوحى فيخصوا به من شاؤا وأم فى الموضعين بمعنى همزة الانكار (جند ما) اى هم جند حقير (هنالك) اى فى تكذيبهم لك (مهزوم) صفة جند (من الاحزاب) صفة جند ايضا اى كالاجناد من جنس الاحزاب المتحزب بين على الانبياء قبلك

على كم أهلكنا (قوله وعجبوا الخ) اى جاءهم رسول من جنسهم أمرا خارجا عن طوق العقل فيتعجب منه (قوله من أنفسهم) اى من جنسهم (قوله فيه وضع الظاهر الخ) اى زيادة فى التقبيح عليهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول (قوله ساحر) اى فيما يظهره من الخوارق كذاب اى فيما يسنده الى الله من الارسال والانزال (قوله أجعل الآلهة الخ) الاستفهام تعجبي اى كيف يعلم الجميع ويقدر على التصرف فيهم اله واحد وسبب هذا التعجب قياسهم القديم على الحادث ولم يعلموا انه واحد لا من قلة بل وحدته وحدة تعززوا نفراد تنزه الله عن مماثلة الحوادث له (قوله عجيب) أشار بذلك الى ان عجاب مبالغة فى عجيب (قوله عند ابى طالب) روى انه لما أسلم عمر شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاحضره وقال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسالونك السواء والانصاف فلا تمل كل الميل على قومك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تسالونى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان اعطيتكم ما سالتم أتعطونى أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب وتدين لكم العجم فقالوا نعم وعشر أمثالها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وانطلقوا قائلين امشوا واصبروا على آلهتكم (قوله اى يقول بعضهم الخ) اشار بذلك الى ان تفسير ية وضعا بطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله واصبروا على آلهتكم) اى استمروا على عبادتها (قوله ان هذا) تعليل للامر بالصبر (قوله يراد منا) اى يقصد منا تنفيذه فلا انفكاك لنا عنه (قوله ما سمعنا بهذا الخ) اى وانما سمعنا فيما التثليث (قوله بتحقيق الهمزتين) اى فالقراآت اربع سبعيات (قوله اى لم ينزل عليه) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله بل هم فى شك) اضراب عن مقدر تقديره انكارهم للذكر ليس عن علم بل هم فى شك منه (قوله بل لما يذوقوا عذاب) اضراب انتقالى لبيان سبب الشك والمعنى سببه انهم لم يذوقوا العذاب الى الآن ولو ذاقوه لا يقنوا بالقرآن وآمنوا به (قوله لم يذوقوا) اشار بذلك الى ان لما بمعنى لم فالمعنى لم يذوقوه الى الآن وذوقهم له متوقع فاذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم حينئذ لا ينفعهم (قوله حينئذ) اى حين ذاقوه (قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك) المعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده فلا مانع له (قوله العالب) اى الذى لا يغلبه شئ بل هو الغالب لكل شئ (قوله الوهاب) اى الذى يهب من يشاء لمن يشاء (قوله ام لهم ملك السموات والارض) المعنى ليس لهم تصرف فى العالم الذى هو من جملة خزائن رحمته فمن أين لهم التصرف فيها (قوله فليرتقوا فى الاسباب) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر قدره بقوله ان زعموا ذلك اى المذكور من العندية والملكية والمعنى فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحى على من يختارون (قوله بمعنى همزة الانكار) اى وبعضهم قدرها بل والهمزة (قوله اى هم جند) أشار بذلك الى ان جند خبر لمحذوف والتنوين للتقليل والتحقير وما لتاكيد القلة (قوله هنالك) ظرف لجند او لمهزوم (قوله مهزوم) اى مقهور ومغلوب والمعنى ان قريشا جند حقير قليل من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب فلا تكترث بهم وتسل عنهم (قوله صفة جند ايضا) اى فقد وصف جند بصفات

ثلاث الاولى ما والثانية مهزوم والثالثة من الاحزاب (قوله وأولئك) أى الاحزاب (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) استئناف مقرر لمضمون ماقبله ببيان تفاصيل الاحزاب (قوله باعتبار المعنى) أى وهو أنهم أمة (قوله كان يتد) من باب وعد أى يدق و يغرز والاوتاد جمع وتد بفتح الواو وكسر التاء على الافصح (قوله يشد اليها يديه الخ) أى و يضجعه مستلقيا على ظهره (قوله و يعذبه) قيل يتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل معنى ذو الاوتاد ذو الملك الثابت أو ذو الجموع الكثيرة وفى الاوتاد استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر وهو لا يثبت الا باوتاد (قوله أى الغيضة) أى الاشجار الملتفة المجتمعة وتقدم انهم أهلكوا بالظلة (قوله أولئك الاحزاب) بدل من الطوائف المذكورة وقوله ان كل الخ استئناف جئ به تقرير التكذيبهم و بيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه وان نافية لا عمل لها لانتقاض النفى بالا (قوله لانهم الخ) جواب عن سؤال كيف يقال ان كلا كذب الرسل مع أن كل أمة كذبت رسولا واحدا (قوله وما ينظر هؤلاء) شروع فى بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اخوانهم الاحزاب (قوله هى نفخة القيامة) أى الثانية (قوله مالها من فواق) الجملة فى محل نصب صفة لصيحة ومن مزيدة فى المبتدا (قوله بفتح الفاء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد وهو الزمان الذى بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع والمعنى مالها من توقف قدر فواق ناقة وقال ابن عباس مالها من رجوع من أفاق المريض اذا رجع الى صحته وقد مشى عليه المفسر وكل صحيح (قوله لما نزل فامامن أوتى كتابه الخ) أى الذى فى سورة الحاقة (قوله قطنا) أى نصيبنا وحظنا وأصله من قط الشئ أى قطعه (قوله أى كتاب أعمالنا) سمى قطا لانه مقطوع أى مقطوع لان صحيفة الاعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها (قوله قبل يوم الحساب) أى فى الدنيا (قوله اصبر على ما يقولون) فيه تهديد للكفار وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله واذكر عبدنا داود الخ) المقصود من ذكر تلك القصص اظهار فضل المتقدمين وتسليته صلى الله عليه وسلم على أذى قومه فيقتدى بمن قبله لكونه سيد الجميع فهو أولى بالصبر والاضافة فى عبدنا للتشريف المضاف (قوله ذا الايد) مصدر مفرد بوزن البيع من آد يئيد اذا قوى واشتد وليس جمع يد (قوله كان يصوم يوما و يفطر يوما) أى وهو جهاد للنفس دليل على فرة داود لان النفس كالطفل فاذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوما أطاقها فى اليوم الثانى ثم يعود لفطمها ولا شك انه جهاد عظيم (قوله و يقوم نصف الليل الخ) هكذا فى بعض النسخ موافقة لما فى القرطبي والبيضاوى وأبى السعود وفى بعض النسخ كان ينام نصف الليل و يقوم ثلثه و ينام سدسه وهو الموافق لما فى الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام ان أحب الصيام الى الله صيام داود وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوما و يفطر يوما وكان ينام نصف الليل و يقوم ثلثه و ينام سدسه ولما فى الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام أحب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما و يفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل و يقوم ثلثه و ينام سدسه ولعله كان احيانا هكذا واحيانا هكذا (قوله انه اواب) تعليل لكونه ذا قوة فى الدين (قوله الى مرضاة الله) المرضاة بمعنى الرضا (قوله انا سخرنا الجبال) تعليل آخر لقوته فى الدين (قوله يسبحن) اى بلسان المقال و يسرن معه فى السباحة والجملة حالية من مفعول سخرنا (قوله وقت صلاة العشاء) ظاهره ان المراد بها العشاء الاخيرة والذى يفهم من كلام غيره انها المغرب حيث قال فكان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (قوله و يتناهى ضوؤها) اى وهو ربع النهار (قوله والطير محشورة) بالنصب فى قراءة العامة معطوف على الجبال رفرئ شذوذا بالرفع مبتدا وخبره (قوله كل له اواب) اشار المفسر الى ان الضمير فى له عائد على داود وحينئذ فمعنى

الاوتاد) كان يتد لكل من يغضب عليه اربعة اوتاد يشد اليها يديه ورجليه و يعذبه (وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة) اى الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام (اولئك الاحزاب ان) ما (كل) من الاحزاب (الا كذب الرسل) لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لان دعوتهم واحدة وهى دعوة التوحيد (فحق) وجب (عقاب وما ينظر) ينتظر (هؤلاء) اى كفار مكة (الا صيحة واحدة) وهى نفخة القيامة تحل بهم العذاب (ما لها من فواق) بفتح الفاء وضمها رجوع (وقالوا) لما نزل فاما من اوتى كتابه بيمينه الخ (ربنا عجل لنا قطنا) اى كتاب اعمالنا (قبل يوم الحساب) قالوا ذلك استهزاء قال تعالى (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد) اى القوة فى العبادة كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وينام ثلثه و يقوم سدسه (انه اواب) رجاع الى مرضاة الله (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) بتسبيحه (بالعشى) وقت صلاة العشاء (والاشراق) وقت صلاة الضحى وهو ان تشرق الشمس و يتناهى ضوؤها (و)

سخرنا (الطير محشورة) مجموعة اليه تسبح معه (كل) من الجبال والطير (له اواب) رجاع الى طاعته بالتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه

بالحرس والجنود وكان يحرس محرابه فى كل ليلة ثلاثون الف رجل (وآتيناه الحكمة) النبوة والاصابة فى الامور (وفصل

كل من الجبال والطير مطيع لداود فى تسبيحه ان رفع رفعوا وان خفض خفضوا وهو احد قولين والآخر انه عائد على الله تعالى والمعنى كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى (قوله بالحرس) بفتحتين اسم جمع كخدم او بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارس (قوله ثلاثون الف رجل) فى رواية ابن عباس ستة وثلاثون الفا (قوله النبوة والاصابة فى الامور) هذا احد اقوال فى تفسير الحكمة وقيل هى العلم بكتاب الله تعالى وقيل العلم والفقه وقيل السنة (قوله البيان الشافى) أى الاظهار المنبه للمخاطب من غير التباس وهو أحد اقوال فى تفسير فصل الخطاب وقيل الفصل فى القضاء وقيل هو البينة على المدعى واليمين على من انكر وقيل هو أما بعد وقيل غير ذلك (قوله التعجيب) اى حمل المخاطب على التعجب او ايقاعه فى العجب (قوله الى استماع ما بعده) أى لكونه أمرا غريبا كقولك لجليسك هل تعلم ماوقع اليوم تريد ان يستمع لكلامك ثم تذكر له ماوقع (قوله اذ تسوروا) ظرف لمضاف محذوف تقديره نبا تخاصم الخصم ولا يصح ان يكون ظرفا لاتاك لان اتيان النبا كائن فى عهد رسول الله لا فى عهد داود ولا لنبا لان النبا واقع فى عهد داود فلا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله اى مسجده) اى الذى كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة (قوله حيث منعوا الدخول عليه من الباب) أى لكونهم اتوه فى اليوم الذى كان يشتغل فيه بالعباده فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب (قوله ففزع منهم) أى لانهم نزلوا من اعلى على خلاف العادة والحرس حوله (قوله قالوا لا تخف) جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا قالوا لما شاهدوا فزعه فقال قالوا لا تخف (قوله قيل فريقان) هذا مبنى على ان الداخل عليه كان ازيد من اثنين فكان المتخاصمين والشاهدين والمزكين (قوله وقيل اثنان) اى شخصان وهو مبنى على ان الداخل المتساعيان فقط (قوله والخصم يطلق الخ) اى لانه فى الاصل مصدر (قوله وهما ملكان) قيل هما جبريل وميكائيل (قوله على سبيل العرض) بالعين المهملة اى التعريض وهو جواب عما يقال ان الملائكة معصومون فكيف يتصور منهم البغى او الكذب فاجاب بان هذا على سبيل التعريض للمخاطب فلا بغى فيه ولا كذب (قوله لتنبيه داود) اى ايقاظه على ماصدر منه (قوله وكان له تسع الخ) بيان لما وقع منه (قوله وطلب امرأة شخص) هو وزيره اوريا بن حنان لسر عظيم وهو كما قيل انها ام سليمان عليه السلام (قوله وتزوجها ودخل بها) مشى المفسر على ان داود سال اوريا طلاق زوجته ثم بعد وفاء عدتها تزوجها داود ودخل بها وهو احد اقوال ثلاثة والثانى ان داود لما تعلق بها قلبه امر اوريا ليذهب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل لما قتل فى الجهاد تزوجها داود والثالث ان اوريا لم يكن متزوجا بها وانما خطبها فقط فخطبها داود على خطبته وتزوجها وكان ذلك كله جائزا فى شرعه وانما عاتبه الله لرفعة قدره وللسيد ان يعاتب عبده على ما يقع منه وان كان جائزا من باب حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله ولا تشطط) العامة على ضم التاء من اشطط اذا تجاوز الحد وقرئ شذوذا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وتشطط من اشط رباعيا الا انه ادغم وتشطط من شطط وتشاطط (قوله ان هذا اخى الخ) مرتب على مقدر تقديره فقال لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخى الخ (قوله اى على دينى) اى فليس المراد اخوة النسب لان الملائكة لا يلدون ولا يوصفون بذكورة ولا انوثة (قوله يعبر بها عن المرأة) اى يكنى بها عن المراة لسكونها وعجزها وقد يكنى عنها بالبقرة والناقة (قوله اى اجعلنى كافلها) هذا هو معناه الاصلى والمراد هنا ملكنيها وانزل لى عنها (قوله وعزنى فى الخطاب) اى فهو افصح منى فى الكلام فالغلبة له على لضعفى (قوله واقره الآخر) اى المدعى عليه وهو جواب عما يقال كيف حكم داود ولم يسمع شيأ من المدعى عليه فاجيب بانه سمع منه الاقرار والاعتراف

الخطاب) البيان الشافى فى كل قصد (وهل) معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق الى استماع ما بعده (اتاك) يا محمد (نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) محراب داود اى مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة اى خبرهم وقصتهم (اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف) نحن (خصمان) قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناها والخصم يطلق على الواحد والكثير وهما ملكان جاءا صورة خصمين وقع لهما ماذكر على سبيل العرض لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون امراة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها (بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) تجر (واهدنا) ارشدنا (الى سواء الصراط) وسط الطريق الصواب (ان هذا اخى) اى على دينى (له تسع وتسعون نعجة) يعبر بها عن المراة (ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها) اى اجعلنى كافلها (وعزنى) غلبنى (فى الخطاب) اى الجدال واقره الآخر على ذلك (قال لقد ظلمك

(قوله

(قوله بسؤال نعجتك) من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف أى بان سالك نعجتك (قوله ليضمها) أشار بذلك الى انه ضمن السؤال معنى الاضافة والضم (قوله الخلطاء الشركاء) أى الذين خلطوا أموالهم وفيه اشارة الى ان داود سايرظاهر دعواهم (قوله الا الذين آمنوا) استثناء متصل (قوله فتنبه داود) اى علم انهما يريدانه بهذا التعريض (قوله أنما فتناه) مازائدة والمعنى وظن داود أنا فتناه فتنبه ولاحظ والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر (قوله فاستغفر ربه) اى طلب منه المغفرة وتقدم انه ليس بذنب وانما هو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله اى ساجدا) عبر بالركوع عنه لان كلا منهما فيه انحناء (قوله وأناب) اى رجع الى مولاه قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام الاربعين يوما لا ياكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عزوجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بى سبحان خالق النور الهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور الهى الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى باى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهى باى قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهى من اين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهى أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى انا لا اطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور الهى كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور الهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور الهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى او بقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور قيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فاجيب فى غير ما طلب ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشئ فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حرارة جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة بقوله فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وقد ورد انه لما قبل الله توبته بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرتاد معه ليلا ولا نهارا وكان سنه اذ ذاك سبعين سنة فقسم الدهر على أربعة أيام يوم للقضاء ويوم لنسائه ويوم يسيح فى الجبال والفيافى والسياحة ويوم يخلو فى داره فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان ينوح معهم على نفسه فاذا كان يوم سياحته خرج الى الفيافى ويرفع صوته بالبكاء فتبكى معه الاشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجئ الى الساحل فيرفع صوته بالبكاء فتبكى معه دواب البحر وطير الماء فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجئ اربعة آلاف راهب فيجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه فلا يزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجئ ابنه سليمان فيحمله وقد

بسؤال نعجتك) ليضمها (الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) ما الذا كيد القلة فقال الملكان صاعدين فى صورتيهما الى السماء قضي الرجل على نفسه فتنبه داود قال تعالى (وظن) أى أيقن (داود أنما فتناه) اوقعناه فى فتنة اى بلية بمحبته تلك المرأة (فاستغفر ربه وخر راكعا) اى ساجدا (وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى) اى زيادة خير فى الدنيا (وحسن مآب) مرجع فى الآخرة

ورد ايضا انه لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى ان لا أنسى خطيئتى فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فارفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا واستغفر للخاطئين قبل نفسه وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل و يصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وكان اذا ذكر عقاب الله تعالى انخلعت اوصاله واذا ذكر رحمة الله تراجعت اه ملخصا (قوله يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) يحتمل انه كلام مستانف بيان للزلفى فى قوله وان له عندنا لزلفى و يحتمل انه مقول لقول محذوف معطوف على قوله فغفرنا له كانه قيل فغفرنا له وقلنا يا داود الخ وفى هذه الآية دليل على ان خلافته التى كانت قبل الفتنة باقية مستمرة بعد التوبة (قوله تدبر امر الناس) أى لكونك ملكا وسلطانا عليهم فقد جمع لداود بين النبوة والسلطنة وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر فيحكم السلطان بما يامره به النبى (قوله بالحق) أى العدل لان الاحكام اذا كانت موافقة لما امر الله به صلحت الخلق واستقام نظامهم بخلاف ما اذا كانت موافقة لهوى النفس فان ذلك يؤدى الى فساد النظام ووقوع الهرج والمرج المؤدى للهلاك وهو معنى قولهم العدل ان دام عمر والظلم ان دام نمر (قوله ولا تتبع الهوى) المقصود من نهيه اعلام أمته بانه معصوم ولتتبعه فيما امر به لانه اذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره اولى (قوله فيضلك عن سبيل الله) بالنصب فى جواب النهى وهو اولى من جعله مجزوما عطفا على النهى وفتح للتخلص من التقاء الساكنين (قوله اى عن الدلائل الدالة على توحيده) انما فسر السبيل بذلك وان كان شاملا لفروع الدين الموصلة الى الله تعالى ليوافق قوله لهم عذاب شديد الخ (قوله بنسيانهم) أشار بذلك الى ان ما مصدرية والباء سببية وقوله يوم الحساب ظرف لقوله لهم عذاب شديد او مفعول لنسوا (قوله المرتب عليه الخ) اى فالسبب الحقيقى فى حصول العذاب لهم هو ترك الايمان ونسيان يوم الحساب سبب فى ترك الايمان فاكتفى بذكر السبب (قوله وما خلقنا السماء والارض الخ) استئناف لتقرير ما قبله من البعث والحساب (قوله باطلا) نعت لمصدر محذوف اى خلقا باطلا او حال من ضمير الخلق (قوله ذلك ظن الذين كفروا) اى مظنونهم (قوله فويل) هو فى الاصل معناه الهلاك اى هلاك ودمار للذين كفروا وعبر بالظاهر تقبيحا عليهم واشارة الى ان ظنهم انما نشأ من اجل كفرهم (قوله ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) ام منقطعة تفسر بل والهمزة وهو اضراب انتقالى من أمر البعث والحساب الى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين فى العواقب وهو نظير قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (قوله ام نجعل المتقين الخ) تنويع آخر فى الاضراب والمعنى واحد (قوله بمعنى همزة الانكار) اى مع بل التى للاضراب (قوله خبر مبتدا محذوف) اى وانزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدا محذوف أو خبر ثان لا صفة ثانية للكتاب لانه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد وفيه خلاف (قوله ينظروا فى معانيها) اى يتاملوا فيها فيزدادوا معرفة ونورا على حسب مشاربهم فان التالين للقرآن على مراتب فالعامة يقرؤنه مرتلا بجودا مراعى بعض معانيه على حسب الطاقة والخاصة يقرؤنه ملاحظين انهم فى حضرة الله تعالى يقرؤن كلامه عليه وخاصة الخاصة يقرؤنه فانين عن انفسهم مشاهدين ان لسانهم ترجمان عن الله تعالى رضى الله عنهم وعنا بهم (قوله أولو الالباب) خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بالذكر (قوله ووهبنا لداود) اى من المرأة التى اخذها من أوريا وكان سنه اذ ذاك سبعين سنة (قوله اى سليمان) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله اذ عرض عليه) ظرف

(ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) تدبر امر الناس (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) اى هوى النفس (فيضلك عن سبيل الله) اى عن الدلائل الدالة على توحيده (ان الذين يضلون عن سبيل الله) اى عن الايمان بالله (لهم عذاب شديد بما نسوا) بنسيانهم (يوم الحساب) المرتب عليه تركهم الايمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا فى الدنيا (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) اى عبثا (ذلك) اى خلق ما ذكر لا لشئ (ظن الذين كفروا) من اهل مكة (فويل) واد (للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار) نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الانكار (كتاب) خبر مبتدا محذوف اى هذا (انزلناه اليك مبارك ليدبروا) اصله يتدبروا ادغمت التاء فى الدال (آياته) ينظروا فى معانيها فيؤمنوا (وليتذكر) يتعظ (أولوا الالباب) اصحاب العقول (ووهبنا لداود سليمان) ابنه (نعم العبد) اى سليمان (انه اواب) رجاع فى التسبيح والذكر فى جميع الاوقات (اذ عرض عليه بالعشى)

لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك وقت ان عرض الخ والمعنى اذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله مابعد الزوال) اى الى الغروب (قوله وهى القائمة) اى الواقعة على ثلاثة قوائم (قوله على طرف الحافر) اى من رجل اويد (قوله وهو من صفن) اى ماخوذ منه والصافن من الآدميين الذى يصف قدميه و يقرن بينهما وجمعه صفون (قوله جمع جواد) وقيل جمع جيد يطلق على كل من الذكر والانثى ماخوذ من الجودة اوالجيد وهو العنق والمعنى طويلة العنق لفراهتها (قوله المعنى) اى معنى الصافنات الجياد (قوله وكانت الف فرس) روى انه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم الف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فوضع يده عليها لبيت المال وقيل خرجت له من البحر ولها اجنحة (قوله لارادة الجهاد) اى ليختبرها (قوله فقال انى أحببت الخ) اى على وجه الاعتذار عما صدر منه وندما عليه وضمن أحببت معنى آثرت فعداه بعن (قوله اى الخيل) انما سماها خيرا لتعلق الخير بها لما فى الحديث الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة (قوله بالحجاب) اى وهو جبل دون جبل ق بمسيرة سنة غرب من ورائه (قوله ردوها على) الخطاب لاتباعه المتولين أمر الخيل والضمير عائد على التى شغلته وهى التسعمائة واما المائة الاخرى فلم يذبحها ومافى ايدى الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة (قوله اى ذبحها وقطع ارجلها) اى وكان مباحا له ولذا لم يعاتبه الله عليه وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل الضمير فى قوله ردوها عائد على الشمس والخطاب للملائكة الموكلين بها فردوها فصلى العصر فى وقتها وقال الفخر الرازى معنى قوله فطفق مسحا بالسوق والاعناق انه يمسحها حقيقة بيده ليختبر عيوبها وأمراضها لكونه كان اعلم باحوال الخيل واشارة الى انه بلغ من التواضع الى انه يباشر الامور بنفسه ولم يحصل منه ذبح ولا عقر ولم تفوت عليه صلاة ومعنى انى احببت حب الخير عن ذكر ربى اى لاجل طاعة ربى لا لهوى نفسي ومعنى توارت بالحجاب اى الخيل غابت عن بصره حين امر باجرائها ليختبرها للغزو فقال ردوها على فردوها فصار يمسح فى اعناقها وسوقها كما تقدم وليس فى الآية مايدل على ثبوت ذبح ولا عقر ولا فوات صلاة اه بالمعنى (قوله ولقد فتنا سليمان الخ) اجمل المفسر فى القصة * وحاصل تفصيلها على ماروا وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء فى برولا بحر وانما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبي مافيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحب مثله احدا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت ان ابى اذكره وأذكر ملكه وماكان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله به ملكا هو اعظم من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكننى اذا ذكرته أصابنى ماترى من الحزن فلو انك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى انا فيها اراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزنى وان يسلى عنى بعض ماأجد فى نفسي فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيا فمثلوه لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها اى جواريها فتسجد له و يسجدن له كما كانت تصنع فى ملكه اى أبيها وتروح فى كل عيشة بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك

ما بعد الزوال (الصافنات) الخيل جمع صافنة وهى القائمة على ثلاث واقامة الاخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الجياد) جمع جواد وهو السابق المعنى انها اذا استوقفت سكنت وان ركضت سبقت وكانت الف فرس عرضت عليه بعد ان صلى الظهر لارادته الجهاد عليها العدو فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم (فقال انى أحببت) اى اردت (حب الخير) اى الخيل (عن ذكر ربى) اى صلاة العصر (حتى توارت) اى الشمس (بالحجاب) اى استترت بما يحجبها عن الابصار (ردوها على) اى الخيل المعروضة فردوها (فطفق مسحا) بالسيف (بالسوق) جمع ساق (والاعناق) اى ذبحها وقطع ارجلها تقربا الى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوضه الله تعالى خيرا منها واسرع وهى الريح تجرى بامره كيف شاء (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه بسلب ملكه وذلك

الى آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل سواء كان سليمان حاضرا او غائبا فاتاه وقال يا نبي الله ان غيرا لله يعبد في دارك منذ أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال في دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاتب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهيرة فاتى بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللا الى الله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل الخلاء أو اراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان اسمه صخر المارد ابن عمير في صورة سليمان لا تنكر منه شيا فقال هات خاتمي يا أمينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فاتى الامينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من انت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل ويقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسي باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم فقالوا نعم فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فاخذته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل لسليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده وخر لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف ان الذي دخل عليه من اجل ما حدث في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان يأتوه بصخر المارد فاتى به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر فهو باق فيها الى النفخة وسياتي رد تلك القصة وانها من موضوعات الاخباريين (قوله لتزوجه بامرأة) أي واسمها جرادة (قوله هواها) قياسه هويها بمعنى احبها من باب صدي وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط وفي نسخة يهواها وهي ظاهرة (قوله وكانت تعبد الصنم) اي وهو صورة أبيها ومدة ذلك اربعون يوما (قوله وكان ملكه في خاتمه) اي كان ملكه مرتبا على لبسه اياه فاذا لبسه سخرت له الريح والجن والشياطين وغيرها واذا نزعه زال عنه ذلك وكان خاتمه من الجنة وهو من جملة الاشياء التي نزل بها آدم من الجنة وقد نظمها بعضهم بقوله

وآدم معه انزل العود والعصا * لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة * وختم سليمان النبي المعظم

وقوله العود المراد به عود البخور وقوله واليمين بمكة المراد به الحجر الاسود وورد في الحديث ان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله محمد رسول الله (قوله ووضعه عند امرأته) في عبارة غيره ام ولده المسماة بالامينة (قوله هو ذلك الجني) أي وسمي جسدا لانه ليس فيه روح سليمان وان كان فيه روحه هو لان الجسد هو

لتزوجه بامرأة هواها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه وكان ملكه في خاتمه فنزعه مرة عند ارادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالامينة على عادته فجاءها جني في صورة سليمان فاخذه منها (والقينا على كرسيه جسدا) هو ذلك الجني

الجسم الذى لا روح فيه (قوله وهو صخر) أى ابن عمير المارد (قوله فى غير هيئته) أى المعتادة التى كانوا يعرفونه بها (قوله رجع سليمان الى ملكه) هذا التفسير مبنى على أن قوله ثم أناب مرتبط بقوله والقينا على كرسيه جسدا وقال غيره انه مرتبط بقوله ولقد فتنا سليمان ومعنى انابته رجوعه الى الله تعالى وتوبته (قوله بعد أيام) أى أربعين قال القاضى عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان بسليمان وتسلطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه وان الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذى ذهب اليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة وفى رواية على مائة امرأة كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه وفتنته من نسيان المشيئة فامتحن بهذا فتاب ورجع وقيل ان المراد بالجسد الذى ألقى على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه واستغفر ربه اذا علمت ذلك فالمناسب أن يعرج على ما فى الصحيحين ويترك تلك القصة البشعة (قوله قال رب اغفر لى) انما قال ذلك تواضعا واظهارا للخضوع للمولى عز وجل والا فهو لم يحصل منه ذنب وانما هو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله وهب لى ملكا الخ) قدم طلب المغفرة اهتماما بامر الدين (قوله لا ينبغى لاحد من بعدى) أى ليكون معجزة لى فليس طلبه للمفاخرة بامور الدنيا وانما كان هو من بين النبوة والملك وكان فى زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك فطلب ما يكون معجزة لقومه ومعجزة كل نبى ما اشتهر فى عصره (قوله انك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة (قوله فسخرنا له الريح) أى أعدنا له تسخير الريح بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه وهذا على ما مشى عليه المفسر وعلى ما مشى عليه المحققون فيقال أدمنا تسخيرها (قوله تجرى بامره) بيان لتسخيرها له (قوله رخاء) حال من الريح (قوله لينة) أى غير عاصفة وهذا فى أثناء سيرها وأما فى أوله فهى عاصفة تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله بامره) أى اياها فالمصدر مضاف لفاعله (قوله كل بناء) بدل من الشياطين (قوله وآخرين) عطف على كل بناء وذلك أن سليمان قسم الشياطين الى عملة استخدمهم فى الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مقرنين فى السلاسل كالمردة والعتاة (قوله القيود) من المعلوم أن القيد يكون فى الرجل فلا يلتئم مع قوله بجمع ايديهم الخ فلو فسر الاصفاد بالاغلال لكان أولى لانها تطلق عليها كما تطلق على القيود (قوله وقلنا له هذا) أى هذا الملك عطاؤنا (قوله بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه أحدها انه متعلق بعطاؤنا أى أعطيناك بغير حساب وبغير حصر الثانى أنه حال من عطاؤنا أى فى حال كون عطائنا غير محاسب عليه والثالث أنه متعلق بامنن أو أمسك والمعنى أعط من شئت وامنع من شئت لا حساب عليك فى إعطاء ولا منع قال الحسن ما أنعم الله نعمة على أحد الا عليه فيها تبعة الا سليمان فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة (قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى زيادة خير فى الدنيا والآخرة (قوله واذكر عبدنا أيوب) عطف على قوله واذكر عبدنا داود عطف قصة على قصة وليس معطوفا على قصة سليمان لانه لكمال الاتصال بينه وبين أبيه لم يصدر فى قصته بقوله واذكر عبدنا

وهو صخر أو غيره جلس على كرسى سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان فى غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فانكروه (ثم أناب) رجع سليمان الى ملكه بعد أيام بان وصل الى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى) لا يكون (لاحد من بعدى) أى سواى نحو فمن يهدى من بعد الله أى سوى الله (انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء) لينة (حيث أصاب) اراد (والشياطين كل بناء) يبنى الابنية العجيبة (وغواص) فى البحر يستخرج اللؤلؤ (وآخرين) منهم (مقرنين) مشدودين (فى الاصفاد) القيود بجمع ايديهم الى اعناقهم وقلنا له (هذا عطاؤنا فامنن) اعط منه من شئت (او امسك) عن الاعطاء (بغير حساب) اى لا حساب عليك فى ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) تقدم مثله (واذكر عبدنا ايوب

اذ نادى ربه أنى) أى بانى (مسنى الشيطان بنصب) ضر (وعذاب) ألم ونسب ذلك الى الشيطان وان كانت الاشياء كلها من الله تادبا معه تعالى وقيل له (اركض) اضرب (برجلك) الارض فضرب فنبعت عين ماء فقيل (هذا مغتسل) ماء تغتسل به (بارد

وشراب) تشرب منه فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) اى أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم (رحمة) نعمة (منا وذكرى) عظة (لاولى الالباب) لاصحاب العقول (وخذ بيدك ضغثا) هو حزمة من حشيش او قضبان (فاضرب به) زوجتك وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لابطائها عليه يوما (ولا تحنث) بترك ضربها فاخذ مائة عود من الاذخر اوغيره فضربها به ضربة واحدة (انا وجدناه صابرا نعم العبد) أيوب (انه أواب) رجاع الى الله تعالى (واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى) أصحاب القوى فى العبادة (والابصار) البصائر فى الدين وفى قراءة عبدنا وابراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا (انا أخلصناهم بخالصة) هى (ذكرى الدار) الآخرة اى ذكرها والعمل لها وفى قراءة بالاضافة وهى للبيان (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين (الاخيار) جمع خير بالتشديد عن (واذكر اسمعيل واليسع) هو نبى واللام زائدة (وذا الكفل) اختلف فى نبوته قيل كفل مائة نبى فروا اليه من القتل (وكل)

سليمان مثلا بل كانا كانهما قصة واحدة وتقدم لنا فى الانبياء ان أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وقيل انه ابن عيصو بن اسحق وقيل هو ابن أموص بن رعيل بن عيص بن اسحق وتقدمت قصته مفصلة فى سورة الانبياء (قوله اذ نادى ربه) بدل من عبدنا أو عطف بيان له (قوله انى مسنى الشيطان) اى حين ابتلى بفقد ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له الا زوجته وكانت مدة بلائه ثلاث سنين وقيل سبعا وقيل عشرا وقيل ثمانى عشرة (قوله بنصب) بضم فسكون التعب والمشقة وقوله وعذاب عطف سبب على مسبب (قوله تادبا معه تعالى) اى لان الشيطان هو السبب فى ذلك لانه نفخ فى أنفه فمرض جسده ظاهرا وباطنا الا قلبه ولسانه (قوله وقيل له) اى حين رجا وقت شفائه (قوله فنبعت عين ماء) ظاهره انها عين واحدة وهو احد قولين وقيل كانتا عينين بارض الشام فى أرض الجابية فاغتسل من احداهما فاذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الاخرى فاذهب الله باطن دائه وكانت احدى العينين حارة والاخرى باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى (قوله ووهبنا له أهله) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فاغتسل الخ (قوله من مات من أولاده) اى وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث اناث وقيل كل صنف سبع (قوله ورزقه مثلهم) اى من زوجته وزيد فى شبابها واسمها قيل رحمة بنت افراثيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب (قوله رحمة الخ) مفعول لاجله اى لاجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله أولو الالباب (قوله وخذ بيدك ضغثا) عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله وكان قد حلف الخ (قوله هو حزمة) اى ملء الكف (قوله لابطائها عليه يوما) واختلف فى سبب بطئها المتسبب عنه حلفه فقيل ان الشيطان تمثل فى طريقها فى صورة حكيم يداوى المرضى فمرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه فقالت له عندى مريض فقال أداويه على انه اذا برئ قال أنت شفيتنى لا أريد جزاء سواه قالت نعم فاشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان وقيل انها باعت ذوائبها برغيفين حين لم تجد شيا تحمله الى أيوب وكان أيوب يتعلق بها اذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربنها وقيل غير ذلك (قوله ولا تحنث) اى لا تقع فى يمينك بحيث تلزمك كفارته وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقا بزوجته وامافى شرعنا فلا يبر الا بضرب المائة وضربه باعواد مجتمعة لا يعد واحدة منها الا اذا حصل منه ألم الضربة المنفردة (قوله انا وجدناه صابرا) اى علمناه والمعنى أظهرنا صبره للناس (قوله أيوب) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله واذكر عبادنا ابراهيم الخ) اى اذكر صبرهم على ما امتحنوا به (قوله اولى الايدى) العامة على ثبوت الياء وهو جمع يد فكنى بذلك عن الاعمال لان اكثر الاعمال انما يزاول بها وقيل المراد بالايدى النعم وفسرها المفسر بالقوة فى العبادة وكلها معان متقاربة وقرئ شذوذا بحذف الياء تخفيفا (قوله انا أخلصناهم) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل (قوله بخالصة) صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة خالصة (قوله هى ذكرى الدار) جعلها المفسر خبر المحذوف (قوله وفى قراءة الخ) مقابل لما قدره المفسر وهما قراءتان سبعيتان فعلى القراءة الاولى يكون ذكرى مرفوعا على اضمار مبتدا وعلى الثانى يكون مجرورا بالاضافة وعلامة جره كسرة مقدرة على الالف المحذوفة والاضافة بيانية كما قال المفسر (قوله واذكر اسمعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للاشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بذكر مناقبهم (قوله واليسع) هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم نباه الله عليهم كما تقدم (قوله اختلف فى نبوته) روى الحاكم

عن وهب ان الله بعث بعد ايوب ابنه بشرا وسماه ذا الكفل فهو بشر بن ايوب اختلف فى نبوته ولقبه والصحيح انه نبي وسمى ذا الكفل اما لما قاله المفسر اولانه تكفل بصيام النهار وقيام الليل وان يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بما التزم وتقدمت قصته فى الانبياء (قوله اى كلهم) اى المتقدمين من داود الى هنا (قوله هذا ذكر) جملة من مبتدا وخبر قصد بها الفصل بين ماقبلها وما بعدها فهى للانتقال من غرض الى آخر ففيها تخلص من قصة وكذا يقال فى قوله هذا وان للطاغين الخ (قوله وان للمتقين الخ) شروع فى بيان اجرهم الجزيل بعد ذكر هم الجميل (قوله الشاملين لهم) اى فالمتقين يشملهم وغيرهم (قوله مفتحة) حال من جنات عدن والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل والابواب مرفوعة باسم المفعول وأل عوض عن الضمير (قوله متكئين) حال من الهاء فى لهم والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذى لانه لا جوع فيها (قوله حابسات الاعين) اى لا ينظرن الى غيرهم نظر شهوة وميل (قوله اسنانهن واحدة) اى فقد استوين فى السن والجمال وقيل معنى اتراب متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن وكل صحيح (قوله لاجله) اى لاجل وقوعه فيه فوقوعه وانجازه فيه علة للوعد به فى الدنيا (قوله ان هذا لرزقنا) من كلام الله تعالى والمعنى ان هذا أى ماذكر من الجنات واوصافها لرزقنا اى لهو الرزق الذى نتفضل به على عبادنا ماله من نفاد أى انقطاع ابدا (قوله اى دائما الخ) لف ونشر مرتب (قوله هذا) مبتدا حذف خبره قدره بقوله المذكور وهو تخلص من ما آل المتقين لما آل المجرمين فهو بمنزلة أما بعد (قوله وان للطاغين) اى الكافرين (قوله لشر ما آب) مقابل قوله فى حق المتقين لحسن ما آب (قوله يصلونها) اى يكونون بها على سبيل التابيد وهو لازم للدخول (قوله الفراش) اى الغطاء والوطاء (قوله هذا مبتدأ) وحميم وغساق وآخر خبره ومن شكله صفة اولى لآخر وازواج صفة ثانية له وقوله فليذوقوه جملة معترضة بين المبتدأ والخبر وهذا احسن مايقال (قوله محرق) اى للامعاء لقوله فى الآية الاخرى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من صديد الخ) بيان لما كانه قال وهو صديد اهل النار الذى يسيل من جلودهم وفروجهم (قوله بالجمع والافراد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى مثل المذكور) اى فى كونه حارا يقطع الامعاء (قوله من انواع مختلفة) اى كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزمهرير وغير ذلك من انواع العذاب اجارنا الله منه (قوله ويقال لهم) اى من خزنة النار (قوله مقتحم) الاقتحام الالقاء فى الشئ بشدة فانهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع (قوله فيقول المتبعون) اى جوابا للخزنة كانهم يقولون انحسد على كثرة اتباعنا مع كوننا واياهم فى النار (قوله لا مرحبا بهم) مفعول لفعل محذوف تقديره لا أتيتم مرحبا اى مكانا واسعا (قوله انهم صالوا النار) هو من كلام الرؤساء اى انهم صالوا النار كما صليناها (قوله قالوا) اى الاتباع اى جوابا للرؤساء (قوله بل انتم لا مرحبا بكم) أى انتم احق بما قلتم لنا فدأبهم انه كلما دخلت امة لعنت اختها (قوله انتم قدمتموه لنا) اى دللتمونا عليه بتزيين الاعمال السيئة لنا واغوائنا عليها (قوله النار) هذا هو المخصوص بالذم (قوله قالوا ايضا) اشار بذلك الى ان هذا من كلام الاتباع (قوله اى مثل عذابه على كفره) أى وهو عذاب الدلالة على الكفر فان الدال على الشر كفاعله (قوله اى كفار مكة) اى كابى جهل وابى بن خلف وغيرهما

(يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف) حابسات الاعين على ازواجهن (اتراب) اسنانهن واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة جمع ترب (هذا) المذكور (ماتوعدون) بالغيبة وبالخطاب التفاتا (ليوم الحساب) اى لاجله (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) أى انقطاع والجملة حال من رزقنا او خبر ثان لان اى دائما او دائم (هذا) المذكور للمؤمنين (وان للطاغين) مستانف (لشر ما آب جهنم يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) الفراش (هذا) اى العذاب المفهوم مما بعده (فليذوقوه حميم) اى ماء حار محرق (وغساق) بالتخفيف والتشديد مايسيل من صديد اهل النار (وآخر) بالجمع والافراد (من شكله) اى مثل المذكور من الحميم والغساق (ازواج) اصناف اى عذابهم من انواع مختلفة ويقال لهم عند دخولهم النار بانيا عهم (هذا فوج) جمع (مقتحم) داخل (معكم) النار بشدة فيقول المتبعون (لا مرحبا بهم) أى لاسعة عليهم (انهم صالوا النار قالوا) اى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه) اى الكفر (لنا فبئس القرار) لنا ولكم النار (قالوا) ايضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) اى مثل عذابه على كفره (فى النار وقالوا) اى كفار مكة

(قوله وهم فى النار) الجملة حالية (قوله مالنا لا نرى رجالا) اى اى شئ ثبت لنا لا نبصر رجالا الخ (قوله من الاشرار) انما سموهم أشرارا لانهم خالفوا دينهم (قوله اتخذناهم) اما بوصل الهمزة مكسورة أو قطعها مفتوحة قراءتان سبعيتان فعلى الاولى تكون الجملة صفة لرجالا اى رجالا موصوفين بكوننا عددناهم من الاشرار وبكوننا نسخر بهم فى الدنيا وعلى الثانية فالجملة استفهامية حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام عنها والمعنى مالنا لا نرى رجالا موصوفين بكوننا عددناهم من الاشرار أتخذناهم سخريا فهم مفقودون من النار ام زاغت عنهم الابصار اى هم معنا فى النار لكن زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم (قوله بضم السين وكسرها) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله اى كنا نسخر بهم) راجع لقراءة الوصل (قوله والياء للنسب) اى على كل من القراءتين (قوله أم زاغت) على قراءة الوصل تكون ام بمعنى بل وعلى قراءة القطع تكون معادلة للهمزة (قوله وهم فقراء المسلمين) تفسير لقوله رجالا (قوله وسلمان) المناسب اسقاطه لان الكلام فى اهل مكة وهو انما أسلم فى المدينة (قوله ان ذلك) اى المحكى عنهم من اقوالهم وأحوالهم (قوله وهو تخاصم) اشار بذلك الى أن تخاصم خبر لمحذوف والجملة بيان لاسم الاشارة (قوله انما انا منذر) اى لا ساحر ولا شاعر ولا كاهن واقتصر على الانذار لان كلامه مع الكفار وهم انما ينا سبهم الانذار فقط وان كان مبشرا أيضا (قوله الواحد) اى المعدوم المثيل فى ذاته وصفاته وافعاله وقد ذكر أوصافا خمسة كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالالوهية (قوله رب السموات والارض) اى مالكهما (قوله قل هو نبأ عظيم) كرر الامر اشارة الى الاهتمام به (قوله اى القرآن) تفسير لهو (قوله بما لا يعلم) أى من القصص والاخبار وغيرها (قوله وهو) اى مالا يعلم الا بوحى وفيه أن مالا يعلم الا بوحى هو قوله اذ قال ربك للملائكة الخ لا قوله ما كان لى من علم الخ الا أن يقال انه ذكر توطئة وتمهيدا لما لا يعلم الا بالوحى (قوله اى الملائكة) اى وابليس (قوله اذ يختصمون) منصوب اما بعلم او بمحذوف والتقدير ما كان لى من علم بالملا الاعلى وقت اختصامهم أو ما كان لى من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم (قوله الا انما انا نذير مبين) الا اداة حصر وان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر نائب فاعل يوحى والتقدير ما يوحى الى الا كونى نذيرا مبينا والحصر فيه وفى قوله انما انا منذر اضافى والمعنى لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم (قوله اذ قال ربك) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر ويصح أن يكون بدلا من قوله اذ يختصمون ان حمل الاختصام على ما حصل فى شان آدم فقط واما ان حمل عاما فلا يصح جعله بدلا منه بل ظرف لمحذوف (قوله انى خالق بشرا) اى انسانا ظاهر البشرة اى الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر (قوله اجريت فيه من روحى) اشار بذلك الى انه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالته على الله تعالى وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها (قوله والروح جسم لطيف الخ) هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الاصح وقيل ان الروح عرض وهى الحياة التى صار الجسم بها حيا وقيل انها ليست بجسم ولا عرض بل هى جوهر مجرد قائم بنفسه له تعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه وهو قول الفلاسفة (قوله بنفوذه فيه) اى سريانه فيه كسريان الماء فى العود الاخضر (قوله فقعوا) الفاء واقعة فى جواب اذا (قوله سجود تحية بالانحناء) جواب عما يقال كيف جاز السجود لغير الله تعالى وتقدم قول بانه كان سجودا حقيقة بالجباه وتقدم الجواب عنه بان محل كون السجود لغير الله غير جائز ما لم يامر به المولى تعالى أو يقال ان السجود لله تعالى وآدم جعل كالقبلة (قوله فسجد الملائكة الخ) قيل اول من

بهم فى الدنيا والياء للنسب أى امفقودون هم (ام زاغت) مالت (عنهم الابصار) فلم نرهم وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان (ان ذلك لحق) واجب وقوعه وهو (تخاصم اهل النار) كما تقدم (قل) يا محمد لكفار مكة (انما انا منذر) مخوف بالنار (وما من اله الا الله الواحد القهار) لخلقه (رب السموات والارض وما بينهما العزيز) الغالب على أمره (الغفار) لاوليائه (قل) لهم (هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون) أى القرآن الذى انبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم الا بوحى وهو قوله (ما كان لى من علم بالملا الاعلى) اى الملائكة (اذ يختصمون) فى شان آدم حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة الخ (ان) ما (يوحى الى الا انما انا) اى انى (نذير مبين) بين الانذار اذكر (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) هو آدم (فاذا سويته) اتممته (ونفخت) اجريت (فيه من روحى) فصار حيا واضافة الروح اليه تشريف لآدم والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه (فقعوا له ساجدين) سجود تحية بالانحناء (فسجد الملائكة كلهم اجمعون)

To: www.al-mostafa.com

سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر وقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة (قوله فيه تاكيدان) اى فكل منهما يفيد ما أفاده الآخر وقيل ان كل للاحاطة واحسون للاجتماع فافادا نهم سجدوا عن آخرهم وانهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى اوقات (قوله كان بين الملائكة) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع وهو الحق وتقدم تحقيق ذلك (قوله فى علم الله) اى ان الله تعالى علم فى الازل أنه يكفر فيما لا يزال وكان مسلما عابدا طاف بالبيت اربعة عشر الف عام وعبد الله ثمانين الف عام (قوله اى توليت خلقه) اى بذاتى من غير واسطة أب وأم وتثنية اليد اظهار الكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام (قوله أستكبرت الآن الخ) أشار المفسر الى جواب سؤال واراد وهو ان قوله من العالين معناه المتكبرين فيلزم عليه التكرار فاجاب بان المعنى اتركت السجود لاستكبارك الحادث ام لاستكبارك القديم المستمر (قوله قال انا خير منه) هذا هذا جواب من ابليس لم يطابق الاستفهام السابق لانه اجاب بانه انما ترك السجود لكونه خيرا منه وبين ذلك بان اصله من النار واصل آدم من الطين والنار اشرف من الطين لكون النار نورانية والطين من الارض وهى ظلمانية والنور انى اشرف من الظلمانى وهذه شبهته وقد اخطا فيها لان مآل النار الى الرماد الذى لا ينتفع به والطين اصل لكل نام نابت كالانسان والشجرة ومن المعلوم ان الانسان والشجرة خير من الرماد وزيادة على ذلك ان النوع الانسانى تشرف بالامور الاول من جهة الفاعل المشار اليه بقوله لما خلقت بيدى والثانى من جهة الصورة المشار اليها بقوله ونفخت فيه من روحى ومن جهة الغاية المشار اليها بقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولم يحصل ذلك لغير النوع الانسانى فدل على افضليته (قوله اى من الجنة الخ) هذا الخلاف مبنى على الخلاف الواقع فى امر الملائكة بالسجود لآدم هل كان بعد دخوله الجنة او قبله فقوله اى من الجنة مبنى على الاول وقوله او من السموات مبنى على الثانى وقيل المعنى اخرج من الخلقة التى كنت عليها اولا لما ورد ان ابليس كان يفتخر بخلقته فغيرالله خلقته فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا وروى ان ابليس كان رئيسا على اثنى عشر الف ملك وكان له جناحان من زمرد اخضر فلما طرد غيرت صورته وجعله الله معكوسا على مثال الخنازير ووجهه كالقردة وهو شيخ اعور وفى لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس وعيناه مشقوقتان فى طول وجهه وانيابه خارجة كانياب الخنازير ورأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير وشفتاه كشفتى الثور ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام (قوله فانك رجيم الخ) فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد فاللعنة بمعناه ولزم التكرار اجيب بان الرجم الطرد من الجنة او السماء واللعنة الطرد من الرحمة وهو ابلغ (قوله وان عليك لعنتى) ذكرها هنا بالاضافة وفى غيرها بالتعريف تفننا (قوله الى يوم الدين) فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية فتقتضى انقضاء اللعنة عند مجىء يوم الدين مع انها لا تنقطع اجيب بان اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيد بخلوده فى العذاب ومن العبيد طلب ذلك وفى يوم الدين تحقق الوعيد والمطلوب (قوله قال رب فانظرنى) اى امهلنى واخرنى والقاء متعلقة بمحذوف تقديره اذ جعلتنى رجيما فامهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون اى آدم وذريته واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ الموت بعد البعث فاجابه تعالى بالامهال مدة الدنيا لاجل الاغواء لا بالنجاة من الموت (قوله قال فبعزتك) الباء للقسم ولا ينافيه قوله تعالى فى الآية الاخرى قال فبما اغويتنى فان اغواء الله تعالى له من آثار عزته التى اقسم بها هنا (قوله بنصبهما ورفع الاول الخ)

فيه تاكيدان (الا ابليس) هو ابو الجن كان بين الملائكة (استكبر وكان من الكافرين) فى علم الله تعالى (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) اى توليت خلقه وهذا تشريف لآدم فان كل مخلوق تولى الله خلقه (أستكبرت) الآن عن السجود استفهام توبيخ (ام كنت من العالين) المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم (قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها) اى من الجنة وقيل من السموات (فانك رجيم) مطرود (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) الجزاء (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون) اى الناس (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وقت النفخة الاولى (قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) اى المؤمنين (قال فالحق والحق اقول) بنصبهما ورفع الاول ونصب الثانى فنصبه بالفعل بعده ونصب الاول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر اى احق الحق وقيل على نزع حرف القسم ورفعه على انه مبتدا محذوف الخبر اى فالحق منى وقيل فالحق قسمى

أى فالقراءتان سبعيتان (قوله وجواب القسم) أى المذكور فى بعض الاعاريب المتقدمة او المحذوف (قوله اجمعين) توكيد للضمير فى منك وما عطف عليه (قوله دون الملائكة) انما اخرجهم من العالمين وان كان لفظ العالمين يشملهم لاجل قوله ان هو الا ذكر والذكر معناه الموعظة والتخويف وهو لا يناسب الا الانس والجن (قوله خبر صدقه) اى من ذكر الوعد والوعيد (قوله اى يوم القيامة) تفسير لبعد حين والحين مدة الدنيا وقال ابن عباس بعد الموت وقيل من طال عمره علم ذلك اذا جاء نصر الله والفتح (قوله بمعنى عرف) اى فهو متعد لمفعول واحد وهو نباه وقيل ان علم على بابها فتنصب مفعولين والثانى قوله بعد حين

﴿ سورة الزمر ﴾

سميت بذلك لذكر لفظ الزمر فيها فى قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وسيأتى ان الزمر جمع زمرة وهى الطائفة وتسمى ايضا سورة الغرف لذكر الغرف فيها قال تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية وروى من اراد ان يعرف قضاء الله فى خلقه فليقرأ سورة الغرف ووجدانه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبنى اسرائيل (قوله الا قل يا عبادى الخ) اى فانها نزلت فى وحشي قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم فانه اسلم بالمدينة وظاهره انها آية واحدة وقيل ان الذى نزل بالمدينة سبع آيات هذه الآية وست بعدها وقيل انهما آيتان هذه الآية وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث الآية فتحصل ان فيها ثلاثة اقوال قيل مكية الا آية وقيل الا آيتين وقيل الا سبعا (قوله وهى خمس وسبعون) وقيل اثنتان وسبعون (قوله تنزيل الكتاب من الله) اى انزال القرآن كائن وحاصل من الله لا من غيره نزل رد القول المشركين انما يعلمه بشر ولقولهم ان به جنة (قوله انا انزلنا الخ) شروع فى بيان تشريف المنزل عليه اثر بيان شان المنزل من حيث كونه من عند الله (قوله الكتاب) هو عين الكتاب الاول لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت عينا (قوله متعلق بانزل) اى والباء سببية والمعنى بسبب الحق الذى أنت عليه واثباته واظهاره (قوله فاعبد الله) تفريع على قوله انا أنزلنا اليك الخ والخطاب له والمراد ما يشمل جميع أمته (قوله مخلصا) حال من فاعل اعبد والدين مفعول لاسم الفاعل (قوله اى موحدا له) اى مفردا له بالعبادة والاخلاص بان لا تقصد بعملك ونيتك غير ربك (قوله ألا لله الدين الخ) ألا أداة استفتاح والجملة مستانفة مقررة لما قبلها من الامر بالاخلاص (قوله والذين اتخذوا الخ) اسم الموصول مبتدأ واتخذوا صلته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله قالوا وقوله ما نعبدهم الخ مقول لذلك القول وقوله ان الله يحكم بينهم الخ استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم وهذا هو الاحسن وقيل ان خبر المبتدا هو قوله ان الله يحكم الخ وقوله ما نعبدهم حال من فاعل اتخذوا على تقدير القول اى قائلين ما نعبدهم الخ (قوله الاصنام) قدره اشارة الى ان اتخذوا تنصب مفعولين الاول محذوف (قوله وهم كفار مكة) تفسير للموصول (قوله قالوا ما نعبدهم الخ) اى فكانوا اذا قيل لهم من خلقكم ومن خلق السموات والارض ومن ربكم فيقولون الله فيقال لهم وما معنى عبادتكم الاصنام فيقولون لتقربنا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (قوله مصدر) اى مؤكد ملاق لعامله فى المعنى والتقدير يزلفونا زلفى او ليقربونا قربى (قوله وبين المسلمين) اشار بذلك الى ان المقابل محذوف (قوله فيدخل المؤمنين الجنة) اى فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر (قوله ان الله لا يهدى) اى لا يوفق للهدى من هو كاذب كفارا ومجبول على الكذب والكفر فى علمه تعالى (قوله فى نسبة الولد اليه) اشار بذلك الى ان قوله ان الله لا يهدى الخ توطئة

وجواب القسم (لاملان جهنم منك) بذريتك (وممن تبعك منهم) اى الناس (اجمعين قل ما أسالكم عليه) على تبليغ الرسالة (من اجر) جعل (وما انا من المتكلفين) المتقولين القرآن من تلقاء نفسي (ان هو) اى ما القرآن (الا ذكر) عظة (للعالمين) للانس والجن العقلاء دون الملائكة (ولتعلمن) يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه (بعد حين) اى يوم القيامة وعلم بمعنى عرف واللام قبلها لام قسم مقدر اى والله

﴿ سورة الزمر مكية الا قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآية فمدنية وهى خمس وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (انا انزلنا اليك) يا محمد (الكتاب بالحق) متعلق بانزل (فاعبد الله) مخلصا له الدين) من الشرك اى موحدا له (الا لله الدين الخالص) لا يستحقه غيره (والذين اتخذوا من دونه) الاصنام (اولياء) وهم كفار مكة قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) قربى مصدر بمعنى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) و بين المسلمين (فيما هم فيه يختلفون) من امر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (ان الله لا يهدى من هو كاذب) فى نسبة الولد اليه (كفار) بعبادته غير الله

لقوله

لقوله لو اراد الله الخ و يصح ان يكون من تتمة ماقبله وحينئذ فيقال كاذب فى نسبة الالوهية لغيره تعالى (قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا) اى لو تعلقت ارادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير والآية اشارة الى قياس استثنائى حذفت صغراه ونتيجته وتقريره ان يقال لو اراد الله أن يتخذ ولد الاصطفى مما يخلق مايشاء لكنه لم يصطف من خلقه شيا فلم يرد ان يتخذ ولدا (قوله غير من قالوا) اى غير المخلوق الذي قالوا فى شانه انه ابن الله (قوله تنزيها له عن اتخاذ الولد) اى لانه ممتنع عقلا ونقلا اما عقلا فلانه يلزم ان يكون الولد من جنس خالقه وكونه جنسا منه يستلزم حدوث الخالق وهو باطل واما نقلا فقد تواترت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والكتب السماوية على ان الله تعالى لم يتخذ ولدا (قوله هو الله الواحد القهار) هذا بيان لتنزهه فى الصفات اثر بيان تنزهه فى الذات لان الوحدة تنافى المماثلة فضلا عن الولد والقهارية تنافى قبول الزوال الخروج الى الولد والا لكان مقهورا تعالى الله عن ذلك (قوله خلق السموات والارض) تفصيل لبعض افعاله الدالة على انفراده بالالوهية واتصافه بالصفات الجليلة (قوله يكور الليل) من التكوير وهو فى الاصل اللف واللى يقال كور العمامة على رأسه أى لفها ولواها ثم استعمل فى الادخال والاغشاء فكان الليل يغشى النهار والنهار يغشي الليل (قوله فيزيد) تقدم ان منتهى الزيادة اربعة عشرة ساعة ومنتهى النقص عشر ساعات فالزيادة اربع ساعات تارة تكون فى الليل وتارة تكون فى النهار (قوله ليوم القيامة) أى ثم ينقطع جريانه لانتقال العالم من الدنيا فان تسخير الشمس والقمر انما كان فى الدنيا لمصالح العالم فلما انتقل العالم فقد فرغت مصالحه (قوله ألا هو العزيز الغفار) انما صدرت الجملة بحرف التنبيه للدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها كانه قال تنبهوا ياعبادى فانى الغالب على أمرى الستار لذنوب خلقى فلا تشركوا بى شيا وأخلصوا عبادتكم لى (قوله خلقكم من نفس واحدة) هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة والقهر وجميع صفات الالوهية (قوله ثم جعل منها زوجها) ان قلت ان ثم للترتيب فيقتضي ان خلق الذرية قبل خلق حواء وهو خلاف المعروف المشاهد * واجيب بثلاثة اجوبة الاول ان ثم لمجرد الاخبار لا للترتيب الايجاد الثانى ان المعطوف متعلق بمعنى واحدة وثم عاطفة عليه كانه قال خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها ثم شفعت بزوج الثالث ان معنى خلقكم من نفس واحدة اخرجكم منها يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة لان الله تعالى خلق آدم وأودع فى صلبه اولاده كالذر ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم الى ظهره ثم خلق منه حواء (قوله وانزل لكم من الانعام الخ) انما عبر عنها بالنزول لانها تكونت بالنبات وهو غذاء لها والنبات بالماء المنزل فهو يسمى عندهم بالتدريج ومنه قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا الآية وقيل ان الانزال حقيقة لما روى ان الله خلق الانعام فى الجنة ثم انزلها فى الارض كما قيل فى قوله تعالى وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان آدم لما أهبط الى الارض نزل معه الحديد (قوله ثمانية أزواج) الزوج ما معه آخر من جنسه ولا يستغنى باحدهما عن الآخر (قوله كما بين فى سورة الانعام) أى فى قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين الآيات (قوله يخلقكم فى بطون أمهاتكم) هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله خلقا) مصدر ليخلقكم وقوله من بعد خلق صفة لخلقا (قوله اى نطفا الخ) فيه قصور وعكس ترتيب الايجاد فالمناسب ان يقول اى حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (قوله فى ظلمات) بدل اشتمال من بطون أمهاتكم باعادة الجار ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر لانه من تتمة العامل فليس باجنبي (قوله وظلمة المشيمة) اى فهى داخل الرحم

(لو اراد الله ان يتخذ ولدا) كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) واتخذه ولدا غير من قالوا من الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله (سبحانه) تنزيها له عن اتخاذ الولد (هو الله الواحد القهار) لخلقه (خلق السموات والارض بالحق) متعلق بخلق (يكور) يدخل (الليل على النهار) فيزيد (ويكور النهار) يدخله (على الليل) فيزيد (وسخر الشمس والقمر كل يجرى) فى فلكه (لاجل مسمى) ليوم القيامة (الا هو العزيز) الغالب على أمره المنتقم من اعدائه (الغفار) لاوليائه (خلقكم من نفس واحدة) أى آدم (ثم جعل منها زوجها) حواء (وانزل لكم من الانعام) الابل والبقر والغنم الضان والمعز (ثمانية أزواج) من كل زوجان ذكر وانثى كما بين فى سورة الانعام (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) اى نطفا ثم علقا ثم مضغا (فى ظلمات ثلاث) هى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة

(ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون) عن عبادته الى عبادة غيره (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) وان أراده من بعضهم (وان تشكروا) الله فتؤمنوا (يرضه) بسكون الهاء وضمها مع اشباع ودونه اى الشكر (لكم ولا تزر) نفس (وازرة وزر) نفس (أخرى) اى لا تحمله (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (واذا مس الانسان) اى الكافر (ضر دعا ربه) تضرع (منيبا) راجعا (اليه ثم اذا خوله نعمة) اعطاه انعاما (منه نسى) ترك (ما كان يدعو) يتضرع (اليه من قبل) وهو الله فما فى موضع من (وجعل لله أندادا) شركاء (ليضل) بفتح الياء وضمها (عن سبيله) دين الاسلام (قل تمتع بكفرك قليلا) بقيسة أجلك (انك من أصحاب النار أمن) بتخفيف الميم (هو قانت) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) فى الصلاة (يحذر الآخرة) اى يخاف عذابها (ويرجو رحمة) جنة (ربه) كمن هو عاص بالكفر او غيره

وهو داخل البطن والمشيمة بوزن كريمة واصلها مشيمة بسكون الشين وكسر الياء نقلت كسرة الياء الى الساكن قبلها وهى غشاء ولد الانسان ويقال لها الغلاف والكيس ويقال لها من غير ولد الانسان السلا (قوله ذلكم) مبتدأ والله ربكم خبران له وجملة له الملك خبر ثالث (قوله لا اله الا هو) جملة مستانفة نتيجة ما قبله اى حيث ثبت انه ربنا وله الملك نتج منه انه لا اله الا هو (قوله فانى تصرفون) اى تمنعون (قوله فان الله غنى عنكم) اى له الغنى المطلق فلا يفتقر الى ما سواه (قوله ولا يرضى لعباده الكفر) اى لا يفعل فعل الراضى بان يثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويعاقب فاعله ويذمه عليه (قوله وان اراده من بعضهم) اشار بهذا الى انه لا تلازم بين الرضا والارادة بل قد يرضى ولا يريد وقد يريد ولا يرضى وانما التلازم بين الامر والرضا خلافا للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والارادة وبنوا على ذلك أمورا فاسدة ومن هنا قال العلماء ان الامور اربعة تارة يامر ويريد وهو الايمان من المؤمنين وتارة لا يامر ولا يريد وهو الكفر منهم وتارة يامر ولا يريد وهو الايمان من الكفار وتارة يريد ولا يامر وهو الكفر من الكفار وحكى ان رجلا من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة فقال المعتزلى سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال السنى سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يشاء فقال المعتزلى أيريد ربك أن يعصى فقال السنى أيعصى ربنا قهرا فقال المعتزلى أرأيت ان منعنى الهدى وحكم على بالردى أحسن الى أم أساء فقال ان منعك ما هو لك فقد اساء وان منعك ما هو له فالمالك يفعل فى ملكه كيف يشاء فبهت المعتزلى (قوله يرضه لكم) اى لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه به تعالى الله عن ذلك (قوله بسكون الهاء الخ) اى فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى) اى لا يحمل شخص اثم كفر شخص آخر وما ورد من ان الدال على الشر كفاعله فمعناه ان عليه اثم فعله واثم دلالته ولا شك ان دلالته من فعله فآل الامر الى ان عقابه على فعله لا على فعل غيره وقوله وازرة اى واما غير الوازرة فتحمل وزر غيرها بمعنى أن من كان ناجيا وأذن له فى الشفاعة يشفع فى غيره فينتفع المشفوع له بتلك الشفاعة ان كان مسلما وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر (قوله انه عليم بذات الصدور) علة لقوله فينبئكم بما كنتم تعملون اى يخبركم باعمالكم لانه عليم بما فى القلوب فضلا عن غيرها (قوله اى الكافر) أشار بهذا الى ان أل فى الانسان للعهد (قوله ضر) المراد به جميع المكاره كانت فى نفسه أو ماله أو أهله (قوله منيبا اليه) اى تاركا عبادة الاصنام لعلمه بانها لا تقدر على كشف ما نزل به (قوله اعطاه انعاما) اى اعطاه على سبيل الانعام والاحسان فانعاما مفعول لاجله لان التحويل هو اعطاء النعم على سبيل التفضل والاحسان من غير مقتض لها (قوله وهو الله) اشار بذلك الى ان ما موصولة بمعنى الذى مرادا بها الله تعالى ويصح ان يراد بها الضر والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو لكشفه ويصح ان تكون ما مصدرية والمعنى نسى كونه داعيا من قبل تخويل النعمة والاظهر ما قاله المفسر (قوله ليضل) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله بفتح الياء وضمها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل تمتع بكفرك) الامر للتهديد وفيه أشعار بقنوطه من التمتع فى الآخرة (قوله بقية أجلك) أشار بذلك الى ان قليلا صفة لموصوف محذوف أى زمانا قليلا (قوله انك من أصحاب النار) أى ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام (قوله أمن هو قانت) هذا من تمام الكلام المامور بقوله وحينئذ فالمعنى قل للكافر أمن هو قانت الخ (قوله بتخفيف الميم) اى والهمزة للاستفهام الانكارى ومن موصولة مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله كمن هو عاص (قوله آناء الليل) جمع انى بالكسر والقصر كمعى وأمعاء (قوله ساعاته) أى أوله وأوسطه وآخره وفى الآية

دليل على أفضلية قيام الليل على النهار لما فى الحديث مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لا يناموون وقال ابن عباس من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل (قوله وفى قراءة أمن) اى بالتشديد وعليها فام داخلة على من الموصولة فادغمت الميم فى الميم وترسم على هذه القراءة ميما واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف اتباعا لرسم المصحف والاعراب على كل من القراءتين واحد لا يتغير وقوله بمعنى بل اى التى للاضراب الانتقالى وقوله والهمزة أى التى للاستفهام الانكارى والقراءتان سبعيتان (قوله الذين يعلمون) أى وهم المؤمنون العارفون بربهم وقوله والذين لا يعلمون أى وهم الكفار (قوله أى لا يستويان) أشار به الى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله انما يتذكر أولوا الالباب) أى أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة وخصهم لانهم المنتفعون بالتذكر (قوله قل يا عبادى الخ) أمر الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم باوامر لنفسه ولامته زيادة فى الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى واجتناب الشكوك والاوهام (قوله بان تطيعوه) أى تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه وهو تفسير للتقوى التى هى جعل العبد بينه وبين العذاب وقاية (قوله للذين) خبر مقدم وأحسنوا صلته وفى هذه الدنيا متعلق باحسنوا وحسنة مبتدأ مؤخر (قوله هى الجنة) أى بجميع مافيها من النعيم المقيم فهى بمعنى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله وأرض الله واسعة) جملة من مبتدا وخبر وهى حالية (قوله فهاجروا اليها الخ) أشار بذلك الى أن المراد بالارض أرض الدنيا والمعنى من تعسرت عليه التقوى فى محل فليهاجر الى محل آخر يتمكن فيه من ذلك اذ لا عذر فى التفريط أصلا وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطا فى صحة الاسلام فلما فتحت مكة نسخ كونه شرطا وصارت تعتريها الاحكام فتارة تكون واجبة كما اذا هاجر من أرض لا يتيسر له فيها اقامة دينه لارض يتعلم فيها دينه ويقيم شعائره وتارة تكون مندوبة كما اذا هاجر من أرض لا أخيار بها الارض بها أخيار يجتمع عليهم للارشاد وتكون مكروهة كما اذا هاجر من أرض بها الاخيار وأهل العلم والصلاح لارض لا أخيار بها ولا علم ولا عمل وتارة تكون محرمة كما اذا هاجر من أرض يامن فيها على دينه لارض لا يامن فيها عليه (قوله انما يوفى الصابرون) هذا ترغيب فى التقوى المامور بها (قوله على الطاعات) أى أو عن المعاصى (قوله ومايبتلون به) أى ومن جملته مفارقة الوطن المامور بها فى قوله وأرض الله واسعة (قوله بغير حساب) أى لما ورد تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قوله قل انى أمرت أن أعبد الله الخ) الحكمة فى هذا الاخبار اعلام الامة بان يتصفوا به ويلزموه فان العادة ان المتصف بخلق ثم يامر به أو يعرض بالامر به يؤثر فى غيره كما قيل حال رجل فى ألف رجل أنفع من حال ألف رجل فى رجل (قوله من هذه الامة) جواب عما يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس أول المسلمين مطلقا فاجاب بان الاولية بحسب سبق الدعوة (قوله قل انى أخاف) سبب نزولها ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذى أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتاخذ بها فنزلت فالمقصود منها زجر الغير عن المعاصى لانه صلى الله عليه وسلم اذا كان خائفا مع كمال طهارته وعصمته ففيره أولى وذلك سنة الانبياء والصالحين حيث يخبرون غيرهم بما هم متصفون به ليكونوا مثلهم لا الملوك والمتجبرين حيث يامرون غيرهم بما لم يتصفوا به (قوله فيه تهديد لهم) أى من حيث الامر (قوله وايذان) أى اعلام (قوله الذين خسروا) خبر ان (قوله وأهليهم) أى أزواجهم وخدمهم يوم القيامة لما ورد أن الله تعالى جعل لكل انسان منزلا وأهلا فى

وفى قراءة أ من قام بمعنى بل والهمزة (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أى لا يستويان كما لا يستوى العالم والجاهل (انما يتذكر) يتعظ (أولوا الالباب) أصحاب العقول (قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) أى عذابه بان تطيعوه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا) بالطاعة (حسنة) هى الجنة (وأرض الله واسعة) فهاجروا اليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات (انما يوفى الصابرون) على الطاعة وما يبتلون به (أجرهم بغير حساب) بغير مكيال ولا ميزان (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) من الشرك (وأمرت لان) أى بان (أكون أول المسلمين) من هذه الامة (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى) من الشرك (فاعبدوا ما شئتم من دونه) غيره فيه تهديد لهم وايذان بانهم لا يعبدون الله تعالى (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم

الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل المراد أهلهم فى الدنيا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لارجوع بعده (قوله يوم القيامة) أى حين يدخلون النار (قوله بتخليد الانفس) راجع لقوله انفسهم وقوله بعد وصولهم الى الحور العين الخ راجع لقوله وأهليهم على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله ألا ذلك هو الخسران المبين) أى الذى لا خفاء فيه وتصدير الجملة بادا التنبيه اشارة الى فظاعته وشناعته (قوله لهم من فوقهم ظلل) لهم خبر مقدم وظلل مبتدأ مؤخر ومن فوقهم حال (قوله طباق) أى قطع كبار واطلاق الظلل عليها تهكم والا فهى محرقة والظلة تقى من الحر (قوله ومن تحتهم ظلل) أى لغيرهم وان كان فراشا لهم لان النار دركات فما كان فراشا لجماعة يكون ظلة لآخرين (قوله ذلك يخوف الله به عباده) اى فالحكمة فى ذكر أحوال أهل النار تخويف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم (قوله يدل عليه) أى على الوصف المقدر وهو قوله المؤمنين (قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الخ) قيل نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم سألوا أبا بكر رضي الله عنه فاخبرهم بايمانه فآمنوا (قوله الاوثان) هذا أحد أقوال فى تفسيره وقيل هو الشيطان وقيل كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل غير ذلك (قوله لهم البشرى بالجنة) أى على ألسنة الرسل أو على ألسنة الملائكة عند حضور الموت وفى الحقيقة البشرى تحصل لهم فى الدنيا بالثناء عليهم بصالح اعمالهم وعند الموت وعند الوضع فى القبر وعند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند المرور على الصراط ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بالروح والريحان (قوله فبشر عبادى) أى الموصوفين باجتناب الاوثان والانابة الى الله تعالى والاضافة لتشريف المضاف (قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل المراد يسمعون الحسن والقبيح فيتحدثون بالحسن ويكفون عن القبيح وقيل يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يسمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون المحكم ويعملون به ويتركون المتشابه ويفوضون علمه لله تعالى وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة وكل صحيح (قوله أولئك الذين هداهم الله) أى الموصوفون بتلك الاوصاف (قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب الخ) يحتمل ان من شرطية وجوابها قوله أفانت تنقذ من فى النار كما قال المفسر وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الانكار ولطول الكلام وأقيم الظاهر مقام المضمر أى أفانت تنقذه ويحتمل انها موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره أنت لا تنفعه فجملة قوله أفانت تنقذ من فى النار مستقلة مؤكدة لما قبلها وهذه الآية نزلت فى حق أبى لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان وقد كان حريصا على ايمانهم (قوله والهمزة) أى الاولى والثانية توكيد لها (قوله للانكار) أى الاستفهام الانكارى (قوله والمعنى لا تقدر على هدايته الخ) اشار بهذه الى ان قوله أفانت تنقذ من فى النار مجاز مرسل حيث أطلق المسبب وأراد السبب لان الادخال فى النار مسبب عن الضلال وترك الهدى كانه قال أنت تهدى من أضله الله وجعل له النار بسبب ضلاله وجعلها السمرقندى فى حواشي رسالته استعارة بالكناية حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول فى النار على طريق المكنية فى المركب وحذف المركب الدال على المشبه به ورمز له بذكر شئ من لوازمه وهو الانقاذ وفيه اشكال انظر بسطه فى حاشيتنا على رسالة البيان لاستاذنا الشيخ الدردير (قوله لكن الذين أتقوا) أى وهم الموصوفون بالصفات الجميلة السابقة المخاطبون بقوله يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية ولكن ليست للاستدراك وانما هى للاضراب عن قصة الى قصة

يوم القيامة) بتخليد الانفس فى النار وبعدم وصولهم الى الحور المعدة لهم فى الجنة لو آمنوا (ألا ذلك هو الخسران المبين) البين (لهم من فوقهم ظلل) طباق (من النار ومن تحتهم ظلل) من النار (ذلك يخوف الله به عباده) أى المؤمنين ليتقوه يدل عليه (يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت) الاوثان (أن يعبدوها وأنابوا) أقبلوا (الى الله لهم البشرى) بالجنة (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وهو ما فيه صلاحهم (أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الالباب) اصحاب العقول (أفمن حق عليه كلمة العذاب) أى لا ملان جهنم الآية (أفانت تنقذ) تخرج (من فى النار) جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار (لكن الذين أتقوا ربهم) بان اطاعوه

مخالفة للاولى (قوله لهم غرف من فوقها غرف) مقابل قوله فى حق اهل النار لهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (قوله بفعله المقدر) أى وتقديره وعدهم الله وعدا (قوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء الخ) استئناف مسوق لبيان تمثيل الحياة الدنيا فى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها بما ذكر من احوال الزرع تحذيرا عن زخارفها والاغترار بها (قوله ادخله أمكنة نبع) أى فمراده بالينابيع الامكنة التى أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد بحيث تكون قريبة من وجه الارض وتطلق الينابيع على نفس الماء الجارى على وجه الارض وكل صحيح (قوله ثم يخرج به زرعا) صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها (قوله مختلفا الوانه) اى من احمر وأخضر واصفر وأبيض واختلاف تلك الالوان اما فى ثماره او فى عوده ومراده بالزرع كل ما يستنبت (قوله فتاتا) أى متفتتا ومتمزقا (قوله أفمن شرح الله صدره الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره الخ والاستفهام انكارى ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن طبع الخ وهذه الآية مرتبة على قوله انما يتذكر أولوا الالباب (قوله فهو على نور من ربه) أى نور المعرفة والاهتداء وفى الحديث اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله (قوله دل على هذا) اى القدر (قوله كلمة العذاب) أى كلمة تفيد العذاب المخاطب بها (قوله اى عن قبول القرآن) أشار بذلك الى ان من بمعنى عن وفى الكلام مضاف محذوف ويصح ان تبقى من على بابها للتعليل أى قست قلوبهم من اجل ذكر الله لفسادها وخسرانها ومن المعلوم المشاهد أن الاطعمة الفاخرة تكون داء لبعض المرضى ومن هنا قول بعض العارفين ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب (قوله الله نزل احسن الحديث الخ) سبب نزولها ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل لهم بعض ملل فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثا حسنا فنزلت (قوله فى النظم) اى اللفظ وقوله وغيره اى المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع قال البوصيرى رضى الله عنه فى هذا المعنى

ردت بلاغتها دعوى معارضها * ردالغيور يد الجانى عن الحرم
فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام من الاكثار بالسام

واعلم انه فى هذه الآية أثبت ان القرآن متشابه وفى آية أخرى اثبت انه محكم وفى آية اخرى ان بعضه محكم وبعضه متشابه ووجه الجمع بينهما ان المراد بالمتشابه فى آية الاقتصار عليه ما أشبه بعضه بعضا فى اللفظ والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب وبالمحكم فى آية الاقتصار عليه ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبالمتشابه فى آية الجمع ما خفى معناه وبالمحكم ما ظهر معناه وتقدم هذا الجمع (قوله مثانى) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير ووصف به المفرد وهو الكتاب لان الكتاب جملة ذات تفاصيل تثنى وتكرر نظير قولك الانسان عروق وعظام واعصاب (قوله وغيرها) أى كالقصص والاحكام (قوله تقشعر منه) أى تنقبض وتنجمع من الخوف (قوله عند ذكر وعيده) أشار بهذا الى ان الى بمعنى عند (قوله تطمئن) اى تسكن وتستقر (قوله أى عند ذكر وعده) أشار بهذا الى ان الى بمعنى عند فالتضمين فى الحرف وهو واحد وجهين والآخر أنه ضمن تاين معنى تسكن فعداه بالى والمفسر قد جمع بينهما والحاصل ان الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن فحالة ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيقشعر وفى حال ذكر الوعد يغلب عليه الرجاء فيتسع صدره وتطمئن نفسه لان الخوف والرجاء مصحوبان للعبد كجناحى الطائر ان عدم احدهما سقط (قوله اى الكتاب) اى الموصوف بتلك الصفات (قوله هدى الله) اى سبب فى

(لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية (وعد الله) منصوب بفعله المقدر (لا يخلف الله الميعاد) وعده (الم تر) تعلم (ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع) ادخله امكنة نبع (فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج) ييبس (فتراه) بعد الخضرة مثلا (مصفرا ثم يجعله حطاما) فتاتا (ان فى ذلك لذكرى) تذكيرا (لاولى الالباب) يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته (أفمن شرح الله صدره للاسلام) فاهتدى (فهو على نور من ربه) كمن طبع على قلبه دل على هذا (فويل) كلمة عذاب (للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى عن قبول القرآن (أولئك فى ضلال مبين) بين (الله نزل احسن الحديث كتابا) بدل من احسن اى قرآنا (متشابها) اى يشبه بعضه بعضا فى النظم وغيره (مثانى) ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرها (تقشعر منه) ترتعد عند ذكر وعيده (جلود الذين يخشون) يخافون (ربهم ثم تلين) تطمئن (جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى عند ذكر وعده (ذلك) أى الكتاب (هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من ها

الهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى (قوله أفمن يتقى) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقى الخ ومن اسم موصول مبتدا خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن أمن منه (قوله مغلولة يداه) اى وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة فتشتعل النار فيها وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يده وعنقه (قوله وقيل للظالمين) التعبير بالماضى لتحقق الحصول (قوله اى كفار مكة) الاوضح ان يقول اى الكفار من هذه الامة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله كذب الذين من قبلهم) بيان لحال المكذبين قبلهم وما حصل لهم فى الدنيا من العذاب (قوله لا تخطر ببالهم) المراد بالجهة السبب أى أتاهم العذاب بسبب لا يخطر ببالهم كاللواط فى قوم لوط مثلا (قوله لو كانوا يعلمون) أى يصدقون ويوقنون وقوله ما كذبوا جواب لو (قوله ولقد ضربنا) اللام موطئة لقسم محذوف ومعنى ضربنا بينا ووضحنا (قوله حال مؤكدة) أى لفظ قرآنا وكما تسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موطئة بالنسبة لما بعدها كما تقول جاء زيد رجلا صالحا (قوله غير ذى عوج) نعت لقرآنا أو حال أخرى (قوله أى لبس واختلاف) أى فمعناه صحيح لا لبس ولا تناقض فيه (قوله لعلهم يتقون) علة لقوله لعلهم يتذكرون (قوله ضرب الله مثلا الخ) المعنى اضرب يا محمد لقومك هذا المثل واذكره لهم لعلهم يؤمنون (قوله متشاكسون) التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق ومثله التشاحس بحاء معجمة بدل الكاف (قوله ورجلا سالما) بالف بعد السين مع كسر اللام وتركها مع فتح السين واللام قراءتان سبعيتان فالاولى اسم فاعل والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة وقرئ شذوذا بكسر السين وسكون اللام (قوله هل يستويان) الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله تمييز) اى محول عن الفاعل والمعنى لا يستوى مثلهما وصفتهما (قوله أى لا يستوى العبد لجماعة) هذا هو المثل المحسوس للمشرك الذى يعبد غير الله فقوله لجماعة أى سيئة اخلاقهم وقوله والعبد لواحد هذا هو المثل المحسوس للموحد الذى يعبد الله وحده وقوله فان الاول الخ تقرير للمثل الاول ولم يتعرض للثانى لوضوحه (قوله الحمد لله) أى على عدم استواء هذين الرجلين (قوله بل اكثرهم لا يعلمون) أى مع بيان ظهوره وهو اضراب انتقالى من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان أن اكثر الناس لا يعلمون ذلك (قوله انك ميت) العامة على التشديد وهو من سيموت وأما الميت بالتخفيف فهو من فارقته الروح بالفعل (قوله فلا شماتة بالموت) الشماتة الفرح ببلية العدو (قوله نزلت لما استبطؤا موته الخ) أى وذلك انهم كانوا ينتظرون موته فاخبر الله تعالى بان الموت يعمهم فلا معنى لشماتة الفانى بالفانى (قوله أيها الناس) أى مؤمنكم وكافركم وقوله تختصمون أى يخاصم بعضكم بعضا فيقتص للمظلوم من الظالم لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المفلس من يأتى يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار (قوله اى لا أحد) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله ممن كذب على الله) أى ومن جملة الكذب على الله الكذب على رسوله بان يقول مثلا قال رسول الله كذا أو هذا شرعه والحال انه لم يكن قاله ولم يكن شرعه (قوله اذ جاءه) ظرف لكذب بالصدق

من حيث لا يشعرون) من جهة لا تخطر ببالهم (فاذاقهم الله الخزى) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا) أى المكذبون (يعلمون) عذابها ما كذبوا (ولقد ضربنا) جعلنا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) يتعظون (قرآنا عربيا) حال مؤكدة (غير ذى عوج) أى لبس واختلاف (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله) للمشرك والموحد (مثلا رجلا) بدل من مثلا (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون سيئة اخلاقهم (ورجلا سالما) خالصا (لرجل هل يستويان مثلا) تمييز أى لا يستوى العبد لجماعة والعبد لواحد فان الاول اذا طلب منه كل من مالكيه خدمته فى وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم وهذا مثل للمشرك والثانى مثل للموحد (الحمد لله) وحده (بل اكثرهم) اى اهل مكة (لا يعلمون) ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون (انك) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (ميت وانهم ميتون) ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت نزلت لما استبطؤا موته صلى الله عليه وسلم (ثم انكم) أيها الناس فيما بينكم من المظالم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فمن) اى لا أحد (اظلم ممن كذب على الله) بنسبة الشريك والولد اليه (وكذب بالصدق) بالقرآن (اذ جاءه الیس فى جهنم مثوى) ماوى (للكافرين)

والمعنى

بلى (والذى جاء بالصدق) هو النبي صلى الله عليه وسلم (وصدق به) هم المؤمنون فالذى بمعنى الذين (أولئك هم المتقون) الشرك والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه (قوله بلى) اشار بذلك الى أن الاستفهام تقريرى والمعنى فى جهنم مثوى للكافرين لان بلى يجاب بها النفى ويصيره اثباتا كما تقدم (قوله فالذى بمعنى الذين) اى بالنسبة للصلة الثانية ولذا روعى معناه فجمع فى قوله أولئك هم المتقون وروعى لفظه فى قوله جاء وصدق (قوله لهم مايشاؤن) اى كل مايشتهون من وقت حضور الموت كالامن من الفتانات عنده ومن فتنة القبر وعذابه ومن هول الموقف الى غير ذلك (قوله لا نفسهم) متعلق بالمحسنين وفيه اشارة الى أن احسان الانسان لنفسه وثمرته عائدة عليها فلا يعود على الله نفع محسن ولا ضر مسيء تعالى الله عنه والاحسان للنفس يكون بطاعة الله والالتجاء اليه وبذل المعروف للخلق محبة فى الخالق وبهذا تكون النفس عزيزة ومن أعز نفسه أعزه الله * وبضدها تتميز الاشياء * (قوله ليكفر الله عنهم) متعلق بمحذوف اى يسر الله لهم ذلك ليكفر الخ واللام للعاقبة والصيرورة وهو تفصيل لقوله لهم مايشاؤن (قوله بمعنى السيء والحسن) اى فافعل التفضيل ليس على بابه وهو جواب عما يقال مقتضاه انه يكفر عنهم الاسوأ فقط ويجازون على الاحسن فقط ولا يكفر عنهم السيء ولا يجازون على الحسن (قوله عبده) اى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد به الخالص فى العبودية لله وهو الاتم ويؤيده قراءة عباده بالجمع وهى سبعية أيضا والمعنى ان من أخلص لله فى عبادته كفاه ما أهمه فى دينه ودنياه وآخرته (قوله ويخوفونك) يصح ان تكون الجملة حالية والمعنى ان الله كافيك فى كل حال حتى فى حال تخويفهم لك ويصح ان تكون مستانفة (قوله أو تخبله) اى تفسد أعضاءه وتذهب عقله (قوله ذى انتقام) أى ينتقم من أعدائه لاوليائه وتاخير قوله بلى للاشارة الى انه راجع لقوله ذى انتقام ايضا (قوله ليقولن الله) أى فلا جواب لهم غيره لقيام البراهين الواضحة على انه المنفرد بالخلق والايجاد (قوله قل أفرأيتم الخ) رأى متعدية لمفعولين الاول قوله ماتدعون والثانى قوله هل هن كاشفات ضره الخ وقوله ان أرادنى الخ جملة شرطية معترضة بين المفعول الاول والثانى وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثانى عليه وتقديره لا كاشف له غيره (قوله ان أرادنى الله بضر) قدمه لان دفعه أهم وخص نفسه لانه جواب لتخويفه من الاصنام (قوله هل هن) عبر عنها بضمير الاناث تحقيرا لها ولانهم كانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى ومناة (قوله وفى قراءة بالاضافة) اى وهى سبعية أيضا (قوله قل حسبى الله) اى كافى فلا التفت لغيره (قوله يثق الواثقون) اى يعتمد المعتمدون (قوله قل ياقوم اعملوا الخ) هذا الامر للتهديد (قوله حالتكم) اى وهى الكفر والعناد وفيه تشبيه الحال بالمكان بجامع الثبوت والاستقرار فى كل (قوله مفعولة العلم) اى لانها بمعنى عرف فتنصب مفعولا واحدا (قوله يخزيه) اى يهينه ويذله (قوله للناس) اى لمصالح الناس فى معاشهم ومعادهم (قوله متعلق بانزل) ويصح ان يكون متعلقا بمحذوف حال اما من فاعل أنزل أو من مفعوله (قوله وما أنت عليهم بوكيل) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى ليس هداهم بيدك ولا فى ضمانتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه وانما هو بيدنا فان شئنا هديناهم وان شئنا أبقيناهم على ماهم عليه من الضلال (قوله الله يتوفى الانفس حين موتها) اى يقبض الارواح عند حضور آجالها فالنفس والروح شىء واحد على التحقيق وذلك القبض ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس وباطنا بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة (قوله ويتوفى التى لم تمت فى منامها) أشار بذلك الى ان الموصول معطوف على الانفس مسلط عليه يتوفى والمعنى يقبض الارواح التى لم تحضر آجالها عند نومها ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس لا باطنا فان الحياة والنفس والحركة باقية ولذا عرفوا النوم بانه فطرة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه

(لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين) لانفسهم بايمانهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) أسوأ واحسن بمعنى السيء والحسن (أليس الله بكاف عبده) اى النبي بلى (ويخوفونك) الخطاب له (بالذين من دونه) اى الاصنام ان تقتله أو تخبله (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) غالب على أمره (ذى انتقام) من اعدائه بلى (ولئن) لام قسم (سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون) تعبدون (من دون الله) اى الاصنام (ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) لا (أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته) لاوفى قراءة بالاضافة فيهما (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انى عامل) على حالتى (فسوف تعلمون من) موصولة مفعولة العلم (يأتيه عذاب يخزيه ويحل) ينزل (عليه عذاب مقيم) دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله ببدر (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق) متعلق بانزل (فمن اهتدى فلنفسه) اهتداؤه (ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل) فتجبرهم على الهدى (الله يتوفى الانفس حين موتها و) يتوفى (التى لم تمت فى منامها) اى يتوفاها وقت النوم

(فيمسك التى قضى عليها الموت و يرسل الاخرى الى اجل مسمى) اى وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (ان فى ذلك) المذكور (لآيات) دلالات (لقوم يتفكرون) فيعلمون ان القادر على ذلك قادر على البعث وقريش لم يتفكروا فى ذلك (أم) بل (اتخذوا من دون الله) اى الاصنام آلهة (شفعاء) عند الله بزعمهم (قل) لهم (أ) يشفعون (ولو كانوا لا يملكون شيا) من الشفاعة وغيرها (ولا يعقلون) انكم تعبدونهم ولا غير ذلك لا (قل لله الشفاعة جميعا) أى هو مختص بها فلا يشفع أحد الا باذنه (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده) اى دون آلهتهم (اشمازت) نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) اى الاصنام (اذا هم يستبشرون قل اللهم) يمعنى يا الله (فاطر السموات والارض) مبدعهما (عالم الغيب والشهادة) ماغاب وما شوهد (انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق (ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا) ظهر (لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) يظنون (و بدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) اى العذاب (فاذا مس الانسان) الجنس (ضر دعانا ثم اذا خولناه) أعطيناه (نعمة) انعاما (منا قال انما أوتيته على علم) من الله بانى له اهل (بل هى) اى القولة (فتنة) بلية يبتلى بها العبد (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان التخويل استدراج وامتحان (قد قالها الذين من قبلهم) من الامم كقارون وقومه الراضين بها (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم

الحركة وعقله الادراك وأما فى حالة اليقظة فالروح سارية فى الجسد ظاهرا و باطنا لانها جسم لطيف شفاف مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر على هيئة جسد صاحبها وقيل مقرها القلب وشعاعها مقوم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج فاصلها فى وسطه ونورها سار فى جميع أجزائه (قوله فيمسك التى قضى عليها الموت) اى لا يردها الى جسدها و تحيا حياة دنيوية (قوله اى وقت موتها) ظاهره ان قوله الى اجل مسمى راجع لقوله و يرسل الاخرى فقط و يصح رجوعه له وللذى قبله و يراد بالاجل المسمى فى الممسوكة النفخة الثانية (قوله نفس التمييز) اى والاحساس (قوله نفس الحياة) أى والحركة والنفس (قوله بخلاف العكس) اى فمتى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والاحساس واعلم انه اختلف هل فى الانسان روح واحدة والتعدد باعتبار اوصافها وهو التحقيق أو روحان احداهما روح اليقظة التى أجرى الله العادة بانها اذا كانت فى الجسد كان الانسان متيقظا فاذا خرجت منه نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات والاخرى روح الحياة التى اجرى الله العادة بانها اذا كانت فى الجسد كان حيا فاذا فارقته مات فاذا رجعت اليه حي وكلام المفسر محتمل للقولين (قوله المذكور) اى من التوفى والامساك والارسال (قوله وقريش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله ام اتخذوا اضرابا انتقاليا (قوله أى الاصنام) بيان للمفعول الاول (قوله أيشفعون) اشار بهذا الى ان الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه (قوله لا) اشار به الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله أى هو مختص بها) جواب عما يقال مقتضى الآية نفى الشفاعة عن غيره تعالى مع انه قد جاء فى الاخبار ان للانبياء والعلماء والشهداء شفاعات فاجاب بان المعنى لا يملك الشفاعة الا الله وشفاعات هؤلاء باذن الله ورضاه قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى (قوله ثم اليه ترجعون) اى تردون فيجازيكم باعمالكم (قوله واذا ذكر الله وحده) اذا معمولة لقوله اشمازت (قوله اذا هم يستبشرون) اى لنسيانهم حق الله تعالى وهذه الآية تجر بذيلها على اهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها على مجالس الطاعات (قوله قل اللهم) أى التجئ الى ربك بالدعاء والتضرع فانه القادر على كل شئ (قوله اى يا الله) اى فحذفت ياء النداء وعوض عنها الميم وشددت لتكون على حرفين كالمعوض عنه (قوله اهدنى) هذا هو المقصود بالدعاء وتمام تلك الدعوة النبوية على ماورد اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم (قوله ولو ان للذين ظلموا الخ) بيان لغاية شدة ما ينزل بهم (قوله لافتدوا به) اى بالمذكور من الامرين (قوله يوم القيامة) ظرف لافتدوا (قوله و بدا لهم الخ) كلام مستانف او معطوف على قوله ولو ان للذين ظلموا الخ (قوله سيآت ما كسبوا) اى الاعمال السيئة حين تعرض عليهم صحائفهم (قوله الجنس) اى فهو اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده (قوله انعاما) اى تفضلا واحسانا (قوله على علم من الله الخ) اى او منى بوجوه سببه اوانى أعطيته بسبب محبة الله لى وفلاحى (قوله اى القولة) اشار بذلك الى ان الضمير عائد على القولة وقيل عائد على النعمة والمعنى ان النعمة فتنة اى امتحان واختبار هل يشكر عليها او يكفرها (قوله ان التخويل) اى اعطاء النعم تفضلا واحسانا (قوله الراضين بها) أشار بذلك الى ان قومه لم يقولوها بالفعل وانما نسبت لهم

لهم من حيث رضاهم بها (قوله سيئات ما كسبوا) اى جزاء أعمالهم السيئة (قوله من هؤلاء) بيان للذين ظلموا (قوله فقحطوا سبع سنين) أى أوائل سنى الهجرة حتى أكلوا الجيف والعظم المحرق (قوله ثم وسع عليهم) اى استدراجا لهم لا رضا عليهم (قوله أولم يعلموا) اى القائلون انما أوتيته على علم عندى (قوله يبسط الرزق لمن يشاء) اى وان كان لا حيلة له ولا قوة طائعا أو عاصيا وقوله ويقدر أى لمن يشاء وان كان قويا شديدا طائعا أو عاصيا فليس لبسط الرزق الدنيوى ولا لقبضه مدخل فى محبة الله ولا بغضه بل بحكمته تعالى (قوله ان فى ذلك) أى المذكور (قوله قل يا عبادى الذين أسرفوا الخ) سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى وحشي قاتل حمزة يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وأنت تزعم انه من قتل أو أشرك أوزنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلى لا أقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال وحشي أراني بعد فى شبهة أيغفر لى أم لا فنزلت هذه الآية فقال وحشى نعم الآن لا أرى شرطا فاسلم وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن ثم قيل انها أرجى آية فى كتاب الله تعالى وفيها من أنواع المعانى والبيان أمور حسان منها اقباله تعالى على خلقه وندأوه اياهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة فى قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمائه الجامع لجميع الاسماء والصفات وهو لفظ الجلالة ومنها الاتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بان وضمير الفصل فى قوله انه هو الغفور الرحيم للاشارة الى انه تعالى لا وصف له مع عباده الا الغفران والرحمة ومناسبة هذه الآية لما قبلها ان الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم فى قوله ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا الآية أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن ليجمع العبد بين الرجاء والخوف (قوله الذين أسرفوا على أنفسهم) اى فرطوا فى الاعمال الصالحة وارتكبوا سيئ الاعمال وأكثروا منه (قوله لا تقنطوا من رحمة الله) ان قلت ان فى هذا اغراء بالمعاصى واتكالا على غفرانه تعالى وهو لا يليق أجيب بان المقصود تنبيه العاصى على أنه ينبغى له ان يقدم على التوبة ولا يقنط من رحمة الله وليس ذلك اغراء بالمعاصى بل هو تطمين للعصاة وترغيب لهم فى الاقبال على ربهم (قوله بكسر النون وفتحها) أى من باب جلس وسلم وهما سبعيتان (قوله وقرئ بضمها) أى من باب دخل وهى شاذة (قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا) أى اشراكا أو غيره وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر لان بها يخرج العاصى من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما فى الحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأما من مات مسلما ولم يتب من ذنوبه فامره مفوض اربه ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخله الجنة وأما من مات مشركا فلا يغفر له بنص قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ومن هنا قيل رحمة الله غلبت غضبه لان دار الغضب مخصوصة بمن مات مشركا بخلاف دار الرحمة فهى لمن عدا ذلك (قوله لمن تاب من الشرك) انما خص الشرك لان التوبة منه مقبولة قطعا بنص قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف بخلاف التوبة من غير الشرك ففيها قولان قيل مقبولة ظنا وقيل قطعا والفرق ان تعذيب العاصى تطهير وتعذيب الكافر غضب فما آل العاصى للجنة وان طالت مدته فى النار لان معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر فمعاملته بالعدل (قوله انه هو الغفور الرحيم) تعليل لما قبله وهذان الوصفان يكونان لمن تاب فالغفران له نجاته من النار والرحمة له دخوله الجنة (قوله وأنيبوا الى ربكم) أتى بهذه الآية عقب التى قبلها لئلا يتكل العاصى على الغفران ويترك التوبة والرجوع الى الله فافادان الرجوع

سيآت ما كسبوا) اى جزاؤها (والذين ظلموا من هؤلاء) أى قريش (سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين) بفائتين عذابنا فقحطوا سبع سنين ثم وسع عليهم (أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) به (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا) بكسر النون وفتحها وقرئ بضمها تياسوا (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) لمن تاب من الشرك (انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا) ارجعوا (الى ربكم وأسلموا) أخلصوا العمل (له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون) بمنعه

الى الله والاقبال عليه مطلوب ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم (قوله ان لم تتو بوا) راجع لقوله من قبل ان ياتيكم العذاب (قوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) أى على لسان احسن نبى وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معطوف على قوله وأنيبوا والمعنى ارجعوا الى ربكم والزموا أوامر أحسن كتاب انزل اليكم ونواهيه وهذا الخطاب عام للاولين والآخرين من لدن آدم الى يوم القيامة ولكن من ادركه التكليف كلف باتباعه ومن لم يدركه بان كان متقدما عليه يلزمه اتباعه لو فرض انه ادركه ومن هنا اخذ الميثاق على الانبياء وامهم أنه ان ظهر محمد وأحدهم حي يلزمه اتباعه وفى الحديث لو ادركنى موسى ما وسعه الا اتباعى وحينئذ فالمعنى اتبعوا يا عبادى من اول الزمان لآخره احسن كتاب انزل اليكم من ربكم فالمكلف بهذا الخطاب من ادركه ومن لم يدركه لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت ولذا كلف به من بقى حيا حتى ادركه كالخضر والياس وعيسى عليهم السلام (قوله القرآن) تفسير لاحسن فان ما انزل الينا من ربنا كتب كثيرة واحسنها القرآن وهذا كله على ما فهم المفسر وقيل معنى احسن ما انزل اليكم الخ اى من القرآن وهو اوامره دون نواهيه او عزائمه دون رخصه او ناسخه دون منسوخه او ما هو اعم والخطاب لخصوص هذه الامة فتدبر (قوله ان تقول نفس) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله بادروا قبل ان تقول الخ وقدره غيره كراهة او مخافة ان تقول نفس الخ وحينئذ فيكون مفعولا لاجله وهو اسهل مما قدره المفسر والمراد نفس الكافر ونكرها للتحقير (قوله أصله يا حسرتى) أى فقلبت الياء ألفا فهى فى محل جر وندا ؤها مجازا اى هذا اوانك فاحضرى (قوله اى طاعته) اشار بذلك الى ان المراد بالجنب الطاعة مجازا لان الجنب فى الاصل الجهة المحسوسة ويرادفه الجانب فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه لان الطاعة لها تعلق بالله تعالى والجهة لها تعلق بصاحبها (قوله وان كنت لمن الساخرين) الجملة حالية والمعنى فرطت فى جنب الله والحال انى ساخر (قوله او تقول الخ) اوللتنويع فى مقالة الكافر (قوله بالطاعة) وفى نسخة بالطافه اى اسعافه ولو قال بآياته لكان اظهر (قوله فاكون من المحسنين) اما معطوف على كرة فيكون من جملة المتمنى والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخالص نظير قول الشاعر

لولا توقع معتر فارضيه * ما كنت أوثر اترابا على ترب

ويكون اضمار ان جائز الا واجبا قال ابن مالك

وان على اسم خالص فعل عطف * تنصبه ان ثابتا او منحذف

او منصوب فى جواب التمنى ويكون مرتبا على التمنى والفاء للسببية واضمار ان واجب (قوله فيقال له الخ) اى جوابا لمقالته الثانية وأخر عن الثالثة ليتصل كلام الكافر بعضه ببعض ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة لئلا يكون مخالفا للترتيب الوجودى فان الكافر اولا يتحسر ثم يحتج بحجج واهية ثم يتمنى الرجوع الى الدنيا ان قلت ان بلى يجاب بها النفى ولا نفى فى الآية أجيب بان الآية متضمنة للنفى لان معنى قوله لو ان الله هدانى لم يهدنى (قوله وهى سبب الهداية) أشار بذلك الى ان المراد بالهداية الوصول بالفعل واما ان اريد بها مطلق الدلالة فالآيات نفسها دالة (قوله بنسبة الشريك الخ) أشار بذلك الى ان المراد كذب يؤدى للكفر والا فظاهر الآية يعم كل كذب على الله تعالى وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب على الله تعالى كالافتاء بغير الشرع ورواية الحديث بالكذب (قوله وجوههم مسودة) الجملة حالية ان جعلت الرؤية بصرية او مفعول ثان ان جعلت علمية (قوله أليس فى جهنم الخ) هذا تقرير لاسوداد وجوههم (قوله اتقوا الشرك) اى جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الايمان وهذه تقوى العامة وتقوى الخواص فعل الطاعات وترك المعاصى وتقوى خواص الخواص عدم خطور

ان لم تتو بوا (واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) هو القرآن (من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون) قبل اتيانه بوقته فبادروا قبل (أن تقول نفس يا حسرتى) اصله يا حسرتى اى ندامتى (على ما فرطت فى جنب الله) اى طاعته (وان) مخففة من الثقيلة اى وانى (كنت لمن الساخرين) بدينه وكتابه (او تقول لو ان الله هدانى) بالطاعة اى فاهتديت (لكنت من المتقين) عذابه (او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة) رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) المؤمنين فيقال له من قبل الله (بلى قد جاءتك آياتى) القرآن وهى سبب الهداية (فكذبت بها واستكبرت) تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بنسبة الشريك والولد اليه (وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى) ماوى (للمتكبرين) عن الايمان بلى (وينجى الله) من جهنم (الذين اتقوا) الشرك

الغير بالهم (قوله بمفازتهم) الباء سببية متعلقة بينجي وفي قراءة سبعية أيضا بمفازاتهم جمعا باعتبار الاشخاص (قوله أي بمكان فوزهم) أي بمكان ظفرهم بمقصودهم والمعنى ينجي الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة (قوله لا يمسهم السوء) يحتمل ان تكون هذه الجملة مستانفة مفسرة لمفازتهم فلا محل لها من الاعراب ويحتمل أن تكون حالية من قوله الذين اتقوا (قوله الله خالق كل شيء) هذا دليل لما قبله ودخل في الشيء الجنة ومافيها والنار ومافيها وحينئذ فلا مشارك لله في خلقه (قوله له مقاليد السموات والارض) المقاليد جمع مقلاد أو مقليد والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء في السموات أو الارض وروى عن عثمان رضي الله عنه أنه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السموات والارض من تكلم بها فتحت له (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن (قوله متصل بقوله وينجي) أي فهو معطوف عليه من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه (قوله المعمول لتامروني) أي والاصل أتامروني بان أعبد غير الله قدم مفعول أعبد على تامروني العامل في عامله وحذفت (قوله بنون واحدة) أي مخففة مع فتح الياء لا غير وهذه النون نون الرفع كسرت للمناسبة واستغني بها عن نون الوقاية (قوله بادغام) أي مع فتح الياء وسكونها وقوله وفك أي مع سكون الياء لا غير فالقرا آت أربع سبعيات (قوله ولقد أوحي اليك الخ) اللام موطئة لقسم محذوف أي والله لقد أوحي الخ ونائب الفاعل قوله لئن أشركت الخ والمعنى أوحي اليك هذا الكلام (قوله فرضا) أي على سبيل التقدير وفرض المحال وهو جواب عن سؤال مقدر كيف يقع الشرك من الانبياء مع عصمتهم وقيل المقصود بالخطاب أممهم لعصمتهم من ذلك ان قلت كان مقتضي الظاهر لئن أشركتم فما وجه إفراد الخطاب أجيب بان المعنى أوحي الى كل واحد منهم لئن أشركت الخ كما يقال كسانا الامير حلة أي كسا كل واحد منا حلة (قوله ليحبطن عملك) من باب تعب وقرئ شذوذا من باب ضرب (قوله ولتكونن من الخاسرين) عطف مسبب على سبب وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثاني وهو لئن أشركت والقسم الثاني وجوابه جواب عن القسم الاول وهو ولقد أوحي وحذف جواب الشرط وهو ان أشركت للقاعدة (قوله بل الله فاعبد) عطف على محذوف والتقدير فلا تشرك بل الله الخ (قوله وكن من الشاكرين) أي على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته لان الشكر على ذلك أفضل من الشكر على باقي النعم (قوله وما قدروا الله حق قدره) ان قلت ان مفهوم الآية يقتضي أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته ومقتضى قوله صلى الله عليه وسلم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وقوله سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته انه لا يعلم الله الا الله فكيف الجمع بينهما أجيب بان الآية محمولة على المعرفة المامور بها المكلف بتحصيلها ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التي فرضت عليهم وهي تنزيهه عن النقائص ووصفه بالكمالات والحديث محمول على المعرفة التي لم تفرض على العباد وهي معرفة الحقيقة والكنه فتدبر فتحصل أن العجز عن الادراك ادراك والبحث عن الذات اشراك ولم يكلفنا الله الا بان ننزهه عما سواه سبحانه وتعالى (قوله أو ما عظموه حق عظمته) مفهومه أنهم عظموه لا حق تعظيمه وهو كذلك لانهم معترفون بانه لا اله الا كبرا الخالق لكل شيء (قوله والارض جميعا الخ) الجملة حالية من لفظ الجلالة والمعنى ما عظموه حق تعظيمه والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقدم الارض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها (قوله أي في ملكه وتصرفه) أشار بذلك الى أنه ليس المراد حقيقة القبض بل المراد التصرف والملك ظاهرا وباطنا بخلاف أمور الدنيا فان للعبيد فيها أملاكا ظاهرية وقيل أنه كناية عن انعدامها

(بمفازتهم) اى بمكان فوزهم من الجنة بان يجعلوا فيه (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) متصرف فيه كيف يشاء (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرها (والذين كفروا بآيات الله) القرآن (أولئك هم الخاسرون) متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا الخ وما بينهما اعتراض (قل أفغير الله تامروني أعبد أيها الجاهلون) غير منصوب باعبد المعمول لتامروني بتقدير أن بنون واحدة وبنونين بادغام وفك (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك) والله (لئن اشركت) يا محمد فرضا (ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله) وحده (فاعبد وكن من الشاكرين) انعامك (وما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره (والارض جميعا) حال أى السبع (قبضته) أى مقبوضة له أى في ملكه وتصرفه (يوم القيامة والسموات مطويات) مجموعات (بيمينه) بقدرته (سبحانه وتعالى عما يشركون) معه

بالمرة وهو ظاهر ويقال فى الطى مثل ذلك (قوله ونفخ فى الصور اخ) التعبير فى هذا وما بعده بالماضى لتحقق وقوعه أى لكونه واقعا فى علم الله تعالى أزلا لان كل ماظهر فهو جار فى سابق علمه تعالى والنافخ اسرافيل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره عليهم السلام والصور بسكون الواو فى قراءة العامة وهو القرن فيه ثقب بعدد جميع الارواح وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الارواح وتتصل باجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الارواح الى الموتى وشعبة فى فم اسرافيل وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وقدماه قد نزلتا عن الارض السفلى مسيرة مائة عام (قوله النفخة الاولى) ظاهر المفسران النفخ مرتان نفخة الصعق ونفخة البعث وهو ظاهر الآية وقيل ان النفخ ثلاث مرات فالنفخة الاولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسخير البحار والناس احياء والهون ينظرون اليها فتذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى وهى المعنية بقوله تعالى إن زلزلة الساعة شئ عظيم والنفخة الثانية يكون بها الصعق وعندها يموت كل من كان حيا حياة دنيوية وأما من كان حيا حياة برزخية فانه يغشى عليه والنفخة الثالثة نفخة القيام وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح لتستريح الارض من الهول الذى حصل لها وفى تلك المدة تمطر السماء وتنبت الارض ولاحى على ظهرها من سائر المخلوقات (قوله مات) أى من كان حيا فى الدنيا ويغشى على من كان ميتا من قبل لكنه حى فى قبره كالانبياء والشهداء (قوله من الحور اخ) اى فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت ويستثنى منه بمعنى الغشي والدهش موسى عليه السلام فانه لا يغشى عليه بل يبقى متيقظا ثابتا لانه صعق فى الدنيا فى قصة الجبل فلا يصعق مرة أخرى (قوله وغيرها) أى كجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون بالنفخة الاولى وانما يموتون بين النفختين لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا ونفخ فى الصور الآية فقالوا يانبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى فقال هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فيقول الله لملك الموت ياملك الموت من بقى من خلقى وهو أعلم فيقول يارب بقى جبريل وميكائيل واسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس اسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول مت ياملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل ياجبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى فيقول الله تعالى ياجبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام (قوله ثم نفخ فيه أخرى) أى بعد اربعين سنة على الصحيح وقرب نفخة القيام تأتى سحابة من تحت العرش فتمطر ماء خاثرا كالمنى فتنبت أجسام الخلائق كما تنبت البقل فتتكامل اجسامهم وكل ابن آدم تاكله الارض الا عجب الذنب فانه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف فتركب عليه أجزاؤه فاذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم أنشق عنه القبر ثم قام خلقا سويا وفى النفخة الثانية يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة والاعضاء المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله المصور الخالق يامركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن ثم ينادى قوموا للعرض على الجبار فيقومون كما قال تعالى يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر الآية فاذا خرجوا من قبورهم تلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله كما قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ويمشى المجرمون على أقدامهم حاملين أوزارهم كما قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفى الآية الاخرى يحملون اوزارهم على ظهورهم (قوله فاذا هم قيام) بالرفع فى قراءة العامة خبر عن الضمير وقرئ شذوذا بالنصب على الحال وخبر الضمير قوله ينظرون (قوله ما يفعل بهم) أى من الحساب والمرور على الصراط

(ونفخ فى الصور) النفخة الاولى (فصعق) مات (من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) من الحور والولدان وغيرها (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم) أى جميع الخلائق الموتى (قيام ينظرون) ينتظرون ما يفعل بهم

وادخالهم

وادخالهم الجنة أو النار (قوله واشرقت الارض بنور ربها) المراد بالارض الارض الجديدة المبدلة التي يحشر الناس عليها (قوله حين يتجلى) أي حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونه حقيقة لما في الحديث سترون ربكم لا تمارون فيه كما لا تمارون في الشمس في اليوم الصحو وهذا النور يخلقه الله تعالى فتضيء به الارض وليس من نور الشمس والقمر وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى في القيامة وهم المؤمنون (قوله ووضع الكتاب) اى اعطى كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه او شماله (قوله وجيء بالنبيين والشهداء) أي وذلك ان الله تعالى يجمع الخلائق الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ماجاءنا من نذير فيسال الله تعالى الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما كانوا بعدنا فيسال هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيساله الله تعالى عن امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (قوله أي العدل) اى بالنسبة للكافرين واما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل (قوله أي جزاءه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله اى عالم) اشار بذلك الى ان اسم التفضيل ليس على بابه اذ لا مشاركة بين القديم والحادث (قوله فلا يحتاج الى شاهد) أي لانه عالم بمقادير افعالهم وكيفياتها وانما الشهود وكتابة الاعمال لحكم عظيمة منها اقامة الحجة على من عاند وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله

والعرش والكرسي ثم القلم * والكاتبون اللوح كل حكم
لا لاحتياج وبها الايمان * يجب عليك أيها الانسان

(قوله وسيق الذين كفروا الخ) هذه الآية وما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله ووفيت كل نفس ما عملت (قوله بعنف) اى شدة لانهم يضربون من خلف بالمقامع ويسحبون من امام بالسلاسل والاغلال (قوله الى جهنم) المراد دار العذاب بجميع طبقاتها (قوله زمرا) جمع زمرة من الزمر وهو الصوت سموا بذلك لان الجماعة لا تخلو غالبا عنه (قوله جماعات متفرقة) اى فوجا فوجا كما في آية كلما التي فيها فوج والمعنى كل أمة على حدة (قوله حتى اذا جاؤها) حتى ابتدائية تبتدأ بعدها الجمل (قوله فتحت ابوابها) أي ليتلقون حرارتها بانفسهم (قوله جواب اذا) اى باتفاق (قوله رسل منكم) أي من جنسكم (قوله القرآن) أي بالنسبة لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وغيره أي بالنسبة لبقية الامم (قوله لقاء يومكم هذا) أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم وليس المراد به يوم القيامة جميعه فانه مختلف باعتبار الاشخاص فيكون نعيما وسرورا للمؤمنين وشدة وعذابا للكافرين (قوله قالوا بلى) اقرار بما وقع منهم وانما انكروا حين سالهم الله تعالى طمعا في النجاة فلما قامت الحجج عليهم وتحتم الامر بعذابهم رأوا أن الانكار لا فائدة فيه فاقروا وبالجملة فالقيامة مواطن تارة ينكرون وتارة تقر أعضاؤهم وتارة يقرون بالسنتهم (قوله على الكافرين) أظهر في محل الاضمار اشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر (قوله مقدرين الخلود) اشار بذلك الى ان قوله خالدين حال مقدرة وذلك لانهم عند الدخول ليسوا خالدين وانما هم منتظرون ومقدرون الخلود (قوله فبئس مثوى المتكبرين) اظهر في محل الاضمار اشارة الى بيان سبب كفرهم الذي استحقوا به العذاب وقوله جهنم هو المخصوص بالذم (قوله وسيق الذين اتقوا ربهم) أخر وعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به ليكون آخر الكلام بشرى المؤمنين (قوله بلطف) أشار بذلك الى ان السوق في الموضعين مختلف فسوق الكفار سوق اهانة وانتقام وسوق المؤمنين سوق تشريف واكرام وفي المعنى سوق المؤمنين سوق مراكبهم لانهم يذهبون راكبين فيسرع

(واشرقت الارض) أضاءت (بنور ربها) حين يتجلى لفصل القضاء (ووضع الكتاب) كتاب الاعمال للحساب (وجيء بالنبيين والشهداء) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ (وقضي بينهم بالحق) أي العدل (وهم لا يظلمون) شيا (ووفيت كل نفس ما عملت) اى جزاءه (وهو أعلم) اى عالم (بما يفعلون) فلا يحتاج الى شاهد (وسيق الذين كفروا) بعنف (الى جهنم زمرا) جماعات متفرقة (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) جواب اذا (وقال لهم خزنتها ألم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم) القرآن وغيره (وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أي لاملان جهنم الآية (على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى) ماوى (المتكبرين) جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم) بلطف (الى الجنة

بهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين وهذا من بديع الكلام وهو ان يؤتى بكلمة واحدة تدل على الهوان فى حق جماعة وعلى العز والرضوان فى حق آخرين (قوله زمرا) اى جماعات على حسب قربهم ومراتبهم (قوله حتى اذا جاؤها) حتى ابتدائية (قوله الواو فيه للحال) والحكمة فى زيادة الواو هنا دون التى قبلها ان أبواب السجن مغلقة الى ان يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها (قوله وقال لهم خزنتها) عطف على قوله جاؤها (قوله سلام عليكم) اى سلمتم من كل مكروه وقوله طبتم اى طهرتم من دنس المعاصى لما ورد انه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من احداهما فتطهر أجوافهم وذلك قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يغتسلون من الاخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (قوله وجواب اذا مقدر) هذا أحد أقوال ثلاثة وقيل ان جوابها قوله وفتحت والواو زائدة وقيل هو قوله وقال لهم خزنتها والواو زائدة (قوله وسوقهم) مبتدأ وتكرمة خبره وكذا ما بعده (قوله وقالوا) اى بعد استقرارهم فى الجنة (قوله الذى صدقنا وعده) اى حققه لنا فى قوله تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا (قوله وأورثنا الارض) أى ملكها لنا نتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقد كانت لآدم وحده فاخذها أولاده ارثا لها منه وقيل المراد أورثنا أرض الجنة التى كانت للكفار لو آمنوا والاقرب ان المراد ملكنا اياها كالميراث فانه ملك بلا ثمن ولا شبهة لاحد فيه فكذلك منازل الجنة (قوله لا يختار فيها مكان على مكان) اى بل يرضى كل انسان بمكانه الذى أعده بحيث لو أطلق له الاختيار لا يختار غيره لزوال الحقد والحسد من القلوب وهذا جواب عما قيل كيف ذلك مع ان كل انسان له محل معد لا سبيل له الى غيره وأجيب أيضا بان المعنى يختار من منازله ما يشاء لما ورد أن كل واحد له جنة لا توصف سعة ولا حسنا فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يخطر بباله غيرها (قوله فنعم أجر العاملين) هذا من كلام الله تعالى زيادة فى سرور أهل الجنة وقوله الجنة هو المخصوص بالمدح (قوله وترى الملائكة) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن زيادة فى السرور لان رؤية الملائكة فى الآخرة من النعيم لاتحادروحانيتهم مع الانس واما فى الدنيا فمفزع لان النوع الانسانى فى الدنيا ضعيف مكبل بانواع الشهوات والحجب فلا يستطيع رؤية المقربين (قوله حافين) اى محيطين مصطفين بحافته وجوانبه (قوله اى يقولون سبحان الله وبحمده) اى تلذذا لان منتهى درجاتهم الاستغراق فى تسبيحه تعالى وتقديسه (قوله ختم استقرار الفريقين الخ) أى كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض ففيه تنبيه على أنه تعالى ينبغى حمده فى مبدإ كل أمر ونهايته (قوله من الملائكة) اى بل ومن جميع الخلائق فان جميع اهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويجدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم * والله أعلم

﴿ تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة غافر ﴾

زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) الواو فيه للحال بتقدير قد (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) حالا (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود فيها وجواب اذا مقدر أى دخلوها وسوقهم وفتح الابواب قبل مجيئهم تكرمة لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها اليهم اهانة لهم (وقالوا) عطف على دخلوها المقدر (الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالجنة (وأورثنا الارض) أى أرض الجنة (نتبوأ) ننزل (من الجنة حيث نشاء) لانها كلها لا يختار فيها مكان على مكان (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) حال (من حول العرش) من جانب منه (يسبحون) حال من ضمير حافين (بحمد ربهم) ملابسين للحمد أى يقولون سبحان الله وبحمده (وقضى بينهم) بين جميع الخلائق (بالحق) أى العدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وقيل الحمد لله رب العالمين) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة * والله أعلم

فهرست الجزء الثالث من حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين

صحيفة		صحيفة	
٢	سورة الكهف	١٩١	سورة العنكبوت
٢٦	سورة مريم	٢٠١	سورة الروم
٤١	سورة طه	٢٠٩	سورة لقمان
٥٩	سورة الانبياء	٢١٥	سورة السجدة
٧٧	سورة الحج	٢٢٠	سورة الاحزاب
٩٣	سورة المؤمنون	٢٤١	سورة سبا
١٠٥	سورة النور	٢٥٤	سورة فاطر
١٢٤	سورة الفرقان	٢٦٣	سورة يس
١٣٨	سورة الشعراء	٢٧٦	سورة الصافات
١٥٤	سورة النمل	٢٩١	سورة ص
١٧٢	سورة القصص	٣٠٤	سورة الزمر

تمت